الجامعة الاردنية
كلية الدراسات العليا
قسم اللغة العربية وآدابها

جهد طه حسين في نقد الأدب العربي

ما بين عام ١٩١٤ وعام ١٩٧٣ م

اعداد
نزيه يوسف عبد الكريم أبو الرب

٦
٢٥٧٨

اشراف
الدكتور محمد حسن عواد

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات نيل درجة الدكتوراه
في تخصص اللغة العربية وآدابها من كلية
الدراسات العليا في الجامعة الاردنية
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الموضوعات

الصفحـــة

* مقدّمـــة ..... هـ

* تمهيـــد : ..... ١ - ٢٣

حال النقد في القرن الماضي وعوامل نهضته ١ ، ظهور النقاد الـــرواد : النقاد المحافظون ٥ - النقاد المجددون ١٢ - النقد المتأثر بالثقافة السكسونية ١٢ - النقد المتأثر بالثقافة اللاتينية ١٦ .

* الفصل الأول : ..... ٢٦ - ٧٥

" شخصيته النقدية وظروف تكوينهـا "

الحالة السياسية ٢٦ - الحالة الاجتماعية والاقتصادية ٢٩ - الحالة التعليمية والثقافية ٣٠ - شخصيته النقدية وطفولته الأولـى ٣٥ - أثر والده في شخصيته ٣٩ - شخصيته النقدية في الأزهر ٤٨ - ظهور شخصيته النقدية ٥١ - نقده في حلقات الشيوخ ٥٥ - أثر الشـــيخ المرصفي ٥٨ - أثر لطفي السيد وعبدالعزيز جاويش ٦١ - شـخصيته النقدية في الجامعة ٦٤ - شخصيته في طور النضج ٦٨.

* الفصل الثاني : ..... ٧٦ - ١٠٠

" مفهومه للنقد الأدبي ومنهجـه "

مفهومه للنقد الأدبي ٧٧ - حرية الناقد ومسؤوليته في النهضـــة الأدبية ٨٣ - منهجه في النقد الأدبي ٩١ - الأثـــــر العربـــي والأوروبي في منهجه ٩٥ .

* الفصل الثالث : ..... ١٠١ - ١٨٨

" جهده في نقد الشعر الجاهلي والأموي "

(١) مفهومه لفن الشعر ١٠٢ - الشعر القديم وواجب الناقد الحديث ١٠٥ خصائص الشعر الجاهلي ومفهومه للخيال ١٠٩ - مدرسة أوس وأسلوبه في دراسة الشعر الجاهلي ١١٢ - جهده في دراسة الشعر الجاهـــلي والمخضرم ١١٧ - رأيه في وحدة القصيدة وتطوره ١٣٦ - موقفـه مـن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفحـــــة

الشعر الجاهلي وتطوره ١٣٦ - مقاييسه في نقد الشعر ١٤٨ - بين نظرية المحاكاة ومقولة الجاحظ ١٥٠ - الشعر بين الطبع والإرادة ١٥٢ - أهمية الدراسة ودلالتها ١٥٣ .

(٢) **جهده في دراسة الشعر الأموي ١٥٥** - أ - أحاديثه في شعراء مختلفين ١٥٥ - عيوب الأحاديث وأهميتها ١٦٤ - ب - دراساته في الغزلين ١٦٦ - شعر الغزل المادي ١٦٧ - شعر الغزل العذري ١٧٤ الغزل البدوي العابث ١٧٩ - عيوب دراساته في الغزلين ١٨٠ - أهمية الدراسة وأثرها ١٨٢ - رأيه في بيئة الغزلين وتطوره ١٨٦ .

* **الفصل الرابع** : ..... ١٨٩ - ٢٧٩

" جهده في نقد الأدب العباسي "

(١) **جهده في دراسة النثر والبيان ١٩٠ :**

دراسة النثر ١٩٠ - الأثر الفارسي ومخالفة المستشرقين ١٩٢ - رأيه في ظهور النثر وتطوره ١٩٣ - عيوب الدراسة وأهميتها ١٩٧ - دراسة البيان ٢٠١ - رأيه في أثر أرسطو ٢٠٢ - أهمية الدراسة وأثرها ٢٠٥ .

(٢) **جهده في دراسة الشعر ٢٠٨ :**

صراع التجديد بين الشعرين : العربي واليوناني ٢٠٩ - أغلال التجديد في الشعر العربي ٢١٠ - أ - **دراسة شعر الخمر والمجون** ٢١٢ - دراسته في أبي نواس ٢١٢ - رأيه في خمرياته ٢١٣ - رأيه في غزله ٢١٦ - الأغراض الشعرية الأخرى ٢١٨ - شعراء المجون الآخرون ٢٢١ - أهمية الدراسة وعيوبها ٢٢٧ - نقد المحافظين ومحاورة رفيق العظم ٢٢٨ - عنصر الإثارة في دراساته ٢٣٣ .

ب - **أحاديثه في شعراء مختلفين** ٢٣٦ - عيوب الأحاديث وأهميتها ٢٤٠ .

جـ - **دراسته في أبي الطيب المتنبي** ٢٤٣ - رأيه في شخصيته ٢٤٣ - رأيه في شعره ٢٤٦ - أهمية الدراسة وأثرها ٢٥١ - أسلوبه في نقد شعره ٢٥١ - رأيه في تجديده الشعري ٢٥٥ - تراجعه عن ثلاثة آراء نقدية ٢٥٦ - سخريته وجده في نقد شخصيته ٢٥٨ - نقد محمود شاكر للدراسة ٢٦١ - دوافع محمود شاكر الى النقد ٢٦٤ - أسلوبه في النقد ٢٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفحـــة

د - دراساته في أبي العلاء المعري ٢٦٨ :
دراسة شعره ٢٦٨ - تطور رأيه في شعره ٢٧٠ - دراسة نثره ٢٧٢ - أهمية دراسته الأولى ودلالتها ٢٧٣.
* جهده في دراسة الأدب العربي القديم : ٢٧٦.

* الفصل الخامس : ..... ٢٨١ - ٣٦٩

جهده في نقد الأدب العربي المعاصر:

(١) دراساته في الشعر المعاصر ٢٨١ :
أ - أحاديثه في تجديد الشعر المعاصر ٢٨٢ - رأيه في تجديد مدرسة الإحياء ٢٨٢ - رأيه في تجديد مدرسة الديوان ٢٨٥ - رأيه في تجديد خليل مطران ٢٨٩ - عيوب الأحاديث وأهميتها ٢٩٣ - العقاد ومطران ومدرسة أوس ٢٩٤ - زعامة التجديد بين العقاد ومطران ٢٩٥.
ب - دراساته في الشعر العربي المعاصر ٢٩٨ - دراسته في شوقي وحافظ ٢٩٩ - رأيه في شوقي وتجديده ٢٩٩ - رأيه في حافظ وتجديده ٣٠٣ - موازنته النقدية بين شوقي وحافظ ٣٠٧ - دراساته في دواوين المعاصرين ٣٠٩ - أهمية الدراسات ودلالتها ٣٢٥ - أسلوبه في نقد الشعر المعاصر ٣٢٢ - سخريته وحدّته في نقد المعاصرين ٣٢٣ - ذوقه النقدي وأحكامه ٣٢٩ - التجديد واقتراب الشعر العربي والأوروبي ٣٣٠ - رأيه في أزمة الشعر المعاصر ٣٣٢ - رأيه في الشعر الحر وسبب ظهوره ٣٣٤.
(٢) دراساته في القصة والمسرحية ٣٣٧ : نقد القصة القصيرة ٣٣٧ - نقد القصة الطويلة ٣٤١ - مفهومه لفن القصة ٣٤١ - جهده في نقد القصة الطويلة ٣٤٢ - نقده المسرحية ٣٥١ - شهريار بين عزيز أباظه وجول سوبر فييل ٣٥١ - السد ٣٥٣ - نقده مسرح الحكيم ٣٥٣ - أهمية الدراسات ودلالتها ٣٥٦ - ثقافته الأوروبية ونقد القصة ٣٥٧ - ابتعاده عن الإقليمية في النقد ٣٥٩ - مقاييسه في نقد القصة ٣٥٩ - أسلوبه في نقد القصاص ٣٦١ - رأيه في الواقعية والالتزام ٣٦٢ - مقاييسه في نقد المسرحية ٣٦٤ - غيرته على الفصحى ٣٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفحـــة

* تساؤلان في نقده المسرحية ٠٣٦٧
  - هل الشعر يلائم التمثيل المعاصر ؟ ٠٣٦٧
  - لماذا لم يعرف العرب المسرح ؟ ٠٣٦٧

* الفصل السادس : ..... ٣٧١ ـ ٤٧٠

محاوراتـــــه النقديـــــة

* رأيه في الحوار النقدي ٠٣٧١
* محاورة الرافعي ٣٧٣ ـ خطأ العريان ومغالطة الرافعي ٣٧٩ ـ رسائل الأحزان والمحاورة الثانية ٣٨٤ ـ سر الخصومة النقدية بينهما ٣٩٣ ـ موقف الرافعي في أزمة الشعر الجاهلي وعلاقته بالسياسة ٠٣٩٤
* محاورة العقاد ٣٩٩ ـ موقف العقاد في أزمة الشعر الجاهلي ٤٠١ ـ الناقد اللاتيني والناقد السكسوني ٤٠٢ ـ رجعة أبي العلاء ٤٠٤ ـ أبو نواس ومنهج التحليل النفسي ٤٠٦ ـ لماذا لم تقع الخصومة بينهما ؟ ٠٤١٠
* محاورة سلامة موسى ٤١٦ ـ الخلاف حول الأدب العربي القديم والمعاصر ٤١٨ ـ أدب الملوك وأدب الشعب ٤٢١ ـ التباين بين شخصية طه وسلامة ٠٤٢٦
* محاورة المازني ..... ٤٢٩ ـ ٤٣٧
* محاورة توفيق الحكيم ..... ٤٣٨ ـ ٤٤٧
* محاورة محمود العالم وعبدالعظيم أنيس ..... ٤٤٨ ـ ٤٥٥
* محاوراته الأخرى ٠٤٥٦
  - أحمد أمين ٤٥٧ ـ محمد الخضري ٤٥٩ ـ زكي مبارك ٠٤٦١
* أهمية المحـــاورات ٠٤٦٩

* خاتمـــــــة ..... ٤٧١ ـ ٤٨٠
* Conclusion ..... ٤٨١ ـ ٤٨٤
* فهرس المصـادر والمراجع ..... ٤٨٥ ـ ٥٠٢

xxxxxxxxxx
xxxxxxxxxx
xxx ع ٠ م xxx
xxxxxxxxxx
xxxxxxxxxx

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمـــة

يرجع اهتمامي بطه حسين الى طور مبكر من العمر ، كنت فيه ما أزال في أول الدراسة الثانوية ، ومع أنني في هذا الطور كنت أهتم أيضا بأدباء عرب آخرين ، فقد لاحظت أنني فقدت اهتمامي بأكثرهم ، الواحد تلو الآخر ، مع مرور السنين ، على حين أن اهتمامي به لم يضعف البتة ، وانما ازداد قوة على الأيـــام ، وأحسب أنه لفتني في البداية بأسلوبه ، وبثقافته ، ثم أخذت أعنى بأدبه عامة ، وبنقده خاصـــة ، وأتأمل مايتخلل هذا النقد من آراء جريئة ، جهر بها ، فجرّ عليه بعضها خصومات شديدة ، عرضته ، وما زالت تعرّضه لتهم خطيرة شتى .

وحين رأيت أن تكون رسالتي للدكتوراه في النقد الأدبي الحديث ، تبادرت الى ذهني موضوعات عدة ، كان نقد طه حسين من بينها ، ثم رحت أوازن بين كل موضوع وآخر من حيث الأهمية والجِدَّة ، واستقصي ماكتب فيها ، الى أن استقر رأيي أخيرا على أن يكون موضوع الرسالة **نقد طـــه حســـين الأدبي** ، ففضلا عن اهتمامي القديم به ، ملت الى اختياره لسببين أساسيين :

أولهما أن القارىء يشعر بالحيرة الشديدة بإزاء ماكتب حول هذا النقد ، إذ يجد نفســـه بين فريقين كبيرين من الكتاب : **أما الفريق الأول** فيذهب الى أنّ طه حسين مخفق في نقده الأدبي ، ثم يشكك في نياتـه وأهدافه الكامنة في تضاعيف هذا النقد ، فهو عنده مثل سلامة موسى ، أو أشـــدّ خطرا منه في الدعوة الى (التغريب) الأدبي والثقافي ، وفي موقفه من الأدب العربي القديم ، كمـــا يذهب الى أن رسالته النقدية الحقيقية هي إفساد النشء ، من خلال دراساته في شعراء الخمر والغـــزل والمجون ، والى أنه في آرائه النقدية كان عِيالا على النقاد الأوروبيين ، ينهب أكثرهـــا نهبـــا مـــن المستشرقين خاصة .

وأمّا الفريق الثاني فيجده القارىء مخالفا للفريق السابق أشد الخلاف ، إذ يرى أن طه حســـين ناقد أدبي متفوق ، وأن مدرسته النقدية التكاملية أفضل المدارس الحديثة ، التي ظهرت في النقـــد الأدبي العربي المعاصر ، كما يرى أنه ناقد أدبي مستنير في آرائه ، صادق في حبه الأدب الـــعربي القديم ، مخلص في انتمائه لعربيته واسلامه ، ملتزم وهادف في نقده الى خير المجتمع وصلاحه .

والذي يزيد من حيرة القارىء ، الذي ينشد الحقيقة ليس غير ، أنه يرى كلا الفريقين يتحـــدث في الغالب حديثا عاما ، يكون في أثنائه جهد طه حسين النقدي كله غائبا ، أو يشار الى بعضه أحيانا إشارات جزئية أو مبتورة ، لايستطيع القارىء معها في الغالب أن يتحقق من مدى صحة مايرد فـــي هذا الحديث أو ذاك ، ولا يتسنى له أن يلحظ مايمكن أن يكون فيه من تزيّد أو جور عن الحقيقة ؛ ولذا فإنه يشعر شعورا قويا بالحاجة الى معالجة الموضوع معالجة علمية شاملة ، تعرض لجهـــد طـــه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حسين النقدي كله ، وتدرس في حيدة وموضوعية مختلف جوانبه وقضاياه ، وتجلو حقيقته العلمية البريئة من أي ميل أو هوى .

وأما السبب الثاني الذى دفعني الى اختيار الموضوع فهو أنني لم أجد في الغالب دراسات كبيرة تتناول نقد طه حسين الأدبي خاصة ، وانما وجدت تناولا موجزا عاما لهذا النقد ، إمّا لأن هذا التناول ورد في دراسات كبيرة تشمل النقد المصري أو العربي المعاصر عامة ، وامّا لأنه كان ضمن دراسات كبيرة في أدب طه حسين كله ، ومع أن طه حسين نفسه كان يلفت الى أن **نقده قسمان : نقد علمي** تناول به مناهج الدراسة ، وأساليب البحث ، **ونقد أدبي** تناول النصوص الإبداعية : الشعرية والنثرية من الناحية الفنية الخالصة ، فقد لاحظت أن أكثر الدارسين يخلطون بين النقدين في دراساتهم الموجزة ، كما فعل **عزالدين الأمين** في كتابه " **نشأة النقد الأدبي في مصر** " . وكما يخلط بينهما خصومه في الغالب ، حتى نراهم يُسفّهون آراءَه في النقد الأدبي ، ويشكّكون في مراميها من خلال نظرتهم الساخطة على بعض ماقاله في نقده العلمي .

وأحسب أن الدراسة المستفيضة الوحيدة ، التي نجدها في نقده هي دراسة الدكتور **جابر عصفور** " **المرايا المتجاورة** " ، ومع التقدير البالغ لهذه الدراسة ، ولما فيها من جهد يمكن الإفادة منه كلّه أو بعضه نقول : إنّ قارئها في إمعان يلاحظ أنّ الدارس قد عني فيها بطبيعة الفكر النقدي لدى طه حسين فحسب ، وذلك من وجهة بنيوية خالصة ، قادته في كثير من الأحيان الى اعتساف بعض الصيغ اعتسافا ، وحرمت بحثه من رصد أيّ تطور يمكن أن يكون قد حدث في نقد طه حسين الأدبي خلال السنين الطويلة ، ومنعته من أن يعرض لآراء الدارسين السابقين في هذا النقد ، فيفيد من بعضها ، ويناقش بعضها الآخر ، وجعلته يولي عناية لنقده النظري ، مفترضا أنه هو ونقده العملي ، وحدة واحدة لا اختلاف بينهما ، مع أنّ العقاد مثلا قد لاحظ مبكرا أن ثمة شيئا من الاختلاف بين نقد طه حسين النظري الذي يقرّر فيه الأصول والمبادىء ، وبين نقده في واقعه العملي ، ولذا يمكن القول : إن هذا هو المأخذ الكبير على دراسة الدكتور جابر عصفور ، كما لاحظ الدكتور شكري محمد عياد بحق ، ذلك أن كتابات طه حسين التي خصصها للنظرية النقدية محدودة جدا ، واذن فالدكتور جابر عصفور لم يعرض في الغالب لنقد طه حسين العملي أو التطبيقي ، ونحسب أنا لا نعدو الحقيقة إذ نقول :إنّ قارىء الدراسة لا يجد فيها صورة واضحة متكاملة لجهد طه حسين في النقد الأدبي ، ولا يلمس فيها روحه النقدي وأسلوبه المطبوع بطابعه الخاص ، وسبب هذا كله ـ كما لاحظ الدكتور شكري عياد بحق أيضا ـ أن الباحث قيد نفسه بالمنهج البنيوي ، فغدا بحثه نتيجة لذلك كالمسرحية الذهنية .

هذان هما السببان اللذان جعلاني أميل الى اختيار الموضوع للرسالة ، فقد شعرت شعورا قويا بأن نقد طه حسين الأدبي مازال في حاجة الى دراسة موضوعية ، تنتظم جهده كله فيه : النظري والعملي معا ، ولقد كنت أريد في البداية أن يشمل البحث جهده النقدي ،قبل طور النضج ، ولكني اكتشفت من خلال البحث والاستقصاء أن ثمة رسالة علمية بعنوان " **النقد الأدبي عند طه حسين**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في مرحلة التكوين ١٩٠٩ - ١٩١٤ " قد نال بها صاحبها محمد سامي البدراوي درجة الماجستير من جامعة القاهرة في عام ١٩٦٤ ، مما اقتضى أن يبدأ هذا البحث من طور النضج ، الذي بدأ أيضا في شهر مايو (أيار) عام ١٩١٤ ، حين نال طه حسين من الجامعة المصرية القديمة درجة الدكتوراه بدراسة في أبي العلاء المعري ، وصفها هو نفسه بأنها أول دراسة في الأدب العربي المعاصر تتم وفق خطة مرسومة لها ، ومنهج محدّد واضح ، على نحو مايفعل الأوروبيون في دراساتهم .

وحين شرعت أبحث في نقده الأدبي وأتعرفه وأتأمله ، لاحظت - فضلا عن ضخامة الجهد المبذول في هذا النقد - أن طه حسين الذي جمع بين الثقافتين : العربية والغربية ، على نحو عميق واسع ، كان يتنقل في نقده الأدبي بين القديم والحديث في حرية وتمكّن ، وكيفما توحي له ظروفه ، دونما تقيد بالترتيب الزمني لعصور الأدب ، ومثال هذا أنه بعد عودته من فرنسا بدأ عام ١٩٢٣ بدراسة شعر المجون في العصر العباسي الأول ، ثم رجع في عام ١٩٢٤ الى العصر الأموي ليدرس شعر الغَزِلين ، ثم أخذ في عام ١٩٢٥ يعرض بالنقد للأدباء والنقاد المعاصرين من أمثال العقاد والرافعي وسلامة موسى ، ثم عاد في عام ١٩٢٦ الى القديم مرة أخرى ، فنشر دراسته المشهورة في الشعر الجاهلي ، وعلى هذا النحو من التنقل استمر في السنين التالية ، فكان يعود الى هذا العصر أو ذاك بين حين وحين ، ولا ريب في أن هذا التنقل خلال المسيرة النقدية الطويلة من شأنه أن يواجه الدارس بصعوبة بالغة ، لأنه يشتت الذهن ، ولا يمكنه من أن يتصور جهده النقدي تصورا واضحا دقيقا ، واذن لا بدّ له من أجل الوصول الى هذا التصوّر الواضح من أن يصنف هذا الجهد كله ، ويرتبه بحسب العصور والموضوعات ، إن كان يريد حقا أن يدرسه دراسة متعمقة نافعة ، تتبين مابين آرائه الكثيرة من اتساق أو تناقض ، وتستكشف الدافع الأساسي الذي يكمن وراء دراساته كلها ، والخيط الخفي الذى يربط بينها جميعا على اختلافها ، وأهم من ذلك أن هذا المنهج في الدراسة من شأنه أن يُظْهِر في جلاء كم مرة عاد الى أدب عصر بذاته ، أو إبداع أديب بعينه ، كما يظهر التاريخ الزمني لكل مرة ، مما يمكن الدارس من أن يرصد في دقة مدى التطور الذي طرأ على آرائه النقدية ، خلال مسيرة استمرت مايقرب من خمسة عقود من الجهد الموصول ، وأن يلحظ الأدب أو الأديب الذي حظي منه بالدرس والاهتمام أكثر من غيره ، فيحاول معرفة سرّ ذلك ، ودلالته النقدية .

ومع أن اعتمادي الأساسي في دراسة نقده الأدبي كان على مانشر في الكتب ، وفي الصحف المختلفة ، فإنني أيضا لم أهمل ماكتب الدارسون حول هذا النقد ، وانما حاولت دراسته في عناية فائقة ، وعرضت لأشهر الآراء التي قيلت فيه بالنقاش ، وحرصت على أن أظهر مدى نقده وتأثيره في الدارسين على اختلاف مذاهبهم وميولهم ، كما حرصت على أن أعرض لمحاوراته وخصوماته النقدية في أمانة وموضوعية ، مجتهدا في أن أعطي رأيي الخاص المستقل ، من خلال ما أعتقد أنه حق أو صواب .

أما الجهد المبذول في البحث ، وما حققه البحث من جديد ، فأحب أن أترك أمر تقديرهما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للقارىء وحده ، ولكني أحب أن أؤكد أني لم أدخر وسعا في دراسة الموضوع ، وأني حرصت كل الحرص على أن أنهج النهج العلمي في الدراسة ، لأن تجلية الحقيقة هي أقوى الحوافز التي دفعتني الى اختيار البحث ، وكفى بالباحث فيه رادعا عن الميل والهوى ، أن طه حسين نفسه كان يطلب الى دارسيه من التلاميذ سرّا وجهرا ألاّ يتورطوا في اثم محاباته ، كما يتورط خصومه في إثم التحامل عليه ، وكان يرجو كلا الفريقين من دارسيه أن يظهروا القارىء على الحقيقة ليس غير ، دون نقص أو زيادة .

ولقد جاء البحث في تمهيد وستة فصول وخاتمة ، **أما التمهيد** فقد عرض في إيجاز لحركة النقد الأدبي الحديث في مصر على اختلاف مذاهبها ومدارسها ، وقد رأيت أن هذا التمهيد ضروري لتبيان الظروف النقدية التي أحاطت بنقد طه حسين وظهور مدرسته ، كما أنه ضروري جدا لمعالجة موضوع البحث نفسه ، لأن بين أعلام هذه المذاهب والمدارس النقدية من له تأثيره في نقد طه حسين ، ومنهم من تناوله طه حسين بالنقد ، أو نقد هو طه حسين ، فدارت بين كلا الطرفين محاورات أو خصومات ، واذن من الضروري أن نكون قد عرفنا سابقا مذاهب هؤلاء النقاد واتجاهاتهم. **وأما الفصل الأول** فقد حاولت فيه أن أجلو شخصية طه حسين النقدية خاصة ، وأن أتبيّن ظروف تكوينها منذ أقدم بداياتها ، على أني احترست في هذا الفصل من أن أتحدث عن حياته ، ذلك أنّ كتّابا كثارا قد تحدثوا عنها . **وأما الفصل الثاني** فقد بيّنت فيه مفهومه للنقد الأدبي الحديث ، ومنهجه النقدي الذي اصطفاه لنفسه ، ودعا الدارسين اليه ، كما بيّنت الأثرين : العربي والأوروبي في هذا المنهج . **وأما الفصل الثالث** فقد درست فيه جهده في نقد الشعر الجاهلي ، والأموي على حين درست في **الفصل الرابع** جهده في نقد الأدب العباسي . **وأما الفصل الخامس** فقد خصّصته لدراسة جهده في نقد الأدب العربي المعاصر على اختلاف فنونه : الشعر والقصة والمسرحية . **وأما الفصل الأخير** فقد عرضت فيه لمحاوراته في النقد الأدبي وما تخللها من خصومات أحيانا . **وأما الخاتمة** ، فقد حاولت فيها أن أبيّن النتائج التي خلص اليها البحث ، وما حقّقه من جديد .

وأخيرا لا أنسى أن أشكر أستاذي المشرف **الدكتور محمود السمرة** أجزل الشكر ، وذلك لسديد نصحه وارشاده ، ورائع رعايته ومساعدته ، وعميق تأثيره ومودته ، ولما له على هذا البحث من يد أيّ يد ، وأحسب أنني مهما أشكر له فضله ، فلن أستطيع أن أفيه حقه من العرفان .

كما أود أن اشكر الاساتذة الاجلاء : معالي الدكتور ناصر الدين الأسد والدكتور احسان عباس والدكتور نصرت عبد الرحمن ، وذلك لتفضلهم بمناقشة البحث ونقده والثناء عليه ، فقد افاد البحث كثيرا من ملحوظاتهم العلمية القيمة ، كما أغبطني أنه حظي منهم بالرضا والاعجاب ، مما جعلني اشعر أنه الخطوة الصحيحة الأولى في الدرب الصعب الطويل ، ولابد من ان تتلوها خطوات وخطوات ... والله وليّ التوفيق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أطلّ القرن التاسع عشر ، والأسلوب في الأدب العربي على حاله ، كما كان في القرون التي سبقت : النثر يجنح الى السجع ، والكتّاب والشعراء مشغولون بالمحسنات البديعية ، والتكلف فيه يطغى على الصدق ، وقيود البديع تحدّ من معالجة الموضوعات والأفكار في عمق[١] .

واذن فقد كان الأدب العربي جامدا راكدا ، يفتقر الى وهج الحياة ، ويعجز عن جذب أكثر القراء ، فضلا عن التأثير فيهم ، فالأدباء في القرن الماضي كانوا يعدّون أنفسهم من أصحاب البلاغة والبيان اذا امتلأت كتاباتهم بالجناس والطباق ، والاستعارة والمجاز ، والاشارة والرمز . وكانوا يقصدون الى معان ، تخطر ببالهم ، وقلّ مايتفطّن اليها القراء ، على حين كان الناس " يطمئنون الى هذا النحو من الأدب ، تُقبل عليه الخاصة ، وتنصرف عنه العامة الى أزجالها ومواويلها ، والى قصصها وأحاديثها " [٢].

وقد توفرت للقرن الماضي عدة عوامل ، تضافرت معا ، وأدّت الى بزوغ فجر النهضة الحديثة . وتأتي في مقدمة هذه العوامل " الحملة الفرنسية التي قادها نابليون الأول الى وادي النيل ، قبيل نهاية القرن الثامن عشر ، واصطحب فيها طائفة من العلماء والباحثين والمنقبين "[٣].

وقد توجهت هذه الحملة الى مصر في عام ١٧٩٨ ، فكانت بداية لتسرب شعاع من الحضارة الحديثة ، ونهاية لعهود الجمود والتقوقع والظلام ، على الرغم من أنها كانت ذات أهداف استعمارية خطيرة ، ذلك أن الفرنسيين ماكادوا يدخلون الى مصر ، حتى أصدروا فيها صحيفتين فرنسيتين ، وأنشأوا مدرستين لتعليم ابنائهم ،وأصدروا نشرة موجهة الى المصريين . كذلك " أنشأوا مسرحا للتمثيل ، ومطبعة ، ومراصد فلكية ، ومعامل كيمياوية ، أدهشت المصريين ، بما كان يعرض فيها من تجارب ، تراءت لهم سحرا عجيبا "[٤] ، كما أقام الفرنسيون في مصر

---

(١) بدأت هذه الحال تظهر واضحة في القرن الرابع ، ذلك أنها تبدّت جلية في أدب كتاب بارزين من أمثال : ابن العميد ، والصاحب بن العباد ، وبديع الزمان ، والخوارزمي ، ثم أخذت تطغى ، وتتردى شيئا فشيئا ، حتى جاء عصر النهضة الحديثة .
انظر كتاب " القاضي الجرجاني " للدكتور محمود السمرة ، ص ٣٧ (الطبعة الثانية ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - ١٩٧٩) .

(٢) د. طه حسين " حافظ وشوقي " ، ص ١ ، الناشر مكتبة الخانجي بمصر ، ومكتبة المثنى ببغداد - ١٩٦٢.

(٣) عباس محمود العقاد ، " دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية " ص ٧ ، منشورات المكتبة العصرية - بيروت ، صيدا (د. ت) .

(٤) عز الدين الامين ، " نشأة النقد الادبي في مصر " ص ٣٧ ، ط ٢ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة - ١٩٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" دورا للبحوث الرياضية ، والنقش ، والتصوير ، وأسسوا مكتبة عامة فرنسية وعربية "[١].

ولا ريب أن ذلك كله قد فتح أعين المصريين على لون جديد من الحضارة ، لم يكونوا قد عرفوه من قبل ، وأدى الى تنبيه العقول واثارتها .

ومن العوامل المهمة في النهضة أيضا تولي محمد علي حكم مصر ، فقد كان هذا الوالي مستنيرا ، يطمح الى تطوير أرض الكنانة ، بعد أن أصبحت تحت سلطته ، ويرغب في أن تلحق بركب الحضارة الحديثة ، وقد دفعه هذا الى أن يبعث الطلاب الى فرنسا ، ليتخصصوا في فروع مختلفة من العلوم ، ثم ليعودوا ويسهموا في تقدم وطنهم ، وقد كان من أبرز هؤلاء المبعوثين **رفاعة الطهطاوي** ، الذى ذهب الى فرنسا عام ١٨٢٦ ، فأتقن الفرنسية ، وأعجب بالحضارة الأوروبية ، وحين عاد الى وطنه ، اقترح إنشاء مدرسة الألسن ، ثم راح يؤلف ويترجم ، " فكان رائد نهضة ، وامام يقظة ، أخذت تدب في أعطاف الشرق النائم ، ليصحو على دنيا جديدة ، وعالم غفل عنه طويلا "[٢] .

وقد ألّف الطهطاوي عدة كتب ، منها : " المرشد الأمين للبنات والبنين " و " مناهج الآداب " و " تخليص الإبريز " ، والكتاب الأخير أشهر كتبه ، فهو : " ... صورة حيّة للّقاء المثمر بين الشرق والغرب في العصر الحديث ، ففيه يتماثل النقيضان ، وتستوي الصورة على وفاق "[٣] .

وكما كان لاختراع الطباعة أثر عظيم في النهضة الاوروبية ، كان لظهور المطبعة في مصر أول القرن الماضي فضل كبير على النهضة الثقافية عامة ، والنهضة الأدبية خاصة ، سواء في ذلك الأسلوب الإنشائي والابداع والنقد الأدبيين .

لقد حمل نابليون معه حين غزا مصر مطبعة [٤] ، وحين تولى السلطة محمد علي أنشأ مطبعة بولاق الشهيرة ، وذلك في عام ١٨١٩ ، ثم أنشئت مطابع أخرى صغيرة ، بلغت تسعا ،

---

(١) عز الدين الامين ، " نشأة النقد الادبي في مصر " . ص ٣٩ ، وانظر كذلك " بونابرت في مصر " لكرستوفر هيرولد ، ص ٢٢٦ ، (ترجمة فؤاد أندراوس ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة (د.ت) .

(٢) د. حسين فوزى النجار ، " رفاعة الطهطاوي " ـ ص ٧٢ ، الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة ، القاهرة ، (د.ت) .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٨٤ .

(٤) كرستوفر هيرولد ، " بونابرت في مصر " ، ص ٢٢٨ ، ترجمة : فؤاد اندراوس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان من أبرزها مطبعة القلعة[١] .

وقد أتاح ظهور المطبعة ظهور الصحافة العربية لأول مرة ، مما كان له أبلغ الأثر في تحرير الأساليب الكتابية من البديع وقيوده ، ذلك أن طبيعة الكتابة الصحافية تقتضي السرعة ، والسرعة يعيقها تقيد الكاتب بالزخرف ، والمحسنات اللفظية ، ولذا فقد أخذ روّاد الكتابة الصحافية ينادون بضرورة التخلص من قيود البديع ، والنزوع الى الأسلوب المتحرر .

وكان من أقدم الصحف المصرية التي أنشئت " جُرنال الخديو " ، الذى أصدره محمد علي سنة ١٨٢٢ ، ثم صحيفة " الوقائع المصرية " ، التي تولى رفاعة الطهطاوى تحريرهـا في عام ١٨٤١ ، وحين تولى الإمام محمد عبده تحريرها عام ١٨٨١، بذل جهدا حسنا في تطويرها ، من حيث المضمون والأسلوب ، وكان أسلوب الوقائع في عهدها الأول هو أسلوب عصرها ، من حيث الاهتمام بالمحسنات البديعية ، ثم أخذ يتطور شيئا فشيئا ، بفضل جهود محمد عبده ، حتى أصبح يميل الى التحرر[٢] .

ومن الصحف التي كان لها دور في النهضة الأدبية ، وفي تحرير الأسلوب جريدة " روضة المدارس " التي صدرت عام ١٨٧٠ ، وكان الهدف المتوخى منها هو إحياء اللغة العربية ، وبعث الأدب العربي القديم ، وقد أنشأها **علي مبارك** ، الذى كان يدعو الى تحرير أسلوب النثر العربي ، ويحضّ الكتاب على التأليف في الموضوعات النافعة ، وفق أسلوب جديد ، يقرّب المعلومات من الأذهان ، وكان يؤازره في هذه الدعوة **عبدالله فكري** ، وكانت جريدة " روضة المدارس " تهتم بشؤون التلاميذ ، وتُوزع عليهم مجانا ، وتتسع صفحاتها لأقلامهم ، مما ساعد على ظهور بعض الموهوبين من أمثال : اسماعيل صبري ، ولذا يمكن القول : إن مدرسة الإحياء الشعري قد وجدت لها متنفسا في هذه المجلة[٣] .

ومن كتاب الصحف الذين دعوا الى تحرير الأسلوب من الزخرف البلاغي أديب اسحق[٤] ، فقد نعى على كتاب عصره إغراقهم في المحسنات البديعية ، وتكلّفهم للسجع ، وتحدّث عن

---

(١) عز الدين الامين ، " نشأة النقد الادبي الحديث في مصر " ، ص ٨٦ . وانظر " حافظ وشوقي " لطه حسين ، ص ٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٠.

(٣) عبدالحي دياب ، " العقاد ناقدا " ، ص ٢٥ ، الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ، ١٩٦٥.

(٤) أديب اسحق : كاتب أصله سوري ، ولد سنة ١٨٥٦ ، ونشأ في لبنان ، ثم هاجر الى مصر ، واتصل بجمال الدين الافغاني ، وقد توفي سنة ١٨٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صناعة الكتابة ، وضرورة أن تصوّر المعاني من أقرب وجه ، وأوضح علاقة الأسلوب بالتفكير ، وبيّن صلة الكاتب بأسلوبه ، وكان هذا النهج جديدا في وقته ، بل كان نقدا لاذعا لنمط الكتابة الذي كان سائدا آنذاك[١] .

ويلاحظ أن تلاميذ جمال الدين الأفغاني ، كانوا في الغالب طليعة من شارك في تحرير الصحف ، وأسهم في إطلاق الأسلوب الكتابي من قيوده ، ومن أبرز هؤلاء التلاميذ : **الشيخ محمد عبده ، وعبدالله النديم ، وعبدالسلام المويلحي ، وابراهيم المويلحي ، وقاسم أمين ، وابراهيم اللقاني ، وعلي مظهر ، وأديب اسحق ، وسعد زغلول .**

وقد تحرّر هؤلاء في كتاباتهم من قيود البديع تحررا لافتا ، وإنْ ظلت آثار هذه القيود ظاهرة شيئا ما ، ويلاحظ أنهم كانوا يهتمون ببلاغة العبارة ، وبتضمين الكلام الحكم والأشعار والأمثال ، ويمكن أن نعدهم من رواد المقالة العربية الحديثة[٢] .

* * *

وثمة عامل آخر من عوامل النهضة الأدبية الحديثة ، وهو نشر الكتب الأدبية القديمة ، بل إن الدكتور محمد مندور يَعدّ هذا العامل أقوى العوامل جميعا ، لأنه يرى أن النهضة الأدبية المعاصرة قد بدأت تؤتي أكلها في النصف الثاني من القرن الماضي ، حين " أمكن طبع الكثير من أمهات كتب الأدب العربي القديمة ، ودواوين الشعراء ، ورسائل البلغاء ، وكتب اللغة وعلومها ، ونشر ذلك كله وتداوله "[٣] .

ومن الكتب التي طبعت في هذه الحقبة ، كتاب " المثل السائر " لابن الأثير ، وكتاب " الأغاني " لأبي الفرج الاصفهاني ، و " خزانة الأدب " للبغدادي ، ومن خلال نشر هذه الكتب " عرف الناس أن حظ العربية من إنتاج العقل والشعور والبحث والانفعال أكثر مما كانوا يظنون "[٤] .

ثم أخذت طباعة الكتب الأدبية القديمة تتوالى بعد ذلك . كما راح المدرسون يتأملون هذه

---

(١) عبدالحي دياب ، " العقاد ناقدا " ، ص ٢٥ ـ ٢٦ .
وانظر " حافظ وشوقي " ، ص ٥٠

(٢) المرجع نفسه : ص ٢٤ .

(٣) د. محمد مندور ، " النقد والنقاد المعاصرون " ، ص ٧ ، مكتبة نهضة مصر ـ القاهرة . (د.ت) .

(٤) د. طه حسين ، " حافظ وشوقي " ، ص ٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكتب المنشورة ، ويُقرِئونها لطلابهم في معاهد العلم مثل : الأزهر ، ودار العلوم ، التي أنشأها الخديوى اسماعيل عام ١٨٧٢ ، وكان الهدف من إنشائها العناية بالعلوم الحديثة ، فضلا عن التراث العربي القديم (١).

ظهور النقّاد الروّاد :

ثم مالبث نشر الكتب الأدبية القديمة أن أدى الى ظهور أدباء ونقاد روّاد ، أعجبوا بأشعار الجاهليين والأمويين ، والفحول العباسيين ، مثلما أعجبوا بنثر عبدالحميد ، وابن المقفع ، وسهل بن هارون ، والجاحظ ، وأبي حيان التوحيدي ، وأمثالهم ، فأخذوا ينادون بمحاكاة أدبهم ، واستلهامه ، كما أخذوا ينادون بضرورة الابتعاد عن أسلوب المحسنات البديعية ، والزخرف الكلامي ، وكانت ثقافة هؤلاء النقاد في الغالب ثقافة عربية ، ولكن سرعان ماظهر الى جانبهم نقّاد روّاد آخرون ، تهيأت لهم أسباب الاتصال بالثقافة الأجنبية ، فأخذوا ينادون بآراء أدبية جديدة ، وما هي إلاّ أن أخذت تثور الخصومات النقدية بين الفريقين .

أ - النقّاد المحافظون :

أما فريق النقّاد المحافظين فكان رائدهم في نهاية القرن الماضي **الشيخ حسين المرصفي** (٢) حتى إن الدكتور محمد مندور يقرنه بالبارودي في ريادته الأدبية ، فكلاهما في رأيه ثمرة طبيعية للظروف الأدبية ، التي أحاطت بعصرهما . يقول : " لم يكن مجرد مصادفة معاصرة شاعر البعث الكبير محمود سامي البارودي للشيخ حسين المرصفي ، الذي عاد هو الآخر الى منابع النقد الشعري القديمة ، ليبعث أصول هذا الفن القوية ، على نحو مابعث البارودي ديباجة الشعر العربي القديم "(٣) .

وقد ألّف حسين المرصفي بضعة كتب ، منها : كتاب " زهرة الرسائل " و " الكلمات الثمان " و " الوسيلة الأدبية للعلوم العربية " . والكتاب الأخير هو أشهر كتبه ، وقد طبع عام ١٢٩٦ للهجرة ، ويقع في جزأين ، وفيه يتجلى بعثه للنقد العربي ؛ ذلك أنه فيه قد حاول أن يستعين بأصول النقد القديم ، ولكن من خلال " عرضها في لبوس جديد ، مطبقا على روائع الشعر العربي ، مستعينا لإبراز محاسن الشعر بعيون شعر البارودي ، مقارنا إياه بسابقيه من

---

(١) د. طه حسين . " تقليد وتجديد " ، ص ٦٨ ، دار العلم للملايين - بيروت ، ١٩٧٨ .

(٢) كان الشيخ حسين المرصفي كفيفا ، وقد تخرّج في الأزهر ، ثم درّس فيه حتى عام ١٨٧١ . ثم تركه ليكون أول مدرّس للأدب العربي وتاريخه بدار العلوم ، وتوفي عام ١٨٨٩ .
(د. محمد مندور ، النقاد والنقاد المعاصرون) ، ص ٩ .

(٣) النقد والنقاد المعاصرون ، ص ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فحول الشعراء في فنون الشعر المختلفة "[١] .

وكتاب " **الوسيلة** " يشبه كتب الأمالي القديمة ، ذلك لأنه يعرض للعلوم العربية المختلفة ، من بلاغة ونحو وصرف ، وعروض ، وأدب ، وهو يتحدث عن " كل فن على حدة ، ولكن على طريقة الاستطراد والتداعي المعروفة في كتب الأمالي القديمة "[٢] .

ويُلاحظ أن الشيخ حسين المرصفي يتأثر كثيرا بآراء ابن خلدون النقدية في الشعر وصناعته .[٣] .

أما مقياسه في نقد الشعر فهو " صحة المعنى ، وتخير اللفظ ، بخلوّه من التنافر والغرابة ، وبمناسبته لموضوعه ، ثم جودة التركيب ، بسلامته من الغموض والحشو "[٤] ، كذلك كان يعني بما في الشعر من " حسن الاستعارة ، ولطف الإشارة ، وغرابة النادرة ، والبعد عن الزخرفة بالمحسنات وعدم القصد الى النكات "[٥] .

* * *

ومن النقاد المحافظين الذين ظهروا في مصر أواخر القرن الماضي **الشيخ حمزة فتح الله**[٦] ، صاحب كتاب " **المواهب الفتحية** " ، الذي ضمّنه آراءه النقدية ، والكتاب في الأصل محاضرات ألقاها الشيخ على طلابه بدار العلوم عام ١٨٨٨ ، وهو يعمد في النقد الى الموازنة بين الشعراء ، ثم تفضيل بعضهم على بعض ، متأثرا في ذلك بالنقد العربي القديم ، والشعر الجيد في نظره هو مايتوفر فيه " صدق الكلام ، أو المبالغة المستساغة ، وكثرة المعنى في قلة اللفظ ، وملاحة المعنى ، ودقته ، وضخامته ، وجودة التعبير وسلاسته ، وعذوبة الألفاظ ، ... ومناسبتها لموضوعها[٧] .

---

(١) د٠محمد زغلول سلام ، " النقد الأدبي الحديث " ، ص ١٥٨ ، الناشر منشأة المعارف - الاسكندرية ، ١٩٨١٠

(٢) د٠ محمد مندور ، " النقد والنقاد المعاصرون " ، ص ١١ ٠

(٣) انظر كتابه الوسيلة : ٤٦٧ - ٤٦٩ (الطبعة الأولى ، مطبعة المدارس الملكية ، القاهرة ، ١٢٨٩ هـ) ،
وانظر مقدمة ابن خلدون : ٥٠٤ - ٥٠٦ (القاهرة ، ١٣٢٢ هـ) ٠

(٤) عز الدين الأمين ، نشأة النقد الأدبي في مصر : ص ٢٢ ٠

(٥) المرجع نفسه : ٢٢ ٠

(٦) ولد الشيخ حمزة فتح الله في الاسكندرية سنة ١٨٤٩ ودرس في الازهر ، وعمل في الصحافة ونظارة المعارف ، وتوفي في عام ١٩١٨٠

(٧) عز الدين الأمين ، نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر : ٢٧ ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هؤلاء الرواد أيضا **محمد المويلحي**، صاحب كتاب **" حديث عيسى بن هشام "** ، وقد اشتهر المَويلحي[١] بنقده لشعر شوقي خاصة ، وذلك حين أصدر أمير الشعراء ديوانه سنة ١٨٩٨ ، ونقده لقصيدة شوقي، التي مطلعها :

" خدعوها بقولهم : حسناءُ والغواني يَغرّهنّ الثناءُ "

هو نقد مشهور ، يمكن أن نعدّه نموذجا لأسلوبه النقدي[٢]، الذى يسعى فيه الى الدقّة والحياد ، دون إسراف في المدح أو الذم[٣]. ويلاحظ أن المويلحي " كان يهتم في نقده باللغة والبيان ، والوزن ، وقد تأثر في نقده بابن خلدون ، وبوسيلة الشيخ المرصفي "[٤].

ومن أبرز النقاد المحافظين ، الذين ظهروا أول هذا القرن **" سيد بن علي المرصفي "**[٥]. الذي صنّف كتاب " رغبة الآمل في كتاب الكامل " و " أسرار الحماسة "[٦].

وكان سيد المرصفي حسن الذوق الأدبي ، قوي التأثير في طلابه ، ومن الأدباء الذين تلمذوا له في الأزهر : طه حسين ، وأحمد حسن الزيات ، وزكي مبارك[٧]. ومن الكتب التي درّسها في الأزهر كتاب " الأمالي " لأبي علي القالي ، وكتاب " الكامل للمبرد ، وديوان "الحماسة" لأبي تمام ، وكان ينحو في تفسير هذه الكتب - كما يخبرنا تلميذه طه حسين - " مذهب اللغويين والنقاد من قدماء المسلمين في البصرة ، والكوفة ، وبغداد ، مع ميل شديد الى النقد والغريب ، وانصراف شديد عن النحو والصرف ، وما ألِف الأزهريون من علوم البلاغة "[٨].

---

(١) ولد محمد المويلحي سنة ١٨٧٠ ، وعمل في الصحافة ، إذ كان يساعد والده في صحيفة " مرآة الشرق " ، وقد توفي سنة ١٩٣٠.
(انظر حياته في كتاب " المويلحي الصغير " ، ص ١٧ - ٤٩ ، لعبدالله عبدالمطلب أحمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٥) .

(٢) انظر كتاب " مختارات المنفلوطي " ص ١٥٦ ، ط ٣ ، القاهرة - ١٩٤٧.

(٣) عبدالله عبدالمعطي أحمد - المويلحي الصغير - ص ١٢٥.

(٤) المرجع نفسه : ١٢٧.

(٥) كان الشيخ سيد بن علي المرصفي أحد علماء الأزهر ، وكان يدرس فيه الأدب خلال الربع الأول من هذا القرن ، وقد توفي عام ١٣٤٩ للهجرة . ويبدو أنه كان ذا تأثير كبير في طلاب الأدب والنقد ، وقد ظهر أخيرا كتاب يتحدث عن جهده الأدبي وتأثيره بعنوان " شيخ أدباء مصر سيد بن علي المرصفي " لسيف النصر الطلخاوي ، مطبعة السعادة - القاهرة - ١٩٨٤.

(٦) انظر بقية مؤلفاته في كتاب " شيخ أدباء مصر سيد بن علي " لسيف النصر الطلخاوي : ص ٦٩.

(٧) وله تلاميذ آخرون كثر ، انظر المرجع نفسه ، ص ٢٢٨.

(٨) د. طه حسين. " في الأدب الجاهلي " ، ص ٧ ، ط ١٠ ، دار المعارف بمصر - القاهرة - ١٩٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أشهر النقاد المحافظين في بداية هذا القرن ، **مصطفى صادق الرافعي** ، ويمكن أن نعدّه آخر النقاد المحافظين الرواد ، لأن حياته الأدبية امتدت حتى سنة ١٩٣٧ ، حين توفي ، وكان قد بدأها في عام ١٩٠٣ ، إذ أصدر الجزء الاول من ديوانه ، ثم أتبعه الجزء الثاني في سنة ١٩٠٤ ، والثالث في عام ١٩٠٥[(١)] ، وبعد ذلك تحول الى الكتابة الأدبية ، فأصدر كتاب " تاريخ آداب العرب " ، ثم توالت كتبه ، مثل : كتاب " حديث القمر " و " السحاب الأحمر " و " رسائل الأحزان " و " إعجاز القرآن "[(٢)] .

وكانت ثقافة الرافعي ثقافة عربية خالصة في الغالب ، ذلك لأنه لم يكن يحسن لغة أجنبية ، وكان معجبا بالجاحظ وبأبي الفرج الأصفهاني خاصة ، حتى إنه " كان لا بدّ له حين يهمّ بالكتابة ، بعد أن يجمع عناصر موضوعه في فكره ، أو في مذكرته - أن يفتح جزءا من الأغاني - أو كتابا من كتب الجاحظ ، يقرأ فيه شيئا مما يتفق ، ليعيش فترة ماقبل الكتابة في جو عربي فصيح "[(٣)] ، ولذا فقد كان يصدر في نقده وفي فهمه للأدب والأسلوب عن التراث العربي القديم . وأما في نقد الشعر فكان يهتم بمقدرة الشاعر على الإتيان بالصور البلاغية مثل الاستعارة والتشبيه والكناية ، كما يهتم باللغة والعروض .

ونجده في نقده ينادي برأي غريب حقا ، ذلك أنه كان يرى أنّ على ناقد الشعر أن يثبت أولا أنه شاعر ، يستطيع أن ينظم شعرا بمستوى شعر المنقود ، حتى يُقبل حكمه ، كما أنه يشترط مثل ذلك في ناقد الإبداع النثري ، أما اذا كان الناقد ، " ... لم يلابس صناعة الشعر ، ولا أساليب الخيال ، ولا أخذ نفسه في ذلك بمزاولة ولا عمل ، فليس له أن ينقد هذه الصناعة ، ولا أن يقول في هذه الأساليب إلاّ بعد أن يجيء بما يكتب أهلها ".[(٤)]

ولذا فقد كان حين يعرض ناقد لأحد كتبه ، ولا يعجبه هذا النقد يردّ عليه متحدّيا أن يكتب مثل كتابه ، فعندما نقد طه حسين " رسائل الاحزان " مثلا ، ردّ عليه الرافعي قائلا : " ها أنا أتحداك أن تأتي بمثلها ، أو بفصل مثلها ... واني لأتحداك ، وأنا أخبر الناس

---

(١) انظر كتاب " حياة الرافعي " لمحمد سعيد العريان ، ص ٤٨ - ٥١ ، الطبعة الثالثة ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٥٥ .
وقد ولد الرافعي عام ١٨٨٠ ، وحين أتم مرحلة التعليم الابتدائي ألمّ به مرض أورثه الصمم ، مما اضطره الى ترك المدرسة ، والاعتماد على ذاته في تثقيف نفسه .

(٢) انظر " حياة الرافعي " لسعيد العريان ، الصفحات : ٦٧ - ٧٤ ، و ١٢٦ - ١٤٠ .

(٣) المرجع نفسه : ٧٥ .

(٤) مصطفى الرافعي ، " تحت راية القرآن " ص ١١١ ، الطبعة الرابعة ، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة - ١٩٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بما تطيق، وما لا تطيق، وسبحان من خلق النسر خلقة، والديك الرومي خلقة أخرى ".[١]

واذا كان الرافعي لا يكتب إلاّ بعد أن يقرأ في أحد كتب الجاحظ أو أحد أجزاء الأغاني، فذلك لأنه كان يرى أن الأديب الحق هو من يحاكي في أسلوبه أساليب الأدباء القدماء، ومنها الأسلوب الذي يجنح الى المحسنات والزخرف، وآية ذلك أنه أرسل الى صحيفة " السياسة " عام ١٩٢٣ مقالة في صورة رسالة أدبية، عنوانها " أسلوب في العتب "، وقدّم لها بالقول : " ... لقد كتبتها من النمط الأول، الذي هو فن من زينة البلاغة العربية، يشبه بعض فنون الزخرف والتنسيق، وهو حين يكون في مثل هذه الرسالة، لا يكون أبدع منه شيء من الأساليب الأخرى "[٢].

وقد عرّض نشر المقالة أسلوبه للنقد، إذ هاجمه بعض الأدباء المجدّدين، ولكنه ردّ عليهم مدافعا[٣].

والحق أن الرافعي كان أخطر من تصدّى للنقاد المجدّدين إذ كان يسخر من محاولات طه حسين والعقاد والمازني وشكري في التجديد قائلا : " مايضحكني إلاّ أن أرى هذا الاستاذ (طه) واثنين أو ثلاثة من أشباهه يريدون أن يكونوا ثورة في الأدب العربي، ونسوا أنهم إنما يريدون ذلك، لا أنهم خلقوا لذلك "[٤]. ولا يرجع خطره الى آرائه النقدية فحسب، وانما يرجع ذلك الى ثلاثة أمور أساسية، جعلت منه عقبة في سبيل التجديد، يحسب له المجدّدون ألف حساب[٥].

وأول هذه الأمور أنه كان أعنف من تصدى للمجددين من المحافظين، لا يهمه في غمرة ذلك أن يلتزم بأدب الحوار، أو بالأسلوب العلمي في الرد، وقد اعترف بهذا أقرب تلاميذه اليه، وهو محمد سعيد العريان، إذ قال عنه في نقده : " ... لقد كان ناقدا عنيفا، حَديدَ اللسان، لا يعرف المداراة، ولا يصطنع الأدب في نضال خصومه "[٦].

---

(١) تحت راية القرآن : ص ١٠٥.

(٢) انظر نص المقالة في " حديث الأربعاء " لطه حسين، ص ٥، ج ٣ - دار المعارف بمصر، القاهرة - ١٩٦٢.

(٣) المصدر نفسه : ص ١١ - ج ٣.

(٤) تحت راية القرآن : ص ٦.

(٥) أنور الجندي، المعارك الأدبية، ص ٤٢٩، مكتبة الأنجلو مصرية - القاهرة - ١٩٨٣.

(٦) حياة الرافعي : ص ١٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكن أن نتبيّن مدى حدّته ، حين نلاحظ أنه كان إذا ثارت بينه وبين ناقد مجدّد خصومة ، لا يكتفي أحيانا في رده بمقالة واحدة ، وانما قد يرد بمقالات هجومية عدة ، تؤلف كتابا .

ومثال ذلك خصومته النقدية للعقاد ، فقد بدأ العقاد الرافعيّ بنقد أدبي في كتابه " الديوان " وغيره ، ثم اختلفا حول كتاب الرافعي " إعجاز القرآن "[١] ، فما كان من الرافعيّ الاّ أن هاجم العقاد بعشرين مقالة عنيفة جدا ، حتى إنه حين جمعها في كتاب عام ١٩٣٠ ، لم يثبت اسمه عليه ، مخافة أن يرفعه العقاد الى القضاء[٢] . وحَسْبنا موحيا بعنف الكتاب عنوانه فقد جعله الرافعي " **على السّفود** " ، والسفود هو ... حديدة يُشوى بها اللحم على النار[٣] .

وكتاب " على السفود " فيه شيء من النقد الأدبي ، " ولكنّ فيه مع ذلك شيئا خليقا بأن يطمس كل مافيه من معالم الجمال ، فلا يبدو منه إلا أدمّ الصور وأقبح الألوان ، بما فيه من هُجْر القول ، ومرّ الهجاء "[٤] .

ولم يكن العقاد هو الوحيد الذي شواه الرافعي على السفود ، وانما نقد بالأسلوب نفسه عبدالله عفيفي[٥] ، وكان لا يفتأ يلوّح بأنه سيضع هذا الكاتب أو ذاك في السفود ، نحو قوله عن زكي مبارك ، حين نقد كتابه " أوراق الورد " : " ... من أجل هذا عزمت - إنْ شاء الله - على وضعه في السفود ، وسأبين غلطاته الهائلة في تصحيح زهر الآداب ؛ لأن الرجل الآن مغرور جدا ، ولا يسقطه إلاّ ظهور هذه الأغلاط "[٦] .

وأما الأمر الثاني فهو أن الرافعي كان يخلط بين الأدب وبين الدين في ردوده على خصومه ، يظهر هذا في كتبه ، كما اعترف به تلميذه العريان ، إذ قال : " ... والرافعي رجل كان لا يفرق بين الدين والأدب ، ولا يعرف شيئا منهما ينفصل عن شيء ، أو يتميّز منه "[٧] ولذلك فقد كان شديد الريبة في النقاد المجددين ، بل في كل من درس في أوروبا ، ويرى فيهم

---

(١) انظر " حياة الرافعي " للعريان : ص ١٨٣ .
(٢) المرجع نفسه : ص ١٩٢ - ١٩٣ .
(٣) الفيروزآبادي - القاموس المحيط - ص ٣٣ ، ج ١ ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت - (د . ت) . (انظر مادة سفد) .
(٤) حياة الرافعي : ص ١٩٢ .
(٥) انظر المرجع نفسه : ص ١٧٥ .
(٦) محمود أبو رية "رسائل الرافعي " ص ١٩٤ - دار الكتب العربية ، القاهرة - ١٩٥٠ .
(٧) محمد سعيد العريان " حياة الرافعي " ص ١٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خطرا على العربية والإسلام ، كما لاحظ ذلك بعض الدارسين من مريديه[١] .

وخلطه بين النقد الأدبي والدين ظاهر في بعض كتبه ، وخير مثال على هذا كتابه " تحت راية القرآن ... المعركة بين القديم والجديد " . فالعنوان لافت - كما نرى - ، وهو يوحي بأن أنصار القديم يحاربون دعاة التجديد تحت راية القرآن ، وتتّضح هذه النظرة أكثر ، في صفحة العنوان نفسها ، حين نلاحظ أن الرافعي قد أثبت فيها عبارات تقول : " إن هدف الكتاب هو " إسقاط البدعة الجديدة ، التي يريد دعاتها تجديد الدين واللغة والشمس والقمر "[٢] . حتى إذا شرعنا نقرأ الكتاب ، أصبحت نظرة الرافعي الى النقاد المجدّدين جليّة لنا ، فهو يَصِمهم بالإلحاد قائلا : " ... فالمجددون الملحدون هم جزء من الخطأ ، يخرج من عمله جزء من الصواب ، وما أشبههم بالمواد السامّة ، يُداف قليله في الدواء ، لتكون قوته من قوتها ، فإذا مزجته عادت فيه غير ماكانت ، وهي في نفسها ، لا تزال كما هي "[٣] .

خلاصة القول في نقد الرافعي : إنه فيه " قد شنّ الحملات على من لا يتوفر على تطبيق أساليب البلاغة القديمة ، وهاجم المجددين ، ووصفهم بأنهم خطر على تراث العرب والمسلمين ، وجمع الى البلاغة استعمال النقد للتاريخ رافضا رفضا قاطعا محاولات التحمس لعلم النفس ، كي يكون دعامة للنقد الملائم "[٤] .

وأما الأمر الثالث فهو أن تصدي الرافعي العنيف للنقاد المجددين ومزجه النقد الأدبي بدفاع عن العربية والإسلام ، قد سنّماه منزلة خاصة في نظر بعض المتزمتين من المحافظين ، حتى إننا نجد هؤلاء الغالين في المحافظة يسلكون أنفسهم في عِداد مدرسته النقدية ، ويتأثرون نهجه وأسلوبه ، فكان لهذا خطره في مسيرة النقد الأدبي الحديث ، الى درجة دعت الدكتور أحمد كمال زكي الى القول : " ربما كان الدفاع المتحمس الذي قام به تلامذته من بعده أكثر خطرا على النقد الحديث من آرائه هو "[٥] . ومن أبرز هؤلاء التلاميذ محمد سعيد العريان ، ومحمود محمد شاكر والدكتور محمد محمد حسين وأنور الجندي .

---

(١) انظر كتاب " مصطفى صادق الرافعي " للدكتور كمال نشأت ، ص ٥٤ ، دار الكتاب العربي - القاهرة - ١٩٦٨ . وكتاب " مصطفى الرافعي " للدكتور مصطفى الشكعة ، ص ٧٧ . (الناشر جامعة الدول العربية - بيروت - ١٩٧٠) .

(٢) انظر العنوان الداخلي من كتاب " تحت راية القرآن " .

(٣) المصدر نفسه : ص ٨ .

(٤) د. احمد كمال زكي ، النقد الأدبي الحديث : ٢٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، ١٩٧٢ .

(٥) المرجع نفسه : ص ٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحق أننا مهما نحاول أن نقوّم نقد الرافعي فلن نعدو تقويم تلميذه العريان إياه ؛ إذ قرّر أنه مخفق في النقد ، وعلّل هذا بقوله : " ... **وما بدّ أن يكون في نقد الرافعي أحد هذين اللونين : الاتّهام بالزّيغ ، أو الاتّهام بالغفلة ، ولا ثالث لهما . ومن هنا فقط نستطيع أن نزعم بأن الرافعي لم يكن موفقا في النقد ، إذ كان أول ماينبغي أن يتصف به الناقد هو عفّة اللسان ، والقصد في التهمة ، وضبط النفس** ".(١)

ب - النقاد المجدّدون :

أما النقّاد المجددون فهم ممن اتصلوا بالثقافة الأوروبية ، سواء أكان ذلك عن طريق الدراسة أم كان عن طريق القراءة الذاتية ، ويلاحظ أن ثمة اتجاهين في النقد الأدبي الحديث قد برزا في الربع الأول من هذا القرن وهما :

١. النقد المتأثر بالثقافة السكسونية (٢) :

ويمكن أن نعد من روّاده **حسن توفيق العدل** (٣) ، الذي درّس في دار العلوم عام ١٨٩٨ . ثم سافر الى بريطانيا ، وعمل محاضرا بجامعة كمبردج الى أن توفي هناك عام ١٩٠٤ ، وعلى الرغم من أنه لم يعمّر طويلا ، فإنه ترك بضعة كتب ، منها : " **أصول الكلمات العامية** " و " **سياسة القحول في تثقيف العقول** " و " **حياة العرب قبل الاسلام** " و " **تاريخ آداب اللغة العربية** " .

وقد حاول حسن توفيق في كتبه أن يدرس الأدب ، وأن ينقده ، وفق منهج جديد ، متأثر بمناهج المستشرقين .

* * *

ومن الكتاب الرواد الذين تأثروا بالثقافة السكسونية **سلامة موسى** ، فقد درس في بريطانيا ، ثم عمل في الصحافة منذ العقد الثاني من هذا القرن ، وكان ينشر الدراسات الأدبية أحيانا ، ولكن على الرغم من طول حياته الأدبية والعلمية (٤) ، فإنّ تأثيره ظلّ محدودا ، لأنه كان لا يتورع عن المناداة بآراء تُسخِط المحافظين ، ولا يرضى عنها أكثر المجددين ، مثل القول : إن الأدب

---

(١) حياة الرافعي : ص ١٧٥ .

(٢) انظر في هذا النقد كتاب هاملتون جب " دراسات في حضارة الإسلام " ص ٣٦٥ - ٣٧١ . ترجمة د . إحسان عباس ورفيقيه ، دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٦٤ .

(٣) ولد بالاسكندرية عام ١٨٦٢ ، ودرس بالجامع الأزهر ، ودار العلوم ، ثم درس في اوروبا .

(٤) كان قد بدأ هذه الحياة عام ١٩١٣ ، وظل يكتب حتى توفي عام ١٩٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القديم أدب عقيم ، لا يلهم . ولذا ينبغي ازدراؤه واهماله ، والإقبال على الثقافة الأوروبية وحدها ، ويتبدّى هذا جليا في كتابه " **الأدب للشعب** " [١] مثلا ، وفي كتابه " **البلاغة العصرية** " .

* * *

وأشهر النقاد الروّاد المتأثرين بالثقافة السكسونية **عباس محمود العقاد وابراهيم المازني وعبدالرحمن شكري** [٢] ، وقد جمعت بينهم في بداية حيواتهم صداقة ، كان أساسها محبة الأدب ، والثقافة المتشابهة ، فكوّنوا مدرسة نقدية ، تحدث العقاد عنها ، فأوضح أنها أوغلت في قراءة الأدب الاوروبي عامة ، والأدب الانجليزى خاصة .

وأما عن الناقد الأدبي الذى تأثرت به ، فقد قال " لا أخطئ إنْ قلت : إنّ " هازلت " Hazlitt " هو إمام هذه المدرسة كلها في النقد ، لأنه هو الذي هداها الى معاني الشعر والفنون ، وأغراض الكتابة ، ومواضع المقارنة والاستشهاد " [٣] .

ويظهر تأثير " **وليم هازلت** " [٤] في هذه الجماعة من خلال ماتردده من آراء في الشعر وعلاقته بالعواطف والخيال والتصوير ، والنفس الإنسانية ، والطبيعة ، وفضلا عن التأثر به ، فقد تأثر الثلاثة بما تضمنته مجموعة " **الذخيرة الذهبية** The Golden Treasury " [٥] من شعر وجداني ، ولعلّ الذى لفت الى ذلك أنه حين ثارت خصومة أدبية بين شكري وبين المازني ، اندفع شكري يكشف ماسرقه المازني في شعره من قصائد المختارات السابقة ، وهو ما أكده أيضا بعض الدارسين ، من أمثال عبدالرحمن صدقي [٦] .

---

(١) انظر الصفحات : ٤٣ ، ٥٨ ـ ٥٩ ، ص ١٨٨ من كتاب " الأدب للشعب " (دار سلامة موسى للنشر والتوزيع (د . ت) .

(٢) ولد عبدالرحمن شكرى عام ١٨٨٦ ببورسعيد ، وغلب على إنتاجه الشعر ، فأصدر عدة دواوين ، وقد توفي عام ١٩٥٨ .

(٣) العقاد " شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي " ، ص ١٩٢ ، القاهرة ، ١٩٣٧ .

(٤) كان الناقد " هازلت " متشائما ، ولم يتزوج ، وظل عازفا عن الشهرة ، مؤثرا للعزلة والتفكير ، ومن أبرز كتبه ، محاضرات في شعراء انجليز" و " روح العصر " وقد توفي عام ١٨٣٠ .

(٥) مختارات شعرية انجليزية ، انتخبها فرانسيس بالجريف أستاذ الشعر بجامعة اكسفورد ، من الحقبة الممتدة مابين عصر شكسبير والقرن التاسع عشر . (انظر كتاب " جماعة الديوان " ليسري سلامه ص ٤٣ ـ مؤسسة الثقافة ، الاسكندرية ـ ١٩٧٧ .

(٦) د . يسرى سلامة " جماعة الديوان " ، ص ٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويُلاحظ أن جهد شكري النقدي في هذه المدرسة كان ضئيل الخطر ، بالقياس الى جهد زميليه : العقاد والمازني . فقد اقتصر جهده على مقالات نشرها في مطلع حياته الأدبية ، وعلى ماكتبه من مقدمات لدواوينه ، وعلى ماكشفه من سرقات المازني الشعرية[١] ، أما كتاب " الديوان " الذى أرسى دعائم المبادىء النقدية المعروفة لهذه المدرسة فإن شكري لم يشارك في وضعه ، بل إنه كان فيه هدفا لسهام النقد الشديد[٢] .

وبينما لا نجد لشكري كتبا نقدية خالصة ، نجد لرفيقيه كتبا نقدية عدة ، فالعقاد نشر كتابه النقدي " **خلاصة اليومية** " عام ١٩١٢ ، ثم توالت كتبه النقدية بعد ذلك ، مثل " **ساعات بين الكتب** " و " **شعراء مصر وبيئاتهم** " و " **مطالعات في الكتاب والحياة** " و " **الفصول** " .

والمازني نشر كتابيه النقديين ، " **شعر حافظ** " و " **الشعر : غاياته ووسائطه** " في عام ١٩١٥ ، ثم " **قبض الريح** " و " **خيوط العنكبوت** " و " **بشار بن برد** " .

ويبدو التشابه الواضح في الآراء النقدية بين العقاد والمازني خاصة من خلال كتابهما المشترك " الديوان في النقد والأدب " . وهو الكتاب الذى يصوّر الاتجاه النقدي لهذه المدرسة ، حتى إنها اشتهرت به ، فأصبحت تدعى مدرسة الديوان .

وقد نُشر الجزء الأول من **كتاب الديوان** في عام ١٩٢٠ ، وكان من المقرّر أن يصدر في عشرة أجزاء ولكنه توقف عند الجزء الثاني ، الذى نشر عام ١٩٢١ ، وقد تقاسم العقاد والمازني فيه الهجوم النقدي على عديد من مشاهير الأدباء في ذلك الوقت ، فكان نصيب العقاد شوقي والرافعي[٣] ، على حين عمد المازني الى نقد المنفلوطي وزميله شكري[٤] .

والأدب في نظر مدرسة الديوان قدرة نفسية لا لسانية ، ولذا فقد لفت العقاد والمازني الى أهمية المنهج النفسي للدراسات النقدية ، ذلك المنهج الذى يقوم " على استخلاص صورة نفسية للشخصية التي يترجم لها ، تعرّفنا به ، وتجلو لنا خلائقه وبواعث أعماله "[٥] .

---

(١) العقاد ناقدا : ص ١٢٢ - ١٣٤ .

(٢) وقد نقده المازني وحده تحت عنوان " صنم الأعاجيب " . انظر كتاب الديوان : ص ٥٧ - ٧٣ ، الطبعة الثالثة ، دار الشعب ، القاهرة (د . ت) .

(٣) انظر كتاب الديوان : ص ٥ - ٣٥ ، ص ١١٥ - ١٨٨ .

(٤) انظر المصدر نفسه : ص ٨٠ - ١١٤ .

(٥) عبدالحي دياب ، العقاد ناقدا : ص ٢٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كذلك ناديا بوجوب اهتمام الشاعر في شعره " بالجانب الانساني، والصدق ، وضـــرورة صدوره عن عاطفة واحساس عميقين، وابراز جانب الشخصية والذاتية للأديب "[١] .

وحين نقد العقاد والمازني شوقي وحافظاً والرافعي والمنفلوطي أخذا عليهم خلوّ إنتاجهـم من الجانب الإنساني، ومن صدق التعبير ، وصدق العاطفة ، كمـا أخذا عليهم الميل الى التقليـد ، والاهتمام بالشكل، ورصف الألفاظ ، مما لا طائل وراءه "[٢] .

ومن القضايا النقدية المهمة التي أثارها هذان الناقدان قضية الوحدة في القصيدة ، إذ نبّهـا الى " عدم توفر الوحدة الموضوعية والعاطفية والعضوية بين أبيات القصيدة التقليدية "[٣]، وذهبـا الى أنّ عدم توفرها في القصيدة يدل على ضحالة الشعور ، وسطحية العاطفة ، وتكلف النظم ، ذلـك أن " انفصال الأبيات ، وعدم وجودها في نسق متصل ، دليل على اهتمام الشاعر بالمعـــــاني المنفصلة في بيت ، دون تصور القصيدة كلها ، باعتبارها بناء واحدا متكاملا "[٤].

... وثمة مآخذ أخذت على مدرسة الديوان، كان من أبرزها أن العقاد والمازني عمدا الى أسلوب التجريح في النقد ، وبالغا في التحامل على شوقي وحافظ والمنفلوطي، ربما ليلفتا القـراء اليهما في ذلك الوقت ، وكانا ناشئين في الأدب ، ومن هذه المآخذ أنّهما أسرفا في اســتخدام التحليل النفسي في دراسة الأدباء القدماء ، من أمثال : ابن الرومي وأبي نواس[٥] . فكانا يعنيـان بدراسة شخصيات الشـعراء أكثر من أشعارهم ، ولكن مهما يؤخذ على مدرسة الديوان ، فـــإن ظهورها في مطلع هذا القرن كان " هزة قوية في دنيا الشعر والنقد ، لأنهـا لم تقتصـر فـي تجديدها على التعبير اللفظي، وانما جعلت هدفها إعادة الشعـر الى مهمته الاولى ، مهمـة التعبير عن النفس ، وتصوير العواطف في صدق واخلاص وواقعية "[٦] .

* * *

---

(١) د. محمد زغلول سلام ، النقد الأدبي الحديث : ص ٢٣٣.

(٢) انظر الديوان : ص ٥ ـ ٣٥ ،
وانظر كتاب د. محمد زغلول سلام " النقد الأدبي الحديث " ص ٢٣٣.

(٣) د. محمد زغلول سلام " النقد الأدبي الحديث " ، ص ٢٣٤.

(٤) المرجع نفسه : ص ٢٣٤.

(٥) انظر كتاب طه حســين " خصام ونقـد " ص ٢٤٤ ـ دار العلم للملايين ـ بيـروت ـ ١٩٥٥.

(٦) د. يسري محمد سلامة " جماعة الديوان " ص ١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٠ النقد المتأثر بالثقافة اللاتينية[١]

وقد ظهر عند نقاد درسوا في فرنسا ، وهذا النقد يُعنى في الغالب ببيئة الأديب ، وبعصره وشخصيته ، ثم بالجمال الفني في إبداعه . ومن روواده في الربع الاول من هذا القرن **الدكتور أحمد ضيف**[٢] ، ويبدو هذا الاتجاه لديه في كتابه " **مقدمة لدراسة بلاغة العرب** " الذي نُشر في عام ١٩٢١ ، وفي كتابه " **بلاغة العرب في الاندلس** " الذى نشر في عام ١٩٢٤ . ومن روّاده أيضا **الدكتور محمد حسين هيكل**[٣] ، الذي دعا الى ربط الأدب بالحياة ، لتصوير مشكلاتها ، ويتبدّى جهده النقدي في كتابه " **في أوقات الفراغ** " وفي المقدمة التي كتبها لديوان شوقي ، الذى نشر في عام ١٩٢٥[٤] ، وفي كتابه " **ثورة الأدب** " ، الذى يصوّر اتجاهات الأدب والنقد في الثلث الأول من هذا القرن[٥] ، وقد لاحظ فيه أن الأدب العربي في ثورة منذ بداية النهضة[٦] ، ودعا خلاله الى صورة جديدة من الأدب قائلا : " لا بد من صورة جديدة هي صورة الأدب القومي "[٧] .

ومن النقاد الذين ينتمون الى الثقافة اللاتينية أيضا **الدكتور زكي مبارك**[٨] ، ويبدو اتجاهه في الدراسة والنقد في كتبه : " **حب ابن أبي ربيعة** " و " **الموازنة بين الشعراء** " و " **مدامع**

---

(١) انظر في هذا الاتجاه النقدي كتاب هاملتون جب ، دراسات في حضارة الإسلام - ص ٣٥٢ - ٣٦٤ ، ترجمة : د٠ إحسان عباس ورفيقيه .
وانظر أيضا في الاتجاهين النقديين : السكسوني واللاتيني معا :
Hamilton A. R. Gibb, Studies on the Civilization of Islam, Beacon press, Boston, 1962, PP. 245 - 303.

(٢) ولد الدكتور أحمد ضيف في عام ١٨٨٠، ودرس في دار العلوم ، ثم حصل على دكتوراه في الأدب من جامعة باريس عام ١٩١٨ ، وتوفي عام ١٩٤٥٠

(٣) ولد الدكتور هيكل عام ١٨٨٨ ، ودرس في الجامعة المصرية ، ثم حصل على دكتوراه الحقوق من جامعة باريس عام ١٩١٢ ، وتوفي عام ١٩٥٦ . (انظر جهده النقدي وحياته في كتاب " الدكتور محمد حسين هيكل " لطه عمران الوادي ، ص ٩ ، ٥٩ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩).

(٤) انظر مناقشة طه حسين لهذه المقدمة في كتابه " حافظ وشوقي " ص ١١٠

(٥) طه عمران الوادى ، محمد حسين هيكل ، ص ٦٧٠

(٦) د٠ محمد حسين هيكل ، ثورة الأدب : ص ١٤، مطبعة السياسة ، القاهرة (د٠ ت) .

(٧) المصدر نفسه : ص ١٠ ،
وانظر في الكتاب أيضا : ص ١٢١ ، ١٤٠ ، ١٥٣٠

(٨) درس زكي مبارك في الأزهر ، ثم انتسب الى الجامعة المصرية عام ١٩١٦ ، ونال منها درجة الدكتوراه عام ١٩٢٤ ، ثم حصل على درجة الدكتوراه في الآداب ، ودبلوم الدراسات العليا من جامعة السوربون عام ١٩٣١ ، وقد توفي عام ١٩٥٢٠ (انظر ديوان " ألحان الخلود" لزكي مبارك ، ص ٥٤ ، دار الكتاب العربي - القاهرة - ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العشاق " ، كذلك يبدو في تضاعيف ديوانه " **ألحان الخلود** " وفي كثير من مقالاته التي كان ينشرها في مجلة الرسالة[١] . وقد جمعت قبل مدّة منتخبات من مقالاته النقدية ، التي كان ينشرها في صحف مختلفة ، ونشرت في كتاب بعنوان "**زكي مبارك ناقدا** "[٢] . ويتميّز أسلوب زكي مبارك النقدي بالاندفاع والعنف ، مما أثار كثيرا من الخصومات النقدية بينه وبين الأدباء[٣] .

وقد رسم أحمد أمين صورة طريفة مقاربة لأسلوبه في النقد ، إذ صوّره ناقدا " **... يمسك بيسراه كتابا قيّما ، فيه علم غزير ، وأدب وفير ، وبيده اليمنى عصا ، أشهرها ، ثم هو يطلع الناس على مافي كتابه من طرف ، فمن همّ أن يفتح فاه بنقد أو مخالفة قنّعه بما في يمناه**"[٤] .

* * *

ويُلاحَظ أن النقد الأدبي عند النقاد الثلاثة السابقين لم يحظَ بنصيب كبير من جهدهم الثقافي العام ، ولذا فإن الملامح المميزة لهذا الاتجاه النقدي لا تتبدّى جليّة عندهم ، على حين تبدو هذه الملامح واضحة الوضوح كله عند الرائد الأكبر له ، وهو ، طه حسين ، الذي رسّخ هذا الاتجاه ، وأرسى دعائمه بحق .

* * *

بدأ **طه حسين** نشاطه النقدي في مطلع هذا القرن ، وهو لمّا يزل طالبا في الأزهر ، ثم في الجامعة المصرية ، وقد بدأ ينشر مقالاته أولا في صحيفة " **الجريدة** " التي كان يرأس تحريرها **لطفي السيد** ، ثم أخذ ينشر في صحيفة " **العلم** " ، التي كان يرأس تحريرها **الشيخ عبدالعزيز جاويش**[٥] ، وكان أسلوبه النقدي في البداية يتسم بالحدة والسخرية ، وقد استطاع أن يلفت الأدباء والقراء اليه ، حين اندفع ينقد كتاب " **النظرات** " للمنفلوطي بمقالات عدة ، تحت عنوان " **نظرات في النظرات** " كما اندفع ينقد غيره من الكتب[٦] .

---

(١) انظر جهد زكي مبارك النقدي في كتاب " زكي مبارك " لفاضل خلف ، ص ٩٣ ، (مكتبة الآداب ، القاهرة ، (د . ت) .

(٢) صدر هذا الكتاب عن مطبوعات الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

(٣) انظر " المعارك النقدية " لانور الجندي ، ص ٦٣٤ .

(٤) أحمد أمين ، كتاب النثر الفني في القرن الرابع ، مجلة الرسالة ص : ٥٣٤ - ٥٣٥ ، العدد ٣٩ ، سنة ١٩٣٤ .

(٥) د . طه حسين ، "مذكرات طه حسين" ص ٣٥ - ٣٦ ، دار الآداب - بيروت ، ١٩٦٧ .

(٦) المصدر نفسه : ص ٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على أن طه حسين يعترف بأنه كان قديم المذهب في النقد الأدبي خلال هذه المرحلة المبكرة ، وبأنه لم يهتدِ الى منهجه التكاملي في النقد الأدبي إلاّ حين دخل الجامعة المصرية القديمة ، واتصل بدروس المستشرقين من أمثال نللينو[١] .

ويمكن القول : إن مرحلة النضج في نقد طه حسين الأدبي قد بدأت حقا في عام ١٩١٤ ، حسين تقدّم من الجامعة المصرية القديمة باطروحته الموسومة " ذكرى أبي العلاء " ، فنال بها درجة الدكتوراه ، ثم ظهرت في كتاب عام ١٩١٥ ، فكان من الكتب الرائدة في الأدب العربي ، التي وُضعت وفق خطة علمية مرسومة مسبقا ، كما يفعل الباحثون في أوروبا ، يقول طه حسين فيه : " ... ربما لا أغلو إنْ قلت : إني لا أعرف كتابا في الآداب العربية ، قد وضعه صاحبه على قاعدة معروفة ، وخطة مرسومة من القواعد والخطط ، التي يتخذها علماء أوروبا أساسا لما يكتبون من تاريخ الآداب ، فأمّا أنا فقد وضعت لهذا الكتاب خطة رسمتها رسما ، ... وتشددت في اتباع هذه الخطة فلم اهملها ... "[٢] .

وبعد عودة طه حسين من فرنسا عام ١٩١٩ ، أخذ يواصل نشاطه في النقد الأدبي ، وقد تجلّى هذا حين أصبح المحرر الأدبي في صحيفة **" السياسة "** ، لدى صدورها في عام ١٩٢٢ ، فقد تمكن من خلال دراساته النقدية في الأدب القديم والحديث ، التي كان ينشرها كل أسبوع من أن يلفت الأدباء والقراء الى صحيفته ، حتى اعترف بذلك أشياع خصومه[٣] .

وقد جمع طه حسين بعض دراساته النقدية التي نشرها في هذه الصحيفة ، ثم أصدر الجزء الأول من كتابه **" حديث الأربعاء "** عام ١٩٢٥ ، وأهداه الى أستاذه لطفي السيد ، ثم أصدر الجزء الثاني من الكتاب في عام ١٩٢٦ . وفي عام ١٩٢٦ أيضا ، أصدر كتابا أحدث ضجة ، هو كتاب **" في الشعر الجاهلي "** ، ثم اضطر بعد صدوره بقليل الى تعديله ، ونشره مرة أخرى تحت عنوان " في الأدب الجاهلي " عام ١٩٢٧ .

وقد ضمّن هذا الكتاب - فضلا عن نقده العلمي الخالص - نقدا أدبيا ، بسط فيه آراءه الخاصة ، في السمات الفنية الغالبة على القصيدة الجاهلية الصحيحة النسبة من وجهة نظره[٥] ، كما

---

(١) د. طه حسين " مذكرات طه حسين " ، ص : ٣٧ ، ص ٥٧.

(٢) ذكرى أبي العلاء : ص ٢٧٢ (من دراسات طه حسين المجموعة ، العصر العباسي ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٤) .

(٣) انظر حياة الرافعي : ص ١٥١ ، ١٥٢.

(٤) انظر حديث الاربعاء : ص ٣ ، ج ١ .

(٥) انظر حديثه عن الخصائص الفنية المشتركة في شعر أوس بن حجر وزهير وكعب والنابغة في كتاب " في الأدب الجاهلي " ، ص ٢٦٨ - ٣٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عرض في نهاية الكتاب لفن الشعر ، وتعريفه ، وطبيعته ، وأنواعه ، وفنونه ، ونشأة الأوزان العروضية[١] .

ثم توالت بعد ذلك دراساته النقدية ، التي نشرها في كتب ، مثل " **حافظ وشوقي** "[٢] و " **من حديث الشعر والنثر** " ، و " **مع المتنبي** "[٣] ، و " **مع أبي العلاء في سجنه** "[٤] ، و " **فصول في الأدب والنقد** "[٥] ، كما تكاملت أجزاء كتابه " **حديث الأربعاء** " بعد أن أعاد ترتيب أجزائه الثلاثة في عام ١٩٤٥[٦] .

وقد ظل طه حسين يواصل نشاطه النقدي ، حتى مرحلة متأخرة من حياته الأدبية ، كما ظل يحرص على " ... تتبع الأدب الحديث تتبعا ، قلما استطاعه ، من احتل مثل مناصبه ، وشغله مثل مشاغله ، ... ونقده على صفحات الصحف ، وأدلى بما أدلى لتقويمه وتوجيهه "[٧] ، ويبدو ذلك في كتبه النقدية المتأخرة ، مثل كتاب " **خصام ونقد** " ، و " **نقد واصلاح** " ، و " **من أدبنا المعاصر** " ، و " **تقليد وتجديد** "[٨] .

وهذا الجهد الموصول في النقد الأدبي ، الذى استمر قرابة خمسين عاما ، قد مكّن طه حسين من إرساء دعائم الاتجاه النقدي الذى يمثله ، بل أهّله في رأي الدكتور محمد زغلول سلام لأن يكون ، " صاحب مدرسة كبيرة ، تخرج فيها جيل بأكمله ، من الدارسين والنقاد ، وكان لشخصيته العلمية والثقافية وتنوّعها ، وسعتها ، مع ذكائه ، وجرأته العقلية ، واستاذيته في الجامعة - أثر كبير في هذه المدرسة ومن تخرج فيها "[٩] .

---

(١) انظر د. طه حسين " في الأدب الجاهلي " ، ص : ٣٠٩.

(٢) نشر في عام ١٩٣٣.

(٣) نشر كتاب " من حديث الشعر " في عام ١٩٣٦ ، وأما كتاب " مع المتنبي " فنشر عام ١٩٣٧.

(٤) نشر في عام ١٩٣٩.

(٥) نشر في عام ١٩٤٥ .

(٦) انظر كتاب " المرايا المتجاورة " لجابر عصفور ، ص ٤٩٧ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ، ١٩٨٣.

(٧) د. حسين نصار " دراسات حول طه حسين " ، ص ٦ ، ط ٢ ، دار اقرأ - بيروت - ١٩٨٣.

(٨) نشر كتاب " خصام ونقد " عام ١٩٥٥ ، و " نقد واصلاح " عام ١٩٥٦ ، و " من أدبنا المعاصر " عام ١٩٥٨ ، و " تقليد وتجديد " عام ١٩٧٨. وأصل الكتاب أحاديث اذاعية أذيعت عام ١٩٥٥.

(٩) النقد الأدبي الحديث : ص ٣٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولذا ينبغي أن نلاحظ أنّ دوره في النقد الأدبي لا يقتصر على دراساته التي نشرها فحسب ، وانّما يشمل أيضا تأثيره في تلاميذه الكثر ، الذين درسوا عليه ، أو أفادوا منه[١] .

* * *

وشخصية طه حسين الثقافية عامة ، تكاد تكون أكثر شخصية مثيرة للجدل ، أو للخلاف الشديد في الأدب العربي الحديث ، ويمكن أن نلمس شيئا من هذا حين نعرض لآراء بعض الدارسين في شخصيته النقدية خاصة ، ذلك أننا نجد أكثرهم ينقسم بإزائها فريقين كبيرين متخالفين :

أمّا الفريق الأوّل فهو فريق التلاميذ والمعجبين ، وهؤلاء لا يكادون يقدّمون على طه حسين ناقدا من نقاد الأدب العربي المحدثين ، ومن هؤلاء الدكتور احمد كمال زكي الذى يضعه على رأس النقاد المجدّدين من أمثال : شكري والعقاد والمازني وهيكل وسلامة موسى الذين أسهموا في تقديم نظرية جديدة في الأدب ، تلائم الذوق المعاصر . يقول عنه " برز هذا الناقد ، قبل أن يترجم بعض التراجيديا الإغريقية ... يقترح أمورا ، ويخطط لمنهج ، ويدعو الى تحليل النصوص ، وفهمها بنظرات فرنسية ، تضخمت عند محمد مندور "[٢] .

وأما الدكتور ناصر الدين الأسد فيبين منزلته في ميدان الدراسات النقدية بقوله : " ... طه حسين في حكم النزاهة الموضوعية والتجرد ، هو بحق رائد المنهج المتكامل في الدراسة الأدبية الحديثة ، لا يمت بسبب الى ماقبله ، وكل مابعده يمت اليه بسبب "[٣] .

وأما الدكتور حسين نصار فيذهب الى ماهو أبعد من هذا ، ذلك أنه يرى طه حسين أديب العربية الأول في العصر الحديث ، ليس في مجال النقد وحده ، وانما في المجالات الأدبية الأخرى ، يقول - بعد أن يعرض لجهوده النقدية والأدبية المختلفة ، ويثني عليها أبلغ ثناء - " ... كل ذلك يجعلني أؤمن أنّ أصدق لقب أطلق على الأستاذ الدكتور طه حسين هو عميد الأدب العربي "[٤] .

---

(١) ينتشر طلاب طه حسين ومريدوه من النقاد والدارسين في أقطار الوطن العربي كله ، وقد سمّى الدكتور احمد كمال زكي بعض الدارسين البارزين من تلاميذه ، انظر كتابه " النقد الأدبي الحديث ... أصوله واتجاهاته " ، ص ٩٠ - ٩١ .

(٢) النقد الأدبي الحديث ، أصوله واتجاهاته ، ص ٨٨ .

(٣) ذكرى طه حسين ، ص ١٢٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

(٤) " دراسات حول طه حسين " ، ص ١٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على حين يذهب الدكتور **شكري فيصل** الى أبعد مما ذهب اليه الدكتور نصار ، فهو يرى أن طه حسين أكبر دارس وباحث عرفه الأدب العربي، ليس في العصر الحديث وحده ، وانما في تاريخه كله ، يقول : " ... لم يعرف تاريخ الأدب العربي هزة تشبه الثورة ، وحركة أقرب الى التجديد ، كهذه الهزة التي فجرتها مباحث الدكتور وآراؤه ... وأغلب الظن أن دهورا طويلة ، ستمضي قبل أن يستنفد الباحثون العرب مناحي البحث التي فتح الدكتور طه أبوابها ، أو قد مدّ آفاقها ، أو دعا اليها "(١) .

* * *

وأما الفريق الثاني فنجد موقفه من نقد طه حسين على النقيض من موقف الفريق السابق ، ذلك أنه ينعى عليه نقده ، ويقرر أنه فيه مخفق إخفاقا ذريعا ، لأنه لا يمتلك المؤهلات الضرورية ، التي ينبغي أن يمتلكها الناقد الأدبي الحق ، فقد ذهب **مصطفى الرافعي** مبكرا الى القول : إن طه حسين " لا يحسن نقد الشعر ، لأن النقد قائم بالملكة والفهم "(٢) .

أما من حيث الفهم فقد كان يرى أن طه حسين ناقد " متخلف الذهن ، تستعجم عليه الأساليب الدقيقة ، ومعانيها ، وأكبر مامعه أنه يتحذلق ، ويتداهى ، ويتشبه بالمفكرين ، ولكن في ثوب الرواية "(٣) .

وأما من حيث المَلَكَة فقد كان يعتقد أنه يرجع في نقده " الى طبع ضعيف ، لم تحكمه صناعة الشعر ، ولا راضته مذاهب الخيال ، ولا عهد له بأسرار الإلهام ، التي صار بها الشاعر شاعرا ، ونبغ الكاتب كاتبا ، وما هو الاّ ماترى من خلط يسمى علما ، وجرأة تكون نقدا "(٤) .

وممن تابع الرافعي على رأيه في نقد طه حسين تلميذه **محمود شاكر** ، فنحن نجده يكرّر رأيه السابق في عبارات مقاربة . نحو قوله عنه : إنه " ... متخلف الفهم في العربية ، مضطرب الفكر في المنطق ، لا بحر له بالشعر ، ولا طاقة له على استيعاب معانيه "(٥) . ونحو قوله

---

(١) مقدمة دراسات طه حسين المجموعة بعنوان " من تاريخ الأدب العربي " ص ٥ ، المجلد الأول ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٧٥ .

(٢) تحت راية القرآن ، ص ١٣٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٨ .

(٥) محمود محمد شاكر ، " المتنبي " ، ص ٨٨ ، مطبعة المدني - القاهرة - ١٩٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أيضا : إن دراساته النقدية تدل : " على الذي هو مطبوع عليه من التخلف في النقد ، وسوء الفهم للشعر ، وقلة البصر به ، وبنقده "[١] .

والحق أن محمود محمد شاكر يؤكد كثيرا في كتابه " المتنبي " أن طه حسين " ليس ذا بصر بالشعر ، ولا صاحب قوة في الفهم "[٢] وأنه لذلك " عاجز عن النقد "[٣] .

واذا كنا قد رأينا الدكتور حسين نصار يقرّر في نهاية دراسته عن طه حسين أنه عميد الأدب العربي بحق ، فإننا نجد محمود شاكر يقرر : " أن الدكتور طه حسين ، عميد الأدب العربي ... رجل قد أثبتت التجارب والأيام ، ثم مؤلفاته أنه لا بصر له بالشعر ولا بمعانيه "[٤] .

وأما أنور الجندي فيذهب الى أن رسالة طه حسين الحقيقية في النقد الأدبي هي : " ... تزييف مفهوم النقد الأدبي ، وخلق روح من التحلل والإباحة ... "[٥] .

واذا كان طه حسين قد درس الشعراء الغَزِلين في العصر الأموي ، وشعراء المجون في العصر العباسي ، فإن أنور الجندي يستخلص من هذا الدرس أن : " أكبر أهداف الدكتور طه حسين إشاعة أدب المجّان ، والجنس ، والإباحة "[٦] .

هذا من جهة ، وهو من جهة أخرى ، يرى في دراساته النقدية نقيض مايرى الدكتور شكري فيصل ، فطه حسين فيها " حريص على أن يعقد كل أبحاثه في مجال الأدب العربي ... على مجموعة من الأباطيل والأضاليل ، يرددها دائما ، ويلوكها حتى تثبت في أذهان تلاميذه ، ومستمعيه "[٧] .

* * *

---

(١) محمود محمد شاكر ، " المتنبي " ص ١١٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦٤ ، وانظر الصفحات : ٨٨ ، ١٦٨ .
(٣) المصدر نفسه : ص ١١١ .
(٤) المصدر نفسه : ص ٥٢ .
(٥) انور الجندي : محاكمة فكر طه حسين ، ص ٢٩ . دار الاعتصام ، ١٩٨٤ .
(٦) المصدر السابق : ص ٤٧ .
(٧) محاكمة فكر طه حسين ، ص ٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى هذا النحو يمضي هذا الفريق ، يبدي رأيه في طه حسين ونقده الأدبي، كما نجد ذلك عند دارسين آخرين ينتمون اليه من أمثال الدكتور محمد محمد حسين وعبدالغني الملاح ، والدكتور عبدالمجيد المحتسب[١] .

وبعد ... **فأما الدارس ذو الحَيْدة** ، الذي ينشد الحقيقة ليس غير ، ويودّ أن يتعرّف نقد طه حسين الأدبي على حقيقته - فخليق به ألاّ يتأثر مسبقا بآراء المعجبين، أو بآراء الخصوم، وجدير به أن يعمد الى جهده النقدي نفسه ، فيتأمله كله تأملا عميقا ، ويدرسه جميعه دراسة متأنية شاملة ، حتى إذا اطمأن الى هذا التأمل والدرس ، هناك عرض لآراء الدارسين السابقين، وناقشها مناقشة من يود أن يتحقّق من صحتها ، أو أن يتبين مدى زيفها ، وأذاع مايعتقد أنه الحقيقة فيها ، دون نظر الى الاسماء والاتجاهات ، وهذا ماسنجتهد في أن نحاوله ، خلال الفصول القادمة .

xxxxxxxxxxxxx
xxxxxxxxxxx
xxxxxxxxx
xxxxxxx
xxxxx
xxx
x

---

(١) يبدو ذلك جليا لدى الكاتب الأول في كتابه " الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي الحديث " ولدى الكاتب الثاني في كتابه "مقالات في طه حسين " ، ولدى الكاتب الثالث في كتابه " طه حسين مفكرا " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــل الأول

شخصيّة طه حسين النقديّة وظروف تكوينها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لظروف البيئة والعصر عامة دور كبير في تكوين شخصية الأديب أو الناقد ، فهو في الغالب ثمرة عصره ، يعمل على إنضاجها الزمان والمكان والحالة السياسية والاجتماعية والاقتصادية [١] ، ونحسب أن أشهر ناقد قد لفت الى هذا كله ، وكان يؤمن بأن شخصية الإنسان هي أثر من آثار عصره ، وبيئته وأمته هو الناقد الفرنسي " تين Taine " ، ونحن نجد بعض الدارسين يقرّرون منذ البداية أننا لا نستطيع أن نفهم شخصية الناقد أو الأديب حتى نتعرّف عصره أولا [٣] ، وطه حسين نفسه كان يذهب الى أنّ الأديب خاصّة هو كائن اجتماعي بطبعه [٤] ، بل إنه كان يذهب الى ماهو أبعد من هذا ، فيقرّر أن الشاعر أو الكاتب لا يستمدّ أدبه من شخصه وحده . يقول :

" ... ولو استطعت ، لقلت : إنه لا يستمدّ شخصيته من شخصه وحده ، وانما يستمدّ أكثر فنه ، وأكثر شخصيته ، من أشياء أخرى ليس له حيلة فيها ، وليس لطبيعته ومزاجه وفرديته فيها كل مانظن من التأثير ، وأكاد أقول مع القائلين : إن الفرد نفسه ظاهرة اجتماعية "[٥] . ثم يوضّح رأيه هذا ، فيبين أن الإنسان حين يولد لا يأتي من لا شيء ، وانما يأتي من أسرة ، ثم ما أسرع أن تتلقفه الحياة الاجتماعية ، فتخضعه لمؤثراتها التي لا تحصى ، وتصوغه على مثالها ، وتصوّره في صورتها ، واذن " فعنصر الفردية فيه ضئيل ، لا يكاد يحس ، إلاّ أن يمتاز هذا الفرد ، وامتيازه نفسه ، يرد في كثير من الأحيان ، الى الحياة الاجتماعية ، التي أنشأته "[٦] .

وما دام الأمر كذلك ، فخليق بنا إذن قبل أن نتعرّف شخصية طه حسين النقدية ، وظروف تكوّنها ونموها ، أن نتعرّف أولا ظروف بيئته ، ومجتمعه وعصره عامة ، وذلك من نواح متعددة .

* * *

٣٧٤٣٨٨

---

(١) طه حسين ، تجديد ذكرى أبي العلاء: ٢٧٦ (من دراساته المجموعة بعنوان " من تاريخ الأدب العربي " ، المجلد الثالث) .

(٢) طه حسين ، حديث الأربعاء : ٥٣ ، ج ٢ .

(٣) د. محمود السمرة ، القاضي الجرجاني : ٩ .

(٤) طه حسين ، خصام ونقد : ١١٦ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٥.

(٥) المصدر نفسه : ٢٥٧.

(٦) المصدر نفسه : ٢٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحـــالة السياســـية

بدأت الحركة المصرية الوطنية بالظهور في الربع الأخير من القرن الماضي، وكان لسياســة محمد علي التي انتهجها منذ بدء حكمه عام ١٨٠٥ أثر كبير في ظهور هذه الحركة، لأنهـــا ارتبطت في مصر بظهور الطبقة الوسطى، ومحمد علي " هو الذي وضع حجر الأساس في سياســة تمليك المصريين للأرض، وذلك بإلغاء نظام الالتزام، وإعادة توزيع الأراضي "[١]، وكـان لـه الفضل في تجنيد المصريين، وانتهاج سياسة تطوّر مصر تطويرا حديثا يقوم على العلم.

ثم جاء محمد سعيد (١٨٥٣ - ١٨٦٣)، فواصل نهج الإصلاح والتطوير، وكان من أبـــرز مآثره أنه رفع شعارا وطنيا جديدا، هو : " مصر للمصريين "[٢].

أما الخديوي اسماعيل فقد حاول أن يجعل من مصر قطعة من أوروبا، ولذا فقد أخذ بالأساليب الأوروبية، في مختلف مناحي الحياة، ويمكن أن نعدّ " الحقبة مابين عام ١٨٦٣ وعام ١٨٨٢ حقبـة حاسمة في تطوير مصر الحديثة، فقد أثمرت شيئا من التقدم، ظهر بعد عام ١٨٨٢، سواء في ذلـك النواحي السياسية، والثقافية، والاجتماعية "[٣].

بيد أن سياسة اسماعيل قد أدّت في النهاية الى ازدياد الأجانب في مصر، الذيـن تغلغـل نفوذهم السياسي والمالي، نتيجة للامتيازات المالية الممنوحة لهم، وبسبب افتتاحه لقناة السويس، مما اضطره " الى الاستدانة من البيوتات الأوروبية، بفوائد باهظة، عجز عن دفع فوائدها "[٤].

وكانت نتيجة ذلك أن لحق بالشعب المصري عسف شديد، وأصابه إرهاق مالي، مما أدى الـى التذمر بين صفوفه، ودفع الى تأليف جمعيات سرية، كان أهمها جمعية ألّفها بعض الضباط عام ١٨٧٦، ثم انبثق منها أول حزب سياسي وطني عام ١٨٧٩، وقد تولى أحمد عرابي زعامة هذا الحزب في عهـــد الخديوي توفيق (١٨٧٩ - ١٨٩٢)، وأصبح هذا الحزب يعتمد اعتمادا أساسيا على الضـباط، ومـلّاك الأراضي والمثقفيـن.

(١) د. محمود زايد " من أحمد عرابي الى جمال عبد الناصر " ص ١٠، الدار المتحدة للنشر، بيروت - ١٩٧٣.

(٢) المرجع نفسه : ص ١١.

(٣) P. J. Vatikiotis : " The History of Egypt From Muhammad Ali to Sadat , P. 90.
Weiden and Nicolson Asia - Africa - series second edition , London , 1980.

(٤) د. محمود زايد " من أحمد عرابي الى جمال عبدالناصر "، ص ١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد دفعت المظالم التي أخذ المصريون يعانون منها ، الى تمرّد عُرابي ورفاقه على الخديوي في النهاية ، وتعترف بعض المصادر الأجنبية أن ثمة سببين ، دفعا بريطانيا الى التدخل في مصر : أولهما أنها تدخّلت كي تمنع أحمد عرابي ورفاقه المتمردين من إسقاط حكم الخديوي ، ... والثاني أنها سارعت الى التدخل كي تسبق أية قوة أوروبية ، يمكن أن تتدخل متذرعة بحجة الديون ، لأن التدخل الأوروبي كان يعرّض أمن المواصلات البريطانية للخطر ، ولذلك كانت مصممة على منع القوى الأوروبية الأخرى من أن تحرز موطِئَ قدم ، يهدّد مصالحها الاستعمارية[١] .

ولكن أحمد عرابي ورفاقه في الجيش ، قرّروا التصدي للقوات البريطانية ، فدارت بين الطرفين معركة " التل الكبير " ، وكانت نتيجتها هزيمة عرابي ، ورفاقه ، ووقوع مصر في قبضة الاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢[٢] .

وقد بدأ الإنجليز احتلالهم لمصر باجراءات قاسية ، فقد نفوا زعماء الثورة ، وألغوا " دستور مصر ، ومجلس نوابها ، ... كما قام الاحتلال باستصدار أمر من الخديوي توفيق بحل الجيش المصري ، وتسريح أفراده "[٣] .

ثم قامت بريطانيا بعد ذلك بإنشاء جيش موال لها ، يقوده ضباط إنجليز ، على حين أبقت على الخديوي حاكما اسميا ، وأما الحاكم الفعلي فكان اللورد كرومر ، الذى عينته قنصلا عاما لها في مصر ، فبقي " يسيطر على كل صغيرة وكبيرة في البلاد طيلة ثلاثة وعشرين عاما ، (١٨٨٣ - ١٩٠٦) ، وتضاءلت بجانبه كل سلطة وطنية ، وأصبح يعرف بين الناس بأنه خديوي مصر غير المتوّج "[٤] .

وقد صمّم " كرومر " على إخضاع الخديوي لسلطته ، فأرغمه على أن يصدر تصريحا رسميا ، يعلن فيه أنه حريص على توطيد العلاقات الودية مع بريطانيا ، وانه " سوف يستجيب عن طيب خاطر ، للمشورة التي يقدمها له ممثل حكومة جلالة الملك ، في جميع المسائل الهامة "[٥].

---

(١) P. J. Vatikiotis : The History of Egypt From Muhammad Ali to Sadat , P. 248 .

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب " أحمد عرابي الزعيم المفترى عليه " لمحمود الخفيف ، ص ٤٣٢ ، ط ٤ ، دار الوحدة - القاهرة - ١٩٨٢ .

(٣) مؤسسة الاهرام " خمسون عاما على ثورة ١٩١٩ " ص ٢٧ ، مركز الوثائق والبحوث التاريخية لمصر - القاهرة - ١٩٦٩ .

(٤) المرجع نفسه : ص ٢٩ .

(٥) المرجع نفسه : ص ٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن الشعب المصري لم يستسلم ، بل راح يقاوم الاحتلال بكل السبل المتاحه ، يقوده في ذلك أعلام مستنيرون ، من أمثال : **محمد عبده ، ومصطفى كامل ، وعبدالله النديم ، ومحمد فريد ، وسعد زغلول ، وعبدالعزيز جاويش .**

وقد بدأت هذه المقاومة في عام ١٨٨٩ ، حين صدرت جريدة " المؤيد " ، كي تكون لسان الوطنيين ، وتردّ على جريدة " المقطم " ، اللسان الناطق باسم المحتل الإنجليزي .

وفي بداية القرن العشرين ، ظهرت أحزاب وطنية ، كان هدفها جلاء الإنجليز عن مصر ، وقيام الحكم الديمقراطي فيها ، وكان في طليعتها الحزب الوطني ، بزعامة مصطفى كامل .

وفي عام ١٩٠٦ وقعت حادثة دنشواي ، التي أظهرت وحشية المحتل ، ومدى استعداده للبطش بالشعب المصري ، فاستغل مصطفى كامل الحادثة أحسن استغلال ، وشن الحملات الناجحة في منتديات أوروبا ، وفي صحفها ، مشهّرا بالاستعمار البريطاني ، مصوّرا مدى بشاعته ، فكان لذلك أثره في الرأي العام البريطاني نفسه ، " وظهر صدى هذا الأثر في البرلمان الإنجليزي ، حيث استجوب السير ادوارد جراي ، وزير الخارجية ، وقتئذ "[١] .

وفي عام ١٩١٢ بدأ نجم سعد زغلول بالظهور ، ثم فاز في انتخابات الجمعية التشريعية عام ١٩١٣ ، ثم أخذت المشاعر الوطنية المعادية للاحتلال تتصاعد على الأيام ، الى أن بلغت ذروتها في سنة ١٩١٩ ، حين قام الإنجليز بنفي سعد زغلول ، وثلاثة من رفاقه الى مالطة ، فقامت ثورة شعبية عارمة ، اضطرت بريطانيا الى التسليم باستقلال اسمي لمصر ، فأعلن السلطان فؤاد " استقلال البلاد واتخذ لقب ملك ، ... وعهد الى لجنة بوضع دستور للبلاد ، وقانون للانتخاب "[٢] .

وفي ظل الظروف الجديدة ظهر في مصر حزبان وطنيان مشهوران ، كان لهما دور كبير في توعية الشعب وقيادة الحركة الوطنية ، وهذان الحزبان هما : **حزب الوفد ، وحزب الأحرار الدستوريين** ، الذي انبثق عن الحزب الأول .

وقد ظلت الحركة الوطنية في مصر تكافح ، في سبيل الحرية والاستقلال ، حتى قامت الثورة عام ١٩٥٢ ، بقودها بعض الضباط ، فنجحت في إنهاء الحكم الملكي ، وأعلنت الجمهورية ، ثم قامت بتحرير مصر من سيطرة الإنجليز ، بعد أكثر من سبعين سنة من الاحتلال[٣] .

---

(١) مؤسسة الاهرام " خمسون عاما على ثورة ١٩١٩ " ، ص ٣٧.

(٢) د. محمود زايد " من أحمد عرابي الى جمال عبدالناصر " ، ص ٣٩.

(٣) انظر المرجع نفسه : ص ٤٦ وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحالـة الاجتمـاعية والاقتصـادية

من أبرز التطورات التي طرأت على المجتمع المصري في النصف الثاني من القرن التاسع عشر النمو السريع للسكان، وذلك لتوفر الأمن، وتقدم الرعاية الصحية، وميل المصريين الى الإنجاب، فقد "كان عدد سكان مصر عام ١٨٠٠ م ثلاثة ملايين نسمة، ثم أصبح العدد في عام ١٨٨٢، ستة ملايين، ثم وصل الى أحد عشر مليونا في عام ١٩١٧ "(١)

ويُلاحَظ أن المجتمع المصري كان ينقسم في الغالب طبقات متباينة، أما الطبقة العليا فكانت طبقة الأسرة الحاكمة، وقد تكاثر عدد أفرادها في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وكانت تمثّل طبقة السادة الإقطاعيين في المجتمع، وقد ابتنى أفرادها لأنفسهم القصور الفخمة، وعاشوا حياة كلها ترف ودعة، وعلى الرغم من أن محمد علي اهتم بتنشئة أنجاله، وتعليمهم، فإنهم لم يختلطوا بالشعب، وانما كانوا ينفرون منه، ولا يتحدّثون بلغته، ويتخاطبون إمّا بالتركية أو باللغات الأجنبية الأخرى (٢).

ثم تأتي بعد الطبقة الحاكمة طبقة المالكين للأرض، وكبار التجار، وكان المستوى المعيشي لهذه الطبقة مرتفعا، وذلك لتمتعها بالثروة، والحظوة لدى الدولة.

ثم تأتي طبقة الموظفين وصغار التجار والصناع، وأما الطبقة الدنيا فكانت طبقة الفلاحين، وكان وضعها بائسا. ولم يحسّن حالها الاقتصادية ازدياد الأراضي الصالحة للزراعة، إذ إنّ مساحة الأرض الصالحة للزراعة في مصر كانت أربعة ملايين وسبع مئة وثلاثة وأربعين فدانا، في عام ١٨٧٧، ثم أصبحت في عام ١٩١١ سبعة ملايين وسبع مئة ألف فدان "(٣).

وقد كانت طبقة الفلاحين تعاني من احتقار الحكام وظلمهم(٤)؛ لأنهم فرضوا عليها الضرائب وجمعوها في قسوة بالغة، وأصبحت السخرة منتشرة في هذا العهد، وسلبت الأراضي،

---

(١) Nadaf Safran, "Egypt in search of Political Community, p. 54. Harvard University Press, Combridge, Massachusetts, Second Printing, London, 1981.

(٢) نجيب توفيق " عبدالله النديم " ، ص ٢٧، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، (د. ت).

(٣) Nadaf Safran, Egypt in search of Political Community, P. 54.

(٤) انظر كتاب " سعد زغلول " لعباس محمود العقاد، ص ٦٨، دار الشروق - القاهرة (د. ت).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" واستعبد صغار الفلاحين في مزارع الحكام والأغنياء استعبادا بشعا ، أهدرت به كرامتهم الإنسانية ، فكانوا يعملون لاستصلاح أراضي الخديو دون أجر "(١) .

واذن يمكن القول : إن الفلاح المصري في أواخر القرن الماضي ، كان يئنّ تحت وطأة من " الفقر والجهل والانحطاط ، وظل يعيش عيشة الكد والكدح بأقل الحاجات والنفقات "(٢) .

وأما من الناحية العامة فقد انتشر الظلم ، والفساد ، وساءت الإدارة ، ولم يتورع الحكام عن العبث بحقوق الشعب .

وأما وضع المرأة فقد كان بائسا ؛ لأنها كانت محرومة من التعليم ، وكانت محجّبة لا يسمح لها بالظهور في المحافل العامة ؛ مما دفع بعض المصلحين الى المطالبة بإنصافها ، وكان في طليعتهم قاسم أمين ؛ ولذا مالبثت أن أخذت تشارك في النهضة الاجتماعية ، " وكانت عائشة عصمت تيمور طليعة هذه النهضة "(٣)

الحالة التعليمية والثقافية

كان محمد علي هو أوّل من أنشأ المدارس في مصر ، وفق النظام الأوروبي الحديث ، وقبل عهده كان التعليم ذا طابع ديني ، ويتم في الكتاتيب ، والمساجد وحدها ، وقد أنشأ محمد علي أيضا مدرسة الطب ، ومدرسة الألسن(٤) ، وظل عدد المدارس يزداد خلال حكمه ، وحكم من أتى بعده ، حتى أشرف عهد إسماعيل على الانتهاء ، فأخذ إنشاء المدارس يتناقص ؛ لأن الديون التي تراكمت على مصر ، قد بدأت تثقل كاهلها ، وقد أدّى هذا في النهاية الى أن بعض " المدارس العالية عزلت أو أغلقت ، ويقدّر (دفرن) أن عدد الطلاب قد تناقص بنسبة ٩٪ مابين عام ١٨٧٣ وعام ١٨٨٠ "(٥) .

ثم أخذ التعليم يتأخر في ظل الاحتلال البريطاني بعد عام ١٨٨٢ ، وأصبح الهدف منه :

---

(١) نجيب توفيق " عبدالله النديم " ، ص ٢٧.

(٢) المرجع نفسه : ص ٢٧.

(٣) المرجع نفسه : ص ٢٨.

(٤) Robert Tignor, "Modernization : British Colonial Rule in Egypt, P. 321. Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 1966.

(٥) Ibid, P. 321.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" تخريج كتبة لدوائر الحكومة ، وموظفين صغار للدولة ، وتدني عدد البعثات التعليمية الى الخارج ، حتى أصبح المبعوثون يعدون على الأصابع "[١] .

وما بين عام ١٨٨٧ و عام ١٨٩٢ أعدّ نظام الامتحانات لأول مرة فأخذت الحكومة تمنح شهادات المرحلة الابتدائية والثانوية للناجحين فيها[٢] .

وتعترف لنا بعض المصادر الأجنبية بأن إسهام الحكومة في تعليم الطلاب قد قلّ بعد الاحتلال البريطاني ، فبينما كانت الحكومة قبله تساعد سبعين بالمئة من الطلاب عام ١٨٨١ ، انخفضت النسبة كثيرا في عام ١٨٩٢[٣] .

ولم يترك الاحتلال من المدارس العالية إلاّ مدرسة المعلمين العليا ، والمدرسة العسكرية ، ومدرسة الشرطة ، ومدرسة القانون والطب ، والهندسة ، ودار العلوم ، على حين أخذ عدد الطلاب المسجلين في المدارس الالزامية ، والثانوية يتناقص[٤] .

وقد اختلفت الآراء في السبب الذي كان يدفع بريطانيا الى عدم التوسع في تعليم المصريين ، فبينما يرى " نداف سافران Nadav Safran " أن المقصود كان أن يتسنى للإدارة استيعاب الخريجين كلهم ، لأنه لم يكن ثمة سوى ثمان وستين مدرسة حكومية في عام ١٩١٤ ، على حين كان السكان يزيدون على تسعة ملايين[٥] يرى " روبرت تجنور Robert Tignor " أن الاحتلال البريطاني كان يخشى التوسع في التعليم ، لأنه قد يثمر في النهاية دعاة الى التخلص منه. وقد كتب اللورد " كرومر " يجهر بهذا الى أحد أصدقائه ، قائلا " ... مهما نفعل فان التعليم لا بد أن يؤتي ثماره الطبيعية في النهاية ، وإحدى هذه الثمار - سواء في الهند ومصر - ستكون الرغبة في التخلص من الأجنبي "[٦] .

ومن الواضح أن هذا الرأي هو أرجح من الرأي السابق[٧] .

---

(١) د. محمود زايد " من أحمد عرابي الى جمال عبدالناصر " ص ٢٥.

(٢) Robert Tignor, Modernization : British Colonial Rule in Egypt, P. 323.

(٣) Ibid, P. 324.

(٤) Ibid, P. 324.

(٥) Nadaf Safran, "Egypt in Search of Political Community, P. 55.

(٦) Robert Tignor, "Modernization : British Colonial Rule in Egypt, P. 320.

(٧) انظر كتاب الدكتور محمود السمرة " غربيون في بلادنا " ، ص ٦٥ - ٧٠ ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر - بيروت ، ١٩٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى الرغم من أنّ الاحتلال لم يتوسع في التعليم الحكومي، فإن الشعب المصري كان يقبل على التعليم الخاص إقبالا حسنا ، وذلك من خلال المدارس الأهلية ، أو من خلال المدارس التبشيرية التي انتشرت انتشارا سريعا في مصر ، أواخر القرن الماضي[١] .

وقد أدى إقبال الشعب المصري على التعليم الى إنشاء جامعة أهلية لأول مرة ، سنة ١٩٠٨ ، ثم تحولت سنة ١٩٢٥ الى جامعة حكومية .

وأما الكتاتيب فقد ظلت تنتشر في قرى مصر ، وكانت مستقلة ، لا تشرف عليها الحكومة ، وكان كثير من خريجيها يذهبون الى القاهرة ، كي يواصلوا تعليمهم في دار العلوم ، أو في الأزهر الذي ظل يقوم بدوره التعليمي ، كما كان في القديم .

* * *

وأما الحركة الثقافية فقد نشطت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وكان لمطبعة بولاق خاصة أثر كبير في ذلك . وقد أسسها محمد علي ما بين عام ١٨١٩ وعام ١٨٢٠ ، لأنه كان يشجّع ترجمة الكتب العلمية ، وتأليفها .

وقد أتاحت هذه المطبعة أيضا لبعض الكتب الأدبية القديمة فرصة النشر ، ومن هذه الكتب : كتاب **الأغاني لأبي الفرج ، ومقدمة ابن خلدون ، والعقد لابن عبد ربه ، وفقه اللغة للثعالبي ، والمثل السائر لابن الأثير ، وخزانة الأدب للبغدادي .**

وأتاحت المطبعة أيضا ظهور الصحف ، وهي مظهر مهم من مظاهر النشاط الثقافي ، فأخذ عددها يتزايد في أواخر القرن الماضي ، منذ أن ظهرت صحيفة " اليعسوب " عام ١٨٦٥ .

ويُلاحَظ أن بعض هذه الصحف أنشأه مصريون مثل صحيفة : " وادي النيل " التي صدرت عام ١٨٦٦ ، و " نزهة الأفكار " الأسبوعية ، التي أنشأها ابراهيم المويلحي ومحمد عثمان جلال عام ١٨٦٩ ، و " روضة المدارس " التي صدرت عام ١٨٧٠ ، و " الوطن " التي صدرت عام ١٨٧٧ ، وصحيفة " الأستاذ " التي أنشأها عبدالله النديم عام ١٨٩٢[٢] .

---

(١) Nadaf Safran, Egypt in Search of Political Community, P. 55.
وانظر كذلك كتاب نجيب توفيق " عبدالله النديم " ص ٢٨ .

(٢) انظر كتاب " عبدالله النديم " لنجيب توفيق ، ص ٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثمة صحف أنشأها شآميون ، هاجروا الى مصر في القرن الماضي ، مثل صحيفة " الكوكب الشرقي " التي أصدرها سليم حموي عام ١٨٧٣ ، و " الأهرام " التي أنشأها سليم تكلا وبشارة تكلا سنة ١٨٧٥ ، و " المقطم " التي أصدرها صروف ونمر مكاريوس سنة ١٨٨٨ ، ومن الصحف الأخرى التي أنشأها الشاميون أيضا " الهلال " و " الطائف " و " لسان العرب " و " أنيس الجليس "[١] .

وحين ظهرت الأحزاب المصرية في بداية هذا القرن ، حرص كل حزب على أن تكون له صحيفة أو عدة صحف ، تنطق باسمه ، فكان للحزب الوطني صحيفة " العلم " و مجلة " الهداية " اللتان كان يشرف عليهما الشيخ عبدالعزيز جاويش ، ولحزب الأمة صحيفة " الجريدة " التي كان يديرها لطفي السيد[٢] . ولحزب الأحرار الدستوريين صحيفة السياسة ، التي كان يرأس تحريرها الدكتور محمد حسين هيكل . ولحزب الوفد صحيفة " كوكب الشرق " التي رأس تحريرها في وقت من الأوقات طه حسين[٣] .

ويبدو أن الصحف المصرية كانت في أواخر القرن الماضي ، ومطلع هذا القرن تتمتع بقسط وافر من الحرية ، يتيح للكتاب فرص التحاور ، بل النقد والخصومة الشديدة في ميدان السياسة والفكر والأدب ، مما قوّى الحركة الثقافية ، وزاد في تفاعلها[٤] .

وأما في ميدان التأليف فقد شرع بعض الكتاب ينشرون مؤلفاتهم في النصف الثاني من القرن الماضي ، ومن هؤلاء : رفاعة الطهطاوي وعلي مبارك وعبدالله فكري ، وأسهم الشاميون في التأليف " وغلب عليهم الأدب والشعر ، ... وترجمة الروايات الجديدة ، واتخذوا ذلك صناعة يتكسّبون منها "[٥] .

وعرفت مصر في أواخر القرن الماضي الأوبرا لأول مرة ، ذلك أنّ دار الأوبرا افتتحت في عام ١٨٦٩ ، خلال الاحتفالات التي رافقت افتتاح الخديوي لقناة السويس ، ولكنها في البداية قدمت عروضها بالفرنسية والإيطالية ، وكان أول عرض ظهر فيها بالعربية هو العرض الذى قدّمه

---

(١) نجيب توفيق " عبدالله النديم " ، ص ٢٣ .

(٢) انظر مذكرات طه حسين ، ص ٢٢ ، ص ١٨ .

(٣) كان ذلك مابين عام ١٩٣٢ ، وعام ١٩٣٤ حين فصل من الجامعة : (انظر كتاب : " طه حسين يتحدث عن أعلام عصره " لمحمد دسوقي ، ص ٩١ ، ط ٢ ، الدار العربية للكتاب - ليبيا - تونس - ١٩٧٨ .)

(٤) يبدو هذا جليا حين نقرأ كتابا قد جمعت فيه نصوص مقالات مختلفة ، تصور الخصومات الأدبية والفكرية ، مثل كتاب " المعارك الأدبية " لأنور الجندي .

(٥) نجيب توفيق " عبدالله النديم " ص ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(**أديب النقاش**) وبعض رفاقه الشاميين ، الذين قدموا الى الاسكندرية عام ١٨٧٦[١] .

كذلك ساعد الشاميون في ظهور المسرح المصري ، أواخر القرن الماضي ، وفي انتشاره ، وكان من أبرزهم : " **أبو خليل القباني** ، الذي جاء الى القاهرة في أيام الخديوي اسماعيل ، وبقي حتى حكم عباس الثاني " [٢] ، **ومارون النقاش** ، الذي هاجر من لبنان الى مصر ، فكان من أوائل الرواد للمسرح العربي .

وقد أسهم الشاميون في ترجمة كثير من القصص التمثيلي ، عن الفرنسية أو الإنجليزية وكان بعضهم يضع التمثيليات ، ولذا يمكن القول إن " فن التمثيل العربي في مصر شامي الأروما "[٣].

ومن التمثيليات التي ترجمها شاميون ، في أواخر القرن الماضي ، تمثيلية " سقوط نابليون الثالث " ، وقد ترجمها نقولا رزق الله ، و " فوست " التي ترجمها طانيوس عبده ، وقد أسهم بعض المصريين في ترجمة تمثيليات ، وتمصيرها ، ومن هؤلاء : عثمان جلال ، الذي نقل تمثيلية " ترتوف " ، وصاغها " في قالب مصري ، وسمّاها " الشيخ متلوف "[٤].

وفي بداية هذا القرن ازدهر المسرح المصري ، حتى إنّ بعض فرقه التمثيلية ، كانت تجوب البلاد العربية المجاورة .

* * *

صفوة القول : إن الحركة الثقافية قد ظل نشاطها يزداد ، ويؤتي أكله على الأيام ، وحسبنا أن نتذكر أنّ من ثمارها ظهور شعراء في أواخر القرن الماضي ، مازلنا نعدّهم الى اليوم من أكبر شعراء العربية في العصر الحديث ، من أمثال : محمود سامي البارودي شاعر البعث والإحياء ، وأحمد شوقي أمير الشعراء ، وحافظ ابراهيم شاعر النيل ، وخليل مطران ، شاعر القطرين .

* * *

---

(١) Piere Cachia, Taha Husayn , P. 18, Luzacand - L.T.D - 46 Great Russell Street, London - 1956.

(٢) Ibid , P. 18.

(٣) نجيب توفيق ، عبدالله النديم ، ص ٢٥ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد ... فهذه صورة الظروف العامة ، التي قدّر لطه حسين أن يصادفها في أثناء ميلاده ، وفي نشأته .

أما مدى تأثيرها في حياته الخاصة ، وفي تكوين شخصيته العامة ، ومدى تفاعله وهذه الظروف ، فيمكن أن نلحظ شيئا من هذا كله ، حين نحاول أن نتعرّف بعض الملامح المميزة لشخصيته النقدية ، ونحن إذ نقصد الى هذا ، فليس الهدف أن نعرض لقصة حياته ، فقد فعل ذلك دارسون كثار ، وفي مقدمتهم طه حسين نفسه . وانما الهدف هو أن نتلمس أهم المؤثرات في تكوين هذه الشخصية ، وأن نتتبع الميول النقدية الأولى لديها منذ بدايتها ، وأن نتبيّن السمات الأساسية فيها ، وهي مازالت في طور التكوين .

شخصيته النقدية وطفولته الأولى

في قرية من قرى الصعيد ، تدعى (كيلو مغاغة) ، ووسط أسرة كثيرة العدد ، ولد طه حسين ، وذلك في عام ١٨٨٩ ، فكان " ... سابع ثلاثة عشر من أبناء أبيه ، وخامس أحد عشر من أشقته "[١] .

وفي بداية طفولته الأولى وقع له حدث جَلَل ، كان له أثر أيّ أثر في حياته ، وفي تفكيره وأدبه ، وفي خياله وأسلوبه ، وفي ذوقه ونقده ، ذلك أنه " ... أصابه الرمد ، فأهمل أياما ، ثم دعي الحلاق ، فعالجه علاجا ذهب بعينيه "[٢] .

* * *

وقد رُزق هذا الطفل ذكاء الفؤاد ، وقوة الذهن ونشاطه ، وآية ذلك أنه أظهر محبة للعلم ، وميلا الى الاستطلاع ، منذ أن بدأ يدرج ، فقد " ... كان من أول أمره طلعة ، لا يحفل بما يلقى من الأمر ، في سبيل أن يستكشف ما لا يعلم ، وكان ذلك يكلّفه كثيرا من الألم والعناء "[٣] .

وفضلا عن كون هذا الطفل الصغير طلعة ، فقد كان طفلا متأمّلا ، يقتنص من يومه وقتا بعينه ، يخلو فيه الى نفسه ، ثم يغرق في تفكير عميق ، " ... يذكر أنه كان يحب الخروج من

---

(١) طه حسين ، " الأيام " ص ١٧ ، ج ١ ، دار المعارف ـ القاهرة . (د.ت) .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٠ ، ج ١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٩ ، ج ١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الـدار ، إذا غربت الشـمس ، وتعشـى الناس ، فيعتمـد على قصب السـياج ... مفـكرا ، مغرقـا في التفـكير "[١] .

وكان هذا الطفل قد أخذ يكلف بلون من الأدب الشعبي ، صادفه شائعا في بيئته ، ويقـف كل يوم هذه الوقفة المتأملة ، ريثما يتاح له سماعه ، فهو يظل " ... مغرقا في التفكير ، حـتى يرده الى ماحوله صوت الشاعر ، قد جلس على مسافة من شماله ، والتف حوله الناس ، وأخـذ ينشدهم في نغمة عذبة ، غريبة ، أخبار أبي زيد ، وخليفة ، ودياب "[٢] .

وكان الاستماع الى الشاعر يستأثر بإحساسه كله ، حتى إنه ليذهله عن وقت نومه ، ويضطـر أهله الى أن يسعوا اليه سعيا ، ليعيدوه الى البيت ، فكانت أخته " تشده من ثوبه ، فيمتنـع عليها ، فتحمله بين ذراعيهـا ، كأنه الثمامـة ، وتعدو به الى حيث تنيمه على الأرض ، وتضـع رأسه على فخـذ أمـه "[٣] .

ولكنّ هذا الطفل الطلعة ، المتأمل ، المحب للشعر وانشاده ، لم يكن مع ذلك ييأس مـن امكانية أن يبلغه صوت الشاعر ، وهاهو ذا في مكان نومه " ... وانه ليمدّ سمعه مدّا ، يكـاد يخترق به الحائط ، لعله يستطيع أن يصله بهذه النغمات الحلوة ، التي يرددها الشـاعر ، فـي الهواء الطلق تحت السماء ، ثم يأخذه النوم "[٤] .

ولكن الطفل كان يستيقظ في الفجر ، وكان أوّل مايفعله حين يفيق هو أن " ... يتحـدث الى نفسه بصوت عال ، ويتغنى بما حفظ من نشيد الشاعر "[٥] .

وأما نهاره فقد كان أجمل ساعات فيه هي التي يقضيها " على شاطئ القناة ، سـعيدا ، مبتهجا بما سمع من نغمات " حسن " الشاعر "[٦] .

وفضلا عن ميل الطفل الطبيعي الى الأدب ، فقد كان للآفة التي أصيب بها مبكرا دورها الفعّال في توجيهه اليه ، وثمة حادثة بعينها ، وقعت له بسبب هذه الآفة ، تنهض دليلا قويا على مانقـول .

---

(١) طه حسين ، " الأيام " ، ص ٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٥ ، ج ١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٦ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٩ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بينما هذا الطفل المكفوف يأكل ذات يوم مع أفراد أسرته ، خطر له خاطر غريب : " ... ما الذي يقع لو أنّه أخذ اللقمة بكلتا يديه ، بدل أن يأخذها كعادته بيد واحدة ؟ وما الذي يمنعه من هذه التجربة ؟ لا شيء "[١] . وهكذا فقد أقدم على تنفيذ ماخطر له ، و " أخذ اللقمة بكلتا يديه ، وغمسها في الطبق المشترك ، ثم رفعها الى فمه "[٢] . وأكبر الظن أنه لم يكن يقدّر أن عمله مستهجن ، ولم يكن يتوقع أنه سيثير مواقف متباينة في الأسرة ؛ ولذا فقد فوجئ بهذه المواقف . " ... أما إخوته فأغرقوا في الضحك ، وأما أمه فأجهشت بالبكاء ، ... وأما أبوه فقال في صوت هادئ حزين : ماهكذا تؤخذ اللقمة يابني ... " [٣] .

ومهما تكن هذه الردود على الخاطر الصبياني ، فما كان لها أن تؤثر تأثيرا كبيرا في نفس طفل عادي ، ولكن تأثيرها في هذا الطفل كان شيئا لافتا حقا ، فقد أظهرت الهفوة وما أثارته من ردود هيّنة ، أن شخصية الطفل مرهفة جدا بإزاء نقده حتى إنه شعر شعورا عميقا بأنه ارتكب خطأ جسيما ، إذ عرّض نفسه لضحك إخوته ، ولإشفاق والديه ، وقد بلغ به ألم التأثر حدّا أزعجه عن النوم ، وجعله يأرق ، فلا " ... يعرف كيف قضى ليلته "[٤] .

والحق أننا يمكن أن نعدّ الحادثة الصغيرة ، وما أثارته من ردود هيّنة ، أول تجربة نقدية تمر بها شخصية الطفل ، ذلك أن طه حسين يعترف لنا ، بأنه كان لها الأثر الخطير في توجيه شخصيته وتقويمها ، من الناحيتين : السلوكية ، والأدبية النقدية .

أما من الناحية السلوكية فقد تأثر الطفل لنقد أسرته إياه ، ولذا فإنه بعد الحادثة ، قد أخذ يجتهد في ألاّ يسلك سلوكا يعرّضه لنقد مشابه ، وقد نجم عن هذا أن " ... تقيّدت حركاته بشيء من الرزانة ، والإشفاق والحياء ، لا حدّ لها "[٥] ، حتى إنه " من ذلك الوقت ، عرف لنفسه إرادة قوية ، ومن ذلك الوقت حرّم على نفسه ألوانا من الطعام ، لم تتح له إلاّ بعد أن جاوز الخامسة والعشرين "[٦] .

وينبغي ألاّ ندهش ، حين نعرض لنقد طه حسين الأدبي ، فنلحظ مدى تشدّده فيه ، ونظرته الجادة اليه ، فالسر يعود الى تكوّن شخصيته في هذا الطور ، وطه حسين يلفتنا إلى أن :

---

(١) طه حسين ، " الأيام " ص ١٩ ، ج ١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٩ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٩ ـ ٢٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٠ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠ ، ج ١ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" ... هذه الحادثة (النقدية) أخذته بألوان من الشدّة في حياته ، جعلته مضرب المثل في الأسرة ، وبين الذين عرفوه ، حين تجاوز الأسرة ، الى الحياة الاجتماعية "(١) .

واذن فهذا التشدّد في السلوك مصدره في الأصل الحذر من النقد ، الذي يعرّضه للإشفاق والإحراج .

وأما من الناحية الأدبية فقد كان للحادثة أثرها البالغ في شخصيته ، ذلك أنه بعدها ، " ... حرّم على نفسه من ألوان اللعب والعبث كل شيء ، إلّا ما لا يكلفه عناء ، ولا يعرّضه للضحك والإشفاق "(٢) .

واضطراره الى الانصراف عن لعب الأطفال وعبثهم ، قد وجّهه توجيها نحو الأدب الشائع في البيئة ، وكانت وسيلته الوحيدة للتحصيل هي حاسة السمع ، وطه حسين صريح في ذكر ما ذهب اليه ، يقول : " ... وانصرافه هذا عن العبث ، حبّب اليه لونا من ألوان اللهو ، هو الاستماع الى القصص ، والأحاديث ، فكان أحب شيء اليه أن يسمع إنشاد الشاعر ، أو حديث الرجال الى أبيه ، والنساء الى أمه ، ومن هنا تعلّم حسن الاستماع "(٣) .

واذا كان الطفل مرهف الحس ، رقيق الشعور ، فمن الطبيعي أن يلفته الغناء ، وأن يؤثّر فيه بقسميه المرح والحزين ، ولذا فقد كان " ... أسعد الناس بالاستماع الى أخواته وهن يتغنين ، وأمه وهي تعدّد ... "(٤) .

على أن هذا الطفل الطلعة ، المتأمل ، كان في سنّه الصغيرة يبحث في الغناء عن المعنى المؤثر ، أو كان لا يعجبه الغناء الّا إذا كانت له دلالته العميقة ، ولذا فقد " ... كان غناء أخواته يغيظه ، ولا يترك في نفسه أثرا ، لأنه كان يجده سخيفا لا يدل على شيء ، في حين كان تعديد أمه ، يهزه هزا عنيفا ، وكثيرا ماكان يبكيه "(٥) .

واذن ينبغي ألّا نعجب ، حين يكبر هذا الطفل ، ويصبح ناقدا ، وإذا هو يعني في نقده

---

(١) طه حسين ، " الأيام " ، ص ٢٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٤ ، ج ١ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأدبي بصحة المعنى واستقامته[١]، وإذا هو يؤثر أصحاب المعاني من الشعراء، من أمثال : أبي العلاء المعري وأبي تمام[٢] . فها هو ذا في طور الطفولة، يزاول عملية التذوق والنقد في أبسط صورها، إذ يفضل تعديد أمه، لأنّ له دلالة، على غناء أخواته، لأنه سخيف لا يدل على شيء . ويُلاحَظ أن الحكم النقدي يتبدّى من خلال مشاعر الطفل المرهف، أما غناء الأخوات فهو يغيظه إغاظة، لسخافته، وأما تعديد الأم فيهزه هزا عنيفا، وقد يبكيه، لأنه يجد فيه معاني مؤثرة، واذن فهو يتفاعل وما يسمع من غناء أو شعر، يتذوقه، ويتأثر به، ويكوّن لنفسه مواقف متباينة بإزائه، تتراوح بين مواقف الغيظ ومواقف الرضا .

ولم يكن الأدب وحده هو الذي شغف به الطفل، وإنما شغف بكل ثقافة يمكن تحصيلها من خلال الاستماع، كان يصغي الى مايسمع من أوراد، وما هي إلاّ أن حفظ " الأوراد التي كان يتلوها جدّه، الشيخ الضرير، إذا أصبح أو أمسى "[٣] .

كذلك كان يصغي في مجلس أبيه الى " قصص الغزوات، والفتوح، وأخبار عنترة، والظاهر بيبرس، وأخبار الأنبياء، والنساك، والصالحين، وكتب في الوعظ والسنن "[٤] .

أثر والده في شخصيته :

وحين نأتي على ذكر الوالد، نأتي إلى مؤثر بالغ الأهمية في شخصية الطفل، لأنه أسهم إسهاما فعالا في توجيهها وتكوينها ، ذلك أن والد الطفل كان يؤمن إيمانا عميقا بقيمة العلم، وأهميته القصوى، ومن آيات ذلك أنه " كان له أبناء كثيرون، وكان يحرص على تعليمهم وتهذيبهم، وكان فقيرا، لا يستطيع أن يؤدي نفقات ذلك التعليم وكان يستدين من حين الى حين، ويثقل عليه أداء الدين "[٥] .

وقد اكتشف الطفل الطّلعة أن والده يزجي فراغه مع أصحابه، بالاستماع الى ألوان من القصص الدينية والشعبية، وذلك بعد أن يصلوا العصر ، وما أسرع أن شغف بهذا القصص، وأخذ يتتبّع مجالس أبيه وأصحابه خلسة، دون أن يتنبهوا، " ... كان صاحبنا يقعد منهم

---

(١) انظر حديث الأربعاء، ص ١٩٧، الجزء الثالث .

(٢) انظر كتاب طه حسين " من حديث الشعر والنثر " ص ١٠٦، حيث يعدّ أبا تمام وأبا العلاء والمتنبي عنوان النبوغ الأدبي في الشعر، ويثني على مقدرة أبي تمام في استقصاء المعاني . (الطبعة العاشرة، دار المعارف - القاهرة - ١٩٦٩) .

(٣) طه حسين، " الأيام " ، ص ٢٦، ج ١ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٠٥، ج ١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مزجر الكلب ، وهم عنه غافلون ، ولكنه لم يكن غافلا عما يسمع ، بل لم يكن غافلا عمّا يتركه هذا القصص في نفوس السامعين من الأثر "[١] .

كما اكتشف أنّ والده وأصحابه كانوا يجلسون جلسة أخرى بعد المساء ، فأخذ يثابر على حضورها ، وهكذا كانوا " ... إذا صلوا العشاء اجتمعوا ، فتحدثوا طرفا من الليل ، وأقبل الشاعر فأخذ ينشدهم أخبار الهلاليين والزناتيين ، وصاحبنا (الطفل) جالس يسمع في أول الليل ، كما كان يسمع في آخر النهار "[٢] .

* * *

وتتجلى محبة الأب للعلم ، ويظهر مدى وعيه ، وبعد نظره ، حين نراه يحرص على تعليم ابنه المكفوف ، وأغلب الظن أن الطفل لو ولد لأب آخر ، لم يكن على قدر من الوعي ، لاستيأس من تعليمه ، بسبب آفته ، ولكن والد الطفل أصرّ على تعليمه إصرارا ، وإذا كان الكتّاب بعيدا ، ولا يقوى الطفل الصغير على المشي اليه ، فليحمله إذن أحد إخوته حملا . " ... يذكر أوقاتا كان يذهب فيها الى الكتاب محمولا على كتف أحد إخوته ، لأن الكتاب كان بعيدا ، ولأنه كان أضعف من أن يقطع ماشيا تلك المسافة ، ثم لا يذكر متى بدأ يسعى الى الكتّاب "[٣] .

وحين دخل الطفل الكتّاب ، لم يكن والده يهمل متابعته ، من الناحية التعليمية ، بل كان يختبره بين حين وآخر ، وقد حدث هذا أول الأمر مصادفة ، بعد أن أحفظه الفقيه القرآن ، في سن التاسعة ، فقد اتفق أن عاد ذات يوم من الكتاب الى البيت ، فوجد صديقين في زيارة أبيه ، فدعاه أبوه إليه مترفقا ، وطلب منه أن يسمعهم سورا من القرآن الكريم ، ولكن الاختبار كان قاسيا على نفس الطفل ، لأن الفقيه بعد أن أحفظه القرآن ، أهمله ، فأخذ ينسى القرآن شيئا فشيئا . وكانت نتيجة الاختبار أن والده ، الذى كان يريد أن يفتخر به أمام صاحبيه ، قد قال له في هدوء : " ... قم ، فقد كنت أحسب أنك حفظت القرآن ، فقام خجلا ، يتصبّب عرقا ، وأخذ الرجلان يعتذران عنه بالخجل ، وصغر السن "[٤] .

ويُلاحَظ أن الطفل المرهف قد صدمه الامتحان المفاجئ ونتيجته ، ومع أن والده لم يعنّفه بكلمة ، فإنه " مضى لا يدري : أيلوم نفسه ، لأنه نسي القرآن ، أم يلوم سيدنا (الفقيه) ، لأنه أهمله ، أم يلوم أباه ، لأنه امتحنه "[٥] .

---

(١) طه حسين ، " الأيام " ص ٢٥ ، ج ١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٢ ، ج ١ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٤١ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبات مساء ذلك اليوم عنده شرّ مساء ، حتى إنه أبى أن يظهر على مائدة الطعام ، على الرغم من دعوة أمه ، وأصرّ على أن ينام ليلته دون عشاء .

ويبدو أن الامتحان ، الذى جاء عَرَضا ، قد نبّه الأب إلى إهمال ابنه في الكتّاب ، فكان أن طلب إلى الفقيه في حزم أن يعيد تحفيظه القرآن ، وأن يُعنى به عناية مستمرة ، ولم يرضَ ، حتى جاء اليه الفقيه ، ذات يوم ، ومعه الطفل ، فجعلا يمتحنانه معا . " ... وكان الامتحان عسيرا ، شاقا ، ولكن صاحبنا كان في هذا اليوم نجيبا بارعا ، لم يسأل عن شيء ، إلاّ أجاب في غير تردّد ، وقرأ في إسراع "[١].

وفضلا عن هذا ، فقد ظهر حسّه النقدي نتيجة لدقة ملاحظته ، ذلك أن الفقيه قد زعم لأبيه ، أن الطفل لم ينس القرآن في المرة الأولى ، وانما خجل ، ولما أجابه الأب بقوله : " هوّن عليك ، وما لك لا تقول : إنه نسي القرآن ، ثم أقرأته إياه مرة اخرى "[٢] ردّ عليه الفقيه بقوله : " أقسم بالله ثلاثا ، مانسيه ، ولا أقرأته ، وانما استمعت له القرآن ، فتلاه عليّ كالماء الجاري "[٣] .

وهنا نلحظ للمرة الثانية موقفا نقديا يقوم في نفس الطفل ، وان اختلف هذا الموقف في طبيعته عن موقفه الأول من غناء أخواته ، وتعديد أمه ، " ... كان صاحبنا (الطفل) يسمع الحوار (بين أبيه والفقيه) ، وكان مقتنعا أنّ أباه محق ، وأن سيدنا كاذب ، ولكنه لم يقل شيئا ، ولبث منتظرا الامتحان "[٤].

ثم إن والده بعد ذلك ، قد جعل يقصد الى امتحانه قصدا ، كلما رأى ذلك مناسبا ، وقد اتفق ذات يوم أن رآه يعود الى البيت حافيا ، فرابه الأمر ، وخطر له أن يمتحنه في حفظ القرآن ، فاذا هو قد نسيه كالسابق ، واذا الفقيه قد عاد الى إهماله مرة أخرى .

وهنا نلحظ مرة ثانية أن الوالد لم يكن يعمد الى أسلوب الشتم والتأنيب في تربية الطفل ، فحين تحقّق من أنه قد نسي القرآن ، وأضاع نعليه ، اكتفى بالقول له : " ... قم واجتهد في أن تنسى نعليك كل يوم ، فما أرى إلاّ أنك اضعتهما ، كما أضعت القرآن ، ولكنّ لي مع سيدك شأنا آخر ".[٥]

---

(١) د. طه حسين ، " الأيام " ، ص ٤٤ ، ج ١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٣.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٣ ـ ٤٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٤.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومع هذا ، فإنّ الطفل قد قرّر هذه المرة أن يعاقب نفسه عقابا خطيرا حقا ، له دلالته في مدى نقده لذاته ، واحساسه بالخطأ ، ذلك أنه ذهب الى حيث يوجد الساطور ، ثم تناوله بيمناه ، " ... وأهوى به الى قفاه ضربا ، ثم صاح ، وسقط الساطور من يده "[١].

وما هي إلاّ أن أسرعت أمه اليه ، وقد ملأها الفزع : " ... فإذا هو واقف يضطرب ، والدم يسيل من قفاه ، والساطور ملقى الى جانبه "[٢] . ولم يكتف الطفل بهذا العقاب ، وانما بقي ثلاثة أيام يتجنب مجلس أبيه ، ومائدة الأسرة ، حتى اضطر والده الى أن يحضر هو نفسه الى جانب الفرن ، حيث ينزوي ، كي يترضّاه ، " ... فما زال يكلمه في دعابة وعطف ، ورفق ، حتى أنس الصبي اليه وانطلق وجهه بعد عبوسه ، وأخذه أبوه بيده ، فأجلسه مكانه من المائدة ، وعني به أثناء الغداء عناية خاصة " [٣].

واذا كان الوالد قد ترفق بطفله ، فانه لم يترفق بالفقيه ، وانما صبّ جام غضبه عليه ، حتى اضطره الى أن يأتي الى البيت مساء ، ثم راح يقسم أغلظ الأيمان بأنه لم يهمل الطفل ، ولما رأى الوالد يصرّ على اتهامه ، لم يتردّد في القول : " ... امرأتي طالق ثلاثا ، ماكذبتك قط ، وما أنا بكاذب الآن ، واني لأسمع له القرآن في كل أسبوع "[٤] . ولكن الأب أصرّ على ألاّ يعود ابنه الى الكتاب ، وأن يلتمس له فقيها جديدا ، فانصرف الفقيه محزونا .

وأما الطفل ، الذى كان يسمع الحوار ، فقد نسي كَرْبه ، وانشغل عنه بنقد الفقيه بينه وبين نفسه ، لأنه لا يبالي في أيمانه بالكذب : " ... ظل صاحبنا في مكانه ، لا يفكر في القرآن ، ولا فيما كان ، وانما يفكر في مقدرة سيدنا على الكذب ، وفي هذا الطلاق المثلث ، الذى ألقاه كما يلقي سيجارته ، متى فرغ من تدخينها "[٥] .

وهنا يمكن أن نلحظ شيئين : **الأول** أن كذب الفقيه ، قد لفت الطفل للمرة الثانية ، مما يدل على أنه يتوقع من الآخرين الصدق ، لأنه نشأ عليه ، في كنف والدين متديّنين ، **وسنرى أنه حين يكبر ، ويصبح ناقدا ، سيظل يصر على الصدق في إعطاء الرأي ، وعلى قول الحقيقة في النقد ، حتى لو كان المنقود أقرب الناس اليه ، كأن يكون أستاذه أو تلميذه أو صديقه**[٦]. **كذلك**

---

(١) د. طه حسين ، " الأيام ، ص ٥٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٠.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٢.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٦١.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٦١ .
(٦) انظر حديث الأربعاء ، ص ١٣٦ ، ج ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان يطلب من الأديب الصدق مع النفس ، ويأخذ عليه التكلف والزيف[١]

وأما الأمر الثاني فهو أنّ هذا الطفل الذى لم يبلغ العاشرة بعد ، كان ذكيا ، دقيقا في ملاحظة الشخصية التي يقدّر له أن يختلط بها ؛ إذ كان يراقب سلوكها ، ويكوّن لنفسه رأيا خاصا فيها ، ويدرك طبيعة العلاقة التي تربطها بالآخرين[٢] ، فاستهجانه صدور الكذب من شيخه الفقيه ، ليس كل مايأخذه عليه في سره ، وانما يأخذ عليه مساوىء أخرى ، يحتبسها في صدره الصغير ، ولا يستطيع البوح بها ؛ خوفا منه لأنه في قبضته . ولكن حين التمس له أبوه فقيها آخر ، يأتيه الى البيت ، ووعده بأنه سيرسله الى الأزهر ، ليكمل تعليمه مثل أخيه ، ووجد من أصحابه مَن يعلّمه تجويد القرآن[٣] ، هناك شعر الطفل بالحرية والبهجة ؛ إذ " ... خيل اليه أن الأمر قد أنبتّ بينه وبين الكتّاب ، ومن فيه ، فلن يعود اليه ، ولن يرى الفقيه ، ولا العريف "[٤] .

وهناك انطلقت شخصيته النقدية الحبيسة في سرّه من عقالها ، بعد أن زال الخوف والحذر ، وإذا بنا نجده قد " **... أطلق لسانه في الرجلين (الفقيه والعريف) إطلاقا شنيعا ، وأخذ يظهر من عيوبهما ، وسيئاتهما ماكان يخفيه** "[٥] .

ولم يقتصر الأمر على هذا ، وإنما أخذ أيضا " **يلعنهما أمام الصبيان ، ويصفهما بالكذب ، والسرقة ، والطمع ، ويتحدث عنهما بأشياء منكرة ، كان يجد في التحدث بها شفاء لنفسه ، ولذة لهؤلاء الصبيان** "[٦]

أما لماذا كان الحديث شفاء لنفس الطفل ، ولذة لأترابه ، فلأنه كان بَوحا بالحقيقة ، ومجاهرة بواقع الحال في الكتّاب ، فعريف الكتّاب لم يكن أقل سوءا من فقيهه ، وحسب

---

(١) انظر : حديث الأربعاء ، ص ١٢٧ ، جـ ٣ ، حيث يتهم الرافعي بالكذب في " رسائل الأحزان " قائلا : " أعترف بأني عاجز عن أن آتي بكتاب ككتاب الرافعي أو بفصل كفصول الرافعي ، لأن الله لم يرد أن أكون غامضا غموض الرافعي ، ولا كاذبا على نفسي ، وعلى الناس كذب الرافعي " .

(٢) د. طه حسين ، " الأيام " ، ص ٤٩ ، جـ ١ ، حيث يصوّر طبيعة العلاقة المعقدة بين الفقيه والعريف في الكتاب .

(٣) الأيام ، ص ١١٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٦٣ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطفل - كي يطلق لسانه فيه - أنه كان يبتزّه ، ويسلبه " هذا القرش الذي كان يعطيه إياه أبوه من حين الى حين "(١) ، ويضطره الى أن يدفع اليه " ... ماكان يملأ جيبه من خبز أو فطير أو تمر "(٢) .

ولكن شخصيته النقدية ، التي وجدت أخيرا متنفسا للظهور ، مالبثت أن اضطرت الى الاستخفاء ثانية ، ذلك أن الفقيه تمكن في النهاية من أن يترضى الوالد ، وإذا به يعيده الى الكتّاب من جديد ، وهنا اكتشف أن أترابه " كانوا ينقلون الى الفقيه والعريف كلّ مايسمعون "(٣) ، واذا بنقده لهما قد أمضّهما حقا ، واذا بهما يلومانه عليه لوما شديدا ، لم يكن يتوقعه : " ... للّه أوقات الغداء ، طوال هذا الاسبوع ، وما كان سيدنا ينال به الصبي من لوم ، وما كان العريف يعيد عليه من ألفاظه ، تلك التي كان يطلق بها لسانه ، مقدّرا أنه لن يرى الرجلين "(٤) .

وقد بلغ من اهتمام الفقيه لنقد الطفل أنه حدّث أمه وإخوته بأمره ، فاستهجنوه منه ، واستطرفوه أيضا ، " فهذه أمه تضحك منه ، وتغري به سيدنا ، حين أقبل يتحدث اليها بما نقل اليه الصبيان ، وهؤلاء إخوته يشمتون به ، ويعيدون عليه مقالة سيدنا من حين الى حين "(٥) .

عادت شخصية الطفل النقدية الى الاختفاء ، لأنه قد تعلّم من التجربة التي مرّ بها : " الاحتياط في اللفظ ، وتعلم أن من الخطل ، والحمق ، الاطمئنان الى وعيد الرجال "(٦) .

ولكنّ نزعة النقد في هذه الشخصية لم تمت أو تتراجع ، وانما قويت ونمت ، ذلك أن النقد عادّ لا يقتصر على تناول الفقيه والعريف فحسب ، وانما عاد ليشمل الأتراب ، والوالد نفسه .

أما الأتراب فقد أخذ عليهم في سرّه أنهم غير صادقين ، وأنهم مفسدون ، مخادعون : " ... هؤلاء الصبيان يتحدثون اليه ، فيشتمون له الفقيه ، والعريف ، ويغرونه بشتمهما ، حتى إذا ظفروا منه بذلك ، تقربوا الى الرجلين ، وابتغوا به الوسيلة "(٧) .

---

(١) د. طه حسين ، " الأيام " ، ص ٥٢ ، ج ١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٥ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٦٦ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٦٥ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٦٥ - ٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما والده ، الذى أنشأه على الصدق والمثل ، فقد أحسّ الطفل لأول مرة ، أنه لايصدق في قوله أحيانا ، أليس هو الذي ورّطه في المجاهرة بنقد الفقيه والعريف ، لأنه صدّق كلامه أنه لن يعود الى الكتّاب ؟ ولنلحظ الحدة في إحساس الطفل النقدي ، إذ يسوّي بين والده الذي يحبه ، وبين الفقيه ، الذي يكرهه ، في عدم التزامهما بصدق القول : " ... لم يكن الشيخ (الوالد) **قد أقسم لا يعود الصبي الى الكتّاب أبدا ، وهاهو ذا قد عاد ، وأيّ فرق بين الشيخ يقسم ويحنَثُ ، وبين سيدنا (الفقيه) يرسل الطلاق والأيمان إرسالا ، وهو يعلم أنه كاذب** "[١] .

إنه يتحرّق شوقا للذهاب الى الأزهر ، كي يتعلم فيه مثل أخيه ، ولكنّ والده يَعِده المرة تلو المرة ، دون أن يفي بالوعد ، وهو حين حفظ القرآن ، عُمِط الحق في أن يلبس العِمة والجبة والقفطان ، بحجة أنه صغير ، فشعر حينذاك أنه مظلوم ، " ... وأي ظلم أشد من أن يحال بينه وبين حقه في العمة والجبة والقفطان "[٢] .

... الصدق ... الصدق ، هو ماينشده الطفل من الناس ومن أبويه ، ولكنّ حسه النقدي يشعره " ... أن الحياة مملوءة بالظلم والكذب ، وأن الإنسان يظلمه حتى أبوه ، وأنّ الأبوّة والأمومة لا تعصم الأب والأم من الكذب والعبث والخداع "[٣] .

ولكنّ الوالد كان صادقا حين وعد الطفل بأنه سيرسله الى الأزهر ، وكان في الواقع يتحيّن الوقت المناسب لذلك ، وكان سبب التأجيل يرجع الى أنه " كان لا يزال صغيرا ، ولم يكن من اليسير إرساله الى القاهرة ، ولم يكن أخوه يحب أن يحتمله "[٤] .

وقد تحقّق الصبي من هذا الصدق أخيرا ، حين استدعاه أبوه ، في يوم من خريف سنة ١٩٠٢ ، وقال له : " ... **أما في هذه المرة ، فستذهب الى القاهرة مع أخيك ، وستصبح مجاورا ، وستجتهد في طلب العلم ، وأنا أرجو أن أعيش ، حتى أرى أخاك قاضيا ، وأراك من علماء الأزهر ، قد جلست الى أحد أعمدته ، ومن حولك حلقة واسعة بعيدة المدى** "[٥] .

* * *

---

(١) د. طه حسين ، " الأيام " ، ص ٦٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٨ ، ج ١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٨.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٧.
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نخلص مما تقدم الى أن الطفل في هذا الطور ، قد نشأ ذا احساس نقدي مرهف . فهو من جهة كان شديد التأثر حين كان أهله ينتقدونه لتصرف مستهجن ، ولذا فقد كان يتشدّد في محاسبة نفسه تشددا ، لا يكاد يصدّق أنه يصدر عمن هو في سنه ، فحين أخذ اللقمة بكلتا يديه ، وغمسها في الطبق المشترك ، وفوجئ بضحك إخوته ، وبإشفاق أبويه ، نجم عن تعرضه لهذا النقد ، أنْ حرّم على نفسه كل طعام يؤكل بالملاعق ، لأنه - بسبب آفته - " كان يعرف أنه لا يحسن اصطناع الملعقة ، وكان يكره أن يضحك إخوته ، أو تبكي أمه ، أو يعلّمه أبوه في هدوء حزين "(١) .

وقد ظل يفرض هذا التحريم على نفسه حتى جاوز العشرين من عمره ، وفضلا عن ذلك فقد هجر لعب الأطفال ، الذي يقوم على الحركة ، و " تقيدت حركاته بشيء من الرزانة والإشفاق والحياء لا حدّ له "(٢) .

وهو حين لامه أبوه لوما رفيقا ، لأنه نسي القرآن أوّل مرة ، أضرب ذلك المساء عن الطعام ، عقابا لنفسه ، وحين لامه على ذلك في المرة الثانية ، لم يتردّد في أن يعاقب نفسه عقابا بدنيا ، حتى أدمى الساطور جسمه . مع أنه في كلتا المرتين كان لا جريرة له ، لأن الفقيه والعريف كانا يهملانه في الكتّاب .

وهو من جهة أخرى كان دقيقا في ملاحظة الآخرين ، لا يتردد في نقدهم إذا لاحظ منهم ما يُستهجنُ من تصرف أو قول ، يجاهر بهذا النقد حينا ، ويخفيه في نفسه أكثر الأحيان ، وقد لاحظنا أنه في نقده للفقيه والعريف ، ولبعض أترابه ولأبيه ، كان يستهجن الكذب والغش والخداع والابتزاز ، ومعنى ذلك أن الطفل نشأ محبا للصدق والحق ، ميالا الى الإخلاص والإنصاف ، حتى غناء الأسرة وتعديدها فقد كان يهزه الصادق منه ، ويغيظه المتكلف ، وهذه الصفات التي أظهر الطفل الميل إليها في هذا الطور ، ستظل معه - وسنلحظ مدى أثرها في نقده الأدبي حينما يكبر .

أما أهم العوامل المؤثرة في تكوين شخصيته عامة ، فيمكن إرجاعها الى أربعة عوامل :

* **الأول : استعداده الطبيعي** ، وما رُزق من ميول وصفات أولية ، نحو : الحس المرهف ، ودقة الملاحظة ، وقوة الإرادة وحدة الذهن ونشاطه ، وحب الاستطلاع ، ومحبة الصدق والحق .

* **والثاني الآفة التي بُلي بها في أول نشأته** ، فقد رأينا كيف أدّت به الى هجر اللعب ، والاتجاه الى كل ثقافة يمكن ان تكتسب بالذهن ، من طريق حاسة السمع(٣) .

---

(١) د. طه حسين ، " الأيام " ، ص ٢٠ ، ج ١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* **والثالث البيئة الخاصة والعامة** ، أما البيئة الخاصة فهي أسرة الطفل ، وكانت تُعنى بالعلم والدين ، وأما البيئة العامة فهي بيئة الريف المصري في العقد الأخير من القرن الماضي ، وكانت تزخر بألوان من الثقافة الشعبية : أدبية ودينية ، وقد اتجه الطفل الى هذه الثقافة حتى نجم عن ذلك أنه " **... لم يبلغ التاسعة من عمره ، حتى كان قد وعى من الأغاني والتعديد ، والقصص ، وشعر الهلاليين والزناتيين ، والأوراد والأدعية ، وأناشيد الصوفيّة جملة صالحة ، وحفظ الى ذلك كله القرآن** "[١] .

* **وأما العامل الرابع فهو والد الطفل** ، وقد كان رجلا شغوفا بالعلم ، مصرّا على تعليم أولاده مهما يتراكم عليه من دَين ، وكان يقضي فراغه مع أصحابه في قراءة القصص الديني أو السير الشعبية [٢] . وقد تأثر الطفل دون ريب بتربية هذا الوالد ، وبمجالسه مع أصحابه .

وإذا كان الولد سرّ أبيه ، فيمكن القول : **إن طه حسين هو سر أبيه حقا ، ولولا أننا لا نملك الأدلة العلمية ، لرجحنا أن عامل الوراثة ، قد فعل فعلّه ، بين الأب وابنه ، من حيث العقل والمزاج** ، يساعدنا في قول هذا ، أن الوالد كان ذا ذكاء يلفت من يراه . تقول سوزان طه حسين تصفه وتصوّر انطباعها عنه ، إذ رأته أول مرة : "**كان يحب القراءة والحوار مع الوجهاء ، وكان يتميز بميزة طبيعية أدهشتني ، فقد كانت عيناه الزرقاوان تتألقان بدهاء محبّب ، ولم أدهش للاحترام الذي كان يلقاه في القرية** " [٣] .

ويساعدنا في قول هذا أيضا أن الطفل قد ورث عن أبيه الكثير من هيئته الجسمية ، يذكر الدكتور مؤنس أنّ أباه طه حسين " **يشبه الى حد كبير والده ، في قامته المديدة ، ووجهه القوي المعبّر** " [٤] .

وسنرى أن تأثير الوالد في الطفل ، سيظل قويا ، حتى بعد أن يترك بيئة الريف ، وينتقل الى بيئة القاهرة ، ليطلب العلم في الأزهر .

* * *

---

(١) د. طه حسين ، " الأيام " ، ص ٢٥.

(٢) المصدر نفسه : ٢٥.

(٣) سوزان طه حسين ، " معك " ، ص ٢١ ، ترجمة بدر الدين عرودكي ، ط ٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢.

(٤) كمال قلته ، " طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه " ، ص ١٧ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شـــخصيته النقديـــة في الأزهـــر

هاهو ذا الصبي في القاهرة ، حيث الأزهر الذي يتحرّق شوقا اليه ، وهاهي ذي نفســـــــه " ... تتفتح من جميع أنحائها ، وقلبه يتشوق من جميع أقطاره ، ليتلقى ... ليـــتلقى مـــاذا ؟ ليتلقى شيئا لم يكن يعرفه ، ولكنه كان يحبه ، ويدفع اليه دفعا ، طالما سمع اســـمه ، وأراد أن يعرف ماوراء هذا الاسم ، وهو العـــلم "(١) .

وهذا التعطش الشديد الى العلم ، لم يكن قد تولّد مصادفة في نفس الصبي ، وانما الســـرّ يعود فيه الى أبيه ، فقد أفلح منذ البداية في أن يجعل ابنه يستشعر في نفسه ظمـــأ دائمـــا الـــى المعرفة ، وطه حسين صريح في ذكره لهذا ، يقول مبيّنا السبب في هذا الظمأ : " ... كان قد ســـمع من أبيه الشيخ ، ومن أصحابه الذين كانوا يجالسونه من أهل العلم ، أن العلم بحر لا ساحل لـــه ، فلم يأخذ هذا الكلام على أنه تشبيه ، أو تجوّز ، وانما أخذه على أنه الحق كلّ الحق "(٢) .

وكانت النتيجة أنْ سيطر هذا الاعتقاد على نفسه ،حتى إنه ولّد فيها " شعورا غامضـــا ، ولكنه قوي ، بأن هذا العلم لا حدّ له ، وأن الناس قد ينفقون حياتهم كلها ، ولا يبلغون منـــه إلاّ أيســـره "(٣) .

ونحسب أنه كان لرسوخ هذا الاعتقاد في نفس الصبي الناشيء أثره الخطير في تصميمه على التحصيل العلمي ، ليس في هذا الطور فحسب ، وانما في أطوار حياته كلها ، ولا ريب أن دهشـــتنا تزول مما حصـــله طه حسين خلال حياته من معارف وشهادات ، على الرغم من آفته المعيقـــة ، حين نتأمل مدى رغبته في طلب العلم ، خلال هذا الطور من حياته ، فلننظر كيف يصـــور طـــه حسين ظمأه وهو غلام الى بحر العلم ، الذي حدّثه عنه أبوه وأصحابه : " ... أقبل الى القـــاهرة ، والى الأزهر ، يريد أن يلقي نفسه في هذا البحر ، فيشرب منه ماشاء الله له أن يشرب ، ... ثـــم يموت فيه غرقا ، وأيّ موت أحب الى الرجل النبيل من هذا الموت ، الذي يأتيه من العـــلم ويأتيـــه وهو غـــرِق في العـــلم "(٤) .

كان الغـــلام في هذا الطور يؤمن إيمانا قويـــا بأن أعظم نعيم في الحياة ، هـــو

---

(١) د. طه حسين ، " الأيام " ، ص ١٧ ، ج ٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نعيم جني المعرفة ، ولذا " ... كان يريد أن ينفق حياته كلها ، وأن يبلغ من هذا العلم أكثر مما يستطيع أن يبلغ ، مهما يكن في نفسه يسيرا "(١) .

بهذا الظمأ غير المحدود أقبل على حلقات الأزهر ، وها هو ذا في الثالثة عشرة ، يخفّ مَشُوقا الى هذه الحلقات ، فلننظر الى شخصه ، كما يصوره صاحبه بيراعه الواقعي ، ولنتأمل كيف يبدو وهو يسعى الى الأزهر " نحيفا ، شاحب اللون ، مهمل الزيّ ، أقرب الى الفقر منه الى الغنى ، تقتحمه العين اقتحاما في عباءته القذرة ، وطاقيته التي استحال بياضها الى سواد قاتم ، وفي هذا القميص الذي يبين من تحت عباءته ، وقد اتّخذ ألوانا مختلفة ، من كثرة ماسقط عليه من الطعام ، وفي نعليه الباليتين المرقعتين "(٢) .

ولكن على الرغم من هذه الهيئة البائسة ، والحال الرثة ، فلنلحظ أيضا كيف يمشي هذا الصبي المكفوف " ... واضح الجبين ، مبتسم الثغر ، مسرعا مع قائده الى الأزهر ، لا تختلف خطاه ، ولا يتردّد في مشيته ، ولا تظهر على وجهه هذه الظلمة ، التي تغشى عادة وجوه المكفوفين "(٣) .

وقد استطاع الصبي أن يمعن في الفقه والنحو والمنطق والبلاغة ، خلال مدة وجيزة ، وليس هذا غريبا على من له رغبته في طلب العلم ، وقد كانت هذه الرغبة الهائلة تتبدّى من خلال جلسته في حلقة الدرس ، فلننظر اليه كيف يجلس في صحن من صحون الأزهر " ... مصغيا كله الى الشيخ ، يلتهم كلامه التهاما ، مبتسما مع ذلك ، لا متألما ، ولا متبرما ، ولا مظهرا ميلا الى لهو ، على حين يلهو الصبيان من حوله ، أو يشرئبون الى اللهو "(٤) .

وقد تمكّن بفضل هذا أن ينال رضا بعض شيوخه ، مما دفع أخاه الكبير الى أن يفخر به أمام أصحابه الشباب ، والى أن يدعوه ، كي يظهر أمامهم مقدرته في "الفنقلة "(٥) ، حتى إذا فعل هذا على استحياء ، من خلال تقرير قول النحاة " وعلامة الفعل قد " ، قام اليه أكبرهم سنا ، وكان قد نيّف على الأربعين : " ... فقبّل جبهته ، وهو يقول : حصّنتك بالحي القيوم الذي

---

(١) د. طه حسين ، " الأيام " ، ص ١٧ ، ج ٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٨ ، ج ١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٩ ، ج ١ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٩ ، ج ١ .
(٥) الفَنْقَلَة كلمة منحوتة من : فن وقال ، أقول : كالحوقَلة ، والبسمَلة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا ينام، أما الجماعة فأغرقت في الضحك، وأما الصبي فأغرق في الرضا عن نفسه، وبدأ منذ ذلك الوقت، يعتقد أنه أصبح طالبا بارعا نجيبا "[١].

* * *

ولكن صبيّ الريف الظامئ الى بحر المعرفة، سرعان ما شعر بخيبة الأمل، و صُدم في أساتذته الشيوخ؛ ذلك أنه لم يجد عندهم بغيته، فقد جاء الى القاهرة، ونفسه تمتلئ بنظرة أهل الريف الى العلماء؛ ولذا كان يتصور الواحد منهم مَثَلا في غزارة العلم، وعمق الفهم، وسعة الأفق والصدر، بيد أنه " ... حاول أن يجد مَثَله في القاهرة أمام كبار العلماء، وجِلّة الشيوخ، فلم يوفّق "[٢].

ولكنّ عالما واحدا بعينه، سمع أخاه وأصحابه يطرونه، فأعجب بفكره النيّر، وتجديده الجريء، أيّما اعجاب، وهذا العالم هو الإمام الشيخ محمد عبده، وقد أخذ الصبي يتتبع أخباره في شغف شديد عن بُعد، على أن الشيخ ما لبث أن أبعد عن الأزهر، ثم مات بعد قليل. وحين لاحظ الغلام أن تلاميذ الشيخ لم يحتجوا عندما أبعده الخديوي عن الأزهر، انتقد موقفهم المتخاذل، وامتلأت نفسه " حزنا وغيظا، وساء ظنه بالطلاب، كما ساء ظنه بالشيوخ، ولم يكن مع ذلك قد عرف الأستاذ الإمام، أو قُدّم اليه "[٣].

ويبدو أنّ آراء الإمام محمد عبده، التي تنقد ما لحق بالدين الإسلامي الحنيف من خرافات وأباطيل عبر القرون، قد لاقت هوى في نفس الغلام، وساعدت فيما ساعد من عوامل أخرى على بروز شخصيته النقدية، وظهورها قوية جريئة هذه المرة، وقد بدا هذا جليا، حين عاد من القاهرة الى القرية أول مرة؛ ليقضي إجازته، فقد كان يأمل أن يُستقبل في حفاوة بالغة، وفي اهتمام ظاهر، من أهله وسكان البلدة، كما هو الشأن مع أخيه، ولكنه صُدم إذْ لاحظ الإهمال، وقلة الاكتراث القديمين، " ... فآذى ذلك غروره، وكان غروره شديدا "[٤] وقد دفعه هذا الى الثورة، والتمرد لأول مرة، ذلك أنه " احتمل من أهله القرية ما كان يحتمل قديما يوما، ويوما، وأياما، ولكنه لم يطق على ذلك صبرا، واذا هو ينبو على ما كان يألف، وينكر ما كان يعرف، ويتمرّد على من كان يظهر لهم الإذعان والخضوع "[٥].

---

(١) د. طه حسين، " الأيام "، ص ١٣، ج ٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ٨٠.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٦.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٢.
(٥) المصدر نفسه، ص ١٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظهور شخصيته النقدية وتشجيع والده :

وقد دفع هذا التمرد بشخصيته النقدية إلى الظهور على حقيقتها ، دون تحفظ أو وجل، وقد سنحت له الفرصة لإبراز هذه الشخصية ، حين زار فقيه الكتّاب البيت ، وسمعه يتحدث الى أمه ببعض الأحاديث في العلم والدين ، وببعض تمجيده لحفظة القرآن وحملة كتاب الله ، وهنا لم يتردّد الغلام في نقده ، " ... **فأنكر عليه حديثه ، وردّ عليه قوله ، ولم يتحرّج من أن يقول : هذا كلام فارغ** "[١] .

وقد فوجئ الفقيه بنقد الغلام ، وبما طرأ على شخصيته من جراءة " فغضب ... وشتمه ، وزعم أنه لم يتعلم في القاهرة إلاّ سوء الخلق ، وأنه أضاع في القاهرة تربيته الصالحة "[٢] .

كذلك فوجئت أمه هي الأخرى ؛ ولذا فإنها " ... غضبت ... وزجرته ، واعتذرت الى سيدنا "[٣] ، ولم تكتف بذلك ، وانما أخبرت والده بما حدث ، حين عاد ، فصلّى المغرب وجلس للعشاء ، ولكنّ الأب : " هزّ رأسه ، وضحك ضحكة سريعة في ازدراء للقمة كلها ، وشماتة " بسيدنا " ، فلم يكن يحب سيدنا ، ولا يعطف عليه "[٤] .

ولكنّ الغلام المتمرد لم يتوقف عند الفقيه في النقد ، وانما تمادى ، حتى **إنه لم يتورع عن نقد أبيه نفسه** ، وقد حدث هذا إذ سمعه يقرأ " **دلائل الخيرات** " ، كما كان يفعل قديما ، فما كان منه إلاّ أن رفع " **كتفيه ، ثم ضحك ، ثم قال : إن قراءة الدلائل عبث لا غناء فيه** "[٥] .

أما أخته الكبرى فزجرته ، وأما والده فقد انتظر ريثما يفرغ من قراءته ، ثم أقبل على ابنه ، وقال : " ... **ما أنت وذاك ؟ هذا ماتعلمته في الأزهر ؟** "[٦] .

وهنا ينبغي أن نلحظ طبيعة التطور الذي طرأ على شخصية الغلام النقدية ، من حيث الجرأة والقوة ، بعد ذهابه الى الأزهر ، والعيش مدة في بيئة القاهرة ، فهو لم يتراجع أمام أبيه خائفا ، وانما أظهر في جوابه حدّة : " ... **فغضب الصبي ، وقال لأبيه : نعم ، وتعلمت في**

---

(١) د. طه حسين ، " الأيام " ، ص ١٢٢ ، ج ٢.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٣.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٣.
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٢٣.
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأزهر أن كثيرا مما تقرؤه في هذا الكتاب حرام، يضرّ ولا ينفع، فما ينبغي أن يتوسل إنسان بالأنبياء، ولا بالأولياء، وما ينبغي أن يكون بين الله وبين الناس واسطة، وانما هذا لون من الوثنية "(١).

وهنا غضب الأب غضبا شديدا، ولكنه مع ذلك كظم غيظه، واحتفظ بابتسامته، ثم ألقى في وجه ابنه المتمرد، هذا المزاح القاسي: " ... اخرس قطع الله لسانك، لا تعدْ الى هذا الكلام، واني اقسم لئن فعلت، لأمكنّك في القرية، ولأقطعنّك عن الأزهر، ولأجعلنّك فقيها تقرأ القرآن في المآتم والبيوت " (٢).

على أن الأب لم يكن يعني مايقول حقا، فقد نسي بعد قليل ماحدث، ثمّ أقبل على الغلام في ودّ يسأله عن أخيه المتبقي في القاهرة، أما الغلام فلم يزده تهديد أبيه إلاّ " عنادا واصرار "(٣)، وآية ذلك أنه حين سأله والده عن أحوال أخيه مرة ثانية، ماذا يقرأ، وكيف ينفق وقته؟ ردّ عليه قائلا: " ... **في دهاء وخبث وكيد، إنه يزور قبور الأولياء، وينفق نهاره في قراءة دلائل الخيرات** "(٤).

وهنا ضجّت الأسرة كلها بالضحك، " وكان الشيخ نفسه أسرعهم الى الضحك، وأشدهم إغراقا فيه "(٥).

ها هي ذي نزعة النقد لدى الغلام، تفلح أخيرا في الظهور أمام الوالد والأسرة، ونحن إذْ نستعمل كلمة "**نقد**"، فليس التعبير من عندنا، وانما هو تعبير طه حسين نفسه، فهو يعدّ كلامه لأبيه نقدا، يقول مصورا صدى ذلك في الأسرة: " ... كذلك استحال " **نقد** " الصبي لابيه في قراءة الدلائل والأوراد موضوعا للهو الأسرة، وعبثها أعواما وأعواما "(٦).

وهو يكرّر التعبير نفسه مرتين في فقرة واحدة، إذ يصور موقف والده الحقيقي من نقده، يقول: " ... والظريف من هذا الأمر أن هذا " **النقد** " كان يحفظ الشيخ حقا، ويؤذيه في نفسه،

---

(١) د. طه حسين، " الأيام "، ص ١٢٣، ج ٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٤.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٤.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٥.
(٥) المصدر نفسه، ص ١٢٥.
(٦) المصدر نفسه، ص ١٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفيما ورث من عادة واعتقاد ، ولكن الشيخ على ذلك كان يدعو ابنه الى هذا " **النقد** " ، ويغريه به ، ويجد في هذا الألم لذة ومتاعا "[١] .

واذن فطه حسين يخبرنا أن والده كان يدعوه الى النقد ، ويغريه به ، حتى لو صادم معتقده الراسخ ، ومعنى هذا انّ للوالد دوره خلال هذا الطور ، في تشجيع الشخصية النقدية للغلام على الظهور .

واذا كانت بيئة الريف تعتقد في الأدعية والأوراد اعتقاد الوالد ، فقد حدّث الأب أصحابه بنقد الصبي ، ثم ما أسرع أن شاع أمر هذا النقد ، حتى اهتم به كبار القوم ، من أمثال : رئيس الفقهاء ، وقاضي المحكمة ، وبعض الشيوخ ، فكان أحدهم يسعى الى والده ، ويطلب منه أن يريه " ابنه ذلك الشاذ ، الغريب ، فيقبل الشيخ هادئا ، باسما ، حتى يدخل الدار ، فيرى ابنه آخذا في اللعب أو الحديث مع أخوته ، فيأخذ بيده في رفق ، ويقوده الى مجلسه "[٢] ، فيسلّم القادم على الصبي في رفق ، ولكن ما إنْ يتصل الحديث ، حتى يذهب الرفق ، ويقوم مقامه " ... **الحوار العنيف ، وكثيرا ماكان محاور الصبي ينصرف غاضبا ، متحرجا ، يستغفر الله من الذنب العظيم ، ويستعيذ به من الشيطان الرجيم** "[٣] .

وهكذا ما أسرع ماكان لنقد الصبي صداه الواسع في بيئته الريفية ، حتى ذاع ، وأشاع بعضهم " ... **أن هذا الصبي ضال مضل ، قد ذهب الى القاهرة فسمع مقالات الشيخ محمد عبده الضارّة ، وآراءه الفاسدة المفسدة ، ثم عاد بها الى المدينة ، ليضلّ الناس** "[٤] .

وقد كانت هذه الإشاعة جديرة بأن تزعج الوالد ، وأن تخيفه على سمعة ابنه ، فتدفعه الى وأد نزعته النقدية ، لولا أنه كان هو ونفر من أصحابه يحبون الخصومات الأدبية والنقدية ويعجبون بها ، ولذا فقد كانوا " **يبتهجون لهذا الصراع ، الذي كانوا يشهدونه ، بين هذا الصبي الناشئ ، وهؤلاء الشيوخ الشيب ، وكان والد الصبي أشدهم غبطة وسرورا** "[٥] .

وعلى الرغم من أنّ الأب لم يقتنع بكلام ابنه ، ولم يتزعزع إيمانه قط بالأولياء والكرامات **فإنه كان يشجعه على محاورة الآخرين ، ذلك أنه كان يحب أن** " ... **يرى ابنه محاورا ،**

---

(١) د. طه حسين ، " الأيام " ، ص ١٢٥ ، ج ٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مخاصما ، ظاهرا على محاوريه ، ومخاصميه ، وكان يتعصب لابنه تعصبا شديدا " (١).

ويبدو أن الغلام قد استطاع أن يلفت بنقده بيئته إليه حقا ، حتى أصبح حديث النـــاس، مما أسعد أباه وأسخطه في الوقت نفسه ، ذلك أنه لاحظ أنهم قد أخذوا ينحلون الصبي كلا مـــا لم يقله ، فكان " ... يسمع ويحفظ ماكان الناس يتحدثون به ، ويخترعونه أحيانا ، من أمر هـــذا الصبي الغريب ، ثم يعود مع الظهر ، أو مع المساء ، فيعيد ذلك كله على زوجته ، راضيا حينـــا ، وساخطا حينا آخر "(٢).

وإذن فنحن لم نكن مغالين حين قلنا في السابق : إن طه حسين سرّ أبيه ؛ لأننا يمـــكن أن نقرّر في طمأنينة من خلال ماتقدم أن الوالد قد دفع بشخصية ابنه النقدية دفعا الى الظهور القوي .

ومن جهة أخرى فقد اكتشف الغلام عَرَضا ، أنه بنقده المثير قد "... انتقم لنفسه ، وخرج من عزلته ، وشغل الناس في القرية ، والمدينة بالحديث عنه ، والتفكير فيه " (٣).

وقد أدى هذا أيضا الى " تغير مكانه في الأسرة ، مكانه المعنوي ، إن صح هذا التعبير ، فلم يهمله أبوه ، ولم تعرض عنه أمه واخوته ، ولم تقم الصلة بينهم على الرحمة والإشفاق ، بل على شيء أكثر ، وآثر عنده من الرحمة والإشفاق "(٤).

ولا ريب أن هذا الاكتشاف كان مهما جدا للغلام ، الذي كان يؤلمه إهمال الآخرين له بسبب آفته ، وهنا قد نتساءل : هل اهتدى الصبي طه حسين في هذا الطور المبكر الى أنّ خير وســـيلة لتجنب إهمال الناس له ، واثارة اهتمامهم به ، هي التعرّض لهم بالنقد الجريء ؟؟ وهل هذا يفسّر لنـــا تعرّضه لشيوخ الأزهر بالنقد الحاد بعد قليل ، ثم إثارته أخيرا ضجة كبرى بكتابه " في الشـــعر الجاهلي " ، اهتزت لها مصر ، والشرق العربي كله ؟

إن كلام طه حسين السابق يوحي بأنه اهتدى حقا الى الطريقة الناجعة لتحقيق ذاتـــه ، ولِلَفْت الآخرين إليه ، وللتخلص من الإهمال الممضّ له ، وان إنسانا في مثل ذكائه لخليق بـــأن يفيد من اكتشافه المبكر ، في أطوار حياته التالية ، وسنلحظ أنه في دراساته الكبيرة كان يحرص على توفير عنصر الإثارة ، ومهما يكن الأمر ، فقد أزف موعد عودته الى الأزهر ، وها هو ذا أبـوه

---

(١) د. طه حسين ، " الأيام " ، ص ١٢٧ ، ج ٢.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٧.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٨.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يصطحبه الى المحطة ، ثم " ... يجلسه في القطار ، رفيقا به ، ثم يعطيه يده ، ليقبلها ، ثم ينصرف عنه ، وهو يسأل الله أن يفتح عليه "[١] .

نقده في حلقات الشيوخ :

حين خاب أمل الصبي في شيوخ الأزهر ، ولم يجد لديهم مثله المنشود ، أخذ ميله الى الأدب يعاوده ، ويبدو أن الذي ساعد في بعث هذا الميل هو أخوه ، إذ كان أيضا يميل الى الأدب ، و يُحضر بعض كتبه الى البيت ، ثم يقرأ على مسمع من الصبي ، ومن الكتب التي أحضرها : المعلقات السبع ، وشرح التبريزي لديوان الحماسة ، ومقامات الحريري ، وبديع الزمان ، ونهج البلاغة[٢] . ثم قدّر للصبي أن يحضر درس الأدب ، الذي كان يلقيه **الشيخ سيد بن علي المرصفي** ، فأحبه ، وكلف به ، ثم أخذ يواظب على حضوره[٣] .

على أن إقبال الغلام على درس الأدب " لم يصرفه عن علومه الأزهرية ، أول الأمر ، فقد كان يظن أنه يستطيع الملاءمة بين هذين اللونين من ألوان المعرفة "[٤] .

ولكنه حين أقبل على حلقات الأزهر هذه المرة ، بعد أن خاب أمله في الشيوخ من الناحية العلمية ، كانت شخصيته النقدية قد بدأت تبرز حقا ، وآية هذا أنه لم **يكن يتردّد في مجابهتهم بالنقد ، إذا ما لاحظ خطأ في العلم ، أو اضطرابا في الفهم ، أو لم يقتنع برأي ، حتى اشتهر بذلك بين الطلاب.**

ويلاحظ أن ردود الشيوخ على نقده كانت متباينة ، فقليل جدا منهم كان يتقبّل محاورته ، مقدّرا فيه ذكاءَه ، ودقة ملاحظته ، متوسّما فيه الخير من الناحية العلمية ، كأحد شيوخه في النحو ، فقد أقبل الصبي على حلقته ، ذات يوم ، بعد أن أتقن " الغَنْقَلَة " ، فأخذ ينقده ، ويجادله في أحد التقريرات النحوية ، وحين أتعبه نقدا وحوارا ، أمام التلاميذ ، " ... سكت الشيخ فجأة أثناء هذا الحوار ، ثم قال في صوت حلو ، لم ينسه صاحبنا قط ، ولم يذكره قط إلاّ ضحك منه ، ورقّ له ، - الله حكم بيني وبينك يوم القيامة ، قال ذلك في صوت يملؤه السأم والضجر ، ويملؤه العطف والحنان أيضا "[٥] .

---

(١) د. طه حسين ، " الأيام " ، ص ١٢٨ ، ج ٢ .
(٢) انظر المصدر نفسه ، ص ١٥٦ - ١٦٠.
(٣) انظر المصدر نفسه ، ص ١٦١.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٣.
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحين انتهى الدرس، وانفضّ الطلاب، وضع الشيخ " ... يده على كتف الصبي، وقال له في هدوء وحب : شد حيلك، ... الله يفتح عليك "[١]. فعاد الصبي الى البيت مسرورا بهذه الكلمات والدعوات، ولما أخبر أخاه، سُرّ وأخبر أصحابه.

ومن هذه الفئة القليلة، التي كانت تقابل نقد الغلام بسعة صدر، **الشيخ بخيت**، فقد كان الغلام ينقده، ويلحّ في ذلك، وقد حدث ذات مرة أن نقده، وراح يجادله، فطال الحوار " ... حتى تأخر الدرس عن إبانه، وتصايح الطلاب من جوانب المسجد الحسيني بالشيخ : أن حسبك فقد نفد الفول، فأجابهم الشيخ في غنائه الظريف : لا والله لا نقوم، حتى يقتنع هذا المجنون، ولم يكن بدّ للمجنون، من أن يقتنع، فقد كان هو أيضا حريصا على أن يدرك الفول قبل أن ينفد "[٢].

ولكن أكثر الشيوخ كان يضيق بنقده، ولا يتورع عن أن يزجره أمام التلاميذ زجرا، قد يدفعه الى ترك حلقته، إثْر ذلك، ومن هؤلاء شيخ البلاغة، جلس الغلام في حلقته ذات يوم، ثم مال الى مناقشته في بعض مايقول، ولكن الشيخ " ... ردّ عليه، فأفحمه، وألجمه، وملأ قلبه في وقت واحد غيظا، وازدراء وخجلا، قال الشيخ للغلام : دع عنك هذا يابنيّ، فإنك لا تحسنه، وانما تحسن هذه القشور التي تقبل عليها في الضحى، فأما اللباب فلم تخلق له، ولم يخلق لك "[٣]. وكان يقصد بالقشور دروس الأدب، فسقط الشيخ في نفس الغلام، وترك حلقته، **ثم أخذ ينقده علانية، ساخرا منه أمام التلاميذ.**

وانتقل الى حلقة أخرى في البلاغة، حتى إذا عرض شيخها للآية الكريمة " **ورضوان من الله أكبر** "، جعل يعلّل " تنكير الرضوان بكلام لم يعجب الغلام، ولم يقنعه، ولم يستطع الغلام أن يصبر على مايسمع، فأخذ يجادل الشيخ "[٤] وينقد تعليله لكن الشيخ لم يتح له أن يتم نقده، وانما قطع عليه كلامه، بقوله زاجرا " ... **اسكت يابني، فتح الله عليك، وغفر لك ووقانا شرّك، وشرّ أمثالك، اتق الله فينا، ولا تشاركنا في هذا الدرس، فتفسد علينا أمرنا**"[٥]. ثم عيّره كالسابق بدروس الأدب قائلا أيضا : " ... انصرف الى ما أنت فيه، من هذه القشور الضالة، المضلة، التي تقبل عليها في الضحى "[٦].

---

(١) د. طه حسين، " الأيام "، ص ١٣٠، ج ٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٠.
(٣) المصدر نفسه، ص ٧٧.
(٤) المصدر نفسه، ص ٧٩.
(٥) المصدر نفسه، ص ٧٩.
(٦) المصدر نفسه، ص ٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد كان الغلام يؤمن بالحرية العلمية في حلقة الدرس ، وبأن من حقه أن يقابس الشيخ الرأي، في مايبدو له من القول خطأ أو غير مقنع، ولكن بعض الشيوخ لم يكن يحتمل هذا ، فكان يزجره زجرا أعنف مما سبق بل كان لا يتورع عن شتمه ، ومثال ذلك ماحدث له مع شيخ من شيوخ النحو ، فبينما هو في حلقته ذات يوم ، راح الشيخ يفسّر قول تأبط شرا :

" فأبتُ الى فَهْمٍ ، وما كدتُ آئبًا وكمْ مثلِها فارقتُها وهي تَصفرُ "

فلما وصل الى قوله : " تصفر " قال : " ... إن العرب كانت إذا اشتدت على أحدهم أزمة أو محنة ، وضعوا أصابعهم في أفواههم ، ونفخوا فيها ، فكان لها صفير يُسمع "[١] .

وهنا اعترض الغلام كلام الشيخ قائلا : **" ... واذن فما مرجع الضمير في قوله " وهي تصفر ؟ وفي قوله : وكم مثلها فارقتها ؟ " . قال الشيخ : مرجعه " فَهْم " أيّها الغبي "**[٢]، ولكن الغلام لم يشأ أن يسكت ، على الرغم من الحدة القاسية في جواب الشيخ ، ولذا واصل نقده قائلا عن الضمير : **" ... فإنه قد عاد الى " فَهْم " ، والبيت لا يستقيم على هذا التفسير ، قال الشيخ : فإنك وقح ، وقد كان يكفي أن تكون غبيا ، قال الغلام : ولكن هذا لا يدل على مرجع الضمير ، فسكت الشيخ لحظة ، ثم قال : انصرفوا فلن استطيع أن اقرأ وفيكم هذا الوقح "**[٣].

ولعلنا لاحظنا أن شخصية الصبي قد بدت في الحوار قوية جريئة ، فقد ردّ على شتيمة الشيخ في لباقة ، وأخذ عليه من طرف خفي جنوحه الى أسلوب حاد فيه عن سبيل العلم ، وأدب الحوار ، ليغطي خطأه ، وعجزه عن الإجابة .

وتبدو شخصية طه حسين في هذا الطور من حياته أكثر وضوحا وجراءة ، حين كان يضيق أحد الشيوخ بنقده ، فلا يتمالك نفسه من التعريض بآفته في أثناء الحوار ، فقد كان الغلام حينذاك لا يتردّد في أن يردّ عليه ردا منطقيا ، مفحما ، يمتلئ بالحدّة والسخط .

ومثال ذلك ماحدث له مع شيخ ، كان يجلّه ويحبه ، ولكن اتفق أن تكلم الشيخ ذات مرّة كلاما لم يعجب الفتى ، فلم يطق السكوت ، **وعرض له بالنقد ، " ... فلما طال الجدال ، غضب الشيخ ، وقال للفتى في حدة ساخرة : اسكت يا أعمى ، ما أنت وذاك ؟ "**[٤] . وهنا **" غضب الفتى ، وأجاب في حدة : إنّ طول اللسان ، لم يُثبت قط حقا ، ولم يمحُ باطلا .... فوجم الشيخ ، ووجم الطلاب لحظة ، ثم قال الشيخ لطلابه : انصرفوا اليوم فهذا يكفي "**[٥] .

---

(١) د. طه حسين ، " الأيام " ، ص ١٣٧ ، ج ٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا أخذت حلقات الأزهر تضيق بالفتى وبنقده ، الواحدة إثر الأخرى ، وهكذا أخذ زهده فيها يتحول الى يأس من الأزهر كله ، لولا درس الأدب الذى مازال يواظب على حضوره في الضحى، فقد قدّر له أن يصادف فيه الشيخ سيدًا المرصفيّ، وما كاد يتصل به ، حتى اكتشف فيه بغيته ، وضالته المنشودة ، فشغف بدرسه شغفا ، وأعجب به أيما إعجاب .

أثر الشيخ المرصفي :

أما الشيخ المرصفي فما أسرع مالمح أَمارات النبوغ في طالبه ، وقد لفته بقوة ذاكرته خاصة ، إذ إنه كان لا يسمع منه " كلمة إلّا حفظها ، ولا رأيا إلّا وعاه ، ولا تفسيرا إلّا قيّده في نفسه "[١]. وكان هذا من أسباب تميّز التلميذ في حلقة الأستاذ ، ذلك أنه " ... كثيرا ماكان يعرض البيت ، وفيه كلمة ، قد مضى تفسيرها ، أو إشارة الى قصة قد قصها الشيخ ، فيما قدّم من درسه ، فكان صاحبنا يعيد على الشيخ ماحفظ من قصصه وتفسيره ، وما قيد من آرائه وخواطره ونقده " [٢] .

وقد نجم عن هذا أن اصطفاه الشيخ المرصفي ، كما اصطفى اثنين آخرين من التلاميذ[٣]، وجعلهم من خاصته ، وأخذ يلتقيهم خارج الأزهر ، **واللافت أن التلاميذ الثلاثة كانوا يتفقون في نقدهم للأزهر وشيوخه ، و في ميلهم الى الأدب ، والإعجاب بالشيخ المرصفي .**

وقد تضاعف إعجابهم بالشيخ ، إذ اكتشفوا أنه في جلساته الخاصة ، **يعمد الى نقد الأزهر ، وشيوخه ، وسوء مناهجه ، وكان نقده مؤثرا في طلابه .** ويصف لنا طه حسين نقد الشيخ المرصفي ومدى تأثيره بقوله : **" ... كان نقده لاذعا ، وتشنيعه على أساتذته وزملائه أليما حقا ، ولكنه كان يجد من نفوس تلاميذه هوى ، وكان يؤثّر في نفس هذا الفتى خاصة ، أبلغ تأثير وأعمقه "**[٤] .

وقد قوّى نقد الشيخ المرصفي نزعة النقد لدى طلابه الثلاثة ، حتى كونوا عُصبة صغيرة ، اشتهرت في الأزهر كله ، إذ **" تسامع بها الطلاب والشيوخ ، وتسامعوا خاصة بنقدها للأزهر ، وثورتها على التقاليد ، وبما كانت تنظم من الشعر ، في هجاء الشيوخ والطلاب "**[٥] .

---

(١) د. طه حسين ، " الأيام " ص ١٦١ ، جـ ٢.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦١.

(٣) وهما : أحمد حسن الزيات ، الأديب المعروف ، ومحمود زناتي ، الذى حقّق كتاب (الفصول والغايات) لأبي العلاء المعري .

(٤) د. طه حسين ، " الأيام ، ص ١٦٢ ، جـ ٢.

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أخذت هذه العصبة تجاهر بنقدها دون تحفظ ، حتى غدت " بغيضة الى الأزهريين ، مهيبة منهم في وقت واحد "[١] ، مما جعل بعضهم يتربص بها الدوائر ، وقد اتفق ذات يوم أنّ كان الأصدقاء الثلاثة يقرأون في كتاب " **الكامل** " **للمبرد** ، واذا بهم يصلون الى عبارة في الكتاب تقول : " ... ومما كفّرت الفقهاء به الحجاج قوله ، والناس يطوفون بقبر النبي ، ومنبره ، إنما يطوفون برمة وأعواد " ، **وهنا أنكر الفتى طه حسين " ... أن يكون في كلام الحجاج مايكفي لتكفيره ، وقال : لقد أساء الحجاج أدبه ، وتعبيره ، ولكنه لم يكفر "**[٢] . فسمعه بعض الطلاب ، وتناقلوا قوله ، وأشاعوه ، واذا بشيخ الأزهر يستدعي الطلاب الثلاثة ذات يوم ، واذا هم يجدون من حوله أعضاء في مجلس الإدارة ، وهم من كبار العلماء ، واذا طلاب قد رفعوا شكوى ، يتهمون فيها الفتى وصاحبيه بالكفر ، لمقالتهم في الحجاج ، على حين أحضر طالب " أحمى على هؤلاء الفتية كثيرا جدا ، **مما كانوا يعيبون به الشيوخ ، ومما كانوا يعيبون به الشيخ بخيت ، والشيخ محمد حسنين ، والشيخ راضي والشيخ الرفاعي وكانوا جميعا حاضرين ، فسمعوا بآذانهم آراء هؤلاء الفتية فيهم "**[٣] .

والمدهش حقا أن الفتى وصاحبيه حين سُئلوا الرأي في ماسمعوا ، لم ينكروا شيئا ، ولذا فإن الشيخ " حسونة " شيخ الأزهر ، لم يحاول محاورتهم " ... وانما دعا اليه رضوان ، فأمره في شدة بمحو أسماء هؤلاء الطلاب الثلاثة من الأزهر ، لأنه لا يريد مثل هذا الكلام الفارغ "[٤] . فخرج الثلاثة وَجِلين ، وقد سقط في أيديهم ، لا يدرون كيف يواجهون أسرهم بالأمر .

أما صاحبا الفتى فأحدهما استسلم لقضاء الله ، واعتزل في أحد المساجد ، وأما الثاني فقد أخبر والده ، فأخذ يتشفّع لإرجاعه .

وأما الفتى فهو يدهشنا حقا بموقفه ، فهو لم يخشَ أباه أو أخاه في القضية ، وهو لم يعتزل ، أو يتشفع كصاحبيه ، وانما عمد الى عمل مهم ، هو دون ريب منعطف خطير في مسار حياته ، **فقد دفعته شخصيته النقدية النامية الى كتابة مقال نقدي لأول مرة ، هاجم فيه الأزهر وشيوخه في عنف** ، ثم لم يتردّد في أن يسعى الى " **الجريدة** " لنشره . ويصوّر لنا طه حسين موقفه المتميّز من موقفي زميليه في هذه اللحظات بقوله :

---

(١) د. طه حسين ، " الأيام " ، ص ١٦٤ ، ج ٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٦٩ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" ... لكن الفتى لم يكن يعرف رفقا ، ولا لينا ، فلم يسع الى أحد ، ولم يتوسل الى الشيخ بأحد ، وانما كتب مقالا عنيفا ، يهاجم فيه الأزهر كله ، وشيخ الأزهر خاصة ، ويطالب بحرية الرأي "(١) .

ويبدو أن الذي شجع الفتى على ذلك ، أنه كان يتابع الصحافة المصرية في هذا الطور ، وما يدور فيها ، وما تنعم به من حرية ، نستشفّ هذا من اختياره صحيفة " الجريدة " بعينها من بين الصحف الأخرى ، يقول مبينا الحافز على الكتابة واختيار الصحيفة : " ... وماذا يمنعه من ذلك ، وكانت " الجريدة " ، قد ظهرت وكان مديرها يدعو كل يوم الى حرية الرأي "(٢).

وحين سعى الفتى بمقاله الى الجريدة ، هناك التقى مديرها لطفي السيد لأول مرة ، فتلقاه لقاء حسنا في شيء من الإشفاق والعطف ، ولما قرأ مقاله العنيف ، " ... دفعه ضاحكا الى صديق له كان في مجلسه يومئذ ، فألقى الصديق نظرة على هذه المقالة ، ثم قال غاضبا : لو لم تكن قد عوقبت على ما جنيت من ذنب ، لكانت هذه المقالة وحدها كافية لعقابك "(٣) .

وهنا همّ الفتى أن يردّ على الرجل ، لولا أن لطفي السيد أخبره أنه حسن صبري ، مفتش العلوم الحديثة في الأزهر ، ثم قال له : " ... أتريد أن تشتم الشيخ ، وتعيب الأزهر ، أم تريد أن يرفع عنك العقاب ؟ قال الفتى : بل أريد أن يرفع عني هذا العقاب ، وأن استمتع بحقي من الحرية ، قال مدير الجريدة : فدع لي إذن هذه القصة ، وانصرف راشدا "(٤) .

وهنا ينبغي أن نلحظ أن الفتى لم يكن يسعى الى رفع العقاب عنه فحسب ، وانما الى الاستمتاع بحقه في الحرية الفكرية أيضا .

الى هذا المدى من الجرأة والقوة بلغت شخصية الفتى النقدية في هذا الطور ، ولا ريب أن السرّ في هذا الانطلاق والتطور الذي طرأ على هذه الشخصية يعود الى استعدادها أولا ، والى الاتصال بالشيخ سيد المرصفي ثانيا ، وطه حسين نفسه يخبرنا أن شخصيته في هذا الطور كانت "... شيّقة الى الحرية ، فحطّ الشيخ (المرصفي) ودروسه عنها القيود والأغلال "(٥) .

---

(١) د. طه حسين ، " الأيام " ، ص ١٧٢ ، ج ٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٧٢ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أثر لطفي السيد وعبدالعزيز جاويش :

ولا ريب أن ذهاب الفتى الى صحيفة " الجريدة " كان حدثا كبيرا في حياته ، إذ إنه نُقْلة مهمة فيها ، ومنعطف خطير في مسارهـا .

وهنا قد نتساءل مرة أخرى : أكان السبب المباشر وحده هو الذي دفع الفتى الى الذهاب ، أم أن ثمة دافعا آخر كان يكمن في أعماقه ؟؟

إننا نظن أن ثمة دافعا آخر كان وراء هذا الذهاب ، وهو أن شخصية الفتى في هذا الطور كانت قد بلغت قدرا من الثقافة والنمو ، جعلها تتشوّف الى الكتابة في الصحف ، وتتابع الحركة الأدبية من كثب ، نعتمد في هذا على طه حسين نفسه ، فهو يخبرنا أنه في هذا الطور كان **قد أخذ يحيا مع صاحبيه حياة الأدباء ، فكانوا ينفقون نهارهم في الاختلاف الى دار الكتب ، وفي قراءة الأدب القديم ، ونظم الشعر**[1] ، **كما كانوا يتتبعون ماتنشره الصحف ، من نثر وشعر ، وينقدونه فيما بينهم**[2] ، كذلك يساعدنا في هذا الظن أن الفتى لم ينقطع عن الجريدة بعد ذلك ، وانما راح يختلف إليها بين حين وآخر ، حتى بعد أن تبيّن له أن شيخ الأزهر لم يقم بفعله هو وزميليه حقا ، وانما قصد تخويفهم فحسب ، وقد نجح خلال هذه الحقبة في أن ينشر أول مقال له في الجريدة .

وقد كان فرح الفتى عظيما ، إذ تمكن من نشر مقاله ، حتى عدّ ذلك بداية لطور جديد في حياته ، يقول طه حسين مصوّرا ذلك : " ... **على أن صاحبنا الفتى لم يلبث ان شغل أو كاد يشغل عن صاحبيه بياض النهار ، فقد كان يخلص لحياته هذه الجديدة ، التي أخذ يحياها منذ قرأ لنفسه أول مقال نشرته له الصحف** "[3] .

ثم يصور مشاعره ورغبته في الكتابة بقوله : " **أرضاه ذلك عن نفسه ، وأطمعه في المزيد منه ، فجعل يكتب في الجريدة رغبة في الكتابة أحيانا ، وتقرّبا بها الى مدير الجريدة أحيانا أخرى** "[4] .

وأما لطفي السيد مدير الجريدة فلم يُخدع عن موهبة الفتى بحاله الرثة ، ولا ببصره المكفوف ، وانما استطاع بذكائه أن يلمح في كتابته الأولى بشائر النبوغ ، فما كان منه إلاّ أن

---

(١) انظر مذكرات طه حسين ، ص ٣٠ - ٣١ وما بعدها .
(٢) انظر المصدر نفسه ، ص ٢٩ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخذ بيده ، وراح يلقاه لقاء حسنا ، كلما اختلف الى الجريدة ، ويفتح له صدر جريدته لينشر فيها مقالاته وأشعاره . ثم منحه مودته بعد قليل ، فجعل " ... يقربه اليه ، ويدعوه الى زيارته ، حتى أصبح الفتى ملازما لمكتب المدير ، يلمّ به في أكثر أيام الأسبوع ، حين يرتفع الضحى ، فلا يحجب عنه ، وانما يلقاه الأستاذ المدير هاشّا له ، مرحبا به ، آخذا في التحدث إليه ، والاستماع منه "[١] .

وهكذا يمكننا القول : إن طه حسين قد بدأ حياته الكتابية حقا ، كما يمكننا أن نقرّر أن الفضل كل الفضل في هذه البداية لشخصيته النقدية ، فهي التي دفعته الى كتابة أول مقال ، ينقد به الأزهر وشيوخه ، وهي التي حفزته على الذهاب الى الجريدة لينشره .

ثم اتصل الفتى طه حسين بعبدالعزيز جاويش ، وكان واحدا من أقطاب الحزب الوطني ، والمشرف على بعض صحفه ، فأعجب به أيضا ، وأخذ يشجعه على الكتابة والنشر[٢] .

وقد لاحظنا في السابق أن طه حسين حين دخل الأزهر ، قد اعجب بشخصية الشيخ محمد عبده ، وبأسلوبه النقدي الديني ، حتى راح يردّد آراءه النقدية ، عندما قضى أول اجازة له بين أهله ، ثم اتصل بالشيخ سيد المرصفي وكان من الأوفياء للشيخ محمد عبده[٣] ، وقد رأينا كيف كان يؤثّر فيه حين كان ينقد الأزهر وشيوخه[٤] ، وها هو ذا يتصل **بالشيخ عبدالعزيز جاويش** ، وهو من تلاميذ الشيخ محمد عبده المخلصين ، وكان الشيخ جاويش عنيفا ، يزيّن للفتى " الجهر بخصومة الشيوخ ، والنعي عليهم في غير تحفظ ولا احتياط "[٥] ذلك أنه كان يعادي الأزهر وشيوخه ، ويرى أنهم " ... آفة الوطن ، يحولون بينه ، وبين التقدم ، بما كانوا يلجون فيه من محافظة ، ويعينون عليه الظالمين بمحالأتهم للخديو ، وبمصانعتهم للإنجليز "[٦] .

ولا ريب أن ذلك كله قد أثّر في شخصية الفتى النقدية ، خلال هذا الطور والأطوار اللاحقة من حياته ، حتى يمكننا القول : إن نقد طه حسين للأزهر وشيوخه ، كان يصدر عن مشاعر الغيرة ، والرغبة في الإصلاح ، وانه فيه تلميذ الشيخ محمد عبده ليس غير ، وها هو ذا الشيخ

---

(١) د. طه حسين ، مذكرات طه حسين ، ص ٣٥.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٥.
(٣) انظر الأيام ، ص ١٦٧ ، ج ٢.
(٤) انظر المصدر نفسه ، ص ١٦٢.
(٥) مذكرات طه حسين ، ص ٣٦.
(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عبدالعزيز جاويش يشجع الفتى على تناول الشيخ رشيد رضا بالنقد العنيف في مجلة " الهداية" ذلك أنه " ... كان يمقت من الشيخ مماألاته للخديو ، وانحرافه عن طريق الأستاذ الإمام "[1] .

وها هو ذا الفتى يندفع في مهاجمة الشيخ رشيد رضا ، ويجهر بنقده العنيف لوضع الأزهر وشيوخه ، وقد بلغ هذا منه الذروة في هذا الطور ، حين اتفق أن اجتمع بعض الشيوخ في فندق " سافوي " ، حول مائدة للعشاء ، بدعوة من الشيخ رضا ، فزعمت بعض الصحف المعادية حينذاك أن كؤوس الخمر قد دارت على بعض المدعوين ، دون أن يحتج الشيوخ على ذلك ، فاستغل خصوم الأزهر الخبر ، وأخذوا ينشرون المقالات الهجومية ، **وكان من أبرزها مقالة للفتى ، عمد فيها الى النقد العنيف ، فكان أطول الناقدين لسانا ، " ... واجرأهم قلما ، وأجرحهم لفظا "**[2] .

وقد ضمّن مقالته أبياتا من شعره النقدي ، فشاعت الأبيات ، وتناقلها خصوم الأزهر وأنصاره ، ولا ريب أن الأبيات تصور لنا أسلوب الفتى الشعري ، وتبين مدى حدّته في النقد والتعريض في هذا الطور ، ذلك أنه يقول في هذه الأبيات متهكما :

رَعى اللهُ المشايخَ إذْ توافَوا ... الى " سافويَ " في يومِ الخميسِ
واذْ شهدوا كؤوسَ الخمرِ صرفًا ... تدورُ بها السّقاةُ على الجلوسِ
رئيسَ المسلمينَ عداكَ ذمٌّ ... ألا للهِ درّكَ من رَئيسِ[3]

وقد أحفظت مقالة الفتى شيوخ الأزهر ، وجعلتهم ساخطين عليه ، ومن غريب الأمر حقا أن يعمد الفتى الى هذا النقد العنيف ، وأن يستعد في العام نفسه لامتحان الأزهر ، لينال درجة العالمية ، ولقد كان الامتحان هو الفرصة للانتقام من هذا الطالب المتمرد ، وعلى الرغم من أنه استعد للامتحان ، فأحسن الاستعداد ، وحفظ فأحسن الحفظ ، فإن شيخ الأزهر قد أمر بإسقاطه ، مهما تكن الظروف ، بل لقد أشرف بنفسه على هذا الإسقاط ، وكان شيخه المرصفي قد أخطره بذلك مقدّما ، ولكنه لم يتراجع[4] .

على أن الفتى لم يأسف كثيرا على إسقاطه ، ذلك أنه كان زاهدا في الأزهر ، ويتردّد على الجامعة المصرية التي انشئت عام ١٩٠٨ ، ولذا فقد قرّر ترك الأزهر والالتحاق بالجامعة ، " ... لم يأسَ إذن على انقطاع الصلة بينه وبين الأزهر ، وانما ملأ قلبه الحزن ، حين عرف سخط أبيه الشيخ ، وحزن أمه ، التي كان يختصها بالحب والبر والحنان "[5] .

---

(١) مذكرات طه حسين ، ص ٤٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .
(٤) انظر المصدر نفسه ، ص ٢٣ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شـــخصيته النقدية في الجـــامعة

رأينا أن انقطاع الصلة بين الفتى طه حسين وبين الأزهر كان بسبب نزعته النقديـــــة الحادة ، وطه حسين واضح في تقرير هذه الحقيقة ، إذ يقول : " ... **وطول اللسان هو الذي قطـــع الصلة قطعا حاسما بين صاحبنا وبين الأزهر** "(١) .

وحين التحق طه حسين بالجامعة المصرية القديمة ، وجد فيها بيئة علمية خصبة ، أعجـــب بها ، ورأى أنها " ... تتيح له علما يخلق نفسه خلقا جديدا ، لا يتصل بالنحو، ولا بالفقـــه، ولا بالمنطق ، ولا بالتوحيد ، وانما يذهب مذاهب مختلفة ، في الأدب ، وفي ألوان من التاريخ ، لم يقدّر أن سيعرفها في يوم من الأيام "(٢) .

وقد أعجب فيها بعديد من الأساتذة ، ولفتـــه منهم خاصة مستشرقون ، كانت الجامعـــة الناشئة ، قد أحضرتهم للتدريس فيها ، من أمثال : **كارلو نالليـنو** ، أستاذ الأدب ، **وســـنتلانا** ، أستاذ الفلسفة الإسلامية والترجمة ، **وميلوني** ، أستاذ التاريخ ، **وليتمان** أستاذ اللغات الساميـــة ، كذلك أعجب بأساتذة مصريين ، رأى أنهم لا يقلون في كفاءتهم عن المستشرقين ، من أمثـــــال : **اسماعيل رأفت ، وحفني ناصف ، ومحمد الخضري**(٣) ، ولهذا أقبل على الدروس في شغف ، وأخـــذ يبذل جهده في التحصيل ، مما أعانه على إظهار تفوقه في سرعة ، ولفت أساتذته اليه ، فإذا هـــم " ... كلهم قد آثره بالحب ، والرفق والعطف ، وكلهم قد أدناه من نفســـــه ، ودعـــــاه الى أن يـــزوره " (٤) .

كذلك أقرّ له أقرانه بالتفوق والتميّز ، حتى غدا لسانهم الناطق ، إذا دعا داع الى القاء كلمة ، أو احتاج الأمر الى طلب من أستاذ(٥) .

وهكذا - كما يقول سعيد العريان - : " **كان طه حســين في سنة ١٩٠٩ هو الطالـــــب المرموق في الجامعة المصريـــة** "(٦) .

---

(١) مذكرات طه حسين ، ص ٢٠.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٥.
(٣) انظر المصدر نفسه ، ص ٦٤ - ٦٨.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٧.
(٥) انظر المصدر نفسه ، ص ٦٩.
(٦) حياة الرافعي ، ص ١٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على أنّ الذي يهمّنا من طه حسين في هذا الطور هو شخصيته النقدية ، فقد بدأ خلال هذه الحقبة حياته الأدبية حقا ، وأخذ ينشر المقالات النقدية الأدبية ، والقصائد الشعرية ، وثمة أبيات تصور شخصية طه حسين في عام ١٩٠٩ ، ولما يتجاوز العشرين من عمره ، نراه فيها شخصية جريئة ، قوية ، بلّتْ خطوب الحياة في عزيمة ، واحتملتها في اصطبار واقتدار ، يقول طه حسين مصورا شخصيته في العشرين :

لم أمضِ عشرينَ غيرَ أنّي ... بلوتُ دهري كما بَلاني
ما أنا والحادثاتُ إلاّ ... كالريحِ والأغصنِ اللّدانِ
أميلُ بالنفسِ حيثُ مالتْ ... مثبتَ الجأشِ والجَنانِ[1]

وفي عام ١٩١٠ تمكن طه حسين من أن يحرز نجاحا ملحوظا في مضمار الشعر ، إذ ألقى قصيدة في احتفال السنة الهجرية ، قدّمه فيها الشيخ عبدالعزيز جاويش الى الحضور ، ليقوم مقام حافظ ابراهيم الذي كان قد غاب ذلك العام ، ويصف لنا طه حسين كيف استقبله الحضور بقوله : " ... استقبل الفتى بتصفيق شديد ، منحه قوة وجرأة ، فأنشد قصيدته في صوت ثابت ، ممتلىء ، ولكنه لم يكن يستقر في موقفه ، وانما كان جسمه يرتعد ارتعادا ، واستُقبلت قصيدته أحسن استقبال وأروعه ، حتى خيل الى الفتى أنه قد أصبح حافظاً ، أو قريبا من حافظ "[2] .

على أن طه حسين خلال هذه الحقبة ، لم يقتصر على قول الشعر ، وانما أخذ يعرض بالنقد لبعض الأدباء المشهورين ، من أمثال : **المنفلوطي والرافعي وحافظ وشوقي** .

كان المنفلوطي في هذه الحقبة أديبا ذائع الصيت ، فانتهز الفتى فرصة نشره لكتابه " النظرات " ثم راح ينقده في سخرية نقدا لافتا ، وذلك في عديد من المقالات ، تحت عنوان : " **نظرات في النظرات** " وعلى الرغم من أنّ المنفلوطي نفسه لم يرد ، فإنّ أنصاره تكفّلوا بذلك ، وقد تحقّق ماقصد إليه طه حسين الأديب الناشىء ، فقد لفت النقدُ القراء اليه ، وأصبح حديث الناس [3] .

كذلك عرض بالنقد لأديب مشهور آخر هو **مصطفى صادق الرافعي** ، وذلك حين أصدر كتابه " تاريخ آداب العرب " عام ١٩١١ ، فقد " كتب ينقده ويقرّر أنه لم يفهمه "[4] ، كما نقد

---

(١) انظر كتاب عبدالعليم القباني " طه حسين في الضحى من شبابه " ص ٧٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٦ .
(٢) مذكرات طه حسين ، ص ٤٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٨ .
(٤) محمد سعيد العريان ، حياة الرافعي ، ص ١٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتابه " حديث القمر " حين نُشِر عام ١٩١٢[١]، كذلك تناول بالنقد **حافظ عوض**، **وجورجي زيدان**[٢]، وقد بلغ من اقتداره على النقد الأدبي في هذا الطور، وشغفه به، أنه كان يضمنه بعض قصائده، فنحن نراه في إحدى القصائد يعرّض بشوقي وحافظ ابراهيم متّهما إياهما بأنهما لا يشعران ببؤس الشعب، لأنهما منصرفان الى اللهو واللذة، على حين أنه هو شاعر الشعب الحق، لأنه يقاسمه الضنك والعناء، يقول:

إذا شكا البؤسَ كلُّ نادبٍ ... فقد نَجا منه شاعران
بينا نعانيهِ كانَ "شوقي" ... يقصفُ في كَرْمةِ ابن هاني[٣]
و "حافظٌ" في القطار يلهو ... مشرَّدَ الهمِّ غيرَ عاني
إذ ينشني وهو بالصفايا ... من صلفِ الدهرِ في أمان
فليطربِ الشاعرانِ نَفْساً ... إنّا رَضينا بما نعاني[٤]

ومن الطريف أن **عبدالرحمن شكري** قد عرض خلال هذه الحقبة لطه حسين بالنقد، فردّ عليه طه بالشعر، لا بالنثر، قائلا:

قلْ "لشكري" فقد عَلَا وتمادى ... بعضَ ما أنتَ فيه يشفي الفؤادا
بعضَ هذا فأنتَ في الشعرِ والنثـ ... ـرِ أديبٌ لا يُعجزُ "النقّادا"
واقتصدْ في الغلوّ إنّ لدينا ... إنْ تسائلْ بنا نِصالاً حِدادا[٥]

* * *

أما نقد طه حسين الأدبي فقد كان يميل في هذا الطور الى الحدة الشديدة والاندفاع، ويصور طه حسين لنا مدى شغفه بالنقد خلال هذه الحقبة بالقول عن نفسه: " **... ما أكثر ماكان يكلف بالنقد، فيمضي مؤمنا به، حريصا عليه، لا يحسب لعواقبه حسابا** "[٦]. حتى إنه في مساجلاته النقدية، كان لا يتورع عن أن يحيد عن سبيل النقد الحق، إذا ما اقتضى الأمر، فينزلق " **... الى طول اللسان، وشيء من الشتم، لم تكن بينه وبين النقد صلة** "[٧].

---

(١) الرافعي، تحت راية القرآن، ص ١٠٠.
(٢) د. ناصر الدين الاسد، حول كتاب " في الشعر الجاهلي "، ص ٢٢٨، مجلة القضاة، السنة (١٩)، العدد الاول يناير/يونيو، القاهرة، ١٩٨٦.
(٣) كرمة ابن هاني: اسم قصر شوقي، وابن هانيء هو أبو نواس.
(٤) انظر كتاب " طه حسين في الضحى من شبابه " لعبدالعليم القباني، ص ٧٤ - ٧٥.
(٥) المرجع نفسه، ص ٩٩.
(٦) مذكرات طه حسين، ص ٢٠.
(٧) المصدر نفسه، ص ٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما مذهبه في النقد الأدبي خلال هذا الطور ، فيصفه أيضا طه حسين نفسه في شيء من الإنكار والاستخفاف قائلا : " ... **كان الفتى قديم المذهب في الأدب ، لا ينظر منه إلاّ الى اللفظ ، ولا يحفل من اللفظ الا بمكانه من معجمات اللغة ، فكان عيب المنفلوطي عنده أنه يخطئ في اللغة ، ويضع الألفاظ في غير مواضعها ، ويصطنع ألفاظا لم تثبت في " لسان العرب " ولا في القاموس المحيط** "[١] .

كذلك يعترف طه حسين أنّ نقده الأدبي خلال هذا الطور لم يكن كلّه حرا بريئا ، وانما فعل التحريض فعله فيه ، كما أنه في بعضه قد قصد لفت القراء إليه ، ومثال ذلك نقده للمنفلوطي . فقد أعجب بفصول من " النظرات " حين نُشرت ، ثم لم يلبث أن زهد فيها ، وانصرف عنها ، " ولكنه لم يكد يراها مجموعة في كتاب ، حتى ضاق بها أشد الضيق ، وكتب يعيبها ، ويغض منها "[٢] .

والى هنا كان الدافع الى الكتابة هو النقد الحق ، ولكن **الشيخ عبدالعزيز جاويش** حين رأى الكتابة النقدية فرح بها أشد الفرح ، واستزاده منها ، ولم يكتف بذلك ، وانما " ... **حرضه عليها ، وألحّ في التحريض ، حتى ألقى في روعه ألاّ يدع فصلا من فصول المنفلوطي ، إلاّ اختصه بفصل من النقد** "[٣] وقد استجاب طه حسين الناقد الناشئ لهذا التحريض ، فكتب فصولا نقدية عدة ، شغلت القراء حينا ، ولكنه عاد في طور النضج ، فقال عن هذا النقد : إنه **كان سخيفا**[٤] ، وأعلن تراجعه عنه ، واصفا **الفصول** التي كتبها بأنها **كانت سمجة**[٥] ، حتى إنه " لم ينقطع استخذاؤه لها ، وضيقه بها ، وخجله منها ، كلما ذكرت له "[٦] ، بل إنه بعد أربعين سنة من هذا النقد سئل ذات مرة عن السرّ في حملته النقدية على المنفلوطي ، فأجاب في صراحة : " لقد كنت شابا ، يريد الشهرة على حساب كاتب معروف "[٧] .

وعلى الرغم من أن طه حسين لم يتراجع عن نقده الأدبي كله في هذا الطور ، فإن حديثه العام عنه يوحي بأنه يعده سابقا لطور النضج في نقده الأدبي ، ذلك أن **هذا النقد لم يكن كله حرا بريئا من جهة ، ولأن مذهبه فيه كان قديما من جهة أخرى ، فهو لم يكن قد اهتدى بعد الى منهجه التكاملي في النقد الأدبي ، الذي ظل ينتهجه حتى آخر حياته النقدية .**

---

(١) مذكرات طه حسين ، ص ٣٧.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٧.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٧.

(٤) انظر المصدر نفسه ، ص ٣٧.

(٥) انظر المصدر نفسه ، ص ٣٧.

(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٧.

(٧) انظر كتاب " طه حسين في الضحى من شبابه " لعبدالعليم القباني ، ص ١٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لهذا كله لم يشأ أن يجمع نقد هذا الطور بكتاب ، كما جرت عادته فيما بعد ، خلال طور النضج ، الذي يمكن القول : إنه بدأ حقا في عام ١٩١٤[١] .

شخصيته النقدية في طور النضج

اهتدى طه حسين الى منهجه التكاملي في النقد الأدبي ، خلال دراسته في الجامعة المصرية القديمة أخيرا ، وسنرى - حين الحديث عنه - أنه مزاج من بعض النقد العربي ، وبعض النقد الأوروبي[٢] .

وقد تجلى هذا المنهج لديه في عام ١٩١٤ ، حين تقدّم من الجامعة برسالته الموسومة " ذكرى أبي العلاء " ، فكان أول من حصل على درجة الدكتوراه منها ، وأصبح حديث الصحافه ، ودعاه الخديوي الى القصر ، فابتهج والده بنُجْحه المدهش أيما ابتهاج[٣] ، وفضلا عن أنه اتّبع في الرسالة خطة مرسومة ، كما يفعل الأوروبيون[٤] ، فقد أظهر شخصية قوية ، في دراسة أبي العلاء ونقد شعره نقدا حرا ، بل لقد بلغت شخصيته النقدية من الجرأة حدا ، جعله لا يتردّد في نقض رأي لعضو من أعضاء اللجنة التي ناقشته وهو **الشيخ محمد مهدي** ، وقد كان أحد أساتذته في الجامعة المصرية ، وكان طه حسين في أثناء الدراسة طالبا **" ... جريئا عليه ، يجادله في الدرس ، فيرهقه من أمره عسرا ، وربما أضحك منه الطلاب ، لأنه كان لا يحقق مايروي من شعر ، ولأن الفتى كان يرده الى الصواب ، فيظهر عليه الاضطراب "**[٥] .

وذات مرة ، وقع خلاف بين الفتى وشيخه حول رأي لأبي العلاء في البعث ، يقول طه حسين : **" ... زعمت شيئا وأنكره ، وطالبني بالدليل ، ولم يحضرني الدليل في الدرس ، فظهرت مظهر المنهزم ، وسرّه ذلك ، وظهر سروره ، فحفظتها في نفسي "**[٦] . ولكن طه حسين في أثناء

---

(١) عرض محمد سامي البدراوي لنقد طه حسين الأدبي خلال الحقبة التي سبقت طور النضج والتي تناول فيها المنفلوطي وحافظاً والرافعي وجورجي زيدان ، وذلك في رسالته " النقد الأدبي عند طه حسين في مرحلة التكوين ١٩٠٩ - ١٩١٤ " . انظر ص ٥٨ - ٢٠٨ من الرسالة ، (مكتبة جامعة القاهرة - القاهرة) .

(٢) انظر كتاب طه حسين " نقد واصلاح " ، ص ١٦٧ ، دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٧٦ .

(٣) انظر مذكرات طه حسين ، ص ١١٠ .

(٤) طه حسين ، تجديد ذكرى أبي العلاء ، ص ٣٧٢ ، من دراساته المجموعة بعنوان " من تاريخ الأدب العربي " المجلد الثالث .

(٥) مذكرات طه حسين ، ص ٦٧ .

(٦) حديث الأربعاء ، ص ٤٤ ، ج ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عمله في رسالته ، وقع على الدليل ، وهو يقرأ شعر اللزوميات ، فضمنه الرسالة "... **ونقد فيها أستاذه ، مصرّحا باسمه ، وكان الأستاذ من الممتحنين ، فضاق بهذا النقد** "[١] وهنا جرى بين الاثنين أمام الجمهور الذي يشهد المناقشة جدال طويل ، يقول : " ... لعل الذين حضروا الامتحان يذكرون أني أمضيت في هذا الامتحان ثلاث ساعات ، ذهب أكثرها في جدال عنيف ، بين الأستاذ الشيخ مهدي وبيني ، حتى أنكر الجمهور ذلك ، وسئمه "[٢] .

وكانت النتيجة أنّ الشيخ مهديّاً " ... أبى أثناء المداولة أن يمنح الفتى درجة الامتياز ، ولم يكن سبيل الى هذه الدرجة إلاّ اذا أجمع عليها الممتحنون ، فاضطرت اللجنة الى أن تنزل بالفتى من درجة فائق الى جيد جدا "[٣] .

الى هذه الدرجة بلغت جرأة طه حسين النقدية ، في أول هذا الطور ، وقد أتيح له بعد قليل أن يذهب في بعثة دراسية الى فرنسا ، فقضى هناك خمس سنوات ، تتلمذ فيها لأساتذة مشهورين ، من أمثال : عالم الاجتماع الكبير " **دوركيم** " ، الذي أحبه طه حسين ، وغدا به " معجبا إعجابا يوشك أن يبلغ الفتون "[٤] ... **وشارلي ديل ، وريمونجون ، وبوجليه ، وجوستاف بلوك**[٥] . ثم أسعده الحظ هناك ، إذ قيض له فتاة متعلمة أعجبت به ، فأخذت تقرأ له ، وتساعده ، ثم وافقت على الزواج منه ، على الرغم من أنّ أمها مانعت ، وقالت لها منكرة : "... **كيف ؟ ... من أجنبي ؟ وأعمى ؟! وفوق ذلك كله مسلم ، لا شك أنك جننت تماما** "[٦] .

ولقد استطاعت هذه الفتاة الشغوف بالثقافة ، أن تصبر على ظمأ زوجها الى المعرفة ، فأخذت تقرأ له روائع الأدب الفرنسي ، ثم تعينه على تعلّم اليونانية ، واللاتينية ، وتقاسمه الجهد في التحصيل العلمي ، دون كلل أو ملل[٧] . وكانت النتيجة أن حصل ، خلال السنوات الخمس ، على درجة الليسانس ، وكانت عسيرة المنال على الأجانب ، فكان أول مصري يحصل عليها ، وذلك في عام ١٩١٧ [٨] ، ثم ظفر في عام ١٩١٨ بدرجة الدكتوراه في الاجتماع ، وكان موضوع

---

(١) مذكرات طه حسين ، ص ٦٨ .
(٢) حديث الأربعاء ، ص ٤٤ ، ج ٣ .
(٣) مذكرات طه حسين ، ص ٦٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٧٠ .
(٥) المصدر نفسه ، الصفحات : ١٩٣ ، ٢٠٢ - ٢٠٣ .
(٦) سوزان طه حسين " معك " ، ص ١٦ - ١٧ .
(٧) مذكرات طه حسين ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .
(٨) انظر المصدر نفسه ، ص ١٨٦ - ١٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرسالة فلسفة ابن خلدون، وقد أشرف عليها دوركيم نفسه، ثم ظفر في عام ١٩١٩ بدبلوم الدراسات العليا، وهمّ أن يدرس الحقوق، ويتخرّج في القانون، وأرسل الى الجامعة المصرية يستأذنها " ... في أن يتهيأ لنيل درجة دكتوراه الدولة في التاريخ، على أن ذلك يستلزم أن تمتد إقامته في أوروبا أربعة أعوام "[١]، لكن الجامعة المصرية لم توافق، وردت عليه تشعره بأن عليه أن يعود الى وطنه[٢].

* * *

ولا ريب أن شخصية طه حسين النقدية والأدبية، قد أفادت كثيرا من الدراسة في أوروبا، فازدادت قوة وخصبا ؛ ذلك أنه نهل من الثقافة الفرنسية واليونانية واللاتينية، ما استطاع الى ذلك سبيلا، وحين عاد الى مصر في عام ١٩١٩، واستأنف نشاطه النقدي الأدبي، تبدّت ثقافته الأوروبية في كتاباته، **فقد أعجب إعجابا كبيرا بالثقافة اليونانية**، وبلغ من إعجابه بها، أنه في أثناء كتابته النقدية والفكرية " ... كان يستحضر حوادثها ومروياتها، ومأثوراتها في الاستشهاد، وفي معرض الرد على خصومه، حين يخاصمونه على القضايا التي كانت تشغل الناس في وقته "[٣].

كذلك **أعجب بالثقافة الفرنسية، وتأثر بالبيئة الفرنسية**، وظهر هذا التأثر " ... في فكره، وفي حياته، وفي أسلوب تفكيره، ونظرته للأمور "[٤].

أما **نقده الفكري والاجتماعي فقد تأثر بفولتير ورنان، وأوجست كونت، وبول فاليري، ودوركيم**[٥]. وأما نقده الأدبي فقد تأثر **بسانت بيف وتين وبرونتيير وجول لمتر**[٦].

وقد تمكن من أن يلفت الأدباء والقراء لفتا قويا حين أخذت تتابع جهوده في نقد الأدب العربي القديم والحديث. وقد بلغ هذا منه الذروة حين نشر دراسته النقدية المثيرة **" في الشعر الجاهلي "** عام ١٩٢٦، فهاج لها الأزهر، وماجت الصحافة، واهتزت الحكومة، واضطرب

---

(١) مذكرات طه حسين، ص ١٩٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٤.

(٣) محمد عبدالغني حسن، طه حسين وقضية الشعر، ص ٦٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥. وانظر الثقافة اليونانية والرومانية في الكتاب نفسه ص ٥١ - ٨٠.

(٤) كمال قلته : طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه، ص ١١٤.

(٥) المرجع نفسه، ص ٨٢ - ١٠١.

(٦) انظر " في الأدب الجاهلي "، ص ٤٣ - ٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجلس النواب ، وتداعى الكتاب للردّ عليها[١] ، لكنه مع هذا كله ثبت للعاصفة الهوجاء في جراءة مدهشة[٢] ، **ولقد وصف العقاد شخصية طه حسين في هذا الطور فقال : " إنه رجل جرىء العقل ، قويه ، ومفطور على المناجزة والتحدي ، يستفيد مما يقتنع بصحته ، ومما يعينه على التحدي والتفرد ، فلا يحجم عن اتخاذه "**[٣] .

وقد تمكّن بفضل هذه الشخصية القوية من أن يتسنم مكانة فريدة في الأدب العربي الحديث ، ففضلا عن انتشار كتبه انتشارا واسعا ، ترجم بعض هذه الكتب ، مثل الأيام ، الى لغات عدة ، وفضلا عن الكتب العربية الكثيرة التي ألّفت حوله ، **كتب عنه " ... أشهر الأدباء الفرنسيين المعاصرين ، من أمثال جورج ديهاميل ، واندريه جيد "**[٤] .

كذلك وُضعت عنه كتب باللغات الاوروبية **كالإنجليزية**[٥] **والفرنسية**[٦] ، وأما **بالإيطالية** فقد اشترك ثمانية كتاب في وضع كتاب يتناول الجوانب المتعددة في شخصيته النقدية والأدبية ، ومن بين هؤلاء **ماريا نللينو** ابنة استاذه المستشرق المعروف ، وشاركها في التأليف أيضا ، **فرنسيسكو غبريلي وجيور جيو دلا ندا ، وامبرتو ريتسيتانو ، ومارتينو ماريو ، وباولو منجانتي ، ولورا فكا ، وسلليا** ، وقد ظهر الكتاب في عام ١٩٦٤[٧] .

وقدّرت بعض الجامعات العالمية دراساته النقدية وبحوثه ، فمنحته **كل منها درجة الدكتوراه الفخرية ، مثل : جامعة مونبلييه ، وجامعة ليون في عام ١٩٣٠**[٨] ، **وجامعة مدريد وكمبردج واكسفورد**[٩] .

---

(١) انظر كتاب طه حسين " في الصيف " ، ص ٣٥ ـ ٣٦ . دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ، ١٩٨١ . وانظر بحث الدكتور ناصر الدين الاسد " حول كتاب في الشعر الجاهلي " ، مجلة القضاة ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٣ .

(٢) انظر مذكرات طه حسين ، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ .

(٣) عباس محمود العقاد ، طه حسين ، مجلة الهلال : ١٠٢٠ ، الجزء التاسع ، السنة (٤٣) ، يوليه سنة ١٩٣٥ .

(٤) كمال قلته ، " طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه " ، ص ٤٣ .

(٥) مثل كتاب بيير كاكيا " Taha Husyan ".

(٦) مثل كتاب زوجته سوزان " معك " .

(٧) انظر :

TAHA HUSEIN - Instituto Universitario orientale, Napoli, 1969.

(٨) سوزان طه حسين ، " معك " ، ص ١٦٢ .

(٩) كمال قلته " طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية " ص ٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأعجب بعض الأدباء والشعراء العالميين به ، فجمعت صداقة بينه وبينهم من أمثال : **أرغون ، وبول فاليري ، وسارتر ، وأندريه جيد ، وماسينون**[١] .

وقد حصل بدراساته وكتبه المختلفة ، على جوائز وأوسمة عربية وعالمية ، ذلك أنه مُنح في سنة ١٩٤٥ **جائزة الدولة** ، ثم فاز **بجائزة الآداب** سنة ١٩٤٩ ، ثم أعطي **جائزة الدولة التقديرية** عن الآداب في عام ١٩٥٨ ، في أول عام منحت الدولة فيه هذه الجائزة[٢] ، فكان أول أديب تهديه مصر الجمهورية جائزة الدولة ، وقلادة النيل[٣] .

وأهدته فرنسا وساما يهدى لقلائل ، وهو وسام " **اللجيون دونير** " من طبقة **جراند أو فيسيه** ، اعترافا بجميله في نشر الأدب الفرنسي[٤] .

وقبيل وفاته بيومين ، وردت اليه في ٢٧ أكتوبر من عام ١٩٧٣ برقية من الأمم المتحدة ، تعلمه بفوزه بجائزة حقوق الانسان ، هو وخمس شخصيات عالمية ، أدت للإنسان : فكره ومجتمعه خدمة جليلة[٥] .

وأكبر الظن أنه سيظل لشخصية طه حسين تأثيرها القوي في الأجيال القادمة ، **فالدكتور ناصر الدين الاسد مثلا يرى أنّ الاجماع سيظل منعقدا على ضخامة هذه الشخصية وتفرّدها "**[٦].

أما " **دونالد روبينسون** " فإنه حين وضع كتابه " **أعظم مئة رجال في العالم** " (The 100 Important men in the world) لم يختره من بين المئة فحسب ، وانما وضعه بين العشرة الأوائل ، مع علماء ومفكرين عالميين متميزين ، من أمثال : **برتراند رسل ، وأينشتين** : "... وقبل عدة سنوات أعيد طبع هذا الكتاب ثانية ، فاضيفت اليه بعض الأسماء ، وحذفت منه أسماء أخرى ، أما طه فقد بقي اسمه ماثلا فيه "[٧]

---

(١) كمال قلته " طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه " ، ص ٤١ ،
وانظر كتاب " قاهر الظلام " لكمال ملاخ ، ص ١٨٠ ، (ط ٢ ـ القاهرة ، ١٩٧٤) .

(٢) د. عبده بدوى ورفاقه : طه حسين وقضية الشعر ، ص ١٢ ،

(٣) انظر المرجع نفسه ، ص ١٢ ،
كذلك انظر قاهر الظلام لكمال ملاخ ، ص ١٨.

(٤) كمال قلته " طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية " ، ص ٢٨ ، ص ٤٢.

(٥) كمال ملاخ ، قاهر الظلام ، ص ١٦ ، وكتاب سوزان " معك " ، ص ١١.

(٦) ذكرى طه حسين ، ص ١٢١.

(٧) سوزان طه حسين ، " معك " ص ٢١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن مظاهر القوة في شخصية طه حسين، ومن دواعي الإعجاب بها، أنه ظل طيلة حياته - كما رأيناه في نشأته الأولى - يميل الى الصدق في القول، والى الصراحة في الرأي، سواء في مجال النقد الأدبي وفي غيره، كما ظل ذا موقف صلب، لا يتزحزح عنه، مهما يلحق به هذا من ضرر، وهو يكشف لنا عن السر في صلابة مواقفه المدهشة خلال الأزمات الحرجة بقوله عن نفسه في خاتمة مذكراته: **"كان يعرف نفسه حين يشقى في سبيل مايرى أنه الحق، وينكرها أشدّ الإنكار، بل يبغضها أشد البغض إذا نعم بالخفض واللين، لأنه صانع أو داجي أو جهر بغير مايسر، أو آثر رضا السلطان على رضا الضمير"**[١].

ومن أمثلة مواقفه الصلبة أنه في سنة ١٩٣٢ كان عميدا لكلية الآداب فطلب منه صدقي باشا، رئيس الوزراء، أن يمنح بعض السياسيين درجة الدكتوراه الفخرية، ولكنه رفض هذا في قوة واصرار، **فقد كان رأيه أن العلم ينبغي ألاّ يخضع لابتزاز السياسة**، وكانت النتيجة فصله من الجامعة، واثارة قضية الشعر الجاهلي من جديد، مما عرّضه لأزمة مالية ومعنوية عسيرة[٢].

كذلك ظل صاحب الرسالة الثقافية، الذي لا يتناساها مهما يرتفع به المنصب، فقد كان في كتاباته يردد أن العلم حق طبيعي للمواطن كالماء والهواء، وحين أصبح وزيرا للمعارف في عام ١٩٥٠، كان أول ما أعلنه قوله: **"... لقد قررت المجانية الكاملة للتعليم الابتدائي والثانوي، والفني من اليوم"**[٣] وكان يريد أن يقرّر جعل التعليم العالي مجانيا ولكن الملك هو الذي أبى ذلك[٤].

ومن مظاهر الأصالة المدهشة، ودواعي التأثر بشخصية طه حسين، أنه قد اطّلع على الثقافة الأوروبية، وشغف بها أيما شغف، ولكنه ظل في الوقت نفسه محتفظا بعراقة شخصيته العربية. وهذه حقيقة مهمة، ينبغي أن تحتسب له؛ ولذا نجد تلميذته **سهير القلماوي** تقول عنها: **"... الحقيقة الضخمة أن طه حسين المسلم، المصري، العربي، لم يضع في هذا الخضم كله ولا في هذه البحار العميقة، لقد ظل بشخصيته القوية، أولا، وقبل كل شيء، مسلما مصريا عربيا"**[٥].

---

(١) مذكرات طه حسين، ص ٢١٦.

(٢) انظر كتاب "طه حسين يتحدث عن أعلام عصره" لمحمد دسوقي، ص ٩١، وكتاب زوجه سوزان "معك"، ص ٩٨.

(٣) د. حسين نصار: "دراسات حول طه حسين"، ص ٢٣.

(٤) كمال قلته "طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية، ص ٢٨، وانظر أيضا كتاب "طه حسين: أيام ومعارك" لنجاح عمر، ص ٩٣، منشورات المكتبة العصرية، بيروت - صيدا (د.ت).

(٥) مقدمة كتاب "طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه"، ص ٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعـلّل **الدكتور أحمد علبي** ســر احتفاظه بشخصيته العربية بقوله : " ... لقد عـرف طه حسين الثقافة الغربية ناضجـا ، ولم يدركها خالي الوفاض ؛ لذا كان أخذه لها أخذ انسان حـر قدير ، متمرّس "[١] .

وأما ابنـه مؤنس فيرى أن الفضـل الأكبر **للقرآن الكريم في أن والده طه حسين لم يصل الى الإلحـاد الذي وصل اليه " ديدرو " ، كما لم يصـل الى التطرف في نظرتـه الى الأنبياء ، كما وصـل " فولتير "** ، فالقـرآن الكريم كان الحـارس العظيم لإسـلام والـده [٢] .

وأما **طه حسين** نفسـه فيعترف بأن الفضـل في عدم فنائه في الثقافة الأوروبية ، يعـود الى أسـاتذة عرب أكفاء ، أعجب بهم في الجامعة المصرية ، من أمثال : **اسـماعيل رأفـت ، وحفني ناصـف ، ومحمد الخضـري** ، فهم الذين - كما يقول - **" ... أتاحوا لشـخصيته المصريـة العربية أن تقوى ، وتثبـت أمام هذا العـلم الكثير ، الذي كـان يـأتي بـه المستشـرقون ، وكان جديرا بأن يحـوّل هذا الفتى تحويلا خطـيرا ، يفنيه فـي العـلم الأوروبي إفنـاء "**[٣] .

---

(١) طه حسـين وثقافة العصـر ، ص ٣٤ ، مجلة العـربي ، العـدد (٣٤١) إبريـل - الكويت ، ١٩٨٧ .

(٢) كمال قلته " طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية " ، ص ١٦ .
... بينما يتهم بعض المتزمتين طه حسين بالمروق من الدين ، يتهمـه بعض الغربيين بالتعصب الديني ، والحقيقة أنه دافع عن الإسـلام دفاعا منطقيا أمـام الأوروبيين ، ومثال ذلك محاورته لأندريه جيد ، فقد بيّن له أنه كالأوروبيين كلهـم ، يخلطون بين الإسـلام ذي التعاليم المشـرقة ، والذي له فضله على الثقافة الإنسانية عامة ، وعـلى أوروبا خاصة ، وبين سـوء أوضاع المسلمين في الوقت الراهن .
انظر كتاب " الباب المفتوح " لأندريه جيد ، ص ٧ - ٨ ، ترجمة نزيه الحكـيم ، دار الهلال ، العدد (٢٢٩) ، القاهرة ١٩٦٨ .
وقد تبنّـى الدكتور مصطفى الشـكعة رأي طه حسـين السـابق في كتابه (Islamic studies) ص ٥٠ - ٥١ (والكتاب بالإنجليزية صادر عـن دار النهضة ، بيروت ، ١٩٧٢) .

(٣) مذكرات طه حسين ، ص ٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي رأينا أن لنشأته الأولى، التي رأيناها ، ولتأثير والده خاصة ، دورا فعّالا في عصمة شخصيته ، على أن طه حسين يبيّن لنا كيف حماه أساتذته العرب من الفناء في العلم الأوروبي بقوله عنهم :

" ... أتاحوا له أن يأوي الى ركن شديد من الثقافة الشرقية الخالصة ، وأتاحوا لمزاجه أن يأتلف ائتلافا معتدلا من علم الشرق والغرب جميعا "(١)

وسنلحظ هذا الائتلاف حقا في منهجه ، الذي اصطفاه لنفسه في النقد الأدبي، ففيه يأتلف النقد العربي والنقد الأوروبي معا ، وسنرى هذا الائتلاف والاعتدال في آرائه وفي محاورته المتطرفين من النقاد ، إذ كان ينصح للواحد منهم دائما بقوله : " لا تسرف " . كما سنلحظ هذا الائتلاف والاعتدال في دراساته النقدية الكثيرة في الأدب العربي القديم والحديث ، وذلك حين نتحدث عن منهجه ودراساته حديثا مفصلا في الفصول القادمة .

xxxxxxxxxxx
xxxxxxxxx
xxxxxxx
xxxxx
xxx
x

---

(١) مذكرات طه حسين ، ص ٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

مفهومه للنقد الأدبي ومنهجه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مفهومه للنقـد الأدبي

قلما نجد ناقدا في الأدب العربي الحديث واضحا وضوح طه حسين ، وليس بمستغرب هذا منه ، وهو الذي طالما نعى على بعض النقاد والأدباء غموضهم ، والحق أنه كان يحرص على الوضوح في كـل ماكتب ، سواء في النقد الأدبي وغيره ، يقصد الى هذا قصدا عن وعي تام ، ويصرّح بـه تصريحـا ، نحو قوله : " ... أنا رجل شديد الأثرة ، أحب أن أكون واضحا لمعاصريّ ولمن يجيئون عـلى أثري من الناس وضوحا تاما "[١] . ونحو قوله أيضا : " ... أحب أن أكون واضحا جليـا ، وأن أقول للناس ما أريد أن أقول ، دون أن اضطرهم الى أن يتأوّلوا ، ويتحمّلوا ، ويذهبوا مذاهب مختلفة في النقد ، والتفسير ، والكشف ، عن الأغراض التي أرمي اليها "[٢] .

ولا ريب في أن رؤيته النقدية قد اتسعت ، ومفاهيمه للنقد الأدبي قد طرأ عليها تعديل كبير ، بعد أن اتصل بالنقد الأوروبي اتصالا وثيقا ، وقد ظهر هذا إثر عودته من فرنسا ؛ إذ إنّـه أخذ يعرض لأخطر قضايا النقد الأدبي ، في جراءة وجلاء ، داعيا زملاءه النقاد الى الحـوار ، ومقابسة الرأي ، معلنا إيمانه بمبادىء ضرورية للنقد الأدبي ، تبدو مثالية أو صعبة التطبيـق ، ولكنه مع ذلك تمسّك بها في أثناء نقده تمسكا مدهشا .

لقد آمن طه حسين بأن النقد حاجة طبيعية ضرورية ، لكل حركة علميـة أو أدبيـة أو فنية[٣] ، وحين لاحظ أن النقاد في الغالب يضطربون في فهم النقد الأدبي وطبيعته : أهو عـلم أم فن ؟ **ذهب الى أن العلم وحده لا يمكن أن يكون مقياس الأدب** ، حتى " سانت بوف " الـذي حاول في نقده الأدبي أن يكون عالما ، نشعر بعواطفه ، ونتذوّق كتابته ، ونعرف محبتـه ، وكراهيته للأشياء ، على حين لا يمكن أن نلمس ذلك لدى **نيوتن ، ولا مارك ، وداروين ، وباسـتور** ، ومعنى ذلك أنّ سانت بوف في نقده الأدبي " ... لم يسـتطع أن يكون عالما ، ولا أن يسـتنبط قوانيـن "[٤] .

كذلك **ذهب الى أن الذوق وحده لا يمكن أن يكون مقياسَ الأدب** ، لأنه ليس من الميسور في رأيه " ... أن يطمئن الإنسان الى كاتب يتخذ ذوقه وحده مقياسا للأذواق جميعا ، ويتخذ شخصيته وحدها وسيلة الى فناء الشخصيات جميعا "[٥]

(١) مقدمة كتاب " تجديد ذكرى أبي العلاء " ، ص ٣٧٢ ، من دراساته المجموعة تحت عنـوان " من تاريخ الأدب العربي " المجلد الثالث .
(٢) طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، ص ٦٧ .
(٣) طه حسين ، حديث الأربعاء ، ص ٨١ ، ج ٣ .
(٤) طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، ص ٤٦ ، وانظر أيضا ، ص ٤٧ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا يخلص طه حسين في النهاية الى أن النقد الأدبي ليس علما خالصا ، ولا فنّا خالصا ، وانما هو مزاج منهما معا [١] .

واذا كان الذوق يدخل في عملية النقد الأدبي ، ويدخل أيضا في عملية الإبداع الأدبي ، فمعنى ذلك أنّ ثمة صلة بين النقد والأدب ، أو بين الناقد والأديب ، ولذا فالناقد بحسب رأيه ، هو : " ... آخر الأمر أديب بأدق معاني الكلمة ، والنقد آخر الأمر أدب بأصح معاني الكلمة أيضا "[٢] .

ولكنّ الناقد عنده يتميّز مع ذلك من الأديب المنشيء ، بميزات لا تتاح للأديب ، ذلك أنه **" ... مرآة لقرائه كالأديب ، والقرّاء مرآة للناقد ، كما أنهم مرآة للأديب أيضا ، ولكن الناقد مرآة صافية واضحة ، جليّة ، كأحسن مايكون الصفاء ، والوضوح ، والجلاء ، وهذه المرآة تعكس صورة الأديب نفسه ، كما تعكس صورة القارىء ، وكما تعكس صورة الناقد "**[٣] .

هذا هو الذي يميّز مرآة الناقد الحق من مرآة الأديب ، فمرآة الناقد جامعة شاملة في رأي طه حسين ، ولذا **" ... فالصفحة من النقد الخليق بهذا الاسم مجتمع من الصور لهذه النفسيات الثلاث : نفسية المنشيء المؤثر ، ونفسية القارىء المتأثر ، ونفسية الناقد الذي يقضي بينهما بالعدل ، ويزن أمرهما بالقسطاس "**[٤] .

وهذا النقد الأدبي الحق ، هو الذى ينبغي أن يُدرّس ، وأن يُعنى بتدريسه ، وحين يلحظ طه حسين أن البلاغة القديمة الجافة ، مازالت تدرّس على النحو الذي عهده في الأزهر ، لا يتردّد في الدعوة الى إلغاء تدريسها ، على أن يستبدل بها النقد الأدبي ، ولكن أي نقد هو الذي ينبغي أن يحل مكان البلاغة ؟ ليس هو النقد العربي القديم فحسب ، لأننا لو اقتصرنا على تدريسه لكان الجمود والانغلاق . ... وليس هو النقد الأوروبي وحده ، لأننا لو اقتصرنا عليه لعنى أننا نتنكّر للتراث ، ونتخلى عن شخصيتنا العربية ، وننبتّ عن جذورنا ، واذن فالمقصود هو النقد الأدبي الذي يأتلف فيه النقد العربي والنقد الأوروبي الحديث ، يقول : **"... يحسن أن تلغى كتب البلاغة ، ودرس البلاغة كله على النحو القديم ، وأن يدرّس مكان ذلك تاريخ النقد العربي ، ومذاهب النقد الحديث في الغرب "**[٥]

* * *

---

(١) طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، ص ٤٩ .

(٢) طه حسين ، فصول في الأدب والنقد ، ص ١٠ ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، ١٩٦٩ .

(٣) طه حسين ، فصول في الأدب والنقد ، ص ١٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠ .

(٥) طه حسين ، نقد واصلاح ، ص ٢٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد لاحظنا في ما سبق نقد طه حسين الأدبي في طور التكوين، أو ماقبل النضج، (مابين سنة ١٩٠٩ وسنة ١٩١٣) . ولاحظنا كيف أن طه حسين لا يرضى عنه، لأن مذهبه فيه كان عربيا قديما خالصا من جهة، ولأن هذا النقد لم يكن كله حرا بريئا من تحريض الشيخ عبدالعزيز جاويش من جهة أخرى[١] .

أما في طور النضج، الذي بدأ في عام ١٩١٤، فيلاحظ أنّ مفهوم طه حسين للنقد الأدبي قد اختلف اختلافا كبيرا، ذلك أنه فيه قد أخذ حقا يؤمن إيمانا راسخا بأن **النقد الأدبي رسالة تقوم على الأمانة، والمسؤولية، والحرية التامة، وبأنه كلمة حق، ينطقها ضمير الناقد، الذي ينبغي أن يكون نزيها بريئا، ولذا فانه بُعيد عودته من فرنسا، راح يرفع في نقده الأدبي شعارا يقول: لا مجاملة في النقد الأدبي ولو كان المنقود أقرب الأقرباء، ولا تحامل فيه، ولو كان المنقود ألدّ الأعداء.**

ولكنّ هذا الشعار إنّ أرضى الأدباء من الناحية النظرية الخالصة، فإنه لم يُرضِ معظمهم من الناحية العملية الواقعية، ذلك أن طه حسين قد لاحظ في أثناء مزاولته لعملية النقد الأدبي، أن فئة قليلة جدا من الأدباء هي التي تؤمن بمفهومه، وتقدّره حق قدره .

أما أكثر الأدباء فقد لاحظ أنهم ينقسمون فئتين، بإزاء النقد الأدبي: فئة تفهم " ... من النقد حمدا خالصا، وثناء طيبا، وتقريظا من غير تحفظ، والنقد عند هؤلاء ضرب من المدح، يقصد منه ترويج الكتاب، وإذاعة أمره، ورفع صاحبه بين الناس "[٢] .

ولذا يلاحظ أن هذه الفئة من الأدباء تتزلف الى الناقد تزلفا، سعيا الى تحقيق مآربها من خلاله، فالأديب منها مايكاد يخرج كتابه، وينشره " ... حتى يسعى به إليك، وحتى يرجو منك أن تتناوله بالنقد، وألاّ تحرمه كلمة من كلامك العذب، وأسلوبك الحلو، وانشائك الرائع "[٣] .

وهنا يلفتنا إلى أن الأديب حين يقول هذا، إنما هو في الحقيقة " ... يقدّر في نفسه أن الكلام العذب، والأسلوب الحلو، والإنشاء الرائع، إنما هو كلامه، وأسلوبه، وانشاؤه وأن الناقد إنما هو وسيلة لترويج الكتاب، والثناء عليه، لا أكثر ولا أقل "[٤] .

وهو يرى أن هذا النفر من الأدباء المتزلفين، إنما هم في الحقيقة تجار خطرون على النقد

---

(١) انظر مذكرات طه حسين، ص ١٩٠

(٢) طه حسين، حديث الأربعاء، ص ٨٠، الجزء الثالث .

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والناقد معا ، وعلى الحياة الأدبية أيضا ، فهم لا يهدون كتبهم إهداء ، وانما هم في الواقع يبيعونها للناقد بيعا ، ولكن ما أغلى الثمن الذي يتقاضونه منه ، ذلك أنهم - كما يقول - : " ... لا يبيعونك بثمنه الذي يباع به للناس ، إنما يبيعونك الكتاب بثمن مستحيل ، يبيعونه بحريتك ، ... وبإخلاصك ... وبأخلاقك "[١].

كذلك يرى أنهم لا يبيعون الكتاب بإهدائه ، وانما يحاولون أن يشتروا به ضمير الناقد الحر، يقول : " ... يهدون اليك الكتاب ، فيحسبون أنهم قد اشتروك بهذه الهدية ، يهدون إليك الكتاب ، فيحسبون أنهم قد اشتروا رأيك ، وخلقك ، وصراحتك ، وفرضوا عليك أن تصبح لهم مادحا ، وعليهم مثنيا "[٢].

ويبدي طه حسين امتعاضه الشديد من هذه الفئة المتزلفة من الأدباء ، ويبكّتها من طَرْف خفي ، لأن الخلق الحميد والحياء يعوزانها ، يقول موجّها السؤال الى القارىء : " ... **ألست ترى أنّ هذا الخلق خطر على الحياة الأدبية ؟ وأين يكون الحياء ، إذا لم يكن عند الأدباء ؟**"[٣].

وأما الفئة الثانية من الأدباء ، الذين لا يقدّرون النقد الأدبي كما ينبغي ، فهي فئة تناقض في مفهومها للنقد الفئة السابقة ، التي تفهمه مدحا ودعاية ؛ ذلك أن الأديب من الفئة الثانية ... يفهم النقد على أنه طعن ، وقدح ، وتجريح ، ودلالة ، فهو يكرهه ، ويكره أصحابه ، ويكره الكتب حتى لا يتعرّض لألسنة النقاد [٤].

ولذا يلاحظ أن الأديب من هذه الفئة ، إذا اضطر الى التأليف " ... فهو يتوسّل الى الناقدين ألاّ يعرضوا لكتابه بخير ولا بشر ، وأن يخلّوا بينه وبين القراء ، يقرؤونه ، فيرضون عنه ، أو يسخطون عليه "[٥].

وهذه الفئة التي تنوجّس خيفة من النقد ، هي مخطئة دون ريب في تصورها لمهمّته ، **فليست مهمّة النقد إظهار العيوب في العمل الأدبي فحسب ، وانما تشمل أيضا إبراز مايتضمنه من مواضع القوة والجمال .**

---

(١) طه حسين ، حديث الأربعاء ، ص ١٦٠ ، ج ٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦٠ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٦٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٨٠ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحين يعرض الناقد مواضع الضعف، ينبغي أن يفعل ذلك في رفق، دونما أسلوب جارح، لأنّ المقصود من هذا هو توجيه الأديب ولفته، حتى يتنبّه الى مايؤخذ عليه في أي عمل جديد، وليس في إرشاد الأديب المنقود الى عيوب عمله أية إساءة اليه في رأيه؛ ولذا يتوجه اليه بالسؤال قائلا: "... **لست أدري لمَ يؤذيك أن يدلّك ناقد على أنك أخطأت وأنت لم تأخذ على الأيام عهدا بالإصابة المطلقة؟ ولست أدري لمَ تحرص على أن يصفك الناس بأنك موفق للحق أبدا، ولمَ يقدّر هذا التوفيق لإنسان ما؟**"[١].

وهو يلحظ من خلال تجربته في النقد الأدبي، أن النقد الحرّ البريء من الهوى هو نقد لا يخفّ على قلوب الأدباء في الغالب، و يُرجع سبب هذا الى سوء الفهم للنقد وعدم الثقة بالنفس، والعجز عن مواجهة الحقيقة، فهم في نظره إذن أدباء ضعاف، يقول: "... لا أريد ضعفهم في الأدب، ولا ضعفهم في اللغة، ولا ضعفهم في الشعور، ولا قصورهم عن التصوير، وانما ضعفهم عن احتمال النقد، وعجزهم عن الثبات للنقد"[٢].

ثم يصوّر حالة الذعر التي تنتاب هؤلاء الأدباء، حين يتفق أن يتناولهم ناقد، بقوله: "... لا تكاد تمس أحدهم مسّا رفيقا، حتى تأخذه رعدة كهربائية، تخطرب لها أعصابه كلها، ويفسد لها مزاجه فسادا قبيحا"[٣].

واذن فحين عاد طه حسين من فرنسا، اصطدم مفهومه للنقد الأدبي الحرّ البريء، كما أصبح يؤمن به إيمانا راسخا، بمفهوم أكثر الأدباء، الذين يكوّنون الفئتين السابقتين؛ ولهذا راح يقرّر في عديد من المقالات المفهوم الحق للنقد الأدبي، مبيّنا أنه ليس ثناء خالصا، كما يظن أدباء الفئة الأولى، ولا هجاء خالصا، كما يتوهم أدباء الفئة الثانية، وانما هو في الحقيقة تمحيص للعمل الأدبي، بل هو "... **دلالة على مافيه من حق، يجب أن يبقى، وباطل يجب أن يزول، أو قل على ماتعتقد أنه حق أو باطل**"[٤].

وعلى الرغم ممّا لاقاه من جراء مفهومه للنقد الحر، البريء من الميل أو التحامل، فقد ظل منذ بداية هذا الطور وحتى آخر لحظة من حياته الأدبية يمرّ على هذه الحرية، والبراءة في النقد الأدبي، حتى لو كان المنقود أقرب الناس الى قلبه، وأجدرهم بالإجلال في نظره، وقد رأينا فضل لطفي السيد مثلا عليه، وكيف تلقاه لقاء حسنا، حين كان مديرا لصحيفة "الجريدة"،

---

(١) طه حسين، حديث الأربعاء، ص ٨١، ج ٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٨.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٨.
(٤) المصدر نفسه، ص ٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذ سعى اليه ، وهو مايزال فتى مغمورا، يحمل مقالة عنيفة ، يهاجم فيها الأزهر ، ويريد نشرها ، ورأينا كيف فتح له صدر الجريدة بعد ذلك ، ليصبح كاتبا ، حتى غدا في النهاية أقرب الأساتذة الى قلبه ، ومع ذلك كله ، حين ترجم لطفي السيد كتاب " الأخلاق " لأرسطو طاليس ، وأثنى على هذه الترجمة كبار الشعراء ، من أمثال : شوقي وحافظ ونسيم[١] ، لم يتردد طه حسين في أن يفتتح نقده لهذه الترجمة ، وما قيل فيها من شعر ، بهذا الاستئذان " ... **أستأذن من شعرائنا واستأذن من قبلهم أستاذنا لطفي السيد في أن أكون حرا ، حين أنقد ، فقد تعودت هذه الحرية ، وحرصت عليها ، وأكبرتها عن أن أضحى بها ، في سبيل إنسان ، مهما تكن منزلته من الناس ومني ، ولو كان هذا الإنسان لطفي السيد** "[٢] .

إن مجاملة الأساتذة والأصدقاء واجبة في رأيه ، ولكن ليس موضعها النقد الأدبي ، لأنها بالغة الخطر عليه ؛ ولذا نراه يحذّر من هذا الخطر بقوله : " ... **يجب ألاّ يتقيّد النقد بالمجاملة ، وما إليها ، فقد تكون للمجاملة أوقاتها ، ومواضعها ، ولكنها أشد الأشياء منافرة للعلم ، وبعدا عن النقد الصحيح** "[٣] ذلك أن النقد عنده هو قول الحق ، والناقد الذي يرى الحق ، ثم يعرض عنه في نقده ، ولا يجهر به ؛ إبقاء على مودة الصديق ، أو رضا الأستاذ ، أو تزلفا لصاحب المكانة ، ـ هذا الناقد ليس جديرا باسمه ، بل هو ليس من الرجولة في شيء ، يقول متسائلا : " ... مارأيك فيمن يرى الباطل ، فيقرّه ، إرضاء لصديق ، أو رفقا بأستاذ ، أو تقربا لذي مكانة ؟ ... أتراه رجلا حقا ، ذلك الذي يؤثر صديقه ، وأستاذه ، وصاحب المكانة على الحق ، من حيث هو ، وعلى الحق العلمي بنوع خاص "[٤] .

وشبيه بهذا الناقد ، الذي يعرض عن الحق ، ولا يجهر به ، ذاك الناقد الذي يقبل على الباطل ، فيقرّه ويحاول تسويغه ، في سبيل المودة والصداقة ، يقول : " ... مارأيك فيمن يرى الباطل ، فيقره ، إرضاء للصديق ، والأستاذ ، وذي المكانة ؟ أتراه رجلا حقا ، ذلك الذي يؤثر الناس مهما تكن أقدارهم وصلاتهم على العلم ، فيرضيهم ليغضبه "[٥] .

وإذن فرجولة الناقد ـ إنْ صح هذا التعبير ـ هي في أن يجهر برأيه الحق في العمل المنقود ، دون خوف من خصومة ، أو طمع في بقاء مودة ، وهو يدرك كل الإدراك أن هذه المجاهرة مهمة ثقيلة على النفس ، بل هو يعترف بأنه لا يخشى في نقده الأدبي ماقد يجرّه

---

(١) انظر حديث الأربعاء ، ص ٨٤ ، ج ٣.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٥.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٨١ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٨١.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليه من خصومة ، وانما يخشى الألم الممضّ الذي يشعر به في أعماق نفسه ، حين يضطر الى نقد أديب ، تجمعه به مودة ، يقول : " ... لست أخشى أذى خارجيا ، أو مكروها يلقاني من الكتّاب والمؤلفين ، وانما أخشى هذا الأذى المنكر ، الذي يجده الإنسان في نفسه ، وهذا المكروه الثقيل الذي يلقاه الإنسان من نفسه ، حين يتناول بالنقد كتب الإخوان والأصدقاء ، وأهل المودة والقرابة "(١) .

حرية الناقد ومسؤوليته في النهضة الأدبية :

ولكن على الرغم من هذا الأذى المنكر ، والمكروه الثقيل ، فإنه كان يصرّ على الحرية في نقد من يودّهم ، دون مجاملة ، سواء أكانوا أساتذته من أمثال : لطفي السيد(٢) ومحمد الخضري(٣) ، أم كانوا من أصدقائه وزملائه من أمثال : الدكتور أحمد ضيف(٤) والدكتور محمود عزمي(٥) .

ولعلّ خير مثال لنقد طه حسين أصدقاءه نقده للدكتور محمد حسين هيكل ، فقد كان هيكل صديقه من جهة ، وكان رفيق فكره السياسي من جهة أخرى ، إذ كان كلاهما عضوا في حزب الأحرار الدستوريين ، كما كان هيكل زميله ، بل رئيسه في جريدة " السياسة " ، من جهة ثالثة ، لأن هيكلا كان هو رئيس التحرير ، على حين كان طه حسين المحرر الأدبي فحسب ، ... ولكن على الرغم من هذا كله ، فإن طه حسين حين تناول بالنقد كتاب هيكل " جان جاك روسو " في صحيفة السياسة نفسها ، لم يحاول مجاملته ، وانما راح يعرض لأخطائه أمام القراء ، واعتدّ ذلك آية الحرية النقدية ، التي يدعو دائما اليها ، ويصرّ إصرارا عليها ، وكأنه قدّر دهشة القارىء لهذا النقد ، فتوجّه إليه متسائلا : " ... مارأيك في محرّر " السياسة " الأدبي ، يتناول بهذا النقد العنيف ، رئيس تحرير السياسة ، ثم لا يستحي أن ينقد هذا النقد العنيف في جريدة " السياسة " نفسها ؟ أليس هذا إسرافا ، أو شيئا فوق الإسراف ؟ كلا ليس إسرافا ، إنما هو القصد كل القصد ، والاعتدال كل الاعتدال "(٦) .

---

(١) طه حسين ، حديث الأربعاء ، ص ٧٣ ، ج ٣ .

(٢) انظر نقده له في المصدر نفسه ، ص ٧٤.

(٣) انظر نقده له في المصدر نفسه ، ص ٦٠ - ٦١ ،
ومحمد الخضري أستاذه في الجامعة المصرية ، وقد أشرف على رسالته التي نال بها درجة الدكتوراه .

(٤) انظر نقده له في حديث الأربعاء ، ص ٧٢ ، ج ٣ .

(٥) انظر نقده له في المصدر نفسه ، ص ١٣٦.

(٦) المصدر نفسه ، ص ١١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا ريب أن ثمة كتّابا - فضلا عن القراء - قد دهشوا من المدى الذي ذهب اليه طه حسين في الحرية النقدية ، وفي مقدمة هؤلاء مصطفى صادق الرافعي ، فقد أبدى استهجانه من نقده لهيكل ، وعدّه دليلا على التهور وعدم الحكمة[١] ، قائلا : إنّ " ... طه انتقد في السياسة ، رئيس تحرير السياسة ، فكتب فصلا هو آية من الآيات في الحمق "[٢] .

ولكن طه حسين يبيّن لنا أنه أمرّ على الحرية الكاملة في نقد هيكل ، وفي نقد لطفي السيد من قبله ، وهو مطمئن ، ذلك لأن هيكلاً مثله ، يؤمن بضرورة الحرية للنقد ، وأما لطفي السيد ، فهو أستاذهما ، الذي علمهما هذه الحرية ، يقول معلّلا نقده لهيكل ، في الصحيفة التي يرأس تحريرها : " ... هيكل تلميذ لطفي السيد ، ولقد أذكر أن لطفي السيد علمنا حين كان يدير " الجريدة " أن ننقد أصحاب الصحف في صحفهم "[٣] .

على هذا النحو ظل طه حسين يصرّ على الحرية الكاملة في نقد أساتذته وأصدقائه ، وذوي المكانة ، دونما مجاملة أو محاباة .

كذلك كان في الوقت نفسه يصر على هذه الحرية أيضا ، وعلى التجرد ، في نقده للخصوم ، ذلك أنه كان - وهو في سبيله لنقدهم - يعلن أنه سيتخلى عن مشاعر الكراهية ، كما كان في نقد الأصدقاء يتخلى عن مشاعر المودة . فهو في نقده لحافظ وشوقي مثلا ، قبل أن يوازن شعريا بينهما ، يخاطب القارىء قائلا : " ... أريد أن أعترف بأني كنت أؤثر حافظاً على شوقي في حياتهما ، وكنت أختص شاعر النيل من المودة والحب ، بما لم أختص به أمير الشعراء ... "[٤] .

وهو يعترف بهذه الحقيقة الخافية ، ليؤكد إيمانه الحق بضرورة التجرد من المشاعر الذاتية في أثناء عملية النقد الأدبي ، ليكون الحكم أقرب الى الحق والإنصاف ، يقول : " ... أريد أن أنسى الآن حبي لحافظ ، وايثاري إياه ، بالمودة الصادقة ، والحب الخالص ، وأن أجعل الرجلين سواء أمام النقد الأدبي "[٥] .

وإذا كان النقد الأدبي كما يفهمه : هو كلمة حق تقال ، فالخلاف السياسي إذن ينبغي ألاّ يكون حائلا بين الناقد ، وبين قول هذه الكلمة ، ولذا نجده وهو ينقد أحد خصومه يقول :

---

(١) انظر تحت راية القرآن ، ص ١٠٥ .
(٢) الرافعي ، تحت راية القرآن ، هامش ص ١٠٦ .
(٣) طه حسين ، حديث الأربعاء ، ص ١١٢ ، ج ٣ .
(٤) طه حسين ، حافظ وشوقي ، ص ١٧٨ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سأجعل " خلاف الأحزاب دبر أذني ، وتحت قدمي ، لأ قول كلمة الحق في الأدب ، ليس بينها وبين السياسة والأحزاب صلة ، ... واذا كان من الحق أنْ ليس للعلم والأدب وطن ، فمن الحق أيضا أن ليس للعلم والأدب حزب سياسي " (١).

وليس بغريب أن يقف هذا الموقف ، وهو الذي كان يحذّر من خضوع النقد والأدب للسياسة في مصر ؛ إذ تنجم عن هذا الخضوع نتائج خطيرة ، تؤدي في الغالب إلى " ... إفساد الخلق أولا ، وافساد الثقة ثانيا ، والاساءة الى السمعة الأدبية لمصر ثالثا " (٢) . كما تؤدي الى " أن يقف الأدب من السياسة موقف الاستعطاف والاستجداء ، إذا أبطأت السياسة المعونة ، أو تلكأت في البذل أو بخلت بالتأييد " (٣)

وقد كان يؤذيه أن يتّهمه كاتب بالتأثر بمشاعر الكراهية في النقد الأدبي ؛ لأ نه كان يبذل وسعه في أن يكون نقده بريئا ، يقول مؤكدا هذه الحقيقة ، لكاتب اتهمه " ... الذي لا شك فيه ولا أحب الكاتب الأديب أن يشك فيه ، هوأنه لم يوفق للصواب ، حين ظن بي أنيأتأثر فيما أكتب بمنافسة ، أو ضغينة ، أو حقد ، فالله يشهد أني أبعد الناس عن هذه المؤثرات ، وأنآهم عن هذه الخصال " (٤) .

ثمّ يبين أنه لا يستطيع أن يأخذ في نقدكتاب أو ديوان ، إلاّ بعد أن يستوثق من أنه قد طرح وراء ظهره ، كلمايمكن أن يكون بينه وبين المؤلف أو الشاعر من صلا ت الخير والشر ، على أنه يعترف مع ذلك كله ، أنه يبقى بشرا في النهاية ، فقد لا يوفّق تماما للتخلي عن عواطفه في النقد يقول : " ... ولست أزعم أني أوفق من هذا لما أريد ، ولكن الذي أحقّقه هو أني أحاول هذا ماوجدت الى محاولته سبيلا " (٥)

وهو في الوقت نفسه يُجلّ النقد الأدبي الحق عن النزول الى أسلوب الشتم والمهاترة ؛ ولذا نجد خواره النقدي ، مهما يعنف ، لا يتضمن أية كلمة نابية ، مما يميزه من بعض زملائه النقاد ، من أمثال : الرافعي والعقاد وزكي مبارك ، الذين كانوا لا يتورعون عن استعمال ألفاظ الشتم والتحقير في أثناء محاورتهم للخصوم . (٦)

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٩٦ ، ج٣.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٦.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠٦.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٩٦.

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٧٤.

(٦) انظر كتاب " حياة الرافعي " لمحمد سعيد العريان ، ص ١٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واذا كنّا قد رأينا طه حسين يعترف بأنه في طور ماقبل النضج قد انزلق الى شيء من الشتم ليس بينه وبين النقد صلة [١]، فإنه في طور النضج قد حرص حرصا على ألاّ ينزلق ، وعبّر عن موقفه هذا صراحة في عام ١٩٢٢ [٢] .

ويلاحظ أنه من أكثر النقاد المحدثين ميلا الى الحوار النقدي ، وقدرة عليه ، إيمانا بفائدته، ولعلنا لمحنا هذا في شخصيته ، وهو مايزال طالبا في حلقات الأزهر ، واذا كنا رأيناه في مقاله النقدي العنيف الأول ، الذي كتبه ، يهاجم الأزهر ، يشترط الى جانب عودته الى الأزهر أن يستمتع بحقه في الحرية النقدية والفكرية [٣] ، فقد ظلّ في طور النضج يلحّ على قضية الحرية النقدية إلحاحا، قلما نجده عند غيره من النقاد ، نحو قوله : **" ... أخذت نفسي لأكوننّ حرا في النقد، وأعطيت على نفسي موثقا من الله ، لأكوننّ حرا مطلق الحرية ، ولأنسينّ في هذا النقد صلات المودة والقربى ، وعواطف الرضا والسخط "** [٤] .

وهو لايعجب إذ يلاحظ أنّ أكثر الأدباء والنقاد لايقدّرون الحرية النقدية حق قدرها ، وانما يستهجنونها من الناقد الذي يصرّ عليها ، لأنه يعيش في بلد يستشري فيه الفساد من الناحية السياسية والاجتماعية ، ذلك أن **" ... حرية النقد ليست بدعا من ضروب الحرية المختلفة فهي نتيجة من نتائج التربية الصحيحة ، وأثر من آثار الأخلاق القيمة ، وهي عسيرة جدا في بلد ، فسدت فيه الحياة الاجتماعية ، والسياسية ، واضطر الناس فيه الى أن يسرفوا في النفاق والمداجاة ، ليعيشوا "** [٥] .

ولكنه على الرغم من هذا ، يدعو زملاءه النقاد الى الإصرار على الحرية المطلقة في أثناء النقد ، لأنهم ينبغي أن يكونوا القدوة الصادقة ، فالمجاهرة بالرأي الحق في مجتمع يسوده النفاق ، هو قمة الشجاعة في رأيه ، يقول : " ... ليس رجلا من يكتم رأيه لخوف أو إشفاق " [٦] .

وأما القلم في يد الناقد فلا جدوى منه إذا لم يكن مشعل حرية ، ذلك أن " ...النقد

---

(١) انظر مذكرات طه حسين ، ص ٣٧.

(٢) انظر تجديد ذكرى أبي العلاء ، ص ٣٦٤ - عن دراساته المجموعة بعنوان " من تاريخ الأدب العربي " المجلد الثالث .

(٣) انظر الأيام ، ص ١٧٢ ، ج ٢.

(٤) طه حسين ، حديث الأربعاء ، ص ٩٦ ، ج ٣.

(٥) المصدر نفسه ، ص ٨٢.

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا خير فيه ، ولا نفع منه ، إذا لم يكن حرا من كل قيد من هذه القيود المنكرة ، التي تحول بين النقاد وبين أداء واجبهم على وجهه " (١) .

والناقد الأدبي الحق ينبغي ألّا يكون حرا من مجاملة الأديب الصديق ، وينبغي ألّا يكون حرا أيضا من التحامل على الأديب الخصم فحسب ، وانما يجب أن يكون متحررا كذلك من مجاملة القراء ، فطه حسين يلحظ أن بعض النقاد يتملّق القراء ، ويراعي ميولهم وآراءهم في نقده ، وذلك من أجل أن يحظى بالرضا والقبول منهم ، فيروج كتابه ، ولكنه ينبّه الى خطر هذا ، ويرى أن كون الناقد يصدر عن ذات نفسه في آرائه ، لا يتعارض وكونه يتوجه بكتابته الى الناس ، يقول : " ... أنا اكتب للناس من غير شك ، ولكني أكتب لنفسي قبل أن أكتب للناس " (٢) .

واذن فهو يعرض على القراء رؤيته الخاصة ، لا رؤيتهم هم ، يقول : " ... عوّدت القراء أن أكون معهم عندما أحب أنا ، لا عندما يحبون هم " (٣) . واذن فالناقد الحر الصادق هو الذي لا ينزل على هوى قرائه ، وانما يعوّدهم النزول على هواه ، لأنه مؤهل أكثر منهم للحكم في الأثر الأدبي ، وأقدر على تقويمه ، ولكن كما ينبغي أن يكون الناقد الأدبي حرا من مجاملة القراء ، ينبغي أن يكون القراء أحرارا في أن يأخذوا برأي الناقد ، أو ألّا يأخذوا ، إذ المهم أن يكون كِلَا الطرفين صادقا مع نفسه ، يقول : " ... الناس أحرار في أن يذهبوا مذهبي ، أو ينصرفوا عنه ، فقد قلت وأعيد : إني أكتب لنفسي ، قبل أن أكتب للناس " (٤) .

وحين يتاح للنقد الأدبي أن يكون حرا ، بريئا ، على نحو ماسبق ، عندئذ تكون له فوائد جمة ، ويتحقق منه النفع المرجوّ ، فعلى الرغم من استثقال المنقودين له ، فإنه يكون في حقيقة الأمر : " ... **صنيعة يسديها الناقد الى الكتاب والشعراء ، ويستفيدون من النقد أكثر مما يخسرون** " (٥)

وقد نتساءل : كيف يكون النقد الأدبي صنيعة يسديها الناقد ، وهو الذي ينبغي ألّا يجامل ، وأن يقول الحقيقة ، التي قد تكون مرّة مؤلمة ؟ **فيكون الجواب :** إن الأدباء والشعراء ، من خلال النقد الحر ، يستطيعون أن يعرفوا رأي الناس فيما يكتبون : " ... وليست هذه المعرفة قليلة الفائدة ، يعرفون رأي الناس ، ويعرفون رأي المتخصصين (النقاد) ، فيقفون

---

(١) طه حسين ، حديث الأربعاء ، ص ١٦٢ ، ج ٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٦ .
(٣) طه حسين ، خصام ونقد : ص ١٥ .
(٤) طه حسين ، حديث الأربعاء ، ص ٩٤ ، ج ٣ .
(٥) حافظ وشوقي ، ص ١٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على مواضع القوة والضعف في فصولهم وقصائدهم ، فينفعهم هذا ، ويزيدهم قوة الى قوة ، ويعصمهم من السقوط والإسفاف " (١) .

وما دام النقد صنيعة على هذا النحو ، فالمطلوب من الأديب أو الشاعر أن يكون مستنيرا، وأن يقدّر النقد الحر حقّ قدره ، وأن يتقبّله مهما يكن ، وأن يقابل الصنيعة بالشكر ، على نحو مافعل احمد زكي ابو شادي مثلا ، فقد أرسل اليه شيئا من شعره ، وكتب اليه : " ... يسبق النقد بالشكر ، مسجّلا على نفسه أنه شاكر لهذا النقد ، مهما يتكشف عنه من الآراء ومهما يكن هذا النقد مرضيا ، أو غير مرض " (٢) .

واذا كان النقد الحر ، البرىء ، صنيعة تُسدى للأدباء ، فالنقاد إذن ليسوا مَدينين لهم بشيء ، وانما الأدباء : " ... هم مدينون للنقاد بكل شيء ، وأنّ الذين لا يؤمنون بهذه الحقيقة خليقون ألاّ يعرضوا للحياة الأدبية ، ولا يخوضوا غمارها " (٣) .

والناقد الأدبي الحق ينبغي أن يكون ذا موقف ، وعليه أن يذود عن آرائه ، وأن يناضل دونها ، إذا اعتقد أنها حق ، ولكن عليه أن يتراجع عن أي رأي ، إن تبيّن له أنه باطل ، يقول طه حسين عن آرائه في شوقي وحافظ ، حين جمع ماكتبه عنهما في كتاب : أنا مستعد " ... أحسن استعداد للنضال عنها ، والذود دونها ، والرجوع عن بعضها ، إن تفضل بعض النقاد، فأظهرني على أن فيها جورا عن القصد ، وانحرافا عن الحق " (٤) .

والنقد الأدبي الحر في رأيه حاجة طبيعية ، ضرورية ، لتقدم الحياة الأدبية ورقيها (٥)، فينبغي إذن أن يواكب هذه الحياة ، وألاّ يغيب عنها ، **واذن فالنقدواجب ملقى على كاهل الناقد ، ولا مناص له من تأديته ، وإلاّ لايبرأ من تهمة التقصير** ، ومن مسؤولية الإهمال .

ولقد أتى على طه حسين حين من الدهر ، انصرف فيه عن مزاولة النقد الأدبي ، وانصرف عنه زملاؤه ، إذ شُغلوا بألوان أخرى من الكتابة ، فماذا لاحظ؟ لقدلاحظ أن الحياة الأدبية تأخرت ، وسيطر الغرور على الأدباء الشباب ، في غيبة النقدالجاد الحر، " ... فملأ (الغرور) قلوبهم وعقولهم ، وصرفهم عن العناية بالفن ، والحرص على الإجادة ، والرغبة في الإتقان ،

---

(١) حافظ وشوقي ، ص ١٠٥.
(٢) طه حسين ، حديث الأربعاء ، ص ١٧٤ ، ج٣.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧٣.
(٤) طه حسين ، حافظ وشوقي ، ص ١٠٥.
(٥) حديث الاربعاء ، ص ٨١ ، ج٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخيّل إليهم أنهم قد بلغوا الكمال ، أو تجاوزوا الى ماهو فوق الكمال ، هناك آمنوا بأنفسهم ، واستيقن كل واحد منهم أنه نابغة ، وأنه آية بين أتراته " (١) .

وهنا يعترف طه حسين بفداحة الخطأ الذي ارتكبه ، إذ أهمل النقد الأدبي مدة من الزمن ، وترك لهؤلاء الأدباء الحبل على غاربه ، ثم يلوم زملاءه النقاد على انصرافهم عن النقد ، ولكنه يستدرك فيقول : " ... وألوم نفسي قبل أن ألوم أحدا غيري على إهمال النقد ، والإعراض عن هؤلاء الشباب ، فلو أننا مضينا فيما كنّا فيه ، نقوّم المعوج ، وندل المفسدين على وجوه الإصلاح ، لاستقامت لهؤلاء الشباب ، ... حياة أدبية صالحة ، لا يشوبها الغرور ولا يفسدها الادعاء العريض " (٢).

ثم يلفتهم إلى أن التقاعس عن أداء الواجب النقدي هو خطأ ، مهما تكن أسبابه ، بل هو إثم ، لا يتم التكفير عنه ـ كما يقول لهم ـ إلاّ " ... بالرجوع عن هذا الخطأ ، الذى تورطنا فيه ، والإثم الذى دفعنا اليه ، واستئناف النقد ، كما بدأناه ، حين كانت الحياة غضة ، نضرة ، ... وحين كانت الإجادة الأدبية هي التي يقصد اليها الأدباء ، دون الشهرة الفارغة والصيت الذي لا ينفع " (٣) .

ونتبيّن أن طه حسين يعني مايقول حقا ، ونتحقّق من صدق إحساسه بالمسؤولية النقدية ، حين نراه يعود ثانية الى ميدان النقد الأدبي ، فهو يبدو جادا بل صارما في نقده ، لا يترفق البتة بأدعياء الإبداع الأدبي ، ولا تأخذه رحمة بهؤلاء الذين يملأون بانتاجهم الغث الأسواق ، ويفسدون الأذواق (٤) ، وخير مثال على نقده الجاد الصارم نقده للشاعر محمود أبي الوفا (٥) ، فقد أهداه ديوانه ، ولكنه مع ذلك قسا عليه في نقده قسوة ، أدهشت القراء والدارسين ، ولقد شعر هو نفسه بهذه القسوة ، ولكنه مع ذلك قال : " ... لا أكره هذه القسوة ، وسيكرهها كثير من القراء " (٦) .

وحجته في هذا النقد العنيف الحارم ، أنه السبيل التي لامحيد عنها لقول كلمة يعتقد أنها الحق ، يقول : " ... الله يعلم أني أوثر الرفق على العنف ، واللين على الشدة ، ولكن الله يعلم أيضا أني لا أتردّد في الشدة والعنف ، حين يدعو إليهما الحق ، ويقتضيهما الإنصاف " (٧) .

---

(١) طه حسين ، حديث الأربعاء ، ص ١٧١ ، ج٣.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٢ ، ج ٣.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧٢ ، ج ٣.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٧٢.
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٨٦.
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٨٩.
(٧) المصدر نفسه ، ص ١٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وطه حسين يشعر في نقده الأدبي بمسؤوليته الجسيمة ، أمام قارئه ، ويرى من حقه عليه أن يصدقه القول ، وألاّ يحاول خداعه ، وبذا يعتذر عن قسوته في النقد أحيانا قائلا : " ... ماذا أصنع وللنقد علينا حقوقه ، وتكاليفه الثقال ، وللقراء علينا أن نصدقهم ، حين نتحدث إليهم فيما ينشر عليهم من أنواع الكلام " (١) .

لقد آمن إيمانا عميقا بأن السبيل الوحيدة لنهضة الحياة الأدبية ، ولمنع تدهورها وانحطاطها ، هو النقد الحر الجاد ، الذى لامجاملة فيه ولا هوادة ، ومعنى ذلك أنّ " ... النقد ... والنقد الصارم الجازم ، الذي لا يمهل ولا يهمل ، ولا يجامل ولا يصانع هو ضرورة من ضرورات الحياة الأدبية " (٢) .

وهو يدرك أنّ ناقدا واحدا ، مهما تكن كفاءته وتوفّره ، لن يستطيع أن ينهض بالعبء النقدي وحده ، لمواجهة التراجع النوعي في مستوى الإنتاج الأدبي ، الذي بدأ يظهر جليا قبل أن ينتهي النصف الأول من هذا القرن ، والذي يتحمل النقاد نصيبا من المسؤولية بإزائه ، ولذا يهيب بهم قائلا : " **... ما أشد حاجة الأدب العربي الى جماعة من النقاد ، أشداء في الحق ، حراص على سلامة هذه اللغة ، وحمايتها من الفساد الأجنبي ، وما أثقل الحق الذي يجب أن ينهض به هؤلاء النقاد ، إن وجدوا** " (٣) .

وهذا النقد الجاد الصارم من شأنه أن يثير الخصومات الأدبية والنقدية ،وهو يرى ألاّ بأس من ذلك، شريطة أن يلتزم الأدباء والنقاد المتخاصمون بالأسلوب العلمي في أثناء الحوار ، وألاّ يجنحوا الى أسلوب الشتم والملاحاة ، ذلك أنّ الحياة الأدبية الراكدة هي في الغالب حياة ضعيفة ، وأما الحياة الأدبية التي تتخللها الخصومات النقدية والمحاورات فهي حياة مزدهرة ، أو في سبيلها الى الازدهار ، ولذا فهو يتمنّى على زملائه النقاد أن يكونوا مثله ، حراصا على أن تشتد الخصومات الأدبية والنقدية ، ذلك أن الأدب في رأيه " جذوة يذكيها الوقود ، وتوشك أن تخمد ، إذا لم تجد هذا الوقود ، فلتذك جذوة الأدب إذن ، وليطع لهيبها ، ولا بأس أن يكون الأدباء والنقاد لها وقودا " (٤) .

* * *

(١) طه حسين ، حديث الأربعاء ، ص ١٨٦ ، ج٣.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢١٨ ، ج٣.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠١.
(٤) طه حسين ، خصام ونقد ، ص ١٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نخلص مما سبق الى أن طه حسين في طور النضج ، قد آمن حقا بالنقد الأدبي الحر من قيود المجاملة ، البرىء من مشاعر التحامل ، المترفع عن أسلوب الشتم والملاحاة ، في أثناء المحاورات النقدية والخصومات ، التي يراها ضرورية لإذكاء جذوة الأدب ، **فالحرية وحدها من شأنها أن تجعل النقد الأدبي يخلص للصدق والحق والإنصاف ، ... كما آمن أن هذا النقد الأدبي الحر الخالص ، هو واجب الناقد الذي يجب أن يؤديه ، ومسؤوليته التي ينبغي أن ينهض بها ، وأمانته التي لابد له من أن يحملها ، مهما تكن الظروف والأحوال** ؛ ذلك أن النقد الصادق الجاد ، هو السبيل الوحيدة لتنشيط الحياة الأدبية ، به يمكن أن تصبح خصبة منتجة ، ودونه تغدو فاترة راكدة ، واذن فهو ضروري ضرورة ملحّة لهذه الحياة .

وانطلاقا من هذا المفهوم ، أخذ لايتردد في تناول الكتاب والشعراء بالنقد الجاد الحر ، بل إنه حين غدا المحرر الأدبي لصحيفة " السياسة " في عام ١٩٢٢ ، أعلن عن اغتباطه بالفرصة المتاحة ، إذ أهاب بزملائه النقاد قائلا : **" ... إني سعيد كل السعادة بأن أبيح صحيفة الأدب للنقاد جميعا ، على ألاّ يخلو نقدهم من خصال ثلاث : الحرية ، ... والأدب ، ... والنفع "** (١) .

* * *

منهجه في النقد الأدبي

أخذ طه حسين في طور النضج يدعو النقاد الى توخي دقة التعبير ؛ إذ لا ينبغي لهم في النقد أن " ... يرسلوا الألفاظ إرسالا ، في غير تحديد ، ولا تحقيق " (٢) . ذلك أن النقد **الأدبي هو عملية عقلية ، تقوم على إصدار الأحكام ، المعلّلة تعليلا منطقيا مقنعا** ، واذن لابد من توخي الدقة والوضوح في اختيار الألفاظ ، يقول لزملائه النقاد : " ... لندع للشعراء ، وأمثال الشعراء ، هذه الألفاظ العامة المبهمة ، ولنذهب مذاهب الدقة والتحقيق ، حين نكتب في النقد ، وما يتصل به من فنون القول " (٣) .

ومن جهة أخرى ذهب الى أنه **لابدّ للناقد من مقاييس بعينها ، كي يصدر عنها في نقده الأدبي** ؛ ولذا كان يجهر بأنه يحتفظ دائما بمقاييسه الخاصة ، في نقد ماينتج الكتاب والشعراء (٤) .

---

(١) طه حسين ، حديث الأربعاء ، ص ٨٣ ، ج٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٩ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠٩ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كذلك كان يرى أنه **لا بد لناقد الأدب العربي في العصر الحديث ، من أن يكون له مذهبه النقدي الخاص ، الواضح** الذي يؤمن به ، لأن أمر الناقد الأدبي لم يعد كما كان في القرنين الثاني والثالث للهجرة مثلا ، فنقاد هذين القرنين في رأيه " ... لم تكن لهم مذاهب واضحة في النقد ، أو أن مذاهبهم لم يكن من شأنها أن ترضينا ، وكلا القولين صحيح ، فإنا لا نعرف لأدباء القرن الثاني والثالث للهجرة مذهبا في النقد معروفا ، أو خطة فيه واضحة "[١] .

أما طه حسين فقد بدأ طور النضج في نقده الأدبي ، حين وُفّق لمنهج خاص ، اصطفاه لنفسه ، وكوّنه من مذاهب نقدية مختلفة ، وظلّ يصدر عنه طيلة حياته النقدية .

ومنهج طه حسين في النقد الأدبي واضح كل الوضوح ، ذلك أنه يجهر به في كتابه " حديث الأربعاء " جهرا ، ويوفّر على دارسه الجهد في محاولة تعرّفه ، وذلك إذ يتوجه إلى كل ناقد أدبي بالتساؤل قائلا : " ... **إلامَ تقصد إذا عرضت لشاعر من الشعراء ، وأردت أن تقرأ شعره ، وتفهمه ثم تنقده ؟** "[٢] . ثم يجيب : إن الناقد الأدبي ينبغي أن يقصد الى ثلاثة أشياء أساسية :

أولها أن يصل الى **شخصية الشاعر المنقود ، فيفهمها ، وأن يحيط بدقائق نفسه ما استطاع** ، فيعرف كيف أحس ما أحس ، وكيف شعر بما شعر ، ثم كيف وصف إحساسه ، وأعرب عن شعوره[٣] .

وثانيها أن يهتم **بعصر الشاعر وببيئته وجنسه** ، وهو هنا يتّخذ من معرفته لشخصية الشاعر المنقود ، وما يؤلفها من عواطف ، وميول ، وأهواء ، وسيلة الى فهم العصر ، الذي عاش فيه والبيئة التي خضع لها ، والجنسية التي نجم منها ، فالناقد لا يقصد الى فهم الأديب أو الشاعر لنفسه ، وانما ينبغي أن يقصد الى فهمه ، من حيث هو صورة ، من صور الجماعة ، التي يعيش فيها[٤] .

ويحاول طه حسين أن يوضح رأيه النظري السابق ، من خلال ضرب أمثلة تطبيقية ، فيقول : " ... أبو نواس وحده لا يعنيك ، وانما يعنيك أبو نواس من حيث إنه كان يعيش ، لا أقول مع

---

(١) طه حسين ، حديث الأربعاء ، ص ٥٤ ، ج ٣ .
وانظر في نقد القرنين الثاني والثالث كتاب الدكتور إحسان عباس " تاريخ النقد الأدبي عند العرب " ص ٤٣ ـ ١٢٣ ، (دار الثقافة ، الطبعة الثانية ـ بيروت ـ ١٩٧٨) .
(٢) طه حسين ، حديث الأربعاء ، ص ٥٢ ، ج ٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٢ ـ ٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلان وفلان ، وقل مثل ذلك في شوقي ، وقل مثله في حافظ ، فالشاعر ليس شاعرا ، لأنه يقول فيحسن ، وانما هو شاعر ، لأن قوله الحسن هذا يمثل عواطف الذين يسمعونه ، ويقرؤونه "[١] ، **ومعنى ذلك أن الشاعر يمثّل ذوق الجماعة ، لأنهم لا يستحسنون شعره ، إلاّ لأنه " ... يرضيهم ، ويقع في نفوسهم موقع الإعجاب "**[٢] .

وأما الأمر الثالث ، الذي ينبغي أن يهتم به الناقد الأدبي ، بعد أن يعرف شخصية الشاعر المنقود ، ويعرف عصره وبيئته وجنسه ... فهو **الجمال الفني في الأثر الأدبي** ، هل يحسادف هوى في نفسه حين يقرأه ؟ ... وهل يلائم عاطفة من عواطفه ، ويرضي حاجة من حاجاته الى الجمال ؟[٣]

وأما الحكم العام في شاعرية الشاعر فلا ينبغي أن يتم اعتمادا على جزء من شعره ، كما كان يفعل القدماء ، إذ كانوا يحكمون للشاعر بأنه أشعر الشعراء ، من أجل بيت أو أبيات قليلة ، فهذا محذور نقدي ينبغي أن يتجنبه الناقد المحدث ، يقول : **" ... إسراف أن تحكم على الشاعر ببيت أو بيتين ، واسراف أن تحكم له ببيت أو بيتين ، بل إسراف أن تحكم للشاعر المكثر ، أو عليه ، بقصيدة ، أو قصيدتين ، أو قصائد "**[٤] .

فهذا الأسلوب القديم في النقد لم يعد ملائما البتة ، ولذا فهو ينصح للناقد الحديث ، قائلا : **" ... لا ينبغي أن تسلك هذه السبيل في النقد ، فهي عنيفة معوجّة ، ولا تنتهي الى نتيجة صحيحة ، ولا مقنعة ، ولا سيما في هذا العصر ، وانما السبيل أن تتبين روح الشاعر ، وشخصيته ، وتحكم له أو عليه ، بما تتبيّن منهما "**[٥] .

ثم يعود مرة أخرى ، فيقدم صورة موجزة للمذهب النقدي ، الذى يؤمن به ، ويحاول من طرف خفي أن يقنع غيره من النقاد بانتهاجه ، قائلا : **" ... إذن فأنت تنقد الشاعر ، لتفهم شخصيته أولا ، ثم جماعته ، أو عصره ، أو بيئته ، أو هذا كله ثانيا ، وهنالك شيء ثالث تقصد اليه ، حين تقرأ الشعر ، وهو اللذة ، اللذة الفنية ، اللذة التي تجدها ، إذا نظرت الى شكل جميل ، أو استمعت الى قطعة من الموسيقى ، ... عقلك وشعورك يعملان إذن حين تقرأ الشعر ، وحين تنقده ، لأنك تريد أن تفهم ، وتريد أن تلتذ "**[٦] .

---

(١) طه حسين ، حديث الأربعاء ، ص ٥٣ ، ج ٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٣ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٩٨ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٩٨ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا هو المذهب الذي انتهجه طه حسين في نقده الأدبي ، وقبل أن نحاول البحث عن أصوله المختلفة ، ينبغي أن نلاحظ أنه اهتدى اليه ، واصطفاه لنفسه ، قبل أن يسافر الى فرنسا ، وليس بعد دراسته فيها ، كما يمكن أن يتبادر الى أذهاننا ، وليس هذا بغريب ، ذلك أن كتابات بعض النقاد الأوروبيين ، من أمثال : **تين ، وسانت بيف** ، كانت غير مجهولة في العالم العربي ، قبل دراسة طه حسين في الجامعة المصرية ، وفي أثنائها ، ذلك أن بعض الكتاب الشاميين كان يتحدث عنها ، من أمثال ، **قسطاكي الحمصي** في كتابه " منهل الوراد في علم الانتقاد " الذى نشره في عام ١٩٠٧[١] .

والدليل على أنه **اهتدى الى مذهبه النقدي قبل الدراسة في فرنسا** ، دراسته النقدية في شعر أبي العلاء وأدبه ، التي نال بها درجة الدكتوراه (العالمية) من الجامعة المصرية عام ١٩١٤ ، فهو فيها قد قام بدراسة العصر ، الذي نشأ فيه أبو العلاء ، وبيئته التي عاش فيها ، من جميع الجوانب[٢] ، ثم قام بدراسة شخصيته في أطوار حياته المختلفة[٣] ، ثم قام بعد ذلك بدراسة نقدية فنية في شعره[٤] ، ولذا رأيناه لا يتردّد في وصف هذه الدراسة ، حتى بعد عودته من أوروبا ، بأنها كانت أول دراسة في الأدب العربي ، تتم وفق خطة مرسومة ، كما يفعل الأوروبيون[٥] . ومعنى ذلك أنه يعتزّ بمنهجه الذي اتبعه فيها ، ولا يحاول التراجع عنه .

أما مذهبه النقدي فيلاحظ أنه لم يتّبع فيه ناقدا واحدا بعينه ، ذلك أنّ شخصيته النقدية قد بلغت من القوة والأصالة حدا ، جعله يؤلّف مذهبه في النقد الأدبي من مذاهب نقدية عدة ، رأى أن المنهج النقدي يتكامل حقا باتّئتلافها .

وقد تعرّف طه حسين هذه المذاهب النقدية المختلفة مبكرا ، وذلك خلال دراسته في الأزهر والجامعة المصرية القديمة ، فهو في بعض مذهبه النقدي قد أفاد من دراسته على المستشرقين عامة ، وعلى أستاذه **كارلو نللينو** خاصة ، وهو في بعضه الآخر قد أفاد من دراسته النقد العربي على أساتذة عرب ، أعجب بهم من أمثال : **سيد بن علي المرصفي ، وحفني ناصف** .

---

(١) انظر في ذلك كتاب " المرايا المتجاورة " للدكتور جابر عصفور ، ص ٦٢ .

(٢) انظر كتاب " تجديد ذكرى أبي العلاء ، ص ٣٨٣ - ٤٥٨ ، عن دراساته المجموعة بعنوان : " من تاريخ الأدب العربي " ، المجلد الثالث .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٥٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٣٣ ،
وانظر
Piere Cachia , Taha Husayn. P. 167.

(٥) طه حسين ، " تجديد ذكرى أبي العلاء " ص ٣٧٢ ، المجد الثالث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واذن فمذهب طه حسين النقدي ، لا يقوم على أساس أوروبي خالص ، ولا على أساس عربي خالص ، وانما يقوم على كليهما معا ، ففيه يأتلف النقد العربي والنقد الأوروبي ائتلافا مناسبا ، هذا الائتلاف الذي يبدو في نشاط طه حسين الثقافي كله ، على اختلاف مناحيه ، والذي رأيناه - في الفصل الماضي - يرد الفضل فيه الى أساتذة مصريين أكفاء ، أعجب بهم ، فأتاحوا له أن " ... يأوي الى ركن شديد من الثقافة الشرقية الخالصة ، وأتاحوا لمزاجه أن يأتلف ائتلافا معتدلا من علم الشرق والغرب معا "[١] .

الأثر العربي والأوروبي في منهجه :

على أنّه يعترف بأنه في منهجه النقدي الأدبي مدين في الغالب لأستاذين كبيرين صادفهما قبل ذهابه الى فرنسا ، وهما : سيد بن علي المرصفي ، وكارلو نللينو ، **أما الأول** فقد علّمه كيف يقرأ النص العربي القديم ، وكيف يفهمه ، وكيف يتذوقه ، وكيف ينقده من الناحية الفنية . **وأما الثاني** فقد علّمه كيف يدرس النص ، وكيف يستنبط الحقائق منه ، وكيف يلائم بينها ، وكيف يصوغها [٢] .

فهما إذن اللذان هديا الى مذهبه النقدي مبكرا ، فانتهجه في رسالة الدكتوراه عام ١٩١٤ ، وأما دراسته بعد ذلك في فرنسا ، فلم تزده إلاّ اقتناعا بمذهبه ، يقول : **" ... كل ما اتيح لي بعد هذين الأستاذين العظيمين ، من الدرس والتحصيل ، في مصر ، وفي خارج مصر ، فهو قد أقيم على هذا الأساس ، الذى تلقيته منهما في ذلك الطور الأول من أطوار الشباب "**[٣] .

ثم يصوّر مدى فضلهما عليه في حياته الأدبية ، بقوله : **" ... بفضلهما لم أحسّ الغربة ، حين أمعنت في قراءة كتب الأدب القديم ، وحين اختلفت الى الأساتذة الأوروبيين في جامعة باريس ، وحين أمعنت في قراءة كتب الأدب الحديث "**[٤] .

وقد لاحظنا أن منهج طه حسين في النقد الأدبي يهتم بثلاثة أمور أساسية ، شخصية الأديب المنقود ، ثم عصره وبيئته وجنسه ، ثم الجمال الفني في الأثر الأدبي ، ويلاحظ أن كلاً منها في الحقيقة مذهب نقدي بعينه .

---

(١) مذكرات طه حسين ، ص ٦٣ .
(٢) طه حسين ، نقد واصلاح ، ص ١٦٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٦٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الاهتمام بشخصية الأديب المنقود فهو مذهب الناقد " سانت بوف - Saint Beuve "، ذلك أن من المعروف عن هذا الناقد الفرنسي[١]، أنه في نقده الأدبي يهتم " ... بأن يجد شخص الشاعر أو الكاتب، وبأن يحلل هذا الشخص، ويصل الى دقائقه، ودخائله، كما يفعل علماء التاريخ الطبيعي في معاملهم، ولكن الشخص وحده لا يكفيه، ولا يعنيه، وانما يتخذ هذا الشخص وسيلة الى النوع، يتّخذ هذا الجزئي وسيلة الى الكلّي "[٢].

وهـذا المذهب النقدي[٣] على وجاهته هو في رأي طه حسين لا يكفي، ليكون وحده منهجا في النقد الأدبي.

وأما الاهتمام بعصر الأديب المنقود، وبيئته وجنسه فهو مذهب الناقد الفرنسي هيبوليت تين Taine "[٤] ذلك أن شخصية الأديب المنقود لا تعنيه، كما لا يعنيه مزاجه وعواطفه، وكل مايكوّن نفسه، إلاّ " ... من حيث هو أثر من آثار العصر، الذي عاش فيه والبيئة، التي خضع لها، والأمّة التي نجم منها، فالشخص عنده أثر من آثار هذا العصر، وهذه البيئة، وهذه الأمة "[٥].

---

(١) ولد الناقد سانت بوف سنة ١٨٠٤، ومن أشهر كتبه " تاريخ بور رويال " و " في الصورة الأدبية " و " أحاديث الاثنين " و " شاتوبريان " وقد توفي سنة ١٨٦٩.
انظر كتاب طه حسين " في الأدب الجاهلي "، ص ٤٣، وانظر شيئا من حياة هذا الناقد والتشابه بين نقده ونقد طه حسين في كتاب " طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه " لكمال قلته، ص ١٤٧.

(٢) طه حسين، حديث الأربعاء، ص ٥٣، جـ ٣،
وانظر أيضا في الأدب الجاهلي، ص ٤٣.

(٣) انظر مذهب سانت بوف في النقد الأدبي على نحو مفصّل في كتاب :
Rene Wellek, A History of Modern Criticism, Vol. III, PP. 34 - 72, Jon athan Cape, London, 1966.

(٤) ولد الناقد تين عام ١٨٢٨، ومن أشهر كتبه " فلسفة الفن " و " مقدمة لتاريخ الآداب الإنجليزية " وقد نال درجة الدكتوراه برسالة عن لافونتين وأساطيره.
انظر كتاب " في الأدب الجاهلي "، ص ٤٤.

(٥) حديث الأربعاء، ص ٥٣، جـ ٣، وانظر " في الأدب الجاهلي " ص ٤٤.
وانظر منهج تين النقدي على نحو مفصل في كتاب :
George Saintsbury, A History of Criticism. Vol. III, PP. 440 - 444, Black word and sons, London and Edinburgh, 1961.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويُلاحَظ تأثر طه حسين الواضح في رسالته " ذكرى أبي العلاء " بمذهب تين السابق[١] .

على أن هذا المذهب إنْ اقتنع به جزئيا ، فإنه في رأيه لا يكفي أيضا ، ليكون وحده منهجا متكاملا في النقد الأدبي .

وأما الاهتمام بالجمال الفني في الأثر الأدبي فهو مذهب "جول لمتر Jules Lemaitre"[٢]، إذ إنّه يرى أنّ الاهتمام بالشخصية ، وبالعصر والبيئة ، هو " ... لغو ، وثرثرة ، وأن الفن وحده هو الذي يعنيه ، ويعنيه من حيث إنه يؤثر في النفس ، فيبعث فيها العواطف ، على اختلافها ، ويبعث فيها الرضا والإعجاب "[٣] .

على أنه وإنْ أعجب بمذهب لمتر ، قد رأى أيضا أنه وحده لا يكفي عملية النقد الأدبي .

واذن فقد رأى أنّ المذاهب النقدية السابقة ينبغي أن يؤلّف بينها ، لتكوّن معا منهجا متكاملا في النقد الأدبي ، يقول : " ... **في الحق أن الناقد لا يقتنع بما كان يقتنع به (سانت بوف) أو (تين) أو (جول لمتر) أو غيرهم من النقاد ، وانما يودّ لو استطاع أن يوفّق إلى هذا كله ويستخلص منه غرضا شاملا يطلبه ، ويسمو إليه حين ينقد ، فيفهم شخصية الشاعر ، أو الكاتب ، وعصره ، وفنه** "[٤].

وهنا يمكن أن نلاحظ ملحوظات عدة : منها أن طه حسين لم يكن في أخذه عن النقاد السابقين مبهورا ، يأخذ المذهب النقدي على عواهنه ، دون تدبّر أو تمحيص ، وانما كان يأخذ مايعجبه ، وينقد ما لا يقنعه ، ولقد مرّ بنا أنه في **تعريفه للنقد الأدبي ، لم يوافق سانت بوف على مفهومه ، بل رأى أنه أخفق ، حين حاول في نقده أن يكون عالما** [٥] .

---

(١) انظر " تجديد ذكرى أبي العلاء " ، ص ٣٧٦ ، من دراساته المجموعة بعنوان " من تاريخ الادب العربي " المجلد الثالث .

(٢) انظر مذهب جول لمتر في النقد الأدبي على نحو مفصل في كتاب :
Rene Wellek, A History of Modern Criticism, Vol. I, PP. 22-24.

(٣) طه حسين ، حديث الأربعاء ، ص ٥٣ ، ج ٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٤ .

(٥) انظر " في الأدب الجاهلي " ، ص ٤٦ - ٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحق أن طه حسين " لم يتقبل أفكار سانت بيف ، أو تين على علاّتها ، بل حـــاول أن ينقدها نقدا ، أفاد فيه من إنجاز أستاذه " جوستاف لانسون " Gustave Lanson " (١٨٥٧ - ١٩٣٤) على وجه الخصوص "[١]

ويلاحظ أنه قد أفاد إفادة كبيرة ، **من منهج ديكارت** ، ليس في نقده العلمي فحسب ، وانما في نقده الأدبي أيضا ؛ إذ تمكن من خلال منهجه في الشك من أن يلائم " ... بين هذا الشـــك ، وما يذهب اليه كل من سانت بيف ، وتين ، أو يقدم الشك بين يدي تفسير الأعمال الأدبيـــة في ضوء البيئة ، والجنس ، والزمن والعبقرية ، ومن هنا نفهم لماذا تكثر في نقده (الأدبـــي) عبارات الترجيح والاحتمال "[٢] .

على أن أهمّ الملحوظات جميعا ، تتمثل في تساؤلنا : إذا كان مذهب طه حسين في النقد الأدبي يقوم على الائتلاف الملائم بين المذاهب الثلاثة السابقة ، وأصحابها كلهم فرنســـيون ، **فأين إذن نصيب النقد العربي في هذا المذهب التكاملي ، كما سبق ، وذكرنا ؟**

أما الجواب فهو أن طه حسين قد وافق " جول لمتر " على ضرورة النقد الفني ، وتلمّـــس الجمال في الأثر الأدبي ، كما وافق أستاذه " لانسون Lanson "[٣] على أن العمـــل الأدبي يختلف عن الوثيقة التاريخية ، بما تثيره صياغته من استجابة عاطفية ، وجمالية ، وأن عـــلى الناقد أن يتوقف بإزاء هذه الصياغة ، معتمدا على ذوقه ، وبذا يصبح النقد الفني عملية تذوّق[٤] .

ولكن علينا أن نلاحظ أنـــه حين وافق " جول لمتر " و " لانسون " لم يستعر بهـــذه الموافقة ذوقيهما ، وانما احتفظ بذوقه الأدبي الخاص ، وتكوين ذوقه الأدبي الخاص هـــو فـــي الغالب تكوين عربي ؛ لأنه نشأ ونما خلال دراســـته الأدب العربي في الأزهـــر ، ثـــم فـــي الجامعة المصريـــة القديمـــة .

---

(١) د. جابر عصفور ، " المرايا المتجاورة " ، ص ٤٩.

(٢) د. احمد كمال زكي " النقد الأدبي الحديث " ، ص ٨٩.
ولمعرفة مدى افادته من منهج ديكارت في أدبه انظر كتاب " طه حسين وأثـــر الثقافة الفرنسية " لكمال قلته ، ص ١٣٢ - ١٤٧.

(٣) انظر منهج لانسون " Lanson " النقدي على نحو مفصل في كتاب :
Rene Wellek, A History of Modern Criticism, Vol. II, PP. 71 - 79.

(٤) انظر كتاب " المرايا المتجاورة " لجابر عصفور ، ص ٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا ريب في أنه قد تأثر بالذوق العربي القديم ، من خلال أستاذه **سيد بن علي المرصفي** ، ودروسه في الأدب ، لا نستخلص هذا استخلاصا ، وانما نعتمد فيه على اعتراف طه حسين نفسه ، وذلك إذ يقول عنه : " ... **حبب الأستاذ ، ودروسه قد أثّرا في نفسي تأثيرا شديدا ، فصاغاها على مثاله ، وكوّنا لها في الأدب والنقد ، ذوقا على مثال ذوقه** "(١) .

واذا كان ذوقه قد تكوّن على مثال ذوق أستاذه المرصفي ، فذوق أستاذه الشيخ كان عربيا خالصا ، ذا تأثير قوي في الطلاب من فرط سلامته ، يقول : " ... أستاذنا الجليل سيد بن علي المرصفي **أصحّ** من عرفت بمصر **فقها في اللغة ، وأسلمهم ذوقا في النقد ، وأصدقهم رأيا في الأدب** "(٢) .

وعلى الرغم من اتصاله الوثيق بالأدب الأوروبي ، ونقده ، فيما بعد ، فإن هذا لم يستطع أن يمحو تأثره النقدي بأستاذه المرصفي ، إذ يعترف بأن هذا التأثر قد بقيت منه آثار حسان في طور النضج النقدي ، مثل : " ... دقة النقد اللفظي ، والحرص على إيثار الكلام ، إذا امتاز بمتانة اللفظ ، ورصانة الأسلوب "(٣) .

وقد ظل طه حسين ، بعد عودته من فرنسا ، يعرض في إعجاب لمذهب أستاذه المرصفي في النقد الأدبي ، وكيف كان ينمّي أذواق طلابه ، ويروّض هذه الأذواق على تعرّف الجمال وأسراره في الأثر المنقود ، يقول مصوّرا نقده : " ... **نقد حر للشاعر أولا ، وللراوي ثانيا ، وللشرح بعد ذلك ، وللغويين على اختلافهم بعد أولئك وهؤلاء ، ثم امتحان للذوق ، ورياضة له على تعرّف باطن الجمال في الشعر والنثر ، في المعنى جملة وتفصيلا ، في الوزن والقافية ، وفي مكان الكلمة بين أخواتها** "(٤) .

وهذا المذهب النقدي الذي كان ينتهجه الشيخ المرصفي هو مذهب عربي تتمثل فيه رقة الذوق القديم ؛ ولذا كان في هذا النقد " ... اختبار للذوق الحديث ، في هذه البيئة التي كان يلقى فيها الدرس ، وموازنة بين غلظة الذوق الأزهري ، ورقة الذوق القديم "(٥) .

وسنلحظ أن أسلوب الشيخ المرصفي في النقد الأدبي ، على النحو السابق ، قد بقيت منه

---

(١) طه حسين ، " تجديد ذكرى أبي العلاء " ، ص ٣٦٥ ، من دراساته التي بعنوان " من تاريخ الأدب العربي " ، المجلد الثالث .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٦٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٦٧ .

(٤) طه حسين ، الأيام ، ص ١٦٣ ، الجزء الثاني .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

آثار قوية واضحة في نقد طه حسين الأدبي، إذ يُلاحَظ أنه حين يحاول أن يتعرّف مواضع الجمال أو الضعف في العمل الأدبي المنقود، يعمد حقا الى النقد الحر، فيحاول أن يتلمّس هذه الأسرار في المعنى، أو المضمون جملة وتفصيلا حينا، ثم في اللفظ وفي اللغة حينا آخر، ثم في الوزن والقافية حينا ثالثا [١].

وهكذا يمكننا أن نقرّر أنّ النقد والذوق العربيين قد بقيت منهما آثار في نقده الأدبي، واذا كان طه حسين يذهب الى أن نقد أستاذه المرصفي هو استمرار للنقد العربي القديم في أزهى عصوره [٢]، فإن الدكتور أحمد كمال زكي يذهب الى أن طه حسين في نقده، قد " ... بدأ من حيث انتهى سيد المرصفي "[٣].

وقد دعا الأثر العربي الواضح في نقد طه حسين الأدبي الدكتور جابر عصفور الى القول: " ... إنّ طه حسين في نظرته الى الشكل اللغوي أو الكساء الخارجي للمعنى، لا يتجاوز النقاد العرب القدماء، من أمثال: ابن قتيبة، وابن طباطبا، أو قدامة بن جعفر، أو الآمدي، وأنه يظل مخلصا لتقاليدهم التي تواصلت عبر أستاذه سيد بن علي المرصفي "[٤].

على أن جابر عصفور يذهب أيضا الى أن طه ذا الثقافة المعاصرة الواسعة، يظل نقده الأدبي صورة متطورة، ويبقى هو متميزا من هؤلاء النقاد القدماء بصيغته النقدية، التي تنطوي على عناصر من النقد الأدبي الحديث [٥].

خلاصة القول: إنّ آثارا من النقد العربي القديم ومذاهب من النقد الأوروبي الحديث قد ائتلفت معا في منهج طه حسين التكاملي ائتلافا ملائما معتدلا، على نحو ماسنلمس في وضوح خلال الفصول القادمة، حيث سنعرض لجهده في النقد الأدبي على اختلاف مناحيه.

* * *

---

(١) انظر مثال ذلك نقده لإيليا أبي ماضي في تناوله لديوان " الجداول " عامة، ولقصيدة الطين خاصة (حديث الأربعاء، ص ١٩٥، ج ٣).

(٢) انظر " في الأدب الجاهلي "، ص ٠٧.

(٣) النقد الأدبي الحديث، ص ٠٨٩.

(٤) د. جابر عصفور، المرايا المتجاورة، ص ٠١٩٨.

(٥) المرجع نفسه، ص ٠١٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـل الثالث

جهـده في نقد الشـعر الجاهـلي والأمـوي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مفهومه لفن الشعر :

يُلاحَظ أنّ طه حسين في أثناء دراسته للشعر الجاهلي[١] قد حاول أن يتوصّل الى **تعريف يَسير مقبول لفن الشعر ، وفق مفهومه الخاص له ،** وقد اضطر في سبيل هذه الغاية الى مناقشة آراء النقاد القدامى ، ليقرّر أنهم لم يتفقوا على مفهوم موحّد له ، ويُلاحَظ أنّه عرض لمفاهيمهم المختلفة عامة ، ثم توقّف عند **ابن قتيبة** خاصة ، ليعرض لتقسيمه الشهير للشعر ، فهو قد قسّمه - كما نعرف - أربعة أضرب ، هي : ماحسن لفظه ومعناه ، وما حسن لفظه دون معناه ، وما حسن

---

(١) لا ريب في أنّ الذي يعنينا هنا من نقد طه حسين للشعر الجاهلي هو نقده الأدبي، وليس نقده العلمي الذي أثار ضجة هائلة حين نشر كتابه " في الشعر الجاهلي " ، حتى اضطر الدولة المصرية الى جمع نسخ الكتاب ، وكان عددها (٧٨٧) نسخة .
(... انظر تفصيل ذلك في كتاب " طه حسين أيام ومعارك " ، ص ٥٤ - ٦٦ لنجاح عمر) ، ثم انظر " تحت راية القرآن " للرافعي ، ص ٢٧٨ وما بعدها .
وأما في قرار النيابة العامة في قضية الكتاب انظر مجلة القضاة ، ص ٢٠٠ ، السنة التاسعة عشرة - العدد الأول - يناير / يونيو - القاهرة ، ١٩٨٦.

وقد نشر طه حسين الكتاب في عام ١٩٢٦ ، ولما جمعت نسخه عاد فأصدره عام ١٩٢٧ ، ولكن بعد أن حذف منه ، وأضاف إليه ، وغيّر بعض عنوانه ، فأضحى " في الأدب الجاهلي ".
وقد أقام نقده العلمي فيه على منهج ديكارت في الشك .
(انظر حديثه المفصل عن طبيعة هذا المنهج ص ٦٧ من الكتاب) .

وذهب خلال هذا النقد الى الشك في صحة معظم الشعر الجاهلي، وخلص منه الى القول : إنه مقتنع مطمئن من خلال هذا النقد الى أن " كثرة هذا الشعر الجاهلي لا تمثّل شيئا ولا تدلّ على شيء إلاّ ماقدّمنا من العبث والكذب والنحل " .
انظر ص ٢٤٤ من كتابه " في الأدب الجاهلي " .

وقد تكفّلت بحوث وكتب عدة بالرد على نقد طه حسين العلمي ، وحاولت نقضه ، وكان من آخرها وأبرزها كتاب **" مصادر الشعر الجاهلي " للدكتور ناصر الدين الاسد ،** والكتاب في الأصل رسالة علمية نال بها المؤلف درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة في عام ١٩٥٥ ، والرسالة في حقيقتها ردّ علمي منظم متكامل - ولكن غير مباشر - على الشكوك والمطاعن التي وجهها طه حسين الى الشعر الجاهلي وصحته ، كما عرضت للبحوث والكتب التي ردّت عليه في السابق، وقدّمت خلاصة وافية لها . (انظر " مصادر الشعر الجاهلي " ص ٤٠٢ وما بعدها - الطبعة الثالثة - دار المعارف - القاهرة - ١٩٦٦).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معناه دون لفظه ، وما فسد لفظه ومعناه جميعا[١] .

ومع أنّ طه حسين يقرّ بأنّ في الشعر " ... جمالا فنيا خالصا ، يأتيه أحيانا من قِبَل اللفظ ، وأحيانا من قِبَل المعنى ، وأحيانا من قِبلهما جميعا "[٢] - فإنه يستدرك بعد هذا ، فيقول عن تقسيم ابن قتيبة : إنه تقسيم على مايظهر فيه من الدقة المنطقية ، لا يجدى شيئا ؛ لأنّ نقاد الأدب لا يستطيعون أن يتفقوا على هذا الحسن ، الذي يوصف به اللفظ والمعنى : أحدهما أو كلاهما[٣] ، وهو يعلّل هذا الاختلاف بأن الحكم لجمال الشعر ، أو حسنه ، مردّه الى الذوق ؛ ولذا " ... **فان حكم الناقد يختلف باختلاف ذوقه ، ومزاجه وذوق بيئته ومزاجها** "[٤] .

على أنّ هذا لا يعني البتة أنّه يقرّ مذهب الفصل بين اللفظ والمعنى في الشعر ، على نحو ماذهب بعض النقاد القدامى ، من أمثال : ابن قتيبة ، ذلك أنه يعلم دون ريب أن النقد العربي القديم - فضلا عن النقد الأوروبي الحديث - قد تجاوز القضية ، وذلك حين نادى **عبدالقاهر الجرجاني** في القرن الخامس للهجرة بنظرية النظم[٥] ، وآية ذلك أنّه حين يعرض للقضية عينها في موضع آخر نجده يقول : " ... **إن من أعسر العسر أن تفصل بين صورة الأدب ومادته** ، فالأدب يوشك ألاّ يخضع لهذا النوع من التحليل ، الذي يعمد اليه العلماء وأصحاب الكيمياء منهم خاصة "[٦] ، بل سنراه في محاوراته يسخر على من يحاول الفصل بينهما أو التحيز لأحدهما .

* * *

وبعد المناقشة السابقة ، يخلص أخيرا الى **تعريف يسير ، موجز ، لفن الشعر** ؛ ذلك أنه يعرّفه " ... **بأنّه الكلام المقيّد بالوزن والقافية ، والذي يُقصَد به الى الجمال الفني** "[٧] .

---

(١) انظر " في الأدب الجاهلي " ، ص ٣١٢ .
وانظر كتاب " الشعر والشعراء " لابن قتيبة ، ص ٦٤ - ٦٩ ، الجزء الاول - تحقيق احمد محمد شاكر - دار المعارف - القاهرة - ١٩٦٧ .
وانظر كتاب " تاريخ النقد الأدبي عند العرب " لإحسان عباس ، ص ١٠٨ ، الطبعة الثانية .

(٢) في الأدب الجاهلي ، ص ٣١٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣١٢ .

(٤) المصدر نفسه : ٣١٢ .

(٥) انظر " تاريخ النقد الأدبي عند العرب " لإحسان عباس ، ص ٤٢٢ - ٤٢٧ .

(٦) طه حسين ، " خصام ونقد " ، ص ٨٧ .

(٧) في الأدب الجاهلي ، ص ٣١٢ - ٣١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو يرى أنّه في تعريفه هذا ، لا يعمد الى الإغراب ، فتعريفه يسير ، فيه تواضع واعتدال ؛ لأنّه " ... يلتمس الشعر من حيث هو حقيقة واقعة ، تدرس وتستقرأ ، لا من حيث هو مثل أعلى يسمو اليه الشاعر والناقد "(١) .

وجودة الشعر في رأيه ينبغي أن تُلتمس فيه من ناحيتين معا ، **أما الأولى** فهي أن يتوفّر فيه مظهر من مظاهر الجمال الفني المطلق ، وهو من هذه الناحية " ... موجّه الى الناس جميعا ، مؤثر في الناس جميعا ، ولكن يشترط أن يعدّوا لفهمه وتذوّقه "(٢) .

وأما الناحية الثانية فهي أنّ الشعر ينبغي أن يكون في الوقت نفسه " ... مرآة تمثّل في قوة أو ضعف شخصية الشاعر وبيئته ، وعصره ، وهو من هذه الناحية متصل بزمانه ومكانه "(٣) .

ويُلاحَظ أنّ هذين الشرطين اللذين يشترطهما لجودة الشعر ، يتفقان ومنهجه السابق في النقد الأدبي ، فالشعر في نظره يفقد جودته ، بل قيمته الحقيقية ، إذا خلا من إحدى الخصيصتين السابقتين ، ذلك أنّ مظهر الجمال الفني ، الذي ينبغي أن يتوفر في الشعر هو مطلب " ... تطمح اليه الإنسانية كلها ، وهو بهذا صلة قوية بين الشعوب والأجناس ، مهما تختلف عصورها وبيئاتها "(٤) .

والشعر حين يمثّل شخصية الشاعر ، وبيئته ، وعصره ، يغدو عندئذ مصدرا من أصدق مصادر التاريخ ، شريطة أن نعرف كيف نقرأه ، وكيف نفهمه ، وكيف نخضعه لمناهج البحث العلمي ، فإذا عرفنا كيف نفعل ذلك كله ، نجده " ... يصور لنا حياة الأفراد ، والجماعات في أزمنتها ، وأمكنتها المختلفة ، وهو بهذا يمكّننا من الموازنة والمقارنة ، واستخلاص مايجمع بين الناس من صلة ، وما يفصل بينهما من فروق "(٥) .

ومن خلال هذا المفهوم للشعر ، يخلص طه حسين الى أنّ **أهم مايطلب من الشعر الحق ، هو "... أن يكون فيه حظ من الجمال الفني ، يحسّه المعتدلون من الناس جميعا ؛ حتى يستطيعوا أن يذوقوه ، ويسيغوه مهما تختلف العصور والبيئات "**(٦) .

---

(١) في الأدب الجاهلي ، ص ٣١٣.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣١٧.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣١٧.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣١٧.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٣١٨.
(٦) المصدر نفسه ، ص ٣١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعر العربي القديم وواجب الناقد الحديث :

وبعد أن يبيّن طه حسين مفهومه للشعر الحق، يتساءل من طَرف خفي في ضوء هذا المفهوم: **هل الشعر العربي القديم جيّد ؟ وهل هو مازال يستحق القراءة حقا في هذا العصر ؟**

ثم نراه يجيب عن هذا التساؤل ، مجاهرا برأيه في الشعر العربي القديم ، مبيّنا موقفه منه بقوله : " ... نحن نزعم - ونظننا موفقين - **أن هذا الحظ من الجمال الفني قوي عند الشعراء المجيدين من العرب** يحسه ، ويلذه الناس جميعا ، متى استطاعوا أن يقرؤوه أو يفهموه ، أي متى أعدّوا له أنفسهم بالثقافة الملائمة له "[(١)].

وهذا التساؤل ، وتكلّفه مشقة التمهيد والإجابة ، لم يكونا دون داع ، أو مسوّغ ، فقد لاحظ أنّ ثمة **نقادا** ، ممّن اتصلوا بالثقافة الأوروبية ، من أمثال **سلامة موسى** ، يجهرون بازدرائهم للأدب العربي القديم كله ، ويغضّون منه ، ولا يتورّعون عن دعوة القراء الى الازورار عنه ، زاعمين أنه لم يعد ملائما لهذا العصر ، وللذوق الأدبي الحديث [(٢)].

وهنا نجده يتصدى لهذه الادّعاءات ، ليبيّن مافيها من زيف ، وما تنطوي عليه من باطل ، مقرّرا أن حظ الشعر العربي القديم من الجمال الفني قوي ، واذن فهو يستحق القراءة ، بل نراه لا يتردّد في المجاهرة بأنه شغوف بالشعر القديم ، ويريد له " ... أن يظل في هذا العصر الحديث ، كما كان من قبل ، ضرورة من ضرورات الحياة العقلية ، وأساسا من أسس الثقافة ، وغذاء للعقول والقلوب "[(٣)].

وطه حسين الذي استطاع أن يحافظ على شخصيته العربية من الفناء في الثقافة الأوروبية ، بفضل بعض أساتذته العرب - كما رأيناه يعترف -[(٤)] يبدو في نقده حريصا أيضا على الشخصية الثقافية العربية عامة ، من الفناء في الثقافة الأوروبية ، ويقرّر في جلاء وصراحة أن الأدب العربي القديم ، ينبغي أن يكون المقوّم والأساس في هذه الشخصية الثقافية ، التي يجب أن تظل مستقلة ، متميّزة من غيرها ، يقول : **" ... نحب لأدبنا القديم أن يظل قواما للثقافة ، وغذاء**

---

(١) طه حسين ، " في الأدب الجاهلي " ، ص ٢١٧.

(٢) انظر كتاب سلامة موسى " الأدب للشعب " ، الصفحات ٤٣ ، ٥٨ - ٥٩ ، ١٨٨.
وانظر كذلك نقد طه حسين له في حديث الأربعاء ، ص ٩٩ ، ج ٣ .

(٣) حديث الأربعاء ، ص ١٣ ، ج ١ .

(٤) انظر مذكرات طه حسين ، ص ٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للعقول، لأنه أساس الثقافة العربية، فهو إذن مقوّم شخصيتنا، ومحقّق قوميتنا، وعاصم لنا من الفناء في الأجنبي، ومعين لنا على أن نعرف أنفسنا "(١).

وأما القول: إنّ الشعر العربي القديم فيه ألوان من الصور والمعاني، ينفر منها الذوق الحديث فهو قول يقرّه طه حسين، ويرى أنه صحيح في ذاته، ولكنه لا يراه ينهض سببا مقنعا للنفور من الشعر القديم عامة، وللزعم أنه لم يعد ملائما لهذا العصر؛ ولذا يتوجه الى الناقد المتشبّث به، مفنّدا رأيه بالقول: " ... ولكنك تجد عند نوابغ الشعراء من الفرنجة ألوانا من الصور والمعاني، ينفر منها الذوق، ولا تلائم ما ألف العرب من عادة شعرية "(٢)، واذن لو كان الأمر منفّرا حقا، لوجب النفور من الأدب الأوروبي أيضا، ولكنه أمر طبيعي، يوجد في كل شعر قديم، عند كل أمة من الأمم، واذن ليس غريبا أن تُوجَد في الشعر العربي صور، ومعان، لا تلائم ميول الفرنج، وما ألفوا من عادة شعرية؛ ذلك أن الناقد الأدبي الحديث، حين يتأمل الأدب اليوناني والروماني يجد "... **عند هوميروس وبندار وفرجيل** ألوانا من الصور والمعاني، لا يطمئن اليها الذوق الأوروبي الحديث، على شدة مابين هذا الذوق وبين الأدب اليوناني واللاتيني من اتصال "(٣)

وأما قول بعضهم: إنّ تجديد الأدب العربي يكون بإماتة القديم منه، فهو قول ينطوي على نقيض الحقيقة، إذ " ... ليس التجديد في إماتة القديم، وانما التجديد في إحياء القديم، وأخذ مايصلح منه للبقاء "(٤).

وهنا يُلاحَظ أن الذين يذهبون الى الرأي السابق، هم نفر من المبهورين بالحضارة الحديثة، مع أنهم في الحقيقة لم يفهموها " ... وانما اتخذوا منها صورا وأشكالا، وقلّدوا أصحابها تقليد القِردة، لا أكثر ولا أقل ... "(٥).

ولذا بلغت هؤلاء إلى أن **الأدب الأوروبي الحديث** لم ينهض بإماتة الأدب الأوروبي القديم، **وانّما نهض ببعث كنوزه، وروائعه، والعناية به**، واذن فمن ينادي بوأد الأدب العربي القديم ويرى أنه السبيل الى التجديد الأدبي الحق، على النحو الأوروبي، إنما هو في الواقع جاهل

---

(١) طه حسين، حديث الأربعاء، ص ١٣، ج ١.
(٢) " في الأدب الجاهلي "، ص ٣١٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣١٧.
(٤) طه حسين، حديث الأربعاء، ص ١٤، ج ١.
(٥) المصدر نفسه، ص ١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للحضارة الغربية ، لم يتعمقها ، ولم ينتفع منها ، حتى إنّه يقول : **"... أكاد أتخذ الميل الى إماتة القديم ، أو إحيائه في الأدب مقياسا للذين انتفعوا بالحضارة الحديثة أو لم ينتفعوا بها "**(١).

وفضلا عن أنّ **هؤلاء النقاد** يجهلون السبيل الصحيحة الى التجديد الأدبي الحق ، فهو يلاحظ أنّ خصوم الأدب العربي القديم عامة على اختلاف حججهم وادّعاءاتهم ، تكاد تجمع بينهم صفة واحدة مشتركة ، وهي أنّهم في الغالب " ... يجهلون هذا الأدب جهلا منكرا ، وما كان لمن جهل شيئا أن يحكم عليه "(٢).

وما دام هؤلاء يجهلون الشعر العربي القديم ، فهم إذن غير مؤهلين ليحكموا : أهو ملائم أم غير ملائم لهذا العصر؟ ذلك أنّهم لايعرفون مافيه من جمال وحياة. وهنا ينبغي أن نلاحظ أن طه حسين ، حين قرّر في السابق أن الشعر القديم مازال صالحا ، ملائما لهذا العصر ؛ لأن فيه الجمال الفني الذي يُنشد من الشعر ، قد اشترط أن يكون قارئه حسن الفهم والذوق ؛ حتى يتسنى له أن يدرك مافيه من جمال ، ذلك أن الشعر العربي القديم ، جدير بحسب رأيه أن ينال الإعجاب ، وأن "... يَلذّه الناس جميعا ، متى استطاعوا أن يقرؤوه ، أو يفهموه ، أي متى اعدّوا له أنفسهم بالثقافة الملائمة له "(٣).

واذن فهؤلاء الذين يناصبون الشعر القديم العداء ، لا يستطيعون أن يقرؤوه أو يفهموه ؛ لأنهم لم يعدّوا له أنفسهم بالثقافة الملائمة ، واذن فهم يجهلونه ؛ لأنهم حاولوا قراءته في الغالب ولكن الواحد منهم لم يستطع أن يفهمه أو يتذوقه ؛ لأنه لا يمتلك الثقافة المناسبة ، وفضلا عن هذا فهو كسول ، يكره الألفاظ الغريبة فيه ، التي تكلّفه البحث في المعاجم ، ويكره شروحه التي تختلط فيها الروايات ويكثر فيها الاستطراد ، وتنبث فيها مسائل النحو(٤).

وهو يعزو السبب في أنّ كثيرا من القراء لا يستطيعون أن يفهموا الشعر العربي القديم أو يتذوقوه الى الأسلوب العقيم ، الذي كان سائدا في تدريس هذا الشعر(٥) ، واذا كان القراء يمكن أن يُلتَمس لهم العذر **فإنّ نقّاد الأدب لا يمكن ان يُعذروا ، حين يبدو منهم قصور في تذوّق الشعر القديم ، ولا يظهرون له التقدير الحق ، بل هم في رأيه لا يعفون من المسؤولية** ، في أن كثيرا من القراء

---

(١) طه حسين ، حديث الأربعاء ، ص ١٤ ، ج ١.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٨.
(٣) طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، ص ٣١٧.
(٤) حديث الأربعاء ، ص ١٦ ، ج ١.
(٥) يفيض طه حسين في الحديث عن عقم الأساليب التي كان يدرس بها الشعر العربي القديم في الثلث الأول من هذا القرن ، وحديثه هذا أقرب الى النقد العلمي التربوي منه الى النقد الأدبي. (انظر في الأدب الجاهلي ، ص ٧ ـ ٥٩) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ينفرون من الشعر العربي القديم ؛ ذلك أنّ من واجبهم أن يحبّبوا هذا الشعر الى النـــــاس ، وأن يساعدوهم في فهمه وتذوّقه ، وذلك من خلال تبيان مافيه من جمال فني ، قد يكون خافيا عليهم ؛ لأنهم لم يتلقوا الثقافة الملائمة لفهمه على وجهه .

وهو **يشبّه الشعر العربي القديم** عامة ، والشعر الجاهلي خاصة ، وما أصاب درس هـــــذا الشعر ، ونقده من إهمال عبر القرون **بحديقة فوّاحة ، غنّاء** ، ولكنّها " ... طـال عليها الزمـن، وأهملت إهمالا متصلا ، ولم تنقطع عنها مع ذلك مادة الحياة ، فمضت أشجارها وشجيراتها تنمـــو في غير نظام ، هذا النمو المهمل المضطرب ، حتى اختلط أمرها اختلاطا شديدا " (١) .

وهذه الحالة التي آلت اليها الحديقة ، جعلت من المتعذّر على المتنزّه العادي أن يتذوق مافيها من جمال ، ذلك أنه ألِف الحدائق التي يتعهدها البستاني ، وينسّـقها تنسيقا ، ويمهـــد الطرق فيها تمهيدا ، ويهيّئها لمن ينشد الجمال الحر ، واللذة الممتعة (٢) .

واذن فواجب الناقد الأدبي الحديث في حديقة الشعر القديم المهملة شبيه بواجـــب هـذا البستاني ، ينبغي أن يقوم بدراسة هذا الشعر ، وأن يتيح للقارىء العادي (المتنزّه) فرصـــة تذوقه ، وأن يدلّه على أوجه الجمال الفني فيه ، بل عليه أن يمكّنه من أن يعتمد على نفسه فـي قراءته وتذوّقه منـــفردا .

وطه حسين ، لايعفي نفسه من القيام بهذا **الواجب النقدي** ، وانما يندبها لتكون أوّل مـن يؤديه ، وهو قبل أن يبدأ دراساته الأدبية في الشعر الجاهلي ، يقدّر أنها ستثقل على نفس القـارىء، الذي يريد أن يحبّب إليه هذا الشعر ، ولذا نجده يقول له مشجعا ، ومغريا :

" ... تعالَ نقضِ معا ساعة أو بعض ساعة متنزهين في طرف من أطراف هذه الحديقة المهملة، ولك عليّ ألاّ أمعن بك فيها إمعانا ، وأن أهوّن عليك أمرَ هذه النزهة ، ما استطعت تهوينه ، فـإنْ رجعت منها آسفا فأنا المخطىء ، وأنت المصيب " (٣) .

* * *

---

(١) طه حسين ، حديث الأربعاء ، ص ١٥ ، ج١.

(٢) انظر المصدر نفسه ، ص ١٥.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خصائص الشعر الجاهلي ومفهومه للخيال الأدبي :

وهو أول مايختار من " حديقة " الشعر القديم الطرف الجاهلي منها ، وحجّته في هذا الاختيار أن هذا الطرف هو " ... أشد أطراف الحديقة اخضرارا ، وأكثرها اختلاطا ، وأبعدها عهدا بالمحدثين "(١).

ومعنى ذلك أنّ **الناقد الحديث** إن استطاع أنْ يحبّب هذا الشعر الى القارىء ، وأن يمكّنه من تذوّق مافيه من سحر وروعة ، فإنّ نجاحه سيكون أيسر ، حين ينتقل الى أشعار العصور القديمة الأخرى التي تليه .

على أننا نلاحظ أنّه حين يختار نماذج من الشعر الجاهلي ؛ ليدرسها دراسة فنية ، لايكون هذا الاختيار عشوائيا ، وانما هو ينتخب نماذج تلائم ذوقه ، ويرى أنها في الغالب تمثّل حقا شعر العصر الجاهلي ؛ إذ يراعي أن تتوفر فيها الخصائص الفنية البارزة في هذا الشعر ، ولذا من الخير أن نتعرّف أولا هذه الخصائص ، كما حقّقها هو نفسه ، قبل أن نعرض لدراسته الأدبية في النماذج الشعرية .

* * *

لا ريب في أن طه حسين هو من أوائل نقاد الأدب في هذا العصر ، الذين حاولوا استخلاص السمات الفنية لبعض الشعر الجاهلي ، ثم إبرازها ، وذلك حين لاحظ أنّ **بعض الشعر المضري في الجاهلية ، كما يمثّله أوس بن حجر وتلاميذه** ، تتمثّل فيه خصائص فنية بعينها ، وأنّ هذه الخصائص أو السمات الفنية ، تقوم على **التصوير المادي أو الحسي** الدقيق ، مما يجعل هذا الشعر كأنه " ... حكاية صادقة ، أو كالصادقة لمظاهر الطبيعة "(٢).

لقد لاحظ أنّ أوس بن حجر وتلاميذه كانوا يعتمدون اعتمادا كبيرا على حواسّهم في رسم الصور الشعرية ، وهذه الظاهرة الفنية اللاّفتة تبدو جلية عند أوس مثلا ، فنحن حين نتأمل شعره ، نلحظ أنّه فيه كأنه " ... **يشعر بحسه ، وكأنه يشعر بعينيه ، وأذنيه ، ويديه ، أو قل : كأنّ ملكة الخيال لم تُودَع منه حيث أودعت من الآخرين ، وراء الحواس ، إنّما أودعت الحواس نفسها** "(٣) واذن ... **فملكة الخيال** هذه لدى أوس شديدة الاتصال بحسه المادي خاصة ، قليلة

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٧ ، ج١.

(٢) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٧١.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستقلال عنه - كما يلاحظ - "... حتى كأنّها لم تكن تعمل شيئا وحدها ، ولم تكن تُخضع الصور التي ينقلها الحس اليها الى شيء من التجويد ، والتصفية ، والتنقيح ، ثم التأليف ، إنما كانت تتخذ الحواس نفسها وسيلة الى هذا التأليف " (١) .

على أنه يَلْفِتُ الى **أنّ الحواس المصوّرة لدى أوس وتلاميذه** ، لم تكن تشعر بالطبيعة ، فتنقلها نقلا ، أو تصورها ، كما هو العمل لدى آلة التصوير الشمسي ، أو " الفنوغراف " ، وانما **كانت تؤلف وتخلق** ، فالخيال عند أوس "... وهنا ميزة أخرى له ولتلاميذه ، كان يؤلف هذه الصور تأليفا ، ويعمل في هذا التأليف ، ويجد مشقة وعناء " (٢) .

وهنا ينبغي أن نلاحظ أنه لو كانت الحواس الشعرية لدى أوس ، وتلاميذه كآلة التصوير ، تنقل الصور من الطبيعة ، كما تبدو فيها ، إذن لما استعمل طه حسين كلمة **" خيال "** ، ذلك أنه قبل أن يدرس الشعر الجاهلي ، كان قد أوضح مفهومه للخيال الخلاق ، وطبيعة عمله في الأدب خاصة والفن عامة ، فهو يفرّق بين **" الخيال "** و **" الوهم "** ، كما يفرّق بينهما علماء النفس المحدثون ، ويوافقهم حين يذهبون الى " ... أنّ الخيال لا يخترع شيئا من لا شيء ، وانما يستمد صوره ونتائجه من الأشياء الموجودة ، يؤلف بينها تأليفا غريبا ، يبهر النفس ويفتنها " (٣) ونحسب أنه بمفهومه هذا ينظر الى نظرية الخيال الحديثة ، كما أبرزها الشاعر كولردج ، الذي يرى أنّ " تلك القوة السحرية التركيبية التي نطلق عليها اسم الخيال ، تظهر في التوفيق بين الخصائص المتنافرة أو المتناقضة ، واظهار الجدة في ماهو مألوف " (٤) .

وطبيعة التأليف بين الصور الموجودة ، تتأثر دون ريب بحالة الشاعر النفسية في أثناء النظم ، كما يذهب بعض النقاد المحدثين (٥) .

واذن فعن هذا المفهوم للخيال الخلّاق وطبيعة عمله ، يصدر طه حسين حين يذهب الى أنّ أوسًا وتلاميذه هم أصحاب خيال شعري ، لأنهم يؤلّفون صورهم الفنية تأليفا ولا ينقلونها نقلا مطابقا لما هو في الطبيعة ، **والخيال المادي المتأثر بالحس تأثرا شديدا ، هو الميّزة الاولى التي**

---

(١) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٧١.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧١.

(٣) حديث الأربعاء ، ص ١٠٣ ، ج٣.

(٤) د. إحسان عباس ، فن الشعر ، ص ١٥٠ ، الطبعة الثالثة ، دار الثقافة - بيروت ، (د.ت) .

(٥) انظر : Downey (J.E), Creative Imagination, P, 21, Routledge and Kegan Paul, London , 1967.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تميّز الشاعر من مدرسة أوس ، وأما الميّزة الثانية فهي أن الشاعر منهما " ... كان فنانا ، يتخذ الشعر حِرفة وصناعة وفنا ، يُدرس ويُعلّم ، ينشئه صاحبه إنشاء ، ويفكّر فيه تفكيرا ، ويقضي في إنشائه ، والتفكير فيه ، الوقت غير القصير " (١) .

على أنه لايكتفي في حديثه عن السمات الفنية في شعر أوس وتلاميذه بالكلام المجرّد ، وانما يعمد الى تناول نماذج من أشعارهم ، ليدلّل على صحة مايذهب اليه ، وهو في سبيل هذا ، يعرض لثلاث قصائد من شعر أوس :

أما الأولى فمطلعها :

ودّع لميسَ وداعَ الحارمِ اللاّحي ... إذ فَنَكتْ في فَسادٍ بعد إصلاحِ (٢)

وأما الثانية فهي مرثية أوس الشهيرة ، التي مطلعها :

" أيتها النفسُ اجملي جَزَعا ... إنّ الذي تَحذرينَ قد وَقَعا (٣)

وأما الثالثة فهي :

" واني امرؤ أعددتُ للحربِ بعدما ... رأيتُ لها نابًا من الشرّ أعصَلا (٤)

ويُلاحَظ أنه حين يعرض للقصائد الثلاث يجعل همّه في أثناء التحليل ، هو أن يلفت القارىء الى ماتزخر به من **صور شعرية** " ... تحس حينا بالبصر ، وحينا بالسمع " (٥) ، كما هو واضح في أبيات القصيدة الأولى خاصة ، والى اعتماد الشاعر في القصيدة الثانية " ... على طائفة من **الصور الخارجية المادية** في تمثيل الجدب ، والقحط ، والبرد ، وآثارها في القبيلة " (٦) ، والى سلوكه في القصيدة الثالثة طريق التشبيه المادي الدقيق في وصف السحاب والمطر والسيل (٧)

---

(١) طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، ص ٢٧١.

(٢) انظر في تناوله لأبيات من القصيدة " في الأدب الجاهلي " ، ص ٢٧٣ ـ ٢٧٥ ، وانظر في القصيدة وترجمة الشاعر أوس بن حجر كتاب الأغاني لأبي الفرج ، ص ٦٤ ـ ٦٨ ، المجلد الحادى عشر ـ دار الثقافة ـ بيروت ، ١٩٥٧.

(٣) انظر في تناوله لأبيات من القصيدة " في الأدب الجاهلي " ، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ ، وانظر في القصيدة كتاب الأغاني ، ص ٦٨ ، المجلد الحادى عشر ، كذلك انظر ديوان " أوس بن حجر " ، ص ٥٣ ، جمع وتحقيق د. محمد يوسف نجم ، دار صادر للطباعة والنشر ـ بيروت (١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠م) .

(٤) انظر الأبيات التي عرض لها في كتاب "في الأدب الجاهلي" ص ٢٧٧ ـ ٢٧٩، وديوانه ، ص ٨٢.

(٥) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٧٥.

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٨٠.

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو يقدّر أن القارىء العادي ، قد ينفر من شعر أوس ، لما يعتوره من ألفاظ غريبة ، ولذا يقول له مشجّعا : " ... لا يخلو لفظه من صعوبة ، ومشقة ما ، ولكنه من الجمال الفني ، بحيث يستحق أن يتكلّف الإنسان هذه المشقة ، ليفهمه ، ويتذوقه " (١).

وعلى الرغم من أنه يتناول أوس بن حجر في إيجاز ، فإنّ **منهجه في النقد الأدبي** ، يتبدّى واضحا خلال ذلك ، فهو يحاول أولا تشخيص الشاعر ، ثم معرفة حياته ، وبيئته الخاصة ، لكنه يذهب الى أن أخباره القديمة القليلة ، لا تسعف كثيرا ؛ ولذا يخلص من المحاولة الى القول " ...فلنطمئن إذن الى أن حياة أوس مجهولة ، ولنطمئن الى اليأس من أن نعرف من أمره شيئا غير هذا " (٢)

مدرسة أوس وأسلوبه في دراسة الشعر الجاهلي :

ولكي يُثبت طه حسين أن أوس بن حجر هو أستاذ مدرسة شعرية جاهلية ، لها خصائصها الفنية المتميزة ، فإنه يعرض لبعض من يراهم تلاميذه ، من أمثال : زهير بن أبي سلمى ، والنابغة الذبياني ، والحطيئة ، وكعب بن زهير .

أما زهير والحطيئة وكعب ، فهو يتحدث في إيجاز عن صلتهم الفنية بمدرسة أوس ، وذلك في عام ١٩٢٧ (٣) ، ولكنه يعود إليهم في عام ١٩٣٥ ، فيختار لهم نماذج شعرية يدرسها دراسة مفصّلة ، كما سنرى عند الحديث عن دراسته الأدبية في الشعر الجاهلي والمخضرم .

وأما النابغة الذبياني فيبيّن في كتاب " في الأدب الجاهلي " أنه تلميذ أوس من الناحية الفنية ، ذلك أن **ملكة الخيال لديه أيضا شديدة الاتصال بالحس** ، وآية ذلك أنه يعمد كثيرا في شعره الى التصوير الحسي الفني ، كما هو واضح في قصيدته التي مطلعها :

" يادارَ ميةَ بالعلياءِ فالسَّنَدِ أقوتْ وطالَ عليها سالفُ الأمدِ " (٤)

وهو يذهب الى أن أول قصيدة النابغة هذه ، هو " ... **مطبوع بطابع المدرسة** ، تجد فيها وصف الديار، وما بقي من آثارها، **على نحو ماتجده عند زهير وأوس والحطيئة** ، وربما شاركهم في اللفظ" (٥).

---

(١) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٧٩.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠.
(٣) انظر حديثه عنهم في كتاب " في الأدب الجاهلي " ، ص ٢٨٢ ـ ٢٩٩.
(٤) انظر الأبيات التي عرض لها " في الأدب الجاهلي " ، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٥.
(٥) في الأدب الجاهلي ، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم يضرب المثل للمشاركة اللفظية بقول النابغة الذبياني [١] في القصيدة :

إلّا الأثـــافيَ لأيـًا ما أبيّنهـــا ... والنؤيُ كالحوضِ بالمظلومةِ الجلَـــدِ

فهو يذكّر بقول زهير في معلقتـــه :

وقفتُ عليها بعد عشـــرينَ حجـةً ... فلأيًا عرفـت الدارَ بعـد توهّـــم [٢]

أثافيّ سفعا في مُعرّسِ مِرجَـــلٍ ... ونؤيـًا كجِذم الحـوضِ لم يتهـــدّمِ

ثم يعرض بعد القصيدة الدالية لقصيدته التي مطلعها :

" عفا ذو حسـا من فرتنا فالفـوارعُ ... فجنبـا أريكِ فالتـــلاعُ الدوافـعُ [٣]

وبعد أن يلفت الى مايزدحم في القصيدتين السابقتين من تشابيه وصور محسوسه ، يخلـص الى هدفه الأساسي ، **وهو أنّ النابغة ينتمي حقا الى مدرسة أوس الفنية** ، يقول " ... لعلك بعـد أن قرأت ماعرضنا عليك من شعر النابغة ... لا تشك في اتصاله بهذه المدرسة الأوسية الزهيرية ، فقد رأيت صوره المادية في داليته ، ورأيتها في العينية " [٤] .

واذا كان القدماء قد قدّموا النابغة لأبيات بديعة معجبة ، فهو يذهب الى أن هـــذه الأبيات ، حين نتأملها ، تؤكد انتماء النابغة شعريا الى مدرسة أوس الفنية ، نحو قوله :

" فإنك كاللّيلِ الذي هو مدركـــي ... وانْ خلتَ أنّ المنتأى عنكَ واســعُ [٥]

فالذي أعجب القدماء من البيت هو الصورة المادية فيه ، يقول متسائلا : " ... وأي شـــيء فـي هذا البيت غير هذا التشبيه البديع ؟ وانما جاء جمـــال هذا **التشـبيه** من أنه **مـــادي** في جوهره ، معنوي في غايته " [٦]

ومن أبيات النابغة التي أثنى عليها القدماء قوله :

---

(١) انظر ترجمة النابغة الذبياني في الاغاني ، ص ١٦٢ ، الجزء التاسع (دار صعـــب - بيروت ، (د.ت) .

(٢) انظر " شـــرح المعلقات السبع " للزوزني ، ص ١٠١ (دار القاموس الحديـــث - بيـــروت ، " د.ت ") .

(٣) انظر عرضه لأبيات من القصيدة في كتاب " في الأدب الجاهلي " ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦،
وانظر القصيدة في ديوان النابغة ، ص ١٦١ . جمع وشـــرح محمد الطاهر بن عاشـور ، الشركة التونسية ، ١٩٧٦.

(٤) في الأدب الجاهلي ، ص ٣٠٧.

(٥) انظر كتاب الأغاني ، ص ١٦٢ ، ١٧٠ ، الجزء التاسع (دار صعب) .

(٦) في الأدب الجاهلي ، ص ٣٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألم ترَ أنّ اللهَ أعطاكَ سَورةً ... ترى كلَّ مَلْكٍ دونها يتذبذبُ
بأنكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ ... إذا طَلَعتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ (١)

وهما يؤكدان في رأيه انتماء الشاعر لمدرسة أوس (٢) .

واذن فالنابغة الذبياني ، مثله مثل زهير وكعب والحطيئة هو تلميذ لأوس بن حجر ؛ ولذا فإنه يخلص من مناقشة شعره الى القول : " ... **مهما يكن من شيء فاتصال النابغة بأصحابه (أوس وزهير وكعب والحطيئة) لاشكّ فيه من الوجهتين الفنيتين ، اللتين أشرنا اليهما** " (٣) .

وأما هاتان الوجهتان الفنيتان اللتان في شعر أوس وتلاميذه **فيردّهما الى الفطرة والإرادة** ؛ فسمة الاتصال الشديد بين الخيال والحس ، واستيحاء الجمال الفني من المظاهر الطبيعية المحسوسة ، هي سمة تعود في رأيه الى الفطرة ، لم ينشئها أوس ، ولكنه نمّاها ، وتعهدها وأكثر الاعتماد عليها (٤) . وأما السمة الفنية الأخرى وهي التوفّر الطويل على الشعر ، قبل إخراجه للناس ، فهي سمة إرادية ؛ لأن فيها " مقاومة للطبع ، وعدم الاندفاع في قول الشعر مع السجية ، التي ترسل إرسالا ، فتفيض بالشعر كما يفيض الينبوع بالماء " (٥) .

ومن هاتين الخصلتين الفنيتين يرى طه حسين **أن الفن البياني الخالص في شعر أوس وتلاميذه قد أفاد ، فكثر فيه التشبيه والمجاز والاستعارة** ، والافتنان فيها، **فمدرسة أوس الشعرية** ، هي مدرسة - في رأيه - كانت **تُعنى بالفن للفن** (٦) ، وهي من جهة أخرى **مدرسة ممتدة الجذور في الشعر العربي** ، أكثر مما نتصوّر ، ذلك أنها تبدأ بأوس ، ثم بتلميذه النابغة ، وتلميذه زهير ، الذي له تأثيره وخطره في المدرسة ؛ لأنّ من تلاميذه ابنه كعبًا ، وراويته الحطيئة ، ... ثم تتابع التلاميذ في العصر الأموي ، فكان منهم جميل ، وراويته **كثيّر** ، ثم استمرت المدرسة في العصر العباسي أيضا ، فكان منها **مسلم بن الوليد ، وأبو تمام ، وابن المعتز ، ثم المتنبي** (٧) .

ومعنى ذلك أنّ صناعة الفن البياني في الشعر العربي ، ليس مبتكرها **مسلم بن الوليد** ،

---

(١) انظر الأغاني ، ص ١٧٦ ، جـ ٩ ،
وانظر القصيدة في ديوان النابغة ، ص ٥٤ .
(٢) في الأدب الجاهلي ، ص ٣٠٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٠٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو منمّيها ، وليست عباسية النشأة ، والنمو ، والنهضة ، وانما هي في رأيه " ... أقدم من ذلك ، وأبعد في تاريخ الشعر العربي أثرا ، نشأت في العصر الجاهلي ، وأنشأها أوس ، ونمّاها زهير والحطيئة " (١).

وهو يلاحِظ أنّ هذه المدرسة قد عنيت في فنها " **بجمال الصورة والشكل ، عناية لا تقلّ عن عنايتها بجمال الموضوع والمعنى** " (٢).

وطه حسين لا يزعم أن مدرسة أوس الشعرية تمثّل بخصائصها الفنية الشعر الجاهلي كله ، بل هو لا يزعم أنها المدرسة الوحيدة في شعر مضر ، وانّما يذهب الى أنّ **ثمة مدارسَ أخرى** ، امتدت الى مابعد الإسلام ، **ولكلّ منها خصائصها الفنية المتميزة ، فثمة مدرسة شعرية كانت في المدينة** ، وكانت تتألف من قيس بن الأسلت وقيس بن الخطيم وحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبدالله ابن رواحه وعبدالرحمن بن حسان ، وسعيد بن عبدالرحمن بن حسان ، وشعراء الأنصار في المدينة بعد الإسلام (٣).

وثمة **مدرسة شعرية أخرى في مكة** ، وكانت تتألف من شعراء في الجاهلية ، لم يكن لهم خطرهم ، ولكنهم " ... ظهروا عندما اشتد جهاد قريش للنبي ، وقويت شخصيتهم حتى كوّنوا في مكة سنّة شعرية قرشية خاصة ، مثّلها بعد الإسلام شعراء ، كعمر بن أبي ربيعة والعرجي " (٤).

وثمة مدارس شعرية كانت في البادية ، **كمدرسة " الشمّاخ بن ضرار** ، التي كانت - فيما يظهر - تنافس مدرسة زهير " (٥).

وطه حسين حين يستعمل لفظ " مدرسة " ويكرّره ، يعني مايقول حقا ، وهو يقدّر **استهجان الناقد الأدبي المحدث** استعمالَه إيّاه ، ولذا يقول له ، أو للقارىء المثقف : " ... **ستضحك من هذا اللفظ ، ولكنّي أؤكد لك أنه لا يُضحك** ، فقد كان للشعر الجاهلي في مضر مدارس " (٦). ثم يطلب الى الناقد الأدبي أن يحذو حذوه ، وأن يتوفّر على واحدة أو أكثر

---

(١) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٧٢.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧٣.
(٣) انظر المصدر نفسه ، ص ٢٦٨.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٦٨.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٦٨.
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من هـذه المدارس الشـعرية ، فيدرسها متبعا أسـلوبه نفسه ، وأن يحقّـق سماتها الفنيـة الخاصة ، على نحو مافعل بمدرسـة أوس التي أكد أنه اسـتطاع أن يكتشفها ويكتشـف بعض خصائصهـا [١] . ثم يقول له ناصحـا : " ... **خذ الشـعراء الجاهـليين المضريين جماعات ، ولا تأخذهـم أفرادا ، حتى إذا اسـتطعت أن تحقق لكل جماعة خصائصهـا ، فالتمس خصائص الأفـراد ومميزاتهـم** " [٢] .

هذا هو الأسـلوب الذى اتبعه في دراسة الشعر الجاهلي ، وينصـح لغيره بأن يتبعـه ، ويلاحظ أنه بعد أن كشـف الخصائص الفنيـة لمدرسة أوس ، وتحدث في إيجـاز عـن أبـرز تلاميـذه ، قد لفت في النهاية الى أن تلاميـذ أوس في الجاهلية لا يقتصرون على الشـعراء الذين تحـدث عنهم وهم : النابغـة وزهيـر وكعب والحطيئة وانما هم أكثر من هؤلاء الذيـن ذكرهـم . يقول : " ... فهنـاك شـعراء آخرون ، منهم **التميمـي ، والقيسـي** ، قد أخـذوا عن أوس وأصحابـه ، وسـاروا سيرتهم " [٣] .

أما السبب الذي جعـله يقتصر على ذكر التلاميذ الأربعة فلأنهم " ... هم الزعمـاء ، وهـم ليسوا زعماء هـذه المدرسة وحدهـا ، بل هم فيما يظهر زعماء الشـعر المضـري الجاهـلي كله " [٤] .

---

(١) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٦٧.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٩.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٠٧.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" جهده في دراسة الشعر الجاهلي والمخضرم "

وحين نعرض لجهده عامة في دراسة الشعر الجاهلي والمخضرم ، سنتعرف أسلوبه الأدبي في التحليل ، وطريقته في اصدار الأحكام ، كما سنتعرف آراءه النقدية كلها في هذا الشعر ، وسنلحظ الى أي مدى راعى في اختياره شعر مدرسة أوس الذي يعجبه ، والى أي مدى ظل ثابتا على آرائه العلمية في الشعر الجاهلي عامة ، كما أذاعها في عام ١٩٢٧ ، وذلك من خلال مقابلتها بآرائه فيه التي أذاعها عام ١٩٣٥ ، حين عمد الى (حديقة) الشعر الجاهلي ، فاختار منها نماذج بعينها ، ثم قام بدراستها دراسة أدبية فنية ، أما الشعراء الذين درسهم ونظفر بآرائه النقدية فيهم فهم :

(١) زهير بن أبي سلمى :

ويعده أكبر تلاميذ أوس ، لأنه أستاذ ابنه كعب وراويته الحطيئة ،ويرى أن تأثيره الشعري قد ظل مستمرا بعد الإسلام ، فجميل بن معمر قد أخذ عن الحطيئة ، وكثيّر أخذ عن جميل ، ومعنى هذا أن السلسلة الشعرية متصلة بزهير [١] ، كما أنّ زهيرا كان أكثر الشعراء تأثيرا في الأخطل [٢] .

ويلاحَظ أنه قبل أن يدرس نماذج من شعره ، قد حاول أولا أن يتبيّن شخصيته ، وظروف حياته الخاصة ، وظروف بيئته العامة ، وحين ينتقل الى شعره يقرّر أن **تأثير أوس واضح فيه** ، ولا غرابة في ذلك ، فقد كان زهير راوية أوس ، ولذا نلحظ حين نتأمل شعره ، أنه " ... كأستاذه ، **شديد اتصال الخيال بالحس** ، شديد الاعتماد على الحواس في إخراج صوره الشعرية ، وهو أحرص من أستاذه على هذا ، لأنه يتخذ هذا الأسلوب الشعري طريقا الى وصف المعاني وعرضها " [٣] .

واذن فالميزة الفنية الأولى في شعر أوس موجودة في شعر زهير في وضوح ، وأما الميزة الثانية فهي موجودة أيضا ، **ذلك أن زهيرًا كأستاذه " ... متأنّ حريص على الأناة ، يتخذ الشعر فنا وصناعة ، ولا يندفع فيه مع سجيته "** [٤] .

على أنه يلاحِظ أنّ الخصائص الفنية تبدو عند زهير أكثر وضوحا من أستاذه أوس ، بل هو يذهب الى أنّ " أثر زهير في هذا النحو الفني ، أظهر من أثر أوس ، لأنّ لغته أيسر من لغة أوس ،

---

(١) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٨٣.
(٢) انظر حديث الأربعاء ، ص ١٠٠ ، ج١.
(٣) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٨٤.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولأن شهرته أبعد من شهرة أوس ، ومن هنا كثر الاستشهاد بشعر زهير في البيان " (١) .

أما النموذج الشعري الذي يختاره ، والذي يرى أنّ الخصائص الفنية لشعر زهير تتبدّى فيه ، فهو معلقته المعروفة وهو يختارها ؛ ليبيّن أنّ **زهيرًا** هو حقا الشاعر " **... المصوّر بأصح معاني الكلمة وأدقها** " (٢) .

ونلاحِظ أنه في أثناء تحليله للمعلقة ، يقصد الى الأبيات التي يتجلّى فيها فن زهير في **التصوير الشعري** ؛ وذلك ليلفِتَ القارىء الى مافي هذا التصوير من جمال وروعة من جهة ، وليثبت ماذهب اليه ، وهو أن فن زهير الشعري يتصل اتصالا شديدا بمدرسة أستاذه أوس من جهة أخرى، فالأبيات المعروفة التي صور بها زهير الحرب وبشاعتها (٣) ، تظهر أن زهيرًا حين قالها ، هو ، " ... شيخ مجرّب ، طويل التجربة ، وهو شيخ بدوي ، وقبل ذلك كله شاعر يحس الأشياء حسا قويا ، ويشعر بها شعورا عنيفا ، ويصورها تصويرا رائعا " (٤) . وأما تصويره للحرب ، فيقوم في الواقع على تشبيهات حسية متتابعة " حتى يكاد بعضها يركب بعضا ، ... **فالحرب مشبّهة بالرَحى، وهي مشبّهة بالناقة وهي مشبهة بالنار ، وهي مشبهة بالأرض الخصبة ، التي تغلّ لأهلها الغلة الموفورة ، وكل هذا في لفظ جزل ، وسهل ، معا** " (٥) .

ومن أبيات المعلقة ، التي يتوقّف عندها ؛ليبيّن مافيها من إيحاء ، وتمثيل جميل ، قول الشاعر :

" رعَوا مارعَوا من ظِمْئِهِمْ ثُمَّ أوردوا غِمارًا تُسِيلُ بِالرِماحِ وبالدمِ "
" فقضّوا مَنايا بينهُمْ ثُمَّ أصدَرُوا الى كَلَأٍ مُستَوبِلٍ مُتوخِّمِ " (٦)

---

(١) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٨٤.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨٥.

(٣) انظر الأبيات في الأدب الجاهلي ، ص ٢٨٧ ،
وفي حديث الأربعاء ، ص ٨٦ ، جـ١ ،
وانظرها في " شرح المعلقات السبع " للزوزني ، ص ١١١،
وانظر في المعلقة ديوان زهير ، ص ٧٤ - ٨٩ ، (تحقيق وشرح كرم البستاني - دار صادر - ١٩٦٠) .

(٤) حديث الأربعاء ، ص ٨٦ ، جـ١ ، وهو يتكلم على الأبيات كلا ما مشابها في كتاب " في الأدب الجاهلي " ، ص ٢٨٧.

(٥) حديث الأربعاء ، ص ٨٦ ، جـ١.

(٦) انظر رواية الزوزني للبيتين ، شرح المعلقات السبع ، ص ١١٥ - ١١٦، ثم لاحظ الفرق اللفظي.
مستوبل : من استوبل الشيء، وجده وبيلا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يعرب عن إعجابه الشديد بهذين البيتين ، موضحا للقارىء ماينطويان عليه من جمال شعري بقوله : " ... **يعجبني هذا التمثيل البديع ، الذي يشتق اشتقاقا من حياة البادية، ويضرب فيه المثل بإقطاع الإبل الى رعيها إياها** ، ثم ورودها الماء ، ثم انصرافها الى الرعي، لترد الماء إذا أدركها الظمأ ، وهكذا ماتنفك مضطربة بين إيراد واصدار ، ولكنها لاترد ماء صفوا ، وانما ترد غمارا تسيل بالدم والرماح ، وهي لا ترعى عشبا هنيئا ، وانما ترعى كلأ وبيلا ، كلّه علل وأدواء " (١).

على هذا النحو من التحليل يمضي طه حسين في تناول أبيات من معلقة زهير ، مبينا **ماتزخر به من صور فنية محسوسة ، منتزعة من البيئة البدوية** ، وهو يتّبع هذا الأسلوب من التحليل في مايختاره له من قصائد أخرى ، نحو قصيدته التي مطلعها :

" صحا القلبُ عن سلمى وأقصرَ باطلُهْ وعُرِّي أفراسُ الصِّبا ورواحلُهْ " (٢)

إذ يلاحظ أن أصحاب البيان قد شغفوا بهذا المطلع ، وبالشطر الثاني منه خاصة ؛ لأن فيه صورة فنية معجبة ، فزهير قد جعل للصبا أفراسا ورواحل ، وأوحى أنه كان يركبها " ... حين كان الشباب بواتيه ، وحين كانت تتاح له اللذات ، ويدفعها اليه نشاطه ومرحه ، فلما أدركته الكبْرة ، وتقدّم به العمر أقصر عن هذا كلّه ، وعرّي أفراس الصبا ، وعري رواحله ، وتركها مهملة ، لاتعينه على رواح ، ولا على غدو " (٣).

ومن قصائد زهير التي عرض لها أيضا بالتحليل قصيدته التي مطلعها :

" صَحا القلبُ عن سلمى وقد كان لايسلو وأقفرَ من سلمى التعانيقُ فالثقلُ " (٤)

وقافيته التي أوّلها :

" إن الخليطَ أَجَدّ البين فانفرقَا وعُلّقَ القلبُ من أسماءَ ماعلِقا " (٥)

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٨٨ ، جـ ١ ،
وانظر " في الأدب الجاهلي " ، ص ٢٨٨.

(٢) انظر حديث الأربعاء ، ص ٩٧ ، جـ ١ ، والنظر الصفحات : ١٠٤ ـ ١٠٦ ،
وانظر القصيدة في ديوان زهير ، ص ٦٤ (تحقيق كرم بستاني) .

(٣) حديث الأربعاء ، ص ٩٧ ، جـ١.

(٤) انظر تحليله لأبيات من القصيدة " حديث الأربعاء " ، ص ٩٤ ـ ٩٥ ، جـ ١،
وانظر أيضا " في الأدب الجاهلي " ، ص ٢٨٩ ، وانظر ديوان زهير، ص ١٠٠.

(٥) انظر تحليله لأبيات من القصيدة في " حديث الأربعاء " ، ص ٩٨ ـ ١٠٠،
وانظر " في الأدب الجاهلي " ، ص ٢٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم يخلص أخيرا من دراسته لنماذج من شعر زهير ، الى أنه تلميذ أوس بن حجر حقـــا ، **لأن الخصلتين الفنيتين اللتين تبدوان في شعر أوس توجدان في شعره أيضا** ، على أنه يلاحـظ أن **لغة زهير الأدبية الفنية قد تطورت تطوّرا كبيرا بالقياس الى لغة أستاذه أوس** ، وهذا راجـع الى " ... بعد مابينها وبين لغة أوس ، وقرب مابينها وبين لغة القرآن : قلّ فيها الغريـب ، ودنت الى الأفهام دنوا ظاهرا ، وقلّت حاجتك وأنت تقرؤها الى استشارة المعاجم والشراح " (١) .

وهذا المنحى من التطور لا يقتصر على النماذج التي قام باختيارها وبتحليلها ، وانما يبدو واضحا أيضا حين " تقرأ شعر زهير ، الذي صحّ له " (٢) .

كذلك يخلص الى أنّ زهيرًا في مدرسة أوس هو أستاذ أيضا له تأثيره الممتد ، وإمام مـــن أئمة الشعر العربي النابهين ، سواء في مدحه ، وفي غزله ، وفي وصفه ، وذلك لأنه قد " ... فتـح **للشعراء أبوابا في الغزل ، والحنين ، وفتح لهم أبوابا في الوصف والتصوير ، وسنّ لـهم سـننا في المدح والهجـاء** " (٣) .

وإذا كان شعر زهير في القديم قد أوفاه حقه " ... جماعة من خيرة العلماء ، وأنبـه النقاد " (٤) . فإنه في هذا العصر مازال جديرا بأن يحظى بالرضا والإعجاب الحق ، ولكـنه " ... يحتاج الى أن يُقرأ ويُقرأ ، وأن يجد القارىء فيه هذه اللذة ، التي لا تفنى ، والتي توجـد في الشعر الصادق ، الذي لا إسراف فيه ، ولا تكلّف " (٥) .

(٢) كَعْب بن زهيـر :

وأما كعب بن زهير فلا يتناول طه حسين من شعره سوى قصيدته المشهورة :
" **بانَتْ سعادُ فقلبي اليومَ مَتْبـولُ** " (٦)
وهو يذهب الى أنّ كَعْبًا **يتأثر فيها أسلوب أوس وأبيه زهير** ، من حيث التصوير الفنـي

---

(١) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٨٩.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨٩.
(٣) حديث الأربعاء ، ص ١١٢ ، جـ ١.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١١١ ، جـ١.
(٥) المصدر نفسه ، ص ١١١ ـ ١١٢.
(٦) انظر " في الأدب الجاهلي " ، ص ٢٩١ ، و " حديث الأربعاء " ، ص ١٢١ ، جـ ١.
وانظر ديوان كعب بن زهير ، ص ٦ (شرح السكري ، الدار القومية للطباعة والنشـر ـ القاهرة ، ١٩٦٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المادي [١] ، كما يلحظ أن القصيدة **تأتلف من ثلاثة أجزاء** ، تبدو متباينة في ظاهر الأمر ، ولكنها مؤتلفة أحسن الائتلاف في حقيقته ، وهذه الأجزاء الثلاثة هي : **الغزل** الذى قصد إليه الشاعر في أوّل القصيدة ، كما تعوّد الشعراء أن يفعلوا ، **والوصف** ، الذي انتقل اليه كعب ، بعد الغزل كما تعوّد الشعراء أن يفعلوا أيضا ، ثم **المدح** ، الذي أنشئت القصيدة من أجله ، وانتهت القصيدة اليه [٢] .

وهو يلاحظ ملاحظتين مهمتين في أثناء تحليله للقصيدة ، **أما الأولى** فهي أنه كان لقصيدة كعب هذه تأثير في بعض الشعراء المعاصرين للشاعر ، من أمثال : **عبدة بن الطبيب** ذلك أن له قصيدة مطلعها :

" هل حبلُ خولةَ بعدَ الهجرِ مَوصولُ أم أنتَ عنها بعيدُ الدارِ مَشغولُ " [٣]

وطه حسين يقرّر أنّ عبدة لا بد أن يكون قد تأثر بكعب ، يقول : " ... لست أصدّق أنّ المصادفة وحدها ، هي التي أنطقت شاعرا معاصرا لكعب بهذه الأبيات الحلوة ، التي تشبه غزل كعب ، لا في المعاني والألفاظ وحدها ، بل في الوزن والقافية أيضا " [٤].

ويستدل على أنّ كعبًا هو الذي أثّر في عبدة ، وليس هو المتأثر به ، بأن **قصيدة كعب أقدم زمنا** ، ذلك أنّ عبدة قال قصيدته في أثناء الفتح أيام عمر ، وأننا حين نقرأ هذه القصيدة نلحظ فيها " كثيرا جدا من معاني كعب وزهير ، ومن ألفاظ كعب وزهير أيضا " [٥] .

وأما الملحوظة الثانية فهي أنّ كعبًا في قصيدته يتكىء اتكاء واضحا على معاني أبيه زهير ، وكي يثبت طه حسين ذلك ، يعمد الى تقديم أمثلة تعزّز رأيه ، الذي يذهب اليه ، فقول كعب في البداية :

" بانتْ سعادُ فقلبي اليومَ مَتبولُ مُتيمٌ إثرَها لم يُفدَ مَكبولُ "

هو مطلع ظريف ، يصوّر في إيجاز جميل ، ماصوّره زهير في بيتين ، وذلك حين قال :

---

(١) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٩٢ .
(٢) حديث الأربعاء ، ص ١٢١ ، ج ١.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٣ ،
وانظر القصيدة في الأغاني ، ص ٢٨ ، الجزء ٢١ (تحقيق عبدالستار فراج) .
(٤) حديث الأربعاء ، ص ١٢٣ ، ج ١.
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" إنّ الخليطَ أجَـدَّ البين فانفرقا ... وعُلّقَ القلبُ من أســماءَ ماعلِقا
وَفارقتكَ بِرهــــنٍ لا فَكاكَ لــــهْ ... يومَ الوداعِ فأمسى الرّهنُ قد غَلِقَـا " (١)

فالمعنى الذي قصد اليه كعب في مطلع قصيدته ، هو نفسه الذى سبق إليه زهير ، وعنـاه في البيتين السابقين . " ... فقد ذهبت سعاد بقلب كعب ، وارتهنته ، فهو عندها مكبـول لا يفك ، كما ذهبت أسماء بقلب زهير ، وارتهنته ، فليس له عندها فكاك ، ولكنّ كعبًا قد أوجـز ، حيث أطنب أبوه ، وآثر قافية أيسر موقعا من قافية أبيه " (٢) .

على أن طه حسين لا يكتفي بتقديم هذا المثل ، وانما يتابع فيقدّم أمثلة أخرى ، ترشـد الى ما أخذه كعب في القصيدة من أشعار أبيه (٣)، ولكن هذا الأخذ ، أو الاتكاء على معاني أبيه ، لا يُضير القصيدة من الناحية الفنية في رأيه ، وآية ذلك أنه لا يتردّد في الحكم لها بأنهـا رائعة ،حقيقة بالإعجاب ، وأن المدح فيها يعدل مدح زهير كلّه (٤).

(٣) الحطيئـــة :

الحطيئة هو الشاعر الوحيد بين أصحابه السابقين : (أوس وزهير وكعب) ، الذي يطمئـن طه حسين - وفق منهجه في النقد الأدبي - الى تحقيق شخصيته ، فهو يرى أنّ أخباره - عـلى قلتها - قد مكّنت القدماء من أن يتصوروا نفسيته ، وشـخصيته ، تصورا " إن لم يكن صحيحا من كل وجه ، فهو مقارب لا يخلو من الحق " (٥).

وبعد أن يبحث في حياته ، واضطرابها في بيئته الخاصة وعصره ، يصل الى أن شـخصية الحطيئة تمثّل الجاهلية في الإسلام أصدق تمثيل ، فالحطيئة في رأيه يمثّل الجاهليـة " ... فـي حريته واباحته ، وانحرافه عن الدين ، إذا خلا الى نفسه ، وتكلّفه هذا الدين اتقاء للسـلطان ليس غـير " (٦) ، ذلك أنّه ظل أعرابيا في سيرته ، يحتفظ بحياة البادية ، وما فيها من غلظـة ،

---

(١) انظر حديث الأربعاء ، ص ١٢١ ، جـ ١.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢١ - ١٢٢ ، جـ١.
(٣) انظر هذه الأمثلة في المصدر نفسه ، ص ١٢١ - ١٢٥.
(٤) انظر المصدر نفسه ، ص ١٢٥ ، ثم ص ١١٩ أيضا .
(٥) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٩٣ ،
وانظر ترجمة الحطيئة في الأغاني ، جـ ٢ ، ص ٤٣ (دار صعب) .
(٦) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجلافة في الطبع ، وخشونة في العيش (١) .

وهو يخلص في النهاية الى أن **الحطيئة كان ذا شخصيتين متناقضتين أشدّ التناقض :إحداهما شخصيته العملية** ، وهي هذه التي لاحظها أولا ، والتي رأى أنها استعصت على الإسلام ، واحتفظت بجاهليتها كاملة ، **وأما شخصيته الأخرى فهي " ... شخصيته الفنية** ، التي أحتفظت من جاهليتها بهاتين الخصلتين اللتين أشرنا اليهما عند زهير وأوس وكعب ، ولكنها لم تستطع أن تقاوم **القرآن** ، فتأثرت به ، في اللفظ ، وتأثرت به في المعنى ، نلمس ذلك لمسا ، حين نقرأ ماصحّ من شعر الحطيئة " (٢) .

ولا غرابة في أن تتصل أسباب الحطيئة بمدرسة أوس من الناحية الفنية ، فقد كان راوية زهير ، وصاحب ابنه كعب ، ولذا كان مثلهما يُعنى بتجويد شعره ، وتثقيفه ، قبل أن يخرجه للناس ، وقد ذكر كعب ذلك شعرا (٣) .

وتتضح الميزتان الفنيتان في شعر الحطيئة : ميزة التصوير الفني المادي ، وميزة تثقيف الشعر وتجويده ، كما يتضح لنا مافيه من جزالة وجمال ، حين يختار طه حسين نماذج من شعره ، ثم يشرع يحللها تحليلا أدبيا ، وتأتي في مقدمة هذه النماذج سينية الحطيئة المشهورة ، التي يقول فيها :

" واللهِ ما مَعشرٌ لاموا امرأً جُنُباً في آلِ لأيِ بنِ شَمَّاسٍ بأكياسِ " (٤)

فالشاعر في رأيه قد تمكن من خلال القصيدة أن يبين عن غرضه في أجمل صورة ، وأروعها ، وأدناها الى الأفهام (٥) .

ومن النماذج الأخرى التي يختارها ، لأنها تمثل جمال الشعر عند الحطيئة ، قصيدته التي مطلعها :

---

(١) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٩٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ .
(٣) انظر استشهاده بالأبيات في " حديث الأربعاء " ، ص ١٣٩ ، جـ١ ،
وفي الأدب الجاهلي ، ص ٢٩٠ ،
وانظر الأغاني ، ص ٣٨ ، المجلد ١٧ .
(٤) انظر حديث الأربعاء ، ص ١٤٠ ، جـ ١ .
و " في الأدب الجاهلي " ، ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ ،
وانظر الأغاني ، ص ٥٤ ، جـ٢ .
(٥) حديث الأربعاء ، ص ١٤٠ ـ ١٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" أَلاَ طَرَقَتْنَا بَعدَما هَجَعُوا هِندُ وقد سِرْنَ خمسًا واتلأبَّ بنا نَجدُ " (١)

ويبدو أنه معجب بها جدا ، إذ إنّه لا يتردّد في ذكرها والثناء عليها ، كلما دعت مناسبة (٢)، فهو يرى أنها تمثّل روعة الشعر ، وصدقه ، ودقته ، وصفاء لفظه ، وارتفاع معناه (٣)، كما يرى أنّ كلّ بيت فيها ، لا يكاد يخلو من الصور المادية ، التي سلك الحطيئة اليها طريق التشبيه مرة ، وطريق الكناية مرة ، وطريق التحقيق مرة أخرى (٤) . وخلاصة رأيه في شعر الحطيئة أنّه رائع ، ومن أجود ماقال العرب (٥)

أما من حيث تأثّره فيرى أنه في قصيدته الهمزية ، التي أولها :

أَلا قالتْ أمامةُ هلْ تَعزّى فَقلتُ أُمامَ قد غلبَ العزاءُ (٦)

قد تأثر بهمزية زهير :

" عفا من آلِ فاطمةَ الجِواءُ " (٧).

وأما من حيث تأثيره فيرى أن **الحطيئة بداليته السابقة** هو " ... **أستاذ الأخطل ، وإمامه ، حين مدح بني أمية** بشعره الخالد في رائيته المشهورة " (٨)، ذلك أنّ التشابه واضح بين قول الحطيئة في قصيدته :

"يسوسونَ أحلامًا بعيدًا أناتُها وانْ غضِبوا جاءَ الحفيظةُ والجِدُّ "

وبين قول الأخطل في رائيته :

" شُمُّس العداوةِ حتى يستقادَ لهمْ وأعظمُ الناسِ أحلامًا إذا قَدَروا " (٩)

---

(١) انظر " حديث الأربعاء " ص ١٤٢ ـ ١٤٣ ، وانظر كذلك " في الأدب الجاهلي " ، ص ٢٩٨ ، وانظر ديوان الحطيئة ، ص ٣٩ (دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٦٧) .

(٢) ذكرها أيضا وهو ينقد إيليا أبا ماضي ، وأثنى على قافيتها .
انظر " حديث الأربعاء " ، ص ١٩٩ ، ج ٣.

(٣) حديث الأربعاء ، ص ١٤٢.

(٤) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٩٩.

(٥) حديث الأربعاء ، ص ١٢٦ ، ج١.

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٤٣ ، وانظر القصيدة في ديوان الحطيئة ، ص ٥٣.

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٤٣ ، وانظر ديوان زهير ، ص ٧ (تحقيق كرم البستاني) .

(٨) حديث الأربعاء ، ص ١٤٣ ، ج١.

(٩) المصدر نفسه ، ص ١٤٢ ،

وانظر ديوان الأخطل ، ص ١٠٤ ، (رواية ابن الاعرابي ، عني بنشره لأول مرة الأب أنطوان صالحاني اليسوعي ، ط ٢ ، دار المشرق ، بيروت (د.ت) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويُلاحَظ أن طه حسين في أثناء التحليل يبدي إعجابه الشديد بشاعرية الحطيئة ، ويتجلّى هذا خاصة حين يعرض لميميته التي يفضّل فيها علقمة بن علاثة على عامر بن الطفيل ، والتي يقول فيها :

ياعامِ قد كنتَ ذا باعٍ ومكرمَةٍ لو أنّ مَسعاةَ من جاريته أَمم (١)

فهو يختار أبياتا منها ، ليثني عليها دون تحفظ ، حتى إنه يقول عنها : " ... أرى في هذه الأبيات **جزالة ، وصلابة ، ومتانة ، وارتفاعا** ، وأجد فيها **جمالا** ، لا أعرف كيف أصوّره ، ولكنه يملك عليّ أمري ، ولو أني أطعت نفسي لقلت : إني أجد في هذه الأبيات **رجولة الشعر** " (٢) .

(٤) طَرَفة بن العبد :

وقد اختار من شعره معلقته الذائعة (٣) ، ونلاحظ منذ البداية أنّ صَوْتَ **الناقد العلمي** (الأكاديمي) لدى طه حسين يعلو على صوت الناقد الأدبي ، حين يبدأ بتناولها ، وذلك ليصارح القارىء بأنّ الأبيات التي تصف الناقة في القصيدة ، هي في اعتقاده أبيات منحولة ، يقول : " ... لسنا ياسيدي بإزاء قصيدة لطرفة ، وانما نحن في أكبر الظن **بإزاء بقايا قصيدة لطرفة** ، وليست هذه الناقة التي تقوم بينك وبين المعاني الرائعة ، والصور الجميلة ناقة طرفة في أكبر الظن ، وانما هي ناقة دسّت عليه دسّا ، وزُجّت في حظيرته زجا ، ليست منه ، وليس منها في شيء " (٤) .

ولذا فإنه عند التحليل الأدبي لا يعرض إلّا للأبيات التي **تصور فلسفة طرفة** في الحياة ، وتصور **همومه** مع عشيرته .

ويلاحظ أنه في أثناء التحليل يحاول - وفق منهجه في النقد الأدبي - أن يحقّق شخصية الشاعر ، من خلال شعره فحسب ، ذلك أنه لا يطمئن الى الأخبار القليلة التي وردت عنه ، وهو يصل من خلال المحاولة ، الى أنّنا بإزاء شخصية " ... ظاهرة البداوة ، واضحة الإلحاد ، بيّنة الحزن واليأس ، والميل الى الإباحة ، في قصد واعتدال " (٥) .

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٤٤ ، جـ ١ ،
وانظر ديوان الحطيئة ، ص ٩٥ .

(٢) حديث الأربعاء ، ص ١٤٤ ، جـ ١ .

(٣) انظر معلقة طرفة في ديوانه ، ص ١٩ (دار صادر للطباعة - بيروت ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م) .

(٤) حديث الأربعاء ، ص ٥٨ .

(٥) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما يخلص الى أن شخصية طرفة ، كما تبدو في شعره ، تمثّل " ... رجلا فكّر ، والتمس الخير والهدى ، فلم يصل الى شيء ، وهو صادق في يأسه ، صادق في حزنه ، صادق في ميله الى هذه اللذات ، التي يؤثرها " (١) .

وهو يرى أنّ على **الناقد الأدبي المحدث ألاّ ينظر الى فلسفة طرفة من خلال ظروفه هذه التي** جدّت في هذا العصر ، أو من خلال بيئته هذه ، التي يعيش فيها الآن ، وانما ينبغي أن ينظر اليها **من خلال الظروف والبيئة التي أحاطت بحياة الشاعر في عصره القديم ، وعليه أن يقدّر أن المثل العليا تتغير بتغير البيئات والعصور** ، وأنّ الأشخاص يتغيرون أيضا بتغير البيئات والعصور ، فلو عاش طرفة في بيئة غير بيئته ، أو في عصر غير عصره ، لما كان طرفة ، ولتغيّرت فلسفته نتيجة لتغيّر شخصيته ، ولكان من الممكن ألاّ نعجب بفلسفته ، لو أنه صورها في أبيات من الشعر ، على نحو مافي معلقته (٢) .

ولذا ينبغي أن نحكم لهذه الفلسفة ، وما تنطوي عليه من مُثل عليا خاصة في الحياة ، من خلال صدورها الصادق عن هذه الشخصية ، التي هي ثمرة طبيعية لظروف بيئتها وعصرها ، **ومن خلال هذا التوجّه الحق في النقد الأدبي** ، يمكن القول : " ... إنما تعجبنا فلسفة طرفة ، لأنها ساذجة ، تمثّل حياة ساذجة ، ولأنّ الشاعر قد صوّرها فأجاد تصويرها " (٣) .

على أنّ التصوير الفني لهذه الفلسفة يعجبنا أيضا ، وليست الفلسفة وحدها ، فلو قدّم طرفة الينا فلسفته نفسها ، ولكن في أسلوب فني غير مُعْجِب ، إذن لما استطعنا القول : إن شعره الذي يصور فيه فلسفته وهمومه جيد ، ولكننا نحكم له نقديا بالجودة ، لأننا حين نقرأ هذا الشعر ، " نعجب أيضا بلفظه الجزل ، وأسلوبه الرصين ، وأسره القوي " (٤) .

ومع أن طه حسين في دراسته يفيض في تحليل شخصية طرفة ، وفلسفته ، وأسلوب حياته ، ودفاعه عن نفسه ، أمام قومه - فإنه في الوقت عينه - يبذل وسعه في أن يلفت قارئه بين حين وآخر ، الى مافي هذا البيت أو ذاك من براعة فنية ، وجمال شعري ، فهو في معرض حديثه عن فلسفة طرفة ، حينما يصل الى هذا البيت مثلا :

---

(١) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٢٩.
(٢) انظر حديث الأربعاء ، ص ٧٠ ، ج١.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٠ ، ج١.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٠ ، ج١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" أرى العيش كنزًا ناقصًا كلّ ليلةٍ وما تُنقص الأيامُ والدهرُ يَنْفَدِ " (١)

يتوقف ريثما يحلّله فنيا ، ويكشف عمّا فيه من روعة شعرية ، فيقول " ... انظر الى هذا البيت خاصة ... والى **هذا التشبيه القوي الصارم** ، الذى لاسبيل الى إنكاره ، ولا الى عيبه ، ولا الى الشك في طرف من أطرافه ، والى هذا الجمال الذي يجعل الحياة كنزا ، ويجعل الأيام والليالي كأنها رجال تنقص من هذا الكنز ، في غير انقطاع ، حتى تأتي على آخره ، وهي واثقة بأنها ستستنفده ، لأنها واثقة بأنها أطول منه بقاء " (٢) .

على هذا النحو من الأسلوب الفني ، يمضي طه حسين في تحليل **مايعتقد أنه صحيح من معلقة طرفة** ، حتى يخلص أخيرا الى رأيه العام فيها ، فيقول عنها : " ... إنّ هذه القصيدة من أجود الشعر ، وأجمله ، وأروعه وأرقاه " (٣).

* * *

(٥) سويد بن أبي كاهل : (٤)

وقد اختار من شعره عينيته التي مطلعها :

" بَسَطتْ رابعةُ الحَبْلَ لنَا فوَصَلْنا الحبلَ منها ما اتّسعْ " (٥)

وقبل أن يعرض طه حسين للقصيدة بالتحليل ، يحاول أولا أن يبحث في شخصية الشاعر، وبيئته ، وعصره ثم يعمد الى القصيدة ، فيعرض لمضمونها وأغراضها ، ثم يشرع أخيرا يحلّلها ، مبتدئا على غير عادته من نهايتها ، حيث يقول الشاعر :

" هل سويدٌ غيرُ لَيثٍ خَادرٍ ثئدتْ أرضٌ عليهِ فانتجعْ " (٦)

---

(١) انظر حديث الأربعاء ، ص ٧٢ ، جـ١.
وانظر " شرح المعلقات السبع " للزوزني ، ص ٨٥ ، والمعلقة كلها ص ٦١ ـ ٩٧.

(٢) حديث الأربعاء ، ص ٧٢ ، وانظر هذا الأسلوب في التحليل الأدبي ص ٦٤ مثلا.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٦.

(٤) انظر ترجمة سويد بن أبي كاهل في الأغاني ، ص ١٠٠ ، جـ١٣ (دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٥٨)، وانظر أيضا مقدمة ديوان سويد ، ص ٥ (جمع وتحقيق شاكر العاشور ، مراجعة محمد جبار الحميد ـ الطبعة الأولى ـ وزارة الإعلام ـ العراق ، ١٩٧٢).

(٥) انظر حديث الأربعاء ، ص ١٥٧ ، جـ ١ ،
وانظر القصيدة في ديوان سويد ، ص ٢٣.

(٦) حديث الأربعاء ، ص ١٥٧ ، جـ١ ،
وديوان سويد ، ص ٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكأنّه يقدّر عجب القارىء من هذا ، ولذا يجرى على لسان صاحبه المتخيّل - الذي يحاوره في أثناء تحليله للنماذج - قوله له : " ...مارأيت كاليوم **ناقدا** يأخذ الشعر من آخره ، ويبدأ القصيدة من حيث انتهت "(١) .

وذلك كي يقدّم المسوّغ بقوله : " ... إنما أردت أن أقيم بين يديك **هذه الصورة** ، التي أقامها الشاعر لنفسه ، وجعلها آخر قصيدته ، كأنما أراد أن تبقى في نفس الذين يسمعونه ويقرؤونه "(٢) .

ثم يعود الى بداية القصيدة ، فيتناولها بتحليله ، محاولا أن يظهر ماتزخر به من سحر ورشاقة ، لافتا الى ماتتضمنه **من صور فنية معجبة** ، نحو قوله :

" حرةٌ تجلو شَتِيتًا واضحًا كشعاعِ الشمسِ في الغيم سَطَعْ "(٣)

فهو يقول عن التشبيه في البيت : " ... يعجبني من هذا البدوي تشبيه مايكون من صفاء الثغر النقي ، الواضح ، بين الشفتين ، بشعاع الشمس حين يظهر أثناء الغيم "(٤) .

ومن الأبيات التي يراها تمثل قمة القصيدة من الناحية الفنية الأبيات التي يصوّر فيها سويد حال عدوه معه ، فيقول :

ربَّ من أنضجت غيظًا قلبَهْ قد تمنّى ليَ موتًا لم يُطعْ
ويراني كالشّجا في حلقِهِ عَبِرًا مخرجُه ما يُنتزعْ
مُزبِدٌ يَخطِرُ مالم يَرَني فإذا أسمعتهُ صوتي انقمعْ
بئسما يَجمَع أن يَغتابَني مَطْعَمٌ وَخْمٌ وداءٌ يُدَّرعْ
ويُحيِّيني إذا لاقيتهُ واذا يَخلو له لحمي رَتَعْ (٥)

فهو يتناولها بالتحليل قائلا : " ... ما أعرف شعرا أجمل ، ولا أروع ، ولا أبلغ في تصوير الرجل الشجاع ، ذي القلب الذكي ، والنفس الأبيّة ، يصبر للعدو ، ويتحدّاه غير حافل به ، ولا آبه له، من هذه الأبيات "(٦) .

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٥٧ ، ج١.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٧.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٧ ،
وانظر ديوان سويد ، ص ٢٣.
(٤) حديث الأربعاء ، ص ١٥٧ ، ج١.
(٥) انظر حديث الأربعاء ، ص ١٦٢ ، ج١،
وانظر الأبيات في ديوان سويد ، ص ٣٠ - ٣١.
(٦) حديث الأربعاء ، ص ١٦٢ ، ج١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو يلحظ في أثناء التحليل أنّ بشار بن برد قد اتكأ على بيت في القصيدة ، وهو :

" آنسٌ كانَ إذا ما اعتـــادني حالَ دونَ النومِ منّي ما امتنـــعْ " (١)

فقد أخذ بشار المعنى ، ثم زاد فيه ، وجوّده ، فقال :

لم يطلْ ليلي ، ولكنْ لم أنـــمْ ونفى عنّي الكـرى طيفٌ ألَـــمّ (٢)

على أنه يرى أن **زيادة بشار في المعنى ، ليست مبتكرة ابتكارا ، وانما هي موجودة بالقوة** ، ـ كما يقول الفلاسفة ـ في أبيات سويد التالية " التـي يصف فيها طول الليل ، وابطاءه في الحركـة ورجوعه كلما ظن أنه قد انقضى " (٣) ، وهي :

فأبيتُ الليـــلَ ما أرقـــدهُ وبعـينيّ إذا النجـــمُ طـــلَعْ

واذا ماقلتُ : ليـلٌ قد مضـــى عَطَـفَ الأوّل منـــهُ فَرجـــعْ

يسحبُ الليل نجـوماً طُلّعـــاً فتواليهـــا بَطيئـــاتُ التّبَـــعْ

ويُزجّيهـــا على إبطائهـــا مَغـــرِبُ اللونِ إذا اللـونُ انقشـعْ (٤)

ذلك أن طول الليل ليس محققا في نفسه ، وانما هو يأتي من أرق الشاعر ، وعدم استطاعته النوم وتبرّمه من الليل ، " ... فالليل في حقيقة الأمر لم يطل ، وانما أرق الشاعر فاستطاله ، واستثقله ، وهو المعنى الذي قصد اليه بشار ، بعقله الفلسفي المتحضّر ، وبصيرته النافذة ، وبراعته في الإيجـــاز " (٥) .

وقصيدة سويد في رأيه ـ كما يظهر التحليل الأدبي ـ قصيدتان : " ... قيلت اولاهما في الجاهلية ، وقيلت أخراهما في الإسلام ، أو هي قصيدة واحدة بُدئت في الجاهلية ، ثم أضاف الشاعر اليها في الإسلام هذه الأبيات التي يكثر فيها ذكر الله ، والتحدث بنعمه ، وتصوّر فيها الغيبـــة على نحو ماصوّرت في القرآن " (٦) .

---

(١) انظر حديث الاربعاء ، ص ١٥٧ ، جـ١ ،
وانظر ديوان سويد ، ص ٢٤.

(٢) انظر حديث الاربعاء ، ص ١٥٩ ، جـ١.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٩.

(٤) انظر المصدر نفسه ، ص ١٥٩ ،
وانظر الأبيات في ديوان سويد ، ص ٢٥.

(٥) حديث الأربعاء ، ص ١٥٩.

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٦٢ ـ ١٦٣ ،
وانظر الأبيات الدينية في الديوان ، ص ٣٠ ـ ٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما **رأيه في سويد** فهو أنّه شاعر " ... **قوي الحس جدا ، دقيق الشعور جدا** ، وهو كذلك مالك لأمر الشعر ، يصرّفه كما يحب ، لا يجد في تصريفه مشقة ولا جهدا [١] .

وأما القصيدة فهي لا تقل روعة عن المعلقات السبع أو العشر ، وهي تكاد تُغني عمّا ضاع من شعر سويد ؛ لأنها " ... تصوّر مذهبه في الشعر ، وحظه من إجادته تصويرا قويا واضحا ، ... وأكبر الظن أنها جمعت فنون الشعر ، التي كان يطرقها سويد نفسه " [٢] ذلك أنها " ... مطولة بديعة من أروع الشعر العربي وأرقاه ، ومن أعذبه ، وأحسنه موقعا في السّمع ، ومسلكا في النفس " [٣] .

* * *

(٦) المثقّب العبدي :

يحاول طه حسين في البداية أن يحقّق شخصية المثقب العبدي ولكنه يخلص الى أنه **لا يطمئن اليها ، بل يبدي شكه فيها** [٤] ، على أنّ صوت الناقد الأدبي لديه يرتفع ؛ ليعترف بأنّه يعجب حقا بهذه القصيدة ، التي تنسب الى الشاعر ، والتي مطلعها :

" أفاطمُ قبل بَيْنِكِ متّعيني ... ومَنعُك ماسُئلتِ كأنْ تبيني " [٥]

ذلك أنّ الشعر في القصيدة يراه " ... جميلا ، شديد التأثير في النفوس ، يثير كثيرا من الخواطر الشاحبة الحزينة ، التي لا تخلو من أن تثير لذّات شاحبة حزينة مثلها " [٦] ، ومن أبيات القصيدة ، التي تثير هذه اللّذة قوله :

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٥٥ ، ج ١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٥ .
(٤) انظر المصدر نفسه ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ ـ ١٧٢ .
(٥) انظر المصدر نفسه ، ص ١٦٦ ،
وانظر في المثقب العبدي والقصيدة " طبقات فحول الشعراء " لابن سلام الجمحي ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٢ ، تحقيق محمود شاكر (دار المعارف ـ القاهرة) ،
وانظر القصيدة في " المفضليات " ص ٢٨٧ ـ ٢٩١ ، شرح أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون ، دار المعارف (د.ت) .
(٦) حديث الأربعاء ، ص ١٦٤ ، ج١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما أدري إذا يمّمتُ أمرًا ... أريدُ الخيرَ أيّهما يليني
أالخيرُ الذي أنا أبتغيه ... أم الشرّ الذي هو يبتغيني

ذلك أنّ في البيتين صورة من أجمل الصور وأروعها لجهل الناس بما تضمر لهم الأقدار (١) . ومن الأبيات التي يراها خليقة بأعظم الإعجاب ، الأبيات التي يصور فيها الشاعر شكوى الناقة ، وقد نهض آخر الليل ليهيّئها للسفر (٢) :

اذا ماقمتُ أرْحَلها بليلٍ ... تأوّهُ آهةَ الرجلِ الحَزينِ
تقولُ : إذا درأتُ لها وَضيني ... أهذا دينُهُ أبدا ودِيني
أكلّ الدهرِ حِلٌّ وارتحالٌ ... أما يُبقي عليّ وما يقيني

وعلى الرغم من أنه يورد للمثقب مقطوعتين من قصيدتين أخريين (٣) ، فإنه لا يتناولهما بالتحليل ، بل يذهب الى أن القصيدة التي يقول فيها :

لا تقولنّ إذا مالمْ تُردْ ... أن تتمّ الوعدَ في شيءٍ نعمْ (٤)

إنما هي قصيدة يميل كل الميل الى الاعتقاد " **بأنها مولّدة مصنوعة ، لم تصدر عن شاعر قديم** " (٥) .

واذن فدراسته في المثقب العبدي تدور حول قصيدته النونية الأولى ، ومع **أنه يقرّر في النهاية أنّها لشاعر مجهول أيضا** فإنه يقول عن القصيدة نفسها : " الحق أنك تقرأ القصيدة فتروعك معانيها ، وتروقك ألفاظها ، في كثير من المواضع ، وتعجبك ألفاظها لمتانتها وجزالتها في غير غرابة ولا عنف " (٦) .

* * *

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٧٠ ، جـ١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦٩ ،
وانظر " طبقات فحول الشعراء " ، ص ٢٢٩ .
(٣) انظر حديث الأربعاء ، ص ١٧١ ، جـ ١ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٧١ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٧٢ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٧) عنترة بن شـــداد (١)

يحاول طـه حسين في بداية دراسته لعنترة أن يعرض لشخصيته ولكنه منذ البدء **يجاهر بشكه في الأخبار المنسوبة اليه** ، قائلا : " ...**لا أعرف من أمره شيئا**، أو لا أكاد أعرف من أمـره إلاّ أن الناس كانوا يذكرونه ، ويتحدثون بحسن بلائه في الحروب " (٢). ثم يقول في ســـخرية ، لصاحبه المتخيّـل الذي ماينفك يحاوره : " ... لابأس بأن نـقبل باسمين ، مايروى عنـه مـن الأخبـار والأسـاطير " (٣) .

على أن صوت الناقد الأدبي لديه مايلبث أن يرتفع ، ويطغى على صوت الناقد العـلمي، داعيا إيّاه الى النظر في هذه القصيدة ، التي تُعدّ في المعلقات ، **والتي تضاف الى عنترة** ، ذلـك أن طه حسين يرى أنها **قصيدة قديمة صحيحة** ، وآية هذا أنّ **نقاد الشعر القدماء** ، ورواته كانـوا حين يعرضون لها " ... يرضون عنها ، ويعجبون بها ، ويسجلونها بين روائع الشـعر العربـي القديم ، في القرن الثاني والثالث للهجرة " (٤).

وأما من الناحية الأدبية الفنية فهو يرى أنها جميلة ، ويشبّهها بطائفة من الأنغـام الموسيقية الكثيرة ، المختلفة فيما بينها أشد الاختلاف ، **ويرى أنّ فيها نغمة واحدة متصلة ، منذ بداية القصيدة الى نهايتها** ، وهي " تظهر واضحة حينا ، وتحسها النفس ، وانّ لم تسمعها الأذن حينا آخر ، **وهذه النغمة التي تكوّن وَحْدة هذه القصيدة كما كونت الوحـدة في قصيدة لبيد** " (٥) .

على أنه يلاحظ ثمة فرقا بين **النغمة** في قصيدة عنترة ، وبين **النغمة** في قصيدة لبيد ، **فالنغمة في قصيدة عنترة حلوة** رقيقة ، تمازج النفس ، فتمتزج بها ، على حين تبدو هـذه **النغمة لدى لبيد** غليظة بعض الشيء ، لا تخلو من جفاء بدوي وخشونة ، فلبيد يذكـر في

---

(١) انظر ترجمته في الأغاني، ص ٢٢٥ ـ ٢٤٤ ، المجلد الخامس (دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٥٦).

(٢) حديث الأربعاء ، ص ١٤٥ ، ج١.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٥.

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٩.

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٥٠ ،
وانظر معلقة عنترة في ديوانه ، ص ١٢ (دار بيروت للطباعة ـ دار صادر للطباعة ـ بيروت ـ ١٩٦٦ م) ،
وانظرها أيضا في " شرح المعلقات السبع " للزوزني ، ص ١٩١ ـ ٢١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معلقته صاحبته ، ولكنه ليس متهالكا عليها ، ولا يتحرج من الإعراض عنها ، أو الفناء فيها [١] .

وممّا يدلّ على أنّ معلقة عنترة فيها شعر رائع مؤثر ، أنها **صادفت قبولا من الناس ، حتى جرت بعض أبياتها بينهم مجرى الأمثال** [٢] ، نحو قوله :

" الشاتِمَي عِرْضي ولم أشْـتِمْهُما والنازِرَين إذا لَمَ ألقَهما دَمي " [٣]

وهو يذهب الى أن جميل بن معمر أخذ الشطر الأخير من البيت السابق ، حين قال :

" فليت رجالاً فيكِ قد نذروا دَمي وهمّوا بقتلي يابثينَ لَقوني " [٤]

أما السبب في أنّ كثيرا من أبيات المعلقة قد جرى مجرى الأمثال بين الناس فيعلّله من الناحية النقدية بقوله : " كثير جدا من أبيات هذه القصيدة ، **قد ظفر بحظ عظيم من الإيجاز والامتلاء ، والبراءة من اللغو والفضول** " [٥]

ومن الأبيات التي يختصّها بالثناء ، لأنها تصور الحنين والحب واليأس معا أبلغ تصوير ، قوله :

حييتَ من طَلَلٍ تَقادمَ عَهْدُهُ أقوى وأَقفرَ بعدَ أمّ الهَيثَمِ
حلّت بأرضِ الزائرينَ فأصبحَتْ عَسِرا عليّ طلابك ابنةَ مَخْرَمِ
عُلّقْتُها عَرَضًا واقتلُ قومَها زعمًا لعمرُ أبيكَ ليسَ بِمزعَمِ
ولقد نزلتِ فلا تَظُنّي غيرَه منّي بمنزلةِ المُحَبّ المُكْرَمِ [٦]

ثم يخلص من دراسته للقصيدة باعطاء رأيه النقدي فيها كلها ، فيقول : " ... **كل القصيدة جيدة ، وكل أبياتها خليق أن تطيل الوقوف عنده ، والتفكير فيه ، والإعجاب به ...** " [٧] .

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٥٠ ، جـ١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥١ ،
وانظر شرح الزوزني ، ص ٢٠٤ .
(٣) حديث الأربعاء ، ص ١٥١ ، جـ١ ،
وانظر شرح الزوزني ، ص ٢١٤ .
(٤) حديث الأربعاء ، ص ١٥١ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٥١ .
(٦) انظر المصدر نفسه ، ص ١٥٣ ،
وانظر " شرح المعلقات السبع " للزوزني ، ص ١٩٢ ـ ١٩٣ .
(٧) حديث الأربعاء ، ص ١٥٣ ، جـ١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٨) لَبيد بن ربيعة [١]

وكان طه حسين قد بدأ دراساته الأدبية في الشعر الجاهلي التي نشرها عام ١٩٣٥ ، بلبيد بن ربيعة ، ولكنّنا آثرنا أن نؤخر دراسته فيه ، وذلك لأهميتها ، فهو في أثنائها يعرض لبعض القضايا النقدية المهمة ، التي تستحق الوقوف عندها ، ومناقشتها ، مثل قضية الوحدة في القصيدة القديمة ، ويُلاحَظ أنه خصص لدراسة شعره ثلاث مقالات متتالية [٢] ، وفيها حاول أن يحقّق شخصيته ، وأن يتعرّف بيئته النجدية [٣] ، وقبل أن يعرض لشعره ، ذهب الى أنه معجب " ... **برصانة لفظه ، ومتانة أسلوبه ، واعتدال وزنه ، واستقامة قوافيه ، وروعة معانيه** ، في دقة لا تشبهها دقة ، ووضوح مع ذلك لا يشبهه وضوح " [٤] .

وحين يتناول معلقة لبيد ، يحاول أن يبيّن ماتنطوي عليه من جمال صور ، وحيوية ، وبراعة شعرية ، فالشاعر يشبّه ناقته مرة بالسحاب ، وأخرى بالأتان ، وثالثة بالبقرة المرتاعة ، وهو يحاول هذا كله من خلال الصور الشعرية المتلاحقة ، التي تتجلى فيها مقدرته الفنية .

ويُلاحَظ أن طه حسين في المقالة الاولى يرسم صورة نثرية فنية للقصيدة بأسلوبه الرشيق ، ولكن دون أن يورد أمثلة شعرية البتة ، ثم إنه في المقالة الثانية والثالثة يأخذ يستعين في تحليله الأدبي بأمثلة شعرية من المعلقة ، نحو قول لبيد ، متغنيا بما فيه من خصال الحزم والكرامة ، والعزة والإباء :

أولمْ تكنَّ تدري نَوَارُ بأنني ... وَصّالُ عهدٍ حبائلٍ جذّامُها
ترّاكُ أمكنةٍ إذا لم أَرْضَها ... أو يعتلِقْ بعضَ النفوسِ حِمامُها [٥]

فهو يرى أن لبيدا في البيتين يصوّر إباءَه للضيم أبرع تصوير ، وأروعه ، ذلك أنه لا يقيم في مكان ، إذا لم يرضَ الإقامة فيه ، يقول : لا فتا الى مافي عجز البيت الثاني من إيحاء شعري : " ... ولكن انظر الى الشطر الأخير " **أو يعتلق بعض النفوس حمامها** " فهو غامض ، ولكنه جليّ ،

---

(١) انظر ترجمته في الأغاني ، ص ٢٩١ ، المجلد الخامس عشر (دار الثقافة ـ بيروت ، ١٩٥٨) .
وانظر شرح المعلقات السبع للزوزني ، ص ١٢٤ .

(٢) نشرت كلها في جريدة الجهاد ، في خلال شهر فبراير عام ١٩٣٥ .

(٣) انظر حديث الأربعاء ، الصفحات : ٣٣ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٥٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٩ ، ج١ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٧ ،
وانظر شرح المعلقات للزوزني ، ص ١٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو مبهم، ولكنه واضح ، وهو لايقيم في مكان يُسام فيه الضيم ، فإن أقام ، فلا بد لبعض النفوس من أن تزهق ، أيّ النفوس ؟ نفسه هو ، أم نفس أعدائه الذين يسومونه الضيم ؟ لا يريد الشاعر أن يخصص شيئا ، لانه لايدري كيف يكون السبيل الى هذا التخصيص ... " (١) .

على أن دراسة طه حسين في شعر لبيد ، لا تقتصر على معلقته ، وانما تعرض أيضا لبعض **الأغراض الشعرية عنده ، مثل الرثاء** ، الذي يرى لبيدا بارعا فيه ، يتفوق على **الخنساء** ، التي اشتهرت بمراثيها الكثيرة لأخيها صخر ، يقول مفضّلا إيّاه عليها : " ... لست أدري كيف يمكن أن تُقدَّم عليه الخنساء في رثائها ، **وهو عندي أبرع منها في تصوير الحزن ، وصبّ اليأس في القلوب صبا في غير ضعف ولا وهن** " (٢) .

ومن أجمل مراثي لبيد في رأيه قصيدته التي يرثي بها أخاه لأمّه " أَرْبَدَ بنَ قيس " والتي مطلعها :

" بَلِينا وما تَبلى النجومُ الطوالعُ وتبقى الجبالُ بعدَنا والمصانعُ " (٣)

فهو يتناول أبياتا من القصيدة بالنقد والتحليل ، ويخلص الى أن لبيدًا لا يجهد نفسه فيها ، ولا يجهد سامعه ، أو قارئه ، وانما **ينظر الى مظاهر الطبيعة المختلفة** ، مثل النجوم والجبال ، واذا هي ثابتة مستقرة ، على حين " تذهب الأجيال والأجيال ، وهي في مكانها لا تريم ، واذا الانسان شيء يسير ، لا يستطيع أن يشرق ويغرب ، كما تشرق النجوم وتغرب ، ولا يستطيع أن يثبت ويستقر ، كما تثبت الجبال ، وتستقر ، وانما هو كالشهاب ، يشرق ساطعا ، فيبهر الأبصار ، ثم لا يلبث أن يستحيل رمادا تذروه الرياح " (٤) .

يصوّر لبيد هذه المعاني كلها بلفظ رصين ، وأسلوب رائع ، قلّ أن نجد " أدنى منه الى الصدق ، وأنطق منه بالحق ، وأعظم منه حظا من هذه السذاجة الحلوة التي لا تتناول معانيها الراقية من بعيد ، وانما تتناولها من قريب " (٥) .

واذن **فخلاصة رأيه في لبيد أنه شاعر بارع ، ومصوّر صادق لحياة نفسه ، ولحياة قومه ،**

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٢٧ ج١.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٥١ ج١.
(٣) انظر الأبيات التي يتناولها في المصدر نفسه ، ص ٥٢ ، ج ١.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٣ ، ج ١.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٥٢ ، ج ١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولحياة جيله من العرب في عصره ، كما في معلقته كلها (١) . هذا من جهة ، وأما من الجهة الأخرى فشعره في الوقت نفسه ، قوي ، غني ، خصب ممتع ، خليق بالإعجاب والإكبار ، خليق بأن يثير في القارىء المعاصر عواطف الحب والحنان والحنين (٢) .

وأخيرا نحسب أن أهمّ الآراء النقدية ، التي يذيعها في معلقة لبيد هو الرأي الذي يذهب فيه الى أن الوحدة المعنوية تتوفّر في المعلقة كأحسن مايكون التوفّر ، في أيّة قصيدة من قصائد الشعر الحديث ، فهو يخلص من تحليلها الفني الى القول : " ... **لهذه القصيدة وحدتها المعنوية ، ونظامها الشعري ، المتّسق البديع** " (٣) .

* * *

رأيه في وحدة القصيدة القديمة وتطوره :

ورأيه في قصيدة لبيد ووحدتها المعنوية خاصة يدعو الى تعرّف رأيه في وحدة القصيدة عامة ، فقد ذهب بعض النقاد (٤) في الربع الأول من هذا القرن ، الى أن القصيدة العربية القديمة تخلو من الوحدة العضوية (Organic unity) ، مما يدل على سطحية العاطفة ، وضحالة الشعور ، وتكلّف الشاعر للنظم (٥) ، ولكن يُلاحَظ أن طه حسين في أثناء دراسته الأدبية للنماذج المختارة من الشعر الجاهلي ، قد عرض لهذا الزعم ، وقال ساخرا : " ... **ماسمعت من خصوم الشعر القديم حديثهم عن وحدة القصيدة عند المحدثين ، وتفكّكها عند القدماء إلا ضحكت ، وأغرقت في الضحك** " (٦) .

ذلك أنّ هذا الزعم هو في رأيه أسطورة من هذه الأساطير ، التي أنشأها الافتتان بالأدب الأوروبي الحديث ، والعجز عن تذوّق الأدب العربي القديم (٧) . وهو يذهب الى أنّ الذين

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٢٦ ، جـ١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٨ ـ ١٩ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٩ .
(٤) مثل العقاد وزميليه المازني وشكري ، كما رأينا في التمهيد عند الحديث عن مدرسة الديوان .
(٥) انظر " النقد الأدبي الحديث " للدكتور محمد زغلول سلام ، ص ٢٣٤ ، وانظر " العقاد ناقدا " لعبدالحي دياب ، ص ٤١٣ .
(٦) حديث الأربعاء ، ص ٣٠ ـ ٣١ ، جـ١ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ينكرون الوحدة المعنوية في القصيدة العربية القديمة ، **يدفعهم الى هذا سببان : الأول** أنّهم لايدرسون الشعر القديم ، أو لا يتعمقون معانيه وأسراره حين يدرسونه ؛ لأنهم لايقفون على القصيدة القديمة كاملة ، وانما يقفون في الغالب على أجزاء منها ، لأن المثقفين من هؤلاء يكتفون بكتاب الأغاني وما يشبهه ، ولا يرجعون الى الدواوين ، وأما عامة هؤلاء فيكتفون بكتب التاريخ الأدبي ، وما يشبهها من الكتب المدرسية ، وهذه الكتب لا تروي القصائد كاملة ، وانما تورد مقطوعات منها ، تستشهد بها على ماتذهب إليه من رأي ، مما يؤدي الى نتيجة هي أن " **خاصة المثقفين المحدثين وعامتهم يعرفون الشعر العربي متفرّقا ، لأنهم يحفظونه متفرقا ، وهم من هذه الناحية يجهلون هذا الشعر ، ويقضون عليه حين يقضون قضاء الجهّال** " (١) .

وأما السبب الثاني الذي يدفع هؤلاء الى إنكار الوحدة المعنوية فهو أنهم لا يتنبّهون الى أن كثيرا من الشعر القديم ، لم ينقل الى الأجيال مكتوبا ، وانما نقلته الذاكرة ، وأضاعت منه وخلطت فيه ، ولم تحسن روايته ، فكثر الخلل والاضطراب في هذا الشعر ، وخيّل لهؤلاء الزاعمين أن هذا الاضطراب طبيعي ، " ... ولم يفطنوا الى أنه علة طارئة ، ومرض عارض ، لم يصب الشعر العربي وحده ، وانما أصاب كل قديم نُقل الى المحدثين ، أجيالا طوالا من طريق الرواية ، لا من طريق التدوين " (٢) .

وهو يرى أن **مصدر هذه التّهمة** ، التي وجهت الى الشعر العربي القديم هم **المستشرقون** ، ذلك أنهم جعلوا من الشعر الجاهلي ، وما يتخلّله من اضطراب ونحل مثالا للشعر القديم " ... فخيّل اليهم أنه غير منسّق ، ولا مؤتلف ، وأن الوحدة لا وجود لها في القصيدة أيضا ، وأنك تستطيع أن تقدّم وتؤخر ، وأن تضيف الى الشاعر شعر غيره ، دون أن تجد في ذلك حرجا ، ولا جناحا ، مادمت لم تخل بالوزن والقافية " (٣) .

واذن فهذه التهمة باطلة في اعتقاده ؛ لأن أية قصيدة قديمة صحيحة ، تثبت نسبتها الى صاحبها نجدها تتوفر فيها الوحدة المعنوية دون ريب ، كما في هذه المختارات من الشعر الجاهلي التي قام بدراستها .

وقد بذل طه حسين وسعه في أثناء تحليله لمعلقة لبيد خاصة،**ليثبت أن الوحدة المعنوية موجودة** وجودا ظاهرا في القصيدة ، حتى إنّه لم يتردّد في مخاطبة **أيّ ناقد** ينكر هذا

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٣١ ، ج١.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٢.

(٣) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بقوله " ... **أتحدّاك** ، وأسألك أن تبيّن لي من أين يأتيها الاضطراب والاختلاف ؟ وكيف لا تتم لها الوحدة إلاّ من الوزن والقافية ؟ "(١) .

وقد فُهم أنه يقصد بهذا التحدّي **عباس محمود العقاد** خاصة ، لأنه أشهر من قال بذلك ، يقول تلميذه **عبدالحي دياب** : " ... وهناك معركة نشبت بين طه حسين والعقاد ، لم يشأ العقاد أن يردّ فيها ، وتتمثّل هذه المعركة في أنّ دعوة العقاد للوحدة العضوية لم تصادف قبولا لدى طه حسين ، فانبرى لمعارضتها ... إذ ذهب الى أن القصيدة العربية تشتمل على الوحدة العضوية ... وأنّ الذين يذهبون هذا المذهب في تصور طه حسين جاهلون بالشعر القديم ، لم يتعمّقوا أسراره ومعانيه "(٢) .

ونحسب أن إمساك العقاد عن الردّ ، قد كان نتيجة لا قتناعه بمنطق طه حسين النقدي القوي ، وبحرارة دفاعه عن القصيدة العربية المتّهمة ، وإلاّ لكان بينهما حوار نقدي في القضية ، ولا سيما أن المحاورة النقدية بينهما كانت تدور بين حين وآخر ، على نحو ما سوف نرى .

وبذا يمكن القول : **إنّ طه حسين هو أكبر ناقد عربي في العصر الحديث قد تصدى لهذه التّهمة النقدية الخطيرة** ، التي قُذفت بها القصيدة العربية القديمة ، وحسم الى حدّ كبير الجدال الذي دار حولها منذ بداية هذا القرن .

ومن وجهة أخرى ، لقد ذهب طه حسين الى أن الوحدة المعنوية ، من شأنها أن تجعل القصيدة **بناء فنيا متقنا ، محكما** ، لايتغير فيه شيء إلاّ فسد البناء كله ، وهُدم هدما(٣) ، فالقصيدة عنده إذن **كالكائن الحي** ، كل عضو فيه ، ينبغي أن يكون مكانه ، ليؤدي وظيفته الخاصة به ، غير المنفصلة عن وظيفة غيره من الأعضاء ، وينبغي أن تنمو هذه الأعضاء معا في اتساق ، وكذلك القصيدة في رأيه ، إذا توفّرت فيها الوحدة المعنوية ، جاءت " ... **ملتئمة الأجزاء** ، قد نسقت أحسن تنسيق وأجمله ، وأشد ملاءمة للموسيقى ، التي تجمع بين جمال اللفظ والمعنى والوزن والقافية(٤) .

وهو يقرّر أن الوحدة في القصيدة تقوم - فيما تقوم - على **النغمة النفسية الواحدة** ،

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٣١ ، جـ١ ،
وانظر أيضا " في الأدب الجاهلي " ، ص ٢٠٥ .

(٢) العقاد ناقدا ، ص ٦٦٥ .

(٣) انظر حديث الأربعاء ، ص ٣٢ ، جـ١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٢ ، جـ ١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنبعثة من شخصية الشاعر التي تكون متميزة من غيرها ، **وهذه النغمة النفسية الواحدة** تنتظم القصيدة كلها على اختلاف أجزائها ، وهي التي تميّز قصيدة عند شاعر ، من قصيدة مشابهة عند آخر ، كما هي الحال في قصيدتي عنترة ولبيد (١) .

وطه حسين يوحي بهذا المفهوم للوحدة إيحاء قويا ، وذلك إذ يقول عنها في قصيدة لبيد مثلا : " ...**لو لم تكن وحدة هذه القصيدة إلاّ في هذه النفس القوية العالية** ، السمحة الوديعة ، التي أنشأتها ، لكانت خليقة أن تكون من أروع ماحفظ الشعر العربي " (٢) .

ومفهوم طه حسين هذا للوحدة ، يلتقي وما يفهمه النقاد المحدثون منها في الغالب (٣) ، فمحمد غنيمي هلال مثلا يرى أن وحدة القصيدة تكمن في وحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع (٤) ، **وناصر الدين الأسد** يرى أنّ موضع الوحدة في القصيدة " ... لا يكمن في الترابط اللغوي بين الأبيات ، ولا في تسلسل المعاني تسلسلا منطقيا ذهنيا ، ولا في وحدة الموضوع ، وانما يكمن في وحدة الجو النفسي " (٥) .

وأما قول عبدالحي دياب : إنّ فهم طه حسين للوحدة كان مهزوزا " وانّه يتفق وفهم النقاد القدامى ، الذين يفهمون الوحدة العضوية على أنها إجادة وصل أجزاء القصيدة فقط (٦) ، فهو قول يفتقر الى الصحة ، فضلا عن افتقاره للدقة العلمية ، ذلك أن مفهوم طه حسين لوحدة القصيدة ، ليس كذلك - كما رأينا - ، ونحسب أنّ مرد قوله الى التحامل ، الذي تبدو لهجته واضحة

---

(١) قد رأينا هذا التفريق بين النغمتين النفسيتين في القصيدتين ، حينما عرضنا لدراسته في معلقة عنترة .
انظر حديث الأربعاء ، ص ١٥ ، ج ١ .

(٢) حديث الأربعاء ، ص ٣٩ ، ج١ .

(٣) عرض الدكتور يوسف بكار لكثير من آراء النقاد المحدثين في وحدة القصيدة ، والغريب أنه أغفل آراء طه حسين فيها ، على أهميتها مع أنه ذكر آراء تلاميذه .
انظر كتابه " بناء القصيدة العربية " ، ص ٣٧٣ - ٣٧٦ ، دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة ، ١٩٧٩ .

(٤) انظر كتابه " النقد الأدبي الحديث " ، ص ٤٠١ ، الطبعة الثالثة - مطابع الشعب - القاهرة - ١٩٦٤ .

(٥) " الشعر الحديث في فلسطين والأردن " ، ص ٢٩ ، نشر معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦١ .

(٦) العقاد ناقدا ، ص ٤١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في أثناء كلامه عليه ، حتى إنّ هذا التحامل قد دفعه الى تجاهل أنّ استاذه الدكتور غنيمي هلال قد اتفق وطه حسين في مفهومه لوحدة القصيدة - كما تقدّم - ، بل لقد دفعه التحامل الى تجاهل ما أورده طه حول الوحدة المعنوية في كتابيه " حديث الأربعاء " و " في الأدب الجاهلي " تجاهلا تاما (١) ، على الرغم من أنّه بسط مفهومه في ذينك الكتابين بسطا واضحا .

وأخيرا ينبغي ملاحظة أنّ رأي طه حسين في وحدة القصيدة القديمة لم يتكامل ولم يستقر على النحو الذي رأيناه إلاّ في عام ١٩٣٥ ، حين قام بدراسة نماذج من الشعر الجاهلي ، وأما قبل ذلك فقد كانت القضية مجالا لتأمله ، وظلّ رأيه فيها عُرضة للتغيّر ، واللافت أنه في البداية كان من النقاد الذين يقولون : إنّ القصيدة العربية القديمة تفتقر الى الوحدة ، ذلك أنه نشر في عام ١٩٢٢ دراسة تحدث فيها عن الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي ، وحين عرض للجوانب المهمة التي لم يشملها التغيير في الشعر خلال الصراع ، خلص الى أن القصيدة الإسلامية قد ظلت بعده كالقصيدة الجاهلية قبله تفتقر الى الوحدة ، قال : **" بقيت القصيدة كما كانت معتمدة على وحدة القافية والوزن ، غير معنية بوحدة المعنى "** (٢) .

ثم عاد في عام ١٩٢٤ الى القضية ، وهو يدرس الغزليين ، فألمح الى أن القصيدة الأموية الصحيحة تتحقق فيها الوحدة **الشاعرية** ، لأن شخصية الشاعر تكون فيها ظاهرة (٣) .

ثم عاد الى القضية في عام ١٩٢٦ أو عام ١٩٢٧ ، فأعطى رأيا واضحا فيها ، إذ ذهب الى أن الشعر الجاهلي هو الذي أوحى للمستشرقين بهذا الزعم الذي ينفي وجود الشخصية الشعرية في القصيدة العربية القديمة ، قال عن هذا الزعم : " قد يكون صحيحا في الشعر الجاهلي ، لأن كثرة الشعر منحولة مصطنعة " (٤) ، لكنه أكد في هذه الدراسة نفسها أن الوحدة موجودة في القصيدة الإسلامية خاصة ، حتى إنه تحدى أيّ ناقد ينفي وجودها بقوله : " ... أما الشعر الإسلامي

---

(١) انظر كتابه " العقاد ناقدا " ص ٤١٥ ، والكتاب في الأصل رسالة نال بها عبدالحي دياب درجة الماجستير من دار العلوم وكان مشرفه فيها الدكتور محمد غنيمي هلال ، الذي كانت بينه وبين طه حسين وتلاميذه خصومة تجلّت في التنافس على جائزة الدولة في عام ١٩٦٢ ، والمعروف أنّ لعبدالحي دياب كتابا آخر بعنوان " الاقطاع الفكري وآثاره " يهاجم فيه طه حسين ، انظر في هذا كلّه كتاب " طه حسين مفكرا " لعبدالمجيد المحتسب ، ص ١١٩ - ١٢٠ (دار إحياء التراث العربي - ١٩٧٨) .

(٢) حديث الأربعاء ، ص ٨ ، ج ٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧٩ ، ج ١ ، وانظر ص ١٩٧ .

(٤) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي صحت نسبته لقائليه ، فأنا أتحدى أيّ ناقد أن يعبث به أقل العبث ، دون أن يفسده ، وأنا **أزعم أن وحدة القصيدة فيه بينة** ، وأن شخصية الشاعر فيه ليست أقل ظهورا منها في أي شعر أجنبي " (١) .

حتى إذا قام أخيرا بدراسة نماذج من الشعر الجاهلي عام ١٩٣٥ ، رأيناه قد عاد الى القضية ، وقد استقر رأيه فيها ، فذهب الى أن هؤلاء الذين يتهمون الشعر العربي القديم كله بخلوه من الوحدة اعتمادا على بعضه هم مخطئون ؛ لأن الوحدة المعنوية موجودة فيه ، تبدو ظاهرة في كل شعر وصل الينا مكتوبا ، أو قُدّر له أن يسلم من الخلط أو النحل أو ضياع شيء منه ، كهذا الشعر الجاهلي الذي رأيناه يطمئن اليه ، فيتناوله بالنقد والتحليل ، وها هو ذا صاحبه المتخيّل يسأله عنها وهو يحاوره " قال : أجبني ماصنع الله **بوحدة القصيدة** عند شعرائك القدامى ؟ قلت : صنع الله بها خير ماصنع بآثاره ، فأوجدها واتقنها ، وأتمها إتماما لا شك فيه، ولا غبار عليه " (٢) .

* * *

موقفه من الشعر الجاهلي وتطوره :

ومن وجهة أخرى ثمة تساؤل نجده يلحّ هنا ويعترض ، ويستحق التوقف والمناقشة والإجابة ؛ لأنه يتعلق بدراسة طه حسين الأدبية السالفة ، وهو : هل تغيّر **رأي طه حسين العلمي** في الشعر الجاهلي عام ١٩٣٥ خلال دراسته له ، عن رأيه فيه خلال دراسته الأولى له عام ١٩٢٧ ، حين ذهب الى الشك في صحة أكثره ؟؟

حقا يمكن القول : إنه حين درس الشعراء الجاهليين في عام ١٩٣٥ قد درسهم في حماسة شديدة ، واعجاب بأشعارهم ، وأنّه قد حاول في أثناء هذا أن يحقّق شخصياتهم وحيواتهم ، وأن يشخّص بيئاتهم وعصرهم ، وأن يبيّن مذاهبهم وخصائصهم الفنية ، والوحدة المعنوية في أشعارهم ، ... وحقا يمكن القول : إنه في دراسته الأدبية الثانية قد دعا الى العناية بالشعر العربي القديم عامة ، وعدّه أساسا من أسس الثقافة ، ومقوّما لشخصيتنا ، ومحققا لقوميتنا ، وعاصما لنا من الفناء في الأجنبي ، على نحو مارأينا في الدراسة حين عرضنا لها (٣) .

---

(١) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٠٥.
(٢) حديث الأربعاء ، ص ٣٠ ، ج١.
(٣) انظر المصدر نفسه ، ص ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن هل يعني هذا كله أنه **تراجع** عمّا كان قد أورده في كتابه " في الأدب الجاهلي " من آراء علمية تشكّك في صحة الشعر الجاهلي (١).

إنّ من المهم في الإجابة ملاحظة أنّ جميع النماذج التي اختارها ، وقام بدراستها وأعرب عن إعجابه بما فيها من جمال شعري ، من خلال تحليلها ، هي نماذج شعرية صحيحة النسبة الى العصر الجاهلي **بحسب رأيه** ، كما هو واضح من خلال تحليلها ، ولكن من المهم أن نلحظ أيضا **أنّ اعتقاده بصحة النماذج التي اختارها لايدلّ البتة على أي تراجع في موقفه من الشعر الجاهلي ، وذلك لسببين أساسيين : أولّهما** أن طه حسين في دراسته للشعر الجاهلي في عام (١٩٢٦ ـ ١٩٢٧)، لم يزعم البتة أن الشعر الجاهلي كلّه منحول وانما خلص من دراسته الى القول بمقياس نقدي مركب يمكن بوساطته التمييز بين الصحيح والمنحول في هذا الشعر ، ويبدو هذا جليا إذ يقول : " ... أنت ترى أني بهذا المقياس الذي أؤلفه من اللفظ والمعنى والخصائص الفنية المشتركة ، قد أستطيع أن أصل الى شيء من الحق والصواب في أمر هذا الشعر الجاهلي " (٢).

ومن خلال هذا المقياس عرض لمدرسة شعرية مضرية جاهلية ، هي مدرسة أوس بن حجر ، وأورد نماذج لزعمائها : أوس وزهير والنابغة وكعب والحطيئة ، وذهب الى أن لهم أشعارا صحيحة ، وصلت الينا ، على نحو مارأينا في الدراسة (٣) ، بل لعلنا لاحظنا أنه لفت في النهاية الى أن تلاميذ مدرسة أوس أكثر مما ذكر " فهناك شعراء آخرون منهم التميمي والقيسي قد أخذوا عن أوس وأصحابه " (٤) ، كما ذهب الى أنّ هناك مدارس شعرية أخرى غير مدرسة أوس ، دعا غيره من النقاد الى دراسة خصائصها الفنية المميّزة على نحو مافعل (٥).

واذن ليس ثمة تراجع في أن يختار طه حسين عام ١٩٣٥ نماذج من الشعر الجاهلي ، يرى أنها صحيحة ، وتستحق الدراسة والتحليل .

وأما السبب الثاني فهو أنّ هذه النماذج الشعرية المختارة ، لم يذهب طه حسين في عام ١٩٢٦ الى القول عنها : إنّها منحولة حتى يمكن القول : إنه رجع عن رأيه فيها عام ١٩٣٥.

---

(١) انظر " حول كتاب في الشعر الجاهلي " للدكتور ناصر الدين الأسد ، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥.
(٢) انظر في الأدب الجاهلي ، ص ٢٦٧ ، وانظر ص ٣٠٨ أيضا .
(٣) انظر المصدر نفسه ، ص ٢٦٨ ـ ٣٠٨.
(٤) انظر المصدر نفسه ، ص ٢٦٧.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحق أننا حين نبحث عنها في كتاب " في الأدب الجاهلي " نكتشف أن بعضها كان قد عرض له ، وبعضها الآخر لم يأت على ذكره ، أما النماذج التي كان قد تناولها فهي قصائد لزهير والحطيئة وكعب وطرفة ، وعندما نقابل بين آرائه فيها عام ١٩٢٧ وبين آرائه فيها عام ١٩٢٥، نُفجأ بأنها واحدة ، وردت في دراسته الأولى موجزة ، ثم قام في دراسته الثانية ببسطها وتوضيحها ، لأنّ التحليل الفني يقتضي ذلك ، فقد ظلّ على آرائه في زهير وكعب والحطيئة [١] ، من حيث انتماؤهم الى مدرسة أوس الفنية ، وصحة أشعارهم ، واهتمامهم بالتصوير الفني المادي ، كما ظلّ رأيه في معلقة طرفة ثابتا على الزمن ، يشك في صحة الأبيات التي تصف الناقة ، ويعجب جدا بالأبيات التي تصور همومه وفلسفته في الحياة [٢] ، **وقد قصدنا أن نبرز هذا الشك حين عرضنا لدراسته في معلقته .**

وأما الشعراء الآخرون الذين اختار نماذج لهم ، وهم : **لبيد وعنترة وسويد بن أبي كاهل والمثقب العبدي** ، فطه حسين لم يعرض لهم أو لأشعارهم البتة ، خلال كتابه " في الأ دب الجاهلي " ، ماعدا عبارات قليلة **أتى فيها على ذكر لبيد** ، وهو يتحدث عن الحطيئة ، **وهي توحي بأنه لا يشك فيه** ، أو في شعره ، قال وهو يتحدث عن الحطيئة " ... اتصل بعلقمة بن علاثة ، وفضّله على عامر بن الطفيل ، **كما اتصل لبيد بعامر وفضله على علقمة في حياة جاهلية بدوية مألوفة ، ولكن لبيداً أسلم فخلص إسلامه فاستقامت له سيرة صالحة راضية** " [٣] .

وما دام طه حسين لم يتعرض لأشعار الشعراء الأربعة في دراسته الاولى ، فلا يستقيم القول إذن : إنه تراجع عن آرائه فيهم ، حين اختار نماذج من أشعارهم بعد ذلك .

ومن جهة أخرى يمكن أن نلحظ في القضية ملحوظتين : **الأولى** أنه في دراسته الأخيرة قد اختار نماذج لشعراء هم في الغالب من **"مضر"** ، حتى طرفة قد ذهب الى أنّ شعره " أشبه بشعر المضريين منه بشعر الربعيين " [٤] . كما لاحظ أن **سويد بن أبي كاهل ينتسب في مضر حينا** ، ويمدح المضريين في قصائد عدة [٥] ، ونحسب أنه راعى في هذا الاختيار الأخير ،

---

(١) قابل بين ماكتبه عن زهير وكعب والحطيئة في كتاب " في الأدب الجاهلي " ص ٢٨٢ ـ ٢٩٩ ، وبين ماكتبه عنهم في صحيفة الجهاد عام ١٩٣٥ ثم جمعه في " حديث الأربعاء " ص ١٧٧ ـ ١٤٤ ، ج ١ .

(٢) انظر حديث الأربعاء ، ص ٥٥ ـ ٧٧.

(٣) " في الأدب الجاهلي " ، ص ٢٩٤.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٢٧.

(٥) حديث الأربعاء ، ص ١٥٤ ، ج ١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ماذهب اليه في دراسته الأولى حول الشعر الجاهلي ، وهو أن الشعر المضري ، على النقيض من شعر اليمنيين ، والربعيين ، أدنى الى الصحة ، وأجدر بالقبول ، بل إنه ذهب - كما رأينا - الى أن ثمة مدارس شعرية مضرية ، كانت قائمة في أواخر العصر الجاهلي (١) .

وأما الملحوظة الثانية فهي أنّ طه حسين في دراسته الأدبية لنماذج من الشعر الجاهلي عام ١٩٣٥ ، **قد تحدّث بصوتين اثنين** ، صوته هو ، وصوت صاحبه الذى زعم أنه يحاوره ، وقد كان الواحد منهما أحيانا ينطق **باسم الناقد العلمي** ، ليعلن في أثناء التحليل الأدبي ، أنه يشك في صحة الأبيات الواردة في معلقة طرفة ، والتي يصف فيها الناقة (٢) ، أو أنه يشك في شخصية عنترة ، ويراها أسطورية ، كما وردت في الأخبار القديمة (٣) ، أو يورد مقطوعة للمثقب العبدي ، ليقول إنه يميل كل الميل الى الاعتقاد بأنها مولّدة ، مصنوعة ، لم تصدر عن شاعر قديم ، بل ليشكك في شخصية المثقب نفسه بين حين وحين (٤) .

واذن يمكن القول : إنّ صوت الناقد العلمي لم يغب تماما في أثناء دراسة طه حسين الأدبية لنماذج من الشعر الجاهلي ، وان كان يُلاحَظ أيضا أن صوت الناقد الأدبي كان يسكته في الغالب ، كأن يقول : دع هذا النوع من التحقيق العلمي لطلابك في الجامعة ، أو كقوله : **"... إن شكك المظلم هذا ليغيظني ويحفظني ، وانّ اغراقك في طلب الحق ، والتحفظ ، حين تُروى لك أنباء القدماء وأحاديثهم ، لخليق أن يردّ قلبك إلى شيء من القسوة الساخرة ، أو من السخرية القاسية ، لا أحبه لك "** (٥) .

واذن كيفما اتجهنا في مناقشة القضية نجد أنّ نقد طه حسين الأدبي لنماذج مختارة من الشعر الجاهلي عام ١٩٣٥ ، لا تدل على أي تراجع في موقفه من الشعر الجاهلي ، كما بدا في دراساته له مابين ١٩٢٦ - ١٩٢٧ .

وأمّا القول : إنه في دراسته الأدبية للنماذج المختارة قد تمثلت حماسته ، وعبّر عن إعجابه بهذه الأشعار ، فهذا أمر طبيعي ، لا غرابة فيه ، مادام قد اختار هذه الأشعار من (حديقة) الشعر الجاهلي اختيارا ، وفق ذوقه ومزاجه ، وكان هدفه الأول منها أن يثبت للزّارين على هذا

---

(١) انظر " في الأدب الجاهلي " ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .
(٢) انظر حديث الأربعاء ، ص ٥٦ - ٥٧ ، ج١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٥ ، ج ١ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٧٢ ، ج١ ، وانظر ص ١٦٤ - ١٦٥ أيضا .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٤٥ ، ج١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعر أنّ فيه أشعارا جميلة ، جديرة بأن تستحوذ على إعجاب القارىء المعاصر ، وتستحق الدراسة الأدبية من النقاد المحدثين [١] ، وما دامت هذه الأشعار المختارة صحيحة بحسب رأيه .

وأما القول : إنّه قد درس حياة الشعراء وبيئتهم ومذاهبهم وخصائصهم الفنية ، فهذا أمر طبيعي أيضا ، ولا غرابة فيه ، لأن منهجه في النقد الأدبي - كما رأينا في الفصل الماضي - يقصد قصدا الى تحقيق شخصية الشاعر ، وحياته ، وتشخيص بيئته وعصره ، يفعل هذا دائما لدى دراسته الأدبية لأي شعر يراه صحيحا [٢] .

وأما القول : إنّه دعا الى العناية بالشعر الجاهلي في دراسته الأخيرة ، فهو لا يدل على أي تراجع ، ذلك أنه في دراسته الأولى قد **دعا أيضا الى العناية بالشعر الجاهلي ودراسة مدارسه الفنية** ، حتى إنه قال مشجعا الدارسين الآخرين إنّ " **درس المدارس الأخرى ، ... قد ينتهي الى إظهار طائفة من الشعر الجاهلي ، هي الى الصحة أقرب منها الى الفساد والنحل** " [٣] .

* * *

وهكذا نخلص من المناقشة الى القول : إن دراسة طه حسين الأدبية لنماذج من الشعر الجاهلي عام ١٩٢٥ ، تتسق تماما وآراءه في الشعر الجاهلي عام ١٩٢٦ ، ذلك أن طه حسين كان يعني ماذهب اليه حقا ، حين خلص في دراسته الأولى للشعر الجاهلي الى القول : " ... **إنّا في هذا الكتاب لم نكن هدّامين ليس غير ، وانما هدمنا لنبني** ، ونحن نحاول أن يكون بناؤنا متين الاساس ، قوي الدعائم ، ونحن نعتقد أنا قد نوفّق من ذلك لكثير " [٤] ، إذ كان قد قدّم في الكتاب نظرية نقدية علمية ، تثبت صحة قسم من الشعر الجاهلي ، كالشعر المضري خاصة [٥] ، واذن فهو لم يذهب في الكتاب الى هدم الشعر الجاهلي كله ، أو لم يشك فيه جميعه ، كما أوهم خصومه القراء ، ويُلاحَظ أنّه في أثناء دراسته الأدبية المتأخرة كأنه يلمح الى قضية الشعر الجاهلي ، التي أثارها عليه خصومة عاصفة هوجاء ، ويوحي إيحاء قويا بأنه في الحقيقة قد ظُلِم فيها ، وذلك إذ يقول لصاحبه الذي يحاوره عن هؤلاء الذين لا يرتضون أساليبه في تناوله الأدبي

---

(١) انظر حديث الأربعاء ، ص ١٥ ، جـ١ .
(٢) انظر المصدر نفسه ، ص ٥٣ ، جـ٢ .
وانظر " في الأدب الجاهلي " ص ٤٣ .
(٣) في الأدب الجاهلي ، ص ٣٠٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٠٨ .
(٥) انظر المصدر نفسه ، ص ٢٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للشعر الجاهلي أيضا : " ... **إنك ظـالم ، وانهم ظالمون ، ولقد صبرنا للظلم من أعـوام ، فما يضرّنا أن نصبر لهذا الظلم الأدنى** " (١).

ونحسب أنّ **الدكتور حسين نصار** لم يجانب الحق ، إذ قال عن قضية الشعر الجاهلي ، التي أثيرت على طه حسين ، إنها قضية " ... مازالت تحتاج الى نقاش ، لأن الانطباع الذي تركته ، ولا تزال تتركه في القراء غير حقيقي ، ويجب أن يُعـاد فهمها ، والتمييز بين جوانب الضعف والقوة فيهـا " (٢).

ونحسب أيضا أن كتابه " في الشعر الجاهلي " سيبقى كما وصفه **الدكتور ناصر الدين الأسد** " دعوة ثورية الى منهج متكامل في الدراسة الأدبية ، مهما يعتوره من عيوب التطبيق في المادة نفسها ، ومهما تكن بعض الآراء التي ضمتها صحائفه مستعارة أو مقتبسة " (٣).

* * *

واذا كنا لم نستطع أن نلمس شيئا من التراجع في موقف طه حسين من الشعر الجاهلي خلال دراسته الأخيرة فيه ، فمن الغريب **أنا نلمس شيئا من التراجع المنشود** في دراسة أخرى ليس لها صلة بالعصر الجاهلي ، كتبها في عام ١٩٣٦ ، ونشرها في عام ١٩٣٧ ، وهي **دراسته في المتنبي** ؛ ذلك أنه في تضاعيفها قد أظهر شيئا من الرجوع عن شكه في **امرىء القيس** خاصة ، الذي كان قد ذهب في دراسته الأولى للشعر الجاهلي عام ١٩٢٧ الى الشك في ماوصل الينا من أخباره وأشعاره ، بل ذهب الى أن هذه الأخبار والأشعار منحولة (٤). وحين عرض للغزل خاصة في معلقته قرّر أن هذا الغزل ليس جاهليا ، وانما هو إسلامي ؛ لأن فيه روح عمر بن أبي ربيعة ، والفرزدق ؛ ولذا خلص الى القول :" فن هذا القصص الفاحش فن ابن أبي ربيعة وروح الفرزدق ، **ونحن نرجح إذن أن هـذا النوع من الغزل إنما أضيف الى امرىء القيس إضافة رواه متأثرون بهذين الشاعرين الإسلاميين** " (٥).

وكان قبل هذا الكلام قد أنكر أن يكون امرؤ القيس هو المنشىء لفن الغزل القصصي ، أو أن يكون ابن أبي ربيعة قد تأثر به في هذا الفن ، وذلك لأن أحدا من القدماء لم يشر الى هذا التأثر (٦) ، ولأ ن

(١) حديث الأربعاء ، ص ٢٩ ، ج١.
(٢) د. حسين نصار " دراسات حول طه حسين " ، ص ٧.
(٣) حول كتاب في الشعر الجاهلي : مجلة القضاة ، ص ٢٢٨.
(٤) انظر " في الأدب الجاهلي " ، ص ١٩٦ ـ ٢٠٢.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠٧.
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعر ابن أبي ربيعة يدل على أنه منشىء لهذا الفن ، يقول : " أنت إذا قرأت قصيدة أو قصيدتين من شعر ابن أبي ربيعة لم تكد تشك في أن هذا الفن فنه ، ابتكره ابتكارا ، واستغله استغلالا ، وعرفت العرب له هذا " (١).

على هذا النحو كان **رأيه في امرىء القيس وشعره عام ١٩٢٧** ، ولكنا نجده في دراسة المتنبي عام ١٩٣٦ قد تناسى رأيه السابق ، وتحدث عن غزله حديث من لا يشك فيه ، بل تحدث عنه حديث من لا يشك في أنّ امرأ القيس هو أول من أنشأ هذا الفن من الغزل ، وسنّ سنته ، التي اتبعها ابن أبي ربيعة والفرزدق ، وكان المتنبي يتبعها في غزله أحيانا ، كما في قصيدته التي مطلعها :

" بَليتُ بِلى الأطلالِ إنْ لم أقفْ بها ... وقوفَ شحيحٍ ضاعَ في التربِ خاتمُه "

ولنتأمل جيدا قوله وهو يتحدث عن أسلوب المتنبي الغزلي في القصيدة : " ... **انظر اليه كيف عاد الى المألوف من سنة امرىء القيس** والفرزدق وابن أبي ربيعة في وصف صاحبته ، وما يدل عليها من الطيب ، وما يقوم دونها من البأس والسلاح " (٢).

وليس هذا التراجع هو الوحيد في دراسته المتنبي عن بعض ماكان قد أبداه من شك في شعر امرىء القيس ، **وانما ثمة تراجع آخر** ، فهو حين عرض في دراسته الأولى للشعر الجاهلي لمعلقة امرىء القيس رجّح أن الأبيات التي يصف فيها الفرس والصيد هي منحولة ، وقال عنها : " نشك أعظم الشك في أن يكون قد قال هذه الأبيات التي يرويها الرواة " (٣). ثم أورد منها الأبيات التي تقول :

وقربةِ أقوامٍ جعلتُ عِصامَها ... على كاهلٍ مني ذَلولٍ مُرحَّلِ
ووادٍ كجوفِ العَيرِ قفرٍ قطعتُه ... به الذئبُ يعوي كالخليعِ المُعَيَّلِ
فقلتُ له لما عوى : إنّ شأنَنا ... قليلٌ الغنى إنْ كنتَ لما تَمَوَّلِ (٤)

وقد أوردها ليؤكد أنْ ليس وحده الذي يشك في صحتها ، وانما قد شك فيها القدما أيضا (٥) ، ولكنه حين عرض لأبيات المتنبي التي خاطب بها الأسد إذ مرّ بقنّسرين ، فسمع زئيره ، والتي مطلعها :

---

(١) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٠٧.
(٢) مع المتنبي ، ص ١٨٦ ، من دراساته المجموعة ، المجلد الثالث .
(٣) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٠٧.
(٤) انظر " في الأدب الجاهلي " ، ص ٢٠٥.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" أجارُكِ يا أُسْدَ الفراديسِ مُكْرَمُ فتسكنُ نفسي أم مُهانٌ فَمُسْلَمُ "

قد ذهب الى أن أبا الطيب قد تأثر فيها إمرأ القيس ، ولنتأمل جيدا ماقاله عن الأبيات : " **لا تخلو من تأثر بما سبق إليه الشعراء القدماء ، ولا سيما امرؤ القيس** والفرزدق من مناجاة الذئـــاب والأسود "[١]، ثم أثبت البيت الذي يرى أنّ المتنبي قد تأثره واذا هو البيت الذى كان قد شك في صحته سابقا : " **وواد كجوف العَير قفر قطعته** "[٢] .

ولا ريب أن تراجعه الدقيق هذا عن الشك في امرىء القيس وشعره له دلالته البالغـــة من الناحية العلمية ، فهو قد يوحي بتراجعه أيضا عن شعراء جاهليين آخرين ، ذلك أن شـــكه قد اتجه في المقام الأول الى شعر اليمن والشعراء اليمانيين ، وفي طليعتهم إمرؤ القيـــس ، ومع أن هذا الرجوع قد ورد عرضا ودون أسلوب صريح ، ومع أنه بدا جزئيا وثانويا في تضاعيـــف الدراسة الكبيرة ، فإنه من الناحية العلمية قد يعزّز تلك الشهادة التي أدّاها **محمد أحمد الحوفي** أمام مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في دورته الحادية والأربعين التي عقدت عام ١٩٧٥ ، **وفحوى هذه الشهادة أن طه حسين قد رجع عن نظريته في انتحال الشعر الجاهلي** ، كما سَمع منه ذلك غيرُ واحدٍ من تلاميذه[٣] .

مقاييسه في نقـــد الشعر :

ونحسب أن دراسته الأدبية في الشعر الجاهلي عام ١٩٣٥ **لها علاقة وثيقة بمقاييســـه في نقد الشعر** ، ذلك أنها لم تكن عامة تمثّل الشعر الجاهلي كله ، وانما قامت على اختيار شـــعراء بأعيانهـــم ، وهذا الاختيار في الدراسة لم يأتِ خبط عشواء ، أو كيفما اتفق ، وانما جاء عـــــن بصيرة ، ووفق هدف محدّد ، أعلن عنه منذ البداية ، وهو الكشف عن أوجه الجمال والروعة في هـــذا الشعر ، وذلك من أجل إغراء عامة الناس بقراءته ، ومن أجل اقناع المكابرين من النقاد بأنـــه لم يزل ملائما مؤثرا ، وبأنه يستحق منهم العناية والدرس ، ولذا فقد قَصر اختياره على نمـــاذج شعرية ممتازة - بحسب رأيه وذوقه - ثم أكثر من الثناء عليها في أثناء التحليل الأدبي ثنـــاء لاتحفّظ فيه - على نحو مارأينا - .

---

(١) مع المتنبي : ١٠٦ ، المجلد الثالث .

(٢) المصدر نفســـــــه ، حاشية ١٠٦.

(٣) انظر مقالة ســـعيد الأفغاني ، إنصافا لطه حسين ، مجلة العربي ، ص ١٤٥ ، العـــــدد (٢١٨) - يناير ، ١٩٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والاختيار الشعري هو في حقيقته لون من النقد الضمني ، أو هو كما يقول الدكتور إحسان عباس صورة من النقد الأدبي " ... لاتقوم على أسس نقدية صريحة ، بل تعتمد على ذوق صاحبها ، وذوقه يرتدّ الى مسبقات ، ضمنية توجهه في أخذ مايثبته ، وترك ماينفيه "[١] ، كما أن دواعي النقد في هذا الاختيار تكون في الغالب " متصلة اتصالا وثيقا بالحركة النقدية "[٢] التي يشارك فيها الناقد نقّاد عصره ، على أنّ جهده النقدي لم يقتصر على الاختيار ، فقد قام طه حسين بدراسة هذه النماذج ، مبيّنا مايعجبه فيها من الناحية الفنية ، حتى يمكن القول : إنّها **المثل الأعلى للشعر العربي القديم** ، بحسب ذوقه النقدي ، وانّ المدلول النقدي لاختيارها ، وأسلوب الثناء عليها في أثناء التحليل ، يتلاءمان في الغالب والمقاييس التي كان يصطنعها طه حسين في النقد ، ويردّد أنه يحتفظ بها دائما في نقد ماينتج الشعراء[٣] خاصة،أما هذه المقاييس فهي كما جهر بها " ... **صحة المعنى ، واستقامته ، وطرافته ، وجودة اللفظ ، ونقاؤه ، وارتفاعه عن الركاكة ، والإسفاف ، على أقل تقدير** ... "[٤] . وسنلحظ أنه يراعي دائما هذه المقاييس في دراساته الأخرى المقبلة ، ولا ريب في أنّ اصراره على احتفاظه بها لم يأتِ عبثا ، وانما جاء عن قناعة تامة ، فهي ثمرة طبيعية لاطلاعه الواسع على الأدب العربي والأوروبي ، وأبرز من لاحظ هذا عباس محمود العقاد، وذلك في عام ١٩٣٥،إذ تحدث عن طه حسين الناقد ومقاييسه ، فلفت أولا الى أنه " اطلع على الأدب العربي اطلاعه الواسع ، الذي لا جدال فيه ، واطلع على نفائس من أدب الأغريق واللاتين الأقدمين ، واطلع على آثار رهط من كبار الأدباء الأوروبيين ولا سيما الفرنسيين "[٥] .

ثم قرّر أن هذا الاطلاع الواسع المتنوع هو وحده الذي يبين سبب احتفاظه بهذه المقاييس، فهذا الاطلاع في رأي العقاد " خليق أن يحبب اليه الصحة والمتانة والقوة ، ويبغض اليه الزيف والسخف والركاكة ، فهو يختار مايعلو على مقاييس المقلدين المصطنعين ، وينبذ مايستنبطه المجددون من أصحاب الاطلاع القليل ، أو أصحاب الذوق السقيم "[٦] . ثم خلص الى أنه موفق في اختيار هذه المقاييس ، قال : " وله في ذلك قواعد صحيحة ، ومراجع وثيقة، واعتماد على فكر لا يتقيّد إلاّ بما يرضاه "[٧] .

---

(١) " تاريخ النقد الأدبي عند العرب " ، ص ٧١ ، الطبعة الثانية .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٧١.
(٣) انظر " حديث الأربعاء " ، ص ١٩٧ ، ج٣.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٩٧ ، ج٣.
(٥) العقاد ، طه حسين ، مجلة الهلال ، ص ١٠١٨.
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٠١٨.
(٧) المصدر نفسه ، ص ١٠١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين نظرية المحاكاة ومقولة الجاحظ :

ويُلاحَظ أنه في اختياره الشعري قد عُني عناية لافتة بشعر أوس وتلاميذه ، وهم رواد المدرسة الشعرية ، الممتدة حتى العصر العباسي ، والتي تعنى عناية خاصة بابتكار الصور الفنية المادية .

ونحسب أنه في أثناء حديثه عن الخيال لدى هؤلاء الشعراء ، وصلته بالحواس وبمظاهر الطبيعة ، قد كان خلال هذا الحديث **يلتفت الى نظرية المحاكاة المشهورة** (١) ، وهي التي اهتدى ارسطو من خلالها " الى أصل مشترك بين الشعر والموسيقى والرسم ، وذلك هو قيام كل منها على المحاكاة للطبيعة " (٢) .

بل إنّ طه حسين كان يستعمل اللفظ نفسه ، وهو يوضّح طبيعة التصوير الشعري عند أولئك الشعراء ، وذلك نحو قوله عن الوصف في شعر أوس : " كان **حكاية** صادقة ، أو كالحادقة **لمظاهر الطبيعة** " (٣)

ونظرية المحاكاة في رأيه هي جوهر كتاب الشعر (٤) ، الذي يقرّر فيه أرسطو " صراحة أنه ليس شرط الشاعر أن يحاكي ماكان أو يكون فحسب ، بل هو يحاكي أيضا مايقدّر كونه ، وما يعتقد أنه كان ، وان لم يكن في الحقيقة " (٥) .

واذا كان هو قد ذهب الى أن شعر أوس وتلاميذه صحيح في الغالب ، وأنّه يمثل في رأيه **أصالة الشعر الحق ، أو (رجولته)** ، إذ يتصل فيه خيال البدوي بواقعه المادي ، أو بطبيعة بيئته ، - فإنّ هذا يلتقي أيضا ومفهوم بعض النقاد المحدثين للنظرية ، حتى إنّ يونج (Young) يقول : " ... المحاكاة نوعان : محاكاة للطبيعة ، ومحاكاة للمؤلفين الآخرين ، والأولون هم الذين نسميهم أصحاب الأصالة " (٦) . ومن جهة أخرى يبدو

---

(١) انظر كتاب أرسطو طاليس في الشعر ، ص ٢٥٧ ، تحقيق وترجمة شكرى عيّاد (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م) .

(٢) د. إحسان عباس " فن الشعر " ، ص ٠١٣

(٣) " في الأدب الجاهلي " ، ص ٠٢٧٠

(٤) طه حسين ، تمهيد في البيان العربي ، ص ١٧ ، ترجمة عبدالحميد العبادي ، كتاب نقد النثر ، المكتبية العلمية ، بيروت ، ١٩٨٠ .

(٥) د. شكري عياد ، مقدمة كتاب أرسطو طاليس في الشعر ، ص ٠٣

(٦) د. إحسان عباس ، فن الشعر ، ص ٠١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واضحـــــــــــا من خلال تحليله لنماذج الشعر الجاهلي أنه -كالجاحظ- يرى أنّ **الشعر صناعة ، وجنس من التصوير** [١] ، وهو يقدّر أنّ الذي يدفع بالشعراء الى الافتتان بالشعر الحديث أنـــه **يقوم على التصوير** ، وأنه يزخر " ... بالصور المختلفة الحية ، التي تمرّ بآذانهم ، فـإذا هـــم يرونها بعيونهم ، واذا هي تضطرب أمامهم كما يضطرب الأحياء " [٢] . واذا كان هذا هو الســـر في اقبالهم على الشعر الحديث ، وانصرافهم عن الشعر العربي القديم ، فإنه يبذل وسعه في أثنـاء التحليل الأدبي ، كي يثبت أنّ شعرنا القديم يزخر أيضا بالتصوير الحسي المؤثّر ، ذلـــك أن الشاعر العربي القديم لا يقلّ عن الشاعر الحديث في رأيه عناية بالتصوير ، بل هو يذهب الـــى أن الشاعر المصوّر هو الشاعر الحق في كل زمان ، يقول : " ... وأما الشاعر ، ... والشاعر القديـم خاصة ، فإنه لايرى شيئا ، ولا يستخدم شيئا إلاّ حقّقه وتصوّره ، وأمعن في تحقيقه وتصوّره ، ثـــم صوّره فأحسن تصويره ثم أعرب عن هذا التصوير ، فأحسن الإعراب " [٣] .

ولا ريب في أنّ التصوير الفني الحسي في الشعر يلائم مزاجه وذوقه الأدبي عامة ، ذلك أنـــه هو نفسه يعمد اليه كثيرا في كتاباته الإبداعية ، وقد ردّ **" كمال قلته "** هذا الميل الى أثر الثقافـة الفرنسية لديه ، وربط بينه وبين **فكتور هوغو** فيه قائلا : " إنّ التشبيه عندهما لا يخرج عـــن الصورة الحسية ، ليس فيه للخيال أثر ، وانما يستمد دائما من المحسوسات " [٤] .

ولعلنا نلحظ أن " كمال قلته " يرى أن الصور والتشابيه الحسية ينبغي أن تكون بريئـة من الخيال ، وهو بهذا المفهوم يناقض طه حسين نفسه ومفهومه لدور الخيال المتصل بالحس في رسم الصور الفنية والتشابيه المحسوسة ، كما تبدو في شعر أوس وتلاميذه مثلا [٥] ، هـــذا مـــن ناحية ، ونحن من ناحية أخرى لا نسلّم برأي كمال قلته في أن ميل طه حسين للتصوير الحسي هـــو ناجم عن أثر الثقافة الفرنسية فيه ، واذا كان لا بد أن نلتمس مصدر التأثر لديه ، فالأولـــى أن نلتمسه في **هذه الآفة** ، التي أصيب بها في أول طفولته ، ثم في **هذا الشعر العربي القديم** ، الذي يزخـر بالتصوير الحسي ، والذي شغف به ، وهو مايزال غلاما ناشئا ، إذ حبّبه الى نفسه أستاذه الأثير سيد بـن علي المرصفي [٦] .

---

(١) انظر الحيوان ، ص ١٣١ - ١٣٢ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة مصـــطفى الحـــلبي القاهرة ، ١٩٣٨ .

وانظر " تاريخ النقد الأدبي عند العرب " ، ص ٩٨ ، و " فن الشـــعر " ، ص ١٢ وكلاهمـــا للدكتور إحسان عباس .

(٢) حديث الأربعاء ، ص ٢٣ ، ج١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٤ .

(٤) " طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه " ، ص ٢١٠ .

(٥) انظر " في الأدب الجاهلي " ، ص ٢٧١ وما بعدها .

(٦) انظر " الأيام " ، ص ١٦٣ - ١٦٤ ، ج٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفضلا عن مفهومه للشعر أنه يقوم على التصوير ، **فهو يراه صناعة أيضا** ، تحتاج الى **التجويد والتثقيف** ، قبل أن يظهرها صاحبها للناس ، لا نعتمد في استخلاص هذا على اختياره الشعري فحسب ، وانما نعتمد قبل ذلك على رأيه الصريح أولا ، فهو خلال الدراسة السابقة ، يجهر برأيه واضحا في الأديب الحق ، سواء أكان شاعرا أم ناثرا ، قائلا : " ... **إنما الأديب عندي هو الذي يصنع أدبه ، ويعمله عملا ويتهيأ له ، فيطيل التهيّؤ ، ويفكر فيه ، فيمعن في التفكير ، ويتكلّف لذلك من الجهد والمشقّة مايضنيه ويعنّيه** " (١) .

الشعر بين الطبع والإرادة :

وهو يرى أن الشعر يصدر عن طبع الشاعر وعقله وارادته معا ، ولا يصدر عن طبعه وحده ، ولذا فهو لا يقرّ الأصمعي على نقده الشهير لزهير والحطيئة وأمثالهما ، إذ وصفهم بأنهم عبيد الشعر ، فيقول : " ... إنما أحب الحطيئة ... لأنه عبد من عبيد الشعر ، لا بدّ من سادته " (٢) ، ثم يعلّل السبب الذي يجعله لا يميل الى الشاعر ، الذي يعتمد على طبعه وحده ، دون إعطاء عقله وارادته الوقت الكافي ، لتجويد شعره ، وتثقيفه ، بقوله : " ... **الشاعر الذي يغترف من بحر لا يعجبني** ، لأنه قد يغترف فيصيب الجيد ، ويصيب الردىء ، ولأنه حين يغترف من بحر ، لايعدو أن يكون أداة يعبث بها شيطان الشعر ، فينطقها بما يشاء ، كما يشاء ، لا متخيرا ، ولا مجوّدا " (٣) .

ثم يبيّن ميله الى الشاعر الذي يتأنى في صناعة شعره قائلا : " ... **أما الشاعر الذي ينحت من صخر ، فهو الذي يعجبني ويرضيني** ، لأنه لا يقول الشعر ، وانما يعمله ، ولأن الشعر لايصدر عن طبعه وحده ، وانما يصدر عن طبعه وعقله وارادته " (٤) .

وتثقيف الشاعر لشعره لايعني أنّه متكلّف ، **بل لاينفي عنه كونه مطبوعا** ، لأنه في البداية يرسل نفسه على سجيتها ، وبذا يكون مطبوعا ، ثم إنه " ينتهي الى الإجادة بعد البحث والدرس ، وبعد التحقيق ، والتمحيص ، وبعد الاجتهاد الطويل في اختيار الجيد ، واسقاط الردىء ، ثم الاجتهاد الطويل بعد ذلك في اختيار أجود الجيد ، واسقاط ماعداه " (٥) .

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٣٧ ، جـ١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٣٨ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومعنى ذلك أنّ أوّل ناقد أدبي لهذا الشاعر هو نفسه ، لأنه " هو رقيب نفسه ، قبل أن يراقبه غيره ، وهو ناقد فنه قبل أن ينقده غيره " (١).

ويعترف طه حسين بأنه هو نفسه يلجأ الى التجويد في مايحاول من كتابة أحيانا (٢) ، وذلك أنه يرى أنّ " ... **قانون التجويد الأدبي** ليس مقصورا ، على الشعر وحده ، بل هو يتناول الشعر والنثر جميعا ، بل قانون التجويد والجد فيه ، والحرص عليه ، لا يتناول الأدب وحده ، وانما يتناول الفن كله " (٣).

أهمية الدراسة ودلالتها :

وبعد ... فلا ريب أن دراسة طه حسين في الشعر الجاهلي تحتل مكانة خاصة بين دراساته الشعرية في عصور الأدب العربي الأخرى - كما سنرى - ، فهو فيها قد أبرز الخصائص الفنية لمدرسة شعرية ، يقوم شعرها في الغالب على التصوير الفني المادي ، " واتصلت سنّتها الى أيام بني العباس ، فتناولها **مسلم** ثم **أبو تمام وابن المعتز** ثم **المتنبي** " (٤).

وسنكتشف أنه لا ينفك يولي شيئا من عنايته النقدية لتلاميذ هذه المدرسة في العصور التالية للعصر الجاهلي ، ولا يتحفظ في الثناء على مقدرتهم الشعرية ، كما أنه في هذه الدراسة كان من أبرز النقاد الروّاد الذين لفتوا **الى أهمية الصورة الفنية** في نقد الشعر العربي القديم ، فقد أوحى خلالها إيحاء قويا بما يقرّره بعض النقاد المحدثين ، وهو أن الاتجاه الى دراسة الصورة يعني الاتجاه الى روح الشعر (٥) ، ونحسب أن هذه الدراسة المبكرة كانت من الحوافز التي حفزت بعض الدارسين - فيما بعد - على الاتجاه الى دراسة الصورة الفنية في الشعر العربي القديم عامة ، ولدى الشعراء الذين يعدون امتدادا لمدرسة أوس خاصة (٦).

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٣٨ ، ج١.

(٢) انظر المصدر نفسه ، ص ١٣٩.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٩.

(٤) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٧٢.

(٥) انظر " فن الشعر " للدكتور إحسان عباس ، ص ٢٣٨.

(٦) كثرت الدراسات التي تتناول الصورة الفنية في الشعر العربي القديم والحديث ، مثل " الصورة الفنية في الشعر الجاهلي " للدكتور نصرت عبدالرحمن ، و " الصورة الفنية في الشعر الحديث " للدكتور نعيم اليافي ، ويلاحظ أن بعضها تناول الصورة لدى شعراء من مدرسة أوس مثل " الصورة الفنية في معلقة زهير " و " الصورة الفنية في شعر أبي تمام " للدكتور عبدالقادر الرباعي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واذا كان طه حسين قد لفت الدارسين الى مدارس شعرية جاهلية غير مدرسة أوس ، ودعاهم الى دراسة خصائصها الفنية على نحو مافعل ، ونصح لهم بأن يتناولوا شعراء كل مدرسة جماعات ، وألاّ يأخذوهم أفرادا [١] ، **فسنكتشف أيضا أنه** في دراساته لشعر العصور الأدبية التالية **قد التزم في الغالب بفحوى نصيحته** ، حقا سنجده يعطي آراءه النقدية الخالصة في شعراء بارزين متفرقين في كل عصر ، وذلك من خلال محاضرات موجزة ، كان يلقيها القاء ، وتفتقر في الغالب الى الأمثلة الشعرية التطبيقية ، مما يجعلها لا ترقى الى مستوى دراساته الأدبية ، التي كان يقصد الى نشرها ، وحقا سنجده في دراساته لشعر العصر العباسي خاصة ، قد خصّص دراسات كبيرة مستقلة لشاعرين ، يعدهما من تلاميذ مدرسة أوس ، وهما **المتنبي وأبو العلاء المعري** ، ولكن على الرغم من هذا كله سنلحظ في جلاء أن **أسلوبه** الغالب في دراسته لكل عصر ، **هو تناول الشعراء مدارسَ أو جماعات** ، يربط بين كل جماعة غرض شعري مشترك ، أو أغراض عدة واحدة ، تكون في الغالب هي الظاهرة الشعرية البارزة ، التي تمثّل الجديد الذي طرأ على فن الشعر العربي في مسيرته خلال السنين .

واذا كانت معرفة ماطرأ على الشعر العربي من جديد وتطور خلال عصوره المتعاقبة لا تتسنّى إلاّ بمعرفة الأدب الجاهلي معرفة عميقة أولا ، **فسنكتشف أيضا** أن طه حسين في دراساته النقدية القادمة ، **كان يعنى عناية بالغة بملاحظة التطور الذى جدّ على الشعر العربي في كل عصر** ، بالقياس الى ماوصل اليه في العصر الذي سبقه ، وسنلحظ أنه في الغالب يلفت الى هذا الجديد ، وقد يدرسه ، ويحاول أن يفسره ، وأن يبيّن دواعيه المختلفة ، ومدلولاته الاجتماعية ، وفق منهجه السابق في النقد الأدبي ، ولا غرابة في هذا ، ذلك أنّ مهمة النقد هي في الحقيقة " ... مهمّة تشمل تفسير الجديد ، واعادة النظر في القديم ، وليست هي الاستحسان المؤقّت ، ولا هي صرخات الإعجاب والاستنكار " [٢] .

* * *

---

(١) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٦٨.

(٢) د. إحسان عباس " فن الشعر " ، ص ٢٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢)

جهـــده في دراسة الشعر الأمـــوي

تناول طه حسين بالدراسة الأدبية قسما من الشعر الأموي ، وأبدى آراءه النقدية في عديـــد من شعرائه البارزين .

واذا كان هو قد ذهب الى أنّ بعض الشعر المضري الجاهلي الذي وصل الينا صحيح ، عـــلى حين شك في أشعار اليمانيين ، وأكثر أشعار الربعيين [١] - فإنه يُبدي رأيا في نقد الشـــعر الأموي ، يتسق والرأي السابق إذ يذهب الى القول أيضا : "**...إن الشعر العربي كان عدنانيـــا مضريا ، ولم يكن قحطانيا يمنيا ، وأنه في العصر الإسلامي لم يزدهر إلاّ حيث اســـتطاعت المضرية أن تسود** ، أو حيث استطاعت القبائل والمجموعات الأخرى أن تتصـــل بالمضريـــة ، وأن تتأثّـــر بها " [٢] .

ويمكن تقسيم الشعراء الأمويين الذين تناولهم قسمين : **الأول** يجمع شعراء متفرقيـــن مشهورين ، **والقسم الثاني** يتضمـــن دراساته الأساسية المهمة في الشعر الأموي ، لأنها تتنـــاول جماعات من الشعراء يتمثّل في أشعارهم التجديد الشعري في هذا العصر .

أ - أحاديثه في شعراء مختلفين

أما شعراء القسم الأول فقد تناولهم في إيجاز ، من خلال محاضرات القاها إلقـــاء في الغالب ، وأذاع فيها خلاصة آرائه النقدية فيهم ، وهؤلاء الشعراء هم :

(١) الأخطـــل :

يرى طه حسين أن **الأخطل قد تأثر في بداية حياته بالشعر الجاهلي عامة ، وبزهير وكعـــب والحطيئة خاصة** ، كما تأثر في مديحه **بالنابغة والأعشى** [٣] . وهو يضرب أمثلة شعرية ، توضّـــح

---

(١) انظر " في الأدب الجاهلي " ، ص ١٩١ ،
ولم يسلّم الذين ردّوا على طه حسين له بهذا الشـــك ، وانما حاولوا أن يثبتـــوا أنـــه لا يستند الى أساس علمي ، انظر كتاب " مصادر الشعر الجاهلي " للدكتـــــور ناصر الدين الاسد ، ص ٤٠٨ ، و ص ٤٨١ وما بعدها .

(٢) طه حسين : " من تاريخ الأدب العربي " ، ص ٤٧١ ، المجلد الاول ، الطبعة الثانيـــة - دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٧٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦١٥ - ٦١٦ ، المجلد الاول .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تأثره بزهير وكعب ، إذ تبدو محاكاته لشعرهما واضحة ، حتى في بعض المطالع ، كما في قصيدته التي مدح بها بشر بن مروان ، والتي مطلعها :

صحا القلبُ عن أروى وأقصرَ باطلُهْ وعادَ لهُ من حبِّ أروى أخايلُهْ (١)

فهو في هذه القصيدة واضح التأثر بقصيدة زهير :

"صحا القلبُ عن سلمى وأقصر باطلُهْ وعرّي أفراسُ الصِّبا ورواحلُهْ"

وهو في قصيدته اللامية التي قالها في الهجاء ، ومطلعها :

بانت سعاد ففي العينين مُلمولُ من حبّها وصحيح الجسم مخبولُ

يبدو واضح التأثر بقصيدة كعب ، التي مطلعها :

" بانتْ سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ " (٢).

على أن **شخصية الأخطل** في رأيه مالبثت أن **نمت ، واستقلت ، وأضحت قوية** ، وعلى الرغم من نصرانية الأخطل فهو يرى أنه قد تأثر **بالقرآن الكريم** ، لأنه لم يكن له مناص من ذلك ، ذلك أن القرآن كان في زمنه " ... المثل الأعلى من الوجهة الفنية ، ثم هو المثل الأعلى للممدوحين ، الذين يتقدم إليهم بشعره " (٣).

أما مهاجاته لجرير فهو يذهب الى أنها لم تنشأ عن خصومة فنية ، وانما هي في الحقيقة " أثر للخصومة السياسية بين الزبيريين والمروانيين ، والقيسيين والتغلبيين ، والمعروف أن جريرًا كان شاعر قيس ، وكان يدافع عن الزبيريين ، وأنّ الأخطل كان شاعر بني مروان ، وكان يدافع عن الأمويين وأنصارهم في الشام ويهاجي الزبيريين وأنصارهم " (٤).

وهو يلاحظ أنّ الأخطل ، حين استقلت شخصيته ، وأضحى فحلا ، قد أخذ لا يذكر نفسه كثيرا **في قصائده ، وانما صرف جُلّ عنايته لفنه ، وأصبح لسان قومه** ، وآية هذا أننا إذا أردنا " أن نحقق شخصية الأخطل الفنية ، فإنّ أخص مايمكن ان نذكر عنها أنها الشخصية التي تنسى نفسها ، وأنّ قوة الأخطل الشعرية والفنية قد غلبته على كل شيء من خاصة نفسه ، وصرفته عن كل شيء إلاّ عن فنه وقومه " (٥).

---

(١) انظر القصيدة في ديوان الأخطل ، ص ٥٨ ، الطبعة الثانية ، نشر الاب انطوان صالحاني اليسوعي .

(٢) انظر دراسات طه حسين المجموعة تحت عنوان " من تاريخ الأدب العربي " ، ص ٦١٦، المجلد الأول .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٢٢.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٢٣.

(٥) المصدر نفسه ، ص ٦٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعلنا نذكر أنه حين درس الحطيئة ، قد ذهب الى أنّ هذا الشاعر المخضرم ، هو " أستاذ الأخطل وإمامه " [١] ، وهو هنا يزيد رأيه وضوحا ، إذ يذهب الى أنه يعدّ **الأخطل من مدرسة زهير وكعب والحطيئة** ، لأنه كان " ... يعني باختيار لفظه ، وتجويد معناه ، اكثر مما كان يعني الفرزدق وجرير ، ... أي أنه كان من هؤلاء المتأنقين ، الذين لا يرتجلون ، وانما يروّون " [٢] .

فالأخطل إذن من الشعراء الذين كانوا يتنخّلون شعرهم ، ويحذفون الفضول من قصائدهم ، حتى إنه كان يقول القصيدة في تسعين بيتا ، ثم يسقط منها ستين ، ويظهر ماتبقى ، ولذا يرى طه حسين أنه يمكن الحاقه بأصحاب الحوليات ... وأن نعده منهم ، وصنيع الأخطل هذا قد أدى الى امتيازه في فنه ، ذلك أنّه " ... لم يؤخذ بضعف اللفظ ، ولم يؤخذ بسقطة في روي ، أو نحو ، أو صيغة ، وانما كان شعره متقنا من أنحائه كلها " [٣] .

وما دام أمر الأخطل في فنه على هذا النحو ، فلا غرابة أن نجد طه حسين يعرب عن إعجابه بشعره ، وأن يذهب الى أنّه كان من الناحية الفنية الخالصة ، فحلا في صناعة شعره ، وتجديد هذه الصناعة ، لكنه **يلحظ أن الأخطل كان مقلّا** ، ويرد ذلك الى " أنه لم يقل الجيد والردىء ، وانما قال الجيد فقط ، على حين يكثر في شعر جرير والفرزدق مايمكن حذفه أو الاستغناء عنه " [٤] .

واذن فهو يرى أن الأخطل من **ناحية التجويد الفني يتفوق على زميليه جرير والفرزدق** [٥] ، بل إنه يذهب الى أن نقادنا القدامى لم ينصفوه في الغالب ، إذ قدّموا عليه جريرًا والفرزدق ، وهو يرجّح أن هذا حدث ، **لأنه لم يكن مسلما ، ولم يكن مضريا** [٦] .

(٢) الفرزدق :

يرى طه حسين أن للفرزدق **مذهبين في الشعر : الأول** مذهبه الذي نشأ عليه ، وهو شاب، في الطور الأول من حياته ، وهو مذهب لا جهد فيه ، ولا مشقة ، ولا عنف ، لأن الغناء الذاتي ، وتصوير العاطفة الفردية ، أقوى وأظهر في شعره هذا ، واذن فشعره خلال هذا الطور سهل ،

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٤٣ ، جـ١ .
(٢) من تاريخ الأدب العربي ، ص ٦٤١ ـ ٦٤٢ . المجلد الاول .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٤١ ـ ٦٤٢ ، المجلد الاول .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٤٢ .
(٥) انظر المصدر نفسه ، ص ٦٤٢ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٦٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غنائيّ ؛ ذلك أنه " ... يمثل عواطف هذا الشاب القوي ، المرح ، الآمل ، الواثق بنفسه ، الذي ينفق حياته في أشياء تلائم المزاج ... وهو في هذا كله لا يكاد يقدم على شيء ؛ حتى يصوره في هذا الشعر ، الذي يصدر عنه صدورا طبيعيا ، لا تكلّف فيه " (١).

وأما المذهب الثاني فيعتمد فيه الفرزدق الى الألفاظ الغريبة حقا ، مما يجعل شعره وفق هذا المذهب يختلف عن شعره السابق ؛ إذ تبدو فيه " غلظة ظاهرة ، وفيه تكلّف بادء ، وفيه بعض الانحراف والغريب " (٢) ، ويمكن القول : إن شعره هذا يمثل شعره في طوره الثاني (٣).

أما السبب الذي أدّى بالفرزدق الى **الإغراب الشعري** في طوره الثاني فيرده طه حسين الى أن الشاعر فيه **قد تجاوز فرديته** ؛ إذ إنه اضطر الى أن ينهض بالأعباء الاجتماعية ، التي ألقاها عليه قومه ؛ ذلك أنّنا حين نتأمل شعره خلال هذا الطور ، نلمح في وضوح حرص الفرزدق " على أن يكون شاعرا اجتماعيا ؛ يصوّر حياة قومه ، ويدافع عن شرفه وحسبه ، ويبذل في ذلك جهدا عنيفا ، ويطلعنا عليه هذا الشعر الكثير الذي قاله في هذه السبيل " (٤).

على أنه يلحظ أن الفرزدق - على النقيض من الأخطل - حين نهض بأعباء قبيلته **لم ينسَ البتة ذاته وذويه** ، والدليل على هذا أنّه حين هاجى جريرا وأنصاره ، وفاخرهم ، كان " في هذين الفنين من فنون الشعر : الهجاء والفخر ، شاعرا اجتماعيا ، ينطق بلسان مجاشع ودارم ، ولكن دون أن ننسى أنه كذلك **يذكر نفسه** ، فيتحدث عن **غالب أبيه** ، وعن **صعصعة** جده ؛ ويذكر فنّه وشخصه في اعتداد وقوة " (٥).

واضطرار الفرزدق ، بعد أن تقدمت به السن ، إلى أن يعارض الولاة ، وأن ينزل منزلة زعيم القبيلة دفعه الى أن يأخذ نفسه بأشياء ، ماكان ليفرضها على نفسه لو كان حرا ، وهذه الأشياء هي النهوض بما تقتضيه أعباء القبيلة من واجبات ، مما أثر في أسلوبه الشعري الأول ، لأنه **حين أخذ يذود عن قبيلته ، ويسفر لها عند الخلفاء والولاة ، كان لا بدّ له في هذا " من أن يلتوي بأسلوبه عن أسلوب الشعر الغنائي ، وأن تخالطه بعض الانحرافات والصعوبات "** (٦).

---

(١) طه حسين ، من تاريخ الأدب العربي ، ص ٦٤٦ ، المجلد الاول .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٤٣.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٤٣.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٤٧.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٦٤٧.
(٦) المصدر نفسه ، ص ٦٥٠ - ٦٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه هي العلة إذن في صعوبة شعره ، وميله الى الغريب ، خلال الطور الأخير من حياته ، فقد ابتعد فيه عن الغنائية التي كانت في طور الشباب .

واذن من الخطأ التعميم والقول : إن شعر الفرزدق كله عسير ، صعب ، والصواب في رأيه أن شعر الفرزدق " ... يجمع بين الصعوبة والسهولة ، هو صعب حين ينصرف الى الحياة الاجتماعية ، وهو سهل إذا فرغ لحياته الخاصة ... " (١) .

(٣) جرير :

يذهب طه حسين الى أنّ **الشخصية الفنية في العصر الأموي كانت تأتي في الغالب من طريقين : طريق المديح** وما يسوق اليه ، وما يكشفه من فخر وهجاء ، وهذه هي طريق الأخطل والفرزدق ... **وطريق الغزل والغناء** ، وهذه طريق جرير (٢) .

وهو يرى أن شخصية جرير الفنية تبدو واضحة وقوية جدا في شعره (٣) ، وأنه **يتفوّق على الأخطل والفرزدق** في ثلاثة فنون شعرية هي : **الغزل ، والرثاء ، والهجاء .**

أما الغزل فقد اتخذ جرير منه وسيلة ، يشكو فيها الآلام الكثيرة التي تجدها نفسه ؛ ذلك أنه " إذا تغزل فانما يتغنّى حبا ، وشوقا ، وكلفا ، ولكنه لا يحقّق شيئا من هذا كله ، فليست هناك امرأة بعينها يهواها ، ويتغنّى بها " (٤) .

وهو يلحظ أنّ جريرًا يذكر امرأته في أكثر الأحيان ؛ لأنه لم يعشق امرأة أخرى ، واذن " فامرأته رمز لهذا الشيء الذي يشعر به ، ولا يستطيع أن يحقّقه إلاّ في هذا الغناء " (٥) ، ومعنى هذا أن جريرًا إذ يذكر امرأته ، لا يذكرها ليصوّر حبها ، وشعوره نحوها ، و **" إنما يذكرها رمزا ،** فهو اذن ليس مشغولا بشخص موجود ، أو بشخص خيالي ، وانما هو مشغول بنفسه فقط ، مشغول بآلامه ، وبحزنه الخاص " (٦) .

---

(١) من تاريخ الأدب العربي ، ص ٦٥١ . المجلد الاول .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٥٠ ـ ٦٥١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٥٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٥٣ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٦٥٣ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٦٥٣ ،
وسنرى طه حسين يذهب الى مثل هذا الرأي أيضا ، حين نعرض لرأيه في الغزليين الأمويين العذريين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولأنّ هذا الرأي النقدي يبدو غريبا شيئا ما ، وليس من اليسير التسليم به ، نجده يحاول ضرب أمثلة شعرية لتوضيحه ، فهو يرى أنّ جريرا حين يقول :

" إن الذينَ غَدَوا بلبّك غادروا وشلاً بعينك مايزالُ مَعينا "

" غيّضنَ من عبراتهنّ وقلنَ لي ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا "

لا يقصد بقوله واحدة من النساء بعينها ، وانما يعمد الى ضمير الجماعة " هنّ " من غير تحديد ولا تعيين ، وهو مايُلاحَظ أيضا في قوله : **" غدوا " و " قلنَ " و " غيضنَ " و " لقينا "** ، وحتى في بيته الذائع :

" إنّ العيونَ التي في طرفها حورٌ قتلننا ثمّ لم يحيينَ قتلانا "

لانجد إنسانا محدّدا مشخّصا ، فجرير حين يسمّي ، قد يصطنع شخصا غامضا ، وربما **اصطنع الرمز بأمّ عمرو أو نحوها** (١) .

وعلى الرغم مما يذهب طه حسين إليه في غزل جرير ، فإنه يُبدي إعجابه بهذا الغزل دون تحفظ ، قائلا : " ... إن غناء جرير من أقرب الغناء العربي الى نفوس المعاصرين ، وأشد ملاءمة للنفس الإنسانية ، ذلك لأنّ جريرًا قادر على أن يظهر هذه العواطف ، التي يشارك فيها المتغني غيره من الناس ، وأن يصوّرها أحسن تصوير " (٢) .

وهو يخلص أخيرا الى أنّ شخصية جرير في غزله تبدو حلوة ، عذبة النفس ، عفيفة ، محبّبة ، تدفع السامع الى أن يشاركها ماتجد من ألم وحزن .

* * *

وأمّا الفن الثاني الذي يتفوق فيه جرير على صاحبيه الأخطل والفرزدق فهو الرثاء ، لأنه في رثائه يبلغ من التأثير في النفس مايبلغه في الغزل ، إذ إنه فيه يثير عواطف الألم والحزن ، على حين أنّ **رثاء الأخطل قليل** ، وأن رثاءه ومدحه سواء (٣) ، وأما **رثاء الفرزدق** فيلاحَظ أنه متكلّف ، يكاد يثير الضحك ، لا يصور فيه الحزن الصادق ، إلاّ حين يرثي أولاده ، وعلى النقيض منه جرير ، فهو حين يرثي يشعرنا أنه حزين حقا ، وما أسرع مايجعلنا نحزن ونشكو ، ونجد من أنفسنا ميلا الى التغني بهذا الرثاء ، كما نجد هذا في رثائه الشهير لزوجه مثلا ، والذي مطلعه :

" لولا الحياءُ لهاجَني استعبارُ ولزرتُ قبركِ والحبيبُ يُزَارُ "

---

(١) طه حسين ، من تاريخ الأدب العربي ، ص ٦٥٥ ، المجلد الاول .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٥٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما الفن الشعري الثالث الذي يتفوق جرير فيه فهو **الهجاء** ، ويرى طه حسين أنّ الهجاء بين الأخطل والفرزدق وجرير كان **شعبيا ، يقصد الى الجماعات** ، ويعزو السرّ في تفوقه فيه الى أنّ جريرًا كان " أشدّ الشعراء الثلاثة اتصالا بالشعب ، والتصاقا به ، لأنه كان من الشعب ، ... وكان أقدر على تصوير نفس الشعب ، وأعلم بالذي يلائمها " (١) ، كما ساعده على التفوق فيه أيضا ، أنه كان " ... يسخر من صاحبيه ، ويريد أن يحمل الناس على أن يضحكوا منهما " (٢) .

ويبدي طه حسين دهشته من **التباين النفسي** الذي يظهر لدى جرير في قصيدة الهجاء خاصة ، ذلك أنه يطرب في القسم الأول منها ، حين يتغنّى في غزله ، ولكنه مايكاد ينتقل من هذا الغناء الى المهجو ، حتى ينقلب فجاءة " الى إنسان مفحش في الهجاء ، ثقيل الظل ، أو لنقل ثقيل الوطأة على خصومه " (٣) ، واذن فهو يرى أن قصيدة الهجاء لدى جرير " **تصوّر شخصيتين متناقضتين** : في القسم الغنائي ، وهو قسم طويل نشعر بهذه الشخصية المحبّبة الحلوة ، وفي القسم الآخر نشعر بهذه الشخصية العنيفة الماكرة ، التي لا تحفل بشيء إلاّ أن تنتصر وتظهر " (٤) ، وجرير العفيف ، ذو الشعر الرصين في الغالب ، **يعمد في الهجاء الى السخرية ، والى إضحاك الناس من خصومه** ، وهو في سبيل هذه الغاية ، لا يبالي في هجائه ، " أقال الحق أم لم يقله ، وسواء أكان جيد اللفظ والمعنى أم لم يكنه ، ... وانما يحسب أن يتناقله الناس ، لأنه مضحك ، ولأنه صالح أن يتندّروا به ، ولأنه ممّا يسير على ألسنة الناس " (٥) .

أما خلاصة رأيه النقدي في الموازنة بين شعراء النقائض الثلاثة ، فهي أنّ الأخطل أكثرهم عناية بفنه ، وتجويدا لشعره ، وأن الفرزدق أكثرهم إظهارا لحقيقة شخصيته ذات الزعامة والاعتداد ، وأن جريرًا أقواهم شخصية من الناحية الفنية ، وأفضلهم في الغزل والرثاء ، وأظهرهم في الهجاء ، وفضلا عن هذا ، فالتفاوت والتنوع في شعر جرير جعله " لا يُملّ ولا يُسأَم ، على حين يُسأم الفرزدق و يُمل ، لأن شخصيته واحدة ، ونغماته واحدة ، ... ولم يكن الأخطل أقل تشابها واطرادَ شعرٍ من الفرزدق ، ولم يكن أقل منه إملالا ، ... فهو شاعر اجتماعي يغني في ممدوحه وفي غيره ، ويطيل في ذلك فيُمل " (٦) .

---

(١) طه حسين ، " من تاريخ الأدب العربي " ، ص ٦٢٧ ، المجلد الاول .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٢٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٥٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٥٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٦٥٨ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٤٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤) ذو الرّمـــــة :

لا نجد لطه حسين حديثا مستقلا خاصا عن ذي الرّمة ، ولكن يلاحظ أنه أتى على ذكره في إحدى محاضراته ، وأظهر رأيه في شاعريته ، ويبدو من رأيه المقتضب ، أنه عظيم التقدير له ، حتى إنّه يقول عنه : " ... الحق أنّ ذا الرمة كان شاعرا فذا ، ولعل العصر الأموي لم يعرف شاعرا آخر يشبهه " (١) .

وهو يرى أنه شاعر بارع في الوصف خاصة ، بل يذهب الى أنه **" أبرع شاعر عربي في العصرين الجاهلي والإسلامي في فن الوصف ورقته وتحقيقه "** (٢) .

أما غزله فيلاحظ أنه لم يكن بدويا ، كغزل العذريين فحسب ، ولكنه كان أيضا متأثرا بالحياة البدوية العراقية ، ومتأثرا ببيئة جرير والفرزدق ، " ولذلك لم يندفع في عواطفه ، ويهمل فنه ، وانما كانت صاحبته وسيلة الى تجويد هذا الفن من الشعر ، إنّه عني بالفن الشعري من أجل الفن الشعري ، ولم يقصد الى الإعراب عن عواطفه فحسب ، وانّما اتخذ عنايته بشعره سبيلا الى قلب ميّة أو خرقاء " (٣) .

واذن فخلاصة رأيه فيه أنّه كان فنّانا في الوصف والغزل خاصة ، ومن الشعراء الذين كانوا يثقّفون شعرهم ، ويعنون بتجويده ، وفي هذا إيحاء قوي بأنه يعدّه من مدرسة أوس البدوية .

* * *

(٥) الوليد بن يزيد :

يُلاحَظ أنّ طه حسين قد أفرد للوليد بن يزيد حديثا خاصا ، وهو يتحدث عن الشعراء العباسيين ، لا عن الأمويين ، وقد اضطر الى ذلك ؛ ليبيّن مالهذا الشاعر الأموي من أثر في أصحاب الخلاعة والمجون من الشعراء العباسيين ، وفي مقدمتهم أبو نواس (٤) ، وقد بذل جهدا ملحوظا - وفق منهجه - ليحقق شخصية الشاعر ، ذلك أنه شخصية تاريخية ، فهو خليفة من خلفاء

---

(١) طه حسين ، من تاريخ الأدب العربي ، ص ٤٧٩ ، المجلد الاول .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٧٩ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٧٩ .
(٤) انظر حديث الأربعاء ، ص ١٣٩ ، ج٢ .
وقد عرض له وأورد شيئا من شعره ، وهو يتحدث عن أبي نواس ، انظر حديث الأربعاء ، ص ٨٠ - ٨١ ، الجزء الثاني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بني أمية ، بالغ خصومه في تشويه شخصيته الحقيقية ، وبعد تحقيق وتمحيص يصل طه حسين الى أنه " ... كان رجلا مستمتعا بلذاته ، مسرفا في هذا الاستمتاع ، ولكنه لم يبلغ من ذلك مايقول خصومه "(١) . كما يلاحِظ أنّ الوليد كان مثقفا ، عالما بأيام العرب ، ملمّا باصطلاحات فلسفية وعلمية ، وفضلا عن هذا ، كان شاعرا ظريفا جذابا ، خفيف الروح ، **أما أبرز الفنون التي قال فيها الشعر ، فهي " وصف الخمر ،** لأنه كان يشربها ، ووصف اللذة ، لأنه كان يستمتع بها ، ووصف الصيد ، لأنه كان يصيد ، وكل هذه الفنون تحتاج الى الشعر السهل والى الوزن القصير "(٢).

وعلى الرغم من أن أشعار الوليد قد ضاع أكثرها ، ولم يبق منها إلاّ القليل ؛ بالقياس الى ماقال ، فإن هذه الأشعار تظهر الوليد " شاعرا صادقا ، لا يكذب ، ولا يميل الى الكذب في شعره "(٣) ، كما يلاحِظ أنه كان يقول الشعر في يسر ، جريا مع الطبع ؛ ذلك أنه لا يقول هذا الشعر إلاّ وهو متأثر بما يسرّ أو يحزن ، واذن فقد كان فيه مشغولا بسروره ، وحزنه عن الألفاظ ؛ ولذا فهو **في هذا الشعر لايتكلّف لفظا ولا معنى ،** وانّما يغترفه اغترافا سهلا ، لا مشقة فيه ، " ولهذا كان الشعر أيسر شيء على الوليد ،كان يتكلم شعرا حين ينثر الناس "(٤).

وهذا اليُسْر في قول الشعر ، دفع الوليد في تصوّر طه حسين الى أن يصطنع من بحور الشعر " أخفّها وألطفها وأقربها الى النثر ، وأشدّها ملاءمة لحياة اللهو والدّعة التي كان يحياها ، فقليلا مانجد عند الوليد هذه البحور الطوال المعقدة ، وانما شعره كله هزج ورمل "(٥).

وهو يرى أن السمات الفنية التي توفرت في أسلوب الوليد الشعري ، قد ظهرت أيضا لدى شعراء المجون العباسيين ، ذلك أنه خلص من دراسته المستفيضة لأبي نواس ، الى أنه كان مثل الوليد في شعره ، " ... إذا لها أو تنزّل آثر من بحور الشعر أيسرها ، وأقصرها ، وأخفّها موقعا ، وأدناها من النثر مكانا "(٦).

على أنه مع هذا يلحظ **فرقا بين الوليد وبين أبي نواس** ، وهو فرق ليس بالقليل من الناحية الفنية ، فقد " ... كان الوليد أقرب الى البداوة منه الى الحضارة ، وذلك ظاهر جلي

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٤٣ ، ج٢.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٥.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٥.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٥.
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٤٥.
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في شعره ، فعلى هذا الشعر مسحة بدوية لا تقبل الشك ، بينما أبو نواس في لهوه ومجونه ، كان حضريا قد رقّ ، حتى كاد ينمحي رقة وخفة " (١) .

ومثل أبي نواس في التأثر بالوليد بقية شعراء الخمر العباسيين ، وهكذا يخلص طه حسين الى مايريد أن يقرّره ، وهو **أنّ الشاعر الأموي الوليد بن يزيد هو في الحقيقة إمام هذه المدرسة أو الجماعة من شعراء المجون والفسق ، التي ظهرت قوية في العصر العباسي الأول** " (٢) .

* * *

عيوب أحاديثه وأهميتها :

نلاحظ أن طه حسين حين عرض للشعراء الأمويين السابقين ، وأذاع فيهم آراءه النقدية ، لم يعمد - كما ينبغي - الى أشعارهم ، ليضرب أمثلة توضح هذه الآراء وتدعمها ، بل إنه **في حديثه عن الفرزدق وذي الرّمة والوليد ، لا يورد أمثلة شعرية البتة .**

وما من شك أنه لو بسط آراءه فيهم من خلال الأمثلة الشعرية ، لكانت أحاديثه عنهم أكثر اقناعا وفائدة ومتعة ، ولعل السبب في ذلك يعود الى أنّ هذه الأحاديث - باستثناء حديثه عن الوليد - هي في الأصل محاضرات ألقاها إلقاء ، وليست **دراسات مبسوطة** ، قصد بها النشر في الصحف ، وما نذهب اليه يبدو واضحا من خلال هذه الأحاديث نفسها ؛ إذ ترد فيها بين حين وآخر إشارات تدل على ذلك ، نحو قوله في بداية حديثه عن جرير مثلا : " ...نستطيع أن نقارن بين جرير والفرزدق من حيث انتهى بنا الموضوع في **المحاضرة** السابقة " (٣) .

وهذا دون ريب يؤكد ماذهب اليه تلميذه **الدكتور شكري فيصل** ، وهو من الذين أشرفوا على جمع دراساته في الأدب العربي القديم ، واخراجها في مجلدات ثلاثة ، إذ ذكر أن جهده وجهد زملائه قد تجاوز ماهو مطبوع من آثاره الى مالم يطبع بعد من المحاضرات القديمة التي

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٤٧ ، جـ٢ ،
وسيبين طه حسين وهو يعرض لشعر الخمرة عند أبي نواس مدى تأثره في هذا الشعر بشعر الوليد في الخمر خاصة .
انظر حديث الأربعاء ، ص ٨٠ - ٨١ ، جـ٢ .

(٢) انظر حديث الأربعاء ، ص ١٤٥ ، جـ٢ ،
وسنعرض لرأي طه حسين مفصلا في شعر هذه الجماعة ، خلال الفصل القادم .

(٣) طه حسين ، من تاريخ الأدب العربي ، ص ٦٥١ ، المجلد الاول .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان يلقيها على طلابه في الجامعة أو في المؤسسات العلمية أو المهرجانات الأدبية ، قال : " وتهيأ لنا جملة صالحة من ذلك ، مما لا يعرفه إلاّ الأقلون ، أكثره مما كنا ظفرنا به حين كنا طلابا في كلية الآداب نتلمذ له " (١).

ونحسب أنّ هذا يفسر لنا مانلمحه أحيانا في هذه المحاضرات ، من صياغة لغوية ، غير مألوفة لدى طه حسين ، إذ شتان مابين الدراسة المعدّة للنشر ، وبين المحاضرة الشفوية ، التي يَمْتَح فيها المحاضر من ذاكرته ، وينقلها الطلاب نقلا .

وعلى الرغم من أنّنا نرى أنّ هذه الأحاديث المتفرقة عن الشعراء لا ترتقي الى مستوى دراساته الأخرى في الشعراء الأمويين - الذين تناولهم - فإنّا في الوقت نفسه نرى **أن روح طه حسين الناقد يبدو فيها قويا واضحا** ، وأنّ آراءه النقدية فيها تبدو متسقة اتساقا تاما وآراءَه النقدية في دراساته السابقة أو اللاحقة ، كما لاحظنا هذا في حديثه عن الأخطل وملتقاه الفنية بالحطيئة وبمدرسة زهير وكعب ، وكما سنلحظه أيضا في الصلة بين حديثه عن غزل جرير الرمزي وبين دراسته القادمة في الغزليين العذريين ، حتى ميله الى تناول الشعراء جماعات قد ظهر في هذه الأحاديث ، وذلك من خلال حديثه المتداخل عن شعراء النقائض الثلاثة .

واذن فهذه الأحاديث قد جاءت في الغالب ثمرة لاطلاع واسع ، وتأمل عميق ، ولذا فنحن **نظفر فيها بخلاصة آرائه النقدية في شعراء ، لم يتح له أن يدرسهم دراسة مفصّلة** ، ونحسب أنّ هذه الآراء المبكرة في الأخطل وجرير والفرزدق والوليد ، قد لفتت اليهم بعض الدارسين فيما بعد ، فأفادوا منها ، واهتدوا بهديها (٢) ، لا نستثني في هذا بعض خصومه من أمثال الدكتور محمد محمد حسين (٣).

---

(١) طه حسين ، من تاريخ الأدب العربي ، ص ٦ ، المجلد الاول .

(٢) كان طه حسين من أوائل من لفت الى أهمية الوليد بن يزيد وأثره في شعراء المجون العباسيين ، وذلك في عام ١٩٢٣ (انظر حديث الأربعاء ، ص ٨٠ - ٨١ ، ج ٢) ، ثم ازداد الاهتمام بدراسة هذا الشاعر على الزمن ، وظهرت فيه دراسات كبيرة ، نحو دراسة الدكتور حسين عطوان المستفيضة فيه ، والموسومة " الوليد بن يزيد ... عرض ونقد " (دار الجيل - بيروت - ١٩٨١) .

(٣) انظر دراسته للأخطل والفرزدق وجرير عامة في كتابه " الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام " ، (دار النهضة العربية - ط ٢ - بيروت - ١٩٧٠)، وقابل مابين حديثه عن الأخطل خاصة ص ١١٣ ، وبين حديث طه حسين عنه في (من تاريخ الأدب العربي ، ص ٦١٦ ، المجلد الاول) ، وقابل أيضا بين حديثه عن جرير ، ص ١٦٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢١٠ ، في كتابه نفسه ، وبين حديث طه عنه ص ٦٥٨ في المصدر نفسه أيضا ، والمعروف أن محمد محمد حسين من أشد خصوم طه حسين ، المتعصبين عليه ، كما يبدو في كتابه " الاتجاهات الوطنية " خاصة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب - دراساته في الغزلين الأمويين

أمّا القسم الثاني من الشعراء الأمويين الذين تناولهم طه حسين، فهوفي شعراء الغزل ، وهو يلفت منذ البدء الى أنّ **الشعراء الغزلين في العصر الأموي ، قد " كانوا جميعا في الحجاز** وما يليه ، ولكنهم لم يكونوا يعيشون في بيئة واحدة ، وانما كان فريق منهم **يتحضّر** ، وفريق منهم كان **يبدو** "(١) .

وهو يردّ السبب في أنّ حاضرة الحجاز كانت موطن الغزل والغناء خلال هذه الحقبة إلى توفر الثروة لها ، ممّا أتاح لشبابها حياة الترف والنعيم ، ذلك أن الحجاز " حينما انتصف القرن الأول للهجرة ، أصبح جنة الأرض في ذلك الوقت ، وأصبح كله ضياعا ، تثمر الزرع الكثير ، وتغلّ على أهلها المال الكثير ، وتحوّل أهل الحجاز من فقر مدقع الى غنى مسرف في الثراء "(٢) .

وهذا التغير الاقتصادي قد نجم عنه تغيّر في الحياة العقلية ، فالشعر الجاهلي القديم ، قد تغيّر تغيرا تاما ، وأصبح غزلا رقيقا في الحجاز(٣) .

على **أنّه يرى أن** وراء الوضع الاقتصادي المزدهر في الحجاز **عاملا سياسيا أيضا، فالخلفاء الأمويون** أغدقوا الثروة على شباب المهاجرين والأنصار في مكة والمدينة ، ليجعلوهم بمعزل عن الحياة السياسية ، إذ كانوا يصدونهم صدا قاسيا موئسا إذا حاولوا المشاركة فيها(٤) ، على حين ظلّ شباب البادية في الحجاز ونجد خلال الحقبة نفسها يعانون من الفقر والبؤس والحرمان ؛ مما جعل غزل شعرائهم يختلف اختلافا واضحا في طبيعته عن غزل الشعراء في مكة والمدينة .

ولذا فإنه يقسم الغزل الأموي - بحسب اختلاف طبيعته - ثلاثة أقسام : **الأول** غزل يمثل لهو الحضر وعبث أهله ، **والثاني** غزل بدوي عفيف ، **والثالث** غزل ليس بالعفيف إلاّ في لفظه ، ويمثّل لهو أهل البادية وعبث شبابهم ، ويذكر بالعصر الجاهلي ، ويخالف أشد المخالفة مانجده في مكة والمدينة بعد الإسلام(٥) .

ويلاحظ أن طه حسين حين يعرض لأقسام الغزل الثلاثة يحاول أن يستخلص الخصائص الفنية لكل منها من خلال تناول شعرائه البارزين .

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٨٨ ، جـ١.
(٢) طه حسين " تقليد وتجديد " ، ص ٤٨.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٨.
(٤) حديث الأربعاء ، ص ١٨٩ ، جـ١.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢١٧ ، جـ١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(أ) شعر الغزل المادي :

وهو شعر يُعنى في الغالب بوصف جسد المرأة ، وبتصوير جماله ، والرغبة فيه ، ويختار طه حسين أربعة شعراء يرى أنهم يمثلون هذا اللون من الغزل ، وجميعهم من مكة والمدينة ، وعلى الرغم من الخصائص الفنية المشتركة بينهم ، فإنه يفرد لكل منهم حديثا مستقلا ، أما هؤلاء الشعراء الذين نظفر بآرائه النقدية فيهم فهم :

(١) عمر بن أبي ربيعة[١] :

يرى طه حسين أنّ عمر بن أبي ربيعة يتسنّم منزلة رفيعة في الشعر العربي كله : قديمه وحديثه ، ذلك أنه يقدّمه على شعراء الغزل جميعا ، دون استثناء ، قائلا : " ... **عمر زعيم الغزليين جميعا ، لا نستثني منهم أحدا ، ولا نفرّق فيهم بين أهل البادية وأهل الحاضرة** "[٢] ، ثم إنه بعد هذا لا يتحفّظ في تعميم حكمه النقدي قائلا : " ... بل نحن نذهب الى أبعد من هذا ، فنزعم أن عمر بن أبي ربيعة زعيم الغزليين في الأدب العربي كله ، على اختلاف ظروفه وتباين أطواره ، منذ كان الشعر العربي الى الآن "[٣] .

ثم يعمد بعد هذا الى تعليل هذا الحكم النقدي الجازم ، الذي لا تردّد فيه ولا تحفظ ، فيذهب الى أن **الغزل العربي الخالص لم يوجد مرتين ، وانّما وجد مرة واحدة في عصر بني أمية** ، أما قبل الإسلام فلم يكن له وجود مستقل ، ذلك أن **الشعراء الجاهليين** كانوا يتخذون الغزل " وسيلة شعرية الى ماكانوا يذهبون فيه من مذاهبهم الشعرية المختلفة ، ولا نكاد نعرف بين الجاهليين شاعرا قصر حياته الشعرية على الغزل ، بل قليل جدا القصائد الجاهلية التي لم يتناول فيها أصحابها إلاّ الغزل وحده "[٤]

وأما العصر العباسي فلا نعثر فيه على شعراء انقطعوا للغزل ، " وانما كانوا كالجاهليين يتخذون الغزل وسيلة شعرية ، أو يتعاطونه ، كما يتعاطون غيره من الفنون "[٥] ، ومعظم الشعراء انصرفوا عن الغزل الى العبث والمجون ، - كما يلاحظ - ، لا يستثني منهم سوى **العباس بن الأحنف** ، ولكنه يعدّه الاستثناء الذي يثبت القاعدة .

---

(١) انظر ترجمة عمر بن أبي ربيعة في كتاب الأغاني ، ص ٧١ ، المجلد الأول (إشراف عبدالله العلايلي ورفاقه - نشر دار الثقافة - بيروت (د.ت) .
(٢) حديث الأربعاء ، ص ٢٩٣ ، ج١.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩٣.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٩٤.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما شعر الغزل بعد العصر العباسي فهو في رأيه لا ينهض للموازنة مع الغزل الأموي من الناحية النقدية .

وعمر بن أبي ربيعة من وجهة أخرى **زعيم الغزلين في العصر الأموي ؛ لأن شعر جميل زعيم الغزل البدوي قليل بالقياس الى شعر عمر** ؛ ذلك أن عمر " حفظ الدهر لنا شعره كله أو أكثره ، واستقامت لنا أخباره ، وصحّت لنا طائفة من الحوادث المتصلة بحياته ، فأصبح من اليسير أن ندرسه ، ونعلن فيه رأيا صحيحا ... " (١).

وهكذا يخلص من مناقشة القضية على اختلاف وجوهها الى القول ثانية : " ...إنّ عمر بن أبي ربيعة ، " يجب أن يكون **زعيم الغزل في الأدب العربي كله** " (٢).

وشعر عمر بن أبي ربيعة في رأيه لا يمثّل شخصيته وحدها ، وانّما يمثّل الجماعة التي كان يعيش بينها ، في إطار العصر والبيئة ، **فهو وأبو نواس شاعران يتميّزان من شعراء العربية جميعا** في هذه الناحية ، يقول : "... لست أعرف شاعرا إسلاميا استطاع أن يمثّل العصر الذي كان يعيش فيه ، والبيئة التي كان يحيا فيها كهذين الرجلين ، اللذين نستطيع أن نتخذهما مرجعا في درس الجماعة ، التي كانت تحيط بهما " (٣).

ولا ريب أن منهج طه حسين في النقد الأدبي يتجلى حقا في دراسة هذين الشاعرين خاصة ، وما ينتزعمان من شعراء ، يسيرون على نهجهما ، وينبغي أن نلاحظ أنّ طه حسين قد نشر دراساته الرائدة فيهما مبكرا ، بعد عودته من فرنسا بسنوات قليلة ، مابين سنة ١٩٢٣ وسنة ١٩٢٤ (٤).

وظهور شاعر أو كاتب يمثّل بيئته أصدق تمثيل يعد في رأيه نعمة ، يتيحها الدهر من حين الى آخر للباحثين عن التاريخ الأدبي ، وهذا الكاتب أو الشاعر الذي تظهر في آثاره الخلال والنقائص ، التي كانت تمتاز بها بيئته ، والتي كانت بعيدة الأثر في عصره ، لا يبرز إلاّ " في العصور التي تقوى فيها الحياة الأدبية قوة خاصة ، ممتازة ، كذلك العصر الأموي في الحجاز ، وكذلك العصر العباسي في بغداد " (٥).

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٢٩٣ ، جـ ١.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٩٤.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩٥.
(٤) انظر المصدر نفسه ، ص ٢٩٣ ، و ص ٩٣ ، جـ٢.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٩٦ ، جـ١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واذن فهو يرى أنّ **شعر ابن ابي ربيعة هو أصدق مثال للعصر والبيئة اللذين كان يعيش فيهما** ، والمؤرخ الذي يودّ أن يدرس حياة (الارستقراطية) القرشية في الحجاز ، خلال القرن الأول للهجرة ، عليه أن يلتمس هذه الحياة في شعر عمر ، قبل أن يلتمسها في كتب التاريخ ؛ لأنه فيه يرى " كيف كان سراة قريش والحجاز يقضون حياتهم الهادئة ، الفارغة ، بل سيجد في الشعر ألوان الصلات المختلفة الحلوة المبتسمة ، التي كانت تصل بين هؤلاء السراة " (١) كذلك يجد المؤرخ في هذا الشعر حياة المرأة العربية المترفة في القرن الأول ، ويرى فيه أيضا مدى الصلة بين هذه المرأة وبين الرجل في هذا العصر (٢) ، **فشعره إذن " ... خلاصة صادقة لحياة هذه الجماعات الحجازية المترفة "** (٣) .

وأمّا غزله فيرى أنّه صادق فيه كله ؛ لأنه " ... لا يربد بالغزل إلاّ الغزل ، ولا يذكر النساء إلاّ لأنه يحب النساء " (٤) ، ويُلاحَظ أنّ طه حسين يتوسط في رأيه بين آراء القدماء في غزل ابن أبي ربيعة ، فمنهم من كان يرى أنه كان صاحب عفة وطهر ، وأنه كغيره من الشعراء كان يقول ما لا يفعل (٥) ، ومنهم من كان يرى أنه صاحب عبث وفجور ، ولكنّ طه حسين يخلص من مناقشة الرأيين الى القول : " ... إنما كان عمر يعيش عيشة الرجل المترف ، الذي اتيحت له أسباب اللهو ووسائله ، ولكنه مع ذلك مقيّد بشرفه ومكانته ، وما ألف الناس من الأوضاع الاجتماعية ، فهو يلهو ، ولكن بمقدار ، وهو يعف ، ولكن بمقدار أيضا " (٦) .

واذن فعمر لم يكن عذريا ، " وانما كان عمليا محقّقا ... يلتمس الحب في الأرض ، لا في السماء ، كذلك لم يذهب في حبه مذهب أصحاب المجون من شعراء العصر العباسي ، فلم يكن يسرف في العبث ، وانما كان يقتصد اقتصادا ، ويتوسّط في حبه توسّطا ، فيعفّ كثيرا ، ويعبث قليلا " (٧) .

وهو يرى أنّ عمر كان في عصره **صديقا للمرأة بالمعنى الحديث** ؛ إذ كان يريد لها **الحرية** ، ويريد أن تزول الفروق بينها وبين الرجل ، وألاّ يكون بينهما حجاب ، وأن تكون صلة الغزل

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٢٩٦ ، ج١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٩٩ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٠١ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٠١ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٣٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بينهما صلة ظاهرة ، لا حرج فيها ولا جناح ، ويريد منها أن تفخر بجمالها ، وروعتها ،كما يفخر الرجل بشجاعته وقوته ، وطه حسين لا يساوره شك في " أنّ شعر ابن أبي ربيعة كله ، ليس إلاّ تغنيا بجمال المرأة ، وتأثيرها في حياة الرجل ، ومكانها من نفسه "[١] .

أمّا في مجال مقارنته بالشعراء الأوروبيين المحدثين فهو يخالف صديقه **الدكتور أحمد ضيف** ، الذي قدّم رسالة باللغة الفرنسية الى جامعة " السوربون " ، قارن فيها بين عمر بن أبي ربيعة وبين الشاعر الفرنسي **(الفرد دي موسيه)** أشهر الغزلين الفرنسيين في القرن الماضي ، ومع أنه يرى أنّ كليهما وقف حياته على المرأة ، وحبها ، والتغني بجمالها ، فإنه يرى في الوقت نفسه أنّ الفرق كبير جدا بين الشاعرين ، مما يجعل المقارنة بينهما مستحيلة ، لأنه ليس بين نفسيهما شبه ما ، فعمر كان شاعرا متفائلا مرحا ، على حين كان الفرد دى موسيه محزونا ، ساخطا على الحياة[٢] . واذا كان لا بدّ من المقارنة فهو يرى أن عمر شبيه بالكاتب الفرنسي **" بيير لوتي "** ، ذلك أن سيرة هذا الكاتب الفرنسي شبيهة بسيرة الشاعر العربي، كما يبدو من قصة " البائسات " خاصة[٣] .

* * *

(٢) العَـــرْجي :

وبعدّه من تلاميذ عمر في انتمائه لمدرسة الغزل المادي أو الحسي ، وهو قرشي مثله ، من سلالة عثمان بن عفان[٤] ، ولكن على الرغم من نسبه وبلائه في الجهاد ، فإن خلفاء بني أمية لم يولّوه عملا ، ولم يكلوا اليه أمرا ، وانما اضطروه الى أن يعود الى الحجاز ، كي يحيا فيه يائسا محزونا ، ينفق حياته في الصيد والشراب .

أما شخصية العرجي فيرى أنها تظهر واضحة في شعره ، وهو يبدو من خلاله **" ظريفا ، خفيف الروح ، محببا الى النفس "**[٥] .

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٣٠٩ ، جـ١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣١١ .

(٣) انظر أوجه الشبه بين عمر وبين بيير لوتي كما يفصّل طه حسين فيها القول ، وذلك في " حديث الأربعاء ، ص ٣١٣ ، جـ١ .

(٤) انظر ترجمته وأشعاره في الأغاني ، ص ٣٦٧ ، المجلد الأول ، إشراف عبدالله العلايلي وزملائه .

(٥) حديث الأربعاء ، ص ٢٤٤ ، جـ١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى طه حسين أنّ العرجي خير مثال لشباب قريش ، الذين صدّهم الخلفاء الأمويون عن المشاركة في الحياة السياسية ، على الرغم من جدارته ، وعلى الرغم من أنّ دولتهم قامت على الثأر لجده عثمان ، مما اضطره الى هجاء الولاة ، ولكن من طريق التغزّل بنسائهم تغزّلا حسيا فاضحا ، نحو غزله في أمّ محمد بن هشام المخزومي ، خال هشام بن عبدالملك ، ووالي مكة[١] ، ومطلعه :

" عوجي علينا ربّةَ الهـــودجِ إنّكِ إلاّ تفعـــلي تحرجي "[٢]

ومثل غزله في زوجه " جبرة " أيضا ، ومطلعه :

" عوجي عليّ فســـلّمي جبرُ فيمَ الصـدودُ وأنتُمُ سَـــفَرْ "[٣]

واذن فهذا الشاعر هو مثال الشباب القرشي ، المتذمّر سياسيا من خلفاء بني أمية ، ويرى أن من أفضل شعره الذي يصور نفسيته وتذمره السياسي قبل سجنه وبعده ، أبياته الذائعة التي يقول في أولها :

أضاعوني وأيّ فتى أضاعـــوا ليوم كريهـةٍ وسِـداد ثَغْـرٍ[٤]

* * *

(٣) عبيدالله بن قيس الرّقيّات[٥] :

ويرى أنه يشبه العرجي من وجوه عدة ، ذلك أنّه قرشي ، كما أنه شاعر غزل ، كان يميل الى السياسة ، فيهجو بني أمية ، متغزلا بنسائهم .

وقد خلص طه حسين من تحقيق شخصيته الى أنّه كان - كما يبدو في شعره - شاعرا " حلو النفس ، خفيف الروح ، عذب الشعر ، خصب الخيال ، قويّه "[٦] .

وهو يرى أنّ غزله **يتميّز من غزل العرجي بأنه** أرقّ لهجة في مخاطبة النساء ، وأعذب لفظا ، وأحسن أدبا ، ومثال ذلك غزله في امرأة تدعى " كثيرة " ومطلعه :

---

(١) انظر في هجائه للمخزومي الأغاني ، ص ٣٧٧ ، المجلد الاول .
(٢) انظر بقية الأبيات التي أوردها في حديث الأربعاء ، ص ٢٤٧ ، جـ١ .
(٣) انظر بقية الأبيات التي أوردها في المصدر نفسه ، ص ٢٤٧ ، جـ١ .
(٤) انظر بقية الأبيات في المصدر نفسه ، ص ٢٤٨ ، جـ٢ .
(٥) انظر ترجمة ابن الرقيات في الأغاني ، ص ٦٤ ، المجلد الخامس .
(٦) حديث الأربعاء ، ص ٢٥٠ ، جـ١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" عادَ له من " كثيرةَ " الطربُ فعينه بالدمـوع تَنسـكبُ " (١)

وهو يلاحظ أن ابن الرقيات **يميل في شـعره الى الخفة والى العبث اللفظي ، كما يبـدو** هذا في كثير من قصائده ، مثل قصيدته ، التي يقول فيها :

بَـكَرتْ عـليّ عواذلـي يَلْحَيْنني والومُهنّـه (٢)

ونحو قصيدته التي مطلعها :

" ذهب الصِّبا وتركت غيّتِيه ورأى الغواني شيبَ لمّتيـه

وقصيدته التي مطلعها :

حبـذا الا دلال والغُنـجُ والتي في طرفها دَعَـجُ (٣)

وابن الرقيات في رأيه شاعر سياسي أيضا ، لأنه كان يرى أنّ الخلافة يجب أن تظلّ فـي قريش ، وأن تقوم على مضر دون اليمانية ، **ومن خلال هذا الموقف يتكشّـف سرّ معاداته للأمويين** ، ومن أروع قصائده السياسية ، التي تصوّر موقفه ، قصيدته التي يقول في أوّلها (٤) :

" حبذا العيشُ حين قومي جميعٌ لم تفـرّق أمورَها الأهـواءُ "

" قبل أن تطمـعَ القبائلُ في مُـلْـكِ قريشٍ وتشـمتَ الأعداءُ " (٥)

ومع أنّ طه حسين يذهب الى أنّ ابن الرقيات هو " الى الشعراء السياسيين أقرب منـه الى الشعراء الغزليين " (٥) ، فإنه يرى في الوقت نفسه أنه **" كان غزلا ، ماهرا في الغزل ، أو قـل متفوقا فيه ، وربما صحّ أن يقدّم على العرجي والأحوص "** (٦) .

* * *

---

(١) انظر القصيدة في ديوان ابن الرقيات ، ص ١ ، تحقيق وشرح د٠ محمد يوسف نجـم (دار بيروت - دار صادر - ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨م) .
وانظر الأغاني ، ص ٧٠ ، المجلد الخامس ،
وحديث الأربعاء ، ص ٢٥٣ ، جـ١ .

(٢) انظر القصيدة في الديوان ، ص ٦٦ ،
وحديث الاربعاء ، ص ٢٥٨ ، جـ١ .

(٣) وصدر البيت في الأغاني : " حبّ ذاك الدّلّ والغنج " ، الأغاني ، ص ٨٨ ، المجلد الخامس .
وانظر حديث الاربعاء ، ص ٢٥٨ ، جـ١ .

(٤) انظر الأبيات التي أوردها " حديث الاربعاء " ، ص ٢٥٨ ، جـ١ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٤٩ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤) الأحـــــوص [١] :

يقرن طه حسين بين الأحوص وبين العرجي خاصة ، ذلك لأنه كان صديقه ، كما " كـــان بينهما تشابه قوي من بعض الوجوه ، وكان بينهما اختلاف أيضا ، أصابتهما محن ســـياســـية متشابهة ، فكلاهما ضُرب ، وكلاهما شُهر ، وكلاهما أُهين ، وكلاهما حُبـــس " [١] .

ولكنّ الأحوص كان أنصاريا مدنيا ، ولم يكن قرشيا مكّيا ، وحين يعمد طه حسين الى تحقيق شخصيته ، يحاول أن يتصوّر نفسيته ، كما تبدو في شعره ، فيخلص الى أنه كان " ... فاجـــرًا بأوسع ماتدل عليه هذه الكلمة ، كان يشرب ويسرف في الشرب ، وكان يحب النساء والغلمان " [٢] . كما كان " رجلا ساخطا ، واضطره السخط الى الإسراف في اللهو والفجور والسّفه " [٤] .

أمّا من الناحية الفنية فيرى طه حسين أنّ الأحوص كان يقول الفخر الرائع ، والمديح البديع والهجاء المقذع ، **لأنه كان لا يتكلّف ، وانما يرسل نفسه على سجيتها** ، كما يرى أنه كان **شـــاعرا غزلا** ، ومن أصدق الأمثلة التي تبيّن فنّه في غزله قوله :

" ثنتانِ لا أدنـــو لوصلهمـــــا ... عِـــرسَ الخليلِ وجـــارةُ الجنـــــبِ
أمّا الخليلُ فلســـتُ فاجعَـــهُ ... والجـــــارَ أوصـــاني بـــه ربّـــي
عوجـــوا كذا نذكـرْ لغانيـــــةٍ ... بعضَ الحديث مطيّكم صحبـــــي
إنْ تُقبلي نُقبـــلْ ونُنزلـــكم ... منّا بـــــدار الســـهلِ والرّحـــــبِ
أو تدبري تكـدُرْ معيشـــــتُنا ... وتصدّعي متـــــلائمَ الشّـــــعبِ "

فهذه الأبيات في رأي طه حسين تختمر **الظـرّف الحجازي** ، وهو يتناولها بالقـــــول : " ... انظر الى هذا الماجن الفاجر ، كيف عفّ في هذه الأبيات عن الجارة ، وعـرس الخليـــل ، وكيف أحسن الحديث الى صاحبته في رفق وصفاء طبع " [٥] .

ورأيه في الأحوص ، أنه شاعر غزل مجيد ، ذلك لأنه " حلو اللفظ ، متينه ، قوي الأســـلوب ،

---

(١) انظر في أخبار الأحوص ، الأغـــاني ، ص ١٠٨ ـ ١١٢ ، المجلد الحادى والعشرون ـ تحقيـــق عبدالستار فراج ، دار الثقافة ـ ١٩٦٠ ، والمجـــــلد الثالث ، ص ٢٢٨ ـ ٢٧٠ ، دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٥٥ .

(٢) حديث الأربعاء ، ص ٢٦٠ ، ج١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٦٦ ، ج١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٦٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رصينه ، يبلغ الإجادة اللفظية في غير تكلّف ولا مشقة " [١] ، وهو يمتاز على الغزلين المكيين بأنه " لم يكن يعنى بالمعنى ، ويخف بالألفاظ ، وانما كان حريصا على التجويد في لفظه ومعناه جميعا " [٢]

(ب) شعر الغزل العذري :

يرى طه حسين أنّ زعيم الغزل العذري هو جميل [٣] ، ويلاحظ أنّ هذا اللون من الغزل قد ينزع فيه الشاعر الى الوصف المادي ، كوصف الأجسام وصفا مفصّلا ، **ولكنّ هذا الوصف المادي ، " إنما كان وسيلة الى الغرض الذي كانوا يرمون اليه ، وهو وصف النفس ، وما تلقى بالحب من شقاء أو سعادة ، ومن بؤس أو نعيم "** [٤] .

وهو يسلك جَميلاً في مدرسة أوس وزهير ؛ لأنه كان راوية الحطيئة ، وهي مدرسة التجويد الشعري التي يعجب بها ، ويرى أنّه بارع في **تصوير نجوى النفس** ؛ في جمال شعري يقوم كثيرا على الالتفات من الغيبة الى الخطاب ، ثم من الخطاب الى الغيبة ، كما يرى أنّ شعره يصوّر عاطفة رقيقة راقية ، ويمتاز بسهولة اللفظ والمعنى معا وهذه الخلال كلها التي توجد في شعر جميل ، من شأنها - بحسب رأيه - أن تبعده كل البعد عن شعر الجاهليين وغزلهم [٥] ؛ ذلك أن **الغزل في الجاهلية كان موضوعه جسم المرأة** ، يصفونه كما يصفون الإبل ، وكانت العاطفة فيه تصدر عن الشهوات ، وايثار اللذة قبل كل شيء ، فكان الشعراء الجاهليون يصفون لذة الحب ، كما يصفون لذة الصيد ، ولذة الحرب [٦] .

وأمّا لدى الشعراء الإسلاميين العذريين ، فقد أضحت المرأة شطرا من النفس ، لا تطيب للنفس حياة إلاّ به ؛ ولذا وصفوها كما ينبغي أن يصفها إنسان يشعر ويحس ، ويمتاز بشيء من الشعور والحس ، لا يخلو من رقة ورقي معا ، ويستدلّ طه حسين بهذا على رقي العقل والشعور العربيين بعد الإسلام ، فقد جاوزا " كل المجاوزة طور الوحشية ، التي كان يعيش

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٢٧٠ ، جـ١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧٠ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩٣ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٤٦ .
(٥) انظر المصدر نفسه ، ص ٢٢٦ - ٢٢٨ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيها الجاهليون ، وليس غريبا أن يعظم الفرق بين هذين الطورين ، فقد كان بينهما القرآن ، وأثر القرآن في نفوس المسلمين عظيم "(١).

* * *

وشعراء الغزل البدوي العفيف الذين يعرض لهم هم : **قيس بن الملوح ، وقيس بن ذريح ، ووضّاح اليمن ، وكثيّر عزة .**

وهو لا يسلّم بكل ماورد عن الشعراء الثلاثة الأولين من أخبار وأشعار ، وانّما يراهم بين أمرين : "... إما أن يكونوا أثرا من آثار الخيال ، قد اخترعهم اختراعا ، وامّا لا تكون لهم شخصية بارزة ، ولا خطر عظيم ، وانما عظّم الخيال أمرهم ، وأضاف اليهم مالم يقولوا ، وما لم يعملوا ، واخترع حولهم من القصص ألوانا وأشكالا ، جعلت لهم في الأدب العربي هذا الشأن العظيم ، الذي لا يكاد يقوم على شيء "(٢).

* * *

أمّا وضّاح اليمن (٣) فيشك طه حسين في شخصيته وفي شعره معا ، ويرى أن شعره "ليّن مسرف في اللين ، سهل مفرط في السهولة ، وهو شعر مخنث ... ثم هو على لينه وخنوثته لا يخلو من تكلّف منكر ، قد يخرجه عن أصول النحو ، ثم هو على هذا كلّه ، لا يخلو من تكلّف آخر في القافية ، لم يكن يذهب إليه الشعراء الأولون"(٤).

وحين يعرض **لقصة وضاح الغرامية** ، يقرّر أنها منحولة ، اشتركت في تكوينها عناصر مختلفة : منها العصبي ، ومنها السياسي ، ومنها المبالغات العامة ، على أنّه يذهب الى أن هذه القصة ، تصلح موضوعا لقصة غرامية موسيقية حديثة ، على نحو مايسميه الفرنج بالأوبرا "(٥).

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٢٢٦ ، جـ١.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٣.
(٣) انظر في أخبار وضاح وأشعاره :
الأغاني ، ص ٢٠٠ وما بعدها ، المجلد الخامس .
(٤) حديث الأربعاء ، ص ٢٣٥ ، جـ١.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم يخلص من مناقشة أخبار وضاح وأشعاره الى أنّ أمره كله " نكر في نكر ، فشخصه موضوع شك ، وشعره منحول ، وأخباره متكلفة " (١) مؤكدا مارجّحه في بداية حديثه عنه : وهو أنّه من الشعراء الذين اخترعهم اليمانيون في القرن الثاني للهجرة ، ليفاخروا المضريين بهم . فشعراء الغزل في القرن الأول والثاني للهجرة هم في الغالب مضريون ، " سواء في ذلك منهم البادون والحاضرون ، فمن كان بينهم يمانيا كالأحوص الأنصاري ، فإنما هو يماني النسبة ليس غير ، وقد اشتدّ اتصاله بالمضرية عامة وقريش خاصة " (٢).

أما إذا تساءلنا عن الحافز الذي دفع اليمانية الى اختراع هذا الشاعر ، فإنه يجيب بقوله : " اخترعت اليمانية وضّاحاً وشعره - فيما اعتقد - حتى لا يقال : إنها خلت من شاعر غزل في الإسلام " (٣).

* * *

وأما **قيس بن الملوّح وقيس بن ذُريح** فيخلص طه حسين من محاولة تحقيق شخصيتهما الى الشك في شخصية الشاعر الأول ، والشك في القصة الغرامية المعروفة للشاعر الثاني مع لبنى ؛ وهو في سبيل إثبات هذا يلجأ الى تحقيق وتمحيص دقيقين ، لا داعي لبسطهما هنا ؛ لأنهما يتصلان بنقده العلمي الخالص ، الذي يقيمه على منهج ديكارت في الشك (٤) ، ولكن يهمنا أن نعرض لما يتصل منه بنقده الأدبي ، فهو يرى خلاله أنّ الشعر البدوي العفيف **يمتاز من الناحية الفنية بخصلتين : أما إحداهما** فسمة البداوة التي " تكسب معناه سذاجة في غير سخف ولا إسفاف " (٥) **وأما الثانية فهي** " الصدق في وصف العاطفة وتمثيلها بحيث لاتكاد تقرأ هذا الشعر ، حتى تتأثر به ، وتقطع بأنّ قائله لم يكن متكلّفا ، ولا منتحلا ، وانما كان رجلا يألم حقا ، ويصف ألمه وصفا صادقا " (٦).

وإذن فهذا الشعر في الغالب صحيح ، جيد من الناحية الفنية ، ولكن العلّة تأتيه من

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٢٣٩ ، ج١

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٤.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٣٥.

(٤) وهو المنهج الذي اتبعه - فيما بعد - في دراسته الأولى للشعر الجاهلي عام ١٩٢٦ ، ذلك أن دراسته للغزليين الأمويين قد كانت في عام ١٩٢٤.
انظر حديث الأربعاء ، ص ٢١٧ ، ج١.

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٩٤.

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٩٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شخصية قائله ، فهي ـ كما أوردها الرواة القدامى ـ لا تتسق وهذا الشعر ، وفق منهجه في النقد الأدبي ، الذي يؤمن طه حسين من خلاله بأن الشاعر الحق هو الذي يكون شعره " مرآة نفسه وعواطفه ، ومظهر شخصيته كلها ، بحيث تستطيع أن تقرأ قصائده المختلفة فتشعر فيها بروح واحد ، ونفس واحد ، وقوة واحدة ، وقد يختلف هذا الشعر شدة ولينا ، ويتباين عنفا ولطفا ، ولكنّ **شخصية الشاعر ظاهرة فيه ، محققة للوحدة الشاعرية** ، التي تمكّنك من أن تقول : هذا الشعر لفلان ، أو هو مصنوع على طريقة فلان " (١) .

فالشعر في رأي طه حسين ينبغي أن يصدر عن شخصية قائله صدورا طبيعيا ، كصدور الأريج عن الزهرة ، ولذا فإنه حين يحاول تطبيق هذه القاعدة ، التي يرى أنّها لا تقبل الشك في فن من فنون الأدب ، ومنها الشعر الغنائي خاصة ، يلحظ أن ثمة تناقضا بين هذا الشعر العذري الجيد الصحيح ، وبين شخصية قائليه " فبينما تجد في هذه الأشعار من صدق اللهجة وحرارة العاطفة ، وحدّة الشعور مايملك عليك نفسك ، لا تجد في هذه الأخبار التي تروى حول هذا الشعر إلاّ تكلّفا وتصنّعا ، واسرافا في المبالغة ، وانتهاء الى السخف " (٢) .

ومع أن طه حسين يشك في شخصية قيس بن الملوح (٣) ، فإنه لا يشك في صحة كل شعر ينسب اليه ، وانما يرى أن بعض هذه الأشعار المنسوبة صحيحة وجيدة من الناحية الفنية (٤) . كما أنه لا يشك في كل شعر ينسب الى قيس بن ذريح ، وانما يرى أن قسما من الشعر المنسوب إليه صحيح ، وفيه قصائد غزلية رائعة (٥) .

وأما **ليلى ولبنى** فهما في رأيه بالقياس إلى هذا اللون من الغزل اسمان يشبهان **"هيلانة "** بالقياس الى القصاص من شعراء اليونان المتقدمين (٦) .

* * *

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٧٩ ، ج١.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٩٧.

(٣) انظر أخبار قيس بن الملوح في الأغاني ، ص ٥ ـ ٧٩ ، المجلد الثاني (دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٥٥).

(٤) انظر بعض هذه الأشعار حديث الأربعاء ، ص ١٩٤ ـ ١٩٥ ، ج ١ ، وانظر الأغاني ، ص ١٩ المجلد الثاني .

(٥) انظر مثال هذه القصائد في حديث الأربعاء ، ص ٢٢٩ ، ج١.

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢١٨ ، ج١ ، ولاحظ مثالا لا لتفات طه حسين الى الدراسات الحديثة في الشعر اليوناني القديم عامة وهو يدرس الشعر العربي القديم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما **كثيّر عزة** تلميذ جميل وراويته فمع أن طه حسين يسلكه في عداد الغزليين الأمويين ، فإنه يذهب الى مخالفة القدماء فيه ، إذ أجمعوا على " أنه غزل ، مقدم ، بارع في الغزل " (١) ، لأنه حين يحقّق شخصيته يخلص الى أنه **كان متكلّفا في غزله ، مدّعيا للعشق ، لا عاشقا** ، ممّا يدفعه الى القول عنه : " **ليس من الحق أن نعدّه غزلا** ، وانما هو شاعر أراد أن يكون غزلا فعالج الغزل معالجة فنية خالصة ، ولعلّه إنْ لم يوفّق في تكلّف الحب وفق في تكلّف الغزل " (٢) .

وهو يضرب مثالا لما يقول بقصيدته المشهورة ، التي يقول في أوّلها :

" خليليّ هذا رسمُ عزة فاعقلا قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلّت " (٣)

فهو يقرّر أنّ في القصيدة من جودة اللفظ ، ورصانة الأسلوب الشيء الكثير ، ولكنه يرى في الوقت نفسه أنّها **خالية خلوا تاما من صدق اللهجة ، وحرارة العاطفة** (٤) .

على أنّ طه حسين الذي رأيناه في أثناء دراسته للشعر الجاهلي يعدّ كثيّراً امتدادا لمدرسة زهير ، لأنه تلميذ جميل ، وجميل تلميذ الحطيئة - يذهب الى أن **كثيّراً في فنون الشعر الأخرى - غير الغزل - قد كان شاعرا مجيدا بل عظيم الحظ من الاجادة** ، وهو يعزّز حكمه هذا بالقول : " وما أظن أنّ محمد بن سلام الجُمحي قرنه الى الفرزدق وجرير تحكّما أو عبثا " (٥) ، وأما الفن الشعري الذي يرى كثيّرا قد برع فيه ، فهو الشعر السياسي (٦) .

* * *

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٢٨٤ ، جـ١ ،
وانظر أخبار كثيّر في الأغاني ، ص ٣ ، المجلد التاسع ، الناشر دار الثقافة - بيروت - ١٩٥٧ .

(٢) حديث الأربعاء ، ص ٢٩١ ، جـ١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩٢ ،
وانظر القصيدة في ديوان كثيّر ، ص ٩٥ - ١٠٥ ، (تحقيق د. إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - ١٩٧١) .

(٤) حديث الأربعاء ، ص ٢٩٢ ، جـ١ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٨٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٨٦ - ٢٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(جـ) الغـــزل البـــدوي العابـــث :

وهو اللون الثالث من الغزل الأموي ، ويذهب طه حسين الى أنه لون **ليس بالعفيـف إلاّ في لفظه ، ويمثّل لهو أهل البادية ، وعبث شبابهم** ، على نحو ساذج من البداوة ، يذكّـر بالعصر الجاهلي ، ويخالف أشد المخالفة مانجد في مكة والمدينة بعد الإسلام[١] .

وخير من يمثّله من الشعراء في رأيه **يزيد بن الطّثريّة**[٢] ، لأن شعر هذا الشاعر يمتاز بأنه يشخّص البيئة الصحراوية ، التي كان يعيش فيها تشخيصا صحيحا لذيذا[٣] ، ومـن شـعره الذي يصوّر هذا اللون من الغزل أحسن تصوير قوله :

ألا حبّذا عيناكِ يا أمّ شُـنْبُلِ ... إذا الكحلُ في جفنيهما جالَ جائلُـهْ
فِداكِ من الخُلاّنِ كلّ مُـمَـزَّجٍ ... تكونُ لأدنى من يُـلاقي وسـائلُـهْ
فرحبـًا تلقّانا به أمّ شُـنبلٍ ... ضَحِيًّا وأبكتنـا عشيّا أصائـلُـهْ
وكنتُ كأني حين كـان كلامُـهـا ... وَداعا وخِلّي مُوثقُ العهدِ حاملُـهْ
رهينٌ بنفسٍ لم تُفـلِكَ كُبّولـه ... عن السـاقِ حتى جرّدَ السيفَ قاتلُـهْ
فقال : دعوني سجدتينِ وأرعـدَتْ ... حِذارَ الرَّدى أحشـاؤهُ ومفاصلُـهْ[٤]

ذلك أن طه حسين يرى في الأبيات السابقة مثالا لما يبدو في شعر يزيد من جودة ، ومتانة ورقة ، يمتاز بها شعر البادية في هذا العصر خاصة ، فهو إذن لا يصوّر فيها نفسه وحده ، **وانمـا يصـوّر نفسـيّة هؤلاء الفتيـان البـدو ، الذين كانـوا يحيون حياتـه ، ويلهـون لهـوه ، ويعبثـون عبثـه**[٥]

* * *

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٢١٧ ، جـ١ .

(٢) انظر أخبار يزيد بن الطثرية في الأغاني ، ص ١٥٧ ـ ١٨٧ ، المجلد السابع (الناشـر دار الثقافة ، بيروت ـ ١٩٥٦) .

(٣) حديث الأربعاء ، ص ٢٧٣ ، جـ١ .

(٤) حديث الأربعاء ، ص ٢٨٢ ، جـ١ . وانظر الأبيات في الاغاني ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ ، المجلد السـابع ، وقد ضُـبطت " شنبل " بفتحة لا بضمة .

(٥) حديث الأربعاء ، ص ٢٨١ ، جـ١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" عيوب دراساته في الغزلين "

لا ريب أن دراسة طه حسين في الشعراء الغزلين هي دراسته الأدبية الأساسية في الشعر الأموي عامة ، ولا شك أن ثمة مايؤخذ عليها ، وأن لها في الوقت نفسه مزاياها وأهميتها ، بل خطرها في دراسة الشعر العربي القديم .

* * *

أمّا أبرز مانأخذه عليها فهو أنها تبدو غير متكاملة تكامل الدراسة الأدبية الواحدة ، المحكمة، المترابطة ترابطا دقيقا ، التي أفرغ فيها الناقد الأدبي كلّ مافي جعبته من آراء حول الموضوع ، فهي تبدو موجزة في جانب ، مبسوطة في جانب آخر ، تورد الأمثلة الشعرية حينا ، ولا تبالي بعدم إيرادها أحيانا ، والسبب في هذه كلّه واضح ، ذلك أن طه حسين لم يتوفّر على الدراسة جميعها في آن واحد ، قبل أن يخرجها الى القراء ، وانما كتبها أجزاء متفرّقة ، ونشرها مقالات متتابعة في جريدة " السياسة " عام ١٩٢٤ ، واذن فطبيعة الكتابة الصحفية التي يلتزم بها صاحبها كل اسبوع ، تجور على الدراسة شيئا ما ، ولتوضيح هذه الحقيقة نورد مثلين اثنين من هذه الدراسة :

الأول دراسته في عمر بن أبي ربيعة ، فهي تتضمن في تضاعيفها آراء نقدية قيمة ، وتتجلّى فيها طاقة طه حسين النقدية الكبيرة ، إذ يأخذ يقارن بين الشاعر العربي القديم ، وبين الأدبيين الفرنسيين المحدثين : الفرد دي موسيه وبيير لوتي [١] ، ولكن على الرغم من هذا فهي تبدو **موجزة جدا ، وينقصها التمثيل لشعر الشاعر** ، ذلك أنّه في حديثه الأول عنه لم يورد له سوى أبيات قليلة [٢] ، وأما في حديثه الثاني فهو لم يورد شعرا البتة [٣] ، وما من شك أنّ هذه الآراء والاحكام النقدية المبثوثة خلال الدراسة في حاجة الى بسط وأمثلة ، فلو أنها قرنت الى الأمثلة الشعرية التي أوحت بها ، لبدت أكثر اقناعا ووضوحا ، وأدنى الى القبول والاعتقاد ، وطه حسين نفسه شعر بشيء من هذا ، فقد ذهب الى أنّ دراسة عمر دراسة أدبية مفصّلة خليقة بأن تؤدي الى نتائج نقدية قيّمة جدا ، ولكنه اعتذر عن هذه الدراسة بأن طبيعة الكتابة الصحفية لا تمكنه منها ، وبأن بعض أصدقائه تدخّل في الأمر أخيرا ، واقترح عليه ترك الشعراء الغزلين الى سواهم ، يقول معتذرا : " ... ولكنّك تعلم حق العلم أنّي لا أستطيع أن أعرض لهذا كلّه في هذه الأحاديث " [٤]

---

(١) انظر حديث الأربعاء ، ص ٣١١ ـ ٣١٥ ، ج١ .

(٢) انظر المصدر نفسه ، ص ٣٠٣ .

(٣) انظر المصدر نفسه ، ص ٣٠٥ ـ ٣١٥ .

(٤) يقصد بالأحاديث المقالات المحدّدة التي كان ينشرها في صحيفة السياسة ، حيث كان يعمل محررا أدبيا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فليست هي ممّا يسع هذا البحث العلمي الدقيق ، ولو أنّي عرضت لها لقضيت فيها سنة أو أكثر من سنة ، وقد طلب إليّ بعض أصدقائي منذ حين أن أنصرف عن الغزلين الى غيرهم ، فأجبته الى ما أراد ، وأنا أريد أن يكون هذا الحديث خاتمة القول في الغزلين " (١)

وهو ينصرف بعد دراسته في عمر عن الغزلين ، **استجابة للأصدقاء** ، وفي نفسه الكثير الذي يودّ قوله ، متمنيا على غير واحد من رجال الأدب والنقد دراسة النواحي كلها في شعر عمر ، لأنها خليقة بالدرس ، ولأنه لم يدرس " إلاّ ناحية واحدة أو جزءا من ناحية واحدة ، إن صح هذا التعبير " (٢) .

ونحسب هنا أنّه كان من المستحسن أن يفي الدراسة حقها من التحليل والاستقصاء في مختلف النواحي ، لا في جزء من ناحية ، وانّ قضى فيها سنة أو سنين عدة ، مادامت تستحق العناء العلمي ، وتؤدي الى نتائج نقدية قيّمة جدا ، كما يرى هو نفسه (٣) ، ونحسب أيضا أنه كان من حق دراسة عمر وسائر الغزلين عليه أن يمضي فيها الى آخر مدى تستحقه ، لا أن يتركها تركا **ولما تكتمل** ، وينصرف عنها استجابة لرغبة الصديق ، ذلك **أنّنا في ميدان النقد الأدبي ينبغي أن نستجيب أولا وأخيرا لدواعي البحث والدرس ، وألاّ نتأثر بطلبات الأصدقاء ورغباتهم .**

وأما المثل الثاني فهو دراسته للوليد بن يزيد ، لأنها لم تكن في موضعها من الشعر الأموي ، وانّما جاءت بعد دراسته المستفيضة لأبي نواس (٤) ، والذي دعا الى هذا تنبّهه الى أنّ الوليد هو أستاذ أبي نواس وغيره من شعراء المجون ، ونظن أنه كان من الأفضل أن تأخذ دراسة الوليد مكانها بين دراساته في الشعر الأموي ، وأنه كان من الأولى أن يقوم بدراساته في الغزلين الأمويين عامة ، قبل دراساته في شعراء المجون العباسيين ، وذلك **مراعاة للأقدمية الزمنية ، وللترابط المنطقي** في الدرس ، الذي كان من شأنه أن يساعده أكثر على **تبيّن أوجه التأثر والتأثير بين شعراء العصرين** ، ولكن الذي نجده نقيض هذا ، فقد بدأ أولا بدراسة الشعراء العباسيين ، ثم عاد بعد مدة قليلة فدرس الشعراء الأمويين (٥) .

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٣٠٧ ، ج١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٠٧ .

(٤) انظر المصدر نفسه ، ص ١٣٩ ، ج٢ .

(٥) كان قد بدأ دراسته لأبي نواس وشعراء المجون العباسيين سنة ١٩٢٣ (انظر حديث الأربعاء ، ص ٨٣ ، الجزء الثاني) ،
ثم عاد سنة ١٩٢٤ فأخذ يدرس الغزليين الأمويين ، (حديث الأربعاء ، ص ١٧٣ ـ الجزء الأول) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن من الإنصاف والحق أن نذكر أنّ **طه حسين** كان هو **أوّل ناقد** لنفسه في هذه الدراسات ، فقد نبّه الى مافيها من نقص وثغرات ، حين جمعها في كتاب ، وقال عنها في المقدمة كالمعتذر : " ... لم أرسم لها خطة معينة ، ولا برنامجا واضحا قبل أن أبدأ في كتابتها ، وانّما هي مباحث متفرقة ، كتبت في ظروف مختلفة وأيام متقاربة حينا ، ومتباعدة حينا آخر ، فلست تجد فيها هذه الفكرة القوية الواضحة ، المتحدة ، التي يصدر عنها المؤلفون حين يؤلفون كتبهم وأسفارهم " (١) ، ثم يذهب الى أنه أعلم الناس بما فيها من نقص شديد ، وأنه قبل أن يخطره إلحاح القراء الى نشرها في كتاب (٢) ، كان يقدّر أن سيتاح له وقت يعود اليها ، ويعاود النظر فيها ، فيسدّد هذا النقص ، ولكنّ الأيام والظروف كانت تحول دائما بينه وبين ماكان يريد من تجديد العناية بها ، واستئناف النظر (٣) .

أهمية الدراسة وأثرها :

وأمّا أن دراسة طه حسين في الغزليين الأمويين لها قيمتها وخطرها - كما ذهبنا في البداية - فذلك لأنها من دراساته الرائدة اللافتة ، التي ما انفكت تحتفظ بأهميتها وتأثيرها على الزمن، مع أنه نشرها أوّل مرة في عام ١٩٢٤ ، وذلك لأسباب ثلاثة أساسية :

أولها أنّ اختياره لموضوع الغزل لم يكن عَرَضا ، او اختيارا عشوائيا ، وانّما جاء عن قصد ، ونتيجة لتفكّر عميق في مسيرة الشعر العربي ، وما طرأ عليه من جديد خلال العصر الأموي ، ذلك أنه يعتقد بأن **شعر الغزل هو الفن الجديد الذي ظهر في أثناء هذه الحقبة** ، والحق أنّه لم يتوصل الى هذا الرأي النقدي إبّان الدراسة ، أو قبيلها ، وانما كان قد ذهب الى هذا الرأي في عام ١٩٢٢ ، إذ نشر مقالة حول القديم والحديث ، خلص فيها الى أنّ **التجديد الشعري في العصر الأموي قد تجلّى** في فنين اثنين من الشعر : أولهما **شعر الغزل** هذا الذي عاد فدرسه على نحو مارأينا بعد سنتين (٤) ، وثانيهما **الشعر السياسي** ، يقول : " ... أما الفن الآخر الذى استحدث أيام بني أمية ، فهو الشعر السياسي ، وقد نشأ عن استحالة الخلافة الى ملك ، وعمّا كان من حرب بين العصبيّات من جهة ، ومن حرب بين العصبية والدين من جهة أخرى " (٥) ، وهذا الفن المستحدث لم تتح الظروف له فرصة دراسته كالفن الأول .

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٥ ، ج١.
(٢) انظر المدر نفسه ، ص ٦ - ٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٦.
(٤) انظر المصدر نفسه ، ص ١٥ - ١٩ ، ج٢.
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويلاحَظ أنّ طه حسين قد ظل على رأيه في أنّ فن الغزل هو الجديد الشعري، الذي ظهر إبان العصر الأموي ، ذلك أنّه عاد الى **الموضوع بعد أكثر من ثلاثين سنة** ، فأكد ماذهب اليه في دراسته الأولى ، قائلا عنه : " ... هذا النوع من التجديد (في الغزل) : تجديد المترفين من ناحية ، وتجديد الفقراء والبائسين من ناحية أخرى في الشعر ، **هو أول نوع من التجديد عرفه المسلمون** " (١)

وثاني الأسباب أنّ دراسته في الغزلين الأمويين هي من دراساته المبكرة الرائدة ، التي **تجلّى خلالها منهجه التكاملي في الدراسة الأدبية** ، فقد كان يحقق شخصية الشاعر ، ثم يحاول أن يتعرّف مدى صدقه في تصوير بيئته وعصره في أثناء شعره ، ومدى صدقه في تمثيل الجماعة التي يعيش بينها ، وقد خلص من دراسته إلى نتائج بدت مثيرة في حينها ، ولكنه راح يردّدها في جراءة ، وهي : " ... أنّ هذا الغزل الأموي يمثّل نفس الشاعر والجماعة التي كان يعيش فيها تمثيلا صادقا صحيحا " (٢) ، وأن شعر عمر بن أبي ربيعة ، على الرغم ممّا فيه من فسق وفجور وما يصوّره من مغامرات غرامية آثمة ، هو نعمة أتاحها الدهر للمؤرخين (٣) ، لأنه " ليس في حقيقة الأمر إلاّ خلاصة صادقة لحياة هذه الجماعات الحجازية المترفة " (٤) . وعمر نفسه " أصدق مثال للعصر والبيئة اللذين كان يعيش فيهما " (٥) ، بل ذهب الى القول : " إنّ المؤرخ الذي يريد أن يدرس حياة الأرستقراطية القرشية في الحجاز أثناء القرن الأول للهجرة يجب أن يلتمس هذه الحياة في شعر عمر قبل أن يلتمسها في أخبار التاريخ ، وحوادثه المختلفة ، فسيجد في هذا الشعر كيف كان سراة قريش والحجاز يقضون حياتهم الهادئة الفارغة " (٦) .

وهذا الرأي الذي خلص اليه ، وردّده ، لم يصادف في الغالب قبولا من المحافظين ، ولذا ذهب بعضهم الى تخطئته ، على نحو ماسوف نرى .

---

(١) طه حسين ، " تقليد وتجديد " ، ص ٣١ ،
وقابل هذا الرأي بما ذهب اليه في عام ١٩٢٤ وهو يوازن بين الغزل الأموي وغزل الجاهليين والعصور الإسلامية الأخرى ،
حديث الأربعاء ، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٦ ، ج١ .
(٢) حديث الأربعاء ، ص ٢٩٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩٦ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٩٧ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٩٦ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثالث الأسباب هو أسلوب تناوله في الدراسة ، فقد لاحظنا كيف تناول الغزليين الماديين والعذريين **جماعات ، وليس أفرادا** ، وهو الأسلوب الذى رأيناه يتّبعه في دراسة مدرسة أوس الشعرية ، وينصح للدارسين بأن يتّبعوه في دراسة مدارس الشعر الجاهلي الاخرى (١) . وكما قام هناك بإبراز الخصائص الفنية لمدرسة أوس ، قام هنا بإبراز الخصائص الفنية لمدرستي الغزل : العذري والمادي ، ولكن في شيء من الايجاز ، داعيا غيره من الدارسين الى متابعة الدراسة واتمامها ، فهو إذن في هذه الدراسات المبكرة كلّها كان **شأنه شأن كل رائد ، حسبه أن يستكشف ويرتاد ويرسّخ المنهج ، وأن يرشد الى سواء السبيل في الدرس** ، مشجعا الآخرين من التلاميذ والدارسين على أن يسلكوه من بعده ، مهيبا بهم أن يتوفّروا على دراسة مختلف النواحي التي ألمح اليها دراسة مفصّلة ، وحقا لقد شاع منذ دراسته أنّ ثمة مدرسة للغزل المادي في العصر الأموي ، وأن ثمة مدرسة للغزل العذري ، وحقا لقد وجد من **تلاميذه** من توفّر على دراسة المدرستين ، مقرّا بفضله ، من أمثال **الدكتور شكري فيصل** (٢) .

ومن تلاميذه الذين أفادوا منه في دراسة الغزل الأموي ، **الدكتور مصطفى الشكعة** ، ومع أنه أقرّ بفضله (٣) ، فإنّه ذهب الى القول : إنّ طه حسين " ينكر وجود شخصيتي قيس بني عامر ، وقيس بن ذريح اجتهادا شخصيا منه " (٤) . والحق أنّ هذا القول ليس دقيقا ، ذلك أنّ **طه حسين لم ينكر وجود شخصية ابن ذريح خاصة** ، وانّما رجّح أنّ قصة غرامه للبنى قصة مخترعة اخترعها قصّاص بارع (٥) .

وأمّا قيس بن ذريح نفسه فهو لم ينكر وجوده ، بل نجد عبارات له تقرّر وجود هذا الشاعر ، وتبدي الإعجاب بشعره ، وذلك نحو قوله : " ... لأنتقل بك من جميل هذا البدوي المتحضّر في شعره الى رجل آخر ، احتفظ في شعره بالبداوة ، دون أن يخطئه الجمال الفني ، أو يقلّ حظه من الرّقة ، وشرف العاطفة ، وهو قيس بن ذريح ، وأروى لك من شعره الجميل هذه الأبيات " (٦) .

---

(١) مع ملاحظة أن دراسته في الغزل الأموي تسبق دراسته في الأدب الجاهلي من الناحية الزمنية : الأولى سنة ١٩٢٤ ، والثانية سنة ١٩٢٦ .

(٢) انظر كتابه " تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام " ، ص ١٠ ، وص ٢٧٩ ، وص ٢٩٠ ، وص ٣٣٧ ، (الطبعة الرابعة - دار العلم للملايين - بيروت (د.ت) .

(٣) انظر كتابه " رحلة الشعر من الأموية الى العباسية " ، ص ١٩١ ، (دار النهضة العربية ، ط ١ ، بيروت - ١٩٧١) .

(٤) المرجع نفسه ، حاشية ص ١٩١ .

(٥) انظر تفصيل ماكتب عن ذلك في " حديث الأربعاء " ، ص ٢٠٤ - ٢١٦ ، ج١ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٢٨ ، ج ١ ، وانظر أيضا ، ص ١٨٧ ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن شعره الذي يستحسنه طه حسين ويرى أنه صحيح ممتاز قوله :

" أقضّي نهاري بالحديث وبالمنى ... ويجمعني والهمّ بالليل جامعُ
نهاري نهارُ الناس حتى إذا بدا ... لي الليلُ هزّتني اليك المضاجعُ
لقد رَسختْ في القلب منكِ مودةٌ ... كما رسخت في الراحتين الأصابعُ "

فهو يذهب الى أن القصيدة التي أخذت منها هذه الأبيات هي **" آية من آيات الغزل العربي** ، فيها جمال اللفظ ، وفيها جلال المعنى ومتانته ، وفيه جمال هذه النفس التي تألم هذا الألم الشريف ، وتذعن لقضاء الله وقدره هذا الإذعان الشريف " (١).

وهو يعجب بهذا التشبيه المادي الذي يبدو في البيت الثالث خاصة ، إذ يرى فيه صدقا وسذاجة ، وجودة في التشبيه ، يقول : " انظر اليه أراد أن يشبه ثبوت حبه ومتانته ، فلم يلتمس التشبيه بعيدا من نفسه ، وانما وجده فمد إليه يده ، أو لم يمدها ، وجده في يده " (٢).

وأمّا قيس بني عامر أو ابن الملوح ، فقد شكّ طه حسين في وجوده حقا ، ولكنّه لم يعتمد في هذا الشك على الاجتهاد الشخصي ، كما توحي به عبارة الدكتور الشكعة ، ذلك أنه **استأنس أولا بمصادر قديمة** ، أحال اليها في أمانة علمية ، وسمّى بعضها ، نحو قوله عن الشاعر : " ... **الرواة** يختلفون في وجود قيس (بن الملوح) ، **فأما الثّقات** منهم فقد أنكروا وجوده ، أو تحفّظوا فيه ، ولست أريد أن أطيل عليك في هذا ، وانما احيلك الى **كتاب الأغاني** في جزئيه الأول والثاني ، لترى من ذلك مايغنيك " (٣).

كما يُلاحَظ أنّه - وهو يفصّل القول في آراء القدماء الذين شكّوا في وجوده - يسوق رواية مهمّة **لابن الكلبي** ، يبيّن فيها كيف تمّ اختراع هذه الشخصية ، إذ يقول : " ... ثم أخذ الرواة يجتهدون في تعليل هذه الأخبار ، التي تنسب الى المجون ، فرووا في ذلك أحاديث مختلفة ، منها - وهو أهمها - ماذكره ابن الكلبي من أنّ فتى من فتيان بني أميّة ، أحبّ فتاة من بنات أعمامه ، وقال فيها شعرا ، وكره أن يشتهر ذلك ، فاخترع شخصية المجنون ، وصنع أخباره ، وأضاف اليه ماكان يقول من شعر " (٤).

---

(١) حديث الأربعاء ، ص٢٢٩ ، ج١.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٩.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧٦.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو بعد أن يعرض لشك القدماء في وجود ابن المُلوّح ، يفزع ثانيا الى منهجه في النقد ، فيحاول أن يحقّق شخصية الشاعر ، من خلال المطابقة بين ماورد من أخباره ، وبين ماتوحي به أشعاره ، ثم يخلص أخيرا الى ترجيح الشك في وجود شخصيته [١] . **واذن لا يستقيم القول بعد هذا كله : إنّ شكه في وجوده كان مجرد اجتهاد شخصي ، سواء أوافقناه في شكه أم لم نوافقه .**

رأيه في بيئة الغزلين وتطوره :

وثمة قضية تستحق أن نتوقّف عندها وأن نناقشها ، لأنها تتعلق بهذا الرأي الذى رأينا طه حسين يخلص اليه من خلال دراسة الغزلين الأمويين ، وقد عرض لهذه القضية **سعيد الأفغاني**، إذ نشر مقالة في عام ١٩٧٧ ذهب فيها الى أنه سمع طه حسين في عام ١٩٤٧ يرجع عن رأي شهير له ، ضمّنه كتابه " حديث الأربعاء " ، وهو الرأي الذي ذهب فيه الى أنّ بيئة الحجاز كانت بيئة ترف ، ومصدر الغناء والغزل والمجون خلال العصر الأموي [٢] . ثم **يروي الأفغاني أن طه حسين قد قال له : " ... أمّا الآن فقد تبيّن لي أنّ ذلك كلّه (كلام فارغ) ، وأنّ مصدر المجون الحقيقي حينئذ كان بلاط الأمويين في دمشق ، لا حواضر الحجاز "** [٣] . ولأنّ الأفغاني يقدّر طه حسين حقّ قدره ، ويرى أنه مازال مظلوما منذ مدة بعيدة ، لذا يدعو الى إنصافه ، وتبيان مارجع عنه من آراء ، كان قد ذهب اليها في أيام الشباب . ثم يخبر أنه أدّى أمانة ماسمع منه من رجوع أمام مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٧٥ ، وها هو ذا يؤدي الأمانة على نطاق أوسع ، من خلال مقالة ينشرها في مجلة ذائعة ، كي يعرف أكبر عدد من الناس أنّه قد رجع عن رأيه في بيئة الغزل والمجون خلال القرن الأول للهجرة ، لأن هذا الرأي في اعتقاد الأفغاني خطأ ، يقول : " ... لكنّي كنت أحب - كما كان (طه) قد سجل هذا الخطأ ، حتى أخذ به كثير من السطحيين - أن يسجّل رجوعه عنه في كتاب أو صحيفة ذائعة ، فذاك أحوط لبراءة ذمته ، وأقوم لحقّ العلم عليه " [٤]

وهنا ينبغي أن نتساءل : **هل نسلّم بموجب هذه الشهادة التي أدّاها الأفغاني بأن طه حسين قد رجع عن رأيه الأول ، الذي ذهب اليه عام ١٩٢٤ ؟؟**

---

(١) انظر حديث الأربعاء ، ص ١٧٩ ، جـ١ .

(٢) انظر المصدر نفسه ، ص ١٨٨ - ١٨٩ ، جـ١ .

(٣) سعيد الأفغاني " دعوة الى مراجعة كتابي : حديث الأربعاء وفي الشعر الجاهلي انصافا لطه حسين " ، ص ١٤٣ - مجلة العربي - العدد (٢١٨) .

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحق أنّنا لا نستطيع أن نسلّم برجوعه من الناحية العلمية ، ذلك أنّه بعد أن نشر الأفغاني مقالته بسنة واحدة ، ظهر كتاب جديد لطه حسين ، أشرف على اخراجه الدكتور شكري فيصل ، وهذا الكتاب هو " **تقليد وتجديد** " الذي نشر في عام ١٩٧٨ ، وهو في الأصل أحاديث اذاعية كان طه حسين قد أذاعها في الملأ في عام ١٩٥٥ [١] ، أي بعد زيارة الأفغاني له بثماني سنوات ، وقد عرض في بعض هذه الأحاديث لموضوع الغزل في الشعر الأموي مرة أخرى ، ولكن ليؤكد ماذهب اليه في المرة الأولى ، وهو أنّ بيئة الحجاز هي التي كانت خلال هذا العصر بيئة الغزل والغناء والترف والمجون [٢] ، يقول واصفا حياة الناس في البيئة الحجازية المترفة ، كما يشخّصها شعر ابن أبي ربيعة والأحوص والعرجي [٣] :" ... تصوّر حياة فارغة ، لا جدّ فيها ، ولكنها في الوقت نفسه حياة قد **عكف أصحابها على اللهو والعبث والمجون** في شيء من التحفظ والاحتياط ، رعاية لحقوق الدين ، ولأنّ العرب في ذلك الوقت ، لم يكن قد بعد عهدهم بالمحافظة العربية ، والوقار العربي القديم ، هذا النوع من التجديد (في الغزل) هو الذي أسمّيه تجديد المترفين " [٤] .

ونحسب أن **الرأي الوحيد الذي قد تحوّل طه حسين عنه قليلا** هو رأيه في الغزل العذري أو البدوي العفيف ، فهو كان قد ذهب في دراسته الاولى إلى أن هذا اللون من الغزل كان في " حقيقة الأمر مرآة صادقة لطموح أهل البادية الى المثل الأعلى في الحب من جهة ، ولبراءتها من ألوان الفساد ، التي كانت تغمر أهل مكة والمدينة من جهة أخرى " [٥] ، ولكنه حين عاد الى الموضوع بعد إحدى وثلاثين سنة ذهب الى أنّ هذا الغزل العفيف **كان في الحقيقة رمزيا** [٦] ، ذلك أنه " لا يصوّر حبا يائسا بالفعل ، وانما يصوّر اليأس العام ، اليأس من الوصول الى ماكان الأغنياء والمترفون يصلون اليه مصبحين وممسين ، وفي كل ساعة من ساعات الليل والنهار " [٧] . فجميل مثلا - بحسب رأيه - كان يتألم في غزله من فقره ، وحرمانه ، **ويطمح الى هذا الثراء** والترف الذي شاع في بيئة الحجاز ، واذن " فجميل عندما كان يتغزّل بصاحبته (بثينة) لم يكن يفكر في بثينة ، بقدر ماكان يفكّر في هذا الترف الكثير الذي كان يراه من حوله ، والذي لم يكن له فيه حظ أو نصيب " [٨]

---

(١) انظر كتاب " تقليد وتجديد " ، ص ٥ ، ص ١٧.

(٢) انظر المصدر نفسه ، الصفحات : ٢٨ - ٢٩ ، ٣٢ - ٣٤ ، ٤٨.

(٣) انظر المصدر نفسه ، ص ٢٩ - ٣٠.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٠.

(٥) حديث الاربعاء ، ص ١٩٠ ، ج٢.

(٦) وقد مرّ بنا في حديثه عن جرير أنه يرى غزله رمزيا أيضا .

(٧) طه حسين ، " تقليد وتجديد " ، ص ٣١.

(٨) المصدر نفسه ، ص ٣٠ ، وانظر ص ٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا فقد ظلّ طه حسين في عام ١٩٥٥ يردّد القول : **إن بيئة الحجاز كانت بيئة غزل وترف** وغناء ومجون في العصر الأموي ، كما ردّده أول مرة في عام ١٩٢٤ [١] ، ولو أنه عنى حقا ماقاله لسعيد الافغاني في عام ١٩٤٧ ، لكانت عودته الى الموضوع بعد ثماني سنوات فرصة حقيقية كافية لإذاعة تراجعه ؛ ذلك أنه لم تكن تعوزه الجراءة ولا الحماسة ولا العقيدة الصلبة في الرجوع الى مايعتقد أنّه حق [٢] .

واذن فنحن مضطرون في هذا البحث الى أن نعتدّ رأيه في القضية قد ظل ثابتا على الأيام ، ذلك أننا في ميدان الدراسة العلمية ينبغي ألاّ نأخذ بكلام شفوي يقوله الناقد جادا أو هازلا في أحد مجالسه الخاصة ، ولكن ينبغي أن نأخذ برأيه المسؤول الذي يتوجّه به مباشرة الى الملأ أو الى الجمهور ، وذلك من خلال القول المطبوع ، أو الكلام المسموع .

xxxxxxxxxxx
xxxxxxxxx
xxxxxxx
xxxxx
xxx
x

---

(١) قابل بين ماجاء في كتابه " حديث الأربعاء " ص ١٨٩ ـ ١٩٠ ، الجزء الأول ، وما جاء في " تقليد وتجديد " ، ص ٢٨ ـ ٣١ ، ص ٤٨.

(٢) كان طه حسين إذا وقع في وهم أو خطأ علمي لا يتحرّج من أن يعترف به أمام قارئه (انظر مثال ذلك في حديث الأربعاء ، ص ٢١ ، الجزء الثالث) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يُلاحَظ أن طه حسين قد أولى الأدب العباسي عناية كبيرة في نقده الأدبي ، ويمكن أن نقسم دراساته في هذا الأدب قسمين أساسيين : **الأول** يتعلق بالبيان وبالنثر الفني ، الذي بدأ يظهر في هذا العصر ظهورا قويا ، وفيه يتناول عددا قليلا من الناثرين والبيانيين خلال العصر العباسي . **وأما القسم الثاني** فيتناول فيه طائفة كبيرة من الشعراء المشهورين في الغالب ، خلال حقبة طويلة .

(١)
" جهده في دراسة النثر والبيان "

أ ـ دراسة النثر :

ثمة سؤال يستوقف طه حسين في أثناء دراسته النثر العباسي ، وهو **أيهما أسبق الى الوجود في الأدب العربي الشعر أم النثر ؟**

ونلاحظ أنه حين يناقش السؤال ، ويحاول الإجابة عنه يعود فيكرر ماكان قد ذهب إليه خلال دراسته الأولى في الأدب الجاهلي ، وهو أنّ النقاد العرب القدامى لم يوفّقوا إذ ظنوا أن النثر أسبق الى الوجود من الشعر ، ذلك أن المقصود بالنثر في السؤال هو **النثر الأدبي أو الفني**، وليس الكلام العادي ، فهذا النثر إذن " متأخر ، حديث العهد بالقياس الى الشعر ، وهو لا يظهر ولا يقوى عادة إلاّ حين تظهر في الجماعة وتقوى هذه الملكة المفكرة التي نسميها العقل ، وحين تظهر وتشيع هذه الظاهرة الاجتماعية التي نسميها الكتابة "[(١)] . وهو يرى أن هذه القوة المفكرة تظهر أولا في الشعر ، حين يضيق العقل الراقي خلال تفكيره وتطوره الحر بقيود الوزن والقافية ، فينزع عندئذ الى التعبير عن أغراضه وحاجاته الى النثر العادي ، ثم يأخذ هذا النثر يرقى " حتى ينشأ له فن جديد، ليس شعرا، وليس لغة تخاطب ، وانّما هو شيء وسط بينهما ، ويقوى هذا الفن شيئا فشيئا ، بمقدار مايقوى العقل ويرقى ، حتى يتم تكوينه ، فإذا هو لغة التاريخ والفلسفة والدين واذا هو مظهر من المظاهر الأدبية الخالصة "[(٢)] .

وسبق الشعر للنثر الفني ليس مقصورا على العرب في أدبهم ، وانّما هو عامّ في **آداب الأمم الراقية** جميعها ، ذلك أنّ الأمم التي لها أدب قبل أن تعبّر عن عواطفها وميولها

---

(١) في الأدب الجاهلي ، ص ٣٢٧.
وانظر في قضية الكتابة النثرية وانتشارها خلال العصر الجاهلي كتاب " مصادر الشعر الجاهلي " للدكتور ناصر الدين الاسد ، ص ٢٣ ـ ٥٨.

(٢) في الأدب الجاهلي ، ص ٣٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالنثر عبّرت عن هذا كلّه بالشعر ، وكان الشعر هو لسانها الأدبي ، فلمّا تطوّرت هذه الأمم ، وارتقى عقلها من الناحية السياسية والاجتماعية ، واتصلت بغيرها " نشأ عن ذلك أن وجدت فيها أفكار وآراء لم توجد عندها من قبل ، واحتاجت أن تنظّم هذه الأفكار والآراء وأن تصوّرها وتعلنها ، فعجز الشعر عن أن يعبّر عنها واضطرت أن تعبّر عن هذه الحاجات بأوسع من الشعر، فعبّرت عنها بالنثر " (١).

وهو يقدّم **الأمة اليونانية** مثالا واضحا لما يقول ، فهي أوّلا أمة شاعرة ، أنشأت الشعر القصصي ثم الغنائي ، ثم التمثيلي ، ولم ينشأ النثر عندها إلاّ في وقت الاضطراب السياسي ، وتغيّر نظم الحكم ، والتغيّر الاجتماعي ، في وقت اشتد فيه اتصالها بالأمم الأخرى ممّا أدّى الى نشوء أفكار جديدة ، منها السياسي ، ومنها الفلسفي ، ومنها الديني ، وقد اضطرتها هذه الأفكار الى التعبير عنها ، فعجز الشعر ، ونشأ النثر ، ومثل هذه نجده عند الأمة الرومانية أيضا (٢).

كذلك يكرّر طه حسين في حديثه عن النثر العربي عامة ماكان قد ألمح اليه في دراسة الشعر الجاهلي ، وهو أنّه كان **للمضريين** نثر ماقبيل الإسلام ، لأنه كان لهم حظ لا بأس به من الحضارة في مكة والطائف والمدينة ، **ولكنّ هذا النثر قد ضاع** ، لأنه " لم يصل الينا منه شيء بطريقة علمية قاطعة مرجوحة " (٣). ولكن يُلاحَظ أنه عندما عاد الى الموضوع ثانية بعد أربع سنوات ، علّل ضياع النثر المضري الجاهلي بقوله : " ... **لم يصل الينا لضعف الذاكرة ، وخلوّه من الوزن** " (٤)، بيد أنه يرى مع ذلك أنّ من السهل أن نتصوّر خطابة العصر الجاهلي تصوّرا مقاربا ، حين نقرأ كتب السير وما فيها من خطابة وأحاديث ، فهذه الخطب والأحاديث " تعطينا فكرة عن النثر الجاهلي " (٥).

وأمّا القرآن الكريم فطه حسين يرى أنّه لا يمكن أن يعدّ نثرا ، أو شعرا ، **وانما هو قرآن ليس غير** ، يقول : " ... لسنا نستطيع أن نقول : إنّه نثر ، كما نصّ هو على أنه ليس شعرا " (٦)، أمّا أنّه ليس شعرا فلأنه لم يتقيّد بقيود الشعر ، وأمّا أنه ليس نثرا ، فلأنه مقيّد بقيود خاصة به ، لا توجد في غيره ، " وهي هذه القيود ، التي يتصل بعضها بأواخر الآيات،

---

(١) من حديث الشعر والنثر ، ص ٢٣.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣.
(٣) في الأدب الجاهلي ، ص ٣٢٩.
(٤) من حديث الشعر والنثر ، ص ٢٥.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٦.
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعضها بتلك النغمة الموسيقية الخاصة " [١] .

وهكذا يخلص الى أنّ النثر العربي الفني لم يظهر إلاّ بعد منتصف القرن الأول للهجرة ، وكان لليونان والفرس خاصة أثرهما القوي فيه [٢] .

الأثر الفارسي ومخالفة المستشرقين :

على أنه يخالف المستشرقين ، الذين يرون أنّ تأثير الفرس أقوى من تأثير اليونان في النثر العربي ، مستدلّين على هذا بأن أكثر الكتاب في العصر الأموي والعصر العباسي كانوا من الفرس ، يقول : " ... ولكنّ هناك قوما آخرين - وأنا من هؤلاء - **يفكّرون في أنّ التأثير اليوناني أقوى من التأثير الفارسي** ، على الرغم من أنّ أكثر الكتاب من الفرس " [٣] ، بل إنه يذهب الى أنّ البلاد الفارسية نفسها لم تسلم من تأثير الثقافة اليونانية ، وذلك منذ عهد البطالسة في مصر ، والسلوقيين في آسيا ، فقد أخذت الثقافة اليونانية تنتشر في بلاد الفرس ، حتى وصلت الى أقصى الشرق ، ثم قويت الصلة بين اليونان والفرس في عهد الامبراطورية الرومانية ، وحين ظهرت المسيحية وانتشرت " وأغلقت المعابد الوثنية ، وهاجرت الثقافة اليونانية الى بلاد الفرس ، وجدت منها حماية ونصرا ، ولقيت من ملوك الفرس كل تعضيد " [٤] ، وهو يرى أنّ ابن المقفع الفارسي " كان عظيم الحظ من الثقافة اليونانية حتى قيل : إنّه ترجم آثار اليونان " [٥] .

ثم يخلص أخيرا من ذلك كلّه **الى أن آثار الآداب الفارسية لم تكن عظيمة الخطر ، لأنها** تكاد " تنحصر في كتاب كليلة ودمنة وكتاب الأدب الكبير ، وكتاب الأدب الصغير ، والحِكَم التي يشتمل عليها شعر بعض الشعراء كأبي العتاهية ، وبعض الكتب السياسية " [٦] ، ولذا يقرّر أن الفرس أخذوا من العرب أكثر مما أعطوهم ، وحجّته في هذا أنّ الأدب الفارسيّ الحيّ لم يظهر إلاّ بعد اتصالهم بالعرب ، على أنّ طه حسين **لم يقصد التقليل من تأثير الفرس عامة ، وانما قصد تأثيرهم الأدبي خاصة** ، ذلك أنّه يقرّ بتأثير الفرس الكبير في مناحي الحياة الأخرى ، يقول : " ... من غير شك أنّ العرب مدينون للفرس بالكثير من الماديات ، والنظم السياسية وغيرها ،

---

(١) من حديث الشعر والنثر ، ص ٢٥.
(٢) انظر المصدر نفسه ، ص ٢٧ - ٢٨.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٩.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٩.
(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما في الأدب السعربي فأنا مقتصد جدا في تقدير هذا الدّين ، وفي رأيي أنّ العرب مدينة في أدبها للأمة اليونانية بشيء غير قليل " (١).

رأيه في ظهور النثر وتطوره :

وهو يذهب الى أنّ **النثر الفني** في الأدب العربي قد ظهر حقا في **أول القرن الثاني للهجرة** ، لأنه نجم عن تطور الحياة العقلية في المجتمع العربي الاسلامي ؛ إذ " بينما كان القصّاص يتحدثون الى الناس ، كان المتكلمون والفلاسفة ورؤساء الفرق السياسية يتناظرون ويتجادلون في الكوفة ومسجد البصرة ، يؤيد كل منهم مذهبه السياسي باللسان بعد أن كان يؤيده بالسيف " (٢).

ومنذ ظهور الدولة العباسية أخذ سلطان النثر يمتد شيئا فشيئا ، واتسعت موضوعاته الى أكثر مما كانت عليه في آخر العصر الأموي ، وقد تجلّى هذا في ظهور ناثرين ممتازين اثنين خلال هذه الحقبة : الأول **عبدالحميد بن يحيى** والثاني **ابن المقفع** .

أمّا عبدالحميد فيرجّح طه حسين أنه " كان شديد الاتصال بالثقافة اليونانية ، وربما كان عالما بلغتها " (٣)، والذي يحمله على هذا الترجيح أو الظن أنّه يلحظ في ماوصل من كتاباته خاصة لغوية فنية ، وهي أنّه **يسرف في استعمال " الحال " ولا يقتصد فيها** " وانما هو يعتمد عليها في تحديد فكرته وتوضيحها ، وتقييدها ، وتجميل الكلام ، واظهار الموسيقى " (٤)، ثمّ يعزّز مايذهب اليه باثبات نص لعبدالحميد من إحدى رسائله إلى ولي العهد ابن مروان بن محمد (٥)، وذلك كي يقول : إنّ " **استعمال الحال على هذا النحو من خصائص اللغة اليونانية** ، التي يعتمد عليها اليونان في تحديد معانيهم ، ... هذه الظاهرة عند عبدالحميد تقوّي عندي أنه كان شديد الاتصال باليونانية ؛ ذلك لأنّ مدارس الأدب اليوناني كانت منبثّة في الشرق كلّه في الاسكندرية وغزة ، وأنطاكية والشام والجزيرة ، وظلت كذلك حتى العصر العباسي " (٦) ؛ ولذا فهو لا يستبعد أن يكون عبدالحميد قد اتصل باليونان في مدارسهم بالجزيرة أو الشام ، والذي يقوّي هذا الاعتقاد لديه تقسيم الرسالة عند عبدالحميد ، وأنها تتضمن معاني يظهر فيها

---

(١) من حديث الشعر والنثر ، ص ٣٠.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٥.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٢.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٢ ـ ٤٣.
(٥) انظر النص الذي أورده في المصدر نفسه ، ص ٤٢ ـ ٤٣.
(٦) المصدر نفسه ، ص ٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تأثير الثقافة اليونانية ، وذلك حين يعرض الكاتب فيها لتقييم الجيش ، مما يدفع طه حسين الى القول : " فنظام الجيش هذا ما أشك في أنه **متأثر فيه برسائل الحرب عند اليونان** " [١] .

وأما ابن المقفع فيرى طه حسين أنه متأثر بالثقافتين : الفارسية واليونانية معا ، ويبدو هذا في كتابه " الأدب الكبير " فالباب الأول منه تظهر " فيه المعاني الفارسية ، لأنه لا يذكر إلاّ صفات الملوك المستبدين ، الذين يمكرون ويمكر الناس بهم ، فأخلاق ملوك الفرس والشرق بوجه عام ظاهرة في هذا الباب " [٢] ، على حين أنّ الباب الثاني تظهر فيه الثقافة اليونانية " ففيه مايوصي به الفلاسفة من الأمة اليونانية من حسن العلاقة بين الناس ، والتأدب في معاملة الأصدقاء " [٣] ، ويذهب طه حسين الى أن أمثال كتب " الأدب الكبير " و " الأدب الصغير " و " اليتيمة " ، " **كانت منتشرة في العهد اليوناني مند عصر الاسكندر ، وترجم للعرب منها الكثير أيام العباسيين** [٤] .

وحين **يوازن بين فصاحة عبدالحميد وابن المقفع** ، اللذين يعدّهما عنوانا للكتابة الفنية في تلك الحقبة ، يخلص الى أنّ **لغة عبدالحميد ممتازة** " وربما لم يوجد كاتب يعدل عبدالحميد فصاحة لفظ ، وبلاغة معنى ، واستقامة أسلوب ، فهو أحسن من كتب العربية ، ومرّنها ، وأقدرها على أن تتناول المعاني المختلفة وتؤديها ، وربما كان عبدالحميد الأستاذ المباشر للكتاب المترسلين وللجاحظ خاصة " [٥] . **وأما ابن المقفع** فلغته تبدو أحيانا جيدة في الأدب الكبير ، وفي كليلة ودمنة ، ولكنّ طه حسين يرى أنّه " عندما يتناول المعاني الخيّقة ، التي تحتاج الى الدقة في التعبير ، يضعف ، فيكلّف نفسه مشقة ، ويكلّف اللغة مشقة " [٦] . ويبدو هذا الضعف **اللغوي عند ابن المقفع جليا في كتاب الصحابة خاصة** ، وهو الكتاب الذى ينصح فيه لأبي جعفر المنصور ، كما يبدو في مواضع من كتاب **الأدب الكبير** [٧] ، لكنه يلتمس العذر لا بن المقفع في هذا الضعف ، لأنه كان يكتب في أول عهد النثر الفني بالوجود ، فليس بالغريب ألاّ يستقيم له النثر ، كما كان يستقيم لعبدالحميد ، وقد عانى بعض كتاب اليونان من مثل ماعانى منه ابن المقفع في بداية ظهور النثر اليوناني الفني ، إذ اضطروا الى تأدية معان لم يتعودوا أداءها من

---

(١) من حديث الشعر والنثر ، ص ٤٥.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٨.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٨.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٨.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٤٨ ـ ٤٩.
(٦) المصدر نفسه ، ص ٤٩.
(٧) عرض طه حسين لنصين : الأول من رسالة الصحابة ، والثاني من الأدب الكبير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قبل ، ولذا فهو يرى أن ليس عليه " حرج في أن تضطرب لغته ، وتستعصي عليه ، **وانما الحرج على الذين يريدون أن يتخذوا ابن المقفع مثلا** ، وآية للبلاغة دون إمعان أو رويّة " [١] ، واذن على هؤلاء أن يحتاطوا عندما يريدون أن يتخذوا من تعبير ابن المقفع نموذجا للتعبير والبلاغة .

وأمّا النثر الفني في القرن الثالث للهجرة فيرى أنّه ازدهر ازدهارا كبيرا ، حتى تفوّق على الشعر لأول مرة ، ذلك أنّ الشعراء النابهين في القرن الثالث كانوا قليلين جدا ، وأصبح الذين يفرضون أنفسهم على الناس فرضا لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة ، فيظهر في أوله أبو تمام والبحتري ، ثم يظهر في آخره ابن المعتز وابن الرومي " [٢] ، على حين أنّ **الكتاب تكاثر عددهم بالقياس الى القرن الثاني** ، فظهر منهم في قصر المأمون وحده **عمرو بن مسعدة ، وأحمد بن يوسف ، والحسن بن وهب ، وسليمان بن وهب وسهل بن هارون** ، كما ظهر منهم عدد لم يعمل في الدواوين ، وقصر نفسه على الكتابة ، والذي يدلّ على أنّ حركة التأليف النثري قد ازدهرت في هذا القرن أن بعض الشعراء أخذوا يؤلفون الكتب ، إذ نرى أبا تمام يؤلف ، والبحتري يؤلف ، وابن المعتز يضع كتابه في البديع [٣] .

أما أبرز ناثر في هذا القرن فهو **الجاحظ** ، وهو يذهب الى أنّ البيان العربي قد ارتقى على يديه حتى إنه تفوّق على الشعر لأول مرة ، وخير مثال على هذا التفوّق رسالته " **التربيع والتدوير** " [٤] ، فهو يعمد الى اختيار نصوص منها ، ليقول بعد أن يعرضها ، ويطلب تأملها : " ونحن نستطيع أن نقرأ هجاء جرير وهجاء الفرزدق وهجاء الأخطل ، فلن نجد فيه شيئا يصحّ أن يقاس بهذا ، الذي نجده في كتاب الجاحظ " [٥] ، كما يستدلّ على أن الجاحظ قد تفوّق بنثره على الشعر بكتابه " **البخلاء** " أيضا ، ثم يورد منه " قصة الكندي " [٦] مثالا لما يقول .

---

(١) من حديث الشعر والنثر ، ص ٥٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٤ ،
ولابن المعتز - فضلا عن كتاب البديع - رسالة في نقد أبي تمام ، وكتاب " طبقات الشعراء " (انظر جهده النثري النقدي في كتاب " تاريخ النقد الأدبي عند العرب " للدكتور إحسان عباس ، ص ١١٥ - ١٢٣) .

(٤) وهي رسالة أنشأها الجاحظ في أحد خصومه ، ويدعى أحمد بن عبدالوهاب ، وفيها يسخر منه بأسلوب فني بديع ، يبتعد كل البعد عن المباشرة والتجريح ، انظر ص ١٤ مثالا لهذا في الرسالة (تحقيق شارل بلا - نشر المعهد الفرنسي ، دمشق ، ١٩٥٥) .

(٥) من حديث الشعر والنثر ، ص ٥٦ .

(٦) انظر هذه الحكاية في المصدر نفسه ، ص ٦٧ - ٦٩ ، وفي كتاب البخلاء ، ص ٥٨ (دار القلم بيروت (د.ت)) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو معجب جدا بالكتاب عامة ، حتى إنه لا يتردّد في القول عنه : " ... يحق للعربية أن تفاخر به ، ... وقيمة هذا الكتاب لا أدري : أهي في الجمال اللفظي واستقامة المعنى ، أم في خصب المعاني ، أم في هذا التصوير الدقيق ، الذي لا يقاس اليه تصوير ، تصوير حياة البصرة و" بغداد في عصر الجاحظ " [١] .

ثم يخلص أخيرا من دراسته في النثر الفني خلال هذه الحقبة إلى أنّ ثمة **طريقتين في الكتابة قد ظهرتا في القرنين : الثاني والثالث : الأولى** طريقة المتكلمين وأصحاب الفلسفة عامة ، والمعتزلة خاصة ، ومن زعمائهم الجاحظ والنظّام ، وكتّاب هذه الطريقة أصحاب تفكير وعناية بالمعاني ، فهم متأثرون بالفلسفة اليونانية ... **والثانية** طريقة كتّاب لم يتصلوا بالفلسفة ، ولكنهم اتصلوا بالأدبين : العربي والفارسي ، كما اتصلوا بالحضارة الفارسية ، وهؤلاء هم أصحاب سجع وأصحاب بديع ، ومن خلال هذا التقسيم يلتمس طه حسين العلة في أنّ **أبا حيان التوحيدي** لم يلتفت كثيرا الى البديع والسجع في نثره ، مع أنه كان يعيش في القرن الرابع ، ذلك لأنه كان " من تلاميذ الجاحظ وأشد الناس تأثرا باليونان " [٢] ، على حين أنّ معاصريه **ابن العميد و الصاحب بن عباد** وأمثالهما " كانوا يلمّون بالثقافة اليونانية ، وكانوا حراصا على الثقافة الفارسية ، فكانوا أصحاب بديع وسجع " [٣] ، وهاتان الطريقتان السابقتان لا تقتصران على النثر الفني ، وانما توجدان أيضا **عند النقاد وأصحاب البيان** ، فثمة بيان قام على المنطق اليوناني ، كما يبدو عند قدامة بن جعفر ، على حين تبدو الطريقة الثانية في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري [٤] .

واذن فالنثر العربي خلال هذه الحقبة يمكن أن ينحلّ الى **ثلاثة عناصر : أولها** مادة هذا النثر ، وهي العربية لغة القرآن ، **وثانيها** الفلسفة اليونانية والعلوم اليونانية ، **وثالثها** الفن الفارسي ، لكنه يرى مع ذلك أنّ " هذه الأشياء الغريبة ، التي يناقض بعضها بعضا قد اجتمعت وائتلفت ، وتكوّن منها مزاج خاص ، **لا يصح بحال أن يقال : إنه يوناني ولا فارسي ، ولكنه عربي** " [٥] .

* * *

---

(١) من حديث الشعر والنثر ، ص ٠٦٦

(٢) المصدر نفسه ، ص ٠٧٩

(٣) المصدر نفسه ، ص ٠٧٩

(٤) المصدر نفسه ، ص ٠٧٩

(٥) المصدر نفسه ، ص ٠٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" عيـــوب الدراســة وأهميتهـــا "

لا ريب أن **جهد طه حسين في دراسة النثر العربي القديم قليل** بالقياس الى جهـــده فـــي دراسة الشعر ، والحق أنّ هذا الجهد ليس دراسة بالمعنى الدقيق ، الذي نجده لدى طه حسين في دراساته التي قصد بها الى النشر ، وانّما هو في الغالب **محاضرات عامة** ، كان قد ألقاها في مطلـع الثلاثينيات من هذا القرن (١) ، ولذا فهو لا يعرض فيها إلاّ لحقبة محدّدة ، تكاد لا تتجاوز القـرن الرابع ، كما أنه فيها لا يتناول إلاّ عددا قليلا من الناثرين المشهورين ، فهو حين عرض للقرنيـن الثاني والثالث مثلا رأيناه قد تناول ثلاثة كتّاب مشهورين فحسب ، وهم : عبدالحميد وابن المقفع والجاحظ ، على حين لم يأت على ذكر بعض الكتاب ، الذين لهم أيضا أهميتهم في تطـور النثـر الفني ، خلال تلك الحقبة ، من أمثال : **سهل بن هارون** ، صاحب كتابي " ثعلة وعفـــرة " و " النمر والثعلب " (٢) ، والذي يُعد أبرز تلاميذ ابن المقفع (٣) ، حتى إنّ ابن النديم يقول عـن كتابه " ثعلة وعفرة " إنّه وضعه " على مثال كليلة ودمنة " (٤) . فسهل بن هارون إذن يحتـل مكانة فريدة في تاريخ النثر العربي ، حتى ذهب بعض الدارسين الى أنّه البذرة التي أنبتت الجاحظ (٥) .

ولكن على الرغم من أنّه عرض للنثر العربي القديم في إيجاز ، خلال حقبة محدّدة ، وأنـــه تناول عددا قليلا من الكتاب ، فإنّ هذا التناول **يبقى له خطره** ، دون ريب ، ذلك أن طه حســين يبثّ خلاله خلاصة آرائه في النثر العربي القديم ، ويقدّم رؤيته الخاصة له من حيث نشأته وتطوره ، وتأثره ، وأساليبه ، ولا شكّ أنّ مما يضفي على هذا التناول الموجز أهمية بالغة أن ثقافة طـــه حسين اليونانية واللاتينية تتمثّل فيه أحسن تمثّل ، حتى إنّ قارئه أو سامعه ليشـــعر أنـــه

---

(١) ألقى محاضرتين منها في الجمعية الجغرافية في ديسمبر من عام ١٩٣٠ ، وألقى أخـــرى فـــي حديقة الأزبكية في عام ١٩٣١ .
(انظر كتابه " من حديث الشعر والنثر " ، ص ٢١ ، ص ٣٤ ، ص ٥٢) .

(٢) وهما كتابان وضعهما سهل بن هارون على ألسنة الحيوانات ويتضمنان حكايات على نحو مانجد في كليلة ودمنة ، أما سهل فقد ولد قبيل منتصف القرن الثاني للهجرة ، وتوفي سنة ٢١٥هـ .
(انظر " معجم الأدباء " لياقوت الحموي ، الجزء ١١ ، ص ٢٦٨) .

(٣) انظر كتاب " الحياة الأدبية في البصرة " للدكتور أحمد كمال زكي ، ص ١٩٨ (دار المعـارف بمصر ـ القاهرة ـ ١٩٧١) .

(٤) الفهرست ، ص ٣٤ ، الجزء الثامن ـ تحقيق رضا ـ تجدّد .

(٥) د. عبدالحكيم بلبع " النثر الفني وأثر الجاحظ فيه " ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ ، الطبعة الثالثـــة ، (الناشر مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ١٩٧٥) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يلحّ كثيرا في إبراز الأثر اليوناني في نشأة النثر العربي وتطوره ، وفي التقليل من الأثر الفارسي شيئا ما ، وهو مايذكّر بالرأي الذي خلص اليه محمد عبدالغني حسن إذ درس أثر الثقافة اليونانية في أدبه ، فقد خلص الى القول : إنه " ... كان مغاليا في انحيازه لهذه الثقافة ، وتعصّبه لها ، ممّا أثار عليه مخالفين كثيرين ، وفتح عليه أبوابا من النقد "(١) . والحقّ أن طه حسين في أدبه ونقده يبدو بعيدا كل البعد عن الانحياز والتعصّب للثقافة اليونانية ، على أنّ هذا لا ينفي في الوقت نفسه أنه كان شديد الإعجاب بهذه الثقافة ، مقدّرا لها أحسن تقدير ، ولكنّ إعجاب الكاتب المستنير بثقافة من الثقافات لا يعني دائما ، أنه ينحاز اليها انحيازا ، أو أنه يتعصّب لها تعصبا أعمى ؛ ولقد كان طه حسين ينفي عن نفسه هذه التهمة نفيا قاطعا ، ويردّد أنه في ميدان الدراسة والنقد لا يتعصب أو ينحاز إلى أية ثقافة من الثقافات ، ولا يستثني منها الثقافة العربية القديمة ، التي يعجب بها ويقدّرها حقّ قدرها ، بل لقد كان يعيد تهمة التعصب والانحياز في ميدان الدراسة النقدية الى **منتقديه من المحافظين ، ويوجّهها اليهم متّهما إياهم بالتعصّب الأعمى للتاريخ الاسلامي وللثقافة الإسلامية** ، حتى إنّ هذا التعصب ليدفعهم الى أن يسبغوا " على القديم العربي على اختلاف مناحيه الثقافية والتاريخية " صفة من الجلال والتقديس الديني ، أو الذي يشبه الديني ، تحول بين العقل وبين النظر فيه نظرا يعتمد على النقد والبحث العلمي الصحيح "(٢) ، ذلك أنّ هؤلاء المتعصبين للثقافة العربية وأعلامها ، يتخذون من أسلوب التنزيه والتقديس " قاعدة من قواعد البحث ، ومقياسا من مقاييس النقد "(٣) . وسنرى أن إعجابه بالثقافة اليونانية لايقلّل شيئا من إعجابه الشديد بالثقافة العربية الإسلامية .

ومن وجهة أخرى يُلاحَظ أن ثمة شيئا من الركاكة تعتور أحيانا الصياغة اللغوية في هذه المحاضرات التي يتناول طه حسين فيها النثر القديم ، ولا ريب أن البصير بمقدرته اللغوية ، والمتمرّس بأسلوبه الرفيع في فصاحته - لينكر أن يكون هو مصدر هذه الركاكة(٤) . وهو لا شك

---

(١) ثقافة اليونان والرومان وأثرها في طه حسين ، ص ٨٠.
(والبحث فصل من كتاب مشترك بعنوان " طه حسين وقضية الشعر " ، الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥).

(٢) حديث الأربعاء ، ص ٦٣ ، الجزء الثاني .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٣.

(٤) وتتبدّى هذه الركاكة من خلال الصياغة في بعض العبارات ، نحو القول : " لم تكن تزيد عن أن تكون تعبيرا " والوجه القول : " وتزيد على " ، ونحو القول " رغم أن كثرة الكتاب " والوجه " على الرغم من " أو " برغم " كقول عمر بن أبي ربيعة " برغمي لو قد وجدت سبيلا " وقول أبي نواس " برغم بوّاب وحجاب " ، أو كقول المتنبي " برغم شبيب فارق السيف كفه " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يردّهـــا الى ماذهب إليـــه في مقدمـة الكتاب الذي جمعت فيه ، وهـــو أنّ **طلابه هم الذيـن قيّـدوا هذه المحاضـرات** في أثناء القائهـــا ، ثم أذاعوهـا ، **بعد أن تدخّـلوا شـــيئا ما في صياغتهـــا** (١) .

وأمّا هذا الرأي الذي أذاعـــه في أدب الجاحظ عام ١٩٣١ ، والذي ذهب فيـــه الـــى أن الجاحظ " تناول في كتبه أغلب الفنـــون التي تناولها الشعراء ، وتفوّق عليهم ، وأتى بما لـــم يوفّق الشعراء في جميع عصورهم الى أن يؤدوه " (٢) ، فهو دون ريب **امتداد لـرأي قديـــم ، رأيناه يذهب اليه في عام ١٩٢٤** ، إذ ردّد في إحدى دراساته للشعر الأموي أن **عمر بن أبي ربيعـــة** يشخّص من خلال شـعره بيئة الحجاز في عصره ، وأن **شـعر أبي نواس** يشخص الحيـــــاة العباسية في زمن الرشـيد ، وأما الحياة العباسية في القرن الثالث للهجرة فلا يشخّصها شـــعر أبي تمام ولا شـعر البحتري ، بل لا يشـخصها شاعر **وانما يشخصها ناثر تفوّق عـلى الشـعراء، وهو الجاحـظ** ،" لأنه الكاتب الوحيـــد الذى انتهت اليه كلّ الخـلال ، كما ظهرت فيه كـــل النقائـــص ، التي كان يتأثر بهـــا العقل البغـــدادي في ذلك العصر ، والتي جاءته من قـوة الحياة الأدبية والفلـــفية معا " (٣) .

ولا ريب أنّ طه حسين كان موفّقا حين اختار موضـــوع الهجاء ورسالة التربيع والتدويـر خاصة ، ليثبت أن الجاحظ قد تفوّق في نثره على شـعر الشعراء في عصره ، ذلك أن الرســالة - فضلا عن أسلوبها الأدبي الرفيـع - تنتهج أيضا أسلوبا فنيا فريدا من السخرية من الخصـــم ، والتندّر به ، ويرى **الدكتور شوقي ضيف** أنّ الجاحظ قد استعان فيها بثقافته اليونانيـــــة ، إذ بنى الحكايـــة فيها على فكرة اســـتعارها " **من فكرة الأوساط اليونانية** المعروفـــة فـــي الأخلاق ، لكن بعد أن حوّرها وعدّلها " (٤) .

والحق أننا حين نعود الى حياة الجاحظ وعصره ، نجد فيهما مايعزّز هذا الرأي الـــذي يذهب اليه طه حسين ، فقد **أقرّ بعـض الشعراء لنثر الجاحظ بالتفوق على شعرهم** ، ومـــن ذلك ما أورده ياقوت الحموي عن الشاعر **أبي هَفّـان** ، فقد قيل له : " ... لم لا تهجو الجاحـظ ،

---

(١) من حديث الشعر والنثر ، ص ٠٣

(٢) المصدر نفسه ، ص ٠٥٦

(٣) حـديث الأربعاء ، ص ٢٩٦ ، جـ١

(٤) الفن ومذاهبه في النثر العـــربي : ١١٤ ، ط ٢ ، منشـــورات مكتبة الاندلـــس ، بيروت ، ١٩٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد نـدّد بك ، وأخذ بمخنقك ؟ فقال : أمثلي يخدع عن عقله ، والله لو وضع رسـالة في أرنبة أنفي ، لما أمست إلاّ بالصيـن شهرة ، ولو قلت فيه ألف بيـت ، لما طنّ منها بيـت في ألـف سـنة " (١) .

ولكن إذا وافقنا طـه حسين في قوله عن تفوّق الجاحظ خاصـة على شـعراء عصـره ، فإنّ هذا لا يعـني أننا نوافقه في قوله عامة : إنّ النثر في القرن الثالث قد زاحـم الشـعر حتى سـبقه (٢) ، ذلك أن الجاحظ هو حالة متفردة من العبقرية ، من العسير أن تتكرّر فـي كل عصر ، أو أنّـه كما يقول **أبو حيان التوحيدي** : " هو واحد الدنيا " (٣) ، ولـذا فنحـن إذا ما اسـتثنيناه قد نتسـاءل أخيرا : **من هو الكاتب في القرن الثالث الذي يتـفوق نثـره الفني على شـعر أبي تمام أو على شـعر البحتري أو ابن الرومي مثلا** - إنْ جازت الموازنـة من الناحية النقديـة ؟

---

(١) معجـم الأدبـاء ، ص ٩٩ ، الجـزء ١٦ ، دار احيـاء التراث العربـي - بيـروت (د.ت) .

(٢) من حديث الشعر والنثر ، ص ٥٥.

(٣) أبو حيان التوحيدي : " مثالب الوزيرين " ، ص ٣١ ، تحقيق الدكتور ابراهيم الكيـلاني - دار الفكر - دمشق (د.ت) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب - دراســـة البيان العربي :

مع أنّ طه حسين يرى أن **شخصية الجاحظ** القوية تكاد تكون **معدومة** في كتاب **" البيـــان والتبيين "** فإنه يوافق البلاغيين القدامى الذين عدوه **مؤسس البيان العربي** ، ذلك أنه جمع في كتابه " البيان والتبيين " " طائفة من النصوص توضح توضيحا حسنا كيف كان العرب يتصـــورون البيان في القرن الثاني ، والنصف الأول من القرن الثالث ، وتعطينا صورة مجملة لنشأة البيـــان العربي ، إنْ لم تسمح لنا بتأريخ هذه النشأة " (١) .

والدارس في رأيه يستطيع أن يستخلص من كتاب الجاحظ **نتائج ثلاثا : أولهـا** أن العـــرب منذ نهاية العصر الجاهلي قد أخذوا يخضعون صناعة الكلام لنقد أولي ، ولكنه سـديد " لأنهـــم كانوا يعولون فيه على سلامة الذوق " (٢) . **وثانيها** أن العرب منذ القرن الثاني أخذوا يعنـــون بصناعة الكلام عناية شديدة ، وذلك لظهور الأحزاب السياسية من جهة ، ولظهور الحركـة الفكرية من جهة أخرى . **وثالثهـا** أن عمال الديوان وكتاب الخلفاء قد بدأوا يظهرون في هذا القـــرن أيضا ، وكان معظمهم من الأعاجم .

وقد تضافرت جهود المتكلمين والكتاب في القرن الثاني على تكوين البيان ، كما يصـــوره كتاب الجاحظ ، وهو يرى أن القول : إنّ هذا البيان عربي خالص **قول مبالغ فيـــه** (٣) ، لأن جُلّ المتكلمين والكتاب خلال هذه الحقبة ، كانوا من العجم ، كذلك يرى أن القول : **" إنـــه أعجمي وفّق بينه وبين اللغة العربية ، كما وفق من قبل بين البيان اليوناني واللغة اللاتينية قول غير مستقيم "** (٤) ، لأن طه حسين يرى أنّ العرب قد أسهموا فيه ، ولأن " الفوارق التـــي كانت بين لغة القرآن وبين اللغات الأعجمية ذوات الثقافة لذلك العهد كانت من الجســـامة بحيث يستحيل معها مجرد التوفيق بين اللغة العربية وبين أي بيان أعجمي واحدا كان أو أكثر " (٥) .

واذن يمكن القول : إن البيان العربي حتى منتصف القرن الثالث كان يقوم علـى ثلاثـة عناصر : **العنصر العربي** ، وهو قوي واضح ، **والعنصر الفارسي** ، ويميل الى البراعة في الظرف والكلام ، **والعنصر اليوناني** الذي يميل الى دقة المعاني وعلاقتها بالألفاظ (٦) ، كما يمكن القول : إن هـــذا

---

(١) طه حسين ، تمهيـــد في البيان العربي من الجاحظ الى عبدالقاهر ، ص ٣ - ٤ ، مقدمـــة كتاب نقد النثر لقدامة بن جعفر .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٠٤
(٣) المصدر نفسه ، ص ٠٦
(٤) المصدر نفسه ، ص ٠٧
(٥) المصدر نفسه ، ص ٠٧
(٦) المصدر نفسه ، ص ٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البيان حتى هذه الحقبة كان محدودا لكنه قيم، يتيح المجال للنقاد وعلماء البيان كي يحاولوا تطويره [١]، على أنه يرى أن السعي الى إنشاء بيان عربي منظم كان بطيئا ، ثقيل الخُطا ، بالقياس الى تطور النثر والشعر اللذين " تطورا تطورا سريعا جدا ، بحيث أصبح بينهما وبين عهدهما القديم بون شاسع ، وذلك بفضل ماكان للأعاجم الذين اشتغلوا بالعلوم والآداب من أثر نافع فيهما " [٢].

ويرى طه حسين أنه منذ منتصف القرن الثالث قد بدأ يظهر **بيانان : أحدهما** عربي محافظ غير متأثر بالفلسفة اليونانية ، **والثاني** متأثر بالبيان اليوناني ، وكان يتعرض لحملات المحافظين وهجومهم [٣].

رأيه في أثر أرسطو:

أما البيان العربي الثاني فقد تأثر في رأيه أرسطو خاصة ، وذلك من خلال كتابين من كتبه : الأول كتاب **" الخطابة "** ، الذي ترجمه **حنين بن اسحق** (ت : ٢٩٨) بعد وفاة الجاحظ،أو في النصف الثاني من القرن الثالث على الأرجح [٤]، وهو يلحظ أنه خلال هذه الحقبة قد وضع **ابن المعتز** كتاب **" البديع "** وهو كتاب تأثر " الفصل الثالث من كتاب **" الخطابة "** أو تأثر على وجه الدقة القسم الأول من الفصل الثالث ، **وهو الذي يبحث في العبارة** " [٥]. كما يلحظ أن البيانيين العرب عامة قد أفادوا أيضا من القسم الخاص بالعبارة ، مع أنهم هاجموا كتاب " الخطابة " .

وأما الكتاب الثاني فهوكتاب **" الشعر "** الذي ترجمه **متّى بن يونس** في القرن الرابع ، واذا كان طه حسين قد ذهب الى أن العرب القدامى لم يفهموا من كتاب " الخطابة " سوى قسم العبارة فإنه قد ذهب الى أنهم **لم يفهموا كتاب " الشعر " كله** ، وقد نجم من هذا أنهم لم يلحظوا أيّ فارق بين ماهو (شعر) وما هو (خطابة) ، " وكل مايفرق عندهم بين الشعر والنثر إنما هو الوزن والقافية ، ولما كان لهذين علم خاص هو العروض ، فقد أصبح النثر والشعر عندهم متساويي الحظ من (العبارة) ، فما يقولونه عن أحدهما يقولونه عن الآخر ، وقواعد

---

(١) تمهيد في البيان العربي ، ص ٠٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ٠٨.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٠١١.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٠١١.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٠١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البلاغة التي يطبقونها على النثر تنطبق عندهم على الشعر ، وانْ كان ثَمَّ فارق فهو في الواقع أمر تقديري "[١].

وأول الكتب النقدية التي ظهر فيها الأثر اليوناني واضحا هو كتاب " **نقد الشعر** " **لقدامة ابن جعفر** ، ومع هذا فطه حسين يرى أن قدامة لم يفهم كتاب أرسطو في الشعر ، ويستدل على هذا بأن من يقرأ كتابه لا يلمح فيه أي أثر لنظرية " **المحاكاة** " مثلا ، واذن إما أن قدامة لم يطلع على كتاب "الشعر"،لأنه لم يكن قد ترجم بعد الى العربية ، واما أنه اطلع على الأصل اليوناني ، أو على ترجمة سريانية له ، ولكنه لم يفهمه "[٢]، وأما كتاب " الخطابة " فيبدو له أن قدامة قد أحاط به ، ففهم **قسم العبارة** الخاص بالتشبيه والمجاز والمقابلة والفصول ، وانتفع من القسم المتصل بالأخلاق والانفعالات ، وذلك في كتابه " نقد الشعر " . ويُلاحِظ طه حسين أن قدامة بذل **مجهودا طريفا** في رد سائر الفنون الشعرية الى المديح والهجاء ، ليخضعها كلها **لنظرية أرسطو المتعلقة بالمنافرات**[٣] ، فالرثاء عنده مديح ، ولكنّ يلاحَظ أن الفعل فيه يكون ماضيا وليس مضارعا ، والشكوى ومعاتبة الأصدقاء نوع من الهجاء ، ولكنّ في شيء من الرفق ، والغزل والتشبيب بالنساء هما مديح ، ولكنّ الشاعر يختار من المعاني والألفاظ مايستعطف به المحبوب ويستميله ، وهنا يلاحِظ طه حسين " أثر النظرية التي تقول بوجوب الملاءمة بين الخطبة وبين حال المخاطب "[٤]، كما يلاحظ أن قدامة استغل **نظرية " الغلو "** الذي يجيزه **أرسطو للشعراء** ، ويعده ميزة لفحول الشعراء ، زاعما لأنصار الاعتدال أن ليس لهم أن يطلبوا الى الشاعر من حيث هو شاعر أن يتوخى الصدق ، أو أن يتقيد بالأخلاق[٥]، ومع أن أدباء العرب القدامى ونقادهم قد هاجموا القسم الفلسفي من كتاب قدامة فإنهم في رأيه استغلوا مايتصل منه بالبيان ، ويأتي في مقدمتهم **أبو هلال العسكري** في كتاب " الصناعتين "[٦].

أما كتاب " **نقد النثر** " فيشك طه حسين في صحة نسبته الى قدامة ، ومع هذا فهو يرى أنه يُظهِر سلطان الفلسفة اليونانية على البيان العربي في القرن الرابع[٧]، ويرى فيه تقليدا واعتمادا واضحين على كتاب **أرسطو** " **الشعر** " وافادة من كتابه " **الجدل** " أيضا ، ولذا يخلص من

---

(١) تمهيد في البيان العربي ، ص ١٦.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٨.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٨.
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٨.
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٩.
(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عرضه لفصوله الى أن قارىء " نقد النثر " يجد نفسه بإزاء بيان جديد كل الجدة ، لا يستمد حياته من الأدب العربي وخطابة أرسطو وشعره فحسب ، وانما يفيد من منطق أرسطو أيضا في كتابيه **" تحليل القياس "** [١] ، و **" الجدل "** [٢] . وهذا البيان الجديد " يقصد في حقيقة الأمر الى تكوين الخطيب والشاعر والكاتب ، وذلك بأن يجعل لكل منهم أولا فكرا مستقيما ، ثم لسانا ناطقا ، يحسن به التعبير عما يجول بخاطره ، ثم هو يهديه بعد ذلك الى خير أساليب الأداء والإلقاء " [٣] .

ومن جهة أخرى يرى طه حسين أن كتابي **أرسطو " الشعر " و " الخطابة "** لهما تأثير كبير ايضا في الفكر العربي أو الإسلامي ، فقد حللهما وشرحهما بعض الفلاسفة المسلمين من أمثال **ابن رشد وابن سينا ، أما ابن رشد** فهو في رأيه لم يفهم كتابَي أرسطو كليهما [٤] ، وأما ابن سينا فيرى أنه قد فهم كتاب " الخطابة " خاصة ، وحلله في كتاب **" الشفا "** تحليلا دقيقا وشديد القرب من الأصل [٥] ، ولكنه لم يفهم كتاب " الشعر " فَهْمَ كتاب الخطابة ، وانما فهم منه نظرية المحاكاة " وجاء بصورة صحيحة للصناعة الشعرية وللوسائل التي يتوسل بها في التغلب على الصعاب ، التي تعترض الشاعر [٦] .

ويرى طه حسين أن فضل ابن سينا يتجلّى في تعريبه لكتاب الخطابة ، إذ جعله في متناول الفكر العربي ، وبذلك هيّأ أسباب التوفيق بين **البيانين العربيين : المحافظ والمتأثر بالثقافة اليونانية** ، اللذين كانا قد عاشا متجاورين دون أن يتلاقيا أو يتآلفا [٧] حتى عصره ، وقد تحقق لأول مرة هذا التوفيق بين البيانين في القرن الخامس للهجرة على يد **عبدالقاهر الجرجاني** ، من خلال كتابيه **" أسرار البلاغة " و " دلائل الإعجاز "** ، ذلك أنه في **الكتاب الأول قد تأثر الفصل الذي عقده ابن سينا للعبارة ، إذ " فكر فيه كثيرا ، وحاول أن يدرسه دراسة** نقد وتمحيص " [٨] ، وأما في كتابه **" دلائل الإعجاز "** فقد انتهى به الدرس الى أن الجمال

---

(١) كتاب " أنالوطيقا " .
(٢) كتاب " طوبيقا " .
(٣) تمهيد في البيان العربي ، ص ٢٣ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٤ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٤ ، وانظر : ص ٢٥ - ٢٦ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٧ - ٢٨ .
(٧) المصدر نفسه : ٢٨ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأدبي ليس في اللفظ ولا هو في المعنى ، وانما هو في نظم الكلام ، أي في الأسلوب ، ثم خلص من دراسة الجملة الى وضع أساس " علم المعاني " (١) .

ويرى طه حسين أن عبدالقاهر قد بذل جهدا صادقا خصبا في التأليف بين قواعد النحو العربي وبين آراء أرسطو العامة في الجملة والأسلوب والفصول ، وأنه قد وفّق في هذا كل التوفيق ، لذا يقرر أنه " **إذا كان الجاحظ هو واضع أساس البيان العربي حقا ، فعبدالقاهر هو الذي رفع قواعده وأحكم بناءه** " (٢) .

ولكنه يلاحظ أن هذا البيان التوفيقي قد **آل بعد عبدالقاهر الى التقهقر والانحطاط** ، حتى فقد كل صفه أدبية له في القرن السابع .

وهكذا يخلص طه حسين من بحثه كله الى القول : إن البيان العربي قد سلك طريقا طويلة شاقة ، خلال مسيرته مابين القرنين : الثاني والخامس ، وأنه كان في أطواره كلها وثيق الصلة " بالفلسفة اليونانية أولا ، وبالبيان اليوناني أخيرا ، **واذن لايكون أرسطو المعلم الأول للمسلمين في الفلسفة وحدها ، ولكنه الى جانب ذلك معلمهم الأول في علم البيان** " (٣)

أهمية الدراسة وأثرها :

تكتسب دراسة طه حسين في البيان العربي أهميتها من كونها قد جاءت مبكرة رائدة، فهو قد وضعها أولا **بالفرنسية** ، ثم قام صديقه عبدالحميد عبادي بترجمتها الى العربية ، ونشرها في عام ١٩٣٣ وجعلها مقدمة لكتاب " نقد النثر " المنسوب الى قدامة بن جعفر (٤) .

والحق أنّ هذه الدراسة - على وجازتها - هي دراسة علمية موثقة ، تجلت فيها ثقافة طه حسين اليونانية ، وظهر فيها تعمقه في البيان العربي القديم ، وخلالها **استطاع أن يثبت إثباتا علميا مقنعا الأثر اليوناني عامة وأثر أرسطو خاصة في البيان العربي** ، على حين نجده في دراساته التي وضعها بالعربية لا يحاول ذلك ، وانما يأتي على ذكر هذا الأثر في تضاعيف دراساته ، وكأنه أمر مسلم به ، لا يحتاج منه الى إثبات أو دليل .

---

(١) تمهيد في البيان العربي ، ص ٣٠.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣١.
(٤) د. شكري عياد ، ترجمة كتاب الشعر لأرسطو ، هامش ، ص ١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد كان لهذه الدراسة العلمية الرائدة أثرها البالغ في دراسات مستفيضة تالية في الموضوع مثل دراسة **الدكتور شكري عياد** التي قام فيها بترجمة كتاب أرسطو **" الشعر "** ترجمة حديثة ، **ثم قابلها بترجمة متى بن يونس** القديمة ، التي حققها (١)، ثم عرض لتلخيص **ابن سينا** وشرحه لهذا الكتاب (٢) ، كما عرض لتلخيص **ابن رشد** وشرحه إياه أيضا (٣)، ثم تناول أثر الكتاب في البلاغة العربية والبلاغيين (٤)؛ إذ يلاحظ أنّ الدكتور شكري عياد قد حرص في البداية على الإقرار بأن دراسة طه حسين في البيان العربي قد كانت حافزا أساسيا دفعه الى القيام بدراسته ، ويبدو لنا مدى تأثره بها، وتقديره لها ، حين نجده يقول : **لا أنكر كم مرة رجعت اليها أستلهم واستهدي** ، بل لا أظنني - إنْ أنسأ الأجل - إلا راجعا إليها مرات لا تحصى (٥)، ولكن يلاحظ أنّ الدكتور **زكي نجيب محمود** قد ذهب في تقديمه لدراسة الدكتور عياد هذه الى القول : إن طه حسين رأى في دراسته البيان " أن الثقافة العربية لم تتأثر بهذا الكتاب (كتاب أرسطو : الشعر) ، لبعد مابين الشعر اليوناني والشعر العربي " (٦)، ويبدو أن الدكتور زكي نجيب قد اعتمد في ماقال عن طه حسين على الدكتور شكري عياد نفسه ، إذ ذكر أن الدراسات السابقة عامة " متفقة في إنكار قيام تأثير لكتاب الشعر في الثقافة العربية على الإطلاق " (٧)، ولكنه حين جاء الى طه حسين خاصة لفت الى قوله : إن كتاب الشعر لم يفهمه أحد ، والى تقريره بعد ذلك أن ابن سينا قد فهم نظرية المحاكاة ، كما فهم أصولا عامة قد تنطبق على الأدب العربي من بعض الوجوه (٨).

والحق أنّ طه حسين في دراسته **لم ينكر أثر كتاب الشعر في الثقافة العربية** ، وانما نلحظ أنه خلالها يوحي بأثر هذا الكتاب فيها ، وآية هذا أنّا نجده قد حاول تلمس هذا الأثر في كتاب **قدامة** " نقد الشعر " فلم يجده (٩)، ثم حاول لمسه في كتابه " نقد النثر " فوجده ، **إذ لاحظ أن فصوله** : الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر مثلا ليس فيها ابتكار ما ، وانما " هي في الواقع لا تخرج عن كونها مجرد تقليد للفصلين العشرين والحادي والعشرين من كتاب " الشعر " لأرسطو " (١٠)، ولقد قرّر أن مؤلف كتاب " نقد النثر " قد أفاد من كتب أرسطو المختلفة ،

---

(١) انظر : د٠ شكري عياد ، ترجمة كتاب الشعر لأرسطو ، ص ٢٨ ـ ٢٩٠

(٢) انظر المصدر نفسه ، ص ١٩٦٠

(٣) انظر المصدر نفسه ، ص ٢١٥٠

(٤) انظر المصدر نفسه ، ص ٢٢٥٠

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٠

(٦) المصدر نفسه ، ص (ك) من المقدمة ٠

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٢٥٠

(٨) المصدر نفسه ، ص ٢٢٥٠

(٩) تمهيد في البيان العربي ، ص ١٧٠

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٢١ ـ ٢٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن بينها كتاب الشعر [١] ، ومع أنه ذهب الى أن **ابن سينا** لم يفهم الكتاب كله ، فإنه قرّر في وضوح أنه فهم حق الفهم نظرية المحاكاة ، " وجاء بصورة صحيحة للصناعة الشعرية ،وللوسائل التي يتوسل بها في التغلب على الصعاب التي تعترض الشاعر " [٢] ، بل لقد لاحظ أن ابن سينا قد فهم من كتاب الشعر " كل مايمكن أن يفهمه شرقي يجهل الآداب اليونانية كلها : فهم أصولا عامة ، وأصولا قد تنطبق على الأدب العربي من بعض الوجوه " [٣] ، كما لاحظ أن تلخيص ابن سينا للكتاب قد أثر في من جاء بعده ، ويمكن أن نتحقق دون ريب من أن طه حسين قد ذهب في دراسته الى القول بأثر كتاب الشعر في الثقافة العربية ، إذ نجده ينص على هذا صراحة فيقول : " أريد أنّ أقف هنا وقفة يسيرة لأبين ماكان لكتابي " الخطابة " و " الشعر " **من أثر مباشر تام في الفكر العربي ، أو بعبارة أدق في الفكر الإسلامي** " [٤] ، واذن فهو متيقن من أثر كتاب الشعر هنا ، وكل مايريده أن يتوقف **ليبين هذا الأثر تبيينا** ، واذن فقول زكي نجيب محمود اعتمادا على تعميم الدكتور شكري عياد : إن طه حسين ينكر هذا الأثر هو قول يفتقر الى الدقة .

وعلى الرغم من أن طه حسين قد نشر دراسته مبكرا ، في وقت لم يتمكن فيه من أن يطلع على الترجمة العربية القديمة لكتاب الشعر ، فإنه استطاع من خلال احتياطه ، وتحرّجه العلمي، ومنهجه القويم أن يتجنب التورط في خطأ الأحكام النقدية ، ولذا أثبتت الدراسات التالية صحة أحكامه ، بل أجابت عن بعض التساؤلات التي سوّغ بها تردده في التعليل أحيانا ، ومثال ذلك أنه ذهب في دراسته الى أنّ ابن رشد لم يفهم كتاب الشعر ، وانما حرف معانيه ، ثم تساءل عن سبب هذا : أهو قصور من الفيلسوف القرطبي أم فساد في الترجمة التي اعتمد عليها ؟ " [٥] ولقد رجحت الدراسات المتعمقة التالية أن ابن رشد قد اعتمد على تلخيص الفارابي لكتاب الشعر، وأنه لم يعرف الكتاب من متّى بن يونس أو من ابن سينا [٦] ، كما خلصت الى أنه لم يتمكن من أن يفهم من الكتاب مايمكن لشرقي أن يفهمه منه ، نحو نظرية المحاكاة التي استطاع ابن سينا أن يفهمها حق الفهم ، بل إن السبب الأكبر في خطأ ابن رشد أنه لم يفهم معنى المحاكاة حين ظنها التشبيه " [٧]

---

(١) تمهيد في البيان العربي ، ص ٢٣.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧ ـ ٢٨.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٨.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٤.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٤.
(٦) انظر كتاب أرسطو طاليس في الشعر للدكتور شكري عياد ، ص ٢١٥ ـ ٢١٦.
وانظر أيضا " تاريخ النقد الأدبي عند العرب " للدكتور إحسان عباس ، ص ٥٢٢.
(٧) د.إحسان عباس : " تاريخ النقد الأدبي عند العرب " ، ص ٥٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واذا كان طه حسين قد ذهب الى أنّ ابن سينا لم يستطع أن يفهم من كتاب الشعر ماليس موجودا في الآداب العربية والإسلامية فقد أكدت الدراسات التالية هذا ، حتى إن الدكتور إحسان عباس قد خلص من دراسته لشرحه الى أن الذي أضعف من تصور ابن سينا لكتاب الشعر هو انعدام النموذج (١) .

(٢)
جهده في دراسة الشعر

وهو جهد ضخم يتضمن دراسات عدة في الشعر العباسي ، ويمكن تقسيمها أربعة أقسام أساسية : **أما الأول** فيتناول فيه جماعة من شعراء الخمر والمجون ، ويتمثل فيه جهده في دراسة شعر القرن الثاني للهجرة ، **وأما القسم الثاني** فيتناول فيه طائفة مختلفة من الشعراء المشهورين، ويمثل جهده في دراسة شعر القرن الثالث للهجرة ، **وأما القسم الثالث** فهو دراسة كبيرة في المتنبي ، وهو من شعراء القرن الرابع ، **وأما القسم الأخير** فهو بضع دراسات في أبي العلاء المعري ، وهو من شعراء القرن الخامس في الغالب .

ويُلاحَظ أن دراسته في شعراء الخمر والمجون هي أول دراساته في الشعر العربي القديم بعد عودته من فرنسا ، فقد بدأها عام ١٩٢٣ ، ثم تلتها دراسة الغزليين الأمويين في عام ١٩٢٤ ، ثم جاءت بعد ذلك دراسته في الشعر الجاهلي عام ١٩٢٦ ، واذا كان طه حسين يعنى برصد ماطرأ على الشعر العربي من جديد خلال عصوره المتعاقبة ، واذا كان الصراع بين القديم والحديث في الشعر العربي قد ظهر واضحا في بداية العصر العباسي فيلاحَظ أنه مهّد **لدراساتها كلها عام ١٩٢٢ بدراسة نقديمة مهمة** (٢) **لصراع القديم والجديد في الشعر العربي عامة ، أوضح فيها** طبيعة هذا الصراع وما تمخض عنه من تجديد ، كما أوضح الأسباب التي حدّت من انطلاقة التجديد في الشعر العربي بالقياس الى انطلاقته في الشعر اليوناني ، واذا كان ثمة من يعدّ دراسته التمهيدية هذه أهم دراساته التي خصصها لنظرية النقد (٣) ، فمن الضروري إذن أن نتحدث عنها قبل أن نعرض لدراساته في الشعر العباسي .

---

(١) د٠إحسان عباس ، " تاريخ النقد الأدبي عند العرب " ، ص ٤١٦٠

(٢) وقد جاءت في ست مقالات نشرها متتالية في جريدة السياسة ابتداء من ٦ ديسمبر عام ١٩٢٢٠

(٣) د٠ شكري عياد ، مناقشة المرايا المتجاورة ، مجلة فصول ، ص ٣٠٦ ، عدد يوليو ١٩٨٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صراع التجديد بين الشعرين : العربي واليوناني :

يرى طه حسين أنّ الخلاف بين القديم والجديد هو ظاهرة طبيعية لم يخلُ منها عصر أدبي في حياة الأمم ، التي كان لها نصيب من الأدب ، وحظ في إتقان القول واجادته ، واذن فهذا الخلاف في الأدب العربي ، كما يظهر جليا في صدر الدولة العباسية ، ليس غريبا ، ولا مستنكرا .

وقد لاحظ أنّ **الخلاف في أوّل العصر العباسي كان يدور حول اللفظ** ، إذ اختلف الشعراء العباسيون والأدباء واللغويون " في أيّ الشعرين أجمل وأرقى وأحسن : الشعر الذي يحتذي شعراء الجاهلية والإسلام في متانة اللفظ ، ورصانته وبداوته ، أم الشعر الذي يتخيّر الألفاظ السهلة العذبة ، التي ألفها الناس عامة ، لا علماء اللغة خاصة ؟ " (١) .

كذلك اختلفوا حول المعاني في الشعر " أتبقى كما كانت بدوية أعرابية أم تتحضّر كما تحضّر الناس ؟ أتصف الأطلال والخيام والصحراء والإبل والخيل والسلاح أم تعدل عن هذا كلّه الى القصور والأنهار والرياض والمدن ؟ أيعيش الشعراء عصرهم الذي هم فيه ، أم يعيشون عصر الآباء والأجداد ؟ " (٢) .

أما اختلافهم في اللفظ فيلاحَظ أنه قد نجم عنه ظهور مدرسة **مسلم بن الوليد** ، التي ينتمي اليها أبو تمّام والمتنبي وأمثالهما من أصحاب البديع ، **وأما اختلافهم في المعنى** فقد نجمت عنه **مدرسة أبي نواس** ، التي ينتمي اليها البحتري من الناحية الفنية ، وجماعة من الشعراء الذين آثروا اللفظ القديم والمعنى الجديد ، ولم يتكلّفوا بديعا ، ولا استعارة ولا جناسا " (٣) .

واذن هذا هو - في اعتقاده - جُلّ الخلاف في الأدب العربي بين أنصار القديم وأنصار الجديد " وهذا كلّ ما أنتجه الخلاف ، **وهو على خطره ليس بالشيء الكثير** ، فلم يتغيّر الشعر العربي في **موضوعه** ولا في **صورته** ولا في نوعه ، ولم يتغيّر في **لفظه ومعناه** إلاّ تغيرا قليلا جدا " (٤) .

وهو يخلص إلى أنّ التجديد الذي نجم عن الخلاف حول اللفظ والمعنى اقتصر على تجدّد في **الموضوعات** ، دون تغييرها ، لكنه يرى مع ذلك أنّ تجدّدها لم يكن جوهريا ، ولا مطردا ، وانما هو التجدّد الذي يكفي ليشعرك بالفرق بين العصر القديم والعصر الجديد ، وقد مضت القرون ،

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٧ ، ج٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٧ - ٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعاقبت ، والشعر العربي في لفظه ومعناه ، وصورته وموضوعه ، كما كان قديما ، لم ينله من التغيّر والتطوّر إلاّ هذا المقدار الضئيل " (١) .

ويلاحظ أنّ **الصراع** بين القديم والجديد **في الأدب العربي يختلف** في طبيعته عنه في **الأدب اليوناني** مثلا ، إذ إنّه في الأدب اليوناني أثمر تطورا أكبر ، ولذا لم ينتج عنه تطور الشعر في لفظه ومعناه فحسب ، وانما **نتج عنه أيضا تطور في نوعه** ، فكان **الشعر القصصي** مظهر الشعور اليوناني أيام بداوة الأمة اليونانية ، وبدء تحضّرها ، فلما ازداد حظها من الحضارة المادية كان **الشعر الغنائي** مظهر شعورها ، فلما قوي نصيبها من الحضارة ، وانشئت فيها المدن الزاهرة ، ذات النظم السياسية والاجتماعية المعقدة ، ظهرت الفلسفة وقوي سلطانها ، فكان **الشعر التمثيلي** مظهر شعورها (٢) . وهو يردّ سبب هذا التطوّر النوعي في الشعر اليوناني الى أنّ الخلاف بين أنصار القديم والجديد كان كبيرا معقدا ، شمل مختلف النواحي ، وتناول اللفظ والمعنى، والأسلوب والصورة ، والنوع والموضوع ، على حين أن الخلاف في الأدب العربي اقتصر على اللفظ والمعنى (٣) .

أغلال التجديد في الشعر العربي :

أما الأسباب التي حدّت من انطلاقة التجديد في الشعر العربي القديم فيعزوها الى أن الأمة العربية **حريصة بفطرتها على سننها القديمة** ، وما ورثت عن آبائها من مظاهر الحياة العقلية والشعورية ، والى أنّ الشعر العربي الموروث جذاب ، خلاب ، محبّب الى النفوس ، يستأثر بالقلوب ، وقد لاحظ الشعراء المحدثون هذا ، فكان موقفهم في التجديد متهيّبا ، حرجا (٤) .

على أنّ ثمة سببا أهمّ من السبب السابق ، وهو **أنّ الأمة العربية لم تعرف آداب الأمم الأخرى معرفة كافية** ، ولم تخالط هذه الأمم الاجنبية من الوجهة الأدبية إلاّ مخالطة ضيقة جدا ، فهو يرى أنها لم تعرف إلاّ القليل من العلم والفلسفة والحكم والأمثال ، وعلى الرغم من أنها أخذت من علم اليونان وفلسفتهم بحظ وافر ، فإنها جهلت آدابهم جهلا تاما ، أو جهلا يكاد يكون تاما ، " ولم تكد تأخذ عن الفرس إلاّ الحضارة المادية وروايات مشوّهة في الحِكَم والأمثال ، وسياسة الملوك ، ولم تكد تعلم من أمر الهند إلاّ شيئا عن النجوم ، وقليلا من المواعظ والوصايا " (٥) ؛

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٨ ، ج٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٦ - ٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١١ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا الجهل لآداب الأمم الأخرى جعل الشعراء العرب لا يعرفون مثالا أدبيا جديدا آخر يحتذونه ، ويجتهدون في تقليده ومحاكاته ، فظلوا على ماكانوا عليه ، على الرغم من تقدّم حياتهم الحضارية في العصر العباسي ؛ ذلك أنّ تقدم الحضارة المادية في رأي طه حسين لا يكفي كي يرتقي الشعر ، ويتطور تطورا كبيرا منتجا ، وانما ينبغي أن تضاف الى هذه الحضارة المادية أشياء أخرى ، ويأتي في طليعة هذه الأشياء **المخالطة الأدبية للشعوب الأجنبية** ، فلولا أنّ الصِّلات اشتدت بين **اليونان** وبين غيرهم من الأمم المعاصرة ، لما تطور شعرهم هذه الأنواع من التطور ، وكذلك قل : **إنّ الرومان مدينون لليونان** بتطور آدابهم ، وقل : إنّ الأمم الأوروبية مدينة بتطوّر آدابها لهذه الحركة التي حدثت في عصر النهضة ، فأظهرت الإيطاليين وغير الإيطاليين على آداب اليونان، والرّومان " [١] ، كما يرى أن الاختلاط بين الأمم الأوروبية نفسها في الأدب الحديث ، قد أدّى الى تطور آدابها ، على حين بقي العرب محرومين من هذا الاختلاط الأدبي ، فحرم الأدب العربي ثمرته ، وهي التجدّد المنتج " **ولهذا لم يعرف العرب من الشعر إلاّ ماورثوا عن أهل البادية ، فجهلوا الشعر القصصي ، والشعر التمثيلي ، وجهلوا من الشعر الغنائي نفسه فنونا كثيرة ، وضروبا مختلفة** " [٢] .

على أنّ هذا الذي يذهب اليه لا يعني في الوقت نفسه أنّ الشعر العربي القديم لم يعرف التجديد البتة ، فقد رأينا العصر الأموي كيف عرف التجديد الشعري ؛ إذ ظهر الشعر الخاص بالغزل ، وظهر الشعر السياسي .

وأما العصر العباسي فهو يرى أن ثمة **تجديدا شعريا قد ظهر خلاله** ؛ ذلك أنه ظهر فيه **الغزل بالغلمان** لأوّل مرة ، كما ظهر **الشعر الخاص بالخمر** ، وقد نقول : إنّ الشعراء قبل العصر العباسي قد تناولوا الخمر في قصائدهم ، لكنه يجيب قائلا : **إن الشعراء الجاهليين** " كانوا يلمّون بالخمر إلماما ، ولا يُلحّون في وصفها ، ولا يكثرون منه ، ولا يدقّقون فيه ، وانما كانوا يعرضون له مع شيء من الاحتياط " [٣] ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فهو يرى أنّ الشعراء الجاهليين " لم يتخذوا وصف الخمر فنا مستقلا من فنون الشعر ، كما اتخذوا المدح والهجاء والفخر ، وما يشبه هذه الفنون " [٤] ، ويعلّل سبب هذا بأن طبيعة الحياة الجاهلية لم تكن تسمح بذلك ، ولهذا تميّز **الأعشى وعدي بن زيد** بأنهما أكثَرا من وصف الخمر ؛ لأن ذلك لم يكن شيئا مألوفا .

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١١ ، ج ٢.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٦.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأمّا في صدر الإسلام وعصر بني أمية : فقد سكت الشعراء عن ذكر الخمر في عصر الخلفاء الراشدين ، غير أنهم في عصر الخلفاء الأمويين عادوا الى شربها " ولكنهم كانوا يحتشمون ، ولا يكادون يذكرون ذلك في الشعر إلاّ لماما ، كانوا يحتشمون إشفاقا ووقارا " (١)، ولكنّ **الأخطل** المسيحي لم يكن مكلّفا أن يحتشم ، وكان مشغوفا بمعاقرة الخمر ، فأكثر من وصفها في شعره ، ولكن على الرغم من اكثاره في وصف الخمر " لم يكد يتجاوز ماسبقه اليه الأعشى وغيره من شعراء الجاهلية ، ولكنه لم يخترع شيئا كثيرا " (٢).

أ - دراسة شعر الخمر والمجون :

واذن فطه حسين يرى أن التجديد الشعري خلال العصر العباسي الأول قد كان في شعر الخمر والمجون ، وفي شعر الغزل بالغلمان ؛ ولذا نجده يعمد الى دراسة هذا الجديد الشعري ، الذي يعنى به ، وفق منهجه في النقد الأدبي ، فيتناول جماعة من الشعراء الذين يمثلونه ، ويمكن أن نقسم دراسته في هذا الشعر قسمين : الأول دراسة مستفيضة في أبي نواس ، والثاني دراسة موجزة في عدد من شعراء الخمر والمجون الآخرين .

١. دراسته في أبي نواس :

يبدأ طه حسين دراسته في شعراء الخمر والمجون بأبي نواس ، لأنه يعده كبيرهم أو زعيمهم ، ولذا فهو يحظى منه بالعناية الشديدة ، وبالدرس المفصل (٣) ، وقد مرّ بنا أن طه حسين يرى أبا نواس يشخّص عصره أحسن تشخيص (٤)، وهو هنا يفضّل هذا الرأي ، فيذهب الى أنّ " **أنصار الجديد** - وعلى رأسهم أبو نواس - أقدموا غير خائفين ، ولا وجلين ، فوصفوا لنا الحياة الجديدة دقيقها ، وجليلها ، مفضّلها ومجملها ، **فجدّدوا الشعر** من ناحية ، ونفعوا التاريخ من ناحية أخرى " (٥).

ويُلاحَظ أنه في بداية الدراسة يظهر عدم رضاه عن **نقد القدماء** لأبي نواس ، ويذهب الى أنّ الذين عاصروا أبا نواس ، وجاؤوا بعده من الأدباء والشعراء وأئمة اللغة " لم يكن لهم في النقد

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٧٧ ، ج ٢.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٨.

(٣) استغرقت دراسة أبي نواس منه أكثر من ست مقالات ، نشرت كلها في جريدة " السياسة " عام ١٩٢٣ (انظر حديث الأربعاء ، ص ٥١ - ١٢٨ ، ج ٢) .

(٤) حديث الأربعاء ، ص ٤٤ ، ج ٢.

(٥) المصدر نفسه ، ص ٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مذهب معروف أو خطة واضحة ، وانْ شئت فقل : إنهم قد كانوا يذهبون في النقد مذاهب لا ترضينا ، ولا تحقّق ماأصبحنا نسمو اليه من مثل أعلى في النقد خاصة ، وفي الأدب عامة " (١) .

على أنّه لا يقصد في كلامه السابق النقاد العرب القدماء عامة ومذاهبهم في النقد جميعها ، وانما يقصد أنّ المذاهب النقدية التي نجدها تنتشر في كتب الأدب على اختلافها قبل أن يظهر علم البيان ، ويصبح ذا قواعد وأصول ، هي التي لا ترضي الباحث أو الأديب المعاصر ، واذن فهو يقدّر الجهود النقدية لبعض البيانيين القدامى ، من أمثال عبدالقاهر الجرجاني - كما رأينا - .

ولما كانت دراسته في أبي نواس من دراساته المبكرة الرائدة ، فقد اضطر الى أن يوضّح للقراء والأدباء منهجه الجديد في النقد الأدبي ، الذي يقوم على الجمع بين ثلاثة مذاهب نقدية حديثة ، لكل من : **سانت بوف وتين وجول لمتر** ، ثم استأذن بعد ذلك أنصار النقد القديم في أن يكون حرّا ، جريئا في دراسته هذا الشاعر وفق منهجه الحديث ، لأن سبيله في نقده لن تكون البحث عن جودة اللفظ والمعنى وحدهما ، كما كان يفعل النقاد القدماء (٢) ، إذ كانوا يفضلون أبا نواس من أجل بيت أو بيتين ، يقول عن سبيله في نقده للشاعر " ... **إنما سبيلنا فيه اللفظ والمعنى ، وما بين اللفظ والمعنى ونفس الشاعر من صلة ، وما بين نفس الشاعر وعصره من صلة أيضا** " (٣) .

ويُلاحَظ أنه في دراسته لشعر أبي نواس أوّل مايتوقّر على الفنين الشعريين اللذين يرى أن التجديد الشعري في العصر العباسي ، قد تبدّى فيهما ، وهما : **شعر الخمر ، وشعر الغزل** ، ثم إنه يتناول بعد ذلك بقية الأغراض الشعرية عنده .

رأيه في خمرياته :

أما شعر الخمر فيرى أنّ أبا نواس يمتاز فيه على سائر الشعراء من معاصريه ، فهو لا يتفوّق عليهم في المدح ولا في الهجاء ولا في الفخر والوصف ، وانما يتفوّق " بشعره في الخمر ، وبافتنانه في المجون ، كما يمتاز بغزله ، وحسن مداعبته للنساء والغلمان " (٤) .

وأبو نواس يبدو في شعر الخمر صادقا كلّ الصّدق ، إذ " كان يحب الخمر حبا ، ربما كان

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٥١ - ٥٢ ، ج٢ .
(٢) انظر تعريضه بنقد القدماء في حديث الأربعاء ، ص ٥٤ - ٥٦ ، ج٢ .
(٣) حديث الأربعاء ، ص ٥٧ ، ج٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أشبه بالدّين ، كان يعبدها ويقدّسها تقديسا " [١]، ويستدل على هذا الحب بنماذج من شعره ، تصوّره أحسن تصوير ، نحو قصيدته التي مطلعها :

اثنِ على الخمر بآلائها ... وسمّها أحسن أسمائها [٢]

بل هو يستدل على ماذهب اليه من حب أبي نواس للخمر الى درجة تشبه التقديس بهذا المطلع نفسه ، ذلك أنّه يقول عنه متسائلا : " أليس الشطر الأول منه تسبيحا للخمر ؟ أليس الشطر الثاني منه تقديسا للخمر ؟ أليس في هذا البيت على سهولته ، وبراءته من ألفاظ المجون ، أشد ألوان المجون ؟ أليس فيه الاستهزاء بالدين والسخرية منه ؟ أليس يذكّرك القرآن ؟ أليس يذكّرك قول الله تعالى " ولله الأسماء الحسنى ، فادعوه بها " [٣].

ويرى طه حسين أنّ أبا نواس في شعر الخمر لم يقصد الى الفسق والإغراق في المجون فحسب ، وانما " ... كان يريد أن يتّخذ - ويتخذ الناس معه - في الشعر مذهبا جديدا ، **وهو التوفيق بين الشعر وبين الحياة الحاضرة** بحيث يكون الشعر مرآة صافية ، تتمثّل فيها الحياة " [٤]. ومعنى هذا أن أبا نواس كان يريد العدول عن طريقة القدماء في الشعر ، لأن طريقتهم كانت تناسب عصرهم ولا تناسب عصره ، وطه حسين يذهب الى أنه قد **وفّق كل التوفيق حين** " اتخذ وصف الخمر ، وما اليها من اللذات وسيلة الى مدح طريقته الحديثة ، وذمّ طريقة القدماء " [٥].

على أنه يرى أنّ أبا نواس في دعوته لم يكن يقصد الى تجديد الفن الشعري فحسب ، وانما كان يرمي أيضا الى **مذهب سياسي** ، كان قد برز خلال تلك الحقبة ، فهو يذمّ القديم ليس لأنه قديم فقط ، بل لأنه قديم ولأنه عربي ، ويمدح الحديث ليس لأنه حديث ، وانما لأنه حديث ولأنه فارسي ، فمذهبه السياسي الذي يقصد اليه هو " إذن مذهب تفضيل الفرس على العرب ، مذهب الشعوبية المشهور " [٦] ، ولذا قاوم العرب وأنصار العربية مذهبه الجديد ، حتى إنّ الرشيد حبسه ، لأنه هجا العرب .

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٨٦ ، ج٢.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٧ ،
وانظر القصيدة في ديوان أبي نواس ، ص ١٣ ، (تحقيق وضبط وشرح أحمد عبدالمجيد الغزالي - دار الكتاب العربي - بيروت) .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٧.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٩٠.

(٥) المصدر نفسه ، ص ٩٠.

(٦) المصدر نفسه ، ص ٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا شعره في الخمر فيقسمه من الناحية الفنية قسمين : أولهما يتضمن أشعارا ، فيها معان كثيرة ، كانت تعجب القدماء ، وتفتن النقاد خاصة ، ثم أضحت لا تعجب المحدثين "كتشبيه الخمر بالعذراء ، تخطب الى أبيها الدّهقان ، وكالإسراف في وصف قدم الخمر ، وما مرّ عليها من الأجيال والعصور ، وكالافتنان في وصف طعم الخمر وريحها " (١) ، ... **وثاني القسمين** يتضمن أشعارا ، فيها معان أعجبت القدماء وما زالت تعجب المحدثين ، لأنها ما انفكت تلائم الذوق ، على الرغم من تطور البيئة ، واختلاف العصر، وهذه المعاني " قليلة في شعر أبي نواس وقليلة في شعر غيره من الشعراء ، قليلة في الخمريات قلتها في غير الخمريات ، ذلك لأن المعاني التي تتّفق على استحسانها العصور المتباعدة ، والأجيال المتباينة ، قليلة بطبعها ، في كل فنّ من فنون الشعر والأدب " (٢) .

ويرى أن أبا نواس كان **صادقا حين أخذ يستهلّ قصائده بذكر الخمر بدل الأطلال ، وكان** على حق حين راح يدعو من خلال مذهبه الجديد الى أن يلائم الشاعر بين شعره وطبيعة الحياة، التي يحياها ، ذلك لأنّ تطور اللغة والأساليب الفنية شيء حتمي في اعتقاده ، فالتطور " قانون لا منصرف عنه لأيّ جماعة من الجماعات ، والناس خاضعون لهذا التطور ، راضون عنه ، ولكن المشقة كل المشقة ليست في خضوعهم له ، ورضاهم عنه ، وانما هي في " اعترافهم " به ، واتخاذه مذهبا وطريقا " (٣) . وهذه المشقة هي التي واجهت أبا نواس في دعوته ، حين أخذ يدعو غيره من الشعراء الى أن يكونوا صادقين مع أنفسهم ، غير منافقين ، على أنه يلحظ أنّ أبا نواس كان في بعض قصائده الخمرية يعنف أحيانا ، ويسرف في دعوته الجديدة ، ذلك أنه يذمّ القديم والمتمسكين به ، ويمدح الحديث ودعاته ، ويلجأ الى السخرية من العرب وقبائلهم المشهورة ، وخير مثال لهذا قصيدته ، التي تصوّر نزعته الفنية الجديدة ، ومذهبه الشعوبي أيضا ، والتي يقول في أوّلها :

" عاج الشقيُّ على رسم يسائلهُ ... وعجتُ أسألُ عن خمارةِ البلدِ
يبكي على طللِ الماضينَ من أَسَدٍ ... لا درَّ درّك قلْ لي من بنو أسدِ؟
ومن تميمٌ ؟ ومن قيسٌ ولفّهما ؟ ... ليس **الأعاريبُ عندَ اللهِ من أحدِ** (٤)

فتحليل أبيات القصيدة يظهر في جلاء أنّ الشاعر قد أسرف في ذمّ القديم ، والنعي على من يتكلّفه ، وبالغ في مدح الجديد والحثّ عليه ، وأنّ نزعته الشعوبية واضحة ، فهو يسخر من بني أسد ، وممّن يبكي على أطلالهم ، كما يسخر من قيس وتميم وأمثالهما من القبائل العربية ، بل

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٩٣ ، ج٢.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٣ ـ ٩٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٥.
(٤) انظر بقية الأبيات التي أوردها في حديث الأربعاء ، ص ٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو **يقلّل من شأن العرب عامة** ، داعيا الى شرب الخمر ، وتأمل جمال الطبيعة ، ومذهب الشاعر في هذا لا يقتصر على هذا المثال ، ذلك أنّ " مثل هذا الشعر كثير في خمريات أبي نواس ، كثير في غير الخمريات أيضا ، يكفي أن ترجع الى ديوانه ، لتقنع منه بما تريد " (١) .

وهو يلاحظ أنّ شعره في الخمر يتضمّن مقطوعات صالحة للغناء ، وكأنه كان يريد حين يضع هذه المقطوعات أن تتخذ للغناء والتلحين ، تمجيدا للخمر ، وتأييدا لمذهبية في الأدب والمجون " (٢) ، وبعد أن يقدّم أمثلة لهذه الغنائية البادية في شعره الخمري ، يخلص أخيرا الى أنّ شعر أبي نواس في الخمر - على الرغم من جماله الفني الذي يعجب الأدباء والنقاد - كان يرمي الى **غرضين أساسيين هما " ... الاعتراف بالجديد في الأدب ، والاعتراف بالجديد في الحياة "** (٣) .

* * *

رأيه في غزله :

وأمّا غزل أبي نواس فيقسمه قسمين : غزله بالنساء ، وغزله بالغلمان ، **والغزل بالغلمان** هو المظهر الثاني للتجديد الشعري في هذا العصر ، وطه حسين يرى أبا نواس شاعرا مجيدا في هذا النوع من الغزل ، فهو فيه محسن الإحسان الفني كله ، صادقٌ أيضا أشد الصدق من الناحية الفنية (٤) ، بل هو يذهب الى أنّ **أبا نواس في غزله بالغلمان أشعر من عمر بن أبي ربيعة في غزله بالنساء** ، وحجته في هذا التفضيل أن أبا نواس " يكرهك حين تقرأ غزله بالغلمان على أن تعجب بهذا الغزل ، على رغم مافيه من منافرة للطبع والخلق والدين ، أمّا ابن أبي ربيعة فهو لا يكرهك على أن تعجب بغزله ، بل كل شيء يحملك على أن تعجب بغزله ، فطبيعتك تحبّب اليك ذكر النساء ، والتغزّل بهن " (٥) ، على أنّ طه حسين لا يورد أمثلة لغزل ابي نواس بالمذكر ، لأنه كان ينشر دراساته في صحيفة عامة (٦) ، ولذا فهو يعتذر عن عدم تمكنه من ذلك بالقول لقارئه : " ... تقرّنا على أننا لا نستطيع أن نطرق هذا الباب ، إلاّ في كتاب مخصّص لأبي نواس ، يقرؤه الخاصة، ولا تصل اليه يد العامة ، إلاّ مصادفة ، وبعد مشقة " (٧) .

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٩٧ ، ج٢.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٩ - ١٠٠.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٩.
وانظر الأمثلة التي قدمها على غنائية أبي نواس في المصدر نفسه ، ص ١٠٠ - ١٠٢.

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٣.

(٥) المصدر نفسه ، ص ١١١ - ١١٢.

(٦) وهي صحيفة السياسة التي كان يعمل محررا أدبيا فيها.

(٧) حديث الأربعاء ، ص ١٠٣ ، ج٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأمّا غزل الشاعر بالنساء فطه حسين لا يستحسنه البتة ، بل هو يذهب الى أنّ أبا نواس كان فيه " ... مازحا ، أو بعبارة أصحّ ، كان مخادعا ، وكان كاذبا ، وكان مغرورا ، وكان مفتونا " [١] ، كما يلاحظ أنّ النساء اللائي يعرض لهنّ في غزله لسن يمثلن المرأة العربية الحرة ، بل لا يمثلن المرأة المسلمة الحرة ، وانما يمثلن الرقيق ، الذي كان يُجلب الى بغداد . واذن فأبو نواس في غزله عرض لطائفة معينة من الإماء ، وكانت هذه الطائفة تتألف من إماء مهذبات ، يروين الشعر ويقرضنه ، ويحسنّ الغناء ، ويأخذن من ألوان الثقافة بنصيب ، ويثبتن لمناظرة الشعراء والعلماء وأئمة اللغة ، لكنهنّ مع ذلك لم يكنّ أقرب النساء الى الطهر والعفاف ، ولا الى البرّ والصّون ، وانما كنّ طائفة مبتذلة ، ممتهنة ، حظّها من الطهر والعفاف قليل [٢] .

على أنّ طه حين يستثني من غزل أبي نواس بالنساء ، غزله **بجنان** خاصة ، فهو يظن " أنه كلف بها حقا ، وهام بها بعض الهيام ، ولكنّه لم يكن عفيفا ، صادقا ، في كل ماقاله فيها " [٣] .

ونحسب أنّه من المهم جدا أن نلاحظ هنا رأي طه حسين النقدي في موقف أبي نواس اللافت من النساء ، ذلك أنه من خلاله سيظل على مدى سنين طويلة **يقابس غيره من الدارسين الرأي في تفسير هذا الموقف** ، الذي ذهب بعضهم الى تفسيره من خلال عقدة " **أوديب** " أو عقدة " **النرجسية** " ، أو ردّه الى احتجاب المرأة عن الرجل في عصره ، - على نحو ماسوف نرى - مما يدل على ثبات رأيه في هذا الشاعر .

لقد ذهب طه حسين الى أنّ دراسة غزل أبي نواس بالنساء تظهر أنه لم يكن صادقا في حبّهنّ ، وانما كان ينفر منهنّ نفورا شديدا ، حتى إنه رفض أن يتزوج ، على الرغم من إلحاح أصدقائه ، لأنه " ... لم يكن يتصوّر حياة الزوجية ، ولم يكن يستطيع أن يعيش عيشة متصلة مع امرأة " [٤] ، كما أنّ دراسة تغزله بهنّ تظهر أيضا أنه كان يترضاهنّ ترضيا ، ويتملقهنّ تملقا ، ويتخذهنّ وسيلة الى إرضاء عبثه من جهة ، وفنه الشعري من جهة أخرى ، واذا كان أبو نواس لم يحبب النساء حقا ، فقد نتساءل : لماذا تغزّل بهنّ إذن ؟ فيجيب طه حسين : إنّه تغزّل " لأنه شاعر ، ولأنه من الحق على كل شاعر أن يتغزل ، فالغزل من فنون الشعر ، ويجب على الشعراء المجيدين أن يطرقوه ويأخذوا منه بنصيب ، وقد طرقه أبو نواس " [٥] ، لكنّ هذا الغزل لم يكن صادقا ، **وشتان مابينه وبين غزل عمر بن أبي ربيعة مثلا** - فضلا عن غزل العذريين - ، فعمر كان

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٠٣ ، ج٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١١١ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحب الحياة ، ويحب المرأة " لأنها زينة الحياة ، فكان غزله على بعده من العذرية مؤثّرا ؛ لأنه كان صادقا ولأنه كان يترجم عن عواطف صحيحة ، تؤثر في نفس الشاعر ، وتؤثر في حياته العملية أيضا " (١) .

وهو بعد أن يورد أمثلة لغزل أبي نواس بالنساء ليثبت أنه لم يكن صادقا فيه (٢) ، **يخلص أخيرا الى أن صدق أبي نواس وابداعه الشعري يتجلّيان حقا عنده في هذين الفنّين الشعريين الجديدين ، اللذين ظهرا في العصر العباسي الأول ، وهما : وصف الخمر ، والغزل بالغلمان** (٣) .

الأغراض الشعرية الأخرى :

وبعد أن يفرغ طه حسين من دراسة شعر أبي نواس في الخمر والغزل ، يحاول أن يعرض في إيجاز شديد **للأغراض الشعرية الأخرى** عنده ، مثل : المدح والرثاء ، والهجاء ، والزهد ، والصيد .

* * *

أمّا المدح فيرى أنّ أبا نواس يعمد فيه الى أسلوب يختلف اختلافا كبيرا عن أسلوبه في شعر الخمر أو الغزل ، فبينما هو يؤثر في الغزل والخمر الأوزان الخفيفة ، والألفاظ السهلة ، ويقترب أسلوبه من النثر ، إذ هو يؤثر في مدح الأمراء والأشراف اللفظ الضخم الفخم ، والأسلوب المتين الرّصين ، والأوزان الطوال ، التي لا تخلو من فخامة وجلال ، كما يذهب الى أن **شخصية أبي نواس في المدح** " تنمحي أو تكاد تنمحي في هذا الشعر الجدّي " (٤) ، على حين أن **شخصيته في الغزل والخمر** ، تبدو ظاهرة ، يشعر بها الناقد ، وغير الناقد ، واذن شتان مابين إبداع أبي نواس في الغزل والخمر وبين تقليده في المدح ، **فشخصيته في المدح تحتاج الى ناقد بصير ، كي يتبينها** ، لأنها لا تكاد تظهر ، حتى إنّ طه حسين يذهب الى القول : " أزعم أنّ من اليسير أن تضيف مدح أبي نواس أو فخره الى غير أبي نواس من الشعراء المجيدين ، وأن تضيف الى مدح أبي نواس من مدح مسلم وفخره ، دون أن يكون خطؤك عظيما من الوجهة الفنية ، لأن هنالك مثلا أعلى من الإجادة والإتقان قد وضعه الشعراء أمامهم ، فهم يحتذونه ، ويتأثرونه ، وهذا المثل الأعلى إنما هو أسلوب القدماء من الجاهليين والإسلاميين ، فإذا أحسنوا تأثر هذا الأسلوب وتقليده فهم راضون " (٥) .

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١١٠ ، ج٢ .
(٢) انظر هذه الأمثلة في المصدر نفسه ، ص ١١٣ ـ ١١٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٠ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا يخلص الى **أنّ أبا نواس لم يكن صادقا في مدحه** ، إلاّ في مدح الأمين ، ومدح الخصيب والي مصر ، ومدح نفر قلائل ، اتصل بهم ، على حين يبدو في مدحه للرشيد والبرامكة متكلّفا ، فتظهر فيه الصنعة ، ويستخفي الطبع ، ويميل الى المبالغة المستكرهة أحيانا ، التي لا يسيغها ذوق طه حسين ، نحو قوله :

" وأخفتَ أهلَ الشركِ حتى إنه لتخافك النُّطَفُ التي لم تُخلقِ " (١)

* * *

وأمّا رثاء أبي نواس فيرى أنّه قليل الخطر ، وأنه ربما يكون أقل خطرا من مدحه ، بل إن طه حسين يرى أن **الرثاء هو أضعف شعر أبي نواس** ، ويعلّل هذا بأنه لم يكن رجلا محزونا ، ولا ميالا الى الحزن ، " وانما كان رجلا مبتهجا بطبعه ، أو كان هو الابتهاج، فليس غريبا ألاّ يجيد الرثاء ، وليس غريبا أن يتكلّفه إذا اضطر اليه " (٢) ، كذلك يرى أنّ من الأسباب التي اعاقت أبا نواس عن إجادة الرثاء أنه لم يتزوّج ، ولم تكن له أسرة ، ولم يعش بين أبنائه وبناته ، فلم تنشأ في نفسه هذه العواطف الرقيقة ، التي تنشئها الحياة المنزلية الصالحة ، وانما كان مقسّم الحياة بين اللذات وضروب المزاح " (٣) ، وأما صلاته بالناس فكانت تقوم على اللّذات لا على الجد ، فهو مدين لهم بالابتسام ، لا بالعبوس ، ولذا فرثاؤه لا نشعر فيه بشيء من الألم ، اذا ما استثنينا **مرثيته في الخليفة الأمين ، فطه حسين** يشعر أنه كان صادق العاطفة فيها ، وأما سواها من رثائه، فهو في رأيه سخيف ، متكلّف (٤) .

* * *

وأمّا الهجاء فيرى أنّ أبا نواس كان مجيدا فيه ، وهو يقسمه ثلاثة أقسام : **أولها** يتضمن هجاءه لأعدائه السياسيين ، كهجائه لاسماعيل بن صبيح ، مولى الأمويين ، وكاتب الأمين ، **وثانيها** يتضمن هجاءه للعلماء واللغويين وأصحاب النحو والكلام ، كهجائه للهيثم بن عدي وأبي عبيدة ، والنظّام ، ... **وثالث الأقسام** يتضمن هجاءه للشعراء والندامى ، نحو هجائه للرقاشي وداود بن رزين راوية بشار .

---

(١) وطه حسين يذهب الى مشاركة البلاغيين في إنكارهم المبالغة في البيت . (انظر حديث الأربعاء ، ص ١٣٢ ، جـ٢) ، والمعروف أن البيت عندهم هو مثال للغلو غير المقبول لاستحالته (انظر كتاب " علم البديع " للدكتور عبدالعزيز عتيق ، ص ١٠٣ ، الطبعة الثانية ، دار النهضة - بيروت - ١٩٧١).

(٢) حديث الأربعاء ، ص ١٣٣ ، جـ٢.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٣.

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو يلاحظ أنّ أبا نواس كان " **من أشد الشعراء في عصره إقذاعا** ، ومن أكثرهم نكايـــة بالخصم ، وأن في هجائه ازدراء لا يعدله ازدراء "(١).

* * *

وأمّا شعر الصّيد فيرى أنّ الشاعر قد أجاد فيه إجادة مطلقة ، حتى إنه يذهب الى القـــول عنه : " لعلّه أوّل من اتخذه فنا مستقلا من فنون الشعر "(٢)، ولكنه مع ذلك لايعرض لنمـــاذج منه ، ولا يحاول أن يتناوله بالدراسة .

* * *

وأمّا شعر الزهد ، فيرى أنّ أبا نواس قدكان بارعا فيه ، ذلك لأنه كان يزدري الحيـــاة، ويسخر منها ، **فهو يشبه أبا العلاء المعري** من هذه الناحية ، وكأنه يقدر عجب قارئه من التماسه هذه المشابهة ، ولذا يقول : " ... تدهش لأن أبا نـــواس مشرق مبتسم ، في حين كان أبـــو العلاء رجل زهد وحرمان ، **ومع ذلك فأبو نواس شبيه بأبي العلاء ، كلاهما كان يزدري الحيـــاة، وكلاهما كان يمقتها مقتا شـــديدا** "(٣)، وأمّا الفرق بينهما في رأيه فهو " أنّ أبا نواس كان يكره الحياة فيزدريها ، ويستعين عليها باللذة واللهو ، وأنّ أبا العلاء كان يكره الحياة ، فيـــتعيـــن عليها بالزهد والحرمان "(٤).

وهو يرى أن أبا نواس في شعره عامة قد تجاوز حدود الدين غير مرة ، وأظهر توبته غيـــر مرة أيضا ، ولذا فمن المتعذّر الحكم على عقيدته الدينية من خلاله .

* * *

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٣٦ ، جـ٢.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٧.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٧.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نتـــائج الدراســـة :

وأمّا أهم ماخلص اليه طه حسين من خلال دراسته كلها في أبي نواس فهو أن هذا الشـــاعر كان في زمنه " **صاحب الجديد ، وحامل لوائه ، وأنه خصم القديم ، وأشدّ أعدائه** " [١] ، كما خلـــص الى أن **تجديده في الشعر** قد تجلّى في شعر **الخمر والغزل بالغلمان خاصة** ، وان كانت دعوتـــه الى الجديد ، والى رفض القديم تظهر في شعره كله ، حتى إننا " نستطيع أن نوجز فنقـــول : كان شـــعر أبي نواس كله رفضا للقديم في كل شيء ، وكلفـــا بالجديد في كل شيء " [٢] ، **وأمـــا شخصيته** فهي شخصية " شاعر ماجن قبل كلّ شيء ، وبعد كل شيء " [٣] ، على أنها شـــخصيـــة قوية مؤثرة ، ولذا يذهب الى أن أبا نواس شاعر خَطِر ، لا ينصح بقراءته إلاّ لطائفة خاصة مـــن الناس ، يستطيعون أن يقرأوا ويحكموا ، دون أن يتأثروا أو يقلدوا [٤] .

على أنّ **أهم نتيجة مثيرة خلص اليها** من الدراسة هي قوله : **إن شخصية أبي نواس الماجنـــة المستهترة هي في الحقيقة تمثّل الجماعة ، التي كانت تعيش بينـها ، وتشخّص بيئتها وعصرهـــا أحسن تشخيص** ، فهي إذن مرآة صادقة لذلك كله ، ومعنى هذا - بحسب رأيه - أنّ عصر أبي نـواس كان عصر فسق ومجون وشك ، وأن أبا نواس كان مثالا لعصره ، وحجة طه حسين في هذا أنّ الجماعـــة التي كان أبو نواس يعيش بينها، كانت تحبه وتؤثره ، وتعجب به الإعجاب كله ، وتقدّمه عـــلى شعراء عصره جميعا ، باستثناء بشار [٥] .

٢٠ شـــعراء المجون الآخرون :

يُلاحَظ أن طه حسين **كان في البداية يريد أن يدرس أبا نواس وحده** ، ولكنه لما خلـــص في دراسته الى أن شخصيته الماجنة تمثل الجماعة التي كان يعيش بينها ، وتشخص بيئتهـــا وعصرها ، وأن هذا العصر كان عصر شك ومجون ، **جُوبه بنقد واعتراض من المحافظين**، ولذا قـــرّر بعد أن فرغ من دراسة أبي نواس أن يتناول في إيجاز ستة شعراء من شعراء الخمر والمجـــون، وأشار الى شعراء آخرين ، ليثبت لمنتقديه أن أبا نواس لم يكن شاذا بين شعراء عصره وبيئتـــه [٦] ، وانما هو كبير طائفة من الشعراء الذين يشبهونه وينهجون نهجه ، ويتخافرون واياه على تشخيـــص

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١١٨ ، جـ٢.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٩.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٩.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٩.
(٥) انظر المصدر نفسه ، الصفحات ٣٥ ، ٤٤ ، ٥١.
(٦) انظر المصدر نفسه ، ص ٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عصرهم وبيئتهم ، والشعراء الستة الذين تناولهم هم : الحسين بن الضحاك وبشار ومطيع بن إياس ووالبة بن الحباب وأبان بن عبدالحميد وحماد عجرد ٠

ويُلاحَظ أنه قبل أن يتناول الشعراء قد لفت الى أن الحكم النقدي للشاعر أو عليه ينبغي ألاّ يتم من خلال نماذج من شعره ، كما كان يفعل النقاد القدامى (١) ، وانما سبيل الناقد الحديث في هذا الحكم هو أن يتبين روح الشاعر وشخصيته (٢) ٠

* * *

أمّا حسين بن الضحّاك فيرى طه حسين أنه شبيه بأبي نواس ، ويعلّل هذا التشابه بأنهما " تأثرا بأستاذ واحد هو الوليد بن يزيد " (٣) ، ولكن على الرغم من تشابههما في الفسق والمجون وايثار اللذة ، فإنه يلحظ أن الحسين كان " أنقى من أبي نواس لفظا ، وأعفّ منه لسانا ، وأحرص منه على اختيار المتين من الكلام " (٤) ، على حين يتفوق أبو نواس عليه في خفة الروح ، وحلاوة المجون ، والمبالغة في الاستهتار والتهتك ٠

والحسين مثل أبي نواس كان يتغزل بالغلمان ، وله غزل شائع في الغلام " يُسْر " غلام أبي عيسى بن راشد ، ومنه قصيدته الميميّة ، التي مطلعها (٥) :

تيسّري لِلّمام من أَمَمِ ... ولا تُراعي حَماسةَ الحَرَمِ
قد غابَ لا آبَ من يراقبُنا ... ونامَ لا قامَ سامرُ الخَدَمِ

أمّا رأي طه حسين في الحسين بن الضحاك - من خلال تبيّنه لروحه وشخصيته - فهو أنه " شاعر بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ، مجوّد إذا فكّر ، مظفّر إذا بحث ، موفّق اللفظ المتين ، والأسلوب الرصين ، في غير جفوة ولا غلظة ، لا يعرف التكلف في لفظ ولا معنى ، وانما ينطق لسانه مع سجيته ، وسجيته سهلة مرسلة ، غنية ، غزيرة المادة ، لا تكاد تنضب ، ولا ينالها إعياء ولا كلال " (٦) ٠

---

(١) انظر حديث الأربعاء ، ص ٥٦ - ٥٧ ، جـ٢٠
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٩٨٠
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٨١٠
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٨٢٠
(٥) أثبت طه حسين القصيدة كلها ، وأثنى عليها نقديا (انظر حديث الأربعاء ، ص ١٨٣ - ١٨٤ ، جـ ٢) ٠
(٦) حديث الأربعاء ، ص ١٧٣ ، جـ٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأمّا بشار بن برد [١] فيحاول طه حسين تحقيق شخصيته ورسم صورة مقاربة لها ، وهو يخلص من المحاولة الى أن **شخصية هذا الشاعر ثقيلة الروح والظلّ** ، لا تكاد تخفّ على القلب ، بل هو لا يتردّد في مصارحة قارئه قائلا : " ... مهما تكن لبشار الأشعار الجياد البارعة ، فأنا لا أحبّه ، ولا أميل اليه " [٢].

وهو يلاحظ أن شعره ليس شفّافا مثل شعر أبي نواس ، والحسين بن الضحاك وأمثالهما ، " وانما هو شعر **كثيف ، صفيق ، لا يدلّ من نفس صاحبه على شيء** " [٣] كما يلاحظ أنّ بشارًا **يكذب في شعره** ، ولا ينقل حقيقة إحساسه حين يمدح ، ولا حين يرثي ، ولا حين يتغزّل ، ومن الكذب الواضح في شعره ، أنه كان ضخما فاحش الضخامة ، قويا شديد القوة ، ومع هذا لا يستحيي أن يقول [٤] :

إنّ في برديّ جِسْمًا ناحلاً ... لو توكأتِ عليه لا نهدمْ

على أنه يرى أنّ بشارًا **كان يصدق** " حين **يهجو** ، لأنه يصف نفسه ، ويمثّل سخطه على الناس ، وما يخطره إليه هذا السخط الشديد من ألوان الإسراف ، والظلم ، وضروب الاعتداء " [٥] ، كما أنه كان يصدق أيضا " حين يذكر نفسه ، وسوء مكانه من الناس ، وبنوع خاص حين يذكر حرمان الذين مدحهم إيّاه ، وبخلهم عليه ، بما كان ينتظر ، هو في هذا الموضوع من شعره صادق ، وقد يبلغ التأثير أحيانا " [٦].

وشخصية بشار تتشابه وشخصية أبي نواس من حيث العبث والمجون والشك ، بل إنّه يلحظ شبها من الناحية الفنية ، فبشار لا يُسفّ في اللفظ إذا مدح ، أو تعرّض لفن من فنون الشعر ، إلاّ حين يتغزل أو يهجو ، والسبب في هذا واضح ، ذلك أنّ بشارًا كان " إذا تغزّل أراد أن يفهمه النساء ، وأن يكون شعره ذائعا ، يتناقله الشباب وأهل الخلاعة ، وهو إذا هجا كان يريد أن يؤذي من يهجو ، وانما يؤذيه إذا كان فاحشا مقذعا ، وكان مع ذلك سهلا يمكن فهمه وروايته " [٧].

---

(١) انظر ترجمة بشار في الأغاني ، ص ١٢٩ - ١٤٤ ، المجلد الثالث - دار الثقافة - بيروت - ١٩٥٥.
(٢) حديث الأربعاء ، ص ١٩٨ ، ج٢.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠١.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٠١.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠٢.
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٠٢.
(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد رأينا طه حسين يذهب الى أنّ أبا نواس شاعر خَطِر ، ولكنه هنا يذهب الى أن شخصية بشّار أشدّ خطرا من شخصية أبي نواس ؛ ذلك أنه في غزله يتهالك على اللذة ، ويفحش في هذا التهالك ، دون أن يراقب في هذا خلقا أو أدبا أو دينا ، فشعره يمثّل رغبة في الفساد ، واذاعة السوء ، واذن فهو لا يكتفي بأن يكون من أصحاب اللذة المتهالكين كأبي نواس [١] .

ومع أنّه يقرّ بأنّ لبشار قصائد جيادا ، كميميته الشهيرة التي مطلعها [٢] :

" أبا جعفرٍ ما طولُ عيشٍ بدائمٍ ولا سالمٌ عمّا قليلٍ بسالمِ "

فإن حكمه النقدي عليه هو أنه " لم يكن صادقا في شعره ، ولا مخلصا ، وانما كان يتكلّف المعاني في أكثر الأوقات ، وكان يتكلف الألفاظ والأوصاف أيضا " [٣] ، ولذا فهو **يخالف الذين يقدمونه على شعراء عصره** ، قائلا : " ربما قدمت على بشار رجلا كأبي نواس أوكالحسين بن الضحاك " [٤] .

* * *

وأما مطيع بن إياس [٥] فطه حسين لا يتناول شعره بالدراسة والنقد والتحليل ، وانما هو يفيض في سرد أخباره ، ويحاول تحقيق شخصيته وتبينها ، وهو يخلص من ذلك الى أنه كان كأبي نواس لأن أستاذهما واحد ، وهو الخليفة **الوليد بن يزيد** ، فمطيع كان فاسقا ، ماجنا ، يضع الأحاديث ، قد " انتهى الى السخرية والازدراء للناس وللحياة ، واتخاذ الناس والحياة وسيلة الى الشيء الوحيد ، الذي يستحق أن يعيش الناس من أجله ، وهو اللذة " [٦] .

أما القصيدة التي يرى أنها " تمثّل شعر مطيع ، ونفسه ، وعواطفه تمثيلا صادقا ، أحسه القدماء ، فرقّوا له ، وكلفوا به " [٧] فهي قصيدته التي قالها في جارة له ، أحبّها بالرّي ، ثم

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٢٠٤، جـ ٢.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٩ ،
وانظر ديوان بشار ، ص ٢٠٤ ، تحقيق محمد بدرالدين العلوى ، (دار الثقافة - بيروت ، وانظر الأغاني ، ص ١٥٠ ، المجلد الثالث) .

(٣) حديث الأربعاء ، ص ٢١٠.

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٩٦.

(٥) انظر ترجمة مطيع بن إياس في الأغاني ، ص ٢٧٧ ، المجلد ١٣ ، دار الثقافة - بيروت - ١٩٥٨.

(٦) حديث الأربعاء ، ص ١٥٥، جـ٢.

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٥٨ ، جـ ٢،
وانظر القصيدة في الأغاني ، ص ٣٣٠ ، المجلد ١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اضطر ففارقها ، ومطلعها [١] :

أسعداني يا نخلتي حلوان ... وابكيا لي من رَيب هذا الزمان

وأما رأي طه حسين في هذا الشاعر فهو يوافق رأي أبي الفرج الأصفهاني فيه ، إذ يقول عنه : " ... هو شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وليس من فحول الشعراء ، ولكنه كان ظريفا ، خليعا ، حلو العشرة ، مليح النادرة ، ماجنا ، متهما في دينه بالزندقة " [٢] .

لكنّ طه حسين يزيد على هذا الكلام قائلا : " ... ولو شئنا أن نضيف الى هذا الحكم شيئا ، لقلنا : إنه كان صادقا في شعره ، آخذا بحظه الموفور من هذه الأوصاف كلها " [٣] .

* * *

ومن شعراء الخمر والمجون الذين يعرض لهم في إيجاز شديد والبة بن الحبّاب وأبان ابن عبدالحميد ، وحماد عجرد .

أما والبة بن الحبّاب [٤] فهو لا يخصّص له حديثا مستقلا ، وانما يعرض له دون أن يورد من شعره شيئا ، ويرى أنه كان من أشد شعراء الخمر والخلاعة " إمعانا في المجون ، وإسرافا في الفسق والفجور " [٥] ، وأبعدهم تأثيرا في عصره ، وحسبه أنه أثّر في أبي نواس ، الذي تتلمذ له ، ذلك أن طه حسين يرجّح أنّ " والبة هو الذي مهّد لأبي نواس هذه السبيل المنكرة ، التي سلكها طول حياته ، فجعلته مبغضا ، وجعلته محبّبا الى الناس : جعلته مبغضا لسوء سيرته ، وجعلته محبّبا لحسن شعره ، وشدة ظرفه ، وتقدمه في الأدب " [٦] .

---

(١) انظر الأغاني ، ص ٣٣١ ، المجلد ١٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧٩ .

(٣) حديث الأربعاء ، ص ١٥٩ ، ج٢ .

(٤) انظر ترجمة والبة في طبقات الشعراء لابن المعتز ، ص ٨٦ - ٨٧ (الطبعة الثانية - دار المعارف - مصر) ،
وانظر الأغاني ، ص ٤٣ ، المجلد الثامن ، (تحقيق عبدالستار أحمد فراج - دار الثقافة - بيروت - ١٩٥٩) .

(٥) حديث الأربعاء ، ص ٢١٢ ، ج٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو يلاحظ أنّ **والبة مثل الوليد بن يزيد** عربي صميم ، على حين أنّ بقية شعراء الخمر والمجون هم من الموالي ، أو ممّن يُشك في عربيتهم[١] .

واذن فطه حسين يرى أنّ لوالبة خطره في شعراء الخمر والمجون ، وأما الذي يمنعه من تناوله تناولا مفصّلا ، فهو أن أشعاره وأخباره التي وصلت لا تكفي لدراسته[٢] .

وأمّا **أبان بن عبدالحميد**[٣] ، فهو في رأيه ، انّ كان أقلّ من أصحابه مجونا وعبثا ، فإن سيرته " لم تكن أقلّ من سيرتهم ، ولعل ضميره كان أقبح من ضمائرهم ، ولعله من الزنادقة الذين كانوا زنادقة حقا ، والذين كانوا يكفرون عن يقين وعقيدة ، لا عن شك أو رغبة في اللّذة "[٤] .

لكنه يرى أن لأبان **ميزة فنية** ، وهي أنه ابتكر في الأدب العربي فنا ، لم يتعاطه أحد قبله ، وهو **فن الشعر التعليمي** ، ذلك أنه نظم كتاب **كليلة ودمنة شعرا** ، كما نظم قصيدة طويلة في الصوم والزكاة[٥] . ويرجّح طه حسين أنّ رائد هذا الفن الشعري في الأداب العالمية هو الشاعر اليوناني " **هسيود** " ، الذي عاش في القرن الثامن قبل المسيح[٦] .

واذن **فأبان عنده متفوّق في الشعر التعليمي** ، ولكنّ أبا نواس وشعراء المجون الآخرين ، يتفوقون عليه في فنون الشعر الأخرى[٧] .

* * *

وأمّا حمّاد عجرد[٨] ، فقد اشتهر بالزندقة ، بل كان من زعماء الزنادقة ، الذين كانوا يجتمعون " على الشراب والغناء والعبث بالنساء والغلمان ، يسرفون في ذلك إسرافا لا يعدله

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٢١٣ ، جـ٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢١٢ .
(٣) انظر ترجمة أبان في الاغاني ، ص ٢٠ وما بعدها ، المجلد : ٢٣ (دار الثقافة - بيروت - ١٩٦١ م - ١٣٨٠ هـ) .
(٤) حديث الأربعاء ، ص ٢١٤ ، جـ ٢ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٢١ - ٢٢٣ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٢١ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٢٠ .
(٨) انظر أشعار حماد عجرد في الأغاني ، ص ٣٠٥ ، المجلد الرابع عشر ، دار الثقافة ، ١٩٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إســـراف ، ويســخرون في أثنـــاء هـذا الإســـــراف من أصـــول الديانـــــات والأخـــــلاق والنـــظم الاجتماعيـــة " (١) .

ومع أن طه حسين لا يعطي رأيه النقدي في شعر حمّاد من الناحية الفنية ، فإنه يقول فـي شخصيته : " ... لو أني أحببت أن أشخّص حمادا ، كما شخصت مطيعا والوليد بن يزيد لوصفتـه قبل كلّ شيء بحدة الطبع ، وسوء الخلق ، وحب الانتقام " (٢) .

أهميـــة الدراسة وعيوبهـــا :

لا ريب في أن دراسة شعراء الخمر والمجون ، هي من أبرز دراسات طه حسين الرائـــــدة المهمة ، ذلك أنها أول دراسة يتجلّى فيها منهجه التكاملي في وضوح ، **إذ اضطر الى تقديم هـذا المنهج الى القراء والنقاد خلالها تقديما مباشرا** ؛ وذلك لأنها أول دراسة كبيرة ينشـــرها فـي شعراء عرب قدامى بعد عودته من فرنسا ؛ وأما دراسته السابقة في صراع التجديد فهي عامـــة ، تستشرف الشعر العربي كله في عصوره القديمة (٣) .

ونحسب أن هذه الدراسة - على الرغم من خطرها وأهميتها - **تعاني من مآخذ شبيهة** بالمآخذ التي لا حظناها في دراسته الغزلين الأمويين ، فقد جارت عليها شيئا ما طبيعة الكتابة الصحفية ، وما تقتضيه من سرعة في الإنجاز ، وما تتطلبه من مراعاة لكونها تتوجه الى الناس عامة ، ممّا حـــدّ قليلا من انطلاقها وتوسعها ، ومن تعمقها وحريتها في إيراد بعض الأمثلة الشعرية الضرورية ؛ ولذا يلاحَظ أن طه حسين نفسه يشكو فيها من كونها تكتب للصحافة التي لا تحتمل في رأيه التعمـق في النقد الأدبي (٤) ، **ومثال هذا تناوله للغزل بالغلمان فهو** حين عرض له لم يستطع البتة أن يورد

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٦٣ ، جـ٢.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٠.

(٣) وقد نشرها في عام ١٩٢٢ ، على أن هذا لا يعني أنه قبل هذا العام وبعد عودته من فرنسا سنة ١٩١٩ قد أمسك خلال ذلك عن التأليف والترجمة ، فقد شغل خلال هذا الزمـــن بالأدب الأوروبي ترجمة وتأليفـا ؛ إذ نشر كتابه " الظاهرة الدينية عند اليونان وتطور الآلهـة وأثرها في المدنيـة " سنة ١٩١٩ ، وقد أعيد نشره بعنوان " آلهة اليونان " ، ونشـــر كتابه " صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان " عام ١٩٢٠ ، وترجم هو ومحمود رمضان كتاب " الواجب " لسيمون ، ونشره مابين عام ١٩٢٠ و عام ١٩٢١ في أربعة أجزاء ، ثم نشـر ترجمته لكتاب " نظام الأثينيين " لأرسطو عام ١٩٢١، كما نشر ترجمته لكتـــاب " روح التربية " لجوستاف لوبون عام ١٩٢١. (انظر دراسة الدكتور ناصر الدين الأسـد، حول كتاب في الشعر الجاهلي ، حاشية ص ٢٢٧ ، مجلة القضاة ، السنة التاسعة عشرة ، العدد ١) .

(٤) حديث الأربعاء ، ص ٧١ ، جـ٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمثله شعرية ، **لأن إيرادها لا يليق أن يكون في صحيفة سياسة** ؛ ولذا أضطر الى الاعتذار قائلا : " ولكنّك تقرّنا على أننا لا نستطيع أن نطرق هذا الباب ، إلاّ في كتابٍ مخصّص لأبي نواس ، يقرؤه الخاصة ، ولا تصل اليه يد العامة " [١] ، وهكذا فإنه لم يستطع أن يدرس هذا الغزل ، على الرغم من ذهابه الى أنه أحد فنين شعريين جديدين قد طرآ على الشعر العربي ، خلال العصر العباسي .

وثمة مثال آخر هو شعر الصيد عند أبي نواس ، فقد رأينا كيف ذهب طه حسين الى أن أبا نواس قد أجاد فيه كلّ الإجادة ، حتى إنّه عدّه أوّل " من اتخذه فنا مستقلا من فنون الشعر ، فنظم فيه القصائد طوالها وقصارها " [٢] ، ولكنه مع هذا لم يستطع أن يدرس هذا الشعر ، ولم يستطع البتة أن يورد من هذه القصائد الطوال أو القصار شيئا ، وانما اضطر الى القول معتذرا : " ...لا أحدثك عن (شعر الصيد) ، لأن أبا نواس قد آثر فيه الغريب إيثارا شديدا ، حتى أصبح **من المستحيل أن تتسع له الصحف السيارة** ، لشدة احتياجه الى الشرح والتفسير " [٣] .

واذن لو أنّ الدراسة قصد بها الى النشر في كتاب ، لما اضطرت في الغالب الى أن تعاني من هذا النقص وأمثاله ، ويبدو أنّ طه حسين كان يأمل أن يعيد فيها النظر ، وأن يفي الجوانب الناقصة فيها حقها من الدرس ، وأن يخرجها في كتاب ، ذلك أنه يقول فيها : " ... لعلي أوفّق الى جمع هذه الفصول كلها في كتاب فأضيف اليها فصلا عن الصيد في شعر أبي نواس " [٤] ، ولكنّه لم يفعل ، ولو فعل لأضحت الدراسة أكثر تكاملا وعمقا ، ولتلافت مايعتورها من عيوب ومآخذ .

نقد المحافظين ومحاورة رفيق العظم :

وأمّا أن دراسته لشعراء الخمر والمجون هي من دراساته المهمة المثيرة فذلك لأنه ماكاد يبدأ في نشرها تباعا ، **حتى أسخطت المحافظين** ، فكتبوا في الصحف ينكرونها ، ويهاجمونها ويدعون طه حسين الى التوقّف عن نشرها ، والعدول عنها الى غيرها [٥] .

والواقع أنّ الدراسة قد أثارت المحافظين من ناحيتين أساسيتين :

- **أما الناحية الأولى فهي المنهج** ، وما خلص اليه من نتيجة ، فقد خلص طه حسين فيها من خلال هذا المنهج إلى **أن أبا نواس** ، هذا الشاعر الفاسق ، الماجن ، المنحل ، الذي استأثر بجُلّ

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٠٣ ، ج٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .
(٤) انظر المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعره الخمر والغزل بالغلمان ، هو في الحقيقة يمثّل الجماعة التي كان يعيش بينها أحسن تمثيل ، بل هو مرآة صادقة تعكس بيئته ، خلال القرن الثاني للهجرة ، وقد أخطت هذه النتيجة المستخلصة بعض المحافظين من الكتاب ، يقول طه حسين في عام ١٩٢٤ مصوّرا ذلك في حينه : "... **زعموا أني أسيء الى العرب ، وأتهمهم بما ليس فيهم ، واتّخذ فجور واحد من الشعراء مقياسا لحياة العصر ، الذي عاش فيه ، فأعمّم حين يجب التخصيص ، وأسرف في التعميم حين يجب الاحتياط والدقة** ..." (١).

وثمة محاورة قد جرت بينه وبين أحد المحافظين من الكتاب حول هذه الدراسة ، وهذا الكاتب هو **رفيق العظم** ، الذي أرسل في عام ١٩٢٣ مقالة الى صحيفة " السياسة " ينقد فيها منهج الدراسة ونتيجتها ، ولكنّ في أسلوب علمي رصين (٢). وكان **أهم ما أخذه عليه** أنه تعجّل الحُكم في دراسته ، حين ذهب الى أن عصر أبي نواس كله كان عصر شك ومجون ، فما استند اليه من أشعار وأخبار في تحقيق شخصية الشاعر هو في رأيه " لا يكفي لمثل ذلك الاستنتاج ، ولا تبنى عليه أحكام سوداء في تاريخ أبيض ناصع ، كتاريخ الرشيد والمأمون ، ومن عاصرهما من العلماء والفضلاء " (٣). وقد رأى أنه كان على طه حسين ألاّ يتقبل أخبار الشاعر وعصره كلها ، لأن كثيرا منها مختلق ، لفّقه بعض **القصّاص** وبعض **الأخباريين** لأسباب عدة (٤) ، حتى إنّهم لم يتورّعوا خلال ذلك عن تشويه صور الخلفاء العباسيين ، وقد تنبّه الى هذا المؤرخ **ابن خلدون** ، فأنكر " أقوال الملفقين الذين لفّقوا على الرشيد تلك الحكايات الشائنة " (٥) ، واذن لقد كان ينبغي على طه حسين أن يتّخذ من ابن خلدون قدوة له ، لأنه " لا شكّ عند كل منصف أن ابن خلدون أوثق وأصدق كلاما من أبي نواس وأمثاله من المُجونيين ، هذا إذا صحّت كلّ أخبار المجون المنسوبة الى هؤلاء " (٦).

وقد ردّ طه حسين على نقد رفيق العظم (٧) بالقول: إن الخلاف بينه وبين ناقده هو خلاف جوهري جدا ، وشديد جدا ، ذلك أنّ هذا الخلاف " لا يتناول أشياء مفصلة فحسب ، وانما يتناول مبدأ عاما قبل كل شيء " (٨). **فرفيق العظم وأمثاله من العلماء المحافظين** ينظرون الى التاريخ

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٤٩ ، ج٢.

(٢) ولذا حرص طه حسين على محاورته ، بل حرص على أنّ يثبت نصّ مقالته حين جمع فصول حديث الأربعاء. (انظر حديث الأربعاء ، ص ٥٨ ، ج٢)

(٣) رفيق العظم ، الى الأستاذ طه حسين ، (حديث الأربعاء ، ص ٥٨ ، ج٢) .

(٤) انظر المصدر نفسه ، ص ٦٠ ـ ٦١.

(٥) المصدر نفسه ، ص ٥٩.

(٦) المصدر نفسه ، ص ٦٠.

(٧) وجعل عنوان مقالته " ردّ على نقد " حديث الأربعاء ، ص ٦٣، ج٢.

(٨) المصدر نفسه ، ص ٦٣ ، ج٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العربي والاسلامي نظرة ، كلّها إجلال وتقديس وينزّهون الخلفاء والأعلام فيه عن كل شر ، ويحفونهم بجلائل الأعمال ، ويرفعونهم عن صغائرها[١] ، وهو يرى أنّ إمام هؤلاء المحافظين هو ابن خلدون[٢] ، **ومذهبهم في البحث والنقد ليس علميا بالمعنى الصحيح** ؛ لأنه يسمو الى التنزيه والتمجيد ، لا إلى التحقيق الذي لا يسمو الى مدح ولا الى ذم ، والذي لا يحفل بحمد أو هجاء "[٣] ، ولذا فهو لا يقرّ رفيق العظم على نظرته التنزيهية الى أعلام التاريخ العربي والاسلامي ؛ ذلك أنه لا يتردّد في القول له : " ... أنت لا تنظر الى هؤلاء الناس نظرا علميا مجردا بريئا ، وانما تنظر اليهم نظرا متّهما ، ملؤه الإعجاب والإكبار ، لأنك تتأثرهم ، وتحتذي على مثالهم ، واذن فرأيك فيهم غير صحيح ، وحكمك لهم أو عليهم متّهم ، وكيف تستطيع أن تجمع بين الإعجاب الذي لا حدّ له ، وبين النقد العلمي ، الذي لا يعرف الهوى ، ولا يتأثر بالميول والعواطف "[٤] **وأمّا هو فيجهر** بأنه ينظر الى التاريخ العربي الإسلامي نظرة علمية مجرّدة ، ويدعو رفيق العظم الى أن يفعل هذا أيضا ، على أنه يقول له في ختام ردّه :

" ... ولكني أخشى ألاّ يفعل الأستاذ ، لأنه اتخذ لنفسه قاعدة تقديس القدماء ، **أما أنا فلا أقدّس القدماء ، وانّما أنظر اليهم كما أنظر اليك والى نفسي ، وأعلم أنهم مثلك ومثلي يجدون ويمزحون ، يحسنون ويسيئون** "[٥] .

ولذا فقد أصرّ في رده على الرأي الذي كان قد خلص اليه في دراسته ، قائلا : " أنا أزعم - وأعتقد أني قادر على إثبات ما أزعم - أنّ القرن الثاني للهجرة ، قد كان عصر لهو ولعب ، وقد كان عصر شك ومجون ، وكل شيء يثبت صحة هذا الرأي "[٦] .

ويُلاحَظ أنّه - حين حاول إثبات رأيه - قد أرجع انتشار المجون والشك في القرن الثاني للهجرة الى شيئين أساسيين ، رأى أن كليهما خطر على حياة السذاجة والقناعة ، **أحدهما العقل الفلسفي** ، الذي يتدخل في كل شيء بالنقد والتحليل ، وبالنفي والإثبات ، والبحث والاستقصاء ، محاولا أن يهدم كلّ مايعترض طريقه من آثار الوراثة[٧] ، ... **وثانيهما الحضارة** ومايصاحبها من ترف ولذة[٨] ،

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٦٣ ، ج٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٤ - ٦٥ .
(٥) المصدر نفسه، ص ٧٠ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٦٩ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ١٥٠ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ١٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول : " ... كلتا هاتين الظاهرتين شديدة الخطر على كل قديم ، فأما العقل الفلسفي فمعول يهدم القديم في الحياة المادية على اختلاف فروعها ،ومن زعم أنّ العرب لم يتأثروا في القرن الثاني للهجرة بهذين الخطرين فهو مسرف كل الإسراف ، بعيد عن الحق كل البعد "[١].

كما يلاحَظ أنه **أرجع أصل العبث والمجون والزندقة الى الفرس خاصة ، والى أهل العراق الذين** تأثروا بالفرس ، على حين ذهب الى أنّ تأثير اليونان في الشك والزندقة كان قليلا[٢].

على أنّ طه حسين لم يكتف في محاولته بإثبات رأيه بالأدلة والحجج النظرية ، وانما قرّر في النهاية أن يقدّم لمنتقديه دليلا علميا على صحة رأيه ، وهو أن أبا نواس ليس الشاعر الوحيد الصادق في تشخيص جماعته وعصره وبيئته ، وانما كان معه جماعة من الشعراء ، كلهم يؤكد أن العصر " كان عصر شك واستخفاف ، وعصر مجون واستهتار باللذات "[٣] ، وهؤلاء الشعراء هم : مطيع بن إياس ، وحمّاد عجرد ، والحسين بن الضحاك ، وبشار بن برد ، وأبان بن عبدالحميد ، وهم الشعراء الذين رأيناه يتناولهم في إيجاز شديد ؛ لأنّ هدفه المحدّد الوحيد من تناول هؤلاء الشعراء الشاكّين ، المسرفين في المجون ، قد كان هو تشخيص حياتهم تشخيصا ، لا يترك شكا عند منتقديه في صحة رأيه ، الذي ذهب اليه في دراسته الكبيرة لأبي نواس[٤].

ولكن على الرغم من قوة الأدلة والحجج التي قدمها لإثبات صحة رأيه الذي ذهب اليه في دراسته، فإن **الدارس المحايد يبقى يشعر بأنه أسرف شيئا ما في إطلاق رأيه** ، إذ مال الى تعميم حكمه تعميما ، وطبع العصر كله في القرن الثاني للهجرة بطابع الفسق والمجون والشك ، ولو أنه قال : إنّ تيار الفسق والمجون والعبث كان قويا ، أو كان ظاهرة بارزة من ظواهر بارزة أخرى ، لكان رأيه أقرب الى المنطق والإقناع.

لقد كان طه حسين يؤمن بالحكمة اليونانية التي قامت عليها فلسفة **سقراط وأفلاطون وأرسطو** ، وهي **" لا تُسرِفْ "** ، وينصح لغيره من الدارسين بأن يأخذ بها[٥]، ولكننا مع هذا نشعر بأنه أسرف في رأيه أو حكمه السابق عن عمد وقصد ، إذ نحسب أنه كان يقصد - فيما يقصد اليه من دراسته- إثارة **الاهتمام ، واحداث الضجيج** ، وهو ما سنعرض له حين ننتقل الى الناحية الثانية التي أخطت بعض المحافظين من دراسته.

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٥٠ ، ج٢.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦١.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٩.
(٥) انظر المصدر نفسه ، ص ٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأمّـــا الناحية الثانية التي أثارت بعض الناس في دراسته ، فهي طبيعة موضوعها ، وزمن نشرها ، يقول طه حسين في حينه مصوّرا ما أحدثه موضوع دراسته من سخط " ... سخط نـــاس كثيرون في مصر ، وفي غير مصر ، سخط قوم ، لأن في شعر أبي نواس وأمثاله مخالفة للأخلاق ونبوّا عن الدين "(١)، ويقول أيضا مبينا مخاوفهم من تأثير الموضوع : " ... زعموا أنّ ما نرويه في هذا الحديث من شك الشعراء حينا ، ومجونهم حينا آخر ، مفسد لأخلاق الشباب ، مدنّس لقلوبهم الطاهرة ، وتجاوزوا هذا الى أكثر منه "(٢).

وقد زاد من استنكار الساخطين على الموضوع أنه راح ينشر بعض مقالات دراسته في **شهر رمضان** ، وكان منهم بعض الأدباء المشهورين من أمثال **المـــازني** ، الذي نقده وسخر منه سخرية مرة (٣).

على أنّ طه حسين ردّ بقوله : إنّ أحاديثه بريئة ، لا يرى فيها أي خطر على أخلاق الشباب ، ذلك أنه لا يروي فيها كلّ شعر ، وانما يتخيّر ما لا يرى بأسا في روايته(٤)، كما ذهب الى أنه لا خطر على الدّين من أحاديثه ، لأن السلف الصالح كان لا يتحرّج من أن ينشد مثل هذه الأشعار ، التي يورد بعضها ، بل إنه يقول " ... إنّ أخلاقنا العامة وعاداتنا لتمنعنا أن ننشر للناس ما أنشد عبدالله بن عبّاس في المسجد الحرام ، وقد سئل عن الشعر : أينقض الوضوء ؟ وان أخلاقنا وعاداتنا لتمنعنا أن ننشر للناس ما أنشده عبدالله بن الزبير حين لقي الفرزدق بالمسجد الحرام أيضا "(٥).

واذن لا خطر على الدين من دراسته ، وأما نشره لبعض أحاديثها **خلال شهر رمضان** ، فيدافع عنه بالقول : " لعلّي انما تخيرت هؤلاء الظرفاء وأحاديثهم ، لأرقّه على هؤلاء الصائمين ، وأخفّف عنهم من ألم الصوم قليلا ، وأيّ إثم في ذلك ؟ وأي جُناح فيه ؟ " (٦).

* * *

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٤٨ ـ ١٤٩ ، ج٢.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤١.
(٣) انظر " قبض الريح " للمازني ، ص ٢٩ وما بعدها ، دار الشعب ـ القاهرة .
(٤) حديث الأربعاء ، ص ٤٢ ، ج٢.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٤٢.
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عنصر الاثارة في دراساته :

ولا ريب أنه يلفتنا في كلامه هذا قوله في أوّله **" لعلّي "** ، فهو لا يذهب الى اليقين والتأكيد أن مقصده كان الترفيه ، وانما يرجو أن يكون القصد كذلك رجاء ، ولقد ذهبنا في السابق الى القول : إن طه حسين في دراسته الأولى لصراع القديم والحديث في الشعر العربي ، التي بدأ ينشرها في عام ١٩٢٢ ، قد توصل من خلال تأمله العام الى مايعتقد أنه **" الجديد "** الذي حققه الشعر العربي القديم في مختلف عصوره ، التي تلت العصر الجاهلي ، ثم إنه بعد ذلك مباشرة ، قد أخذ يقصد قصدا الى دراسة هذا الجديد وابرازه ، **واذن يمكن الدفاع بهذا عن اختياره لموضوع الخمر والمجون ،** ذلك لأنّ شعر الخمر الخالص والغزل بالغلمان هو الجديد الذي طرأ على الشعر العربي في صدر الدولة العباسية - بحسب اعتقاده - ، ولكنّنا مع هذا نقول هنا أيضا : إنّ طه حسين وهو يدرس شعراء الخمر والغزل العباسيين ، قد ألمح في وضوح الى الجديد الشعري ، **الذي تحقّق في العصر الأموي**[(١)] ، ومعنى هذا أنّ صورته كانت واضحة في ذهنه ، وهنا ينبغي أن نتساءل : **لماذا آثر إذن أن يدرس جديد الشعر في العصر العباسي ، قبل جديده في العصر الأموي ؟**

ألم يكن من الأولى أن ينشر في شهر رمضان دراسة عن **الغزل العذري العفيف** - وهو من جديد العصر الأموي - لا أن ينشر دراسة في مطيع بن إياس وحماد عجرد والحسين بن الضحاك الخليع وبشار بن برد ، وذلك مراعاة للمنطق في الدراسة ، وللترتيب في الزمن ، ومراعاة لشعور بعض المحافظين من قراء صحيفته؟[(٢)] .

إنّنا نظن أنه في عدم مراعاته للترتيب الزمني في دراسة الجديد الشعري ، وفي تخيّره نشر بعض الأحاديث عن المجّان في شهر رمضان ، قد كان يحرص حرصا على توفير **عنصر الاثارة لدراسته** ، فهو منذ البداية كان يقدّر أنّ الدراسة ستكون مثيرة ، وآية هذا أنّا نجده يقول في أوّلها : **" ... أستأذن رجال الأدب القديم ، من المعاصرين ، في أن أكون جريئا وحرّا في هذا البحث ، وأرجو ألاّ تغضبهم هذه الجرأة ، ولا تسوءهم هذه الحرية "**[(٣)] .

ويلاحظ أنّ مانرجحه هنا يتسق تماما وما ذهبنا اليه لدى تحليل شخصيته النقدية ، في فصل سابق ، فقد رأينا هناك أن طه حسين اكتشف مبكرا ، في زيارته الأولى لأهله ، بعد ذهابه الى الأزهر ، أنّ خير وسيلة للتخلص من إهمال الناس له ، لكونه مكفوفا ، هي إثارتهم[(٤)] ، ثم لاحظنا أنه قد أخذ

---

(١) انظر حديث الأربعاء ، ص ١٦١ ، جـ٢ .

(٢) انظر المصدر نفسه ، هوامش الصفحات : ١٤٨ ، ١٦٠ ، ١٧٣ ، ١٨٨ ، جـ ٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥١ .

(٤) انظر " الأيام " ، ص ١٢٢ - ١٢٨ ، جـ٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعد ذلك يحرص على هذه الإثارة في الأزهر والجامعة ، وفي نقده الأدبي المبكر ، قبل ذهابه الى فرنسا[١] ، وقد يقال هنا : إنّ طه حسين حين بدأ ينشر دراساته مابين عام ١٩٢٢ وعام ١٩٢٣ لم يكن مغمورا ، أو يعاني من الإهمال ؛ ذلك أنه كان مدرّسا بالجامعة المصرية الأهلية[٢] ، وكان أحد رجال حزب الأحرار الدستوريين البارزين ، والمحرّر الأدبي في صحيفته " السياسة " ، كما كان قد نشر كتبا مترجمة ومؤلفة عدة ، حققت له قدرا من الشهرة .

وحينئذ نجيب قائلين : إنّ هذا كله صحيح ، ولكنّ طه حسين **لم يكن بالأديب الذي يقنع بشهرة عادية** ، وانّما كان في هذا الطور يتشوّف الى شهرة أدبية مدوّية ، بعيدة المدى ، لا تدانيها شهرة لأديب آخر ، ولذا فقد قام عام ١٩٢٣ بنشر دراسته المثيرة في شعراء الخمر والمجون ، ثم أتبعها عام ١٩٢٤ بدراسته المثيرة في الغزليين الأمويين ، التي خلص فيها الى أن بيئة الحجاز كانت بيئة غزل وفسق وترف ، ثم اتجه بعد ذلك الى نقد زملائه الأدباء نقدا حرا جريئا ، دارت خلاله محاورات عنيفة لافتة ، كما حدث بينه وبين مصطفى الرافعي[٣] - على نحو ما سوف نرى - ، حتى إذا جاء عام ١٩٢٦ ، واذا به ينشر كتابه " في الشعر الجاهلي " ، واذا به يصل الى غاية هدفه من الإثارة واحداث الضجيج ، **وقد لمس هذه الحقيقة الدكتور ناصر الدين الأسد لمسا قويا** لدى طه حسين ، وذلك في بحثه الأخير " حول كتاب في الشعر الجاهلي " ؛ إذ قرّر أن من أهدافه في نشره له هو بلوغ الشهرة المدوّية ، التي كان يطمح اليها[٤] ، وذلك لأن كتبه السابقة - كما يقول - " ... ماكانت لتزيد على أن تجعله كاتبا كبيرا ، وما كان أكثر الكتاب الكبار في عصره ، ولم يكن بطبعه يطيق الانتظار والتدرج ، ولا كان بطبعه يقنعه أن يكون معه غيره ، ولو على قمة الشهرة ، ولا بد أن تكون هذه القمة له وحده ، منفردا بها ، لا يشركه فيها أحد "[٥] .

على أن الإنصاف والحق يقتضيان القول : إنه **لم يكن ينشد الإثارة وحدها في دراساته وكتبه** ، وما كان له أن يسعى الى هذا اللون من الإثارة الفارغة ، وهو الذي نهى تلميذه زكي مبارك عنها[٦] ، وانما كانت الإثارة عنصرا من عناصر عدة ، كان يحرص على توفّرها في دراساته الكبيرة ، **وأما بقية العناصر فهي ثلاثة : أولها الموضوع اللافت** الجدير بالتناول ، **وثانيها**

---

(١) انظر مذكرات طه حسين ، ص ٣٧ .

(٢) وقد أصبحت جامعة حكومية في عام ١٩٢٥ .

(٣) انظر حديث الأربعاء ، ص ١٢٠ ، ١٢٥ ، ج ٣ .

(٤) حول كتاب في الشعر الجاهلي ، ص ٢٣٣ ، مجلة القضاة ، السنة التاسعة عشرة ، العدد الأول .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٢٢٨ .

(٦) انظر حديث الأربعاء ، ص ٦٦ ، ج ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنهج المتكامل الذي يعالج الموضوع معالجة عميقة شاملة ، تؤدي في الغالب الى نتيجة قيمة أو ذات خطر ، ويُلاحَظ هنا أنه في دراساته الرائدة كان يهدف الى ترسيخ منهجه النقدي ، وتبيينه للقراء - فضلا عن النقاد والدارسين - وهذا واضح في قوله لقرائه في إحدى هذه الدراسات مثلا : " ... **لست أكتب هذه الأحاديث لأقول كلّ ما أريد ، وانّما قصاراي أن أحبّب اليك قراءة الأدب العربي ، وأرسم لك نهج هذه القراءة** "[١] .

وأما العنصر الثالث فهو الإخلاص والصدق مع النفس في هذه الدراسات ، وآية هذا أنه ظل ثابتا في الغالب على آرائه التي خلص اليها في هذه الدراسات المبكرة ، وهذا واضح في مناقشاته للنويهي والعقاد[٢] وسلامة موسى[٣] مثلا حول شخصية أبي نواس ، وسر نفوره من المرأة ، واقباله على الخمر والغلمان ، فقد أكد في الخمسينيّات أنه مازال يؤمن بدراسته التي نشرها في عام ١٩٢٣[٤] ، **مما يدل على أن رأيه في أبي نواس وشعراء المجون قد ظل ثابتا لم يتغيّر** .

واذن فهذه العناصر الأربعة السابقة تتضافر معا في دراساته ، ويتجلى من خلالها ذهنه المتوقد الجريء ، مما يخفي عليها أهمية بالغة ، واذن فهو لم يكن يهدف فيها الى الإثارة فحسب ، ولو كان ينشد فيها الإثارة وحدها ، لماتت هذه الدراسات بُعيد نشرها ، ولما ظلّت تحتفظ بقدر من الأهمية والقيمة بعد سنوات طوال من نشرها أوّل مرة .

* * *

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٢٤٧ ، ج١ .

(٢) انظر " خصام ونقد " ، ص ١٢١ - ١٤٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٥٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب ـ أحاديثه في شعراء مختلفين

عرض طه حسين في إيجاز شديد لشعراء عباسيين آخرين، لم يشتهروا بالمجون والعبث، ومن هؤلاء : مروان بن أبي حفصة، والسيد الحميري .

أمّا مروان[١] فتأتي أهميته في رأيه من كونه **شاعرا سياسيا**، مع أنه لم يكن صادق العقيدة، وانما كان همّه الأول أن يفوز بالمال، ويرى أنه في بيته المشهور :

" أنّى يكونُ وليسَ ذاكَ بكائنٍ لبني البناتِ وراثةُ الأعمامِ "[٢]

كان خير " من نظم الدفاع عن نظرية العباسيين في وراثة الملك، وصاغها في هذه الصيغة الفقهية الشعرية معا "[٣]، كما يرى أنه أجاد في المدح والرثاء، وتفوّق على شعراء عصره في المدح خاصة[٤] .

أمّا قصيدته التي مطلعها :

" طرقتك زائرةٌ فحيّ خيالَها بيضاءُ تخلطُ بالجمالِ دلالَها "[٥]

فيرى أنها " آية من آيات الشعر السياسي، وآية الجودة في اللفظ والمعنى، وصفاء الأسلوب ورقته، في غير ضعف ولا ركة ولا تبذّل "[٦].

وهو يذهب الى أنّ **ثمّة عاملين قد أثّرا في فن مروان الشعري : الأول** أنه كان يقيم في **اليمامة**، فكان لهذا أثره في شعره، إذ جعله " أقرب الى شعراء الجاهليين والاسلاميين منه الى شعر المحدثين من شعراء الحضارة العباسية، تقرؤه فتجد عليه هذه المسحة، التي تخلو أو تكاد تخلو من الدعابة والخفة، وتمتاز بشيء من الجلال، والرصانة "[٧].

والعامل الثاني أنه كان **يجوّد شعره، ويثقّفه، ويتنخّله**، ولا يتسرع في إخراجه، فهو في هذه الناحية من تلاميذ زهير " فليس عجيبا مع هذه الأناة أن يخلو شعره مما يستنكر، وأن يبرأ من الضعف والوحشية معا "[٨].

---

(١) انظر ترجمة مروان بن أبي حفصة في الأغاني : ص ٧٤، المجلد التاسع، وقد جمع شعره الدكتور حسين عطوان (انظر : شعر مروان بن أبي حفصة، دار المعارف بمصر، ١٩٧٣).

(٢) انظر القصيدة في العقد الفريد، ص ٣١١، الجزء الاول، وشعره المجموع، ص ١٠٤.

(٣) حديث الأربعاء، ص ٢٢٩، ج٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٣٥.

(٥) انظر الأغاني، ص ٩١، المجلد التاسع.

(٦) حديث الأربعاء، ص ٢٣٣، ج٢.

(٧) المصدر نفسه، ص ٢٣٦.

(٨) المصدر نفسه، ص ٢٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأمّا السيد الحميري[١]، فقد كان شاعرا مكثرا ، مثل بشار وأبي العتاهية ، ولكن طه حسين يلاحظ أنّه لم ينل حظا من الشهرة ، ويرجع السبب في هذا الى أنّ الرواة القدماء قد تحرّجوا من رواية شعره ، لأنه كان شيعيا غاليا ، لا يتورع فيه عن هجاء كبار الصحابة والسلف الصالح[٢].

أما شعره من الناحية الفنية فهو في رأيه سهل مطبوع ، شديد النفرة من الغريب ، لأن الشاعر كان يهمّه أن يفهمه الناس ، ولا يهمه أن يعجب الرواة ، يقول : " وهذا طبيعي بالقياس الى شاعر سياسي ، يدافع عن حزب مضطهد ، فهو لا ينظم شعره للخاصة وحدهم ، وانما ينظمه للعامة الذين يريد أن يتخذ منهم أنصارا "[٣].

* * *

كما عرض طه حسين أيضا في إيجاز شديد لأربعة شعراء مشهورين ، من شعراء القرن الثالث للهجرة ، وهؤلاء الشعراء هم : **أبو تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز** .

أمّا أبو تمام[٤] فيرى طه حسين أنه بظهوره " بدأ التعقيد الفني في الشعر العربي "[٥]؛ ذلك أنّ من اليسير أن نشخّص المذاهب الفنية لأبي نواس أو بشار أو مسلم ، على حين أن تشخيص المذاهب الفنية لأبي تمام أكثر صعوبة ومشقة ، وهو يميل الى الخبر الذي يذهب الى أن أبا تمام كان من أصل يوناني[٦]، **لكنّه لا يقرّ الآمدي وتبّعيلاً وأمثالهما** على دعواهم أنّ أبا تمام كان يسرق من الشعراء القدماء[٧] ، ويرى أن كثرة قراءته للشعر ، قد ملأت حافظته وخياله ، وعقله ، بالمعاني والألفاظ ، التي يستعملها الشعراء فليس غريبا إذن أن تدخل في شعره هذه المعاني ، وأن يغلب عليه بعض ألفاظ الشعراء ، ولا سيما الغريب ، دون أن يكون أبو تمام قد تعمد إدخال هذه الألفاظ وهذه المعاني في شعره "[٨]. واذن يمكن القول : إنّ أبا تمام قد **تأثر بما قرأ من شعر**

---

(١) انظر ترجمة السيد الحميري في الأغاني ، ص ٢٢٤ ، الجزء السابع .

(٢) حديث الأربعاء ، ص ٢٤٢ ، جـ ٢ ،
وانظر الأغاني ، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٤ ، جـ ٧.

(٣) حديث الأربعاء ، ص ٢٤٩ ، جـ ٢.

(٤) انظر ترجمة أبي تمام في الأغاني ، ص ٣٠٣ ، المجلد ١٦ ، دار الثقافة ـ ١٩٥٩ م.

(٥) من حديث الشعر والنثر ، ص ٩٢.

(٦) المصدر نفسه ، ص ٩٣ ـ ٩٤.

(٧) انظر الصراع النقدي حول أبي تمام واتهامه بالسرقة في كتاب " تاريخ النقد الأدبي عند العرب " للدكتور إحسان عباس ، ص ١٤٧ ـ ١٤٨.

(٨) من حديث الشعر والنثر ، ص ٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قديم وحديث ، على أن نلاحظ أنّ ثمة فرقا كبيرا بين القول : إنه قد تأثر ، وبين القول : إنّه لص سارق[١].

وهو يذهب الى أنّ أبا تمام كان **زعيم الشعراء** في زمنه ، وأنه **أوّل شاعر إسلامي** استطاع أن يفرض زعامته فرضا ، مع أنه لم يكن محبوبا من النقاد ورواة الشعر والعلماء، من أمثال : ابن الأعرابي ؛ لأنه أسرف في البديع ، وفاق أستاذه مُسلمًا في الميل اليه[٢].

والفرق بين أبي تمام وأستاذه مُسلم هو أنّ مُسلمًا قريب المعاني ، يلائم بينها وبين الألفاظ ، فتنجم عن ذلك علاقة موسيقية جميلة ، تأتي من البديع ، وأمّا أبو تمام فهو كلف بالمعاني الغريبة ، وبالصور غير المألوفة ، ولذا فهو " يأتيك بأشياء لا تكاد تسمعها ، حتى تأخذك الدهشة ، واذا أنت قد خرجت عن طورك ، واضطررت أن تفكر مع الشاعر ، والى أن تسير معه ، فإذا هو يبرك حينا ، ويحزنك حينا آخر "[٣].

ونقد القدماء لأبي تمام لا يعجب طه حسين ؛ لأنه نقد جزئي يقف عند البيت والبيتين ، يقول : " وما هكذا نفهم نحن النقد الآن ، وما هكذا نتصوّر المثل الأعلى للنقد الأدبي "[٤]، ذلك أنّ **النقد الحديث** يظهر أنّ أبا تمام كان صاحب تعمّق ، بل يظهر أنّه " رجل كان قد عاش في عصر لم يكن من الحسن أن يوجد فيه ، وربما كان قد **سبق العصر الذي كان ينبغي أن يوجد فيه** "[٥].

* * *

وأما البحتري[٦]، فميزته في رأي طه حسين أنه " ربما كان أظهر الشعراء الذين احتفظوا بجمال الديباجة العربية ، كأحسن مايحتفظ الشاعر بجمال الديباجة في القرن الثالث للهجرة "[٧] ، فهو يشبه الشاعر جريرًا من هذه الناحية ، وعلى الرغم من أنه لم يكن يبتكر المعاني والصور كأبي تمام فإنه كان حسن النظم ، وله أشعار عميقة خالدة ، **لكنه حين يوازن بينه وبين أبي تمام**

---

(١) من حديث الشعر والنثر ، ص ٩٩.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٣.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٥.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٦.
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٠٦.
(٦) انظر في ترجمة البحتري : الأغاني ، ص ٣٩ ـ ٥٧ ، المجلد ٢١ ، تحقيق عبدالستار فراج .
(٧) من حديث الشعر والنثر ، ص ١١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يتردّد في تقديم أبي تمام عليه، قائلا : " بل لا أتردّد ، ولا احتاط في أن أقدم أبا تمام على معاصريه جميعا ، مع هذا كله ، فشعر البحتري من أجمل ماترك لنا الأدب العربي العباسي "[١].

وأما ابن الرومي : فيرى طه حسين أنه قريب من أصله اليوناني، ولذا فهو بطبيعته وفنه مخالف كلّ المخالفة لكثرة الشعراء الذين عرفناهم في القرن الأول للهجرة"[٢].

وابن الرومي في رأيه يشبه أبا تمام في الاعتماد على العقل، وعدم الاستسلام للخيال وحده ، فكلا الشاعرين يتخذ العقل وسيلة الى تحقيق مايريد ، وكلاهما يتفق في الحرص على تعمّق المعاني، وعلى استيفائها واستقصائها ، والمبالغة في هذا الاستقصاء ، من أجل الإتيان بالأشياء الغريبة ، على أنه يلاحظ **أن أبا تمام أحرص من ابن الرومي على متانة اللفظ ، وروعته في أغلب شعره** ، وأما ابن الرومي " فهو سهل في شعره ، لا يريد أن يشق على نفسه ، وعلى سامعيه ، وهو يرسل لسانه على سجيته ، كما يرسل نفسه على سجيتها ، فهو من أقل الشعراء كلفا بالغريب "[٣].

وابن الرومي لا يحرص على البديع حرص أبي تمام ، ويمتاز باطالته للقصائد أكثر منه ، لكنّ **طه حسين يرى أن الشعر لا يحتمل الإطالة مثل النثر** ، وأما من حيث المعاني فأبو تمام يغوص على المعنى الجيد ، ويصوّره ، دون إسراف في التفصيل ، مقدّرا أنّ القارئ سيدرك مابقي من خلال **الإيحاء** ، على حين أن ابن الرومي يسرف في تفصيل المعاني، ولا يترك شيئا يوحي به لسامعيه .

ومع أنّه **يقدّم أبا تمام على ابن الرومي** ، ويرى أنه كان أكثر ثقافة منه ، فإنه يقرّر في النهاية أنّ شعر ابن الرومي يستحق العناية ، لأنه جيد ، ولكنه مازال في حاجة الى الدراسة من الناحية الفنية[٤].

وأما ابن المعتز فهو في رأي طه حسين شاعر مطبوع ، ليس متكلّفا في شعره ، ويؤثر السهل على الغريب، لكنه مع هذا كلّه " حريص ما استطاع على جزالة اللفظ ، ويعنى بهذه المعاني المترفة ، التي تلائم حياته وبيئته ، وهو شغوف بفن خاص من فنون الشعر ، يظهر أنه قد تفوّق فيه على الشعراء ، **وهو فن الوصف ، والوصف المادي خاصة** "[٥].

---

(١) من حديث الشعر والنثر ، ص ١٣٠.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣١.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٣.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٥٠.
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو يخصّ بالثناء **مطولتين** لابن المعتز : **الأولى** في ذم الصّبوح[١]، **والثانية** في تاريخ المعتضد ، ويكاد يظهر فيهما مظهر من **فنون الشعر القصصي**[٢]، حتى إنه يوصي بقراءتهما ومحاكاتهما في شعرنا الحديث ، قائلا : " ... أؤكد لكم أن هذه المحاكاة تعود بشيء كثير على الشعر في هذا العصر ، فأجمل مافيه أنه برئ كل البراءة من التكلّف ، لم يبحث عن لفظ غريب ، ولم يتكلف معنى غريبا ، وانما هو يأخذ الأشياء التي حوله ، فيعبّر عنها بالألفاظ التي تدور على ألسنة الناس جميعا "[٣].

أما المطولتان فكلتاهما من بحر الرجز ، ولكن يستقل كلّ بيت فيهما بقافية خاصة ، على نحو مانجد في المنظومات التعليمية[٤]، بيد أن روح الشعر يتوفر فيهما من الناحية الفنية .

عيوب الأحاديث وأهميتها :

يُلاحَظ أن تناول طه حسين للشعراء الستة السابقين كان موجزا ، حتى إنه حاول أن يتحدث عن مروان بن أبي حفصة ، والسيد الحميري في مقالة صغيرة واحدة[٥] ، وأما أحاديثه عن الشعراء الأربعة الآخرين فهي في الأصل **محاضرات** ألقاها إلقاء[٦]، وتختلف في طبيعتها عن دراساته التي كان يقصد فيها الى النشر ، والتي يعمد خلالها في الغالب الى التفصيل والتوضيح ، من خلال إيراد الأمثلة الشعرية المختلفة ، ولكن على الرغم من هذا فإن **منهجه النقدي المعهود** يتبدّى واضحا خلال هذا التناول الموجز ؛ إذ كان يجتهد في أن يحقق شخصية الشاعر ، وأن يشخص بيئته وعصره ، وأن يقدّم له صورة إنْ لم تكن صحيحة ، فهي مقاربة[٧] ، كما أنه في هذا التناول يقدّم **خلاصة آرائه النقدية** في هؤلاء الشعراء ، ويبيّن **خصائصهم وميزاتهم الفنية** ، ويلفت الى الجوانب المهمة التي تستحق الدراسة المفصلة في أشعارهم .

واذا كنّا رأينا طه حسين يميل الى تناول الشعراء جماعات لا أفرادا ، فيلاحَظ هنا أنه مال الى هذا أيضا في تناوله لهؤلاء الشعراء ، فقد جمع بين مروان والسيد الحميري - على اختلافهما -

---

(١) من حديث الشعر والنثر ، ص ١٦٨.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦٣.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧٠.
(٤) انظر النماذج التي عرضها طه حسين منهما في " حديث الشعر والنثر " ، ص ١٦٠ - ١٦٩.
(٥) انظر حديث الأربعاء ، ص ٢٣٨ ، ج ٢.
(٦) انظر من حديث الشعر والنثر ، هامش ص ٨١.
(٧) انظر حديث الأربعاء ، ص ٢٣٨ ، ج ٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في مقالة واحدة ، لأنه يعدّهما مثل **أبان بن عبدالحميد ، من شعراء السياسة**[١] ، وقد جمع بين أبي تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز في محاضرات متتابعة ، لأنه يعدّهم أبرز شعراء القرن الثالث للهجرة ، وخير الشعراء في تشخيص هذا القرن تشخيصا صادقا .

واذا كان القدماء قد اختلفوا في المفاضلة بين أبي تمام والبحتري ، كما يبدو هذا جليا في موازنة الآمدي[٢] ، فيلاحظ أن طه حسين لا يتردّد في تفضيل أبي تمام على البحتري وابن الرومي ، بل على شعراء عصره جميعا ، ولا ريب **أن هذا التفضيل له علاقة بمزاجه الفني ، وذوقه الأدبي** ، فقد رأيناه في السابق يميل الى شعراء الصورة الفنية الحسية ، ويجهر بأنه يعجب إعجابا شديدا بشعراء الصنعة ، الذين يتنخلون أشعارهم ، ويجوّدونها ، ويثقفونها ، من أمثال : زهير والحطيئة ، وكعب ، الذين لقبهم الأصمعي بعبيد الشعر[٣] ، وأبو تمام في رأيه من هؤلاء ، لأنه تلميذ من تلاميذ مدرسة أوس وزهير الفنية ، ذلك أنه يميل في شعره الى التصوير الحسي ، والصنعة والبديع ، فالبديع كما يقول : " فن قديم ، وجد منذ وجد الشعر ، ومنذ عني الشعراء بهذا الفن ، واتخذوه حرفة وصناعة "[٤] ، واذن فأبو تمام لم يبتكره ، وانما أسرف فيه إسرافا ، وهنا يمكن ملاحظة أن **طه حسين ليس أوّل من لفت الى هذا ، لأن ابن المعتز كان أوّل من ذهب اليه في كتابه " البديع "**[٥] .

ومن وجهة أخرى ثمة ملاحظات ثلاث تتعلق بتناوله لشعراء القرن الثالث يمكن ملاحظتها : **أمّا أولاها** : فهي أن إعجاب طه حسين بالثقافة اليونانية ، وتقديره الكبير لأثرها في الثقافة العربية خلال القرن الثالث للهجرة[٦] قد دفعاه الى الميل - فيما نظن - **الى رواية ضعيفة تقول : إنّ أبا تمام من أصل يوناني**[٧] ، على الرغم من أنّ الثّقات القدماء من أمثال **الصولي والآمدي** لم يلتفتوا الى هذه الرواية ، لأن الروايات الأقوى تؤكد عربيته وطائيته ، وعلى الرغم من أنه أقرّ بأنّ أبا تمام نفسه صريح القول خلال شعره : إنه عربي ومن طيّ[٨] ، وهذا

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٢٢٦ ، ج ٢ .
(٢) انظر " تاريخ النقد الأدبي عند العرب " للدكتور إحسان عباس ، ص ١٥٤ وما بعدها .
(٣) انظر حديث الأربعاء ، ص ١٣٨ ، ج ١ .
(٤) من حديث الشعر والنثر ، ص ١٠٢ .
(٥) انظر كتاب " البديع " لابن المعتز ، ص ١ ، تحقيق كراتشكوفسكي ، لندن - ١٩٣٥ .
(٦) انظر " من حديث الشعر والنثر " ، ص ٨٨ - ٨٩ .
(٧) انظر المصدر نفسه ، ص ٩٤ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قد كـــان أولى أن يجعـــله يميـــل الى الرواية التي تؤكـــد عربيّته ، كما يفعل الدارســـــون المحدثون الآخرون في الغالب .

وأما الملاحظة الثانية فهي قوله في محاضرته عام ١٩٣٣ عن أبي تمام : إنه تلميذ من تلاميذ مدرسة أوس وزهير الفنية ، فهذا القول لم يكن يذيع فيه رأيا جديدا في نقده الأدبي ، ذلك أنـــه ألمح اليه في عام ١٩٢٧ حين درس الشعر الجاهلي أوّل مرة[١] .

وأما الملاحظة الثالثة والأخيرة فهي أنّ محاضراته الأربع في أبي تمام والبحـــتري وابـــن الرومي وابن المعتز ، تمثّـــل الجهد النقدي الوحيد الذي بذله في دراسته لشعر القرن الثالـــث ، وهو جهد دون ريب قليل ، أو ضئيل الخطر ، بالقياس الى جهده في دراسة الشـــعر الجاهـــلي ، أو شعر القرن الثاني ، أو حتى شعر القرن الرابع للهجـــرة .

* * *

---

(١) انظر " في الأدب الجاهلي " ، ص ٢٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(جـ) دراســـته في أبي الطيب المتنبي

وهي دراســة كبيرة مستفيضة ، أنجزها في مدة وجيزة[١]، خلال عام ١٩٣٦ ، ثم نشـرت في عام ١٩٣٧ تحت عنوان " مع المتنبي "٠

وطه حسين في بداية الدراسة **مريح القول : إنه لا يحب شخصية المتنبي**، ولم يفكر من قبل في أنه سيعنى به أو سيدرسه ، ولكنّ الذي دفعه الى هذا حديث الناس والدارسين عنه ، خلال الاحتفال بعيده الألفي ، ومحاولته الدائمة لاستكشاف السر " في حب المحدثين له ، واقبالهم عليه ، واسرافهم في هذا الحب والاقبال ، كما أسرف القدماء في العناية به حبا وبغضا ، واقبالا واعراضا "[٢].

٠١ رأيه في شـخصيته :

ويُلاحَظ أنه يبدأ الدراسة بمحاولة تحقيق شخصيته ، من خلال تلمّسه لظروف حياته الأولى، ممّا يضطره الى أن يعرض للحياة السياسية والاجتماعية في البيئة العراقية خاصة ، والإسلامية عامة ، في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع للهجرة ، والى أن يصوّر ماكان يمور في هذه الحياة من فساد وعنف واضطراب ، وذلك كي يخلص أخيرا الى القول : " ٠٠٠ في هذه البيئة المنكرة، التي لم نبالغ، ولم نغلُ في تصويرها ، ولد المتنبي **وأكبر الظن أن مولده كان أثرا من آثار هذا الفساد العظيم، أو أنه لم يخل من تأثّر به على كل حال** "[٣]، ذلك أن هذه البيئة كانت مسرحا للنهب والسلب ، واستباحة الأعراض ، وانتهاك الحرمات ، والمروق من الدين والأخلاق ، وكان الجنس العربي فيها - خلال هذا القرن - قد غلب على أمره " ٠٠٠ وتسلط الغلمان والرقيق ، والمغامرون من الخدم وأشباه الخدم على الملوك والأمراء والخلفاء ، يعبثون بأسمهم ، ويبطشون بسلطانهم ، ويظلمون دون أن يردعهم رادع ، أو يَزعهم وازع ، أو يصدّهم عن ذلك صاد "[٤].

في ظلّ هذه البيئة وظروفها ولد المتنبي في الكوفة ، سنة ٣٠٣ للهجرة ، وهو يقرّر أن

---

(١) تقع في أكثر من (٣٥٠) صفحة من القطع الكبير ، وقد كتبها خلال شهر ونصف ٠

(٢) مع المتنبي ، ص ١٦ ، المجلد الثالث من دراساته القديمة المجموعة ٠

(٣) المصدر نفسه ، ص ٠٣٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٠٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشاعر عربي النسب ، دون ريب ، ولكنه يلحظ **أنّ سرا من الأسرار كان يكتنف حياته ، ويحيط بأسرته** ، ذلك أنه **لا يذكر أباه أو جده أو أمه في شعره البتة** ، ولذا فإنه بعد مناقشة للأسباب المختلفة التي قد تكمن وراء ذلك ، يخلص الى أنّ طفولته لم تكن عادية مألوفة ، بل يذهب الى أنه مقتنع " بأن **مولد المتنبي كان شاذا** ، وبأن المتنبي أدرك هذا الشذوذ ، وتأثّر به في سيرته كلها ، ولم يستطع أن يلائم بين نفسه الشاذة ، وبين البيئة الكوفية ، التي كان يراد له أن يعيش فيها "[١].

وهو يرجّح أن المتنبي حين غادر الكوفة في صباه الى البادية ، قد اتصل هناك **بالقرمطية** ، وتأثّر بها ، كما يدل على هذا شعر الصّبا ، ومن ثمّ فهو يميل الى " أن المتنبي قد نشأ نشأة شيعية غالية ، لم تلبث أن استحالت الى قرمطية خالصة "[٢]، كما يرى أن المتنبي الذي شاهد احتلال القرامطة للكوفة ، وهو في الرابعة عشرة، حين غادر العراق وهو في السابعة عشرة " لم يرحل الى الشام طلبا للرزق فحسب ، وانما ذهب الى الشام داعية من دعاة القرامطة "[٣].

على أنّ طه حسين يلحظ أن أبا الطيب لم يبقَ مخلصا للقرمطية حتى نهاية حياته ، ذلك أنه بدأ حياته يتعاطف واياها ، لأنه نشأ نشأة فقيرة ، ولكنه حين أخذ يمدح الأمراء والملوك وينال جوائزهم المجزية تخلّى عن الحركة العنيفة الثائرة ، وآية هذا أنه حين عاد الى الكوفة مثريا - بعد سنوات عدة من الطواف في بلاد الشام ومصر - ، وهاجم القرامطة مدينته مرة أخرى ، لم يتردّد في هجاء داعيتهم ضبة بن يزيد الكلابي هجاء مقذعا[٤]، بل إنه لم يتردّد في أن يشارك أبناء مدينته قتالهم ، واذا به - حين يرى القرامطة يهاجمون المدينة - " ينهض ومعه غلمانه ، فيقاوم بالسيف والرمح ، وينجح في هذه المقاومة ، ويشق لنفسه ولغلمانه طريقا حتى يتصل بحاكم المدينة "[٥].

على أنّ طه حسين حين يَعرِض لهذا لا يقصد منه أن يعرّض بشخصية الشاعر ، وانما يريد أن يقرّر أن **شخصيته هي ثمرة طبيعية لظروف بيئته** ، وعصره ، تمثلت فيها النقائص والعيوب ، التي كانت ظاهرة في تلك البيئة وذلك العصر ، يقول : " إذا ولد في هذه البيئة صبي ، ذكي القلب ، مرهف الحسّ ، رقيق المزاج ، حاد الشعور ، ملتهب العاطفة ، قوي الخيال ، كان من

---

(١) مع المتنبي ، ص ٣١ ، المجلد الثالث .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٩.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٥١.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٣٥.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطبيعي أن يسير السيرة التي تكوّن منه هذا الشخص ، الذي يعرف بالمتنبي "[١].

ومن خلال منهجه المعهود في الدراسة الأدبية يخلص كذلك الى القول : إن المتنبي **كان ومواليا متقلبا بحسب أطماعه** ، لا يكاد يثبت على مبدأ ، ولا يخلص لأحد ، فهو في شبابه عربي قرمطي ، لكنه بعد ذلك يمدح غير العرب حين تدعوه الضرورة ، ثم يتكلّف الشعوبية في مدح الروذباري بدمشق ، ثم يعود الى عربيته حين يتصل بالحمدانيين ، ثم يعرض عن عربيته عندما يرحل الى عبد زنجي ، بالفسطاط ، فيمدحه ما امتدت له أسباب الطمع فيه ، ثم يسترد عربيته إذ يرجع الى العراق ، ثم يتناسى عربيته وقرمطيته معا ، عندما يهجو القرامطة ، ويقاتلهم ، ويمدح " دليّر بن لشكروز " أحد قادة البويهيين في بغداد[٢] ، وعندما يؤثر ابن العميد وعضد الدولة على سيف الدولة ، ولذا فهو حين عاد في آخر أيامه من عند عضد الدولة وابن العميد كان في رأيه قد ضحى في سبيل المال والمجد الذاتي بالقرمطية والعربية معا تحت أقدام البويهيين[٣].

وطه حسين يلاحظ أيضا أن أبا الطيب المتنبي " **... كان يتخذ الشعر وسيلة لا غاية ، وكان عبدا للطمع والمال ، لا للجمال والفن** "[٤] ، كما يجهر بخاطر غريب في السبب الحقيقي ، الذي يكمن وراء موت الشاعر ، ويذهب الى أنّ هذا الخاطر مازال يلحّ عليه إلحاحا ، ولا يكاد يفارقه منذ درس شعر المتنبي في شيء من التدقيق ، يقول : " وأنا أعرض عليك هذا الخاطر ، كما يعرض نفسه عليّ ، فإن شئت فاقبله ، وانْ شئت فارفضه ، لأني لا أجد بين النصوص مايمكنني من ترجيحه ، فضلا عن القطع به "[٥] ، أما هذا الخاطر فهو أن المتنبي **لم يذهب ضحية لقصيدته في هجاء ضبة ، ولا ضحية لجشع الأعراب ، وطمعهم في ماكان يحمل من مال** ، " وانّما أدى بموته الى **القرامطة** من جهة ، والى **العرب** من جهة أخرى **ثمن هذه الخيانة ، التي اقترفها في الكوفة ، وسجلها في نفسه** في شيراز ، وعاد وفي نفسه أن يمعن فيها ، ويباهي بها ، ويملأ بها الأرض إذا انتهى الى بغداد "[٦].

* * *

---

(١) مع المتنبي ، ص ٣٨ ، المجلد الثالث .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٣٥.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٦٦.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٥٢.
(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠٢ رأيه في شـــعره :

وفي ضوء فهم طه حسين الخاص لنفسية المتنبي، وتبيّنه لشخصيته وروحه، يعرض لشـــعره في أطواره المختلفة، مبديا آراءَه النقدية فيه، وهو يبدأ من شعره في طور الطفولة والصّبـــا، فيعرض لنماذج منه، ثم يخلص الى أنّ **شعر هذا الطور متكلّف** في الغالب، ولكنه يوحي بموهبة صاحبه، ويدلّ تتبعه تتبعا زمنيا على أنّ قائله كان يتمرس في فن الشعر شيئا فشـيئا، ولـــذا فإنه لم يكد يبلغ آخر هذا الطور " حتى كان قد تمّ له حظه من الشعر "[١] كما يبـدو هذا واضحا في قصيدته التي مطلعها[٢]:

" أهلاً بدارٍ سَـباكَ أغيدُهـــا أَبْعَدُ مابانَ عنـــكَ خُرّدُهـــا "

ذلك أنّ القصيدة "قد بلغت الأربعين بيتا، وهي أطول ماحفظ ديوان المتنبي لنا من شعره فـــي هذا الطور، وتبدو كاملة الخلق، قد استوفت حظها من النظام الفني الموروث"[٣].

وأما شعر الشباب فيبدأ حين يتوجـه المتنبي الى شمال الشام، وشعره في أول هـــذا الطور يميل الى **التأثر والتقليد** : " ... تقليد للقدماء، ولأبي تمام خاصة، واعتماد ظاهر على الطباق والمبالغة، يسرف فيهما إن استعصت عليه قريحته، ويقتصد فيهما إنْ واتاه الطبع "[٤]، وهو يلاحظ أن المتنبي في هذا الطور قد بدأ يتكلف القوافي، التي لا تخلو من عـر، ويأخـذ نفسه بشيء من الشدة في ذلك، ليظهر قدرا من البراعة في اصطناع القوافي، والقدرة عـــلى استدلالها، على أن ألفاظ هذا الشعر ومعانيه، وأساليبه، تدل على نمو في طبيعة الشـــاعر، وتقدم في ملكته الفنية نحو الرشد والنضج شيئا فشـيئا[٥]، وخير مثال شعري، لهذا النمـــو والتقدم قصيدته التي مطلعها[٦]:

أحـــقٌ عَافٍ بدمعـــكَ الهِـــممُ أحدثُ شـيءٍ عهدًا بها القِـــدَمُ

ذلك أن القصيدة تظهر من الناحية الفنية قدرة المتنبي على الوصف، وبراعته في تصوير الطبيعـة، كما يبدو في تصويره للبحيرة خاصة[٧]، وأما من حيث المضمون فقد دلّت القصيدة على مذهـــب المتنبي السياسي في هذا الطور، وقد أتم العشرين، " فإذا هو أعمّ وأشمل من القرمطيـــة أو

---

(١) مع المتنبي، ص ٥١، المجلد الثالث ٠

(٢) انظر أبيات القصيدة التي عرض لها في المصدر نفسه، ص ٥١ ـ ٥٣٠

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٣٠

(٤) المصدر نفسه، ص ٦٦٠

(٥) المصدر نفسه، ص ٦٦٠

(٦) المصدر نفسه، ص ٨٧، وانظر بقية الأبيات التي عرض لها ٠

(٧) المصدر نفسه، ص ٨٧٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التشيع، واذا القرمطية أو التشيّع عند المتنبي وسيلة الى تحقيق هذا المذهب السياسي الخطير، **وهو أن تجتمع كلمة العرب**، وأن يعود اليهم ملكهم، وسلطانهم، وأن يردّ غير العرب من الخدم والرقيق الى طورهم، الذي كانوا فيه، حين كان الملك عربيا صحيحا "[١].

وهنا يتوقف طه حسين عند نماذج من الأشعار، التي كان المتنبي فيها يستعدّ للثورة خلال هذه الحقبة، ويبيّن ماتتضمنه من تطرف وحدّة ومروق، وتحريض وتهديد[٢] ثم يخلص من تحليلها الى أنّ ما تتضمنه كان " لا يبيح للسلطان سجنه فحسب، بل يبيح للسلطان دمه أيضا "[٣]، بل هو يذهب الى أنّ **هذا الشعر هو الذي سجنه**، وأمّا مانسج حول سجنه فهو أساطير ليس غير، يقول: " ... **أنا لا أتردّد في رفض مايُروى من أنه ادّعى النبوة، وأحدث** المعجزات، أو زعم إحداثها، وضلّل فريقا من خاصة الناس وعامتهم "[٤].

وسجن المتنبي في رأيه قد عاد بالخير على فنّه، لأن السجن أضطر هذا الفتى العنيف المتمرّد الى أن يكفكف من غلوائه، ويخفّف من جموحه، واضطره الى أن يهدأ ويطمئن، ويفكر ويتدبر، ويستقبل الحياة في أناة[٥].

وأما الطور الثالث في شعر المتنبي فيبدأ بعد السجن، وحين شرع يتصل بالأمراء، وهو يلاحظ أنّ نفسية المتنبي قد تغيرت شيئا ما خلال هذا الطور؛ ذلك أنه أخذ يفكر في فنه الشعري، وينتخلى عن أحلامه في الثورة واصلاح شؤون الحياة ونظمها؛ لأن تجربة السجن " علمته أنه لم يخلق لهذا، وانما خلق ليسلك طريق الشعراء من قبله، فيمدح الطغام، ثم أوساط الناس، ثم أشرافهم، ثم من يدري لعله يصل الى القصر "[٦].

وهكذا غلب فنّه الشعري طموحه السياسي، ولم يبقَ من هذا الطموح سوى رغبة في أن يلتمس الثروة، وحين كانت نفسه تنازعه بعد ذلك الى شيء من السلطان، لم يكن يفكّر في الاستقلال، وانما يفكر أن يبقى في ظل رجل حاكم، على أنّ طه حسين يلاحظ مع هذا أنه سيظل في شعر هذا الطور مظاهر السخط والثورة السابقة، ولكن دون أن يعنيها المتنبي حقا[٧].

---

(١) مع المتنبي، ص ٨٦. المجلد الثالث.
(٢) انظر المصدر نفسه، ص ٨٩ ـ ٩٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ٩٧.
(٤) المصدر نفسه، ص ٩٧.
(٥) المصدر نفسه، ص ٩٩.
(٦) المصدر نفسه، ص ١٢١.
(٧) المصدر نفسه، ص ١٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أبرز الأمراء الذين اتصل بهم أبو الطيب ، وأسهم هذا الاتصال في تطوّر فنه وارتقائه **بدر بن عمّار** ، ومن أجود قصائده فيه لاميته المشهورة ، التي صوّر فيها قتال الأمير للأسد ، وطه حسين يثني على مقدرة المتنبي الفنية فيها دون تحفظ ، ذلك أنه يقول عنه : " ... صوّر هذا الصراع والدفاع تصويرا رائعا بارعا ، بذّ فيه نفسه ، وفاق فيه طاقته ، وخرج فيه عن طوره المألوف ، وأكاد أعدّ هذه القصيدة من آيات المتنبي ، بل أنا أعدّها من هذه الآيات "[١].

* * *

على أن أبرز أمير اتصل به المتنبي في رأيه هو سيف الدولة ، إذ يرى أنه وضع فيه ديوانا خاصا مستقلا ، من أروع دواوين الشعر العربي[٢] ، وأروع مافيه شعره في الجهاد ، الذي ارتقى به ، وبدا خلاله وقد ملك ناصية الفن حقا ، وأثبت شخصية قوية مستقلة ، ممتازة من أبي تمام وغيره .

وأمّا رثاؤه لديه فيرى أنه لم يبتكر فيه شيئا ، وقد ينتهي فيه " الى معنى غريب ، أو فكرة قيمة . ولكنّ رثاءه على كل حال عاديّ ، دون المتوسط ، وخير مافيه هذه الإلمامات القصيرة ببعض الآراء الفلسفية ، التي كانت **بذورا صالحة لفلسفة أبي العلاء** "[٣].

وخير هذا الرثاء في رأيه القصيدة التي قالها المتنبي في رثاء " **خولة** " الأخت الكبرى لسيف الدولة ، إذ تبدو مشاعره فيها قوية صادقة ، كما أنها تتضمن معاني عميقة ، يرى طه حسين أنها فتحت أبوابا من " أبواب الفلسفة المحزونة المتشائمة **لشعر أبي العلاء** "[٤].

أما أروع قصيدة قالها المتنبي في سيف الدولة ، فهي قصيدته التي مطلعها :

" لياليَّ بعدَ الظاعنينَ شُكولُ طِوالٌ وليلُ العاشقينَ طويلُ "

ذلك أنه يعرض لها بالتحليل الفني المفصل ، ويحكم لها بالقول : " إنّ هذه القصيدة عندي أروع ماقال المتنبي لسيف الدولة من الشعر "[٥].

---

(١) مع المتنبي ، ص ١٢٧ . المجلد الثالث .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ ، وانظر ص ٢٠٣ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٢٦ ، وانظر التحليل ، ص ٢٢٦ ـ ٢٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن القصائد الأخرى التي تعجبه ، ويرى لها مكانها الرفيع من التفوّق والامتياز ، لا بين شعر المتنبي وحده ، وانما بين الشعر العربي كله ، قصائده التي مطالعها : **"على قَدْرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمْ" و "أراعَ كذا كلّ الأنامِ هُمامُ" و "ذي المعالي فليَعْلَوْنْ من تعالى" و "الرأيُ قبلَ شجاعةِ الشجعانِ"**[١] .

* * *

أما شعره في كافور الإخشيدي ، الذي قاله في مصر ، فيرى أنه " أقلّ سقطا من شعره في حلب ، لأن المتنبي - فيما يظهر - كان يقدّر العلماء والمثقفين المصريين أكثر مما كان يقدر العلماء والمثقفين الذين كان يلقاهم في قصر الحمدانيين "[٢] ، على أن طه حسين يلاحظ أنّ وصف المتنبي للطبيعة المصرية ضعيف ، ويعلّل هذا بأن الشاعر كان مشغولا دائما بنفسه ، ولذا فقد أجاد الغناء في هذا الشعر ، إذ انّه تغنّى " حزنه وألمه وانتظاره وسخطه ، وندمه في شعر رائع حقا "[٣] ، وأما مدحه لكافور فبعضه جيد ، وبعضه متوسط ، ولكنه ليس شيئا من الناحية الفنية ، بالقياس الى مدحه لسيف الدولة[٤] .

ومن أجمل غناء المتنبي الحزين في مصر قصيدته التي قالها ، وهو مريض بالحمّى[٥] ، وقصيدته التي مطلعها :

" صحبَ الناسُ قَبْلَنا ذا الزمانَا وَعَناهمْ من شأنه ماعَنانا "

إذ يرى طه حسين أن المتنبي في بعض أبياتها " يخع أساس التشاؤم المطلق ، واليأس الشامل والتشاؤم الذي لا موضع فيه للتفاؤل "[٦] . كما يرى أن هذا الأساس من **أسس الفلسفة العلائية**[٧] .

وأما هجاء المتنبي لكافور فهو مؤثر ، ويعترف طه حسين بأنه **معجب ببعض هجائه للمصريين خاصة**[٨] ، ويقول : " ما أشك في أن المتنبي قد وفّق للإجادة في هجاء كافور والمصريين

---

(١) انظر مع المتنبي ، ص ٢٢٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٨١ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٩٢ .
(٥) انظر المصدر نفسه ، ص ٣٠١ - ٣٠٣ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٠٣ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٣٠٣ .
(٨) انظر المصدر نفسه ، ص ٣١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اكثر مما وفّق للإجادة في المدح "[١] ذلك أنه " أحسن تصوير لون من أخلاق المصريين، حين وصف إذعانهم وخنوعهم لهذا الأسود "[٢].

ويرى أنّ لمصر فضلين على المتنبي ، لا يمكن إنكارهما : الأول أنها " رققت غناءه، وعلّمته الحزن الطويل، والتأمل الذي يكاد يرقى به الى الفلسفة "[٣]، **والثاني :** الارتقاء بهجائه " من السخف والإقذاع الى حيث يجعله أمثالا سائرة، وحكمة تنفع الناس "[٤].

* * *

وأما شعر المتنبي في ابن العميد فيذهب الى أنه غير جيد، ويرى أنه " قد قصّر من غير شك عن مدح هذا الرجل، الذي كان بعقله، وأدبه، وسياسته، وكرمه، زينة لمعاصريه "[٥]، على حين أن **شعره في عضد الدولة قد بلغ الأوج من الناحية الفنية**، فهو في طرديّته مثلا، التي مطلعها :

" ما أجدرَ الأيامَ والليالي بأن تقول مالَهُ ومالي "

قد ارتقى - بحسب رأيه - " الى أرفع ما أتيح له أن يبلغ من الإجادة الفنية الخالصة "[٦]، وهو يلحظ أنّ نَفَس أبي الطيب، وملكاته الفنية، **قد استردت قوّتها الشعرية كلها، واضافت اليها قوة لم تكن تعرفها من قبل "**[٧]، ومعنى هذا أنّ زيارة المتنبي **لشيراز** قد دفعت فنه الشعري الى الأمام دفعة ممتازة حقا ؛ ولذا فطه حسين يبدي دهشة من أنّ نقّاد الأدب ودارسيه لم يلتفتوا الى **مايمتاز به شعره في شيراز من سائر شعره**[٨]، ومع أنه لم يعرض بالتحليل النقدي لنماذج منه، معتذرا بأن في ذلك إطالة لم تعد تحتملها دراسته[٩]، فإنه يقرّر أنّ هذا الشعر **رائع لا فت**، وجدير بأن يقف عنده الدارس طويلا، بل إنّه يقول عن شعر المتنبي في شيراز

---

(١) مع المتنبي، ص ٣١٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣١١.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣١٧.
(٤) المصدر نفسه، ص ٣١٨.
(٥) المصدر نفسه، ص ٣٤٢.
(٦) المصدر نفسه، ص ٣٤٥.
(٧) المصدر نفسه، ص ٣٤٥.
(٨) انظر المصدر نفسه، ص ٣٤٧، حيث يبدي دهشته من عدم ملاحظة " بلا شير " خاصة ذلك.
(٩) كانت الدراسة قد وصلت الى ٣٤٨ صفحة من القطع الكبير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالقياس الى شعره السابق كله : "... **هو من الناحية الفنية الخالصة آثره عندي، وأعجبه لي، وأحبه إليّ، وهو خليق أن نقف عنده قصيدة قصيدة، وأن نفصّله، ونستخرج دقائقه، ونضع أيدينا على مواضع التطور فيه**"[١].

ويلاحِظ طه حسين أن شعر المتنبي في عقد الدولة كلّه مختار، ويعتقد أن المتنبي لو فرّ الى فارس لا الى الشام في بداية شبابه " إذن لتغيّر (شعره) تغيرا تاما، **ولوثب الشعر العربي في القرن الرابع وثبة بعيدة المدى، ولفُتّحتْ للشعراء بعد المتنبي أبواب جديدة، يلتمسها الشباب من الشعراء الآن، فلا يكادون يظفرون منها بما يبغون**"[٢].

أهمية الدراسة وأثرها

لا ريب أنّ دراسة طه حسين في المتنبي هي أيضا من دراساته المثيرة اللافتة، ذلك أنّها أثارت - وما زالت تثير - استنكار المعجبين بأبي الطيب، وهم كُثْر في الغالب بين الأدباء والقراء معا، لا يخلو منهم جيل من الأجيال.

ولقد رأينا أن الدراسة يمكن أن تقسم قسمين أساسيين، بحسب آراء طه حسين الواردة فيها : الأول يتضمن آراءه النقدية التي يبديها في شعر المتنبي من الناحية الفنية، والقسم الثاني يتضمن آراءه التي تتعلق بحياة الشاعر وشخصيته.

أسلوبه في نقد شعره :

أما آراؤه النقدية في شعره ففيها تتمثّل الأهمية الحقيقية للدراسة، مع أنّ هذه الآراء لا تصدم في الغالب مشاعر المعجبين بالمتنبي، ولا تثير لديهم استنكارا أو سخطا، ذلك أن طه حسين فيها جاد كل الجد، صادق مع نفسه كل الصدق، وآية هذا أنّا نجده يزاء كثير من الأبيات والقصائد لا يتردّد في الإعراب عن ثنائه الحار، واعجابه الشديد، دونما تحفظ.

وتتجلّى أهمية آرائه في هذا القسم من الدراسة في ثلاث نواح رئيسة : **الأولى** أنه فيها يتناول شعر المتنبي كله؛ مايعجبه منه، وما لا يعجبه - بحسب أطواره المتتالية - على حين

---

(١) مع المتنبي، ص ٣٤٧ - ٣٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رأيناه في دراساته الأدبية السابقة للعصر الجاهلي والأموي والعباسي يعمد الى اختيار مايعجبه فحسب ، ثم يورده ويتناوله بالنقد والتحليل وفق منهجه ، واذن فنحن في تلك الدراسات قد تعرّفنا في الحقيقة مايعجبه في الشعر ، وحاولنا أن نستخلص منه الدلالات النقدية المختلفة ، ولكنّنا في دراسته للمتنبي **نتبيّن مباشرة ما لا يعجبه في الشعر ، ونتعرّف لأول مرة ذوقه الأدبي في نقد الشعر ، تعرّفا كاملا** ، ونكتشف من خلال هذا التعرّف أنّ **ليس من اليسير أن ينال شعر الشاعر رضا طه حسين وقبوله ، فضلا عن إعجابه وثنائه .**

وحين نتأمل نقده لما لا يعجبه من شعر المتنبي نلاحظ أن **ذوقه ينفر نفورا شديدا من البديع المتكلّف** ومن التعقيد اللفظي في الصياغة ، وتحكّم القافية ، ونقده لما لا يعجبه من حيث الصياغة يبدو حادّا ، وقد نلمح فيه شيئا من السخرية ، فهو حين يعرض لقول المتنبي مثلا في الرثاء :

" وأفجعُ من فقدنا من وَجَدْنا قبيلَ الفقدِ معقودَ المثال "

يقول : " مارأيك في هذه **الفأفأة** ، وفي هذه **القفقفة** وفي هذه **الدأدأة** ؟ ثم مارأيك في هذا الجهد العنيف الذي يتكلّفه الشاعر ، ويفرض علينا أن نتكلفه ، ليؤدي هو ، ونفهم نحن ، معنى مبتذلا ، لا خطر له ، ولا غناء فيه "[١] .

وحين يعرض لقصيدة قالها أبو الطيب في أبي العشائر ، ومطلعها :

" مبيتي من دمشقَ على فراشي حشاهُ لي بحرٌّ حشاي حاشِ "

أول مايتناول هذا المطلع بالقول : " ... مطلع هذه القصيدة غريب ، لا يخلو من " **حأحأة** " و " **شأشأة** " ثقيلتين ، مصدرهما تحكم القافية ، ... ومن يدري ؟ لعل المتنبي وبعض المعجبين به ، كانوا يجدون في هذه الحأحأة والشأشأة جمالا وظرفا ، والله يهب حسن الذوق لمن يشاء "[٢] .

وقد ينصبّ نقده على سوء اختيار المتنبي للقافية وعلى تكلّفه لألوان أخرى من البديع ، غير الجناس ، فحين يعرض لقوله :

" شَغَلتْ قلبهُ حسانُ المعالي عن حسانِ الوجوهِ والإعجازِ "

يتساءل في حدة "... هل تعرف **أسمج** من هذه القافية ، **وأصفق** من هذا الطباق ؟ "[٣] .

---

(١) مع المتنبي ، ص ١٩٨ ، المجلد الثالث .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأمّا ضيقه بالتعقيد اللفظي وتكلفه فنلمسه في تناوله لكثير من الأبيات ، التي يبدو فيها التعقيد واضحا ، نحو قول المتنبي :

" كيف ترثي التي ترى كلَّ جفنٍ راءَها غير جفنها غير راقي "

فهو يتناوله قائلا : " ... ما أرى إلاّ أنك تضيق مثلي بهذا التكلّف المرذول ، الذي يظهر في هذا **اللفظ المعقد ، الرث ، كأنه نسج العنكبوت** "[١].

وقد ينصبّ نقده على المعنى ، إذا لاحظ أنه غير صحيح أو مستقيم ، أو ليس فيه جدّة أو طرافة ، وهذا أسلوب ظاهر ، مألوف في نقد طه حسين الأدبي عامة ، ولكنّ الذي يلفت في نقده للمعنى عند أبي الطيب خاصة ، أنه يربط فيه أحيانا بين المعنى الصحيح المستقيم وبين مايكرهه في شخصية الشاعر من خيلاء فارغة ، وكِبْر متكلّف ، وشجاعة غير حقيقية - بحسب اعتقاده - ، ومثال هذا أنه حين يعرض لقول المتنبي ، الذي أعجب البلاغيين في القديم :

" يا بدرُ يا بحرُ يا غمامةُ يا ليثَ الشرى يا حِمامُ يا رجلُ "

لا يتردّد في القول : " ... لكني لا أدري لماذا يخيل اليّ أنّ هذا البيت يصوّر **أسمج ماكان في المتنبي** ، حين كان ينشد بين يدي ممدوحيه ، من هذه **الخيلاء** التي لا تمثّل إلاّ ذلّة وضعة ، وضعفا ، وسخفا "[٢].

كما أنه حين يعرض لقوله في سيف الدولة :

" ليت أنّا إذا ارتحلتَ لك الخيلُ ، وأنّا إذا نزلتَ الخيامُ "

لا يهمّه من معنى البيت ، سوى تأوّله بالقول : " ما رأيك في هذا الشاعر العظيم ، الذي يفاخر الشعراء ، ويتعلي عليهم ، ويسرف في الكبرياء والخيلاء ، يتمنى أن يكون فرسا ، يحمل الأمير إذا سار ، أو خيمة تظلّ الأمير إذا أقام ؟ ولكن لا ينبغي أن ننسى أنّ المتنبي منافس ، ومنافس في رضا الأمير ، وأن الذلّة والملق أقرب الطرق وأيسرها الى بلوغ هذا الرضا "[٣].

بل إنّه حين يعرض لبيت المتنبي المشهور ، الذي يجري مجرى المثل على الألسنة :

" واذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ طلبَ الطعنَ وحده والنِّزالا "

يكرّر القول غير مرة : " ... أنا أستغفر عشاق المتنبي والمؤمنين بشجاعته ، وإقامته ، إن قلت : إن المتنبي لم يصوّر أحدا ، كما صوّر نفسه في هذا البيت المشهور "[٤].

---

(١) مع المتنبي ، ص ١٥٨.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤١ ، وانظر ص ٢٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على أن أسلوبه في نقد شعر المتنبي لا يمضي كلّه على هذا النحو من الحدة والشلب وعدم الاستحسان، وانّما يتضمن أيضا **الثناء الحار** كما قلنا، فطه حسين لا يخفي إعجابه الشديد بالكثير من شعر المتنبي[١]، **كشعر الجهاد** الذي قاله في ظل سيف الدولة، والذي يعرض لبعض قصائده بالنقد والتحليل، ثم يخلص الى الحكم له بالقول: إن هذا الشعر كله " **رائع، بارع، خليق بالدرس والتحليل** "[٢]، وكشعره الذي قاله في **شيراز**[٣]، وطه حسين معجب الإعجاب كله **بشعر المتنبي الذاتيّ**، الذي قاله، وتغنى فيه مشاعره وهمومه الخاصة، فهو حين يتناول الدالية مثلا، التي قالها المتنبي في هجائه الشهير لكافور، ويعرض للأبيات التي يصوّر فيها المتنبي همومه قائلا:

" لم يترك الدهرُ من قلبي ولا كبدي ... شيئاً تتيّمه عينٌ ولا جِيدُ
يا ساقيَّ أخمرٌ في كؤوسِكما ... أم في كؤوسِكما هَمٌّ وتسهيدُ
أصخرةٌ أنا مالي لا تحرّكني ... هذي المُدامُ ولا هذي الأغاريدُ
إذا أردتُ كميتَ اللونِ صافيةً ... وجدتُها وحبيبُ النفسِ مفقودُ"

لا يتمالك إلاّ أن يقول: " **أمّا أنا فمفتون بهذه الأبيات، وبالثلاثة الأخيرة منها خاصة**، وما أعرف أني وجدت في كل ماقرأت من الشعر العربي مايشبهها جمالا وروعة، ونفاذا الى القلب، وتأثيرا في النفس، ومهما أحاول فلن أستطيع تصوير مايملأ نفسي من الحزن حين أسمع تحدثه الى ساقيه وسؤاله إيّاهما عمّا في كؤوسهما: أخمر هو أم همّ وتسهيد؟ "[٤].

واذن يمكن القول: **إن نقده الأدبي لشعر المتنبي هو نقد حر بريء**، لا يقصد فيه الى التحامل أو التحيّز، لأنه فيه يعرض لما يعجبه ولما لا يعجبه منه، وسنرى أنّ هذا النقد يتسق أيضا ونقده الأدبي في دراساته القادمة، لأنه فيها يتناول كذلك مايستحسن وما لا يستحسن من شعر، على النقيض من دراساته السابقة.

* * *

---

(١) انظر: مع المتنبي، الصفحات: ٢٢٦، ٣٠٠، ٣٠٥، ٣١٤.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢١٧.
(٣) انظر المصدر نفسه، ص ٣٤٨.
(٤) المصدر نفسه، ص ٣١٤ ـ ٣١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رأيه في تجديده الشعري :

وأما الناحية الثانية التي تضفي على الدراسة أهمية نقدية فهي أنّ طه حسين يرصد خلالها **تجديدالمتنبي في الشعر العربي، وتطويره بعض فنونه القديمة**، فقد لاحظ أنه في شعر الجهاد مثلا قد طوّر فنّ الحماسة القديم ونمّاه وقوّاه، حتى انتهى به الى أرقى أطواره[١]، وكاد يصل به الى الشعر القصصي، بل إنّ بعض الدارسين العرب والأوروبيين قد ذهبوا الى أنه في هذا الشعر قد أوجد الشعر القصصي في الأدب العربي، ومن هؤلاء **الدكتور عبدالوهاب عزام** الذي ذهب الى تقديم شعر المتنبي في الجهاد على الشعر القصصي القديم كله[٢]، ومنهم أيضا بلاشير الذى وصف هذا الشعر بأنه قصصي[٣].

على أنّ طه حسين يتصدى بثقافته اليونانية والرومانية العميقة لمناقشة القضية، فيلفت الى أمر **يردّ شعر المتنبي في الجهاد الى مكانه من الشعر العربي المألوف**، أو يرده الى الغناء خاصة ردا قويا، وهذا الأمر "**هو أن الشاعر لا ينسى نفسه لحظة، ولا بعض لحظة**، وانما هو يذكرها دائما، حتى حين يغرق في وصف سيف الدولة، أو حين يغرق في وصف الحرب والمحاربين، فشخصية المتنبي ظاهرة قوية في شعره الرومي"[٤]. ثم يلتفت طه حسين الى الدارسين الذين وهموا في أمر هذا الشعر، فيذكّرهم بالفرق الأساسي بين الشعر الغنائي والقصصي قائلا : " **أخص مايمتاز به الشعر الغنائي من الشعر القصصي هو هذا العنصر بالضبط، هذا العنصر الذى يمثل الشاعر أمامك في كل لحظة، ويقنعك بأن الشاعر لا يصف وانما يتغنّى**"[٥].

وهكذا يقرّر أخيرا أنّ كل من يوازن بين شعر المتنبي في الجهاد وبين الإلياذة في غير تحفظ ولا احتياط يخطئ دون شك، وأنّ كل من يزعم أن المتنبي قد أدخل في الشعر العربي فنا لم يكن فيه وهو الفن القصصي يخطئ أيضا.

وأما تجديد المتنبي المهم فيراه في شعره الأخير الذي قاله في شيراز؛ إذ إن المتنبي استطاع أن يتجه بالشعر العربي وجهة جديدة، **تقرّبه لأول مرة من الشعر الأوروبي**، فالدارس المؤهل في رأيه خليق بأن يحس " مابين هذا القسم من شعر المتنبي وبين العقلية الأوروبية

---

(١) مع المتنبي، ص ١٧١.
(٢) المصدر نفسه : هامش ص ١٦٩.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٧٠.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٧١.
(٥) المصدر نفسه، ص ١٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من تقارب ليس شديدا ، ولكنه واضح كل الوضوح "[١] ؛ ولذا فإنه يعجب من بلاشير الأوروبي إذ لم يلحظ هذا التقارب ، ولم يلحظ هذا التجديد أو التطوّر العميق في شعر الشاعر[٢].

تراجعه عن ثلاثة آراء نقدية :

وأمّا الناحية الثالثة التي تضفي على الدراسة أهمية نقدية فهي أننا نلمح خلالها تراجع طه حسين عن ثلاثة آراء نقدية سابقة ، كان قد نادى بها ، أو ذهب اليها :

أوّلها رأيه الشهير الذي طالما ردّده في دراساته الأدبية للشعر الجاهلي ، وللغزليين الأمويين ، ولشعراء المجون العباسيين ، وهو أنّ شعر الشاعر هو مرآة صادقة تعكس حياته وشخصيته ، وتشخص جماعته وبيئته وعصره - على نحو مارأينا -[٣] ، لكنه يختم دراسته للمتنبي بتذييل يذهب فيه الى أن **شعر الشاعر لا يصوّر حياته وشخصيته ، وانما يصور لحظات من حياته وبعض شخصيته فحسب** ، وهو يجهر بتراجعه عن النظرية النقدية السابقة قائلا : " من الخير أن نقتصد ، وألاّ نتشدد في هذه النظرية التي يحبها المحدثون ، ويشغفون بها ، وهي أنّ الشعر مرآة الشاعر ، وأنّ الأدب مرآة الأديب ، **صدقني أنّي أصبحت لا أطمئن الى هذه النظرية** "[٤]. أما الذي أضحى يطمئن إليه فهو " **أنّ نقد الناقد إنما يصوّر لحظات من حياته ، قد شغل فيها بلحظات من حياة الشاعر أو الأديب ، الذي عني بدرسه** "[٥].

واذن فشعر المتنبي لا يصوّر حياته ، وانما يصوّر لحظات من حياته ، لا أكثر ولا أقل ، كما أن دراسة طه حسين لهذا الشعر تصور لحظات من حياته ليس غير[٦] .

وقد ذهب " **ديفِدْ سَماحْ** " الى أنّ تراجع طه حسين هذا عن رأيه الشهير السابق يمثّل نُقْلة جديدة في نقده الأدبي[٧]. **وأما قول الدكتور جابر عصفور** : إنّ هذا الرأي ليس بجديد

---

(١) مع المتنبي ، ص ١٧١.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٤٧.
(٣) انظر حديث الأربعاء ، ص ١٧٩ ، ٢٩٧ ، ج ١ ، وانظر : ص ٣٥ ، ٤٤ ، ٥١ ، ج ٢.
(٤) مع المتنبي ، ص ٣٥٦.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٥٦.
(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٥٦.
(٧) انظر : D. Semah, Four Egyptian Literary Critics, PP. 137 - 138 , Leiden , 1974.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في نقد طه حسين [١] ، فيردّه أنّ طه حسين نفسه - وهو أدرى الناس بنقده : جديده وقديمه - يقدم هذا الرأي لقارئه على أنه جديد ، حتى إنه يتعجب من أنه انتظر طويلا حتى طور متأخر من حياته الأدبية ، قبل أن يفطن له أو يفكر فيه [٢] .

وأمّا تراجعه الثاني فيبدو في مناقشته لنسب كل من أبي تمام والمتنبي ، فهو حين مال الى أن أبا تمام يوناني الأصل ، قد أخذ بالحجة التي تقول : إن سلسلة نسبه ناقصة ، وانها تحتاج الى ستة رجال حتى توصله الى قبيلة طيىء ، ولذا قال عن هؤلاء الستة " ... من الغريب أن يسقطوا ، لأن الحرص على الأنساب كان شديدا جدا ، ويرجّح أنّ هذا النسب قد صنع ، على الرغم ممّا يدعيه أبو تمام " [٣] ، كما قال : " ... المرجح أنّ هذا النسب قد صنع ، وأن الذي صنعه قد تعجل صنعته ، ولم يكن على علم باختراع الأنساب " [٤] ، لكنّه حين ناقش نسب أبي الطيب ، وسلّم بعربيته ، **قد رفض رفضا قاطعا أن تكون سلسلة النسب إثباتا لعربية الشاعر أو أعجميته** ، لأن حفظ الأنساب في القديم كان مزية اختصت بها بعض طبقات الأشراف والأرستقراطيين والسادة ، دون العامة [٥] ، واذن إذا نبغ شاعر عربي من العامة ، فينبغي ألاّ نطالبه بحفظ سلسلة متصلة من النسب ، حتى يثبت عربيته ، ولذا فهو يخلص الى القول : " **... ليس من الحق إذن أنّ العربي لا يكون عربيا ، حتى يحفظ لنفسه أو يحفظ الناس له نسبا صحيحا صريحا ، ينتهي به الى قبيلة من القبائل** ، ولو كان هذا حقا لتغيّر كثير جدا من القيم التاريخية والمعاصرة ، فأكثر الذين كانوا يرون أنفسهم عربا في العصور القديمة ، لم يكونوا يحفظون أنسابهم في أكبر الظن والتاريخ لم يحفظها عنهم على كل حال ، أفنجحد الآن أنهم كانوا عربا ، لأن أنسابهم لم تصل الينا ؟ " [٦] .

وطه حسين في رجوعه هذا ، حين يأتي على ذكر أبي تمام في الدراسة [٧] ، يتناسى أنه في عام ١٩٣٣ ، وقبل ثلاث سنوات من كلامه هذا ، قد جحد عربيته ، ورأى أنّ أمرها في شعره مجرّد ادّعاء منه ، استنادا الى نقص طفيف في سلسلة نسبه .

وثالث الآراء التي رجع عنها ، دون أن يجهر بهذا الرجوع - ولعله أهمها وأخطرها - هو رأيه الشهير في امرىء القيس وشعره ، على نحو مابينا في الفصل الماضي ، وحين تحدّثنا عن تغيّر موقفه من الشعر الجاهلي .

---

(١) انظر المرايا المتجاورة ، ص ٣١٥.
(٢) انظر مع المتنبي ، ص ٣٥٥.
(٣) من حديث الشعر والنثر ، ص ٩٤.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٩٤.
(٥) انظر مع المتنبي ، ص ٢٦.
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٦.
(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سخريته وجدّه في نقد شخصيته :

وأما آراؤه النقدية في شخصيته فنلاحظ أنه قصد في أكثرها الى العبث والسخرية والدعابة ليس غير ، ويأتي في مقدمة هذه الآراء قوله: إنّ المتنبي كان **شاذّ الميلاد** [١] ، ثم يأتي بعده هذه الآراء أو النعوت التي ما انفكّ ينعت بها الشاعر في تضاعيف الدراسة ، والتي تتناقض في الغالب وما هو مشهور عنه من الصفات ، كوصفه له **بالجبن** [٢] ، **والحمق ، والعقوق ، والخيانة لعربيته** [٣] ، **والعبودية للمال** [٤] .

ولا ريب أنّ هذه **الآراء غير مقنعة البتة** ، ولكنّها مع هذا لا تحتاج منّا المناقشة الجادة والتفنيد ، لأن طه حسين نفسه قد وفّر علينا مؤونة ذلك ، فقد كان لا يتردّد في **إيراد مايتناقض وهذه الآراء والنعوت** بين حين وآخر في دراسته ، فهو يذهب في البداية مثلا الى أن المتنبي كان في الغالب شاذ المولد ، **ولم يعرف له أبا** ، وأنه حين كبر أدرك هذا الشذوذ ، واضطر الى أن يغادر الكوفة ، حتى إنه لم يستطع **دخولها حين جاءه كتاب جدّته** ، الذي تطلب فيه لقاءه . ولكنه بعد قليل يورد أنّ والد المتنبي **قد صحبه وهو غلام الى البادية** ، وأن أبا الطيب حين كان في الخامسة عشرة ، وخرج القرامطة من الكوفة ، بعد أن عاثوا فيها فسادا مدة سنة ، اضطر أيضا **الى أن يخرج هو وأبوه منها** ، ويرجح طه حسين أنّ هذا الخروج كان خوفا من أهل الكوفة ، لأن المتنبي وأباه كانا متورطين في مناصرة القرامطة [٥] ، ثم يورد أن المتنبي قد عاد **دون تحرّج أو تردّد ، الى الكوفة بعد أن هرب من مصر** ، فأقام في مدينته ، وأضحى من سراتها المدافعين عنها [٦] .

والمتنبي في رأيه **جبان** ، ومع هذا فهو يورد أنه كان **يخوض المعارك الى جانب سيف الدولة ، ويصفها من كثب** [٧] ، وهو عنده **أحمق** ، ومع هذا فهو في رأيه **أستاذ لحكيم المعرة ، قد فتح الأبواب لفلسفته** [٨] ،وهو **عاق** غير وفي ، ومع هذا فقد رثى **فاتكًا الرومي وهو في الكوفة** [٩] ،

---

(١) انظر " مع المتنبي " ، ص ٢٨.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤١ ، ٢٧١.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٥٢.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٦٦.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٤٦ ، ٥٠.
(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٣٥ ، ٣٣٧.
(٧) انظر المصدر نفسه ، ص ٢٢١.
(٨) انظر المصدر نفسه ، ص ٢٠٠.
(٩) انظر المصدر نفسه ، ص ٣٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان يحنّ الى سيف الدولة ، كما رثى أخته خولة رثاء صادقا ، وهو بعيد عن حلب ؛ لأنهما كانت تبرّه في القديم[١] ، وهو عنده **عبد للمال** ، ومع هذا فقد فرّ من كافور ، على الرغم من أنه وفّره له ، وهو **خائن لعربيته** ؛ إذ كان يحلم في مدحه للأمراء والحكام المسلمين - على اختلاف أجناسهم - **أن يصبح شاعر الدولة الإسلامية غير مدافع**[٢] .

طه حسين إذن في اطلاقه هذه الأحكام وأمثالها ، ثم إيراده ماينافضها لم يكن جادا ، وانما كان يصدر عن **عبث وسخرية** ، لا نعتمد في قول هذا على ماتقدّم فحسب ، وانّما على اقراره بذلك في الدراسة ، إذ يقول في خاتمتها : " حين أقبلت على صحبة المتنبي في الصيف الماضي ، **لم أكن جادا** ، ولا صاحب بحث وتحقيق ، وانما كنت **عابثا** "[٣] .

أما هدفه من هذا العبث فهو كما يقول معترفا في صراحة " ... أريد أن **أداعب** المتنبي ، **وأداعب** خصومه وأصدقاءه جميعا "[٤] ، وهو يعلم دون ريب أنّ هذه المداعبة تعني إثارة الدهشة والاستنكار .

على أن طه حسين يصدر في بعض آرائه عن جدّ وصدق مع النفس في الغالب ؛ لأنه يخلص اليها من خلال تحقيقه لشخصية الشاعر ، وفق منهجه في الدراسة ، ولأنها تتسق وآراء نقدية له جهر بها في السابق ، فقد ذهب في عام ١٩٢٤ مثلا ، الى القول : إنّه **لا يكفي الشاعر أن يكون مجيدا مبدعا ، حتى يكون محبوبا** ، فقد يكون الشاعر المجيد خليقا بالإعجاب دون الحب ، لأن محبة الشاعر تقتضي أن تكون في شخصيته ميول وصفات تتوافق أو تتقارب وما لدى دارسه أو قارئه من ميول وصفات[٥] .

ويُلاحَظ أنّ ثمة شاعرين مشهورين ، ما انفك طه حسين يردّد أنه لا يحبهما ، ولا يميل الى شخصيتيهما : على الرغم من اعترافه لهما بالاجادة الشعرية والتفوق : أما الأول فهو **بشار بن برد** ، وقد مرت بنا آراؤه في شخصيته وشاعريته[٦] .

---

(١) انظر " مع المتنبي " ، ص ٢٠١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٤٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٥٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٥٤ .
(٥) انظر " حديث الأربعاء " ، ص ١٨٨ ، ج٢ .
(٦) انظر المصدر نفسه ، ص ١٨٨ - ٢١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما الشاعر الثاني فهو **المتنبي**، إذ يعترف لنا في بداية الدراسة أنه لا يحبه، ولا يميل اليه البتة، كما نلحظ خلالها أنّ مايكرهه في شخصيته، وينفّره منها هو : الخيلاء، والكِبْر، والغرور، وجنون العظمة الفارغة، والميل الى الاستعلاء على الناس واحتقارهم، والمغامرة الدائمة من أجل تحقيق مجد زائف[١].

ويُلاحَظ أنّ إحساسه بهذه الصفات والميول لدى الشاعر يدخل الضيم أحيانا على نقده له، إذ يدفعه هذا الاحساس الى أن **يسخر منه سخرية مرّة**، حين يلمح أن تلك الميول والصفات تتحول في شعره الى استخذاء وضعة وذلة وزلفى أمام الممدوح[٢].

وقد ظل طه حسين بعد الدراسة ثابتا على رأيه في المتنبي، يستجيد الكثير من شعره، وينفر من شخصيته، فقد عرض له بعد ثلاث سنوات من دراسته له، فأعطى **رأيه الجاد** في شعره قائلا : " أنا أقدّر فن المتنبي، وأعجب ببعض آثاره إعجابا لا حدّ له، وأعجب ببعضها الآخر إعجابا متواضعا - إن صحّ أن يتواضع الإعجاب - وأمقت سائرها مقتا شديدا "[٣]. كما أعطى رأيه في شخصيته فقال : " ... لا تثير حياة المتنبي في نفسي إشفاقا عليه، ولا رثاء له، وانما هو مغامر، طلب مالم يخلق له، وتعرّض لما كان يحسن أن يعرض عنه، فانتهى الى ما ينتهي اليه أمثاله المغامرون "[٤].

وأغلب الظن أنّ ليس كل قارئ أو دارس يشارك طه حسين في نظرته الى المتنبي، أو يحس بعيوب شخصيته مثل إحساسه، **ومعنى هذا أنّه في آرائه الجادة يثير المعجبين بالشاعر إثارته لهم في آرائه العابثة الساخرة**، لقد ذهب في البداية - وهو يتحدث عن حوافز دراسته - الى أنه حريص فيها على أن يستكشف السرّ في حب الناس للمتنبي[٥]، ويبدو أنه كان حريصا فيها أيضا على صدم هؤلاء الناس في حبهم، وذلك من خلال جدّه وسخريته معا، وهو الذي يصفهما على لسان صاحبه المتخيل، بقوله له وهو يحاوره : إنك " ... **تجدّ حينا فتكون مرّا، وتسخر حينا فتكون لاذعا** "[٦].

---

(١) انظر " مع المتنبي "، ص ١٢٦ - ١٢٧، ١٩٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٧، ١٩٣.
(٣) مع أبي العلاء في سجنه، ص ٦٧٦، المجلد الثالث.
(٤) المصدر نفسه، ص ٦٧٦.
(٥) انظر " مع المتنبي "، ص ١٦.
(٦) حديث الأربعاء، ص ٧٩، ج ١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو لا يحفل في جدّه المرّ ، ولا في سخريته اللاذعة بمشاعر الكثير من قرائه ، ممن يحبون أبا الطيب ، لأنه يرى أنّ **الناقد الأدبي** ينبغي أن يكون حرا في دراساته ، لا يحفل برضا القراء وقبولهم ، بل إنه يذهب الى أنّ هذا الاهتمام هو آفة يعاني منها الأدب العربي ، حتى إنّه يقول : " لا أظنني أعرف أدبا مقيدا في التحرّج ، غاليا في الاحتياط ، كأدبنا العربي الحديث ، الذي ينشئه أصحابه ، وهم يفكرون في الناس أكثر ممّا يفكرون في أنفسهم ، حتى أطمعوا الناس فيهم ، وأصبحوا عبيدا للجماعة ، وخدما للقراء "[١] ، ولذا فهو يدعو الدارسين والأدباء الى التحرر من سلطة القراء قائلا : **" فلنتمرد على الجماعة ، ولنثر بالقراء ، ولتنبذ الاحتياط كلّه إلاّ هذا الذي يثير الشر أو يؤذي الأخلاق "**[٢] .

وقد يستعصي علينا أن نقوّم هذه الدراسة التي نشعر فيها حقا بما يقول صاحبها عنها : إنّ بعضها لا علم فيه ولا نقد[٣] ، وبعضها الآخر فيه علم وتحقيق[٤] ، وإنها تهزل في البداية ، ثمّ تجدّ في النهاية[٥] ، وقد نحار في ماينبغي أن نقوله فيها ، وحينئذ لا يسعفنا سوى طه حسين نفسه ، إذ يخاطبنا فيها قائلا : **" ... قلّ ماتشاء في هذا الكلام الذي تقرؤه : قل إنه كلام رجل يفكر فيما يقول ، وقل إنه كلام يهذي به صاحبه هذيانا ، قل إنه كلام يصدر عن رأي وأناة ، وقل إنه كلام يصدر عن شذوذ وجموح ، فأنت محق في هذا كله ، لأني مرسل نفسي على سجيتها "**[٦] .

نقد محمود شاكر للدراسة :

وقد أثارت دراسة طه حسين للمتنبي أحد الكتاب والمحقّقين المعروفين ، وهو **محمود محمد شاكر** ، وكان قد نشر في أبي الطيب دراسة خلال عام ١٩٣٦ ، وذلك في مجلة المقتطف ، قبيل أن ينشر طه حسين دراسته ، وكان الدكتور عبدالوهاب عزام قد نشر دراسة فيه[٧] ، وقد كثرت في هذه الحقبة الدراسات في المتنبي احتفالا بعيده الألفي .

---

(١) مع المتنبي ، ص ١٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٥٤ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٥٤ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٧ .
(٧) بعنوان " ذكرى أبي الطيب " ، نشرت في بغداد عام ١٩٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولمّا نشر طه حسين دراسته في عام ١٩٣٧[١]، **فاجأ محمود شاكر القرّاء بطائفة من المقالات المتتالية شرع فيها يهاجم طه حسين هجوما عنيفا، متّهما إيّاه بالسرقة من دراسته، ثم عاد بعد أربعين عاما**، فنشر هذه المقالات في كتاب خاص بعنوان "**المتنبي**"[٢] مؤكدا في المقدمة أنه مازال على موقفه، كما ورد قديما في هذه المقالات، مما يجعل القضية جديرة بالمناقشة، وخليقة بأن يقال فيها كلمة حق بريئة ٠

ونلاحظ أنه يمكن تناول القضية من **وجهتين، الأولى** مقومات التهمة وحوافزها، **والثانية** الأسلوب الذي يعمد اليه محمود شاكر في توجيهها ونقده لطه حسين عامة، ثم موقف طه حسين من هذا كله ٠

أما التهمة فلا ريب أنها تبدو غريبة، لأن القارىء لا يلمح أيّ تأثر وتأثير بين كلتا الدراستين فبينما يذهب محمود شاكر الى القول: "٠٠٠ أزعم أن والد المتنبي كان علويا، ينتهي نسبه الى علي بن أبي طالب"[٣]، يذهب طه حسين - على نحو مارأينا - مذهبا مغايرا، إذ يرى أنّ أبا الطيب كان وضيع النسب و "أن شعور المتنبي بهذه الضعة أو بهذا الضعف من ناحية أسرته وأهله الأدنين قد كان العنصر الأول الذي أثر في شخصية المتنبي"[٤].

ومحمود شاكر يرى أنّ ثمة علاقة غرامية قد ربطت بين **المتنبي** وبين **خولة أخت سيف الدولة**[٥]، على حين أن طه حسين يقصد الى هذا الرأي بعينه، فيرفضه، مشيرا الى محمود شاكر في حاشية الدراسة دون متنها[٦]، وذلك إذ يعرض للقصيدة التي رثى فيها أبو الطيب خولة قائلا: "٠٠٠ ما أرى أن هذه القصيدة تدل على صلة قريبة أو بعيدة، أو على شبه صلة قريبة أو بعيدة بين المتنبي وهذه الفقيدة، وكل مايمكن أن يفهم منها أن الشاعر يتحدث بأن هذه الفقيدة برّته، وأحسنت اليه عن بعد، كما كانت تحسن الى غيره من القصّاد وأهل الأدب"[٧]، ثم يقرن بين رأيه هذا وبين رأي محمود شاكر، ولكن في **صيغة لغوية توحي بالتجاهل واستصغار الشأن** - وكان محمود شاكر مايزال ناشئا في ذلك العهد - فيقول موضحا الفرق

---

(١) كان قد كتبها في عام ١٩٣٦، ثم تأخر نشرها حتى عام ١٩٣٧٠

(٢) نشر مطبعة المدني، القاهرة، عام - ١٩٧٧٠

(٣) المتنبي، ص ٤٣٠

(٤) مع المتنبي، ص ٢٨٠

(٥) انظر دراسته في المتنبي، المقتطف، ص ١٣٠، ج ١، مجلد ٨٨، القاهرة - ١٩٣٦٠

(٦) مع المتنبي، ص ٢٠١٠

(٧) المصدر نفسه، ص ٢٠١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين الرأيين : " ... **والفرق عظيم على كل حال بينه (يقصد رأيه) وبين رأي من رأى أنْ قد كان بين الشاعر وبينها حب أو مايشبه الحب** "[١].

وهكذا يمضي القارىء المتأمل محاولا أن يلمح أيّ تشابه لافت في أسلوبي معالجة الموضوع الواحد ، لكنه لا يلمح شيئا يلفته ، مما يجعله يواصل في تشوّق قراءة المقالات التي كتبها محمود شاكر ثم جمعها ، ليرى كيف سيقيم دعواه ، أو كيف سيثبتها . ولكنه يقرأ ماكتبه كلّه في أناة ، المرّة تلو المرّة ، ويتأمله الحين بعد الآخر، ليفجأ في النهاية بأنه لا يورد شيئا مقنعا ، يمكن أن يقيم الدعوى ، أو يثبت صحتها ، ذلك أنّه يبدأ القول وينهيه ، ثم ينهيه ليعيده ، مكرّرا القول : إن طه حسين قد سرق من دراسته ، **فهو إذن لص سارق** [٢]، ومع أنه لا يبيّن ما أخذه من آرائه ، فإنه يقول : " الدكتور لم يعطِ رأيا ، وانّما أخذ رأيا لم يحسن فهمه ، ولا عرف موقعه من الكلام " [٣].

وهو لا يدلّنا على المواضع التي أخذها طه حسين من كتابه ، على الرغم من قوله : " ... ندلّه على المواضع التي أخذها من كتابنا في هذا الفصل ، وأفسدها على الناس ؛ لأنه أراد أن يحاكي ، فخذلته المحاكاة ، وأراد أن يقلّد فخانه التقليد "[٤].

على أنه يذهب الى أنه أوّل من شكّ في نسب المتنبي ؛ إذ رأى أنه شريف علوي ، ولذا يقول في شيء من الزّهو : " **ذهبت في الرأي مذهبا لم أسبق اليه** "[٥]. وهنا ينبغي أن يُلاحَظ أنّ من اليسير على كل دارس أن يأتي برأي لم يسبق اليه ، وانما العسير حقا هو أن يسبق الى رأي تثبت صحته ، ويسلّم له الدارسون الآخرون بهذه الصحة والسبق ، وأن يتابعوه عليه .

وقد نتساءل: ماذا أخذ طه حسين من هذا الرأي الذي يقول محمود شاكر أنه سبق اليه ، وهو الذي ذهب الى نقيضه - على نحو مارأينا - ؟ فيجيب حينئذ : إن طه حسين قد أخذ منه شكّه نفسه ، ذلك أنّه حين شك في نسب المتنبي ، إنما " ... **شكّ لأنّ إنسانا قبله سبقه الى هذا الشك** "[٦]، ومع أنّه لا يرى القارىء أيّ شيء يثبت أن طه حسين قد أخذ منه ؛ أو من

---

(١) مع المتنبي ، ص ٢٠١.
(٢) انظر كتابه " المتنبي " ، الصفحات : ٢٩ ، ٩٨ ، ١٥٢ ، ١٥٧.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٢.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٥.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٣.
(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدارسين الآخرين، من أمثال : بلاشير وعبدالوهاب عزّام، فإنه يخلص الى القول :"... وبعد فقد رأينا كيف كان كتاب الدكتور طه **يتقمّم الآراء من هنا ومن هناك، ليشك، ويثبت أنه هو الذي بدأ الشك في نسب أبي الطيب** "[١].

وهنا ينبغي ملاحظة أشياء عدة : **أولها** أنّ الشك في ذاته مشاع قديم، لا يستطيع دارس أن يدّعي ملكيته له أو أسبقيته إليه، **وثانيها** أنّ طه حسين لم يزعم قط أنه أوّل من شك في نسب المتنبي، حتى يحاول أن يثبت أنه أوّل من بدأه، من خلال تقمّم الآراء - على حد تعبير محمود شاكر - ، ومعنى هذا أنه يسلّم ضمنيا لغيره من الدارسين بأنه يمكن أن يكون قد سبقه الى الشك في نسب المتنبي، **وثالثها** أنه أهمل رأي محمود شاكر إهمالا تاما، وكأنه رآه غير خليق بالالتفات فضلا عن المناقشة، لأنه يرى رأيا مناقضا له[٢]، **ورابعها** أن طه حسين في عام ١٩٣٦، وهو في هذا الطور من حياته الأدبية، لم يكن في حاجة - على الأرجح - الى دارس ناشيء، حتى يلهمه الشك في دراسته للمتنبي، وهو الذي كان قد أقام شهرته الأدبية العريضة عليه في الغالب، منذ أن بدأ شكه الديكارتي في دراسته للغزليين الأمويين عام ١٩٢٤[٣]، حتى انتهى الى شكه في الشعر الجاهلي عام ١٩٢٦، فأثار ضجة علمية في دراسة الأدب العربي، لم تفقها ضجة أخرى من قبل أو من بعد[٤]، في وقت لم يكن فيه محمود شاكر في ميدان الدراسات الأدبية شيئا مذكورا .

دوافع محمود شاكر للنقد :

أما الحوافز التي دفعت محمود شاكر الى إثارة القضية، وكتابة المقالات المتعددة **فهي** في الغالب **أربعة : أولها** أنّ طه حسين حين أومأ الى رأي محمود شاكر، لم يشأ أن يذكر اسمه صريحا في متن دراسته، وانما صاغ العبارة صياغة من يميل الى الإعراض عن ذكره، لأنه لم يكن في ذلك الوقت نابها، أو لسبب ما آخر، ولنتأمل صياغة العبارة مرة اخرى : " الفرق عظيم على كل حال بينه (رأيه) **وبين رأي من رأى** أنّ قد كان بين الشاعر وبينها (خولة) حب أو مايشبه الحب "[٥]

---

(١) المتنبي، ص ٣٥.

(٢) انظر كتاب " مع المتنبي " ، ص ١٩ ، ٢٨.

(٣) انظر حديث الاربعاء، ص ١٧٣ ، ج١.

(٤) انظر " حول كتاب الشعر الجاهلي " للدكتور ناصر الدين الاسد، ص ٢٢٩ - ٣٣٠ ، مجلة القضاة .

(٥) مع المتنبي، ص ٢٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على حين أنه عندما يلتفت الى دارسين مشهورين من أمثال : **بلاشير وعبدالوهاب عزام**، كان لا يكتفي بالتصريح باسمائهم ، وانما كان يذكر قبلها ألقابا وصفات توحي بتقديره ومودته ، ومثال هذا أنه حين **أنكر على عبدالوهاب عزام تفضيله لشعر الجهاد على الشعر القصصي كله** ، لم يومئ إليه إيماء غامضا يحتاج الى الإيضاح ، وانما قال : " **أخالف صديقي الدكتور عبدالوهاب عزام** أشد الخلاف ، فيما ذهب اليه من تقديم هذا الفن من شعر المتنبي على الشعر القصصي القديم كله "[١]. **وقد خالف أيضا بلاشير** وعرض له بالنقد ثلاث مرات في مواضع متفرقة من دراسته : **الأولى** حين لاحظ أنه لا يقدّر شعر الجهاد حق قدره ، وكأنه متأثر بنصرانيته[٢] ، **والثانية** ، حين لاحظ انخداعه بالشعر الحماسي، وتسميته بالقصص[٣] ، **والثالثة** إذ غفل عن ملامح التطور في شعر المتنبي الذي قاله في شيراز ، مع أنه أوروبي[٤]، لكنه في كل مرة كان يذكر اسمه خلال متن الدراسة صراحة ، وفي شيء من التقدير ، إذ كان لا يذكر اسمه إلا مسبوقا بكلمة " **أستاذ** " ، ونحسب أنّ تجاهل محمود شاكر بالقياس الى هذا ، لم يرق له ، وهو الدارس الشاب ، الممتلىء بالثقة والاعتداد ، كما يبدو في مقالاته[٥].

وثاني هذه الحوافز أن محمود شاكر كان يرمي من هجومه على طه حسين مايرمي اليه في الغالب الكاتب الناشيء من تعرضه للأديب الكبير المشهور ، وهو لفت القرّاء اليه ، وتحقيق قدر من الشهرة ، وهذا أسلوب قديم معروف ، لجأ اليه كثير من كتاب العربية وأدبائها ، ومنهم طه حسين نفسه ، فقد رأينا كيف تعرّض في بداية حياته الأدبية للمنفلوطي والرافعي وأمثالهما .

وثالث الحوافز أنّ آراء طه حسين في شخصية المتنبي وشعره قد أثارت استنكاره وسخطه ، بوصفه أحد المعجبين بالمتنبي، وبوصفه أيضا دارسا سابقا لأبي الطيب ولشعره، قد ذهب مذاهب مغايرة لتلك الآراء .

ورابعها - ولعلّه أقواها - أنّ محمود شاكر من الوجهة الأدبية والفكرية هو من مدرسة الرافعي ، التي تعادي طه حسين ومدرسته ، لا نقول هذا استنتاجا ، وانما نعتمد فيه على اعتراف محمود شاكر نفسه ، ذلك أنه في مقدمة الكتاب ينعت الرافعي بأنه أستاذه ، وصديقه[٦] ويقرّ بأنّ

---

(١) مع المتنبي، ص ١٦٩.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦٩.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧٠.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٤٧.
(٥) انظر كتابه " المتنبي " ، ص ٧٨ ، ١١١.
(٦) المصدر نفسه ، ص ٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حملته على طه حسين لم تتوقّف إلاّ حين مات الرافعي عام ١٩٣٧[١]، ممّا يوحي بأنّ الرافعي قد يكون من ورائها.

أسلوب محمود شاكر في النقد :

وأما أسلوبه في مقالاته فيميل الى الحدة والإسفاف، نحو قوله يصف أحد الفصول في كتاب طه حسين : " ... عرفت أنّ هذا الفصل **وَحْل** كله، وليس فيه من جهد الفكر إلاّ جهد الاحتيال، وارادة التلبيس، والتمويه على البسطاء "[٢]، ولننظر إليه كيف يقول عنه أو يخاطبه : " **مسكين هذا الدكتور طه... ألا فاعلم أنه أراد أن يخالفني أنا وحدي** "[٣] و " أنا أشهد، والدكتور الجليل يشهد معي أنه أعجز الناس عن النقد، ثم أبلغهم عجزا عن نقدي **أنا** "[٤]، وهو " متخلف الفهم في العربية، مضطرب الفكر في المنطق، لا بصر له بالشعر، ولا طاقة له على استيعاب معانيه، وما دام الأمر كذلك، فهو لا قدرة له على استنباط المعاني من الشعر "[٥]، و " ... اسمع ياسيدي الدكتور : إنك لرجل كثير المغالطة، شديد اللّدد، غير مستقيم الرأي، مضطرب التفكير، متخلف النظر "[٦].

وقد نلحظ أنه **يعرّض بآفته وهو ينقده**، نحو رده على قول طه حسين : إن المتنبي لم يذكر في شعره والديه أو والد جدته، فهو يسأله متهكما : ماذا يريده أن يقول عن والد جدته : " هل هو أزرق الحدقة أم أسودها، وهل **هو أعمى** أم مبصر ؟ "[٧].

ولعلنا لاحظنا أن ضمير المتكلم المنفصل " **أنا** " بارز في العبارات السابقة، والحق أنه يلفت في كثير من العبارات، نحو قوله أيضا :" ... إنّ هذا الرجل عاجز عن النقد، ثم هو أبلغ عجزا حين ينقدني (**أنا**) خاصة "[٨]، وقوله عن دارسي المتنبي كلهم : " ... إنّ أحدا من هؤلاء جميعا، لم يقف عند بيت واحد، مما وقفت عنده، وتكلمت فيه، وتأوّلت معناه، ووصلته بتاريخ الرجل، وانّ أحدا من هؤلاء لم يستنبط من هذا الشعر، الذي تدبّرته شيئا من الذي

---

(١) انظر " المتنبي، ص ٨٠
(٢) المصدر نفسه، ص ٦٦٠
(٣) المصدر نفسه، ص ١١٠٠
(٤) المصدر نفسه، ص ٧٨٠
(٥) المصدر نفسه، ص ٨٨٠
(٦) المصدر نفسه، ص ٧٦٠
(٧) المصدر نفسه، ص ٧٦٠
(٨) المصدر نفسه، ص ١١١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استنبطته (**أنا**) من الحالات النفسية والعقلية ، التي كانت تعتلج في صدر المتنبي وفكره "[١].

وبعد ... فلا ريب أنّ القارئ **يستهجن** أن يعمد محمود شاكر الى هذا الأسلوب في النقد ، ذلك أنه باحث جليل ، ومحقق بارع ، ودارس مشهود له ، وقد كان من العسير أن نصف أسلوبه بعبارة أو أكثر وصفا دقيقا صائبا ، لولا أنّه في كتابه نفسه قد أثبت **محاورة نقدية** دارت بينه وبين **سعيد الأفغاني** في عام ١٩٣٦ حول المتنبي ونسبه ، وادّعائه النبوة ، واذا بسعيد الأفغاني يسعفنا في وصف أسلوب محمود شاكر قائلا عنه : إنه " ... **أليق بمظاهرة هتافية ، يُتنادى فيها بسقوط فلان وفلان ، منه ببحث علمي ، العمدة فيه الحجة والبرهان** "[٢].

لقد ذكر محمود شاكر أنّ طه حسين لم يرد على مقالاته ، واستخلص من هذا أنه عاجز عن مواجهته ، ولذا كرّر القول كثيرا إنه " أبلغ الناس عجزا عن نقدي (أنا) خاصة "[٣] ، وكأنه لا يعلم أن طه حسين في عام ١٩٢٢ قد رحّب بأيّ حوار نقدي علمي نافع ، وجهر في الوقت نفسه بأنه لن يردّ على من يهاجمه هجوما ، قوامه الإيذاء ، والملاحاة[٤].

* * *

---

(١) محمود شاكر ، المتنبي ، ص ٩٧.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٤.

(٣) انظر المصدر نفسه ، ص ٧٨ ، ١١١.

(٤) انظر " تجديد ذكرى أبي العلاء " ص ٣٦٤ ، المجلد الثالث من دراساته المجموعة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د - " دراساته في أبي العلاء المعرّي "

يلاحظ أنّ أبا العلاء المعري هو أكثر شاعر وأديب قد حظي من طه حسين بالعناية والدرس، فقد اختاره موضوعا لرسالته، التي نال بها درجة الدكتوراه من الجامعة المصرية القديمة، عام ١٩١٤، وقد نشرت الرسالة في كتاب عام ١٩١٥، ثم أعيد طبعه عام ١٩٢٢[١].

ثم عاد اليه بعد ربع قرن من دراسته الأولى، فنشر في عام ١٩٣٩ كتابه الموسوم " **مع أبي العلاء في سجنه** "، ثم عاد اليه عام ١٩٤٤ فنشر كتابه الموسوم " **صوت أبي العلاء** " كما ألقى في شعره وأدبه وفكره بعض المحاضرات، وقدّم لكتب درسته[٢].

١. دراسة شعره :

ونلاحظ أنّ كتابيه " تجديد ذكرى أبي العلاء " و " مع أبي العلاء في سجنه " هما اللذان يتضمّنان آراء نقدية في شعر المعري وأدبه، وأمّا الكتاب الثالث " **صوت أبي العلاء** " فهو لا يتضمن أية دراسة للشاعر، ذلك أنه نثر للزوميات نثرا بليغا، يتجلّى خلاله مايمتاز به أسلوب طه حسين الأدبي " من متانة وصقل، وايقاع متفرّد "[٣]، وقد أخرج الكتاب في وقت كان العالم العربي يحتفل فيه بمرور ألف سنة على ميلاد المعري[٤].

* * *

أمّا كتابه " تجديد ذكرى أبي العلاء " فهو أوّل كتاب نشره، **وفيه يبدو جليا أنه اهتدى الى منهجه** المعهود في الدراسة الأدبية مبكرا، **وقبل ذهابه الى فرنسا**، ذلك أنه يبدأ دراسته الكبيرة لشعر أبي العلاء وأدبه بتشخيص عصر الشاعر، فيرسم له صورة مفصلة من الناحية السياسية والاقتصادية والدينية، والاجتماعية، والعقلية، والفلسفية، والأدبية[٥]، ثم يحاول بعد ذلك أن يشخّص بيئة الشاعر الخاصة : وأن يحقّق شخصيته وحياته، مفصّلا القول في أطوارها المختلفة[٦].

---

(١) انظر " تجديد ذكرى أبي العلاء ص ٣٦٤، ٣٧٤، المجلد الثالث .

(٢) انظر المصدر نفسه، ص ٨٤٩، ٨٦٧.

(٣) د. شكري الفيصل، مقدمة المصدر نفسه، ص ٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٧٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٧٦.

(٦) وقد استغرق هذا خمسا وستين صفحة من دراسته، انظر المصدر نفسه، ص ٣٨٣ - ٤٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم ينتقل الى أدبه فيلاحظ أن شعر أبي العلاء في طور الحداثة كان متكلّفا ، فيه تقليد للفحول السابقين عامة ، و **لأبي الطيب خاصة** ، كما يعتوره شيء من الضعف اللغوي أحيانا[١] ، على أنّ هذا الشعر مالبث أن أصبح متميزا مستقلا في الطور الأخير من حياة الشاعر .

أمّا شعره من الناحية الفنية فيلمح فيه " غموض الأغراض ، وذلك ظاهر في سقط الزّند ، والدّرعيات ، واللزوميات "[٢] ، ولذا فإنّ فهم القصائد فيها يحتاج في الغالب الى تعمق وعناية خاصة[٣] ، ويلاحظ أنّ الجيد من هذا الشعر هو شعر الطور الثالث ، لأن شخصية الشاعر وعواطفه تظهر فيه واضحة مستقلة ، متميّزة من شخصية أستاذه المتنبي[٤] .

وأمّا أهم مايمتاز به أبو العلاء من الناحية الفنية فهو أنه **أحدث فنا في الشعر هو الشعر الفلسفي** ، وطه حسين يؤكد أن المعري هو رائد هذا اللون من الشعر ، **لأن شعر الحكمة السابق يختلف في طبيعته عن شعر المعري الفلسفي**[٥] ، كما يذهب الى أنّ أبا العلاء يمتاز بأنه أوّل من أفرد ديوانا خاصا في موضوع بعينه ، وهو الدرعيات ، إذ لم يتناول فيه إلاّ وصف الدروع[٦] .

وأما اللزوميات فلا يعدّ طه حسين أبا العلاء رائدا فيها من الناحية الفنية ، حين جعل القافية حرفين ، فالتزم حرفا لو أسقطه لما كان متجاوزا قواعد القافية ، إذ يُلاحِظ أنّ الشاعر " **كثيّرًا** " قد سبقه الى ذلك في قصيدته المشهورة ، التي مطلعها[٧] :

" خليليَّ هذا ربعُ عزةَ فاعقِلا قلوصيكما ثمَّ ابكيا حيثُ حلّتِ "

فكثيّر قد التزم اللام الى آخر القصيدة ، " ولو لم يلتزمها لم يلحقه بذلك عيب ، ... فكثير هو الذي اخترع هذا الفن "[٨] .

* * *

---

(١) تجديد ذكرى أبي العلاء ، ص ٥٢٦ ، ٥٥٨ ـ ٥٥٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٥٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٥٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٥٧ ـ ٥٥٩ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٥٥٩ ـ ٥٦١ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٥٦٢ .
(٧) مرّت بنا القصيدة حين عرضنا لدراسته في كثيّر والغزلين الأمويين .
(٨) تجديد ذكرى أبي العلاء ، ص ٥٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تطـــوّر رأيه في شـــعره :

هذه أهم الآراء النقدية الواردة في كتاب طه حسين الأول عن أبي العلاء ، وكان لم يزل فـــي أوّل الشباب وبداية العطاء ، ويمكن أن نلحظ **تطورها على مر الزمن ، من خلال معرفة آرائه في شـــعر الشاعر نفسه ؛ إذ عاد إليه عام ١٩٣٩** ، بعد ربع قرن ، فنشر كتابه " **مع أبي العلاء في سجنه** "٠ وكـــان قد نضجت شخصيته ، وازدادت ثقافته وتجربته ، وتأمل شعر اللزوميات خاصة تأملا عميقـــا ، واذا هو في كتابه الثاني يذيع فيها آراء لا نظفر بها في الكتاب الأول ٠

ويلاحظ أنّ هذه الآراء تكاد تحصر في **أربعة آراء نقدية أساسية :**

■ **أولها** أنّ اللزميات في رأيه لم تأتِ نتيجة العمل والجد والكد ، وانما جاءت نتيجة الفـراغ والعبث واللعب ، فهي إذن عمل دعا اليه الفراغ ، ونتيجة جدّ جرّ اليـــه اللعب ، وتوضيح هـــذا أنّ أبا العلاء قد نظم اللزوميات " ليسلي عن نفسه ألم الوحدة ، ويهوّن عليها احتمال الفـراغ ، وليشعرها ويشعر الناس بأنه قد ملك اللغة ، وسـيطر عليها ، فهو قادر على أن يسخّرها لمـا يشاء ، ويصرفها كما يريد ، ويعبث إذا أراد العبث ، ويجدّ بها إنْ أراد الجد ، بل ليعبث بهـا أثناء الجد في كثير من الأحيان[١] .

■ **وثاني هذه الآراء** هو أنّ أبا العلاء قد عني بالألفاظ في اللزوميات أشد العناية " كأنه قـد أخذ على نفسه عهدا أن يستخرج منها كل مايستطيع استخراجه ، وأن يخضعها لكل مايســـتطيع اخضاعها له "[٢] . وقد أدت به هذه العناية الشديدة الى العبث اللفظي فجدّ في البحث عنـــه ، وكأنه كان يلبي به رغبة سامعيه ، لأن التكلف اللفظي كان شائعا في عصر أبي العلاء ، وقبـــل عصره ، وهنا يرى طه حسين أنّ أبا العلاء قد **وقع في عيب أدبي لا يمكن الاعتذار عنه** " وهـــو الاستسلام للفظ الى هذا الحد ، وتحكيم اللفظ وحده في المعنى والفن الى الحد الذى انتهـــى اليه أبو العلاء "[٣] ، ذلك أنّ اصطناع الشاعر لألوان البديع كان مألوفا يُقبل بعضه ، وبعضـــه الآخر لا يُساغ ، ولكن الأمر في شعر أبي العلاء لم يقتصر على تكلّف البديع ، وانّما تعدّاه الـــى **الخضوع للقافية** خضوعا تاما ، فأبو العلاء جعل الخضوع للقافية قانونا فنيا صارما ، يذعن لـــه الإذعان المطلق ، لا في قصيدة ، ولا في قصيدتين ولا في قصائد ، وانّما في ديوان ضخـــم ، ممـــا يؤدي بالشعر عنده الى **تعسف فني لا يطاق**[٤] ؛ ولذا فطه حسين يرجّح أنّ أبا العـــلاء كـــان في نظمـــه للزوميات لا يقصد إلاّ الى إرضاء نفسه وحدها ، ولا يحفل بالسّامع أو القارئ ٠

---

(١) مع أبي العلاء في سجنه : ص ٦٩٧ ، المجلد الثالث ٠
(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٠٧٠
(٣) المصدر نفسه ، ص ٧١٣٠
(٤) المصدر نفسه ، ص ٧١٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* **وثالث هذه الآراء النقدية** ـ ولعله أهمّها ـ هو ملاحظة طه حسين أنّ **الوحدة المعنوية غير موجودة في لزوميات أبي العلاء في الغالب**، لا يقتصر عدم وجودها على القصائد الطويلة، وانما يشمل أيضا المقطوعات القصيرة[١]، وهو يلاحظ أنّ المعري كان يحسن بناء القصيدة في ديوانه " سقط الزَّنْد "، ولكنه **أفسد بناءها إفسادا شديدا في اللزوميات**، فالقصيدة أو المقطوعة فيها متحدة في الوزن والقافية والموضوع العام ليس غير، " ومن أيسر الأشياء في كثير جدا من مُطولات اللزوميات أن تفرّق الأبيات فتفترق، وأن تقدّمها أو تؤخرها فتتقدم وتتأخر، وأن تنظر اليها على أنها حِكَم سائرة وأمثال مرسلة، قد نظمتها القافية في سلك متقن، لأنه مؤلّف من حرفين أو من أحرف، ولكن من اليسير أن تنتثر دون أن يفسدها هذا الانتثار "[٢]، على أنّ الوحدة في اللزوميات كانت تبدو في أحيان قليلة، خلال أجزاء محدودة من القصائد، كأنّ " يلم أبو العلاء في أثناء القصيدة بوصف يطيل فيه، أو معنى يفصّله، فتتحقق الوحدة في هذا المعنى، أو ذاك الوصف، ولكنها **غير متحقّقة** بالقياس الى مايسبقه أو يتلوه، وليس لهذا كلّه مصدر إلاّ أنّ القافية هي الحاكم المطلق، فيما يؤلّف اللزوميات من لفظ ومعنى وأسلوب "[٣].

وأما رابع هذه الآراء فيتعلق بمضمون اللزوميات دون صورتها الفنية، إذ يرى طه حسين أنها تعاني من عيب يتصل بالمعنى أو بتفكير أبي العلاء وفلسفته كلّها، وهو أن الشاعر متشائم، فهو " لا يتحدث عن الأشياء والأحياء إلاّ حديث المتشائم، وهو بطبيعة الحال ساخط دائما، فهو ناقد دائما، ويختلف نقده شدة ولينا باختلاف استعداده في اللحظات التي ينظم فيها الشعر "[٤]، وخلالها هجا الدنيا والناس جميعا، وانْ كان حسن النية في ذلك، يقصد الى الخير والبر والإصلاح، وطه حسين يكرّر هنا ما لاحظه في دراسته للمتنبي، وهو **أنّ لأبي العلاء في فن التشاؤم والهجاء أستاذا، هو أبو الطيب** " فقد كان المتنبي أسوأ الشعراء رأيا في الناس، وأكثرهم إظهارا لذلك، وأشدهم تشاؤما به، وهو الذي فتح لأبي العلاء باب النقد الاجتماعي اللاذع العنيف، ومهّد له طريق التشاؤم في الشعر "[٥]، ولكنه مع هذا يلحظ فرقا بين الشاعرين، خلاصته أنّ المتنبي طامع في الدنيا، عاجز عن تحقيق أمانيه فيها، على حين أنّ أبا العلاء زاهد في الدنيا، بريء القلب من كل حقد، قاصد الى الإصلاح[٦].

---

(١) مع أبي العلاء في سجنه، ص ٧١٩، المجلد الثالث.
(٢) المصدر نفسه، ص ٧٢٠.
(٣) المصدر نفسه، ص ٧٢٠.
(٤) المصدر نفسه، ص ٧٢٠.
(٥) المصدر نفسه، ص ٧٢٢ ـ ٧٢٣.
(٦) المصدر نفسه، ص ٧٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٠٢ دراســـة نثره :

أمّا نثر أبي العلاء فيرى طه حسين أنه في طور الشباب متكلّف ، وقد " كثر في كلامـــه التكلّف حين حرص على إظهار التفوق والظفر بالاجادة "(١) ، لكنّ نثره بعد الشباب قد ظهـــرت فيه شخصيته واضحة ، كما يبدو في رسائله عامة ، ورسالة الغفران خاصة ، على أنّ هذا النثر يمتاز بالغموض ، وكثرة الغريب والسجع ، وايراد الأمثال(٢) .

ويتصدى طه حسين وهو يعرض لنثر أبي العلاء لسؤال مهم ، هو : **هل قصد أبو العلاء الـى معارضة القرآن في الفصول والغايات ؟؟** ، ويجيب : إنّه قد أراد معارضة القرآن حقا " إنّ فهمنـا من المعارضة مجرد التأثر ، ومحاولة المحاكاة ، وانّ فهمنا من المعارضة أنّ أبا العلاء قد نظـر الى القرآن على أنّه **مثل أعلى في الفن الأدبي** ، فتأثره ، وجدّ في تقليده ، كما يتأثر كل أديـب بما يعجب به من المُثـل الفنية العليا "(٣) .

على أنه يرى أنّ المعري قد حاول أن **يقلّد قصار السور وطوالها ، لكنه أخفق ، ولم يظـفر إلاّ بمثـل سجع الكهّان** . كما يذهب الى أنّ أبا العلاء لم يكن في محاولته يستجيب للتحـــدي ، يقول : " ... هذا خاطر ما أحســبه خطر لأبي العلاء ، فقد كان أشد تواضعا من أن تبلغ بـــه الكبرياء الى هذا الحد ، وقد كان أعقل من أن يطاول ما لا سبيل الى مطاولته ، وقد كان أحـــرص على الاحتياط والتحفظ من أن يعرّض نفسه لمثل هذا الخطر العظيم "(٤) .

وقد عاد طه حسين الى القضية عام ١٩٤٤ ؛ إذ ألقى محاضرة في كتاب " الفصول والغايـات " فأكـد رأيه السابق ، وزاد عليه قائلا عن المعري : " ... كان كغيره من أدباء المسلمين معجبا بالقرآن ، مُكْبِرا له ، مقدّرا لروعته الفنية "(٥) .

وميزة الكتاب الفنية أنه يصور الطبيعـة على نحو ماصورها شعراء الطبيعة من الجاهليين والإسلاميين ، ويصور السماء على نحو ماصورها الشعراء القدماء من جهة ، وأصحاب النجوم والفلك

---

(١) تجديد ذكرى أبي العلاء ، ص ٥٦٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٧٢ .

(٣) مع أبي العلاء في سجنه ، ص ٧٧٠ ، المجلد الثالث .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٧٧٠ .

(٥) محاضرة في الفصول والغايات ، ص ٨٦٠ ، المجلد الثالث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من جهة أخرى ، كما أنه يصوّر الضمير ، ودخيلة النفس ، وما يضطرب في القلب من عاطفة ، وفي العقل من خاطر[١].

وهو يرى أن كتاب **" الفصول " قد سبق اللزوميات** ؛ لأن أبا العلاء يلتزم فيه ما لا يلزم في الكتاب كله ، وفي قوافيه خاصة ، كما يرجح أنه بدأ بالتزام هذا الفن في النثر ؛ رغبة في التعليم ، وتيسيرا على الطلاب ، ثم أخذ يلتزمه في الشعر[٢].

* * *

أهمية دراسته الأولى ودلالتها :

تمثّل دراسة طه حسين الأولى لأبي العلاء في عام ١٩١٤ بداية النقد الأدبي عنده في طور النضج ، أو هي تمثّل - كما يقول - **عقليته النقدية وهو في الخامسة والعشرين من عمره**[٣] ، وقد قلنا غير مرة : إنّ هذه الدراسة تثبت أنه اهتدى الى منهجه التكاملي في الدراسة الأدبية قبل الذهاب الى فرنسا ، كما أكّد هو نفسه هذا[٤]. ولاحظه أيضا بعض دارسيه من أمثال بيير كاكيا[٥].

على أنه يمكن أن نلحظ أيضا أنّ احدى السمات المميزة لنقده الأدبي في طور ماقبل النضج تبدو ظاهرة في هذه الدراسة المبكرة ، ونقصد بها الميل الى التشدّد في **النقد اللغوي**[٦] ، وهو مالم نلحظه في أية دراسة ماضية ، فعلى الرغم من معرفته أنّ المعري عالم نحوي ، واسع الاطلاع على لهجات العرب المختلفة ، فإنّه لم يتردّد في نقده من الناحية اللغوية ، إذ قال عن شعره في الطور الثاني : " ... في هذا الطور عبثت الضرورات بشعر أبي العلاء ، فوقع فيه بعض الخطأ النحوي "[٧] ، واستدل على هذا ببعض أبيات من هذا الشعر ، نحو قوله في عجز هذا البيت[٨] :

" شَجَا رَكْباً وأفراساً وإبْلاً وزادَ فكادَ أن يشجو الرِّحالا "

---

(١) محاضرة في الفصول والغايات ، ص ٨٥٩.

(٢) طه حسين ، تعريف القدماء بأبي العلاء ، ص ٨٦٠ ، المجلد الثالث من دراساته المجموعة .

(٣) تجديد ذكرى أبي العلاء ، ص ٣٧٢.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٧٢.

(٥) انظر : TAHA HUSAYN, P. 167.

(٦) كما ألمح طه حسين نفسه الى هذا (انظر مذكراته ، ص ٣٧).

(٧) تجديد ذكرى أبي العلاء ، ص ٥٣٦.

(٨) المصدر نفسه ، ص ٥٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد تناول عجز البيت بالنقد اللغوي قائلا : " ... انظر اليه : كيف سكّن لام الفعل مع (أنّ) في قوله : فكاد أنّ يشجو الرحالا ، وكيف وضع (أنْ) بعد كاد "[١].

وهنا نرى أنّ طه حسين الشاب كان يتشدّد في هذا النقد النحوي ليس غير ، ذلك أن استعمال حرف النصب (أنْ) بعد كاد ليس من الضرورات الشعرية كما ذهب ، **وانما هو جائز قليل** ، ومن شواهده قول الشاعر :

" **كادت** النفسُ **أن** تفيضَ عليهِ إذْ غدا حَشْوَ رَيْطَةٍ وبُرودِ " [٢]

ومنه قول رؤبة بن العجاج :

" رَبْعٌ عَفاهُ الدهرُ طُولاً فأمَّحى قد **كادَ** من طول البِلى **أن** يَمْصَحَا " [٣]

ويظهر أن طه حسين قد تابع في ذلك بعض النحاة الأندلسيين ، وقد عرض أحد اللغويين لشواهد شعرية ونثرية ، ورد فيها استعمال (أن) بعد (كاد) وخلص الى القول : " ومع ورود المضارع الواقع خبرا لكاد مقترنا بأن في الشعر والنثر ، نرى أن قول الأندلسيين : إنّ اقترانه بأن مع كاد ضرورة لا تجوز إلاّ في الشعر غير سديد ، **والصواب ماذكره الناظم (ابن مالك)** وهو في ذلك تابع لسيبويه "[٤].

ومن الأمثلة الأخرى لنقده اللغوي قوله : " ولأبي العلاء في أشعار الطور الأول والثاني ألفاظ وأساليب جاوز فيها المقيس من قواعد النحو ، كاستعماله (ها أنا) من غير اسم الإشارة "[٥]، وقد عدّ هذا خطأ نحويا ، مصدره تقليده للمتنبي ، قال : " وانما يتعمل (اسم الاشارة) معه ، لأن هاء التنبيه تدخل على الضمير المنفردا ، وذلك في قوله : فها أنا لا أخون ولا أُخان "[٦].

ومع أن قوله هذا هو الراجح عند النحاة[٧]، فقد وردت طائفة من الشواهد الشعرية

---

(١) تجديد ذكرى أبي العلاء ، ص ٥٣٦.

(٢) انظر " أوضح المسالك " لابن هشام ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ - الجزء الاول شرح محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط ٢ ، دار أحياء التراث - بيروت - ١٩٦٦.

(٣) المصدر نفسه ، حاشية ٢٢٨.

(٤) المصدر نفسه ، حاشية ٢٢٨ ، واللغوي هو الشارح محمد محيي الدين.

(٥) تجديد ذكرى أبي العلاء ، ص ٥٥٦.

(٦) المصدر نفسه ، ص ٥٥٧.

(٧) انظر مغني اللبيب ، ص ٣٤٩ ، الجزء الثاني ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد (مطبعة المدني - القاهرة ، د.ت).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والنثرية استقصاها لغوي محدث آخر ، يمكن أن تسوّغ للمعري قوله السابق ، نحو قول **أبي كبير الهُذلي** " **فها أنا أبكي والفؤادُ قريحٌ** " ، وقول **سُحيم** " **ها أنا دونَ الحبيبِ ياوجعُ** " [١] .

وطه حسين كان يعلم في الغالب أن مايعمد اليه المعري أحيانا من الاستعمال هو جائز على قلّة [٢] ، ولكن الذي كان يدفعه الى هذا النقد أنه في بداية طور النضج لم يكن قد تحرّر تحررا كاملا من بعض سمات نقده القديم في الطور السابق .

ولكننا في الوقت نفسه **نلمح في دراسته الأولى بعض الملامح الأساسية البارزة في شخصيته النقدية من خلال طور النضج** ، كما نلحظ ذوقه الأدبي يبدو ظاهرا من خلال أسلوبه النقدي ، ومثال هذا أنه حين يعرض لقول المعري :

" ونادبةٍ في مسمعي كلّ قينةٍ تغرّدُ باللحنِ البريءِ من اللحنِ "

يتناوله بالنقد قائلا : " هذا المعنى في نفسه جميل ظريف ، ولكنه في هذا البيت نيء ، لم ينضج ، وقد شانه هذا الجناس المتكلّف ، والبديع المتعمّل " [٣] ، ولعلنا نذكر أنّ هذا الأسلوب النقدي قد بدا جليا **في دراسته السابقة للمتنبي** ، مع أنها جاءت بعد هذه الدراسة باثنتين وعشرين سنة [٤] .

ومن الملامح الأساسية التي بدت في دراسته الرائدة الاولى ، ثم برزت وترسخت في دراساته الأدبية التالية ، تفريقه الواضح بين محبته لشخصية الشاعر أو كراهيته لها وبين نقد شعره وتقويمه تقويما غير متأثر بذلك الحب أو الكراهية ، فقد رأيناه في السابق يجهر بأنه يكره شخصيتي بشار بن برد والمتنبي ، ولكنّ هذا لا يمنعه من أن يحكم لهما بالإجادة الشعرية ، أو من أن يبدي إعجابه ببعض أشعارهما ، ونقيض هذا نجده في دراستيه الأولى والثانية للمعري ، فشخصية المعري تكاد تكون أحبّ شخصية أدبية الى نفسه [٥] ، حتى إنه تأثر ببعض سلوكها في حياته الخاصة [٦] ، ولكنّ هذه المحبة لم تمنعه في الوقت نفسه في أثناء نقده الأدبي من أن يقرّر أنّ

---

(١) انظر الشاهدين واستقصاء الاستعمال في مقالة محمد خليفة التونسي ـ ها أنا عمر ، وها أنا ذا عمر ـ العربي ، ص ١٧٣، العدد ٢٩٢ ، الكويت ـ ١٩٨٣.

(٢) تجديد ذكرى أبي العلاء ، ص ٥٣٦.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٣٣.

(٤) لأن دراسة المتنبي كانت عام ١٩٣٦ ، ودراسة ابي العلاء عام ١٩١٤.

(٥) انظر " مع أبي العلاء في سجنه " ، ص ٦٧٦ .
وحديث الاربعاء ، ص ١٨٩ ، جـ٢.

(٦) انظر الأيام ، ص ٢١ ـ ٢٢ ، جـ١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكثير من شعره متكلّف [١] ، لأنه تعسّف خلاله في لزوم ما لا يلزم [٢] . وقد عدّ طه حسين هذا الالتزام اللفظي لونا من العبث الذي قتل روح الشعر في كثير من أشعار أبي العلاء [٣] ، ولذا فقد خلص من دراسته المتعمقة للزوميات الى أن الشعر الجيد فيها قليل ، والى أن كثرتها غير جيدة من الناحية الفنية الخالصة [٤] .

كما أخذ عليه أنه في أشعاره قد استسلم في الغالب لنزعة التشاؤم ، حتى إنه " لايتحدث عن الأشياء والأحياء إلاّ حديث المتشائم " [٥] .

ولقد لاحظنا أنه في دراسته للمتنبي كان في أحيان كثيرة يثني على بعض الأبيات والقصائد التي تعجبه ثناء حارا لا نجد مثله في دراستيه لأبي العلاء ، على الرغم من مشاعره المتباينة بإزاء الشخصيتين ، مما يؤكد أنه في نقده الأدبي كان حرا بريئا ، كما كان يقول [٦] .

جهده في دراسة الأدب القديم

من وجهة أخرى نلاحظ أن دراساته في الشعر العربي القديم تصل الى أقصى مدى زمني لها عند أبي العلاء المتوفى سنة ٤٤٩ للهجرة ؛ ذلك أننا لا نجد له أية دراسة في شاعر قديم أو شعراء جاؤوا بعد أبي العلاء في القرن الخامس أو السادس أو السابع أو سواها من القرون القديمة ، كما نلاحظ أن الأدب الأندلسي كله - على أهميته - لم يحظَ من طه حسين بالعناية والدرس .

ونحسب أنّ السبب في مالاحظنا يتصل بشكواه الكثيرة من ضيق وقته ، وذلك لا نشغاله بمناصبه الكبيرة ، ولا نشغاله أيضا بألوان أخرى من الكتابة الأدبية وغير الأدبية [٧] ؛ ذلك أن طه حسين

---

(١) انظر تجديد ذكرى أبي العلاء ، ص ٥٣٦ ، ٥٥٨ - ٥٥٩ .
(٢) مع أبي العلاء في سجنه ، ص ٧١٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٧١٣ .
(٤) انظر المصدر نفسه ، ص ٧١١ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٧٢٠ .
(٦) انظر حديث الأربعاء ، ص ٨١ ، ج٣ .
(٧) ذلك أنه فضلا عن إسهامه الأدبي على اختلاف ألوانه ، كان كاتبا سياسيا وتربويا ومحققا ، ويلاحظ أنه في دراساته يشكو كثيرا من ضيق وقته .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في كتبه ومحاضراته وأحاديثه ما انفك يعرب عن تقديره العميق واعجابه الشديد بالأدب العربي ، حتى آخر حياته ، ولنتأمل ماذا كان يردّد في كتبه وأحاديثه : " ... **أعيد ماقلته غير مرّة من أن في الشعر العربي (القديم) كنوزا خليقة أن تستكشف** ، وأن تدرس على **وجهها ، ولكن كثيرا** من الناس لا يعلمون " (١).

وقد كان يؤمن بأنه ينبغي أن يطّلع جيل الشباب على الأدب العربي القديم ، ولذا كان يهيب بالنقاد والدارسين قائلا : " ... لا بد أن نقرب اليهم أدبنا القديم ، ونزيّنه في قلوبهم ، ونمله بأذواقهم " (٢) ، ذلك أنه كان يخشى إذا لم يطلع الشباب العربي على أدبه القديم ، أن يغدو حينئذ " ... مكان الأدب العربي القديم من المثقفين المعاصرين مكان الأدب اللاتيني من الفرنسيين والإيطاليين " (٣) ، فقد **انبتّت الصلة بين الفرنسيين والإيطاليين في الغالب وبين الأدب اللاتيني** ، حتى غدا شبه ميّت في بطون الكتب ، وهو مايخاف منه طه حسين على الأدب العربي القديم خوفا شديدا ، حتى إنه لا يتمالك نفسه معه من الدعاء قائلا : " ... **الله يعصم الأدب العربي القديم من أن تقطع الصلة بينه وبين الأجيال العربية الى آخر الدهر** " (٤).

وهذا الأدبُ في رأيه أرقى من الأدب الروماني والفارسي والآداب القديمة الأخرى ، لا يستثني منها سوى الأدب اليوناني ، ومع هذا فهو يرى أنّ الأدب العربي القديم هو الوحيد الذي يناظره ويطاوله ، لأ ن فيه " من هذا الجمال الفني الرائع **ما لا يقل عن الإلياذة والأوديسا** " (٥) ، كما كان يعرف لهذا الأدب دوره في مجد أوروبا ، فيقول عنه : إن " هذا الأدب العربي المكين كان سببا في تأسيس مجد مؤثل لأوروبة ... **فلولا سيبويه والجاحظ والمعري وغيرهم** لما وجد عند الفرنسيين **" رينان ، ولا كازنوفا ولا ماسينون وغيرهم** ، ولا وجد عند الإنجليز أعلام البحث في الأدب العربي ، ولولا هذا الأدب لما وجد عند الألمان هؤلاء الأعلام " (٦).

وهكذا يمكن القول : إنه من خلال إيمانه الصادق بالأقوال السابقة كان يعمل بين حين وآخر على إحياء الأدب العربي القديم واستيحائه ودراسته ، **أما جهده الأدبي في الإحياء** فيتمثّل في

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٢٥٩ ، ج١.
(٢) صوت أبي العلاء ، ص ٨٧٨ ، المجلد الثالث .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٧٨.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٨٧٨.
(٥) من حديث الشعر والنثر ، ص ١٦.
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٩ ـ ٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتاب " **صوت أبي العلاء** " [١] ، وأما **جهده الأدبي** في الاستيحاء فيتمثّل في كتابه " **على هامش السيرة** " ، فقد جهر في مقدمته بأن مقصده من تأليفه هو إحياء الأدب العربي القديم ، وتحبيبه الى الشباب وتقريبه ، يقول : " ... إذا استطاع هذا الكتاب أن يحبّب الى الشباب قراءة كتب السيرة خاصة ، وكتب الأدب العربي القديم عامة ، والتماس المتاع الفني في صحفها الخصبة ، فأنا سعيد حقا ، موفق حقا لأحب الأشياء إليّ ، وآثرها عندي " [٢] .

وأما **جهده النقدي في دراسته** فقد رأينا صورة دقيقة له ، ويمكن القول عنه هنا : إنه جهد قد عرف له كبار الدارسين المنصفين حقه من التميّز والتعمق والريادة ، **فالدكتور شوقي ضيف** مثلا يثني على دراسته في شعراء الخمر والمجون ، التي نشرها عام ١٩٢٣ ، ويصفها بالواقعية والجدية ، إذ يرى أن طه حسين فيها قد درس شعراء العصر العباسي الأول دراسة تاريخيا علميا منظما [٣] .

وأما **الدكتور حسين نصّار** فيرى أنّ طه حسين قد نجح في تحقيق هدفه ، الذي كان ينشده في دراساته للأدب العربي القديم ، إذ يصفه بأنه " ... الرجل الذي حمل القراء على محبة الاتصال بالأدب القديم ، وتذوّقه ، على الرغم من المشاق ، التي تحول بينهم وبينه " [٤] . ثم يثني على دقته وفهمه وذوقه في دراسة الأدب القديم فيقول : " ... **ونقد الأدب فكان من أدق الذين فهموا الأدب القديم ، وتمثّلوه ، وأحسنوا تذوّقه ، فبرعوا في تحليله ونقده** " [٥] .

وأما الدكتور ناصر الدين الأسد فيراه في جهده النقدي رائد المنهج الحديث في الدراسة الأدبية غير منازَع [٦] .

* * *

---

(١) انظر ص ٨٧٨ من الكتاب ، المجلد الثالث من دراساته .

(٢) على هامش السيرة ، ص ـ ط ـ من المقدمة .

(٣) انظر " طه حسين والدراسات الأدبية " ، ص ٥٦ ـ ٥٧ ، مجلة الهلال ، العدد الثاني ، السنة الرابعة والسبعون ، أول فبراير سنة ١٩٦٦ .

(٤) دراسات حول طه حسين ، ص ٦٠

(٥) المرجع نفسه ، ص ٦٠

(٦) حول كتاب " في الشعر الجاهلي " ، ص ٢٢٥ ، مجلة القضاة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد ... فالمفارقة في دراسات طه حسين الكبيرة للأدب العربي القديم أنه بدأها بدراسته لأبي العلاء في عام ١٩١٤ ، ثم ختمها بدراسته له في سجنه عام ١٩٣٩ ، ومع أنه لم يدرس أيّ شاعر يأتي زمنيا بعده من القدماء ، فقد درس أشعر شاعر يأتي بعده في الشعراء ، واذا هو ليس من عصر قديم ، وانّما هو من العصر الحديث ، واذا هو ليس شاعرا واحدا ، وانما هما شاعران اثنان ، لا يقطع طه حسين بتفضيل أحدهما على الآخر ، واذا هما شوقي وحافظ ، فقد خلص من دراسته لهما بهذا الحكم النقدي القاطع قائلا : " ... هما أشعر أهل الشرق العربي منذ مات المتنبي وأبو العلاء المعري من غير شك [١] . واذن ليس مصادفة أنه قفز عن سائر الشعراء الذين أتوا بعد أبي العلاء في القديم ، ليخص هذين الشاعرين معا بأكبر دراسة له في الأدب العربي الحديث ، على نحو ماسوف نرى في الفصل القادم .

xxxxxxxxxxx
xxxxxxxxx
xxxxxxx
xxxxx
xxx
x

---

(١) طه حسين ، حافظ وشوقي ، ص ٢٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا نجد لطه حسين في نقد الأدب العربي الحديث دراسات كبيرة ، كما رأينا في بعض دراساته للأدب العربي القديم ، فهو لم يدرس شاعرا محدثا بعينه أو قامّا دراسة مستفيضة ، كما تناول أبا الطيب المتنبي أو أبا العلاء مثلا .

أمّا **دراسته لشوقي وحافظ** فهي في الأصل مقالات معدودة ، نشرها في الصحف خلال حياة الشاعرين ، وإثر وفاتهما ، ثم جمعها في كتابه " **حافظ وشوقي** " ، وأما بقية جهده في دراسة الأدب العربي الحديث فهي مقالات موجزة أو أحاديث قصار في هذا الشاعر أو ذاك القاص .

ويمكن أن نقسم جهده النقدي كله قسمين أساسيين : الأول دراساته في الشعر ، والثاني دراساته في القصة والمسرحية .

* * *

(١)
دراساته في الشعر المعاصر

تناول طه حسين عددا من أعلام الشعر العربي في العصر الحديث ، وأبدى آراءه النقدية في شعر كل منهم ، ومكانته ، ودوره . ويُلاحَظ أنّ هذا التناول ليس كله دراسات أدبية بالمعنى الدقيق ، وانما بعضه في الأصل أحاديث إذاعية قصيرة ، طابعها الإيجاز الشديد والمباشرة ، على حين أن بعضها الآخر دراسات منشورة في الصحف .

واذا ما استثنينا **شوقي وحافظ إبراهيم والعقاد** ، فيمكن القول : إنّ تناوله **لستة** شعراء قد اقتصر على أحاديث اذاعية ، على حين أنّ تناوله **لستة** آخرين قد اقتصر على نشره دراسات فيهم ، دون أن يعرض لهم في تلك الأحاديث .

أما شوقي وحافظ والعقاد فقد تناولهم بالدراسة والحديث معا ، ولكن جهده في دراسة شوقي وحافظ خاصة هو الأغلب وهو الأقدم زمنا ، والأكثر شهرة ، ولذا سنتعرف آراءه النقدية فيهما حين نعرض لدراساته ، **وأما العقاد** فسنتعرف رأيه فيه حين نعرض لأحاديثه ، وذلك لصلته الأدبية بزميليه المازني وشكري ، فقد تحدث طه حسين عن شعر الثلاثة معا .

واذن يمكن القول : إن جهده النقدي في تناول الشعراء خاصة ينقسم قسمين : الأول أحاديث حاول أن يتبين فيها ملامح التجديد والتقليد في الشعر خلال العصر الحديث ، والثاني دراسات في شعراء عرب معاصرين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(أ) أحاديثه في تجديد الشعر العربي المعاصر

وهي أحاديث أذاعها طه حسين في الإذاعة عام ١٩٥٥[١]، ثم دوّنت ونشرت بعد وفاته بخمس سنوات، وذلك في كتابه الموسوم " **تقليد وتجديد** "، الذي نشر في عام ١٩٧٨[٢]. وقد عرض في هذه الأحاديث النقدية للشعر العربي المعاصر، **ولمدى ماتحقق فيه من تجديد وتطور وملاءمة للحياة الحديثة**، وتناول فيها **روّادا** من مدرسة الإحياء الشعري، **وروّادا** من مدارس شعرية اتصلت بالشعر الأوروبي اتصالا وثيقا وتأثرته.

رأيه في تجديد مدرسة الإحياء:

والرواد الذين تناولهم من مدرسة الإحياء الشعري هم: **محمود سامي البارودي، واسماعيل صبري وحفني ناصف.**

أمّا محمود سامي البارودي فهو في رأيه **باعث الشعر الحديث**، على النحو الذي وصل اليه الشعر العربي في أوج ازدهاره خلال العصر العباسي، ويرى أنّ أكبر مؤثّر فيه كان قراءة الشعر العربي القديم؛ كما يذهب الى أنّه في معارضاته للشعراء القدامى قد أتيح له التفوّق، " ... حتى أصبح في ذلك فذّا من حيث إنّه استطاع أن يردّ الى الشعر العربي من القوة، وجزالة اللفظ، ورصانة الأسلوب، ودقة المعنى، ماكان قد بعد به العهد، وطالت عليه القرون "[٣].

ومع أن البارودي في شعره يبدو متأثّرا بالشعر القديم، فإنّه لم يكن مقلدا بالمعنى المألوف لكلمة التقليد، فقد كان مقلّدا حقا في رصانة الأسلوب وجزالته، وكان مقلدا في القصيدة على نسقها المعروف، ولكنّ طه حسين - مع إقراره بتقليده في هذا كلّه - يرى أنه كان أيضا **ذا شخصية قوية** بارزة؛ ولذا فقد " ... كان شعره يصوّر نفسه، وكان شعره كذلك يصوّر وطنه، وبيئته، وكان يصوّر الأحداث الخطيرة السياسية التي خضع لها وطنه في تلك الأوقات "[٤].

وهو يلحظ في حديثه عنه أنّ للبارودي فضلا على الشعر المصري خاصة؛ ذلك أن الشعر

---

(١) انظر كتاب " تقليد وتجديد "، ص ١٢١، حيث يقول في أحد أحاديثه: " نحن الآن في سنة ١٩٥٥ ".

(٢) وقد أشرف على تدوينه ونشره تلميذه الدكتور شكري فيصل.

(٣) تقليد وتجديد، ص ٨٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصري في القديم ، لم يتفوّق على أيّ شعر في الأقطار العربية الأخرى ، مثل الشام ، والحجاز ، والعراق والأندلس ، وأما حين ظهر البارودي في هذا العصر فقد " أعطى الشعر المصري من الروعة ، وجزالة اللفظ والأسلوب ورصانته ، وأعطاه من هذا كله شيئا لم يألفه حتى في العصور المصرية القديمة "[١] ، ولذا يلحظ أنه لأوّل مرة في تاريخ الأدب العربي يظهر شاعر مصري ، مبرّز متفوّق ، لا يكاد يجاريه شاعر آخر في بلد من البلدان العربية في نهاية القرن الماضي ، وهذا الشاعر هو البارودي[٢] .

ولأن البارودي يصوّر في شعره نفسه تصويرا صادقا ، ويشخص قومه وبيئته التي عاش فيها ، وتأثّر بأحداثها وخطوبها ، تشخيصا صحيحا أو مقاربا ، فإنّ طه حسين يرى أنه كان هو " **أوّل المجدّدين في الشعر المصري الحديث** ، وكان في الوقت نفسه هو الشاعر الذي أتاح لمصر أن تأخذ نصيبها من المشاركة في قوة الشعر العربي ورصانته ، وتفوقه ، أتاح لها التفوّق ، ولكنّه تفوّق متأخر "[٣] .

* * *

وأمّا اسماعيل صبري[٤] فقد بدأ حياته الشعرية مقلّدا للقدماء ، الى أبعد غايات التقليد ، ويلاحظ طه حسين أنه كان مفتونا بالبحتري خاصة ؛ إذ كان يرى أنّ شعر البحتري هو أروع ما في الشعر العربي ، وكان يتّخذ **البحتري** نموذجا له ومثلا ، فكان " يحاول أن يكون شعره مثل شعر البحتري في فنّه ، وتجويده ، وفي العناية بديباجته ، وألفاظه ، ومعانيه "[٥] ، مما جعل شعره أقرب الى الغناء ، بل يستحق بعضه أن يغنّى حقا ، لأن الشاعر يبدو فيه صاحب عاطفة صادقة مؤثرة ، " لا يكاد يعرب عن ذات نفسه ، حتى يتصل بذات نفس القارىء أو السامع "[٦] ، ولأنه كان في شعره أيضا " ترجمانا صادقا للعواطف الإنسانية الغنائية ، التي يجدها الشبان ، والتي يجدها الشيوخ في كثير من الظروف ، التي تحيط بهم في الحياة "[٧] .

---

(١) تقليد وتجديد ، ص ٨١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٣ .
(٤) انظر حديثه في المصدر نفسه ، ص ١٢١ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٢٢ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٢٣ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ١٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما خلاصة رأي طه حسين في شعره فهي أنه شعر مصري صميم، عميق المصرية، قوي الشعور بها، صادق اللهجة، وهو يلاحظ أن الشاعر **مقلّ، " خليق أن يبقى من شعره شيء للغناء، وشيء للتاريخ**، وأن يذهب أكثر شعره كما يذهب الشعر الذي يقال في المدح والرثاء والمناسبات، وما اليها "[١].

* * *

وأما الشاعر الثالث حفني ناصف فمن المعروف أنه أستاذ طه حسين في الجامعة المصرية القديمة، بل إنه كان أحد أساتذته الذين يراهم خليقين بالثناء[٢]، لأنه كان بعيد الأثر في الأدب المصري الحديث " من حيث إنه خرّج طائفة من الأدباء، والكتاب النابهين، الذين غيّروا الحياة العقلية في مصر تغييرا خطيرا "[٣].

وأما من الناحية الشعرية فيرى أنه كان شاعرا على النحو العباسي القديم، ويعدّه " **أستاذا لشوقي وحافظ** في أساليب الشعر، وديباجته، وصناعته العربية الخالصة، وكثيرا ماكان هذان الشاعران يعرضان عليه شعرهما، قبل أن ينشر، ليقضي فيه برأيه من الناحية الفنية، ومن ناحية الأسلوب، والناحية الأدبية كذلك "[٤].

وعلى الرغم من أنه لم يتخصص في الشعر، فإنه في رأي طه حسين قد أجاد كثيرا من فنونه، مثل الغزل والمدح والشؤون الاجتماعية والرثاء[٥]، وهو في أكثر هذه الفنون محافظ على التقليد العربي القديم، لا يستثنى من شعره سوى ما ألمّ فيه بأشياء من الحياة الغربية، فقد كان فيه " **مجدّدا كلّ الجدة، ومحسنا كل الإحسان**، يذكر من مظاهر الحضارة أشياء، لم يكن غيره من الشعراء الذين عاشروا أوروبا دهرا يذكرونها "[٦].

* * *

---

(١) تقليد وتجديد، ص ١٢٦.
(٢) انظر مذكرات طه حسين، ص ٦٥ - ٦٧.
(٣) تقليد وتجديد، ص ١٢٩.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٣٢.
(٥) المصدر نفسه، ص ١٣١.
(٦) المصدر نفسه، ص ١٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رأيه في تجديد مدرسة الديوان :

وعرض طه حسين في أحاديثه لشعراء مدرسة الديوان وهم : **العقاد والمازني وشكري** ، وقد تناولهم معا في حديث واحد ، وعدّهم مثالا للأدباء الشبان في أول هذا القرن ، الذين تلقوا **ثقافة حديثة ، واطلعوا على الآداب الأجنبية** ، ثم حملوا **لواء الثورة** على الأدب العربي المحافظ عامة ، وعلى الشعر التقليدي خاصة ، وقد " آمنوا بأنهم أقدر على تجديد الشعر من هؤلاء الشيوخ "[(١)] ، ولذا راحوا ينظمون الشعر وفق مفهوم أو مذهب جديد .

وطه حسين لا ينكر أنّ مانظمه العقاد والمازني وشكري كان **حدثا في الشعر العربي الحديث** ، لكنه يلاحظ في الوقت نفسه أنّ **ثورة هؤلاء الشعراء الثلاثة لم تبلغ غايتها** ، وأنّ شعرهم " لم يبلغ نفوس الشباب ، ولم يبلغ قلوبهم ، ولم يؤثر فيهم ، كما كان يؤثر فيهم الشعر العربي الذي كان يقوله الشيوخ ، ولم يظفر من إعجاب الشباب ، ولا من إعجاب الكثرة من الناس بمثل ماكان يظفر به هذا الشعر المضطرب بين التقليد والتجديد "[(٢)] ، وهو يعزو السبب في هذا كله الى أنّ **الثقافة الأجنبية** لم تكن قد انتشرت في المجتمع كما ينبغي ، فكثرة الشباب لم تكن قد أخذت بنصيب موفور من هذه الثقافة ، وانما قد أخذت منها بشيء ظاهر ، وأما حقائقها فلم يكن يعرفها إلاّ أفراد قليلون جدا ، وإذن فشعر الثلاثة لم يلاق الاستحسان من الناس . لأنّ " الكثرة لم تكن قد بلغت من النضج ولا من العلم بالثقافة الأجنبية ، ما كان يمكنها من أن تتذوق هذا الفن الجديد أو تطمئن له "[(٣)] .

ومن جهة أخرى نلاحظ أن طه حسين كان يعنى بشعر العقاد وتجديده أكثر من شعر زميليه وتجديدهما ، ففضلا عن أنه عني به في الحديث المشترك أكثر منهما ، فقد كان قد عرض لشعره وحده بالنقد قبل أكثر من عشرين عاما من هذا الحديث ، لذا من الأفضل أن نتعرف **أولا** رأيه في شاعريته وتجديده خلال الثلاثينيات ، ثم نتعرفه فيهما **ثانيا** خلال الخمسينيات ، ليتسنى لنا رصد مايمكن أن يكون قد طرأ على هذا الرأي من تطور أو تغير .

أما نقده الأول لشعر العقاد فقد كان عام ١٩٣٣ ، حين نشر في مجلة الرسالة دراسة في ديوانه " وحي الأربعين " ، وقد أثنى في بدايتها على فهم العقاد **للتجديد الشعري الصحيح** ، ووافقه على " أنّ بين المجددين قوما يقلدون في التجديد ، فيخطئون الفهم ، ويعدون الصواب ، ويتورطون في أحكام على الشعر والفن ، لا خطر لها ولا غناء "[(٤)] ، كما وافقه على أن **للشاعر المجدد أن**

---

(١) تقليد وتجديد ، ص ١٣٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٦ .

(٤) طه حسين ، وحي الأربعين ، مجلة الرسالة ، ص ٣٣ ، العدد (١٠) ٨ يونيه - ١٩٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يطرق الفنون التي طرقها القدماء دون أن يغض هذا من تجديده أو يمسه، بل لقد قرر أن من الحق على الشاعر العربي المعاصر " أن يطرق هذه الفنون، فيجددها، ويبعث فيها حياة ملائمة للعصر والبيئة، ولميول الجيل الذي يعيش الشاعر فيه "[١]، ولذا دعا الى العناية بفني **المدح والهجاء**، والى تطويرهما تطويرا يلائم " أساليب الحياة العقلية والفنية التي يحياها الناس على اختلاف البيئات والعصور "[٢]. واذا كنا قد عرفنا في فصل سابق **تعريف طه حسين لفن الشعر** ومفهومه له، فينبغي أن نلاحظ في ضوء ذلك أنه **لا يوافق العقاد على تعريفه الشعر** بأنه " التعبير الجميل عن الشعور الصادق "[٣]. فالعقاد في رأيه غير موفّق في قوله **" تعبير جميل "**، لأن هذا القول واسع يصدق أيضا على بعض الفنون الجميلة الأخرى، فالتصوير تعبير جميل، والموسيقى تعبير جميل، والغناء تعبير جميل، والناقد الذي يريد أن يتوخى الدقة في التعريف ينبغي أن يلاحظ في الشعر " الوزن والقافية أو الوزن دون القافية، أو الانسجام الموسيقي على كل حال "[٤]. وهو يرى أن **العقاد غير موفّق** أيضا حين يشترط للشعر في تعريفه **" الشعور الصادق "**، فصدق الشعور في رأيه ليس ركنا أساسيا من أركان الشعر، إذ قد يكون الشعر معجبا، وفيه تعبير جميل، والشاعر غير صادق مع هذا، لأنه يملك البراعة الفنية الخالصة[٥]. فالمطلوب منه إذن الصدق الفني، وليس الصدق الحقيقي.

وهو يذكّر العقاد **بالمثل الذي ضربه أرسطو لبراعة الشعراء في التناقض، وهو مثله عن الشاعر " بندار "**، إذ طلب اليه مرة أن يمدح بغلا، فاستكبر، وذم البغل؛ لأن الأجر لم يعجبه، فلما ضوعف له الأجر، جعل هذا البغل فرسا ذات جناحين، يقول: " ... من المؤكد أن بندار لم يكن يشعر شعورا صادقا، لا بمحاسن هذا البغل ولا بعيوبه، وانما كان يعرف هذه المحاسن والعيوب، وأعانه فنه فصورها تصويرا بديعا "[٦]

واذن فصدق الشعور ليس ركنا من أركان الشعر، ولو كان ركنا، لأسقطنا أكثر الشعراء من تاريخ الأدب في جميع اللغات، واذن " لم يخطئ القدماء حين قالوا: **إن أعذب الشعر أكذبه** ولم يخطئ أرسطاطاليس حين أباح للشعراء مالم يبح للخطباء من **الإسراف والإغراق** "[٧].

---

(١) وحي الأربعين، ص ٣٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٤.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٤.
(٤) المصدر نفسه، ص ٣٤.
(٥) المصدر نفسه، ص ٣٤.
(٦) المصدر نفسه، ص ٣٤.
(٧) المصدر نفسه، ص ٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الفن الذي يعجبه في شعر الديوان فهو **الغزل**، لأنّ شخصية العقاد في رأيه تظهر خلاله " خفيفة الظل جدا ، حلوة الروح جدا ، محبة للحياة جدا ، مقبلة على اللذة جدا ، في حب لها ، واقتصاد فيها "[١]، ويضرب مثلا لهذا الغزل بقوله[٢]:

يالَهُ من فَمٍ	يالَها من شَفَه
يالشَهدٍ بها	كدتُ أن أرشَفَه
يالزهرٍ بها	كدتُ أن أقطفَهْ
حلوةٌ ويحَها	غَضّةٌ مرهفَهْ
حَسّرتي بعدَها	حَسرةٌ مُتلِفَهْ

كما يعجبه في شعر العقاد أنه فيه لا يحب الابتذال ، وانما يحب الامتياز[٣] ، على أنه يأخذ على العقاد أن بعض الألفاظ التي ينبو عنها السمع والذوق تعتور بعض أبياته أحيانا ، نحو لفظة (**الطين**) في قوله[٤] :

" هي كأنّ من كؤوس الخالدينْ لم يَشُبْها المزجُ من ماءٍ **وطينْ** "

ونرى أن طه حسين يأخذ هذا المأخذ نفسه على إيليا أبي ماضي في **قصيدة " الطين"** والعقاد في رأيه **شاعر من شعراء المعاني** الذين " يحرصون أشد الحرص على تصحيح معانيهم ، وتجويدها وتمييزها ، والارتفاع بها عن المألوف "[٥]، على أنه يأخذ عليه أنه لا يعني بلغته ولا يحسن تخيّر ألفاظه ، فهو إذن من **أتباع المعاني** الذين " يزعمون أن الألفاظ يجب أن تتبعهم ، وأن تدين لهم ، وهم لا يطلبون الى الألفاظ إلاّ أن تؤدي لهم معانيهم ، وتعرب عنها إعرابا صحيحا ، لا لبس فيه ، فإن أتيح لها مع ذلك أن تكون جميلة جزلة ، ورقيقة **عذبة فذاك ، والاّ فليس عليهم بأس ولا جناح** "[٦]، على أنه ينصح له بأن يحرص على تجويد اللفظ وتجميله وتزيينه في السمع والقلب ؛ لأن طه حسين يرى أن الشعر " لا يستطيع أن يستغني عن جمال اللفظ بجمال المعنى وروعته ، ولعله يستطيع أن يستغني بجمال اللفظ عن جمال المعنى أحيانا ، **فالشعر موسيقى أولا ، وهو إذن متجه الى السمع**"[٧] بيد أن الخير في رأيه هو أن

---

(١) وحي الأربعين ، ص ٣٥.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٥.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٥.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٥.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٦.
(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٦.
(٧) المصدر نفسه ، ص ٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يوفق الشاعر الى **الملاءمة بين جمال اللفظ وجمال المعنى**[١] ، ولكن العقاد في اعتقاده لا يوفّق الى هذه الملاءمة أحيانا ، إذ يعمد في بعض شعره الى الفلسفة ، والى عرض الآراء الفلسفية نفسها ، دون أن ينفخ فيها من شخصيته أو من روحه ، فتبدو حينئذ على نحو علمي جاف ، واذا العقاد " مفكر من الطبقة الأولى ، ولكن **نظمه يشبه نظم أبي العلاء** ، تنقصه السلاسة والنصاعة ، وصفاء الديباجة ، وهذا الانسجام الذي يخلب سمعك ، ويملك عليك أمرك ، ويجعلك نهبا للشاعر يلقي في روعك مايشاء "[٢] ، وهو ينكر على العقاد أيضا شروحا ومقدمات يقدمها لقصائده الفلسفية ، لأن هذه المقدمات والشروح تترك في النفس أثرا مؤلما ثقيلا الى حد ما[٣] .

وأما تجديد العقاد فيلاحظ أنه يقتصر على الألفاظ والمعاني فحسب ، وطه حسين يرى أن **التجديد في الشعر " خليق أن يتناول الوزن أيضا** ، فلكل نفس مذهبها في التفكير ، ومذهبها في التعبير ، ولكل نفس موسيقاها أيضا "[٤] ، ولذا فهو يلفت العقاد الى أن كل نهضة في الشعر جديرة بهذا الاسم تستتبع تغييرا **في الوزن ، واستحداثا لفنون جديدة من التوقيع** ، ويرى أن هذا حدث في شعرنا العربي القديم في المشرق وفي الأندلس ، وفي أشعار الأمم الأخرى ، ثم ينهي نقده بالتمني على العقاد أن " **يجدّد في الشعر ، فيحسن التجديد ، وأن يتجاوز التجديد في الألفاظ والمعاني الى التجديد في الأوزان والقوافي** "[٥] .

* * *

وقد عاد طه حسين الى شعر العقاد وتجديده بعد عقدين ونيّف من الزمن ، وكان قد أصدر خلال ذلك دواوين عدة ، وكان كل منهما في الطور الأخير من حياته الأدبية ، فهل وجده قد حقّق ماتمناه عليه من تجديد ؟ هل وجده قد جدّد فأحسن التجديد ، وتجاوز في تجديده الألفاظ والمعاني الى التجديد في الأوزان والقوافي ؟

لقد لاحظ أن العقاد قد جدّد في أشياء كثيرة " **في تصويره للفن ، وفي بعض الموضوعات ، التي يقال فيها الشعر** ، وفي محاكاة **بعض الشعراء النابهين من الأوروبيين** "[٦] ، ولكنه مع هذا لاحظ

---

(١) وحي الأربعين ، ص ٣٦.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٦.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٧.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٧.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٧.
(٦) تقليد وتجديد ، ص ١٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن تجديد العقاد في الشعر قد ظل محدود التأثير في القراء " لا يكاد يتذوقه ، ولا يكاد يتأثر به إلاّ عدد قليل جدا من الذين كانوا يألفون العقاد ، ومن الذين لم يكونوا يعرفونه ، ولكنهم كانوا يرضون عن مذهبه هذا في الشعر "[١]، ولقد مرت سنوات عدة وانتشرت الثقافة الأجنبية في المجتمع العربي شيئا فشيئا ، وازداد عدد الشباب الذين أحسنوا الاطلاع على الآداب الأوروبية ، ولكن مع هذا كله يلاحظ أن شعر العقاد وزميليه المازني وشكري قد ظل كالغريب ، وظل " ظاهرة من هذه الظواهر التي تمر ثم لا يكون لها أثر قريب "[٢]، والسبب يرده الى أنّ **الحضارة الحديثة لمّا تتأصل في حياة المجتمع العربي المعاصر** ؛ إذ إنّ الإنسان العربي مافتئ لا ينظر الى هذه الحضارة على أنها حضارته ، وانّما على أنّها حضارة الغرب وحده ، ولذا فهو يأخذ منها ما يلائمه ، ويرفض منها ما لا يلائمه ، ويرى أنّ **الذي يناسبه منها قليل**[٣].

رأيه في تجديد خليل مطران :

وأما خليل مطران فطه حين يقدّره ويعجب به ، **ويقرنه كثيرا إلى شوقي وحافظ** ، ويميل الى الموازنة بينهم . وعلى الرغم من أنه لم يدرس شعره في مقالة خاصة ؛ فإنه حين تناول مقدمة ديوان شوقي ، ومقدمة ديوان حافظ ، عرض أيضا لمقدمة ديوانه ، فلاحظ أنه يتميّز من زميليه بأنه **يصدر عن مذهب فني بعينه** ، وأن هذا المذهب واضح لديه ، فأنت تخرج من قراءة المقدمة التي كتبها مطران نفسه لديوانه و " قد عرفت مذهب الرجل في الشعر ، وعقيدته الفنية ، وأسلوبه في فهم الجمال الأدبي "[٤]، وهو لا يأخذ عليه في هذه المقدمة إلاّ تكلّفه في الأسلوب ، فقد مال فيه الى السجع ، الذي لا رشاقة فيه ، ولا ظرف ، ولا موسيقى ، على أنّ الذي يلفته في المقدمة هو أن خليل مطران فيها " ثائر على الشعر القديم ، ناهض مع المجدّدين "[٥]، ذلك أنه حريص على أن يلائم بين شعره وبين هذا العصر ، **والذي يعجبه في مذهبه في التجديد أنه** " معتدل ، فهو لا يرفض القديم كله ، وانما يحتفظ بأصول اللغة ، وأساليبها في حرية ، كما يتأثر القدماء في إطلاق فطرتهم على سجيتها ، يكظم فطرته ، ولا يغشيها بالأستار الخدّاعة **والخلابة** "[٦]، كما يعجبه منه كرهه للشعر الذي تستقل فيه الأبيات ، وتتنافر وتتدابر ؛ ودعوته الى أن تكون القصيدة ملتئمة الأجزاء ، حسنة التأليف

---

(١) تقليد وتجديد ، ص ١٣٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٨ .
(٤) حافظ وشوقي ، ص ١٢ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٦ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيما بينهما ، ويعجبه أيضا أنه ينظر الى فنّ الشعر عامة نظرة معتدلة ، فهو " **يرى أن الشعر ليس خيالا صرفا ، ولا عقلا صرفا ، وانما هو مزاج منهما** "[١].

هذا هو **رأي طه حسين في خليل مطران سنة ١٩٣٣**[٢]، وقد عاد اليه بعد سنوات طويلة ، إذ خصّص له **حديثين متتاليين** من أحاديثه الإذاعية **عام ١٩٥٥** ، ضمنهما خلاصة رأيه في شعره نفسه ، من خلال تأمله وتذوقه ، غير معتمد على ماكتبه الشاعر عن مذهبه الفني ، كما في المرة الأولى .

وقد ذهب خلال هذين الحديثين الى أن خليل مطران **مصري التفكير ، مصري الآثار في فنه**، وفي شعره ، وفي عواطفه ، وانْ كان لبناني المولد والنشأة[٣]، والى أنه **يشبه أبا تمام** من نواح عدة : منها هذه الناحية ، فقد كانت مصر والشام تتنازعان أبا تمام ، وهو يشبههما من ناحية أخرى ، إذ يذهب مذهبه في الشعر " فيخضع فنه لإرادته في كثير من الأحيان ، ويحاول أن يعمل عقله في كثير من المعاني ، التي يضعها في شعره ، وهو لا يعنيه أن يستجيب اللفظ في يسر لهذه المعاني ، واذا استعصى عليه اللفظ أكرهه . وكلفه ما لا يطيق "[٤]، وهو من ناحية ثالثة يشبهه بأن شعره لا ينال إعجاب عامة الناس . " وشأن مطران في هذا **كشأن أبي تمام** : فأبو تمام لم يكن شعره يعجب إلاّ طائفة معينة من الناس هم أصحاب الثقافة ، والثقافة الممتازة المتنوعة "[٥] .

وحين يعرض مرة ثانية - بعد اثنتين وعشرين سنة - للموازنة بينه وبين شوقي وحافظ ، نجده مايزال ثابتا على رأيه القديم ، ذلك أنه يقول عنه : " ربما كان مكانه من شوقي ومن حافظ في كثير من الأحيان مكان الأستاذ والرئيس ، ذلك أنه أعمق منهما ثقافة ، وأكثر منهما اطلاعا ، وأشدّ منهما مصاحبة للثقافة ، وأكثر منهما ممارسة متصلة لهذه الثقافة ، وهو لم يكن محدود الأفق ، ولم يكن مقصورا على ألوان معينة من الثقافة "[٦].

ويلاحظ أن خليل مطران لم يتخذ الشعر صناعة أو مهنة ، وانما كان بالقياس اليه فنا يهواه ،

---

(١) حافظ وشوقي ، ص ١٧٠

(٢) وهي السنة التي نشر فيها كتابه " حافظ وشوقي " .

(٣) تقليد وتجديد ، ص ١٠٩٠

(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٢٠

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٢٠٠

(٦) المصدر نفسه ، ص ١١٠٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتطمح اليه طبيعته ، وتألفه نفسه ، ومع أنّه يعدّه ممّن شاركوا شوقي وحافظاً في إعادة النضرة الى الشعر القديم ، فإنه يراه قد خالفهما وخالف البارودي أيضا في أنه " لم يتقيّد بالتقاليد العربية القديمة ، وانما تأثر بالسّنن التي عرفها عند الشعراء والأدباء الأجانب من الأوروبيين ، على اختلاف طبقاتهم ، وعلى اختلاف أجيالهم أيضا "[١].

لقد كان خليل مطران يرغب في أن يكون الشعر مطيعا له ، لا أن يكون عبدا لشعره ، لكنه مع هذا كان يكلّف ألفاظه ما لا تطيق من الشعراء عادة ؛ ولذا فهو من هذه الوجهة يخالف الشعراء المعاصرين ، **ويشبه أبا تمام** من القدماء ؛ مما أدى به الى الابتعاد في ألفاظه وأسلوبه عن التقاليد العربية الموروثة ، وجعل شعره يحتاج " إلى شيء من الصفاء الرائق الخلاّب ، الذي نجده عند شوقي ، ونجده عند حافظ "[٢] .

على أنّ شعره مع هذا يتميّز بتصوير مايستحق أن يقف عنده القارىء ، وأن يفكر فيه ، على حين أن الشعراء المصريين الذين عاصروه ، ربما يخلب شعرهم القارىء أو السامع بألفاظه ، ولكنه في كثير من الأحيان لا يكاد يجد وراء ألفاظه شيئا يستحق التأمل والتوقّف . **كما يتميّز شعره بأنه تجاوز في موضوعاته العالم العربي الى العالم الغربي** . فاستوحى منه بعض الموضوعات القديمة والحديثة ، فأثبت بهذا سعة ثقافته ، وبعد أفقه في الموضوعات التي طرقها من فنون الشعر " وهو من هذه الناحية ، لا نكاد نجد له مناظرا في شعراء العرب المعاصرين "[٣]. فقد نظم **قصيدة يصفها طه حسين بأنها بديعة ، تدور حول " نيرون "** طاغية الرومان المعروف ، وهي من مطولات الشعر الحديثة[٤].

وهو يلاحظ أن خليل مطران قد تجاوز في ترجمته لبعض الآثار الأوروبية الشعر العربي الموزون ، المقفّى ، " إلى نوع من النثر هو في حقيقة الأمر أقرب منه الى أن يكون شعرا ، وهو لا يستقلّ بهذا الفنّ ، ولكنه يشارك فيه غيره من الشعراء الأوروبيين "[٥] ، كما يلاحظ أنه كان قديرا " إذا ترجم عن الشعراء أن يجد اللغة التي تلائم روعة شعرهم وجماله وارتفاعه وسموه ، فكان دائما لا ينحط بلغته ، وكان دائما يكره أن تخضعه دقة الترجمة الى هذا التكلّف العنيف

---

(١) تقليد وتجديد ، ص ١١١.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٣.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٤.

(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٥ ، وانظر هذه المطولة في ديوان خليل مطران ، ص ٥٠ ، الجزء الثالث ، مطبعة دار الهلال ، ١٩٤٩.

(٥) تقليد وتجديد ، ص ١١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي يتكلّفه كثير من المترجمين "[١]، ولأنه كان واسع الاطلاع على الشعر الأوروبي، وثيق الصلة به، فقد كان يرى أنه **لا بدّ من التجديد في الشعر العربي**، ولذا فقد كان كثيرا **مايحض شوقي وحافظاً على التجديد**، وعلى ترك التقليد المرف، ومن خلال هذا تبدو أستاذيته لهما، **وطه حسين يعتقد أنّ الفضل يعود الى خليل مطران في إقبال شوقي على إنشاء التمثيل الشعري**[٢].

وكان هو في دعوته الى التجديد قدوة الشعراء العرب المعاصرين، فقد **نظم الشعر القصصي على النسق الأوروبي**، وذلك في قصيدته السابقة التي تدور حول (نيرون)، **وحاول أن ينشيء الشعر التمثيلي**" لكنه اختصر الطريق، وترجم لنا شيئا من شعر شكسبير، ومن شعر كورني وراسين، وترجمه نثرا، حتى لا يفسد الشعر بهذه الترجمة، وحتى لا يفسد ترجمته بالشعر أيضا، فمن أصعب الأشياء وعسى أن يكون من أشدها عسرا أن يترجم الشاعر من لغة الى لغة، وأن يترجم شعرا "[٣].

ولكن على الرغم من كل ماحاول أن يجدّده مطران فطه حين يلاحظ أن شعره قد ظل لا يحظى من عامة القرّاء إلاّ بإعجاب ورضا محدودين، بل لقد ظل لا يحظى إلاّ بإعجاب المثقفين ثقافة ممتازة، إذ " قلّما كان أواسط المثقفين يتمكّنون من أن يخلبهم شعره. ويأخذ عليهم الألباب، على حين ظفر شعر حافظ وشوقي برضا أصحاب الثقافة الممتازة، وبرضا أصحاب الثقافة المتوسطة، وربما ظفر أحيانا برضا العامة "[٤].

* * *

---

(١) تقليد وتجديد، ص ١١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عيـــوب الأحاديث وأهميتهـــا

نحسب أنّ أهم الفروق بين أحاديث طه حسين عن التجديد والتقليد في الشعر العـــربي الحديث وبين دراساته المنشورة ، أنّ هذه الأحاديث تبدو **شديدة الإيجاز والمباشرة** ، وذلـــك لأنها كانت مقيّـدة بالوقت **الإذاعي** المحدّد لها ، ولذا فهي تتساوى تقريبا في حجمها ، كمـــا أنها تختلف عن دراساته بأنه لم يورد أمثلة شعرية خلالها سوى بيتين شائعين لا ســـماعيل صبري ، وهمـــا :

" أقْصِرْ فؤادي فما الذكرى بنافعةٍ ... ولا بشافعةٍ في ردّ ماكانـــا

سَلا الفؤادُ الذي شـاطرته زمنـًا ... حملَ الصبابةِ فاخفقْ وحدكَ الآنـا "

وقد أوردهما ليثبت ماذهب اليه ، وهو أنّ هذا الشاعر كان يصوّر المصري ، القاهري ، العريق في مصريته ، حتى في الألفاظ والمعاني ، مع احتفاظه في الوقت نفسه بالفصاحة والرصانة[١] .

أمّا السبب في عدم إيراده أمثلة شعرية في أحاديثه فيعود الى طبيعة الحديث الإذاعي القصير من جهة ، كما يعود الى أنه كان يتحدث شفويا ، معتمدا على الذاكرة من جهة أخرى[٢] .

على أنّ أهمية هذه الأحاديث النقدية تتمثّل في أننا نظفر فيها بخلاصة **آراء طه حســـين في هؤلاء الشعراء المعاصرين** ، الذين تناولهم ، ولم تتح له دراستهم ، كما نظفر من خلالهـــا برأيه في **ماحققه الشعر العربي في العصر الحديث من جديد** بالقياس الى عصوره السابقة ، ولكـــن أبرز مانأخذه عليه في هذه الأحاديث أنه **اقتصر فيها على تناول شعراء مصريين** ، وأما خليـــل مطران فقد رأينا كيف عدّه مصريا في حياته الشعرية والأدبية ، واذن يمكن القول : إنّ محاولته في تبيّـن التجديد الذي حققه الشعر العربي المعاصر هي **محاولة محدودة** ، أو هي محاولة لتبيّن التجديـــد في **الشعر المصري المعاصر وحده** ، ولا ريب أنه لو استشرف الشعر العربي المعاصر كله ، وتأمله مـــن خلال شعرائه المشهورين في مختلف الأقطار العربية والمهاجر ، لكان رصده للتجديد الذي حققـه هذا الشعر أدق وأشمل ، وأقرب الى الحقيقة الواقعة ، ونحسب أن هذه الحقيقة ماكانت لتغيب عن ذهنه ، وهو الذي جهر بأنّ إمارة الشعر قد انتقلت من مصر الى العراق ، بعد موت شـــوقي وحافـظ في عام ١٩٣٢ .

---

(١) تقليد وتجديد ، ص ١٢٤ .

(٢) وذلك لفقدانه الإبْصار .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العقاد ومطران ومدرسة أوس :

وقد حاول طه حسين أن يلتمس التجديد الشعري عند جميع الشعراء ، الذين تناولهم في أحاديثه ، حتى روّاد مدرسة الإحياء فقد لمح عند اثنين منهم شيئا من التجديد ، وهما **حفني ناصف ، والبارودي** الذي عدّه أول المجدّدين ، لكنه لاحظ أن التجديد الشعري الحديث يظهر حقا عند **المازني وشكري والعقاد ومطران** ، بل إنه أكثر مايتجلّى عند الشاعرين الأخيرين خاصة ، ولذا فإنه في حديثه المشترك قد توقّف عند العقاد وحده أكثر من زميليه ، وخصّ مطران بحديثين متتاليين ، كما أنه أعرب عن إعجابه بشعرهما دون تحفظ ، ويمكن القول : إن سرّ هذا الإعجاب يعود في الغالب الى سببين : **أولهما أنّ كليهما واسع الثقافة ، يجدّد في شعره من خلال تأثره بالشعر الأوروبي**[(١)] ، فكلاهما إذن مؤهل لتجديد الشعر ؛ لأنّ طه حسين يرى ألاّ سبيل الى أن يتجدّد الأدب العربي ، " إلاّ اذا استزاد أدباؤنا وشعراؤنا من التعليم ، ومن الثقافة بالقديم وبالجديد في وقت واحد "[(٢)] .

وثانيهما أنّ كليهما يُعنى بالتصوير في شعره ، ولا يعتمد على الطبع وحده فيه ، وانما يعمل فيه عقله ، ويتناوله بالتثقيف والتجويد[(٣)] ، **وكأنه يعدّهما امتدادا متطورا لمدرسة أوس وزهير الجاهلية في العصر الحديث** ، وهي المدرسة التي يقوم شعرها على التصوير واعمال العقل والتجويد ، دون الاعتماد على الطبع وحده ، بل إنّ طه حسين يذهب الى هذا حقا ، حين يلاحظ التشابه القوي بين **خليل مطران وبين أبي تمام** ، ذلك أنه مريح القول - كما مرّ بنا - إن أبا تمام امتداد لمدرسة أوس وزهير في العصر العباسي[(٤)] ، كما أنه حين درس ديوان " وحي الأربعين " لاحظ التشابه بين **العقاد وأبي العلاء المعري** ، الذي يعدّه أيضا امتدادا لمدرسة أوس ؛ لأنه تلميذ المتنبي ، وجمع الشاعرين بين التأثر بالشعر الأوروبي الحديث وبين الانتماء الى مدرسة أوس وزهير لا ينطوي في طياته على أيّ تناقض ، فقد لاحظ طه حسين مبكرا أنّ مايفتن في الشعر الأوروبي الحديث هو **التصوير**[(٥)] . كما لاحظ أيضا أن كبار الشعراء الأوروبيين **لا يعتدّون بالطبع وحده في الشعر** ، وانما يعتمدون فيه على **العقل والتثقيف** ، على نحو ماكان يفعل بعض شعراء العربية في القديم ، يقول في هذا : " ... ليس من الحق - فيما أظن - أن تحكيم

---

(١) انظر " تقليد وتجديد " ، ص ١١١ ، ١٢٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٨ .

(٣) انظر المصدر نفسه ، ص ١١٢ ، ١٢٧ .

(٤) انظر " في الأدب الجاهلي " ، ص ٢٧٢ ، ومن حديث الشعر والنثر ، ص ١٠٢ .

(٥) انظر " حديث الأربعاء " ، ص ٢٣ ، ج١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العقل في الشعر يفسده ، ولعلّ جماعة من كبراء الشعراء الفرنسيين ، وغير الفرنسيين ، لا يقبلون الشعر إلاّ إذا سيطر عليه العقل ، وأخضعه لسلطانه المنظم ومنطقه "[١].

زعامة التجديد بين العقاد ومطران :

ويُلاحَظ أنه ربط بين خليل مطران وشوقي وحافظ ، وحاول أن يبيّن أنه يتميّز منهما في بعض النواحي الفنية ، لكنه لم يحاول أن يوازن بينه وبين العقاد ، ليبيّن أيهما أكثر إمعانا في التجديد ، أو أيهما أفضل شعرا ، على أنه قدّم العقاد على مطران ذات مرة ضمنيا ؛ إذ دعا الشعراء في الثلاثينيات الى أن يدفعوا الى العقاد لواء الشعر ؛ لأنه جدير بأن يكون أميرا عليهم[٢] ، كما ذهب في نقده الأول لشعره عام ١٩٢٣ الى القول : " أكاد أجزم بأن العقاد لو استقامت له الألفاظ ، وأسمحت له اللغة ، لما استطاع أحد في هذه الأيام أن يساميه "[٣]

ولكن يبدو أن دعوته الى تأمير العقاد على الشعراء لم تكن مقنعة ، بل لقد ظلت تجرّ عليه بين الحين والآخر النقد ، والتهمة بأنه فيها لم يكن جادّا ، أو لم تكن هي خالصة - فقد **استهزأ بعض المحافظين بالدعوة** في إبّانها[٤] ، وذهبوا الى أن طه حسين عابث فيها . يسخر من العقاد سخرية خفيّة[٥] ، ثم عاد الدكتور **زكي مبارك** اليها في عام ١٩٤٧ ، فرأى أنه أخطأ فيها ، يقول له يخاطبه : " ... خلعت إمارة الشعر على الأستاذ محمود العقاد ، وهو أديب فاضل ، بدليل أنك أهديت أحد كتبك اليه[٦] ، ولكنه شاعر صغير بالقياس الى العبقرية المصرية ، العقاد في الشعر كالزيات في النثر ، كلاهما يأخذ قوته من الافتعال "[٧].

ثم **عاد إليها سامي داود** في الخمسينيات ، فذهب الى أن طه حسين قد جامل العقاد ، حين دعا الى مبايعته بإمارة الشعر ، ثم خلص الى أنّ هذه الدعوة الى البيعة **" كانت سياسية ، اقتضتها ظروف خاصة "**[٨].

---

(١) انظر حديث الأربعاء ، ص ١٨٨ ، ج٣.
(٢) انظر كتاب " خصام ونقد " ، ص ١٤٤ - ١٤٥.
(٣) وحيّ الأربعين ، مجلة الرسالة ، ص ٣٦.
(٤) انظر " المعارك الأدبية " لأنور الجندي ، ص ٥٦٥.
(٥) المرجع نفسه ، ص ٥٦٨.
(٦) والكتاب الذي أهداه طه حسين الى العقاد قصته " دعاء الكروان " .
(٧) د. زكي مبارك ، ديوان ألحان الخلود ، ص ٢٠٤ ، دار الكتاب العربي بمصر ، ط ١ - القاهرة - ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م.
(٨) طه حسين ، خصام ونقد ، ص ١٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو في قوله هذا يلمّح الى أنه حين جهر بدعوته في ذلك الوقت ، كان قد ترك حزب الأحرار الدستوريين ، وانضمّ الى الوفد ، حزب العقاد[١] ، وقد **ردّ طه حسين** على سامي داود قائلا : " أؤكد للاستاذ أني **لم أبايع العقاد بإمارة الشعر** ، وما كان لي أن أبايعه ، لأني لم أكن شاعرا ، وانما قلت مخلصا (ماقلت) غير محاب ، ولا متأثر بالسياسة "[٢]. أما ماقاله في حفل أقيم لتكريم العقاد عام ١٩٣٤ فهو :

: " ... إنّ الشعراء يستطيعون أن يدفعوا لواء الشعر الى العقاد بعد أن مات حافظ وشوقي ، فهو يستطيع أن يحمل هذا اللواء مرفوعا ، منشورا ، وأن يحتفظ لمصر بمكانتها في الشعر الحديث "[٣].

وقد أكّد طه حسين في رده أنّه مازال مؤمنا بما قال ، غير مستعد للرجوع عنه ، حتى يظهر شاعر جديد يتفوّق على العقاد[٤] ، ذلك أنّ بعض شعر العقاد في رأيه " ... رائع ، بارع ، رصين ، متين ، لا يخدع ببهرج اللفظ ، ولا يسحر بروعة الأسلوب ، وانّما يعجب باللفظ والأسلوب والمعنى جميعا "[٥] ، كما أنّ له شعرا " أقلّ مايوصف به أنه يدلّ على شيء ، ويدلّ على شيء من حقه أن يحبّب الشعر الى الناس "[٦].

ومن وجهة أخرى يلاحَظ أنه في سنة ١٩٣٧ قد **قدّم خليل مطران ، وعدّه زعيم الشعر العربي المعاصر** ، وأستاذ الشعراء العرب المعاصرين ، دون استثناء ، ممّا عرّضه مرة أخرى ، **لتهكّم خصومه** واستدلوا به على أنه **عابث ساخر** في إطلاق الأحكام النقدية ، أو أنه لا يكاد يستقر على رأي أدبي[٧].

ولكن على الرغم من اضطراره للردّ على سامي داود ، وعلى الرغم من تناقل خصومه لقوليه وتندّرهم ، فأغلب الظن أنه في تفضيله للشاعرين لم يكن يصدر عن **نقد أدبي** ، حتى يؤخذ عليه التناقض والاضطراب في هذا النقد ، وذلك لسببين : **أولهما** أنه في كلتا المرتين لم يكن يتوجه

---

(١) وقد تحول الى حزب الوفد بعد أن فصل من الجامعة عام ١٩٣٢ ، وعرض عليه مصطفى النحاس أن يرأس تحرير صحيفة " كوكب الشرق " الوفدية .
(انظر كتاب " طه حسين يتحدث عن أعلام عصره " ، ص ٩٢) .

(٢) خصام ونقد ، ص ١٤٤.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٤ ـ ١٤٥.

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٥.

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٤٥.

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٤٥.

(٧) انظر " المعارك الأدبية " لأنور الجندي ، ص ٥٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بكلامه **الى قرائه أو الى الناس عامة**، وهو الذي كان يعدّ نفسه مسؤولا أمامهم عمّا يصدر عنه من كلام وأحكام، وانّما قال ماقال في **مناسبتين** تقتضيان المجاملة : **الأولى** حفل خاص أقامه أصدقاء العقاد لتكريمه، **والثانية** تهنئة لصديقه خليل مطران ببلوغه الستين من عمره، ولكنّ وسائل الإعلام نقلت في الغالب، أو تناقلت ماقال تناقلَها لأقوال كل أديب شهير، فتلقّف ذلك خصومه، وهم كُثْر، ثم أخذوا يدلّلون به على عبثه أو على تضاربه في إصداره الأحكام النقدية[١].

وأمّا ثاني السببين فهو أنه في كتبه ومقالاته التي نشرها للقرّاء، وفي أحاديثه التي أذاعها في ملأ من الناس، نجده حين يعرض للعقاد ومطران وغيرهما لا يجنح الى إصدار الأحكام النقدية التفضيلية، فضلا عن أن ينزلق الى التضارب في إصدارها، خلال مدة وجيزة، ولو فعل هذا في دراساته وأحاديثه، - وهو المشهور بقوة ذاكرته وذكائه - لكان في إصداره للأحكام عابثا ساخرا حقا، على نحو ما أشاع خصومه، بل لكان في عبثه وسخريته يجارى **أسلوب مروان بن أبي حفصة في النقد الأدبي**، وهو الأسلوب الذى ضحك وأضحك القراء منه، حين عرض للشاعر قبل عشر سنوات فقال : " ... أما رأي مروان في النقد فبديع، كان ينشد لامرئ القيس ويقول : هو أشعر الناس، ثم ينشد شعر الأعشى ويقول : هو أشعر الناس، ثم ينشد شعر زهير ويقول : هو أشعر الناس، حتى اذا أنشد لطائفة كثيرة من الشعراء، فرآهم جميعا أشعر الناس، قال ضاحكا : الناس أشعر الناس "[٢].

على أنّ الذي نجده حقا في دراساته وأحاديثه التي يتوجه بها الى قارئه أو سامعه من الناس عامة، هو أنه يعدّ **العقاد وخليل مطران من رواد التجديد الكبار في الشعر العربي المعاصر**، وأنهما في تجديدهما متأثران بالشعر الأوروبي الحديث، ويحاولان محاكاته[٣]، ثم نلحظ بعد هذا أنه في أحاديثه الإذاعية تحدث عن شعر مطران أكثر من حديثه عن شعر العقاد، فبينما خصّص للعقاد ولزميليه المازني وشكري حديثا واحدا، خصّ منه العقاد وحده بفقرة أو فقرات قصار[٤]، إذْ هو يخصّص لمطران وحده حديثين[٥]، يُلاحَظ أنه ربط فيهما بينه وبين **شوقي وحافظ**، وعدّه **أستاذهما** الذي كان يحضهما على التجديد[٦]، كما كان في السابق قد ربط بينه وبينهما

---

(١) انظر " المعارك الأدبية "، ص ٥٦٣، ٦٧٠ - ٧١٣.

(٢) حديث الأربعاء، ص ٢٣٨، جـ٢.

(٣) انظر " تقليد وتجديد "، ص ١٢٧، ١١١.

(٤) انظر المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٠٩.

(٦) المصدر نفسه، ص ١١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حين درس الشاعرين، فلاحظ أنه يتميّز منهما بمفهومه الحق لفن الشعر وأسلوب تجديده[١]، وبينما لم يبيّن للقارئ **ملامح التجديد في شعر العقاد**، أوضح في حديثه عن شعر مطران أنه **نظم الشعر القصصي الحق على النسق الأوروبي**، وحاول أن ينشئ **الشعر التمثيلي**[٢]، وأن الفضل يعود إليه في إقبال شوقي على الشعر التمثيلي[٣]، ونحسب أنّ هذا كله يوحي في الغالب بأن طه حسين **يعدّ خليل مطران أكثر إمعانا في تجديد الشعر العربي المعاصر من صاحبه العقاد**، وبأنه أكثر ميلا الى الإعجاب بشعره، وقد تجلّى هذا الإعجاب خاصة حين راح يلتمس أسباب المشابهة المتعدّدة بينه وبين أبي تمام[٤].

وسنرى أنه في أثناء موازنته النقدية الجادة بين حافظ وشوقي قد احترس احتراسا لافتا من أن يحكم لأحدهما في النهاية بأنه أشعر من الآخر.

* * *

(ب) دراساته في الشعر العربي المعاصر

تناول طه حسين بالنقد الأدبي عددا من الشعراء العرب المعاصرين، وذلك من خلال مقالات نشرها في الصحف ثم ضمنها بعض كتبه، حين جمع ماجمع من مقالات.

ولا ريب أن **ذوقه الأدبي وأسلوبه في نقد الشعر خاصة**، يظهران في نقده للشعراء المعاصرين أكثر مما يظهران في نقد الشعراء القدماء؛ لأن دراساته في أشعار القدماء كانت تقوم في الغالب على اختياره مايعجبه منها - على نحو مارأينا -[٥] وأما المعاصرون فقد كان يتناول للواحد منهم ديوانا كاملا، ثم يقوم بدراسته دراسة حرة، ويعطي آراءه النقدية في الشاعر وشعره في صراحة وجرأة لا يبالي معهما شيئا من القوة النقدية في كثير من الأحيان.

---

(١) انظر "حافظ وشوقي"، ص ١٢، ١٦، ١٧.

(٢) انظر تقليد وتجديد، ص ١٨ - ١٩.

(٣) انظر المصدر نفسه، ص ١١١٨.

(٤) انظر المصدر نفسه، ص ١٢٠.

(٥) لا يستثنى من ذلك سوى دراساته في شعر المتنبي وأبي العلاء المعري، ولذا لمسنا شيئا من حدته في نقد الشعر، كما بدا ذلك في نقده المتنبي خاصة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكن أن نقسم دراساته في الشعراء المعاصرين، الذين تناولهم قسمين أساسيين : **دراسة كبيرة** في شوقي وحافظ ، **ودراسات موجزة** في دواوين شعراء مختلفين .

١. دراسته في شوقي وحافظ :

وقد جمعنا الشاعرين معا ، لأن طه حسين نفسه كان يوازن بينهما دائما في مقالاته وأحاديثه عنهما ، ولأنه جمع هذه المقالات معا في كتاب واحد، هو كتابه " **حافظ وشوقي** " الذي نشره في عام ١٩٣٣ ، ولذا فأول ما نأخذه على الكتاب أن فصوله تبدو غير متسقة ، وغير مترابطة ترابط الدراسة المتماسكة ، التي توفّر عليها صاحبها في آن واحد متصل ، قبل أن يقوم بنشرها ، فبينما يتناول فيه قصيدة لشوقي مثلا ، إذ هو ينتقل بعد هذا مباشرة الى قصيدة لحافظ ، وهكذا يظل حديثه عن الشعر والشاعرين يتداخل ويتشابك ، على نحو **يشتّت الذهن والفهم** شيئا ما ، واذا أضفنا الى مقالات الكتاب أحاديثه الإذاعية عن الشاعرين ، بدا أنّ الأفضل هو أن نعرض أولا لآرائه في كل شاعر وحده ، ثم نعرض أخيرا لموازنته النقدية بينهما ، ولآرائه التي تمسهما معا .

رأيه في شوقي وتجديده :

أما شوقي فيخلص طه حسين من دراسة حياته الى أن نفسه كانت **نَفْسًا أرستقراطية** ، ويردّ السبب في تكوينها على هذا النحو الى طبيعة نشأته[١]، كما يذهب الى أنّ **اتصاله بالقصر قد أثر في فنه الشعري وتجديده كثيرا** ، ذلك أنه بدأ حياته الشعرية مجدّدا ، يعجب المثقفين بتجديده الشعري ، على أنه كان " **لا يجدد في صراحة ، وشجاعة ، وثبات للخصوم ، ولكنه يجدّد في لباقة ، ومداورة ، والتواء على المناهضين** "[٢].

ومن طريف مايلاحظ طه حسين في هذا أن أسلوب شوقي في تجديده ، وفي معاملته للنقاد والأدباء ، كان يسير وفق قوله[٣] :

" إنّ الأراقمَ لا يُطاقُ لقاؤها ... وتنالُ من خَلفٍ بأطرافِ اليدِ "

ذلك أنه في رأيه لم يواجه الناس بتجديد عنيف في الشعر قط ، وهو لم ينهض لخصومة ناقد من نقاده ، بل لم يجرؤ على أن يلقى نقاده بالعتب " وانما كان يعاملهم معاملة (**الأراقم**) ، لا يلقاهم ، ولكنه يأخذهم من خلف بأطراف اليد ، يغري بهم ، ويؤلب عليهم ، ثم يلقاهم

---

(١) حافظ وشوقي ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

(٣) انظر المصدر نفسه : ص ١٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باسما ، وادعا ، ولا يتحرّج من زيارتهم ، واستزارتهم ، كأنه من أحب الناس اليهم "[١]، وهو يعزو نشوء هذه الطبيعة فيه الى أنه عاش في ظل **القصر** ، وعمل في القصر " حين كانت حياة القصر مداورة مستمرة بين الشعب الطامع في الحرية ، والإنجليز المعتدين عليها ؛ فليس غريبا أن يكسب شوقي في حياته الأدبية والشخصية هذه السياسة ، التي تحمي صاحبها ، وتضمن له الظفر والسلامة معا "[٢].

وهو يلاحظ أن **شوقي كالبارودي** ، كلاهما تأثر بالشعر العربي القديم ، ولكن البارودي كان ينقل في شعره قارئه الى العهد العربي الماضي ، " مع شيء من المحافظة على ألوان الحياة العصرية "[٣]، على حين أن شعر شوقي في شبابه كان لا يردّ القرّاء الى عهود القدماء ، وانما ينقلهم الى **عالم جديد** ، كانت كثرة الناس من معاصريه تجهله[٤].

لقد بدأ شوقي حياته الشعرية مجدّدا ، يعجب القرّاء ، ويتوقع له النقّاد الانطلاق في التجديد الى أقصى مدى ، **لأنه كان يجمع بين الموهبة والثقافة** ، ولكنّ طه حسين يلاحظ أنه **لم يحقق التجديد الشعري المنشود** ، وذلك لارتباطه أيضا بحياة القصر ، التي كانت تفرض عليه ألوانا من القيود ، على حين أن **الشاعر يحتاج الى الحرية كي يبدع** ، فهو في بداية شبابه ، وبداية انطلاقه الى التجديد ، كان شاعر الأمير ، وكان سعيدا بهذا ، يفاخر به قائلا[٥] :

" شاعرُ الأميرِ وما بالقليلِ ذا اللّقبُ "

ولذا كان شوقي في شعره خلال هذا الطور الأول من حياته الشعرية " يخطر الى أن يصانع ، ويجاري ، ويداري ، ويخضع لهذه القيود ، التي تفرضها عليه الحياة الرسمية "[٦]، ولذا فقد **أخفق في رثاء القادة الوطنيين والاجتماعيين** ، من أمثال **محمد عبده ، وقاسم أمين ، ومصطفى كامل** ، على حين نجح **حافظ** في رثائهم ، والسبب يعود الى أنه لم يستطع أن يرسل نفسه على سجيتها ، لارتباطه بالقصر .

ويلاحظ طه حسين أن **شوقي في شبابه كان يشبه المتنبي** ، إذ كان يجيد حين يتحدث عن

---

(١) حافظ وشوقي ، ص ١٩٣.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٩٣ ـ ١٩٤.
(٣) تقليد وتجديد ، ص ٨٧.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٨٧.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٨٧.
(٦) المصدر نفسه ، ص ٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذات نفسه ، أو حين يتغزّل ، ولكنه حين كان يخطر الى المدح ، أو يتحدث عن الشؤون العامة ، كانت تضيق به سجيته ، وتقصّر به عما كان يجب[١] ، وشوقي مثل أبي الطيب كانت القصيدة عنده في هذا الطور تتألف في الغالب من قسمين : **قسم** للغزل والحِكَم ، وهو القسم الرائع في شعره ، **وقسم ثان** يخطر فيه الى المديح ، وهو القسم الضعيف ، لأنه كان يكره المديح في أعماق نفسه[٢] ، وخير مثال لشعره خلال هذا الطور ، قصيدته التي مطلعها :

" خَدَعوها بقولهمْ حسناءُ والغواني يَغرّهنّ الثناءُ "

فالقسم الغزلي فيها هو الجيد ، وأما قسم المديح فهو ضعيف ، ولذا حين " طلب القصر الى الجريدة الرسمية أن تسقط الغزل ، وتنشر المديح ، ودّ الشيخ عبدالكريم سلمان لو أسقط المدح ، ونشر الغزل "[٣] .

وأما إجادة شوقي في الحكمة والفلسفة فخير مثال لها ، قصيدته التي مطلعها :

" قفي يا أختَ (يوشَعَ) خَبّرينا أحاديثَ القرونِ الغابرينا "

فهي في رأيه جيدة ، بريئة من كل سقم لفظي ، أو معنوي . واضحة مفهومة . ورائعة عذبة ، يسيغها كل ذوق[٤] .

وهكذا ظلّ شوقي في طوره الشعري الأول **مقيّد الحرية ، لا يستطيع أن ينطلق في التجديد ، الذي ينشده** ، ولم يستطع أن يستردّ هذه الحرية إلاّ حين نفي عن مصر ، وحينئذ أخذ يقترب في شعره من أحاسيس الشعب وآلامه ، وراح يصورها ، ولذا : " أصبح شعر شوقي في هذا الشطر الأخير من حياته مرآة صافية للحياة المصرية ، ولشعور المصريين ، ولما كانوا يجدونه ، عندما كانت تصدّهم الأحداث الجسام على اختلافها "[٥] .

وفضلا عن هذا ، فقد انطلق يجدّد خلال هذا الطور من حياته ، وتجلّى هذا التجديد في وضعه للمسرحيات الشعرية ، مثل : **مجنون ليلى ، ومصرع كيلوبترا** ، ولكنّ طه حين يلحظ **أن شوقي قد حاول الانطلاق في التجديد بعد فوات الأوان** ، وفي سنّ متأخرة ، وإذا هو في " في شعره الأخير - والشعر الغنائي بنوع خاص - مقلّد للشعراء القدماء ، تقليدا أشد وأظهر من

---

(١) تقليد وتجديد ، ص ٩١ - ٩٢ ، وانظر " حافظ وشوقي " ، ص ٢١٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٩ .

(٣) حافظ وشوقي ، ص ٢١٢ .

(٤) انظر تحليله للقصيدة في " حافظ وشوقي " ، ص ٩٥ - ١٠٢ .

(٥) تقليد وتجديد ، ص ٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقليده في طور الشباب ، بحيث لا نكاد نسمع قصيدة من قصائده الكبرى ، التي قيلت في أعقاب الحرب إلاّ تصوّرنا النموذج الذي كان أمامه من شعر القدماء "[١] ، ومثال هذا الشعر الغنائي الأخير قصيدته التي مطلعها :

" اللهُ أكبرُ كمْ في الفتحِ من عجَبِ يا خالدَ الترك جدّدْ خالد العربِ "

فمن خلال مناقشة خاصة بين طه حسين وصديقه **الدكتور محمد حسين هيكل** اكتشفا في سهولة أن شوقي نظر في قصيدته السابقة الى **قصيدة أبي تمام الشهيرة** " السيف أصدق انباء من الكتبِ "، فاتخذها نموذجا في اللفظ والمعنى وفي الوزن والقافية[٢] ، فشوقي يشبه حرب أتاتورك **بيوم بدر** كما شبه أبو تمام وقعة عمورية بها ، دون أن يراعي الفرق بين الخليفة المعتصم وبين مصطفى كمال ، الذي لم يكن خليفة ، " بل كان خارجا على الخليفة ، ولم يكن يجاهد للدين ، بل كان يجاهد للوطن ، ولم يكن يجاهد بالسيف والرمح والخيل ، وانّما كان هذا أقل أدوات الحرب خطرا "[٣].

ومع أنّه يقرّ بأن شوقي قد أوجد التمثيل الشعري في أواخر حياته ، فإنّ له **مأخذا كبيرا** على هذا التمثيل ، ذلك أن شوقي فيه قد غنّى فأطرب ، وأثّر في القلوب " **ولكن لم يمثّل شيئا ، لأن التمثيل لا يرتجل ارتجالا ، ولا يُهجم عليه في آخر العمر** ، وانما هو فن يحتاج الى الشباب ، ويحتاج الى الدرس ، ويحتاج الى القراءة الكثيرة "[٤] ، لقد أضاع شوقي شبابه في القصر ، وأضاع نشاطه ، وحدّة ذهنه قبل أن يفرغ للدرس ، " وقد كان شوقي قليل القراءة ، **فكان تمثيله صورا ينقصها الروح** ، وانّ حبّبها الى الناس مافيها من براعة في الغناء "[٥]. وتقصير شوقي في القراءة يظهر واضحا في قصيدته التي مدح فيها لطفي السيد ، إذ ترجم كتاب " الأخلاق " لأرسطوطاليس ، **فقد مدح فيها أرسطو ، ولكن بصفات أستاذه افلاطون** ، مما دفع طه حسين الى أن يسخر من القصيدة سخرية مرّة ، قائلا في نقده للقصيدة : " نعم ٠ ٠٠٠ أراد عمرا ، وأراد الله خارجة ، ولكنه أراد عمرا بالخير ، فانصرف الخير عن عمرو الى خارجة ٠٠٠ أراد شوقي أرسطاليس ، وأراد الله إفلاطون "[٦].

إذن فخلاصة رأي طه حسين في شوقي **أنه بدأ حياته الشعرية مجدّدا ، ثم انتهى في أواخر**

---

(١) تقليد وتجديد ، ص ٩٥٠

(٢) انظر حافظ وشوقي ، ص ٣٩٠

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٠٠

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٢١٠

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٢١٠

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٢٠ ؛ وانظر نقد القصيدة ، ص ١٢٠ ـ ١٢٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حياته مقلّدا ، ويلاحظ أنّ رأيه هذا يتطابق **ورأي أستاذه لطفي السيد** في الشاعر ، ذلك أن طه حسين يروي عنه أنه قال له ذات يوم : " ... كنت شديد الإعجاب بشعر شوقي (في أول عهده) ، أقرؤه في لذة تكاد تشبه الفتنة ، وأثني عليه كلما لقيته ، فما زال شوقي يكسل ، ويقصّر في تعهد شعره ، حتى ساء ظني بشعره الأخير "[١].

رأيه في حافظ وتجديده :

وأما حافظ ابراهيم فيرى طه حسين أنّ **لنشأته الفقيرة ، وبيئته الشعبية تأثيرا كبيرا في توجيه شعره** ، حتى إنه يقول " ما أعرف شاعرا مصريا في هذا العصر اتصلت نفسه بالشعب كما اتصلت نفس حافظ ، ولا أعرف شاعرا مصريا في العصر الحديث كان شعره مرآة لحياة الشعب الى الثلث الأول من هذا القرن ، كما كان حافظ "[٢].

وقد أثرت نشأته الفقيرة على تعليمه ، فكان قليل الحظ منه ، وفضلا عن هذا ، فإنه حين كبر ، واتيحت له فرصة القراءة ، قصّر في تزويد نفسه بالثقافة اللازمة ، حتى إنه حين مدح لطفي السيد ، عندما ترجم كتاب أرسطو السابق ، لاحظ طه حسين وهو يتناول قصيدته بالتحليل أنه لم يكلّف نفسه عناء قراءة الكتاب ، مع أنه قال في القصيدة زاعما[٣] :

إني قَـرأتُ كتابَـهُ ... بينَ الخشوعِ والاعتبارْ
فإذا المؤلفُ ماثلٌ ... جَنْبَ المترجمِ في إطارْ

وقد استدلّ طه حسين على أنّ حافظاً لم يقرأ الكتاب الذي يمدحه ، **بأنه ظنّه كتاب وعظ وارشاد** ، على الرغم من أنّ كتاب " الأخلاق " لا يصلح لوعظ المجرمين كما توهّم[٤] ، كما استدلّ على أن الشاعر لا يتقن الفرنسية بترجمته لقصة **فكتور هوغو " البؤساء "**، وقد سخر طه حسين من تعسّف حافظ اللغوي في هذه الترجمة ، حتى بدت عسيرة الفهم على طه حسين نفسه ، مما جعله يقرّر أن **جهده فيها غير نافع**، ذلك أنه أختار عربيّة غريبة الألفاظ لترجمته ، واذا هو فيها " يصف بلغة رؤبة والعجاج وذي الرمّة خواطر الكتاب الفرنسيين في القرن التاسع عشر "[٥].

---

(١) حافظ وشوقي ، ص ١٩١.
(٢) تقليد وتجديد ، ص ٩٩.
(٣) حافظ وشوقي ، ص ١٢٧ - ١٢٨.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٣١.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحافظ ابراهيم في رأيه على النقيض من شوقي، **بدأ حياته الشعرية مقلّدا للقدماء، معتمدا** في ثقافته الأدبية على كتاب الأغاني ودواوين الشعراء، ولذا يلاحظ أنه في طوره الشعري الأول كان " قديما كل القدم في مذاهبه وشعره، وفي أسلوبه ولفظه "[١]، بل يلاحظ أنه **في بداية الجزء الأول من ديوانه يبدو تلميذا ضعيفا، شديد الضعف، مضطربا، عظيم الاضطراب، مقلدا مسرفا في التقليد**[٢]، **ولكنه أخذ يطور نفسه على مرّ الأيام، حتى انتهى وله شخصية شعرية قوية**، لولا أن الوظيفة التي شغلها في طور متأخر من حياته قد حدّت من حريته وتجديده.

وعلى الرغم من اعتراف طه حسين بأنه يحبّ شخصية حافظ، فإنه حين يتناول شعره بالنقد يتناسى هذا الحب. بل لا يتردّد في أن يقسو عليه قسوة بالغة، إذا كانت القصيدة التي يتناولها لا تعجبه، نحو **قصيدته التي قالها في الدستور**، فقد أصدر عليها حكما بأنها **مخفقة** من الناحية الفنية إخفاقا ذريعا، حتى إنه قال: " بحثت عن الشعر في هذه القصيدة فلم أجد شيئا، وأنا أزعم أن ليس بين **النقاد** من يستطيع أن يجد ماعجزت أنا عن الوصول اليه، بل أزعم أكثر من هذا، بل أزعم أن حافظاً نفسه عاجز عن أن يجد شيئا من الشعر في هذه القصيدة "[٣].

ويلاحظ أنه يأخذ عليه فيها المبالغة غير المستساغة، والتكرار اللفظي المستثقل، كما في قوله:

" أفَقْنا بعدَ نومٍ فوقَ نومٍ على نومٍ كأصحابِ الرقيمِ "

فهو يتناول البيت بقوله ساخرا" هل تجد جمالا أو شعرا في كثرة هذا النوم؟ فماذا عسى أن نقول في نوم حافظ: وهل تجد لأصحاب الرقيم هذا موضعا، يلائم قصيدة حافظ؟ أليس الناس جميعا يذكرون الكهف وأصحاب الكهف، ونوم أصحاب الكهف؟ "[٤].

وحين يصل الى قوله:

" فيا مصرُ اسجدي للّهِ شكرًا وتيهي واقعدي طربًا وقُومي "

يتناوله أيضا بسخريته اللاذعة قائلا: " ... إذا زلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، وقال الإنسان مالها؟ أجاب حافظ: **صدر الدستور**. وإلاّ فهل ترى مصر تتيه وتقعد وتقوم طربا، دون أن يكون هناك زلزال "[٥].

---

(١) تقليد وتجديد، ص ١٠٠.
(٢) حافظ وشوقي، ص ١٩١.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٧.
(٤) المصدر نفسه، ص ١١٠ - ١١١.
(٥) المصدر نفسه، ص ١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى هذا النحـــو من الســـخرية النقدية القاسية ، يمضي طه حسين في نقـــده قصيـدةَ صديقه حافـــظ .

على أنه يلاحِظ أن حافظ ابراهيم يجيـد في **رثاء قادة الشعب الوطنيين والاجتماعيـــين**، ويعلّل هذه الإجادة بأنه نشأ في بيئة فقيرة ، وكان " يحب الشعب ، ويحسّ بحسّـه ، ويشـــعر بشعوره ، فكان إذا رثى علما من أعلام مصر ، كأنما يرثي نفسه أولا ، وكأنما يرثي أمّته ثانيا "[١].

ويفرق طه حسين تفريقـا دقيقا بين الرثاء والمدح، ويرى أنّ النقّـاد العرب القدامى من أمثال : **قدامة بن جعفر** قد أخطأوا ، حين ذهبوا الى أنّ الرثاء والمدح واحد ، لأن كليهما تعـداد للمحاسن والمآثر ، يقول موضحا الفرق الدقيق بين الغرضين الشعريين ، الـــذي لـم يلحظـــه النقاد العرب القدامى : " ... لم يهتدوا الى شيء ، فإنّ **العواطف التي تبعث على الرثاء ، غيـر العواطف التي تبعث على المدح** هي قوام تلك الحزن واليأس ، وقوام هذه البهجة والرجاء ، وقـد يكون الإعجاب مشتركا بين الرثاء والمديح ، ولكن قلما يكون الإعجاب وحده مصدرا لمـــدح أو رثاء ، حتى تصحبه رغبة أو رهبة ، أو أمل أو حسرة ، أو لوعة أو قنوط "[٢].

وحافظ في رثاء الطور الشعري الأول يعمد الى تقليد القدماء تقليدا واضحا ، وأغلب هـذا الرثاء لا يصدر عن عاطفة صادقة ، وانما يصدر عن مجاملة ، ومثال هذا قصيدته التي قالها في أحد أصدقائه الأباظيين ، والتي مطلعها :

" أيهـذا الثرى إلا مَ التَّمَـــادي بَعد هذا أأنتَ غَرثانُ صَـــادي "

إذ يبدو واضحا أنه فيها **يحاكي قصيدة أبي العلاء :**

" غير مُجدٍ في مِلّتي واعتقـــادي نوحُ باكٍ ولا ترنّمُ شَـــادي "

ذلك أنه لم ينظـــر فيها الى الوزن والقافية فحســب ، وانّما تأثر أيضا بكثير من معاني أبـي العلاء في قصيدتـــه[٣].

على أن حافظ ابراهيم كان يجيد حين يرثي زعيما من زعماء الشعب ، كرثائه للإمـــام محمد عبده ، ويرى طه حسين أنه في هذا الرثاء قد تحدّث قلبه الى قلوب المسلمين جميعـــا ، وصوّر الحزن والوفاء أبلغ تصوير ، وهو مع هذا " لم يخلّ بأصول الفن ، كما عرفها المتأدبـــون القدماء من تعديد المآثر والمفاخر ، وهو متين رصين اللفظ ، بديع الأسلوب . لا يعرف الضعـف ،

---

(١) حافظ وشوقي ، ص ١٥٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا الوهن الى شعره سبيلا "[١]، وهذا كله يبدو جليا في قوله يرثيه[٢] :

سلامٌ على الإسلامِ بعدَ مُحمدٍ ... سَلامٌ على أيامهِ النّضراتِ
على الدينِ والدنيا على العلمِ والحِجى ... على البِر والتقوى على الحَسَناتِ
لقد كنتُ أخشى عادي الموتِ قبلَهُ ... فأصبحتُ أخشى أن تطولَ حياتي
فوالهفي والقبرُ بيني وبينهُ ... على نَظرةٍ من تِلكمُ النظراتِ

وطه حسين الذي رأيناه يعجب بشخصية الإمام محمد عبده ، منذ كان تلميذا في الأزهر ، نلاحظ أنه يهتزّ لرثاء حافظ الجيد هذا ، ويخلص الى أنّ مرثيته خالدة من غير شك ، وأنها تستمد خلودها من الشاعر والمرثي معا ، لأن حياة الأستاذ الإمام كانت رائعة في اعتقاده ، فصورها الشاعر تصويرا رائعا[٣].

ومن رثاء حافظ الجيد أيضا **رثاؤه لمصطفى كامل**[٤]، فقد أحسن الشاعر في تصوير مآثره وشخصيته ، تصويرا دفع طه حسين الى القول : " ... هذه أبيات لو قرأها **ارسطاليس** صاحب (الخطابة) . ومنشئ علم البيان ، لما تردّد في أن يتخذها مثلا لما يعنيه في الكتاب الثالث من الخطابة ، وضع الشيء تحت العين "[٥].

وأما رثاء حافظ لقاسم أمين فهو جيد ، ولكنه يختلف في طبيعته عن رثائه لمحمد عبده ، ومصطفى كامل ، فهو لم يكن شعبيا فيه ، ولا شاعر جمهور ، وانّما كان إنسانا حرّا قوي الحسّ ، محزونا ، صادق الحزن ، مشفقا على مصر من الأحداث[٦].

وهو يرى أن رثاء حافظ ، فضلا عن جودته الفنية ، يصلح أن يكون مصدرا من **مصادر التاريخ السياسي والاجتماعي** في عصر مصر الحديث .

وهكذا نلاحظ أن رأي طه حسين العام في حافظ ابراهيم هو أنه **بدأ مقلدا للقدماء تقليدَ التلاميذ ، ثم انتهى شاعرا حقا ، وصاحب شخصية مستقلة** ، متفوّقة في رثاء زعماء الشعب ،

---

(١) حافظ وشوقي ، ص ١٥٩ .
(٢) انظر الأبيات في ديوان حافظ ، ص ١٢٩ ، ج ٢ ، ط ٥ ، المطبعة الاميرية ـ القاهرة .
(٣) حافظ وشوقي ، ص ١٦٣ .
(٤) انظر هذا الرثاء في ديوان الشاعر حافظ ابراهيم ، ص ١٣٤ .
(٥) حافظ وشوقي ، ص ١٦٧ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٦٧ . وانظر ص ١٦٨ ـ ١٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتصوير مايصيب الأمة من أحداث جسام، كحادث دنشواي، والغريب حقا أن رأيه النقدي هذا في الشاعر، يتطابق أيضا ورأي أستاذه **لطفي السيد**، فهو يرويأنه قال له ذات يوم: " ... كنت ألقى حافظًا أول عهده بالشعر، وكان يسمعني كثيرا من شعره فلا يعجبني، فقلت له ذات يوم: أرح نفسك من هذا العناء، فلم يخلقك الله لتكون شاعرا، ولكنه لم يقبل نصحي وحسنا فعل، فما زال يجدّ ويكد، حتى أرغم الشعر على أن يذعن له، وأصبح شاعرا "[1].

موازنته النقدية بين شوقي وحافظ:

أمّا موازنة طه حسين بين شوقي وحافظ، فهي تُظهر أنهما كانا في الغالب على طرفي نقيض.

فشخصية شوقي كانت معقدة التكوين " فيها أثر من العرب، وأثر من الترك، وأثر من اليونان، وأثر من الشركس. التقت كل هذه الآثار، وما فيها من طبائع، واصطلحت على تكوين نفس شوقي... وهي بحكم هذا التعقيد والتركيب خصبة، كأشد مايكون الخصب، غنية كأوسع مايكون الغنى "[2].

وأما شخصية حافظ فكانت بسيطة، ساذجة، " تجد باطنتها وذاجتها في كل أثر من آثار المصريين المسلمين "[3]، فهي إذن شخصية مصرية خالصة.

وثقافة شوقي العربية والأجنبية جيدة، لأنه كان يحسن الفرنسية، والتركية، على حين أنّ **نشأة حافظ الفقيرة** لم تتح له من التعليم إلاّ القليل.

وشوقي بدأ حياته الشعرية مجدّدا، ولكنّ ارتباطه بالقصر قد قيّد انطلاقة تجديده، **وأما حافظ** فقد بدأ حياته حرا، غير مرتبط بوظيفة، لكنه في بدايته الشعرية كان مقلّدا للقدماء.

وشوقي في الطور الأخير من حياته استردّ حريته، حين نفي، ولذا انطلق يجدّد، ولكن بعد أن تقدمت به السن. وأما حافظ فقد ارتبط بالوظيفة في طوره الشعري الأخير، مما قيّد

---

(١) حافظ وشوقي: ١٩٩.

(٢) المصدر نفسه: ١٩٩.

(٣) المصدر نفسه: ١٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حريته ، وحدّ من تجديده ، في وقت كانت فيه شخصيته قد استقلت ، وتخلّصت من التقليد .

وخلاصة هذا أنّ كلا الشاعرين لم يخلص الى التجديد الشعري ، والانطلاق فيه إلاّ بعد فوات الأوان ، وتقدّم السن ، شوقي بعد عودته من المنفى ، وحافظ بعد أن أحيل الى التقاعد ، وكان كلاهما خلال هذا الطور قد قصّر في التزوّد بالثقافة الضرورية ، وأصابه شيء من الكلل العقلي ، ولهذا فإن **كلا الشاعرين لم يجدد في الشعر العربي المعاصر ، كما كان ينبغي ، وكما كان ينتظر نقاد الأدب .**

على أنهما مع ذلك قد أسهما في إحياء الشعر العربي القديم ، وردّا اليه نشاطه ونضرته ورواءه ، ومهدا للنهضة الشعرية المقبلة أحسن تمهيد ، وهما أيضا " **أشعر أهل الشرق العربي منذ مات المتنبي وأبو العلاء المعري من غير شك** ، وهما ختام هذه الحياة الأدبية الطويلة الباهرة ، التي بدأت في نجد ، وانتهت في القاهرة "[(١)] .

ولكن : **أيّ الشاعرين أشعر من صاحبه ؟** هكذا يتساءل طه حسين في نهاية موازنته . ثم يقول : " أفترى أن ليس من هذا الحكم بدّ ؟ أفترى أنّ تفضيل أحد الرجلين على صاحبه يغني أو يفيد ؟ "[(٢)] ، ثم يجيب بقوله : " نعم ليس من هذا الحكم بد ، لأنه تقرير الحق الواقع ، وفي هذا الحكم نفع عظيم ، لأنه وضع للأشياء في نصابها ، ولأنه يبيّن للمبتدئين في الشعر من الشبان أين يكون المثل الأعلى "[(٣)] .

ولكنه يفجأنا بقوله : إنه **لا يستطيع أن يفضّل شاعرا منهما على الآخر** ، لأنّ كلاّ منهما يتميز من صاحبه بأغراض وفنون شعرية بعينها .

أما حافظ ابراهيم فيتفوّق على شوقي في الرثاء وفي تصوير نفس الشعب ، وآلامه ، وآماله ، كما يتفوق عليه في إحساس الألم . وتصوير هذا الاحساس ، وشكوى الزمان[(٤)] .

وأما شوقي فيتفوّق على حافظ في خصب الطبيعة ، وغنى مادته ، ونفاذ بصيرته ، وسبقه الى المعاني ، وبراعته في تقليد الشعراء القدماء ، لأن حافظاً كان يقلّد في الصور والألفاظ

---

(١) حافظ وشوقي ، ص ٢٢٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢٣ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فحسب ، على حين كان شوقي يقلد فيها وفي المعاني أيضا ، و **" لشوقي فنون لم يحسنها حافظ، وما كان يستطيع أن يحسنها ...** شوقي شاعر الغناء غير مدافَع، وشوقي شاعر الوصف غير مدافع، وشوقي منشىء الشعر التمثيلي في اللغة العربية "[١].

٠٢ دراساته في دواوين المعاصرين

وهي دراسات قصيرة موجزة ، تناول فيها دواوين لبعض الشعراء العرب المعاصرين ، وكان يتناول كل ديوان وحده بين حين وآخر ، والشعراء الذين تناول دواوينهم ستة ، وهم : علي محمود طه وابراهيم ناجي وايليا أبو ماضي، وفوزي المعلوف ومحمود أبو الوفا وعبدالله الفيصل ٠

الملاح التائه :

أما ديوان علي محمود طه الذي عرض له بالنقد فهو **" الملاح التائه "** . وقد سرّه أن الشاعر مهندس ، وعلّل هذا بقوله : " ... لأني أحب أن يُعنى العلماء بالأدب والفن ، وأن يغرفوا لهما من حين الى حين ، ويستريحوا إليهما من عناء الحياة وجهد العلم "[٢].

ونلاحظ أنّ طه حسين يميل في نقده الى الثناء على هذا الشاعر ، ذلك أنه قد **لمح في شعره بعض ملامح التجديد** ، كما في قصيدته **" غرفة الشاعر "** خاصة ، إذ أحس فيها روح الشاعر موسيه ، ولكنه لم يستطع أن يقرّر : أقرأ علي محمود طه الشاعرَ أم أن التشابه بينهما محض مصادفة ؟ والقصيدة مطلعها[٣]:

" أيها الشاعرُ الكئيبُ مَضى الليلُ وما زلتَ غارقًا في شجونِكْ "
" مُثْلِمًا رأسَكَ الحزينَ الى الفكرِ وللسّهدِ ذابلاتٍ جفونُكْ "

وطه حسين لا يتردّد في القول : إن القصيدة تحوز رضاه واعجابه ، ذلك أنها تزخر بصور متتابعة حسان ، ولكنه يلحظ أنها بعيدة عمّا يألفه الشرقيون ، قريبة من أذواق الغربيين ، حتى انها لتذكّر **بموسيه** تذكيرا قويا ٠

وهو يحمد للشاعر أنه يقترب في بعض قصائده من **أسلوب الشعر الأوروبي**[٤] ، كما

---

(١) حافظ وشوقي ، ص ٢٢٣٠

(٢) حديث الأربعاء ، ص ١٤٣ ، ج ٣٠

(٣) انظر القصيدة في ديوان علي محمود طه ، ص ٢١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٢٠

(٤) حديث الأربعاء ، ص ١٤٧ ، ج ٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يثني عليه ، لأن شعره في الغالب حلو الأسلوب ، جزل اللفظ ، جيّد اختيار الكلام، ولأن ألفاظه ومعانيه رونقا أخّاذا، تألفه النفس ، وتكلف به ، وتستزيد منه ، ولأنّ في شعره موسيقى، قلما يظفر بها في شعر كثير من الشعراء العرب المعاصرين، كما أنه استطاع أن **يلائم الى حدّ بعيد ، لا بين جمال اللفظ وجمال المعنى فحسب ، بل بين التجديد ، والاحتفاظ باللغة في جمالها وروائها وبهجتها ، وجزالتها**[١].

على أنّ بعض قصائد الديوان لا تعجبه ؛ لأنها قيلت في مناسبات عامة ، ولم يوحها الشعور الطبيعي لنفس الشاعر .

وهو يلاحظ أنّ علي محمود طه **شاعر الطبيعة وترجمانها** ، وترجمان الإنسان حين يتصل بالطبيعة ، ويضلّ في فيافيها ويفتن بجمالها ، كما يلاحظ في الوقت نفسه ، أنه **ليس شاعر جماعات** ، ولا ترجمانها . فهو شاعر غنائي " شخصيته أقوى من بيئته . وليس قمّاطا بيئته أقوى من شخصيته "[٢].

ومما يأخذه عليه أنه يحرص على الموسيقى في الوزن أكثر مما يحرص عليها في القافية[٣]، ويضرب مثالا لعدم عنايته بموسيقى القافية بقوله[٤]:

رُوحُكَ في روحي تبثّ الحياةْ ... نزلتَ دنيايَ على نَوْرِها

فإن جَفَاها ذاتَ يومٍ سَناةْ ... لاذتْ بليلِ الموتِ في قَبْرِها

فهو يرى أن القافيتين لا تلائمان السمع ولا تأتلفان، وذلك " لمكان الواو الساكنة من إحداهما ، والباء الساكنة من الأخرى "[٥] .

ويأخذ عليه أيضا التقصير في ذات النحو واللغة ، كما في قوله :

" يعرَقُ حدُّ السيفِ من لحمِهِ "

إذ ينبّهه الى أن **العظم هو الذي يعرق** ، إذا أخذ ما عليه من اللحم . وأما اللحم فإنه يشقّق ، يقطع ، أو يمزّق ، كما ينبّهه الى خطأ نحوي في قوله :

" إنْ كنتُ في شكوايَ **بالمذنبِ** ... فمنك ياربّ أخذتُ الأمانْ "

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٤٧ ، ج ٣.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٧.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٧.

(٤) انظر المصدر نفسه ، ص ١٤٧.

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول له منبّها " ... الباء في خبر (**كان**) التي لم يسبقها نفي غريبة نابية ، ثقيلة على الذوق، ولأسأل الشاعر بين قوسين : متى وكيف أخذ الأمان من ربه ؟ "[١].

ويأخذ عليه في قصيدة " **ميلاد شاعر** " خاصة ، الغلو في الخيال ، والتورّط الفاحش فيه كأبي تمام ، ذلك أنه يجسّم ما لا سبيل الى تجسيمه في إسراف ، كما جسّم الليل مثلا ، فجعل له أوصالا وعروقا ودما ، وبالغ في ذلك مبالغة شوهت القصيدة الجميلة[٢].

على أنه **يحكم أخيرا للشاعر بأنه مجيد** ، ولكنه مازال مبتدئا في أوّل الطريق ، وفي حاجة الى العناية باللغة وأصولها ، ويتنبأ بأنْ سيكون له شأن في تاريخ الشعر العربي الحديث ، إن استكمل الأدوات الشعرية الضرورية ، التي لا بدّ منها لكل شاعر[٣].

* * *

وراء الغمام :

ومن دواوين الشعر العربي المعاصر التي تناولها طه حسين بالنقد ، ديوان " **وراء الغمام** " لأبراهيم ناجي ، وقد لاحظ أن شعره فيه " أشبه بما يسميه الفرنجة **موسيقى الغرفة** منه بهذه الموسيقى الكبرى . التي تذهب بك كلّ مذهب ، وتهيم بك فيما تعرف وما لا تعرف من الأجواء "[٤]. ذلك أنّ الشاعر هيّن ، ليّن ، حلو الصوت ، عذب النفس ، خفيف الروح ، **لكنه محدود قوة الجناح** ، لا يستطيع أن يتجاوز الرياض المألوفة ، أو أن يرتفع ارتفاعا بعيد المدى[٥].

وهو يأخذ على الشاعر في ديوانه أنه يميل الى **التكلّف** ، لإقامة الوزن أو لإقرار القافية ، ويبدو هذا التكلف واضحا في قصيدته " **قلب راقصة** "[٦] مثلا ، وفي قوله منها :

" فمَضيتُ لا أدري إلى أيـنَا ومشيتُ حيثُ **تجرّني قَدمي** "

فالصورة التي يتضمنها البيت في رأي طه حسين لا تلائم شعرا ، ولا تلائم لغة ، ذلك أنّ القدم

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٤٨ ، ج ٣.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٨.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٩.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٥٢.
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٥٢.
(٦) انظر القصيدة في ديوان ابراهيم ناجي ، ص ٢٦٧ ، جمع وتحقيق أحمد رامي ورفاقه ، دار المعارف - القاهرة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تجرّ صاحبها ، وانّما تحمله ، وتحمله متثاقلة ، إن لم يُتح لها النشاط ، وانما يجرّ صاحب القدم قدمه إذا خرج فاترا ، مكدودا ، لا يقوى على المشي ، يقول : " ... ولكنّ الشاعر أراد **قافية** تلائم (السأم) ، فجعل قدمه تجرّه ، على حين كان ينبغي أن يجرّها هو ، فإذا لاحظت أنّ (السأم) نفسها قلقة في موضعها ، لا تستقيم مع التفكير ، ولا سيما بعد أن ذكر الضيق والأين ، عرفت الى أين ينتهي تكلّف النظم بالشعراء المجيدين "[١] ، ومن أمثلة تكلّفه الذي تضطره اليه القافية ، قوله :

" فرأيتُ **فيما أَبْصَرَتْ** عيني ... مَلْهىً أُعدَّ ليَبهجَ الناسا "

فطه حسين يذهب الى أن الشطر الثاني كله لا معنى له ، ولا امتياز فيه ، لأن الملهى لا يعدّ لشيء آخر ، ولكنّ الشاعر اضطر الى ذلك " لأن كلمة **(الناس)** تلائم **(الأجناس)** ، وتعقد معها شيئا من النظام ، **فاحتال** الشاعر لهذه الكلمة ، حتى جعلها قافية "[٢] ، وأما قوله **" فيما أبصرت عيني "** فهو يشعر بأن هذا الملهى الذي رآه ، كان شيئا ضئيلا ضائعا بين ما رأى من الأشياء ، على حين أنّ الأنوار التي تشع عادة من الملاهي جديرة ألاّ تجعله ضئيلا يختفي بين الأشياء التي ترى ، بل عظيما يشرف عمّا حوله من الأشياء "[٣] .

على هذا النحو الدقيق من النقد الأدبي يمضي طه حسين في تناول شعر ابراهيم ناجي ، حتى يخيّل الينا أنه ما من قصيدة أو مقطوعة إلاّ وله عليها مآخذ كثيرة ، ولنتأمل نقده لقوله :

عجبًا لقلبٍ كانَ مطمعُهُ ... طَرَبًا نَجاء الأمرُ بالعكسِ

وأشدُّ ما في الكونِ أجمعه ... بينَ القلوبِ أواصرُ البؤسِ

فهو يعترض على قوله **" جاء الأمر بالعكس "** ، ويرى أنها عبارة خرجت من الأزهر ، ولكنها إنْ لاءمت النثر ، فإنها " من أشد الكلام نبوا في الشعر ، ومنافاة للجمال الفني "[٤] ، ثم ينتقل الى صدر البيت الثاني فيقول : " انظر الى قوله : (وأشدّ ما في الكون أجمعه) فكيف تقرأ (**أجمعه**) ، أتضم العين أم تكسرها ؟ فأنت إنْ ضممت أرضيت القافية وأغضبت النحو ، وأنت إنْ كسرت أغضبت سيبويه وأرضيت الخليل "[٥] .

وهو يلاحظ أنّ الشاعر يميل الى **إهمال اللغة** ، وقواعدها ، بل يرى أن هذا الإهمال ظاهرة لا تقتصر على ابراهيم ناجي وصاحبه علي محمود طه ، وانما هي **ظاهرة فاشية** ، تكاد تكون عامة

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٥٤ ، ج ٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٥٥ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عند الشعراء المعاصرين، **وهنا تتجلّى غيرة طه حسين الصادقة على العربية الفصحى**، إذ يسخر من هؤلاء الشعراء الذين يسيئون الى اللغة وقواعدها باسم التجديد، قائلا : " ... **يحسبون أنهم مجدّدون، وأن التجديد يبيح لهم أن يعذّبوا اللغة، وأن يمسخوها، ويجهلون أو يتجاهلون أن أجمل المعاني وأروعها يفسد أقبح الفساد إذا لم يؤدّ في لفظ مستقيم جميل** "[١].

كما يرى أن ابراهيم ناجي يهمل المعاني إهمالا قبيحا، يضطره أحيانا الى التناقض في اللفظ، ويجعلنا نظن أنه لا يحفل بمعاني الكلمات، وذلك كقوله :

" تَخْطِرُ والأنظارُ تَحدو الرّكابْ "

فهو يتساءل : كيف تخطر على حين أنها راكبة ؟ ثم يلاحظ أنّ كلّ شيء بعد هذا يدل على أنها كانت ماشية، يقول : " إنما أراد الشاعر أن يقول : إنها تخطر والأنظار تتبعها فجاء بكلمة (الرّكاب) هذه، ليقيم بها الوزن والقافية، حتى إذا بلغ مأربه منها نسيها نسيانا تاما، ومشى مع صاحبته الماشية "[٢] وكقوله أيضا :

" **وَرَسا** رَحْلِيْ على أرضِ الوطنْ "

فهو يأخذ عليه أن الرّحل لا يرسو، وانما يحطّ، والرسوّ يكون للسفن. يقول متهكما : " وأظن أن الملاح التائه يعرف ذلك، وانْ كانت سفينته لم ترسُ بعد "[٣]، وهو يقصد بهذا علي محمود طه صاحب ديوان " الملاح التائه "، الذي كان قد تناوله في الدراسة السابقة، وهنا نلحظ **أنّ طه حسين يقدّم علي محمود طه على ابراهيم ناجي**، لا نعتمد في هذا على أنه قد حظي منه بقدر من الثناء لم يحظَ بمثله ابراهيم ناجي، وانما نعتمد على عبارات تكاد تجهر بهذا، كقوله : " أما بعد، فقد كنت أحب أن أعرف للشاعر إجادة رائعة في وصف القبر، كهذه الإجادة الرائعة التي وفق لها صاحبه المهندس، ولكن الدكتور ابراهيم ناجي - كما قلت - شاعر هادىء، قوي الجناح الى حدّ بعيد، ولكنه **لا يروع** "[٤].

وهكذا يبدو واضحا من خلال النقد أنّ **ديوان ابراهيم ناجي " وراء الغمام " لا يكاد ينال أدنى استحسان من طه حسين**، وحتى عنوان الديوان نفسه لم ينَ في نهاية النقد أن يتناوله قائلا : " ...أخشى أن يكون العنوان متكلّفا، كما أن كثيرا من المعاني والألفاظ ومن الأوزان والقوافي متكلف أيضا "[٥].

---

(١) حديث الأربعاء، ص ١٥٥ - ١٥٦ : ج ٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٦.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٦.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٥٧.
(٥) المصدر نفسه، ص ١٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجـــــــداول :

وقد تناول طه حسين من دواوين الشاعر المهجري **إيليا أبي ماضي** ديوان **" الجداول "** ، وهو يلاحظ منذ البداية أن أثر طبيعة لبنان الجميلة ضعيف في الشاعر ، على الرغم من أنه لا ينكر بأن الشاعر " مجيد حقا ، خصب الذهن ، نافذ البصيرة ، ذكي القلب ، متقن الفهم لما يريد أن يقول ، موفق الى إجادة التصوير ، لما يحب أن يصوّر "[١].

ويرى أن لغته **ضعيفة** ، " تقارب الرداءة أحيانا ، حتى توشك أن توغل فيها إيغالا "[٢] ، ولذا فإنه حين يعرض لقوله في فاتحة الديوان[٣]:

لستُ مني إنْ حسبتَ الشعرَ ألفاظاً ووزنا
خالفتْ دربُك دربي وانقضى ماكان منّا
فانطلقْ عنّي لئلا تقتني همّاً وحزنا
واتخذْ غيري رفيقاً وسوى دنيايَ دنيا

نجده يلتمس العذر للشاعر عن روح الشعر ، قائلا : " ... من المحقق أن الشاعر لا يقول شيئا في هذا الكلام . لأن الشعر لا يستقيم ولا يوجد ، ولا يمكن تصوره بغير الألفاظ والأوزان "[٤]. ثم يدفعه سوء الظن بلغة الشاعر الى تعليل السبب في مذهبه الشعري السابق بقوله :"... لعل الشاعر نفسه آنس الضعف في لغته ، ولعلّه حاول أن يصلحه ، فلم يستطع ، ولعلّه لما استيأس من هذا الإصلاح لم يجد بدّا من أن يتخذ هذا الضعف مذهبا ، ومن أن يدافع عنه دفاعا . ويذود عنه ذيادا "[٥]

ثم يجهر بأنه سيتناول بعض قصائد الديوان ، وفق مقاييسه التي يحتفظ بها دائما في نقد الشعر[٦] ، ولذا يأخذ بتتبّع الأبيات التي لا تستقيم فيها المعاني ، ويبيّن ماتنطوي عليه من خطأ منطقي ، نحو قوله :

" كلّما أفرغتُ كأسي زدتُ في كأسيَ دنّا "

إذ يرى أن المعنى في البيت **فاسد ، لا يستقيم ، والصورة فيه مستحيلة** ، ذلك أن الكأس جزء ضئيل من الدنّ ، أو قل : إن الكأس تحتوي جزءا ضئيلا مما يحتويه الدن ، فكيف يمكن أن يزاد

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٩٥ ، ج ٣.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٩٥.
(٣) انظر الأبيات في ديوان أبي ماضي " الجداول " ، ص ١٠٧ ، دار العودة - بيروت ، ١٩٧٢.
(٤) حديث الأربعاء ، ص ١٩٦.
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٩٥.
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدنّ في الكأس ؟[١] وهو يذهب الى نحو هذا في قوله :

" ثم انتبهتُ فلم أجدْ في مَخْدعي إلاّ ضَلالي والفراشَ **ومَخدعي** "

فالشاعر أراد أن يقول : إنّه انتبه فلم يجد إلاّ مخدعه وفراشه وضلاله ، " ولكنّ وزن البيت لم يستقم له ، فأضاف اليه كلمة أقامته ، ولكنها أفسدته إفسادا وهي قوله **(في مخدعي)** ، فهو إنْ وجد ضلاله وفراشه في مخدعه لم يستطع أن يجد مخدعه في مخدعه "[٢].

ويُلاحَظ أنه قد يلتوي بالشاعر اللفظ ، لضعف لغته ، فينجم عنه **التعقيد في المعنى** ، كقوله :

" كلُّ نُورٍ غيرُ نورٍ مرَّ بالأعينِ وسنى "

فالشاعر قد قصد الى القول : إن النور ظلمة ، إذا لم تره العيون ، ولكنّه في أثناء الصياغة " التوى به اللفظ ، والتوى عليه ، فعقّد معناه تعقيدا ، وأغلقه إغلاقا ، وجعل من العسير جدا على قارئه أن يهتدي اليه ، مهما يتكلّف من الجهد في إجابته الى هذا الإصغاء "[٣].

وأبو ماضي في رأيه **لا يحفل بالموسيقى** ، ويبدو إهماله لها في قصيدة " **الطين** " واضحا . ومطلعها[٤] :

" نَسيَ الطينُ ساعةً أنّهُ **طينٌ** حقيرٌ فصالَ تيهًا وعَرْبَدْ "

فالشاعر عند طه حسين غير موفّق في اختيار الدّال الساكنة قافية لهذه القصيدة ، ذلك أن "سكون الدال ثقيل ، ينقطع عنده النّفس . فإذا طال وتكرّر في قصيدة غير قصيرة ، ضاق به السامع ضيقا شديدا "[٥] ، وأبو ماضي لا يتنبّه الى هذا الثقل ، ولذا فإنه في بعض الأبيات يضيف الى هذا الثقل الطبيعي أثقالا أخرى ، كقوله :

" لكَ في عالمِ النهارِ أمانٍ ورؤىً والظلامُ فوقَكَ **ممتَدْ** "

فهو في قافية البيت يضيف سكونا الى سكون ، وانقطاع نفس الى انقطاع نفس ، يقول : " **فهذه الدال المدغمة لا تطاق ، وأنت إن قبلتها على إدغامها كلّفت نفسك جهدا ثقيلا ، وأنت إن خفّفت الإدغام أفسدت اللغة افسادا بغيضا** "[٦].

---

(١) حديث الاربعاء ، ص ١٩٧ ، ج٢.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٩٧.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٩٧.

(٤) انظر القصيدة في ديوان " الجداول " ، ص ١٠٠.

(٥) حديث الاربعاء ، ص ١٩٩. ج ٣ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا يخلص من تأمله لقصيدة " الطين " كلها الى القول : إنّها " من أردأ الشعر العربي قافية وأنباه عن السمع والذوق ، **ولعل عنوانها كان يحتاج الى شيء من الذوق** "[١].

على أنّ طه حسين مع هذا كله يثني على معاني القصيدة الإنسانية ، وحسن تصويرها للمساواة بين بني البشر ، حتى إن أبا ماضي يكاد فيها " يبلغ الاشتراكية أو ماهو أبلغ من الاشتراكية في إلغاء الفروق بين الناس "[٢].

ومن قصائد الديوان التي تعجبه قصيدة " الأشباح الثلاثة " ، فهي جيدة في معناها وأغراضها وفلسفتها ، ولكنه يلمح فيها ضعف الذوق الموسيقي عند الشاعر ، وهو **يلحظ أن أوزان الشعر تختلط أحيانا عليه** ، كما في قصيدته " المجنون " ، فقد اختلط على الشاعر فيها الأمر **بين الهزج ومجزوء الكامل** ، فأحدث هذا في القصيدة اضطرابا لا حدّ له ، ومصدر هذا كله أنّ الشاعر في رأيه لا يحسن علم الألفاظ والأوزان . وهو يريد مع هذا أن يقول الشعر[٣] ، كما يلاحظ أن ابتكار الشاعر قليل جدا ، ولكنّ شخصيته قوية ، فهو يتناول المعاني والأغراض التي سبقه اليها الشعراء المتشائمون **كأبي العلاء والخيام** . فينفخ فيها من روحه ، ويطبعها بطابع شخصيته الخاص ، فلا يحس القارئ أنّه قد أخذ هذه المعاني أو سرقها ، ولا يتأذى فيها بالتقليد[٤].

وايليا أبو ماضي في رأي طه حسين مثله **مثل بقية شعراء المهجر ، فهم ذوو طبيعة قوية ، وخيال واسع ، ولكنهم لم يستكملوا أدوات الشعر** ، لأنهم يتجاهلون أو يجهلون اللغة ، وتجاهل الشاعر أو جهله للّغة واضح في قوله مثلا :

مابالكَ منكمشًا كَمِدًا	قُمْ نلعبْ في فيءِ الشّجرِ
ونهزُّ الأغصنَ والعمدا	ونذودُ الطيرَ عن الثّمرِ
أو نصنعْ خيلاً من قصب	أو طيّاراتٍ من وَرقِ
وعدىً وسيوفًا من خشب	ونجولُ ونركضُ في الطرقِ

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٩٩ ، جـ ٣.

(٢) المصدر نفسه : ص ١٩٨ .

وبعد هذا النقد بسنوات . ثارت حول قصيدة الطين قضية : اتّهم فيها الشاعر بأنه سرق معاني القصيدة وفكرتها وبعض ألفاظها من شاعر بدوي أردني يدعى " علي الرميثي " .

انظر مقالة **" هل سرق إيليا أبو ماضي قصيدة الطين "** لتوفيق أبي الرب ، مجلة العربي ، ص ٦٤ ، العدد (٢٩٤) ، مايو ١٩٨٢.

(٣) حديث الأربعاء ، ص ٢٠٠.

(٤) المصدر نفسه . ص ١٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد بدأ الأفعال التي في الأبيات بقوله في عجز البيت الأول "**قم**"، وهو فعل أمر، وقد وقعت بقية الأفعال في الأبيات في جواب الأمر، ومن حقها أن تجزم، ولكنّ الشاعر لا يحفل بهذا الحق، " وليته أعرض عنه إعراضا تاما، فرفعها كلّها، والتمس لنفسه علة عند أصحاب العلل من النحويين، ولكنه جزم حين استقام الوزن على الجزم، ورفع حين استقام الوزن على الرفع، فأخضع النحو للعروض، **أو قل لم يحفل بالنحو ولا بالعروض**"[١].

على بساط الريح :

وقد أتيح لقصيدة "**على بساط الريح**" أن يسمعها طه حسين، فأعجبته أيّما إعجاب، ومع أنّها لشاعر لبناني مغمور، قضى شابا، وهو **فوزي المعلوف**، فإنه تناولها بمقالة نقدية خاصة بيّن فيها ماتزخر به من جمال شعري وروعة، فكان هذا التناول سببا قويا من أسباب **شهرة القصيدة وصاحبها** بعد موته.

يقول واصفا أثر القصيدة في نفسه: خلال سماعها وبعده "... اهتزت لها نفسي اهتزازا. وأشفق لهي نفسي إشفاقا. ثم قرأتها اليوم فوجدت لقراءتها مثل ماوجدت أمس. أو أكثر مما وجدت أمس. وما أرى إلاّ أني سأقرؤها وأقرؤها، وسأجد في قراءتها هذه **اللذة المرّة**. التي يحبها الأديب حين يقرأ الشعر الجيد الرائع الجميل"[٢].

وهو يلاحظ أنّ الفكرة التي أوحت القصيدة بسيره، ومن أيسر مايخطر للناس" فالشاعر قد طار في الجو دقائق، ثم هبط الأرض، هذا كل شيء، وهذه هي الفكرة التي أوحت القصيدة اليه"[٣]. كما يرى أن **جمال القصيدة يأتي من الخيال الفلسفي الساذج، لا من الوصف**، إذ إنّ هذا الخيال" يرقى بالإنسان في فلسفة مألوفة قديمة، ليس فيها ابتكار الى روحيّته العليا في غير تكلّف، ولا احتمال لجهد في التصعيد الطويل"[٤].

كذلك يلاحظ أن القصيدة قد رتّبت أناشيد، ومع أنه يراها كلها تستحق الثناء. فإنه يخص بأبلغ الثناء الأبيات التي يصف فيها الشاعر الطيارة، والتي تبدأ بقوله[٥]:

" هي طيرٌ من الجمادِ كأنّ الجنّ في صدرها تحثّ الخُيولا "
" حَمْحَمَتْ تضربُ الرياحَ بنعليها فشقّت الى السماءِ سبيلا "

---

(١) حديث الأربعاء. ص ٢٠٠، ج ٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٧٩.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٨١.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٨١.
(٥) انظر بقية الأبيات في المصدر نفسه، ص ١٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى الرغم من أنه لا يغفل عن أنّ في القصيدة ألفاظا لم يوفّق الشاعر في اختيارها ، وكان ينبغي أن يعرض عنها ، فإنه يقول : " ... ولكن أين تكون هذه الألفاظ القليلة النادرة من هذا الجمال ، الذي لا حدّ له ولا نهاية "[١] ، ومع أنه يقرّ بأن ليس في القصيدة أيّ ابتكار يميّزها ، فإنه يرى أنها " **تمتاز بهذا الروح الحلو ، القوي ، الوادع** ، الذي تكوّن من جمال الشعر والموسيقى ، وانبثّ في القصيدة كلها ، فجعلها خليقة أن تقرأ وتقرأ ، ولا يزهد فيها القارىء ، ولا يملّ من قراءتها مهما يعدها "[٢] .

واذن فالقصيدة من هذا **الشعر الرائع** الذي يستحق القراءة في كل جيل ، وصاحبها فوزي المعلوف جدير بكل تقدير ، ويرى أن علي محمود طه قد أحسن إذ استوحاه في ديوان " الملاح التائه " بقصيدة " قبر الشاعر "[٣] ذلك أنه في رأيه من هؤلاء **الشعراء الموهوبين** " الذين لم يعمّروا طويلا ، **كأبي تمام ، و (اندريه شينيه)** : هؤلاء الشعراء الذين " يمرّون بالأرض سراعا ، ولكنهم يتركون فيها آثارا باقية طويلة البقاء "[٤] .

* * *

أنفاس محترقة :

وقد عرض طه حسين بالنقد لديوان صغير وهو " **أنفاس محترقة** " للشاعر محمود **أبي الوفا** ، وهو يذكر في البداية أنه لا يعرفه ، وأنّ الذي دعاه الى تناول ديوانه هي هذه الضجة التي تثور من حوله ، والتي يذهب مشيروها الى أنه **شاعر مجدّد**[٥] .

وأول مايلفته في الديوان **عنوانه** ، فهو ينكره ولا يسيغه ، ولا يفهم المقصود به ؛ ذلك أن أنفاس الناس جميعا محترقة ، " وأنفاس الحيوان كذلك فلو قد سمّى **الناظم** ديوانه الأنفاس ليس غير لكان في هذا الاسم مايغني ، ولعله أراد أن يقول الأنفاس المُحرِقة ، فأخطأ الوصف "[٦] .

ومنذ بداية النقد نلاحظ حدة طه حسين ، فهو لا يصف صاحب الديوان بأنه شاعر ،

---

(١) حديث الأربعاء . ص ١٨٤ ، ج ٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٨٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٨٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٧٨ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٨٧ .
(٦) المصدر نفسه . ص ١٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانما يصرّ على أنه **مجرد ناظم** ؛ ولذا جعل عنوان مقالته " في النظم أنفاس محترقة لمحمود أبي الوفا "[١]، كما يُلاحَظ أيضا أنه في أثناء التناول لا يثني عليه ولو بكلمة ، وانما يذهب الى أن القارىء يستطيع أن يقرأ الديوان كله ، دون أن يظفر فيه بأي بيت يثير في نفسه الرضا ، الذي يثيره الشعر العالي ، أو يبعث في نفسه هذه اللّذة ، التي يبعثها الفن الجميل[٢]، ذلك أن معاني الديوان هي معان " بعضها مبتذل أشد الابتذال ، وبعضها مألوف لا جمال فيه ، وبعضها مأخوذ من الشعراء المتقدمين والمعاصرين أخذا بريئا من الاحتياط ، وبعضها فيه استهتار وتكلّف للمجون ، الذي لا يلائم الذوق الأدبي الممتاز في هذا العصر "[٣]

وهو يورد له قصيدة كاملة ، أوّلها[٤]:

" هذا هو المجلسُ لا تذكُروا شَبيهَهُ في الصَّفو لا تَـذْكروا "

ولكنه لا يتناولها بالنقد والتحليل ، وانّما يكتفي بالقول قبل إيرادها : " ... لست أريد أن أفسرها ، فهي تفسّر نفسها ، ولا أن أنقدها فهي تنقد نفسها ، وانما أرويها لك لتضحك ليس غير "[٥]، حتى إذا أتم روايتها ، لم يزد على القول : " أرأيت إلى هذا النظم البديع . وأيهما أقرب الى الإجادة : هذا الكلام أم منظومات النحو والفقه والعروض ؟ "[٦].

ومجون الشاعر في رأيه **مجون الشوارع** ، أو هو أدنى منه ابتذالا[٧] ، وأما أغلاطه النحوية والصرفية ، والأغلاط التي تتصل بالوزن والقافية فهي أكثر من أن تحصى[٨]. وأما ذوقه الفني فيراه يتمثّل في قوله[٩] :

" إذا تحدّثَ سالَ الظرفُ من فمهِ وانْ يُحدّثْ تراهُ مُطرقَ الرأسِ "

وهو يتناول البيت بسخريته النقدية اللاذعة قائلا : " **ومن الناس من يتحدثون فيسيل الظرف من أفواههم ، ومنهم من يتحدثون فيسيل اللعاب من أفواههم ، وقوم آخرون يتحدثون فيسيل الشهد من أفواههم ، وكل هذا شعر في هذه الأيام** "[١٠].

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٨٦ ، ج ٣.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٨٩.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٨٩.
(٤) انظر القصيدة في المصدر نفسه ، ص ١٩٢.
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٩١ - ١٩٢.
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٩٢.
(٧) المصدر نفسه ، ص ١٩٢.
(٨) المصدر نفسه ، ص ١٩٣.
(٩) المصدر نفسه ، ص ١٩٣.
(١٠) المصدر نفسه ، ص ١٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما يتناول بالسخرية النقدية قوله[١]:

" لغةُ البلابلِ أينَ تذهبُ بينَ هَدهدةِ الهَداهِدْ "

إذ يصف البيت بأنه **" ظريف "** ، قائلا : **" فإذا لم تعجبك هذه الهاءات والدالات فالتمس لنفسك ذوقا حيث شئت "**[٢].

* * *

وبعد فإنّ **قسوة طه حسين في النقد الأدبي** تصل الى أقصى مدى لها في نقد هذا الشاعر خاصة ، حتى إنه هو نفسه قد شعر بأنه سيكون قاسيا ، ولكنه مع هذا قال : **" لست أتردّد مهما أكن قاسيا عند كثير من القراء في أن أعلن بأن صاحب الديوان** لا يستطيع أن يرقى بديوانه هذا الى منزلة الشعراء ، ولا أن يجلس معهم على مائدة **(أبلون)** "[٣]، بل يبدو أنه كان يقدّر أن القراء سينكرون منه هذه القسوة ويكرهونها ، ولكنه مع هذا قال : **" ... لا أكره هذه القسوة** ، ويكرهها كثير من القراء ، فأزعم أنّ هذا الديوان على خلوّه من الشعر ، لا يخلو من سوء النظم ، وفساده ، واضطرابه الذي لا يطاق "[٤].

وحي الحرمان :

ونحب أن آخر ديوان تناوله طه حسين لشاعر عربي معاصر كان للشاعر السعودي **عبدالله الفيصل** ، وقد تناول ديوانه **" وحي الحرمان "** ، لافتا القارىء في البداية الى أنّ الشعراء المحرومين في الأدب العربي القديم هم الشعراء **العذريون البائسون** ، الذين كانوا يعيشون في البادية خلال العصر الأموي ، على حين أن هذا الشاعر المعاصر المحروم هو أمير ، جدّه ملك ، وعمه ملك ، وأبوه أمير (ثم ملك) أتاح "له من أسباب السعادة ونعمة البال الكثير "[٥].

على أنّ هذه المكانة الرفيعة للشاعر لا تدعو طه حسين البتة الى أن **يجامله** في أثناء نقده الأدبي ، إذ يجهر بأنّ الشاعر **ضعيف اللغة** ، ذلك أنه " يثني الوداع في غير حاجة الى تثنية ، لأن الوداع بطبعه لا يكون إلاّ بين واحد وغير واحد "[٦]، كما أنه يؤنث كلمة **(روح)**

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٩٤ ، ج ٣.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٩٤.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٨٩.

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٨٩.

(٥) من أدبنا المعاصر ، ص ١٢٣ ، الشركة العربية للطباعة ـ القاهرة ـ ١٩٥٨.

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في ديوانه كله، ماضيا معكثير من المعاصرين في ذلك، ولو قد ذكّره لمضى مع الفصحاء من شعراء البادية، ولزاد شعره الجميل جمالا[١].

وهو يذهب الى أن عبدالله الفيصل قد تأثر شاعرين، رأيناه ينقدهما قبل قليل، يقول: " ... أكاد أعتقد أنه تأثر اثنين من شعرائنا المعاصرين خاصة، وهما: **علي محمود طه، وابراهيم ناجي**، رحمهما الله "[٢]، كما يلحظ أن شعره غير متّسق، فهو متفاوت حتى في القصيدة الواحدة، بل هو قد يتفاوت في بيت واحد، كقوله:

" أربْعٌ مُقْفِرةٌ في صمتِها وشتاءٌ ليتهُ عنّا يزولُ "

فالبيت في رأيه قد **أدركه الضعف، بعد أن ابتدأ قويا، متينا**، ويعلل السبب في هذا الضعف باضطرار الشاعر الى أن يختم بيته على هذا النحو " لأنه كان في حاجة الى هذا **الفعل، يقيم به الوزن والقافية جميعا** "[٣].

والشاعر أحيانا يتكلّف في شعره، ولا يوفّق في اختيار اللفظ المناسب، كما هو واضح في قوله:

" وظلالٍ يَبِسَتْ أغصانُها وأمانٍ لم تزلْ فيكَ تجولُ "

إذ يتناوله طه حسين قائلا: " ... انظر الى هذه الظلال، التي يبست أغصانها، الى مافيها من تكلّف، وأحسب أنّ الشاعر أراد أن يضع (**جِنانا**) مكان (**الظلال**) فأخطأه اللفظ "[٤]

أما قصور الشاعر فيبدو في عدم التلاؤم بين طبعه البدوي، وصدق اللهجة، وبين لغته المتحضرة، التي لا تكاد تلائم هذا الطبع، ولأنه يراه موهوبا، وذا شاعرية رقيقة، فإنه ينصح له بأن يفرغ لشاعريته، ويمنحها ماتحتاج من وقت وجهد، وعناية، وأناة[٥].

* * *

---

(١) من أدبنا المعاصر، ص ١٣٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٩.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٣.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٣٣.
(٥) المصدر نفسه، ص ١٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" أهميـــة الدراســات ودلالتهـــا "

أسلوبه في نقد الشعر المعاصر :

يلاحَظ أنّ توجّه طه حسين في دراسته للشعر العربي خلال العصر الحديث يتّسق **وأســـلوب** توجهـه المعهود في دراسته لشعر كل عصر من العصور السالفة ، وهو الأسلوب الذي يقوم في الغالب على **البحث عن الجديد الشـعري** الذي حققه شعر العصر ، من خلال تناوله للشعراء المجدّديـــن جماعات ، لا أفراداً ، ولذا يمكن القول : إنّ اختياره لجميع الشعراء المعاصرين الذين تناولهم قد كان **سببه الجامع بينهم هو نشدانه للتجديد الشعري عندهم** ، سواء أوجد حقا هذا الجديد الـذي ينشده لديهم أم لم يجده . وفضلا عن التماسه لجامع عام يجمع بين الشعراء ، فقد كان في أثنـاء التناول يلتمس الروابط الخاصة ، التي تميّز هؤلاء الشعراء من أولئك ، فالبارودي وحفني ناصـف واسماعيل صبري يمثلون **مدرسة الإحياء الشعري** ، والعقاد والمازني وشكري يمثلون **مدرسة الديوان** ، وتناوله لعبي محمود طه وإبراهيم ناجي يتداخل . لأنهما صاحبان ، ويمثلان في الغالـب تجديد **مدرسة أبولو** . وإيليا أبو ماضي يمثل **الشعراء المهجريين** ، لأنه كبيرهم . ولذا تالحنيـث عنه وعنهم يتداخل ، حتى إنّه يغدو في النهاية عاما ، أمّا أسلوبه النقدي في دراسـة الشـعراء المعاصرين فهو في الغالب **أسلوب حرّ بريء من التحامل أو المحاباة** ، ويميل الى الصراحة بـل الى الحدة في بعض الأحيان . ذلك أن طه حسين كان يؤمن بأنّ " النقد لا خير فيه . ولا نفع منه . إذا لم يكن حرا من كل قيـد من هذه القيود المنكرة ، التي تحول بين النقّـاد وبيـن أداء واجبهم على وجهه "[1] .

ولذا يلاحَظ أنه كان يبذل وسعه في أن **يتحّي عواطفه** جانبا في أثناء عملية النقد الأدبي، بل لقد كان أحيانا يبوح لقارئه بحقيقة مشاعره نحو من ينقدهم ؛ ليشهده بأنه لا يريد أن يتأثـر البتة بهذه المشاعر في أثناء اصداره لأحكامه النقدية ، وخير مثال لهذا نقده لشوقي وحافـظ . فقبل أن يصدر أحكامه النقدية لهما أو عليهما ، لم يتردّد في مصارحة قارئه قائلا : " ... **أنـا أريد أن أعترف بأني كنت أؤثر حافظاً على شوقي في حياتهما** ، وكنت اختص شاعر النيل مـن المودة والحب ، بما لم اختص به أمير الشعراء ، لأن روح حافظ وافق روحي ، ولأن كثيرا من أخلاق حافظ وافق أخلاقي "[2] ، أما غايته من الاعتراف بحقيقة مشاعره الخافية فيوضحها قائـلا : " ... **أريد واستعين الله على ما أريد - أريد أن أنسى الآن حبي لحافظ ، وايثاري إيّاه بالمودة**

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٨١ ، ج ٣ .

(٢) حافظ وشوقي ، ص ١٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصادقة والحب الخالص، وأن أجعل الرجلين سواء أمام النقد الأدبي "[١]. على أنه يقرّ بـــأنّ من العسير جدا على الناقد أن يتحرّر من ميوله وأهوائه، ومن ذوقه في الأدب والفن؛ ولذا **يناشد قارئه** - بعد أن أطلعه على حقيقة عواطفه - بأن يتمّ ماقد يعجز عنه من الانصاف في أحكامـــه؛ ويمحو ماقد يتورط فيه من الغلو والاغراق[٢]. والحقّ أنّ من يتأمل نقده للشاعرين، يلاحـــظ أنه كان **يفضل شوقي على حافظ** في كثير من الأحيان، فحين وازن بين قصيدتيهما في الدســـتور مثلا، خلص الى أن قصيدة أمير الشعراء **تتفوق تفوقا ظاهرا** على قصيدة حافظ[٣]، بل خلص الـــى أن الموازنة بين القصيدتين **" مرّة، مؤلمـــة "**[٤].

وحين حاول في النهاية أن يبيّن أيّهمـــا أشعر، نلاحظ أنه أقرّ لشوقي بالتفـــــوق فـــي أغراض ونواح فنية أكثر مما أقرّ لحافظ[٥]، على أنه مع هذا قد تجنّـــب أن يحكم له أو لحافـــظ بأنه أشـــعر، لأنه كان حذرا من أن يتورط في ماكان يتورط فيه القدماء، على نحو مايصـــوّره الآمدي في موازنته؛ ولأنه في الوقت نفسه كان يلتزم **بأصول النقد الأدبي الحديث**؛ إذ إن النقـــد الحديث يقتضي من الناقد حين يوازن بين شاعرين ألاّ يحكم بأن أحدهما أشعر من الآخـــــر، فالجواب الـــديد أنّ كلا منهما أشعر - ومعنى هذا - **أنّ كلا منهما يتميّز من الآخر ببعـــض النواحي الفنية المعجبة**، " وعلى النقد توضيح الميزات الجوهرية لتفوّق كل شاعر، فيســـاعدنا بذلك على تقدير كل منهما تقديرا أقوم وأهدى سبيلا "[٦].

سخريته وحدته في نقد المعاصرين:

وعلى الرغم من محاولة طه حسين تحييـــد عواطفه في أثناء عملية النقد الأدبي، والالتزام بأسلوب علمي، بعيد عن الانفعال، فإنّ أسلوبه النقدي في كثير من الأحيان كان يميـــــل الـــى **السخرية اللاذعة**، أو الى **الحدّة العنيفة**، والسبب في هذا الميل هو أنه كان يؤمن حقـــا بـــأنّ **النقد الأدبي الجاد الصارم هو واجب الناقد**، الذي ينبغي ألاّ يتقاعس عن تأديته، مهما تـــكن الظروف والأحوال؛ لأن هذا النقد هو خير وسيلة للارتقاء بالإنتاج الشعري. ولمنعه في الوقـــت

---

(١) حافظ وشوقي، ص ١٧٨.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٧٨.
(٣) المصدر نفسه، ص ١١٤.
(٤) المصدر نفسه، ص ١١٣.
(٥) المصدر نفسه، ص ٢٢٣.
(٦) أحمد الشـــايب " أصول النقد الأدبي "، ص ١١٧، ط ٤، مكتبة النهضة المصريـــة - القاهرة - ١٩٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نفسه من الهبوط في مستواه الفني، ولذود الأدعياء عنه[١] .

أمّا سخريته النقدية فقد يتناول بها بيتا ما يتضمن صورة، يجدها سخيفة، أو يراها لا تلائم الذوق السليم، على نحو مامر بنا في نقده لمحمود أبي الوفا خاصة[٢]، وقد تتسع هذه السخرية النقدية، فتشمل قصيدة كاملة، يتناولها، كتناوله لقصيدة شوقي التي مطلعها[٣]:

" اللهُ أكبرُ كمْ في الفتحِ من عَجَبٍ ياخالدَ الترك جدّدْ خالدَ العَرَبِ "

فهو قد سخر من شوقي، لأنه فيها قلد أبا تمام والقدماء في صوره، دون أن يتنبّه الى أنّ هذه الصور لم تعد تلائم الحياة الحديثة[٤]، وقد ذهب **الدكتور محمد محمد حسين** الى القول: إنّ طه حسين قد سخر **من شوقي سخرية مرّة دون حق**، قال: " الواقع أنّ سخريته مبنيّة على تجاهله للدافع اليها، فالذي يسخر منه طه حسين هو المقارنات التي عقدها شوقي بين مصطفى كمال وبين أبطال المسلمين الأقدمين من العرب، وحقيقة الأمر أن شوقي وكثرة الشعراء المصريين لم يفرحوا بانتصارات مصطفى كمال، إلاّ لأنهم كانوا مُخدوعين فيه، ... فالذي يسخر منه طه حسين هو في الحقيقة، وفي واقع الأمر موضع إعجاب شوقي، والمسلمين جميعا، في كل بقاع الأرض وقتذاك "[٥]

أما قول الدكتور محمد محمد حسين: إن سخرية طه حسين من القصيدة **مبنيّة على تجاهله للدافع اليها** فهو قول يفتقر الى **الأمانة العلمية في ذكر الحقيقة، ذلك أن طه حسين صريح في ذكر الدافع الى القصيدة، بل** هو صريح في اعترافه بأنه كان كبقية المسلمين في بقاع الأرض كلها معجبا بانتصار الترك بقيادة مصطفى كمال، ويتشوّق الى شاعر يسجل هذا الانتصار، ولنتأمل قوله في البداية مليّا: " **كنا جميعا مرتاحين الى انتصار الترك**، متشوّقين الى مايسجّل هذا الانتصار، ويشيد به، وتناول شاب منا الصحيفة فأنشد القصيدة في شيء من الحماسة، ... وتحمّس بعضنا فصفّق، وافترقنا على أنها قصيدة رائعة "[٦].

وأمّا قوله " فالذي يسخر منه طه حسين هو المقارنات التي عقدها شوقي بين مصطفى كمال

---

(١) حديث الأربعاء، ص ٢٠١، ج ٣.
(٢) انظر المصدر نفسه: ص ١٩٣.
(٣) حافظ وشوقي، ص ٣٥.
(٤) المصدر نفسه، ص ٣٦ - ٣٧.
(٥) د. محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، ص ١٧، ج ٢، المطبعة النموذجية - القاهرة (د. ت).
(٦) حافظ وشوقي: ص ٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبين أبطال المسلمين الأقدمين، **فهو قول ينطوي على إخفاء أكثر الحقيقة، لأنّ سخريته في الغالب قد انصبّت على الصور والصياغة الفنية في القصيدة، وليس على موضوعها أو مضمونها**، فهو حين جلس وصديقه الدكتور **محمد حسين هيكل** وحدهما، حاولا أن ينقدا القصيدة في ضوء النقد الأدبي الحديث ومقاييسه، ولكن النتيجة كانت مؤلمة، مضحكة، يقول: " فضحكنا، وأغرقنا في الضحك والسخرية من هذه **الصور العتيقة، البالية، تتخذ لتصوير الحياة الجديدة الحاضرة** "[١].

ثم خلصا الى أن شوقي يقلد في قصيدته القدماء، " فلا ينبغي أن ينظر اليه إلاّ بأعين القدماء، ولا ينبغي أن يقاس إلاّ بمقاييسهم، وكان هذا النوع من الإنصاف في نفسه قضاء على القصيدة، فهو حكم بأنها **لا تثبت أمام النقد الحديث ومقاييسه** "[٢].

ثم اكتشفا من خلال نقد القصيدة وفق مقاييس النقد القديم أن شوقي في قصيدته يعارض أبا تمام في قصيدته المعروفة " السيف أصدق أنباءً من الكتب "، وحينئذ عقدا موازنة بين القصيدتين. فاكتشفا أن شوقي **أخذ من أبي تمام صورا ومعاني**. لم يراع فيها أنها لم تعد تلائم العصر الحديث، كما أساء في إيرادها من حيث الصياغة الفنية[٣]، وأنه قلّده خلالها **بتكلّف البديع**، والإسراف فيه، دون أن يراعي ذوق الناس في عصره[٤]، نحو قوله:

ماكانَ ماءُ " سقاريا "سوى سَقَرٍ طَغَتْ فأغرقتِ الإغريقَ في اللَّهبِ

فقد ذهبا الى أن " ... الصورة لا بأس بها. ولكنّ جناسين خليقان أن يفسدا أجمل الصور وأروعها[٥]. ثم خلصا من الموازنة والنقد الى أنّ الذوق القديم نفسه لا يستطيع أن يسبغ قصيدة شوقي، بعد أن أبى الذوق الحديث أن يسيغها[٦].

واذن فسخرية طه حسين من قصيدة شوقي هي في الغالب سخرية فنية، وليست كما ذهب الدكتور محمد محمد حسين.

وأمّا حدّة طه حسين النقدية القاسية أو العنيفة فتبدو واضحة في نقده لثلاثة شعراء، وهم **إيليا أبو ماضي ومحمود أبو الوفا وابراهيم ناجي**.

---

(١) حافظ وشوقي، ص ٣٦ - ٣٧.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٧.
(٣) انظر المصدر نفسه، ص ٤٠.
(٤) المصدر نفسه، ص ٤٣.
(٥) المصدر نفسه، ص ٤٣.
(٦) المصدر نفسه، ص ٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا ايليا أبو ماضي، فعلى الرغم من أنه قد حظي من طه حسين بقليل من الثناء، فإنّ نقد طه حسين له يبدو في الغالب **جادا حادّا**، ذلك أنه ألحّ في تبيان مايعاني من ضعف لغوي وعروضي، وفي إظهار ماتعاني صوره الفنية من خلل منطقي وفساد[١]، ولكن سرعان مايتبيّن لنا في نهاية نقده **السرّ** في هذه الحدة النقدية البادية، **فطه حسين لاينقد أبا ماضي وحده وانما ينقد الشعر المهجري كله من خلاله**، بوصفه زعيما له، ذلك أنه يرى أنّ للشعراء المهجريين خطرهم الشديد على الشعر العربي المعاصر، لأنهم في رأيه **"لم يستكملوا أدوات الشعر**، فجهلوا اللغة أو تجاهلوها، ثم اتخذوا هذا الجهل مذهبا، فأصبحنا من أمرهم في شك مريب "[٢].

ولذا فإنه من موقع **الناقد الأدبي المسؤول**، نجده يقول عن الشعراء المهجريين: "... لانستبيح لأنفسنا أن نغري الناس بقراءتهم، لأنّا إنْ فعلنا أغريناهم بالخطأ، ورغبناهم فيه، ودفعناهم الى ماهم مدفوعون إليه بطبعهم من الكسل والقصور والتقصير "[٣] وهو يقرّر أن هذا **الضعف** الذي أخذ يتسرّب الى الشعر العربي المعاصر في مصر وبقية الأقطار العربية، لم يكن شائعا في بداية هذا القرن **"ولكنه أقبل عليها من مهاجر السوريين في أمريكا**. تأثر به الشباب بعض الشيء في غير مصر. ثم أخذوا يتأثرون به في مصر نفسها "[٤]. ويحسب الكاتب في رأيه أنه مريح، لايكلف الشاعر تعبا ولا عناء، **وهو يوهم الشعراء الشباب، أنهم يقلدون الشعراء الغربيين، ويجددون في الأوزان والقوافي، ويخرجون على التقاليد، فيعنون بالمعاني دون الألفاظ "**[٥].

واذن كيف السبيل الى مواجهة هذا الخطر، أو هذا الضعف الذي أخذ يستشري في الشعر العربي المعاصر ؟ **لا سبيل سوى النقد الأدبي الجاد**، كما فعل في نقده لأبي ماضي، ولكنّ نقده وحده لايكفي، وانما ينبغي أن يتضافر النقاد المخلصون جميعا في محاربة هذا الفساد، الذي أخذ يسعى في الشعر العربي المعاصر، يقول: " ... **ما أشد حاجة الأدب العربي الى جماعة من النقاد، أشداء في الحق، حراص على سلامة هذه اللغة، وحمايتها من الفساد الأجنبي، وما أثقل الحق الذي يجب أن ينهض به هؤلاء النقاد، إنْ وجدوا "**[٦].

---

(١) انظر حديث الأربعاء، ص ١٩٧، ج ٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٠.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٠.
(٤) المصدر نفسه، ص ٢٠١.
(٥) المصدر نفسه، ص ٢٠١.
(٦) المصدر نفسه، ص ٢٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واذن فالغيرة والألم هما اللذان يدفعانه الى الحدة في نقد أبي ماضي، وهو صريح في قول هذا : " ما أشد مايمضّني من الحزن، حين أرى هذا الفساد الأجنبي، يسعى في أدبنا ... الذي كان الى أعوام قليلة بمأمن من هذا الفساد "[١].

ومن جهة أخرى فقد لاحظ **الدكتور جابر عصفور** أنّ طه حسين حين نقد قصيدة أبي ماضي " الأشباح الثلاثة " ، قد أخذ على الشاعر اختياره لوزن **المتدارك**، مع أن موضوع القصيدة يتضمن الفلسفة والحكمة ، ولذا فقد عانت " من الضعف الموسيقي الذي يدعو الى الضحك حين يجب الاعتبار "[٢]، وقد اعترض الدكتور جابر على هذا النقد قائلا : " ذلك فهم للوزن يشوّه القصيدة من ناحية ، ويدعم الثبات المستقل للوزن بعيدا عن المعنى من ناحية ثانية "[٣].

والحق أنّ طه حسين لم يقصد الى هذا الذي استخلصه الدكتور جابر ، ذلك أنه ألمح الى **حقيقة واقعة** في الشعر العربي كله . وهي أن المتدارك " قلما يقصد اليه الشعراء "[٤]، والدليل على صحة قوله أن أمر هذا البحر قد خفي على الخليل بن أحمد . فتداركه عليه تلميذ الأخفش - كما هو معروف - وأما إيحاؤه بأن هذا الوزن يستخص في أغراض الغناء . فهو لا يعدو أيضا تقرير الواقع في الشعر العربي، من خلال معرفته الوثيقة به ، إذ ليس مصادفة أننا لا نجد في هذا الشعر قصيدة في الفلسفة والحكمة من وزن المتدارك . بل ليس مصادفة أن القدماء قد سموا هذا الوزن أيضا **" الخبب "** ، مع أن (الخبب) لغويا هو **ضرب من العدو**[٥]، ونحسب أن الموسيقى التي تتسارع نغماتها لا تلائم تصوير المشاعر الهادئة . التي يقصد بها الشاعر المتأمل الى الفلسفة والحكمة ، بل نحسب أن الدكتور جابر عصفور لا ينكر **أن ثمة علاقة ما في الغالب بين نغمة المشاعر التي تسيطر على نفس الشاعر قبيل الشروع في النظم، أو عند الشروع فيه ، وبين اختياره الواعي أو غير الواعي للوزن العروضي .**

وأمّا نقده **لمحمود أبي الوفا** فتظهر فيه قسوته النقدية على أشدّها ، مما دفع بعض الدارسين المحايدين الى اتهامه بالتحامل على الشاعر . ومن هؤلاء **عز الدين الأمين** الذي يقول عنه " كان أحيانا يقسو في نقده ، **ويتحامل** . فيجرد الشاعر أو القصيدة من كل حسنة ، كما قال عن ديوان محمود أبي الوفا (أنفاس محترقة) إنه يخلو من الشعر خلوا تاما "[٦]، على أن عز الدين

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٢٠١ ، ج ٣.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٠.
(٣) المرايا المتجاورة ، ص ١٩٦.
(٤) حديث الأربعاء ، ص ٢٠٠.
(٥) انظر القاموس المحيط ، ص ٦١ ، ج ١ ، (دار الجيل - بيروت) .
(٦) نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر . ص ٢٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يحاول أن يتعرّف سبب هذه القسوة أو التحامل، ولكنّ **بيير كاكيا** استطاع أن يتبيّن السبب شيئا ما، إذ ردّه الى الناحية السياسية[١]، والواقع أننا حين نتأمل نقد طه حسين لأبي الوفا، نلحظ أن وراءه **أكثر من دافع الغيرة على فن الشعر** من الأدعياء، أو البحث عن الجديد الشعري؛ ذلك أنه صريح في إخبار القارىء بأنه كان يلاحظ ضجة تثار حول هذا الشاعر، يذهب فيها أصحابها الى القول: إنه مجدّد يستحق الاكبار والاعجاب[٢]، ولكن قول هؤلاء لم يدفعه الى دراسة شعره، يقول مبيّنا موقفه " كنت أسمع به، وأقف عند بعضه حائرا حينا، ومنكرا حينا آخر "[٣]. على أنّه بعد هذا تخلى عن الحيرة والإنكار، واندفع ينقده حين رأى **صدقي باشا**، رئيس الوزراء، يقرّب هذا الشاعر لأغراض سياسية دعائية، وطه حسين صريح الرأي في أن الأدب ينبغي ألاّ يخضع للسياسة ولأهواء السياسيين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد كان **صدقي باشا عدوّه اللدود** في هذه الحقبة، لأنه هو الذي قام بفصله من الجامعة عام ١٩٣٢، حين رفض أن يمنح بعض الساسة درجة الدكتوراه الفخرية - كما مرّ بنا -؛ ولذا نلمح في مقالته النقدية تعريضا واضحا بصدقي باشا، إذ يقول عن أمر الشاعر أبي الوفا " ... ثم يعظم الأمر ويتسع حتى يصل الى رياسة مجلس الوزراء. **وإذا صدقي باشا يرقى الى الأدب، أو الأدب يهبط الى صدقي باشا** "[٤].

خلاصة القول: إن طه حسين كان صادقا مع نفسه في نقده للشاعر محمود أبي الوفاء، شعره لا يعجبه حقا. وقد كان خليقا به ألاّ يعرض له بالنقد مادام الأمر كذلك، ولكن العداء السياسي هو الذي دفعه دفعا قويا الى هذا النقد، الذي شعر طه حسين نفسه بأنه قاس فيه. وبأن القراء سيكرهون منه هذه القسوة[٥]، التي لا داعي لها، من الوجهة النقدية الخالصة.

والغريب أن نجد أنور الجندي يذهب الى أن الذي قد حمل عليه طه حسين حملة نقدية عنيفة لأسباب سياسية هو علي محمود طه[٦] وليس محمودًا أبا الوفا، مع أن نقده لعلي محمود - كما رأينا - يميل الى الثناء والتقدير، ولا يخالطه شيء من الحدة أو العنف؛ ولكن لا غرابة في أن يتحدث عن أنور الجندي. إذ نلاحظ أنه في الغالب لم يكن يقرأ نقد طه حسين الأدبي.

---

(١) انظر: Taha Husayn, P. 175.

(٢) انظر حديث الأربعاء: ص ١٨٧، ج ٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٨٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٨٧.

(٥) المصدر نفسه: ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٦) انظر كتابه " محاكمة فكر طه حسين ". ص ٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانما كان يعتمد في مايقوله عنه ، ويهاجمه به على ترديد أقوال غيره ، وعلى ماتحفظ ذاكرته منها ، فيخبط فيها خبط عشواء ، كما نرى هنا ، وسوف نرى في مواضع متفرقة أخرى من هذا البحث .

على أنّ طه حسين لم يكن ينقصه دافع غير أدبي ، حتى يكون حادا في نقده ، لأن مثل هذا الدافع لا نجده في نقده لابراهيم ناجي مثلا ، فقد نقده نقدا قاسيا ، آلم الشاعر نفسه وصدمه ، حتى إنه على إثره قد قرّر في لحظة من اللحظات أن يهجر الشعر كله[١] ، كما كتب في عام ١٩٣٩ الى مجلة الثقافة يشكو من قسوة طه حسين النقدية ، وعدم ترفقه بالشعراء[٢] .

ذوقه النقدي وأحكامه

وبعد ... فإنّ نقد طه حسين للشعراء المعاصرين ليظهر أن **ذوقه الأدبي عسير الرّضا** ، إذ من الصعب أن ينال شعر قبوله ، فضلا عن إعجابه ، أو هو - كما يعنّ خاصة نفسه - **ذوق معقد** . " فيه أثر الأدب العربي القديم ، وفيه أثر الأدب الغربي الحديث . وفيه أثر الثقافة . مركبة ، مختلفة العناصر "[٣] ، ولذا يظهر لنا خلاله أنه في نقد الشعر خاصة " كان محافظا ومجددا معا ، وكان سلفيا وعصريا ، وكان عالما وفنانا في آن واحد "[٤] وأما أسلوبه في إصدار الأحكام النقدية . فهو واضح لا لبس فيه ، ولكنه قد يدقّ أحيانا من الناحية اللغوية دقة توهم غير المتمرس به بأنه ينطوي على تناقض ، كقوله عن علي محمود طه مثلا : " هو شاعر **مجيد** . ولكنه مازال **مبتدئا** ، وهو شاعر مجيد حقا ، ولكنه في حاجة الى العناية باللغة وأصولها ، وتعرّف أسرارها ودقائقها "[٥] .

فقد اشتبه هذا الأسلوب على عز **الدين الأمين** فظنه ينطوي على التناقض والغموض[٦] ، مع أنه واضح كل الوضوح ، إذ المقصود أن الشاعر مجيد ، ولكنه مازال في أول طريق الإجادة الشعرية . لم يقطع عنها شوطا كبيرا ، ولم يمعن فيها بعد . وهو مجيد ولكنه لم يستكمل بعض

---

(١) انظر ديوان إبراهيم ناجي ، ص ٨٢٠ ، دار العودة ، بيروت - ١٩٧٣ .

(٢) انظر عدد (٣) من مجلة الثقافة ، ص ٤٨ ، ١٧ يناير ، ١٩٣٩ .

(٣) حافظ وشوقي ، ص ٣٦ .

(٤) محمد خلف الله أحمد ، معالم على طريق الكلاسيكية العربية الحديثة ، ص ٣٧ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٧ .

(٥) حديث الأربعاء ، ص ١٤٩ ، ج ٣ .

(٦) نشأة النقد الأدبي ، ص ٢٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أدوات الشعر الضرورية ، مثل اللغة ، والحق أنه يقصد الى هذا الأسلوب عن عمد ، ذلك أنه - وهو العالم بأسرار اللغة ، البصير بأساليب البيان - ينحو فيه منحى بلاغيا ، يلجأ إليه في بعض الأحيان ، كقوله ، وهو يتناول بيت لبيد :

" ترّاكُ أمكنةٍ إذا لمْ أرضَها أو يعتلقْ بعضَ النفوسِ حِمامُها "

" انظر الى الشطر الأخير ... فهو **غامض ولكنه جلي ، وهو مبهم ، ولكنه واضح** ".(١)

التجديد واقتراب الشعر العربي من الأوروبي

وأمّا التجديد الذي حقّقه الشعر العربي في العصر الحديث فهو في رأيه **ضئيل ، قليل الخطر** . لا يتلاءم وطبيعة التطور في هذا القرن ، فمنذ أن اتصل الشرق العربي بالحضارة الأوروبية ، أخذ الشعراء يحاولون التجديد ، ولكن في بطء وتعثر شديدين . كما ظهر في هذا التجديد نوع من الغرابة(٢) .

وحين يوازن بين **تطور النثر** في هذا العصر **وتطور الشعر** يلحظ " أن الشعر المصري الحديث . أقل تطورا ، وأبطأ حركة من النثر "(٣) : فقد أضحى النثر فصيح اللفظ ، نقي الأسلوب ، بريئا من الابتذال ، حرا من أغلال البديع والبيان ، ملائما للذوق الجديد ، والميول الجديدة ، قيّما في معناه ، كما هو قيّم في لفظه ، حرا في معناه ، كما هو حر في لفظه أيضا(٤) ، وهنا يتساءل : **لماذا تقدم النثر العربي في هذا العصر ، على حين جمد الشعر** ؟ ، ثم يجيب قائلا : إن السبب يعود الى أن الشعراء في الغالب جامدون ، مصابون بشيء من الكسل العقلي ، فهم يزدرون العلم والعلماء ، ويزهدون في القراءة ، ويظنون أنهم أصحاب خيال ليس غير ، فحسبهم أنهم شعراء(٥) .

لقد كان طه حين يرى أنّ **ثقافة الشاعر** ضرورية ، كي يتمكن من **التجديد** ، ولذا لاحظ أن الشعراء القلائل الذين حاولوا التجديد في هذا العصر من أمثال : مطران ، والعقاد ، وشكري

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٣٧ ، ج ١ .
(٢) تقليد وتجديد ، ص ٣٥ ، ٧٥ .
(٣) من أدبنا المعاصر ، ص ١٥٥ .
(٤) حافظ وشوقي ، ص ٨٢ .
(٥) انظر المصدر نفسه ، ص ١٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمازني، وعلي محمود طه، هم ممن اتصلوا بالثقافة الأوروبية، وتأثروا الشعرَ الأوروبي، وهنا يمكن القول: إنه حين درس شعر القرن الرابع للهجرة، قد لاحظ أيضا أن الشعر العربي قد بدأ يتجه في تجديده، نحو **الشعر الأوروبي**، إذ إنّ **المتنبي** في تجديده آخر أيامه قد اقترب من العقلية الأوروبية، والفنية الأوروبية[(١)]، وهو حين التمس التجديد الشعري في العصر الحديث أقرّ بوجوده عند هؤلاء الشعراء القلائل، الذين اتصلوا بالشعر الأوروبي، وحاولوا تأثره ومحاكاته، فكأنّ طه حسين **يقرّر أن الشعر العربي في تجديده الأخير قد أخذ يتجه منذ زمن الى الشعر الأوروبي**، أو كأنه يوحي بأن تجديد الشعر العربي يمكن أن يكون باتجاهه الى **الشعر الأوروبي**، وتأثره، والتفاعل وإياه، ذلك أنه لا يخفي إعجابه وميله الى الشعر العربي الذي أخذ يتقارب من الشعر الأوروبي، أو يتأثره، فشعر المتنبي الأخير هو من الناحية الفنية أحبّ شعره اليه، وأعجبه له، وآثره عنده[(٢)]، ولو بدأ أبو الطيب شبابه بقول هذا الشعر وبالاتجاه الى فارس إذن **" لوثب الشعر العربي في القرن الرابع وثبة بعيدة المدى**، ولفُتحت للشعراء بعده أبواب جديدة. يلتمسها **الشباب من الشعراء الآن**، فلا يكادون يظفرون منها بما يبغون[(٣)]. ولكن من هم هؤلاء الشباب من الشعراء الذين كانوا يلتمسون أبواب التجديد في عام ١٩٣٦ ؟ إنهم في الغالب هؤلاء الشعراء الذين تأثروا بالشعر الأوروبي أيضا. في محاولته تجديد، من أمثال **علي محمود طه**، الذي أيده تأييدا صريحا في محاولته (**تغريب**) الشعر العربي المعاصر[(٤)].

وهو لا يخفي أيضا إعجابه وميله الى تجديد مطران والعقاد وشكري والمازني، وسواهم ممن يتأثرون الشعر الأوروبي ويحاولون محاكاته، فهم وحدهم في رأيه الطيب حاولوا أن يجدّدوا **تجديدا حقيقيا** في العصر الحديث، وإنْ لم يستطع أن يضع يده على تجديد مهم لهم، كما وضعها على تجديد الشعر في العصر الأموي أو العباسي، ومع أنه ذكر أن خليل مطران قد وضع الشعر القصصي، فإنه لم يكترث لهذا الشعر كثيرا، لأنه يعتقد - على نحو مأسوف نرى - بأن **الشعر لم يعد يلائم القص والتمثيل** في هذا العصر، لأنّ النثر قد غلبه على هذين الفنين[(٥)].

وفضلا عن هذا فقد لاحظ أنّ أشعار هؤلاء المجددين لا تلاقي قبول أو الاستحسان من عامة القراء، وقد أرجع السبب الى أن الحضارة الحديثة، لم تتأصل في نفس الإنسان العربي بعد، على الرغم من أنه قد أخذ يتطوّر شيئا فشيئا من الناحية العلمية والعقلية، وأخذت

---

(١) مع المتنبي، ص ٣٤٧، المجلد الثالث.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٤٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٤٨.
(٤) انظر حديث الأربعاء، ص ١٤٦ - ١٤٧، ج ٣.
(٥) انظر " خصام ونقد "، ص ٢١٤ - ٢١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طبيعة حياته تتغيّر وفق ذلك ، ولكن عندما نصل الى الناحية الفنية الخالصة في الشعر ، نجد الأمر يختلف اختلافا شديدا " ذلك أنّ الشعر يحتاج لأن يكون بينه وبين **الذوق** صلة أيّ صلة ، وهذه الصلة إذا وجدت بين الشعر والذوق كان لها الأثر الخطير في جودة الشعر نفسه ، وفي ارتفاعه وانحطاطه "[١].

رأيه في أزمة الشعر العربي المعاصر :

وقد لاحظ طه حسين مبكرا أن الشعر العربي المعاصر يعاني من أزمة شديدة ، إذ قال : " ... إن صحّ فهمي لهذه الحياة ، التي أخذنا ننحوها منذ أوائل القرن الى الآن ، فإني مطمئن الى أنّ شعرنا العربي قد دفع الى **أزمة عنيفة** "[٢]، وأما سرّ هذه الأزمة في الشعر فيعود الى أن **ذوق الإنسان العربي** نفسه يعاني أيضا من **أزمة** ، ذلك أنّ هذا الذوق لم يتغيّر تغيّرا تاما بعد ، لأن **الحضارة الحديثة لم تتأصل في نفس صاحبه من جهة** ، ولأن هذه النفس من جهة أخرى قد " **أخذت تجفو الحضارة القديمة** . وتنبو عنها "[٣].

واذن فنفس الإنسان العربي " لم تستقر بعد على شيء في هذا الخلاف بين القديم والجديد "[٤]، وهذا يعني أنّ ذوقه الفني لم يستقر بعد على شيء في هذا الخلاف أيضا ، وفي خضمّ هذا الاضطراب في الذوق والنفس ، لم يستطع شعر المجددين ، المتأثرين بالشعر الأوروبي أن يسيطر على عقول أكثر القراء وقلوبهم ، وهكذا " نحن نعيش متأثرة **بهذه الأزمة** ، التي نستطيع أن نقول : **إن الشعر قد أفلس فيها الى حد بعيد جدا** ، على حين تقدّم النثر تقدّما خطيرا "[٥].

وطه حسين يرى أن **أزمة الشعر العربي ستستمر ، وستظل قائمة ، مادامت الحضارة الحديثة لم تتأصل في النفوس** ، والشعر العربي المعاصر " سيظلّ مضطربا ، لأن الشعور نفسه مضطرب . وسنظل على هذه الحال ، نجوّد في الناحية العقلية ، كأحسن مايكون التجويد ، ونضطرب في الحياة الفنية اضطرابا شديدا "[٦].

---

(١) تقليد وتجديد ، ص ١٤٠.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٨.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤١.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤١.
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٣٨.
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد نتساءل : **متى ستنتهي أزمة الشعر العربي المعاصر ؟** فيجيب قائلا : **ستنتهي حالما تتأصل الحضارة الحديثة في حياتنا،** وتصل الى أعماق نفوسنا ، وتستقرّ في ضمائرنا ، لأنّ " الشعر يحتاج قبل كل شيء ، الى استقرار النفوس ، واطمئنان الضمير "[١].

وقد نتساءل أيضا : **كيف سيكون هذا الشعر الجديد ، الذي سيظهر بعد أن يعبر شعرنا المعاصر أزمته العنيفة ؟**

وهنا في محاولة استخلاص رأيه نلحظ أنه **لا يقبل البتة** أن يكون هذا الشعر العربي الجديد **صورة مطابقة للشعر الأوروبي، أو مجرد تقليد له ،** ولقد ألمحنا قبل قليل الى أنه يميل الى تقارب الشعر العربي من الشعر الأوروبي، ويراه نافعا لتجديده وتطويره ، ولكنّ هذا في الوقت نفسه لا يعني أنه يريد للشعر العربي أن **يفنى** في الشعر الأوروبي، وأن يتنازل له عن هويته الخاصة . وملامحه الأساسية المميّزة ، فهذا الأمر أبعد ما يكون عن تفكيره ورغبته . وانما هو يرى أنّ هذا التقارب سيعود بنتائج قيمة خصبة على الشعر العربي من خلال التفاعل بين الشعرين ، ونحن نعلم أن هذا الذي يذهب اليه طه حسين هنا ، يصدر فيه عن رأي شهير له . جهر به في عام ١٩٣٢ . وهو أن أدب أية أمة من الأمم لن يبلغ مداه في التجديد والتطور إلاّ إذا عرف هذا الأدب آداب الأمم الأخرى وتفاعل واياها ، ولذا حين درس الشعر العربي القديم ، ولاحظ أن تطوره كان بطيئا . قليل الإنتاج قال : " السبب الأساسي الذي حال بين الشعر العربي وبين ما كان ينتظر له من التجدّد - **هذا السبب هو أن الأمة العربية لم تعرف من آداب الأمم الأخرى شيئا يذكر ،** ولم تخالط هذه الأمم الأجنبية من الوجهة الأدبية ، والعقلية إلاّ مخالطة ضيقة جدا "[٢].

وفضلا عن مشاعر طه حسين الخاصة بإزاء ماينبغي أن يكون عليه هذا الشعر العربي الجديد ، الذي سيظهر ، بعد أن يجتاز شعرنا المعاصر أزمته ، فإنه يرى أن هذا الشعر حين يظهر حقا ، لن يكون **منبتّا عن الشعر العربي القديم، أو متنكرا له ،** كما قد يتراءى لبعض نقّاد الأدب ، وانما سيكون **منبثقا من شعرنا القديم ،** ومولودا يحمل الخصائص الأساسية المميزة له ، ذلك أن الشعر العربي القديم في رأي طه حسين " صالح ليكون أساسا من أسس الثقافة الحديثة "[٣]، ولذا فهو يذهب الى أنّ أزمة الشعر العربي المعاصر لن تنتهي، ولن يظهر الشعر الجديد المنشود ، الذي يسيغه الذوق العربي المعاصر عامة ، إلاّ بعد أنْ **" تكوّن لنفوسنا**

---

(١) تقليد وتجديد ، ص ١٤١.

(٢) حديث الأربعاء ، ص ١٢ ، ج ٢.

(٣) المصدر نفسه . ص ١٣ . ج ١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مزاجا طبيعيا ، مستقلا من الحضارة ، فيه القديم الذي يلائم طباعنا ، وفيه الجديد الذي يلائم هذه الطباع ، ويتصل بها ، ويتأصّل فيها "(١).

وما دام الانسان العربي، لم يستقر ذوقه الفني، لعدم استقرار نفسه ، ولأن الحضارة الحديثة لم تتأصل في حياته ، ولأن هذا المزاج الطبيعي لم يتكوّن في نفسه بعد ، فسيظل الشعر العربي المعاصر في أزمة ، " وسيظل مذبذبا بين القديم والجديد ، نحاول أن نقلّد القدماء فنحسن التقليد ، ونحاول أن نقلد المحدثين من الأوروبيين فلا نكاد نبلغ من هذا التقليد شيئا "(٢).

على أنّ هذه الأزمة في رأيه لا يعاني منها الشعر المعاصر وحده ، وإنما يعاني منها سائر الفنون الجميلة ، أو الفنون التي لها صلة بالشعور(٣).

رأيه في الشعر الحر وسبب ظهوره :

وأما محاولة التحرّر من الوزن والقافية في الشعر . فيردّها طه حسين الى المنافسة الخطيرة بين **الشعر العالمي عامة وبين النثر في العصر الحديث** ، ذلك أنه يذهب الى أن النثر عند جميع الأمم في هذا العصر قد تفوّق على الشعر ، وغلبه على الفنون والحياة العقلية كلها ، فهو قد استأثر بالحياة العقلية الانسانية ، ولم يترك للشعر سوى اللون الغنائي ، بل هو يذهب الى أن النثر كثيرا مايزاحمه في هذا اللون أيضا ، مما اضطر الشعر - **تحت وطأة المنافسة** - الى أن **يتحرّر** في العصور الحديثة من **بعض القيود أحيانا " فيطرح القافية ، ويسر الوزن ، ويبعد عن أصله الموروث ، ويدنو من النثر دنوّا شديدا** ، ومن هنا نشأ مايسميه الناس **شعرا منثورا** ، وما يسمونه **شعرا حرا** ، وما يسميه بعضهم **شعرا أبيض "**(٤) .

واذن فظهور الشعر المنثور ، أو الحر أو الأبيض قد جاء نتيجة لمنافسة النثر ، الذي تغلب عليه . كما جاء نتيجة لطموح الإنسان الحديث الى **الحرية** . واذن يمكن القول : إن أزمة الشعر في هذا العصر عامة ، وليست خاصة ، ولكن على تفاوت فيها بين أمة وأخرى .

وطه حسين لا يرى بأسا بأن يظهر **الشعر العربي المرسل** في هذا العصر ، ولكنه يشترط

---

(١) تقليد وتجديد ، ص ١٤٢.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٢.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٢.
(٤) خصام ونقد ، ص ٢١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن يكون فيه **روح الشعر الحقيقي**، " **وأن يكون له من الجمال الفني مايجعله معادلا للشعر المقيّد بالأوزان والقوافي، أو مقاربا له** "[١] .

ومعنى هذا أنه لا يعارض محاولة التحرّر من الوزن والقافية ، في سبيل التجديد الحقيقي ... ، لأن العرب القدماء ، قد جدّدوا في أوزان الشعر وقوافيه ، ولم يكن عليهم في ذلك حرج ولا جناح ، وانما كان ذلك منهم طبيعيا ، مستحبا من الناس ، كما يبدو من الرضا عن **الموشحات**[٢] ، ولأن الإنسانية عرفت **شعرا رائعا خالدا ، لم يعرف القافية** ؛ لأنها لم تكن تلائم لغة أصحاب هذا الشعر ، ولا طبعهم ، ولا بيئتهم ، مثل **الشعر اليوناني والشعر اللاتيني**، فكلا الشعرين لم يعرف قافية ، " وأتيح لكليهما برغم ذلك من الروعة والخلود ، ما لا يرقى اليه شك "[٣].

وما يقال عن التحلّل من القافية يمكن أن يقال أيضا عن **التحلّل من الوزن ، أو من كليهما معا** ، فقد " تحلّل بعض الشعراء الأوروبيين من الأوزان والقوافي التقليدية ، فلم يزر ذلك بشعر المجيدين منهم "[٤]، ولذا فهو يذهب الى أنه ليس على الشعراء العرب الشباب من بأس ، إذا تحلّلوا من قيود الوزن والقافية ، إن كانوا يشعرون حقا بأنها تنافر طبائعهم وأمزجتهم ، ولكن شريطة أن " **يكونوا صادقين ، غير متكلفين ، وصادرين عن أنفسهم ، غير مقلدين لهذا الشاعر الأجنبي أو ذاك ، ومبدعين فيما ينشئون ، غير مسفّين الى سخف القول ، وما لا غناء فيه** "[٥].

إن التجديد الحقيقي ضروري في رأيه للشعر العربي المعاصر ، لأنّ ثمة **ظمأ الى نفحات جديدة في الشعر ، وتشوّقا الى لون جديد من الشعر الرفيع**، الذي يُرضي الحاجة الى تصوير جديد للجمال .

---

(١) طه حسين يتحدث للعربي ، مجلة العربي الكويتية . ص ١٢٥ ، العدد الحادي عشر ـ الكويت ـ ١٩٥٩ .

(٢) أدبنا العربي ، ص ٣٤ ـ ٣٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهنا نلحظ أنه لم يتناول أيّا من روّاد الشعر العربي المرسل أو الحر ، من أمثال **بدر شاكر السياب ، ونازك الملائكة ، وعبدالوهاب البياتي ، وصلاح عبدالصبور** ، فنتساءل عن السبب ، أو عن رأيه في محاولاتهم ؟ أو قد نسأل : أوجد هذا الشعر المرسل كما يريده في الأدب العربي المعاصر أم لم يوجد بعد ؟؟ فيكون الجواب ماقاله في عام ١٩٥٩ ، حين سئل في ذلك : " **لا أعرف أنه وجد في لغتنا الى الآن ، إنما هي محاولات لبعض الشباب ، تغرّهم عن أنفسهم ، وتخيل إليهم أنهم أصبحوا شعراء ، وما زال الأمد بينهم وبين الشعر بعيدا** "(١)

xxxxxxxxxxx
xxxxxxxxx
xxxxxxx
xxxxx
xxx
x

---

(١) طه حسين يتحدث الى العربي ، مجلة العربي الكويتية ، ص ١٢٥ ، العدد الحادي عشر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢)
دراساته في القصة والمسرحية

لطه حسين إسهام في الكتابة القصصية[١]، وترجمة القصة ، حتى إن المستشرق " جب Gibb " يعده رائد القصة الذاتية في الأدب العربي المعاصر[٢]، بل يعد قصته الذاتية **"الأيام"** " أحسن عمل أدبي صدر في الأدب المصري الحديث حتى الآن "[٣]. وأما الدكتور حسين نصار فيرى أنه " عالج القصة القصيرة والمتوسطة ، والطويلة ، وكان له بصماته الواضحة عليها "[٤].

وما دام أمره في القصة كذلك ، فلا غرابة إذن في أن يتابع الإبداع القصصي والتمثيلي ، وأن تزداد عنايته بنقده في الطور الأخير من حياته الأدبية ، وقد تناول بهذا النقد القصة القصيرة والطويلة والمسرحية .

أ ـ نقده القصة القصيرة :

يلاحظ أن القصة القصيرة هي أقل الفنون القصصية نصيبا من نقد طه حسين ، على الرغم من أنه كتبها بأسلوبه الخاص ، كما في " **الحب الضائع" و " جنة الحيوان"** مثلا .

وقد أتيح لطه حسين في عام ١٩٥٦ أن يطّلع على نماذج تمثّل القصة المصرية القصيرة عامة ، في أرفع مستوى فني وصلت اليه وقتذاك ، كما قام بكتابتها **سبعة عشر قاصا**، من أشهر كتاب القصة في مصر ، من أمثال : محمود تيمور ، ويحيى حقي، ويوسف إدريس ، ويوسف السباعي، واحسان عبدالقدوس ، ومصطفى محمود ، وعبدالرحمن الشرقاوي ، ويوسف الشاروني، حتى إننا لا نكاد نفتقد بينهم سوى توفيق الحكيم ونجيب محفوظ .

وقد قام كل قاص باختيار قصة قصيرة ، يراها تمثّل موهبته وفنه ، ثم دفع بها كلها في النهاية الى طه حسين ، ليقول فيها **كلمته النقدية** ، ثم نشرت أخيرا في مجموعة ، عنوانها

---

(١) ثمة رسالة علمية قامت على جهده القصصي ، نوقشت في الجامعة الأردنية عام ١٩٧٦ ، ونال بها خالد الكركي درجة الماجستير ، وعنوانها " طه حسين روائيا " .

(٢) انظر : Arabic Literature (An Introduction) P. 161, Second Edition - Oxford University Press - 1963.

(٣) دراسات في حضارة الإسلام ، ص ٣٦٣ ، ترجمة إحسان عباس ورفيقيه .

(٤) دراسات حول طه حسين ، ص ٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" ألوان من القصة المصرية " ، وقد أُثبِتَتْ في مقدمتها كلمة طه حسين فيها جميعها[١].

وأوّل مالفته في القصص القصيرة أنّ كتابها في الغالب يعنون بالحياة الاجتماعية ، وقد ذهب الى أن هذا حسن منهم ، لولا أن قصصهم تعاني من عيوب ، تهبط بها عن المستوى المنشود ، وأوّل هذه العيوب يتعلق بأسلوب المعالجة ، إذ لاحظ أنهم **ينزعون الى التشاؤم في معالجة مشكلات المجتمع**، وهو يرى أنّ التشاؤم عنصر ضئيل من الفلسفة الانسانية ، التي تقوم عليها حياة الناس ، وأن المتشائمين من الأدباء على اختلاف العصور والبيئات قليلون ، ومع أنّ أوروبا عرفت الأدب المظلم في أثناء الحرب العالمية الثانية ، وبعيدها ، وكان هذا **الأدب الأسود** بدعا في بلاد الغرب ، فإن " غمرة هذا البدع لم تلبث أن انجلت ، واستأنف الأدب تفاؤله القديم"[٢].

وطه حسين لا يسيغ التشاؤم من الأديب ، ذلك أنه **يرى الأدباء مصلحين** ، والمصلحون بعض أطباء المجتمع ، فعليهم إذن أن يعالجوا علله بالأمل والابتسام ، وليس بالتشاؤم . لأنّ المصلح في رأيه " **إذا تشاءم صار هجاء** ، لا أكثر ولا أقلّ . والمتشاؤمون ليسوا أصحاب إصلاح "[٣] ؛ ولذا فمأخذه النقدي الأوّل على القصص أنها في كثير منها تريد أن تغيظ القارىء ، لأنها مظلمة الملامح ، تبغض الى الناس حياتهم . وتملأ قلوبهم باليأس ، ولا تغريهم بالخير ، أو الاصلاح ، مما يدفعه الى القول عن كتّابها : " ... ما أجدر هؤلاء الشباب أن يشفقوا على أنفسهم وان يشفقوا على قرائهم ، ويأخذوا أمور الحياة بالجدّ الحسن . لا بهذا اليأس القاتم المخيف "[٤].

وهنا يمكن ملاحظة أن **النزوع الى التفاؤل في معالجة الواقع الاجتماعي** هو في رأي طه حسين **جزء أساسي من الالتزام في الأدب** ، وقد كان هو نفسه يلتزم به في كتاباته القصصية[٥] .

ثم يأخذ على القصص أنّ أصحابها لا يعنون بتجويد كتاباتهم من الناحية الفنية ، حتى يتسنّى لها أن ترقى الى مستوى الأدب الحق . ولذا نجده يشكّ في إنكار قائلا : أأدبٌ هو أم

---

(١) صدرت مجموعة " ألوان من القصة المصرية " عن دار النديم - القاهرة - ١٩٥٦ ، بمقدمة لطه حسين ، ودراسة لمحمود أمين العالم .

(٢) ألوان من القصة المصرية ، ص ١٢ .

(٣) مقدمة ألوان من القصة المصرية ، ص ١٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢ .

(٥) أنظر مثال هذا قصته " دعاء الكروان " ، ص ١٤٦ - ١٤٨ ، ط ١٢ ، دار المعارف - القاهرة (د . ت) ، حيث غلّب الخير على الشر في النهاية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كلام من الكلام ؟ ثم يلفتهم الى " أنّ تأدية مافي النفوس الى الناس لا تكون أدبا ، ولا تستحق هذا الاسم ، إلاّ اذا امتازت بشيء من **الجمال** ، الذي ينشئه **الفن** ، فيملأ قلب القارىء وعقله لذة ومتاعا "[١] . والجمال الفني في الأدب لا يتجزّأ ، فليس ثمة جمال يتصل بالمعنى وحده ، وآخر يتصل باللفظ وحده ، وانما الجمال الفني لون من الموسيقى ، يشيع في الأثر الأدبي كله ، لفظه ومعناه "[٢] ، واذن فالتفرقة في هذا الأثر بين الصورة والمادة ، أو بين الصورة والمضمون هي " **عيث قد انقضى عهده بانقضاء العصور القديمة** "[٣] ، وهو يضطر الى توضيح هذا كلّه ، ليؤكد لكتاب القصة الذين ينقدهم أن ماقدّموه على أنه أدب ، ليس من الأدب في شيء ، لأنهم يهبطون الى **اللهجة العامية في الحوار** ، وهو يؤمن إيمانا راسخا بأنّ **العامية لا تصلح لغة للقصة أو للأدب** الذي يستحق هذا الاسم ، فقد لاحظ أن العامية قد تستغرق القصة كلها عند بعضهم ، على حين تستغرق أحاديث الأشخاص عند بعضهم الآخر ، ولذا فهو يلفت هؤلاء القاصين الى حقيقة يتجاهلونها ، قائلا في يقين : " ... **لم تصل العامية الى أن تكون لغة أدبية وما أراها تبلغ ذلك آخر الدهر** "[٤] .

ثم يذكّرهم بأنّ **أرسطو طاليس** قد قال قبل ثلاثة وعشرين قرنا : " إنّ أول عنصر في أدب الأديب هو أن يتكلم لغته ، التي يعرب بها عن ذات نفسه للناس "[٥] ، والعامية ليست لغة أدبية في رأيه ، وكل قاص يتخذها في السرد أو الحوار يهبط بقصته الى مستوى غير أدبي ، ولذا فهو ينصح لهم في الختام بأن يطّرحوا الكل جانبا ، ويأخذوا للأدب عدّته قبل الكتابة القصصية ، حتى يتكملوا **الأدوات الضرورية لها** . التي لا تستقيم دونها ، أما عدة الأدب القصصي فهي : " ثقافة أدبية فنية عميقة ، واسعة ، متصلة بالعلم من ناحية ، وبواقع الحياة التي يحياها الناس من جهة أخرى ، ثم إتقان اللغة التي يريد الأديب أن يتحدث بها الى الناس "[٦] .

* * *

وقد تناول طه حسين أيضا مجموعتين للقاص **أمين يوسف غراب** وهما : " **يوم الثلاثاء** " و " **أرض الخطايا** " فلاحظ أن لغته مقبولة شيئا ما ، وأنه بارع أحيانا " في تصوير البؤس والشقاء ،

---

(١) مقدمة " ألوان من القصة المصرية " ، ص ١٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٤ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحرمان ، سواء أكان مصدر هذه الخصال هو سوء النظام الاجتماعي أم هو الانحراف عن جادة الفضيلة ، وطريق الخلق القويم "[١].

على أن هذا لا يعني أنه يجيد دائما في تصويره ، ويوفق الى مايهدف اليه ، " فما أكثر مايخطئه التوفيق ، فينتهي الى غير غاية "[٢]، ذلك أنه يأخذ عليه **" التزيّد والاغراق في الوصف ،** ولا سيما حين يصف ترف المترفين "[٣]، كما يأخذه بعيب يلاحظه في قصص أترابه من الكتاب الشباب و " هو الاسراف في وصف جسم المرأة ، وجماله ، وفتنته المغرية "[٤]، وهو يعرف جيدا هدف هؤلاء الكتاب الشباب من الاسراف في وصف جسم المرأة ، ومفاتنها ، فهم يرمون الى **إثارة غرائز** عامة القراء ، من أجل رواج قصصهم وكتبهم ، يقول عن القاص وأمثاله ممن يجنحون الى هذا الأسلوب : " أحسبه ، وأحسب أمثاله من الكتاب **يتملقون بهذا الإغراق استجابة الناس للغرائز ، وايثارهم لكل ما من شأنه أن يثير فيهم هذه الاستجابة "**[٥].

وهنا نرى طه حسين ، الذي يصرّ دائما على أن العمل الابداعي ينبغي أن يتضمن الجمال الفني المنشود . والاّ كان لغو كلام - نراه يخطر مرة ثانية الى تذكير كتاب القصة القصيرة بأنهم أدباء ، وأن الأدباء هم أطباء المجتمع ومصلحوه ، وأصحاب رسالة تهدف الى خيره ، **ولهذا لا يجوز لهم أن يجنحوا الى أساليب رخيصة من شأنها الإضرار به** ؛ سعيا الى تحقيق منافع شخصية ، يقول لهؤلاء الكتاب مذكرا بالحقيقة التي ينسونها ، أو يتناسونها في سبيل مآربهم الذاتية : " ... إنّ الأدباء إنّما يكتبون لتأديب الشعب . وتهذيبه . لا لتملقه وإغرائه "[٦].

* * *

---

(١) نقد واصلاح ، ص ١١٣.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٣.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٣.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٣.
(٥) المصدر نفسه ، ص ١١٣.
(٦) المصدر نفسه ، ص ١١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب - نقـده القصة الطويلة :

يُلاحَظ أنّ طه حسين لايسمي القصة الطـــويلة " روايـــة " البتة ، وانما يسمّيها " قصة " دائما ، مهما يكن حجمها ضخما ، مثل " بين القصرين " لنجيب محفوظ[١] ، وهو في هـــذا يعمد الى الدقة والصحة في التسمية ، على حين أنّ كثيرا من النقاد والدارسين يتورطون في الخلـــط بين مصطلحي " قصـــه " و " رواية " ، والحق أنّ ثمة فرقا بين القصة الرواية ، وأنهما ليسا شـيئا واحدا ، ومن الدارسين الذين وضّحوا الفرق بينهما الدكتور محمود السمرة ، فقد بيّـــــن أن " الرواية Romance " هي : " اللون القديم من القصص الحافلة بالبطولات الخيالية ، والسحر ، وضروب المستحيلات في عالم الواقع "[٢] ، وأما " القصة Novel " فهي " الشكل الجديـــد التي تطورت اليه الرواية ، وبه أصبحت قصة فنية ، تعالج الإنسان في واقعه "[٣] ، وهذا اللون مـــن الكتابة القصصية هو الذي يعمد اليه القاصون المعاصرون في مختلف أعمالهم .

مفهومه لفن القصـــة :

ولطه حسين رأي في طبيعة القصة ، وما ينبغي أن تكون عليه ، يلفت حقا ، لأنه يخالـــف الشائع عنها ، وقد أورد هذا الرأي في قصة له لم تكتمل ، ونشرت بعد وفاته ، وهي قصـــة " **مـاوراء النهـر** " ، وقد ذهب فيه الى القول إنّ " **القصة ليست حكاية للأحداث ، وسردا للوقائـــع ، كمـا استقرّ على ذلك عُرف الكتاب ، وانما القصة فقه لحياة الناس ، وما يحيط بها من ظروف** "[٤] .

وهو يؤمن بأنّ قواعد القصة التقليدية لا ينبغي أن تستعبد القاص ، مهما يكن الموضـوع ، الذي يعالجه ، وانّما عليه أن يتحلّل منها ، إذا رأى أن ذلك ملائم لموضوعه الذي يصـــوّره ، يقول : " ... إني من أنصار الحرية في الأدب ، **هذه الحرية لا تؤمن بالقواعد الموضوعة ، والحـدود المرسومة ، والقيود** ، التي فرضها أرسطاطاليس "[٥] . وهو يدعو القاص ، وهو يضع قصته الـــى

---

(١) انظر كتابه " من أدبنا المعاصر " ، ص ٨٠ .
ومن الطريف أن نجيب محفوظ يسمي " بين القصرين " رواية ، وذلك مجـــــاراة للاستعمال الشائع . (انظر كتاب " مع نجيب محفوظ " لأحمد محمد عطيـــة . ص ٢١ . منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧١) .

(٢) في النقد الأدبي ، ص ٧ ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٧ .

(٤) ماوراء النهر ، ص ٣٠ ، دار المعارف ، القاهرة .

(٥) طه حسين : فصول في الأدب والنقد ، ص ٤٥ . ط ٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عدم التقيد في أثناء الكتابة سوى بهذه " القواعد والحدود التي يفرضها على الأديب **مزاجه الخاص ، وفنه الخاص** ، وهذه الظروف التي تحيط بمزاجه وفنه ، فتصوّر أثره الأدبي في الصورة التي يخرجه فيها للناس "[١]، ولا بأس بعد هذا بأن يخرج هذا الأثر الأدبي قصة تستوفي الشروط التقليدية ، ولا بأس أيضا بأن يخرج غير مستوف لهذه الشروط كلها أو بعضها ، وحسب هذا الأثر أن يجد القارئ " في قراءته هذه **اللذة الفنية العليا** ، التي يتركها الأثر الأدبي الممتع في النفوس "[٢].

* * *

أما القاصون الذين تناول طه حسين قصصا طويلة لهم فهم : نجيب محفوظ ومحمد حسين هيكل ، ويوسف السباعي ، ومحمد فريد أبو حديد ، ويحيى حقي ، ومحمد كامل حسين ، وفتحي رضوان ، وثروت أباظة .

بين القصرين وزقاق المدق :

تناول طه حسين من قصص نجيب محفوظ قصتين ذائعتين ، وهما : " **بين القصرين** " و " **زقاق المدق** " .

أمّا قصة " بين القصرين " فهي - كما نعرف - أول قصة من ثلاثية نجيب محفوظ المشهورة ، والقصتان الأخريان هما : " قصر الشوق " و " السكرية "[٤]. وهو في تناوله لقصة " بين القصرين " خاصة ، يلفتنا بأنه يثني عليها ثناء حارا ، دون أن يذكر معه أي مأخذ فني . ويبدي إعجابا لا تحفظ فيه ، ونحن نلمس هذا منذ البداية ، وفي عنوان المقالة ، إذ جعله " **قصة رائعة لنجيب محفوظ** " ، فنعته للقصة بأنها (**رائعة**) في العنوان له دلالته النقدية ، وأكثر مايعجبه في القصة أنها على الرغم من طولها[٥] لا يدركها أي **ضعف فني** وإنما تحافظ على مستوى رفيع من الجودة . كما تحافظ على عنصر التشويق حتى النهاية ، وهو يردّ السبب في هذا

---

(١) طه حسين ، فصول في الأدب والنقد ، ص ٤٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٥

(٣) انظر " مع نجيب محفوظ " لأحمد عطية ، ص ١٤ .

(٤) وقد نشرت القصص الثلاث مابين عام ١٩٥٦ وعام ١٩٥٧ ، بعد أن استغرقت كتابتها أربع سنوات . (انظر " نجيب محفوظ يتذكر " لجمال الغيطاني ، ص ٦٥) .

(٥) تقع القصة في ٤٨٠ صفحة من القطع الكبير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى أن الكاتب " يحقّق في هذه القصة تحقيقا رائعا **خصلتين** ، يبلغ بهما الأ ثر الأدبي أقصى مايقدّر له من النّجح ، وهما : **الوحدة** التي لاتغيب عنك لحظة ، **والتنوع** الذي يذود عنك السأم ، ويخيل اليك أنك تحيا حياة خصبة ، مختلفة المظاهر والمناظر والأ حداث " (١).

ومما يعجبه في القصة أيضا أن القاص فيها **أبرع من صور الثورة المصرية** في أعقاب الحرب العالمية الاولى ، إذ صوّرها حيّة ، متغلغلة في نفوس الشعب المصري على اختلاف طبقاته ، مستأثرة بقلوب الشيوخ والشباب والصبية جميعا ، مبدّلة وجه الحياة المصرية ، وهو إذ يصوّر ذلك لم يعمد الى الألفاظ المنمقة ، وانما عمد الى الأحداث التي تفطر القلوب ، وتمزق النفوس (٢)، واذا كان النقد اللغوي جزءا أساسيا من نقد طه حسين الأ دبي للمعاصرين فإنه حين يعرض للغة القصة، يُعرب عن رضاه ، بل يعدها مصدرا من مصادر الروعة في القصة ، ذلك أن القاص لم يعمد الى العامية المبتذلة ، ولا الى اللغة الفصحى القديمة، التي يتعذّر فهمها على عامة الناس ، وانما كتب قصته في **لغة متوسطة** ، يفهمها القراء على اختلاف حظوظهم من الثقافة ، بل " يفهمها الأميون إذا قرئت عليهم ، وهي مع ذلك لغة فصيحة ، لا يجوح فيها ولا فساد ، وقد تجري فيها الجملة العامية أحيانا ، حين لا يكون منها بدّ ، فتجيء موقعها ، وتبلغ منك موقع الرضا " (٣).

وأخيرا يعود طه حسين فيؤكد ماذهب اليه في البداية ، وهو أن القصة هي **أروع قصة قرأها " منذ أخذ المصريون يكتبون القصص "** (٤). كما يؤكد أيضا أنّ قصة " بين القصرين " هي **قصة عالمية** " تثبت للموازنة مع ماشئت من كتاب القصص العالميين ، في أيّ لغة من اللغات التي يقرأها الناس " (٥)، ولهذا كله فهو لا يتردّد في الحكم لنجيب محفوظ بأنه " **أبرع القصّاص المصريين** " (٦)، وهنا نلاحظ أنه لا يستثني نفسه منهم .

* * *

وأما قصة " **زُقاق المدق** "فهي تنال قدرا كبيرا من رضاه ، ولكنه لا يصل الى القدر الذي حظيت به القصة السابقة ، وهو يرى أن لها قيمة خطيرة من الوجهة الاجتماعية ، فهي " بحث اجتماعي متقن ، كأحسن مايبحث أصحاب الاجتماع عن بعض البيئات ، يصورونها تصويرا دقيقا ،

---

(١) من أدبنا المعاصر ، ص ٨٣.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٦.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٧.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٨١ ، ٨٦.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٨٠ ، ٨٦.
(٦) المصدر نفسه ، ص ٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويستقصون أمورها من جميع نواحيها " [١]، وهي جديرة بأن تقرأها **وزارة الشؤون الاجتماعية** ، ورجال البحث والاستقصاء ، وعلى الرغم من كثرة الشخصيات الشعبية التي يصورها نجيب محفوظ في القصة ، فإنه يعرض لها في نظام دقيق ، يذكّر بمذهب الكاتب الأمريكي **" دوس باسوس "** والكاتب الفرنسي **"جان بول سارتر "** وهو مذهب يجري القصة ، كما تجري الحياة " [٢].

ونجيب محفوظ في رأيه بارع في تصوير البيئة الشعبية ، التي يحياها أهل الزّقاق ، وهي حياة ساذجة ، ومعقدة ، سعيدة وبائسة ، حتى إنّك تشاركهم حياتهم ، وكأنك تعيش بينهم ، فتضحك حين يضحكون ، وتكتئب حين يكتئبون ، كذلك هو بارع في تحليل نفوس شخصياته ، سواء أكانوا من الرجال أم كانوا من النساء ، فهو " يعرض عليك خباياها عرضا قلما يحسنه البارعون في علم النفس " [٣].

ولغته في القصة فصيحة سهلة ، خالية من التكلّف ، تتخللها أحيانا عبارات شعبية ، تبدو حسنة غير نافرة ، ولكنّ طه حسين يلاحظ مع هذا أنّ القاص يقع أحيانا في **الخطأ اللغوي** ؛ إذ يثنّي **(ذات)** فيقول : **(ذاتا** نبقتين من اللؤلؤ) والخير أن يقول : **(ذواتا)** ، وهو يقول : **(استخار الله فأخاره)** والجيد أن يقول **(فخار له)** ، ولكنّ هذه هنات يسيرة ، وهي بعد قليلة " [٤]، وهو يحكم أخيرا للقصة بأنها **قصة فن وعلم** في وقت واحد ، وهي لذا مُرْضية للقلب والعقل والذوق جميعا [٥] ، وهي قصة ممتازة ، قد صدرت عن قاص ممتاز ، وجديرة بالقراءة حقا [٦].

هكذا خلقت :

وقد عرض طه حسين لقصة الدكتور محمد حسين هيكل **" هكذا خلقت "** ونلاحظ أن موقفه النقدي منها ، يتناقض وموقفه السابق من قصتي نجيب محفوظ ، فهو يرى أنها تعاني من عيوب فنية عدّة ، ذلك أنها بطيئة الإيقاع ، ويعمد القاص فيها الى تفصيل الجزئيات ـ التي لا تحتاج الى تفصيل ، مما يبعث على السأم ، وإذن فالقصة في رأيه تفتقر **الى عنصر التشويق ، الذي يراه ضروريا لكل قصة "** [٧].

---

(١) نقد واصلاح ، ص ١١٥ ـ ١١٦.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٩.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٣.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٣.
(٥) المصدر نفسه ، ص ١١٦.
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٢٤.
(٧) من أدبنا المعاصر ، ص ١٦ ـ ١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهـو يلاحظ أن هيكلاً غير موفّق في تصويره **لشخصية** قصته ، فهي تبدو شـخصية غير متزنة ، مرة تتحول الى الدين ، وتحج وتجاور ، وأخرى تتحول الى الشك في الدين • وهـذا فـي حدّ ذاته ممكن الوقـوع للناس في حياتهـم ، ولكنّ تصوير القـاص لهذا الا ضطراب لا يبـدو متقنـا أو مقنعا ، ويرده طه حسين الى أنّ محمد حسين هيكل قد نسي شخصيته ، **وأقـام نفسه مُقامها** في خاتمة القصة " فهذه الخاتمـة لا تصوّر سيدة ، وانما تصوّر كاتبا مفكرا ، مالكـا لأمره كله ، يفلسف الأحداث وحقائق الحياة الواقعة ، ويشك فيما يسميه الناس العبرة ، شـكا يهيىء له أسـبابه ووسائله " (١) ، وهذا الكاتب الذي يفكر ويشك ويفلسف هو **هيكل نفسـه** ، يقول منكرا على القاص أن يتحـدث مقيما نفسه مقام شخصيته : " هذا الكاتب يشـبه صديقنـا هيكلاً ، شبهها قريبا جدا ، وقد كنت أحب أن ينسـى الكاتب نفسه في خاتمة القصة ، كما نسـي نفسه في أكثر أجزائها " (٢) .

وأما من حيث اللغة فيلاحظ أنّ هيكلاً يقع في **أخطاء لغوية** كثيرة في قصته . وفضلا عـن هذا ، فهو يلاحظ أنه قد وقع في **خطأ علمي** ، وذلك حين جعل البطلة تطلب من زوجها الثـاني أن يتبنّى ابنها . وهنا يلفته إلى أنّ الاسلام قد أبطل هذا النوع من التبنّي . ينزل في ذلك **قرآن** الذي تبنّى نبيّه الكريم لمولاه **زيد بن حارثة** ، والسيدة في القصة مسلمة متديّنة ، فكيف اسـتباح القضاء المصري لنفسه مخالفة الدين كما ورد في القصة ؟ ، واذن فمرد هذا الخطأ الى سـهو الكاتب (٣) . ومع أنّ طه حسين في نهاية نقده ، يحاول أن يهوّن من المآخذ الفنية التي أخذهـا على قصة الدكتور هيكل ، فإنّ قارىء هذا النقد يخرج بانطباع واضح ، وهو أنّ القصة في رأي طـه حسين مخفقة من الناحية الفنية إخفاقا ذريعا •

* * *

" إني راحلة " و " رد قلبي " :

وقد تنـاول طه حسـين قصتين ليوسـف السـباعي وهما : **" إنّـي راحـلة " و " ردّ قـلبي "** •

وهو ينكر عليه - أول ماينـكر - التعجّل في الكتابـة القصصية ، مستدلا على هذا بأنه كتـب قصة ضخمة ، تتجاوز صفحاتها المئات الأربع في عشرين يوما ليس غير (٤) ، وقد نجم عن هذا التعجل في الكتابة أن خرجت القصة تعاني من **عيوب كثيرة** •

---

(١) من أدبنا المعاصر ، ص ٠١٩

(٢) المصدر نفسه ، ص ٠١٩

(٣) المصدر نفسه ، ص ٠١٨

(٤) نقد واصلاح ، ص ٠٩٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هذه العيوب التي تزري بالقصة **المصادفة المتكلفة** ، **والمفاجأة** التي تبدو نابية ، لا يسيغها العقل أو الذوق ، وهذا العيب في القصة " يوشك أن يفسدها ، لولا أنه يقع في آخرها " [١] ، وهو يلاحظ أنّ يوسف السباعي غير **مستكمل لأدوات القصة الضرورية** من حيث اللغة ، ذلك أن ضعفه اللغوي ظاهر ، منكر ، حتى إنّه **ليذكّر المؤنث ، ويثني ماحقه أن يكون مجموعا ، ويمزّق الخيط ، والشعر** [٢] .

وهذه العيوب التي تبدو في قصة " **إني راحلة** " ، يمكن ملاحظتها أيضا في قصة " **ردّ قلبي** "، ولكن على نحو أكثر وضوحا ، فالقاص قد تعجل في كتابة قصته الثانية ، التي تتجاوز صفحاتها " الألف، ثم تتجاوز المائتين بعد الألف " [٣] . وقد نجم عن هذا التعجل أنّ القاص أساء الى قصته أبلغ اساءة ، إذ أهمل العناية بسلامة اللغة **إهمالا مروّعا** في رأي طه حسين ، حتى بدا له وكأن يوسف السباعي يستخف باللغة الفصحى ، ويزدريها ، ذلك أنه قد " تورط في **فنون من الهُجن** ، لا تخطر لكاتب ، ولا لقارىء على بال ، وكأن القصة ظلت على الكاتب نفسه ، فعني باللغة في أولها ، ثم أدركه السأم ، فأرسل قلمه بغير حساب " [٤] . وهنا يجهر طه حسين بغيرته على الفصحى في العمل الأدبي ، ويظهرنا على ماينتابه من شعور ، إذ لا حظ إهمالها إهمالا شديدا ، على نحو مافعل السباعي ، يقول : " ... **راعني مافيها من استخفاف بالفصحى** ، ... وكأنه قد اطمأنّ الى أن مثلي من الذين يتحرجون في اللغة لن يقرأوا هذه القصة الى آخرها ، فأطلق نفسه على سجيتها ، وكتب غير حافل بخطأ أو صواب ... ، ولكن أؤكد له ناصحا أنّ هذا الإهمال **يشين قصته حقا ، ويسيء إليها** " [٥] .

وفضلا عن هذا المأخذ الخطير ، فهو يأخذ على القصة أيضا كثرة **المفاجآت ، والأحداث العنيفة** ، التي يتبع بعضها بعضا ، في سرعة خاطفة ، وخلا ل هذه الأحداث يسفك الدم غزيرا ، وينطلق الرصاص بحساب ودون حساب ، و " كل هذا يهبط بالقصة " [٦] ، وطه حسين يعتقد أن القاص فيه ينظر الى **السينما** ورواج الأفلام في مصر ، ولا ينظر الى **الفن القصصي الرفيع** ، مما جعله يُنهي قصته الطويلة أسوأ نهاية ، وهنا نجده يلتفت الى كتاب القصة ، طالبا أن يأخذوا

---

(١) نقد واصلاح ، ص ٩٥.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٤.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٧.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٦.
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٠٦.
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العبرة مما حدث لقصة السباعي من إخفاق ذريع ، محذرا من مغبة النظر الى **السينما** في أثناء الكتابة القصصية ، قائلا : " متى يتاح لكتابنا أن يراقبوا أقلامهم ، وأن يمتلكوا أنفسهم ، وألاّ يستجيبوا لهذه **الدعوة الخطيرة** التي تدعوهم اليها **السينما، والتمثيل الرخيص** " (١) .

* * *

" أنا الشعب " و " زنوبيا " :

وقد عرض طه حسين بالنقد لقصتي محمد فريد أبو حديد **" أنا الشعب " و " زنوبيا "** ، فلاحظ عنده ميزة افتقدها عند القاص السباعي ، وهي أنه في كتابته القصصية " لا يحب العجلة ، ولا يطمئن الى السرعة ، وانّما يطيل الوقوف عند مايريد درسه من شؤون الأفراد والجماعات ، حتى يشفي نفسه ، ويشفي قارئه من كل حاجة الى الاستطلاع " (٢) ، كما لاحظ أنه يُعنى بلغته عناية جيدة .

وقد نجم عن تأنيه في الكتابة ، وعنايته بلغته ، أن قدّم لقارئه قصتين على قدر من النجاح الفني . وقد لاحظ أنه في قصته " أنا الشعب " بارع في **تصوير الحياة الإنسانية ، ورسم الشخصيات المتباينة في عواطفها** (٣) ، فالقصة إذن ناجحة شيئا ما ، ولكنّ الذي يجعل نجاحها محدودا أنّ القاص لم يُعنَ فيها بالأحداث الخفية ، التي كانت تتفاعل في **أعماق الشعب ، وتهيّئه للثورة** ، كما أنه لم يعن بتصوير **بؤس الجماعات** ، وضيقها وطموحها الى الخلاص منه ، ولم يعنَ بتصوير الهوة العميقة **بين الحاكمين والمحكومين** ، ولم يصوّر عبث الحكام وتردّدهم واضطرابهم ، ولذا فطه حسين يرى أنه لو عني بتصوير هذه العلل والآفات ، التي أفسدت حياة المصريين ، لظهر للقارىء من خلال القصة أن قيام الثورة كان طبيعيا ، متوقعا ، ولم يكن مفاجئا كما بدا في القصة (٤) .

وأما قصته الثانية **" زنوبيا "** ، فهي مقاربة في مستواها الفني من القصة الأولى ، ذلك أنّ القاص في كلتا القصتين يصدر عن شخصية خاصة ، واضحة قوية ، عذبة (٥) ، وهو يلاحظ فيها أنّ

---

(١) نقد واصلاح ، ص ١٠٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٣٦ .
(٥) فصول في الأدب والنقد ، ص ٤٨ ـ ٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القاص يحسن تصوير البيئة ، حيث تشيع روح البطولة ، ولذا فشخصيات أبطاله تمتاز **بالبطولة الحقة** ، وبأن عواطفها بريئة ، ومما يحبّب بالقصة أن القارىء يرى فيها مرآة لذات نفسه ، يقول: " وليس قليلا أن ترى نفسك في مرآة تصوّر الأبطال الممتازين "(١).

* * *

صحّ النوم :

وقد عرض طه حسين لقصة يحيى حقي " صح النوم " فأخذ عليه أنه حين صوّر بيئة القرية المصرية ودور المصريين ولغتهم الشعبية في الريف ، قد ارتكب **خطأ** ، أساء فيه الى **واقعية قصته** ، وذلك إذ صوّر في القرية **حانة** ، يتردّد عليها أهل القرية ، كلما فرغوا من أعمالهم ؛ على حين أن هذه الحانة كما تصورها القصة ، لا توجد في الريف المصري حقا ، لأنه لا يعرف لأهل الريف المصري الاخلاص لصناعة صاحب الحان ، ولأنّ بناء الحانة كما يصوره القاص **غير مألوف في القرى المصرية** ، " هذا البناء الذي تقام الحانة في أسفله ، ويسكن صاحب الحانة وزوجه في أعلاه ، وتفرغ ربة البيت لتدبير الحانة وترتيبها ، إذا أسفر الصبح ، ثم تعود الى بيتها ، لتفرغ فيه الى واجباتها "(٢).

وطه حسين لا يشك في أنّ هذه الحانة غير المألوفة في الريف المصري ، التي يصورها القاص هي مألوفة **في القرى الفرنسية والإيطالية** ، وأن روّادها وانْ بدا أنهم مصريون في أشكالهم وصورهم ولغتهم - ليسوا مصريين في أطوارهم وأذواقهم وأعمالهم وحديثهم ، وانما " كل ذلك أجنبي قد نقل الى مصر نقلا ، نقل من فرنسا أو نقل من إيطاليا ، أو نقل من أيّ من هذه البلاد ، التي أقام فيها يحيى حقي إقامة طويلة أو قصيرة "(٣).

وهذا **الخطأ الفني** الذي ارتكبه القاص ، قد جعل أشخاص قصته يبدون وكأنْ ليس بينهم وبين الريف المصري إلاّ أسباب واهية ضئيلة(٤).

وبذا يكون الكاتب قد أساء الى واقعية قصته إساءة بالغة ، على الرغم من أنه موفّق في بعض النواحي الفنية ،كالناحية اللغوية ، فلغته القصصية **شعرية** جيدة .

---

(١) فصول في الأدب والنقد ، ص ٤٨.

(٢) نقد واصلاح ، ص ١٥٥.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٥.

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرية ظالمـــــة :

يحبذ طه حسين وجود **القصة الفلسفية** في الأدب العربي الحديث ، على نحو ماتوجـــد فـي الأدب العالمي ، ذلك أنها إذا كانت عميقة متقنة ، فإنها تتيح للقارىء أن يقرأها بعقله في أنـاة ومهـل ، وفي تدبّر وتفكّر [١] ، ولذا فهو يتناول قصة " **قرية ظالمة** " للدكتور محمد كامل حســين ، لأنها فلسفية تاريخية ، ولأن القصص الفلسفي في الأدب العربي المعاصر قليل ، وهو يلاحـظ أن زمن القصة قصير جدا " لا يكاد يتجاوز يوما وليلة ، وهو الوقت الذى امتحن فيه المسيح ، حيـن تألّب عليه بنو إسرائيل ، وأرادوا به الكيد ، وأما المكان فهو أورشليم " [٢] .

والقصة في رأيه شائقة ، لأنها تقوم على الصراع المتصل بين **ثلاث قوى** ، تألفت منها حيـاة الإنسان ، وهذه القوى هي : **الحياة الغريزية ، وقوة العقل ، وقوة الضمير** [٣] ، وهي أيضا ممتعـــة ، لأنها تثير كثيرا من مشكلات الحياة الإنسانية .

ومأخذ طه حسين الوحيد عليها هو أنّ القاص يظلم **الجماعات** . ويحمّلها من التبعات أكثـر مما ينبغي ، يقول : " والذي نعلمه أنّ القادة والسادة هم الذين يضلّون الجماعات . ويورطونها في الخطأ ويدفعونها الى كثير من الآثام " [٤] .

* * *

دمـــوع أبليـــــس :

وأمّا القصة الفلسفية الثانية التي يتناولها فهي قصة " **دموع إبليس** " **لفتحي رضوان** ؛ ويـــرى أنها قصة صارمة في فلسفتها ، ذلك أنّ كاتبها يفلسف كل شيء ، بل يفلسف كل كلمة و "موضوعها نفسه فلسفي ، وهو الصراع بين الخير والشر في حياة الإنسان ، والشيطان جميعا ، وحوارهـــــا فلسفي منذ يبدأ الى أن ينتهي " [٥] .

وهو بعد أن يقدم خلاصة لها يخلص الى الحكم لها بأنها متقنة ، شائقة ، قد كتبت بلغة قصصية مناسبة ، " لولا هنات تعترض هنا وهناك ، ولكنها قليلة الخطر " [٦] .

---

(١) نقد واصلاح ، ص ٦١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٧٣ .
(٥) من أدبنا المعاصر ، ص ٩٢ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هارب من الأيام :

لقد كان طه حسين يلاحظ أنّ القصّاص الشباب في الخمسينيات يشغفون **بالواقعية والالتزام** ، كما كان يلاحظ أنهم في بعض أعمالهم القصصية كانوا يسيئون اليهما أحيانا ، من حيث لا يقصدون ، وقد تناول قصة **" هارب من الأيام " لثروت أباظة** ، وبيّن أنّ القاص فيها قد أساء الى الواقعية والالتزام معا ، من حيث يريد الإحسان فيهما ، وأوّل ما أخذه عليه **عنوان القصة** نفسه ، فقد ذهب الى أنه متكلّف ، " إنّما راق المؤلف ، لأن فيه شيئا من الغرابة والغموض " (١) .

وأما الواقعية في القصة فهي " واقعية في تفصيلها ، ولكنها ليست واقعية في جملتها ، ولا في غايتها " (٢) ، لأنها تسيء الى **واقع الحياة الاجتماعية** والناس دون أن يقصد الى ذلك القاص ؛ إذ " **ليس من واقع الحياة أن يتخذ الناس الإثم والمنكر وسيلة الى الخير ، وأن يتخذوا هذا الخير نفسه ، وهو إعطاء الفقراء وسيلة الى اقتراف الجرائم والآثام** " (٣) .

وهذا مايصوره القاص على أنه واقع يحدث في الريف ، وطه حسين يرى أنّ خيال القاص في ماصوّره ربما يكون قد تأثر بأخبار **الصعاليك** في الجاهلية ، وفي بعض الأمصار الإسلامية بعد الاسلام ، ولكنه ينبّهه الى أنّ عصر الصعاليك قد انقضى ، وما ينبغي أن يعود، لأنّ صيغة الأخذ من الأغنياء والردّ على الفقراء ، " مكانها الملحوظ في فرض **الزكاة** ، وتحبيب الصدقة الى الناس " (٤) .

وأخيرا يخلص الى الحكم على القصة بأنّ واقعيتها تعود بالضرر على المجتمع ؛ لأنّ القصة سيقرأها " ... الراشدون **والقاصرون** ، ويقرأها العقلاء **والأغرار** ، وقد ينخدع بعض هؤلاء ، عن بعض مايقرأون ، وقد يصادف من نفوسهم مواطن الضعف ، وقد يورطهم ذلك في بعض مايسوؤهم ، ويسوء الناس بهم " (٥) .

* * *

---

(١) من أدبنا المعاصر ، ص ١٨٣.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٨٤.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٩٣.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٩٤.
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(جـ) دراســـاته في المســـرحيّة .

تكاد تكون المسرحية هي الفن الأدبي الوحيد ، الذي لم يعالجه طه حسين ، ولكنه مع هـذا قام بترجمتها مبكرا ، ذلك أنّه نشر كتاب " **صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان** " في عام ١٩٢٠ ، وكتاب " **قصص تمثيلية** " في عام ١٩٢٤[١] ، ثم نشر ترجمة " **انتيجونا** " لسوفوكليس في عام ١٩٣٨ ، ونشر كتاب " **من الأدب التمثيلي اليوناني** " سنة ١٩٣٩ ، وترجم " **اندروماك** " لراسين ، ونشر كتاب " **من أدب التمثيل الغربي** " سنة ١٩٥٩[٢] .

واذن يمكن القول : إنه يصدر في نقده للمسرحية ، **أو للقصة التمثيلية - كما يسميها دائما -** عن معرفة عميقة ، وثقافة واسعة ، وأمّا الكتاب والشعراء ، الذين تناول أعمالا لهم ، فهم : عزيـــز أباظة ومحمود المســعودي وتوفيق الحكيم .

شـهريار بين عزيز أباظة وجول سوبر فييل :

قارن طه حسين بين تمثيلية عزيز أباظة الشعرية " **شهريار** " وبين تمثيلية فرنســـية تعالج الموضوع نفسه للشاعر " **جول سوبر فييل** " فلاحظ أن الفن عند الشاعر المصري وسيلة أكثر من غاية ، على حين أنه لدى الشاعر الفرنسي هو الغاية ، وليست غايته السياسة أو الأخلاق[٣] ، كما لاحظ أنّ الشاعر الفرنسي لا يتكلف النظم ، ولا يعاني منه ، لأنه يكتب تمثيليته نثـــرا ، أو " يكتبها **شعرا منثورا** ، ولا يكاد يعمد للشعر المنظوم إلاّ قليلا ، وهو من أجل ذلك لا يشق عـــلى نفسه ، ولا يشقّ على الناس ، ولا يشغلهم عن قصته بأوزان الشعر وقوافيه "[٤] .

وأمّـا عزيز أباظـــة فتمثيليـّته كلها **شـــعر** ، ولذا فقد " كلّفه ذلك ، وكلّـــف قـراءه ، ونظّارتـــه **ثُقلا ثقيـــلا** "[٥] .

وقد لفته أن الشاعرين : العربي والفرنسي قد اختلفا في معالجة الحكاية الواحدة ، ذلـــك

---

(١) انظر " حول كتاب في الشعر الجاهلي " للدكتور ناصر الدين الاسد ، ص ٢٢٧ .
(٢) انظر كتاب " المرايا المتجاورة " للدكتور جابر عصفور ، ص ٤٩٧ - ٤٩٨ .
(٣) من أدبنا المعاصر ، ص ١٤٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن **الفرنسي** قد نحا بالحكاية في النهاية منحى **إيجابيا** " فأخلص الملك لشهرزاد ، وأخلصت شهرزاد للملك " [١] ، على حين أن **عزيز أباظة** قد " أخلص الملك للّه ، وأخلص شهرزاد **لليأس والبكاء** ، ولم يرد أن يريحنا ، وأن يظهرها لنا راضية ، قد وجدت في سعادة الملك والشعب عزاء وأملا " [٢] .

وهكذا نلحظ أن طه حسين يخلص من المقارنة بين الشاعرين الى أن **الفرنسي أكثر نجاحا من الناحية الفنية** .

على أنه يتساءل بعد المقارنة : هل استقام الشعر لعزيز أباظة في تمثيله ، كما يريد هو ، وكما نريد نحن ؟ ، ثم يجيب: إن الشاعر اضطر أحيانا الى أن **يهبط بالشعر** ، لأن قصته قد طالت ، ولم يستطع أن يحتفظ للشعر فيها بما ينبغي له من السمو والارتفاع ، كما أنه قد **خالف التقليد الفني في حوار الجوقة** [٣] ، ويضرب مثالا لهبوط الشعر في القصة التمثيلية بقول الشاعر فيها :

وهكذا يُطوى سجلُّ الحياهْ ... في **ذلك** القصرِ المقيت الرهيب
بينَ سُعارٍ يتمادى لظاهْ ... وشقوةٍ تطغى ودمعٍ صبيب
الهولُ مَضْروبٌ علينا مطاهْ ... والقلقُ الأسودُ ملءُ القلوب

فقد أخذ عليه أنه قال في عجز البيت الأول " **ذلك** " وهو اسم اشارة للبعيد ، على الرغم من قرب القصر ، كما أتى بكلمة (**التمادي**) في البيت الثاني ، وبكلمة " **المطي** " في البيت الثالث ، تكلفا ، من أجل إقامة الوزن ليس غير [٤] .

وقد أخذ على عزيز أباظة أيضا أنه لم **يلائم بين الوزن والقافية وبين الموضوع الذي عالجه** . وأنه مثل شعراء التمثيل العربي الآخرين ، قد تنقّل في قصته تنقلا سريعا ، ممضا ، بين أوزان الشعر المختلفة ، وبين القوافي التي لا تكاد تحصى [٥] ، وهنا يقترح طه حسين أن يلتزم شاعر التمثيل **وزنا بعينه** في كل فصل ، حتى يريح القارىء من إزعاج الصعود والهبوط .

* * *

---

(١) من أدبنا المعاصر ، ص ١٤٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٩ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السـد :

وقد تناول للشاعر التونسي **محمود المسعودي** تمثيلية شعرية أيضا عنوانها " **السد** " ، اتفق أن قرأها فلم يتردّد في الكتابة عنها ، لأنه وجدها كما يقول : " **قصة تمثيلية رائعة ، ولكنها غريبة كلّ الغرابة** " [١] ، إذ إنّ الشاعر قد وضع فيها قلبه ، وعقله ، واتقانة الممتاز للعربية ، وبراعته الفنية ، كما إنّ موضوعها فلسفي ، يثير التفكير ، فهي إذن في رأيه " قصة فلسفية ،كأحق وأدق ماتكون الفلسفة ، ونستطيع كذلك أن نقول : إنها قصة شعرية كأروع وأبرع مايكون الشعر " [٢] .

وهو يذهب الى أن المسعودي متأثر من الناحية الفلسفية بالفيلسوف الفرنسي " **البيركامو** " كما أنه متأثر بالأدب العربي القديم ، وبظروف وطنه تونس ، ويلاحظ أن قصته التمثيلية **رمزية** ، عمد فيها الشاعر الى تصوير فكرته بالرمز والإيماء ، وأن اللغة كانت طيعة له ، وأن شعره فيها غامض موح ، إذ ليس بالمتعذر فهمه ، والمأخذ الوحيد الذي يأخذه عليه هو أن **لغته فيها شيء من العسر** ، " فهو قد نحتها من صخر ، كأنه اشتقها من الجبل الذي تجري عليه القصة ، فأضاف عسر اللفظ الى عسر المعنى ، وعسر الأسلوب " [٣] .

على أنّ هذا المأخذ لا يمنعه من أن يحكم للتمثيلية بأنها ناجحة في النهاية ، بل إنه يذهب الى القول عن صاحبها : لقد " وفّق توفيقا ما أعلم أنه أتيح **لأديب عربي معاصر من الرمزيين** ، لأن أدباءنا **الرمزيين** في الأوطان العربية على اختلافها ، لم يبلغوا من تطويع اللغة العربية لفنّهم ، مايتيح لهم الإتقان ، والإبداع ، فهم مازالوا في طور المحاولة والتجربة " [٤] .

* * *

نقـده مسـرح الحكيـم :

ونحسب أن الناثر المسرحي الوحيد الذي تناول طه حسين مسرحيات له هو **توفيق الحكيم** ، وقد بدأ هذا التناول مبكرا ، حين أصدر الحكيم مسرحيته " **أهل الكهف** " في عام ١٩٣٣ ، ثم قدمت الى طه حسين ، فلما قرأها أعجب بها أيما اعجاب ، ثم كتب يقرظها ، ويبشر بظهور القصص التمثيلي المتقن لأول مرة باللغة العربية .

---

(١) من أدبنا المعاصر ، ص ١١٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢١ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٧ ـ ١١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذهب في تناوله لها إلى القول : إنّها حادث **ذو خطر**، يؤرّخ في الأدب العربي **عصرا جديدا** ، ذلك أنّها " **أوّل قصة وضعت في الأدب العربي ، ويمكن أن تسمى قصة تمثيلية حقا** ، ويمكن أن يقال : إنها رفعت من شأن الأدب العربي ، وأتاحت له أن يثبت للآداب الأجنبية : الحديثة والقديمة " [١] . وقد علّل حكمه هذا لها بأنها يمكن أن **تترجم** الى اللغات الأوروبية ، وأن يجد فيها الأوروبيون **المتعة الفنية المنشودة** .

على أنه لاحظ فيها عيبين : **الأول** تورط الكاتب في **أغلاط لغوية ونحوية** كثيرة : بعضها يمس الأسلوب ، وبعضها يمس تركيب الجمل ، ولذا فقد اقترح عليه أن يعيد طباعتها ، بعد أن يصلح مافيها من أخطاء ، بل لقد تطوع طه حسين نفسه أن يصلح هذه الأخطاء [٢] .

وأما العيب الثاني فيتصل بالتمثيل نفسه ، فقد لاحظ أن الفلسفة فيه غلبت ، وأنّ الشعر قد غلب الكاتب ، فهو لم يراعِ حقوق النظارة ، إذكان يطيل في مواضع تقتضي الإيجاز ، ويفصل في مواطن كان ينبغي أن يوجز فيها ، وتعمق في مواضع كان يجب أن يكتفي فيها بالإشارة ، وقد ذهب الى أن هذا العيب له خطره ، لأنّ من شأنه أن يجعل التمثيلية تصلح للقراءة أكثر من التمثيل ، على حين أنّ طه حسين حريص على أن تمثّل ، لأ ن تمثيلها جدير أن يضع يد الحكيم " على مافيها من عيب فني ، وسيمكّنه من اتّقاء هذا العيب في قصصه الأخرى ، ومن إصلاحه في هذه القصة " [٣] .

ولكن على الرغم من هذين العيبين فإنّ التمثيلية تستحق كلّ ثناء في رأيه ، لأن الحكيم **لم يكن مقلّدا للأوروبيين تقليدا خالصا** ، وانما كانت قصته التمثيلية مزاجا معتدلا من الروح المصري العذب ، والروح الأوروبي القوي ، ولأنه استطاع أن يستلهم الموضوع الديني ، فينشىء أثرا فنيا بديعا ، ولأنه بعث في أهل الكهف الحياة ، وأدخل في قصتهم عنصرين : **عنصر الفلسفة ، وعنصر الحب** [٤] ، وأخيرا لأنه **مستكشف** للقصة في الظاهر ، ولكنه في الحقيقة **مخترع لها** " قد خلق أشخاصها خلقا جديدا ، وأدار بينهم من الحوار الفلسفي ، مالم يكن يخطر لأحد على بال " [٥] .

---

(١) فصول في الأدب والنقد ، ص ٨٥ ،
وانظر مجلة الرسالة : ص ٣٧ ـ ٣٩ ، عدد (٩) ـ ١٩٣٣ .
(٢) فصول في الأدب والنقد ، ص ٨٩ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٨٦ ـ ٨٧ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لهذه الميزات الفنية كلها ، لا يتردّد طه حسين أخيرا في الحكم للحكيم بالبراعة الفائقة ، بل يذهب الى القول عنه : إنه " **قد فتح في الأدب العربي فتحا جديدا ، لا سبيل الى الشك فيه** "(١).

* * *

ثم عرض طه حسين عام ١٩٣٤ لمسرحية أخرى للحكيم ، هي " **شهرزاد** " ، فلاحظ أن الكاتب قد أفاد من النقد السابق ، إذ تجنّب الكثير مما أخذه عليه في مسرحية " أهل الكهف " ، فقد تجنّب الاطالة دون داع ، واهتم باللغة والنحو ، والتزم بأصول التمثيل ، وجاءت الملعب (المسرح) " فصناعة القصة دقيقة ، والملاءمة فيها بين الفن الأدبي ، واضحة موفقة "(٢).

على أنه أخذ عليها أن مستواها يرتفع عن أكثر النّظارة ، ولا يكاد يفهمها سوى أصحاب الثقافة الممتازة ، يقول : " فهي من هذه الناحية **مخفقة** ، إنّ عرضت على النظارة في يوم من الأيام ، سيسمع الناس كلاما حسنا ، يفهمون بعضه ، ويلتوي عليهم أكثره ، فيضيقون به ، ولمّا يشهدوا من هذه القصة منظرا ، أو منظرين "(٣) ، كما ذهب الى أنه لا يُوجد ممثلون مثقفون في مصر ، يستطيعون أن **يلعبوا** القصة على نحو ماينبغي ، فضلا عن أن يعرضوها عرضا صادقا على النظارة ، يتلاءم وجمالها واتقانها ، فهي إذن **ستقرأ ليس غير** ، لأنّ الحكيم كان عميقا في معالجة الموضوع ، إذ اتّجه الى العقل أكثر من الشعور ، فالقصة التمثيلية " لا تعالج شيئا أقلّ ، ولا أدنى من هذه المسألة اليسيرة ، التي عجزت **الفلسفة** الإنسانية عن حلها الى الآن ، وهي **مسألة الحقيقة** : ماهي ؟ وماذا يمكن أن تكون ؟ "(٤) ، على حين أن معالجة المسألة هذه ، **أو الحوار الإفلاطوني** في رأي طه حسين " لم يخلق للملعب ، وللملعب المصري بنوع خاص "(٥).

وعلى الرغم من أنه خلص الى أنّ القصة التمثيلية " أثر فني ، متقن ، ممتع ، دقيق الصنع ، بارع الصورة ، خليق بالبقاء - وبالبقاء الطويل "(٦) - فإنه في الوقت نفسه تمنّى على الحكيم **المزيد من العناية بفنه ، وتكميل ماينقصه من أدوات** ، إذ إنه مازال في حاجة الى مزيد من الدرس والتحصيل ، ليبلغ أشده في فنه الجديد ، وفي حاجة الى **قراءة المزيد من كتب الفلسفة** ،

---

(١) فصول في الأدب والنقد ، ص ٨٩.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٣.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٤.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٤.
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٠٤.
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" ليقول عن علم ، ويفكر عن هدى ، وهو في حاجة الى أن يعنى باللغة ، ويتقنها ، ليستقيم له التعبير عما يعرض له من الخواطر والآراء " (١).

ومن المعروف أن هذا النقد لم يعجب توفيق الحكيم ، وأدى الى خصومة بينه وبين طه حسين ، على نحو ماسوف نرى في محاورتهما خلال الفصل القادم .

ولقد عرض طه حسين أيضا لمسرحية الحكيم " **براكسا ، أو مشكلة الحكم** " (٢)، فذهب الى أنها تمثيلية لا تحزن ولا تسر ، ولا تبكي ولا تضحك ، وانّما تتيح لقارئها " ساعة هينة ، لينة ، نقرأ فيها كلاما هينا لينا ، لا يخلو من لذة ، ولكنه لا يحدث في النفس شيئا ، ولا يدعو النفس الى التفكير ، فضلا عن أن يدعوها الى عمل " (٣).

وهو يرى أن الحكيم قد قصد فيها الى **السخرية** من مشكلات الحكم ، وما يحتسب له فيها أنه وضع أثرا أدبيا ، وصل فيه أسباب الأدب **المصري الحديث بأسباب الكوميديا اليونانية** (٤).

وطه حسين المعجب بالثقافة اليونانية عامة ، وبالتمثيل اليوناني خاصة ، يرى أنّ الحكيم حين يصل أسباب الأدب العربي الحديث بأسباب الكوميديا اليونانية القديمة ، يكون قد حقّق إنجازا مهمّا ، إذ إنّ هذا الوصل " **ليس بالشيء القليل** " (٥).

أهمية الدراسات ودلالتها

يبدو واضحا أنّ جهد طه حسين في نقد القصة والمسرحية **قليل** بالقياس الى جهده في نقد الشعر ، وذلك لأنه لم يهتم بنقدهما اهتماما ملحوظا إلاّ في الطور الأخير من حياته الأدبية ، ولا ريب أنه كان لهذا الاهتمام أسبابه القوية ، فقد تنبّه في هذا الطور الى أنّ **جيلا جديدا** من الأدباء الشباب ، قد أثبت وجوده حقا ، واستكشف -كما يقول- أنّ في آثار هذا الجيل " أدبا خليقا

---

(١) فصول في الأدب والنقد ، ص ١٠٦.

(٢) نشر الدراسة أول مرة في مجلة الرسالة : ٤٥ - ٤٨ ، العدد (١٤) ، ٤ ابريل - ١٩٣٩.

(٣) فصول من الأدب والنقد ، ص ١٣٠.

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٣١.

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالعناية والرعاية " [١]، وحينئذ قرر أن يولي هذا الجيل شيئا من عنايته ، وأن يتناول هذه الآثار بالنقد والدرس بين حين وآخر ، ولكنه خلال ذلك لاحظ أن الأدباء الشباب - في الخمسينيات - لهم شغف خاص بكتابة **القصة** ، على حين أن اهتمامهم بالفنون الأدبية الأخرى كالشعر ، قد أخذ يقل ، وقد لفتته هذه الظاهرة في مسيرة الأدب العربي ، حتى إنه تساءل : " ... **مابال شبابنا يغرون بهذا الفن ، دون غيره من الفنون ؟** " [٢].

ومع أنه أقرّ بأنّ فن القصة قيّم وممتع ، فقد ذهب في الوقت نفسه الى أنّ ثمة فنونا أدبية أخرى ، هي أيضا قيمة وممتعة ، واذن فما العلة في إقبال الأدباء الشباب على كتابة القصة أكثر من غيرها ؟ وهنا نجد طه حسين الذي لاحظناه يعني بدراسة كل جديد لافت يظهر في الأدب العربي خلال مسيرته ، يقول في اهتمام عام ١٩٥٦ : " هذه ظاهرة تحتاج الى شيء من الدرس والتفسير ، **وعسى أن أفرغ لذلك يوما ما** " [٣].

ولكن يُلاحَظ أنه لم يتح له دراسة الظاهرة ، كما يُلاحَظ أنّ نقده الأدبي قد أخذ يتجه منذ بداية النصف الثاني من هذا القرن الى القصة أكثر من الشعر ، ولا ريب أنّ السبب يعود الى متابعته لأدب الشباب من جهة ، ولإيمانه من جهة أخرى بأن الشعر العربي ، قد دفع الى أزمة عنيفة ، وصلت به الى حد **الافلاس** " [٤].

ثقافته الأوروبية ونقد القصة :

وثقافة طه حسين الأوروبية تظهر في نقده للقصة والمسرحية أكثر من نقد الشعر ، ذلك أنّ هذين الفنين بمفهومهما الحديث **جديدان** في الأدب العربي المعاصر ، أخذهما من الأدب الأوروبي ، والقصّاص الرواد يلتمسون في الغالب مثلهم الفني الأعلى في هذا الأدب الغربي ، ولذا فقد كان يلمح المشابهة أو التأثر أحيانا في الأعمال التي يتناولها ، **فنجيب محفوظ** مثلا يذكّر في " **زقاق المدق** " بمذهب الكاتب الأمريكي " **دوس باسوس** " وبمذهب " **جان بول سارتر** " [٥]، **وفتحي رضوان** في قصة " **دموع أبليس** " يذكّر بالقصص الأوروبي الذي دار حول الشيطان ، فقد ألهمت أسطورة " **فوست** " نفرا من أدباء الإنجليز والألمان أدبا ممتازا ، ثم انتهت الى

---

(١) نقد واصلاح ، ص ١٠٨ ، وانظر أيضا ص ٩١.
(٢) مقدمة ألوان من القصة المصرية ، ص ١٣.
(٣) المرجع نفسه ، ص ١٣ - ١٤.
(٤) انظر " تقليد وتجديد " ، ص ١٣٨.
(٥) انظر " نقد واصلاح " ، ص ١١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" هذه الآية المعروفة من آيات الشاعر العظيم **جوته** " [١]. ومن آخر الآثار التي دارت حـــول الشيطان كتاب للأديب الايطالي " **ياييني** " [٢]، بل هو لا ينسى أن يذكر أن قصاصا مصريين آخرين قد ألهمتهم قصة الشيطان ، من أمثال : **توفيق الحكيم وسعيد العريان ومحمود تيمور** [٣].

وأما في نقد المسرحية فقد لمح أن **محمودًا المسعوديّ** في تمثيلية " الـيد " متأثر **بالبيركامو**، وتوفيق الحكيم في " براكسا أو مشكلة الحكـم " متأثر **بالكوميديا الإغريقية** [٤]، وتتجلى ثقافتـه الأوروبية حين يعمد الى **نقد أدبي مقارن** بين تمثيلية عزيز أباظة " شهريار " وتمثيلية مشابهة للكاتب الفرنسي **جول سوبر فييل** - على نحو مارأينا [٥] - .

واللافت حقا أنّ طه حسين انْ أقرّ بأنّ فن القصص الحديث هو أوروبي ، فإنه مع هـذا لا يريد للقاص العربي أن يكون عمله **مجرد تقليد للغربيين** ، وانما يريد له أن يحمل عمله **الأصالة والروح العربي** ، وآية ذلك أن مما أعجبه من مسرحية" أهل الكهف " أنها ليست أوروبية خالصة ، وانما هي " **مزاج معتدل من الروح المصري العتيد ، والروح الأوروبي القوي** " [٦]. وأن ممـا يحمده لتمثيل شوقي - على الرغم من مآخذه عليه - أنه قصد به الى **موضوعات عربية** ، صـوّر بها مجد العروبة المؤثل ، **وحياة العرب القدماء** ، المليئة بالحب والسلم والغناء ،وذلك حين أنشأ قصة **المجنون** ، كما يحمد له أنه " **طوّع الشعر العربي للتمثيل** " [٧] ، بل إن طه حسين لا يريد لقواعد القصة الأوروبية أن تستعبد القاص العربي ، وانما يريد له أن يكون حرا مبدعا في ابتكار القواعد الملائمة لموضوعه الذي يعالجه ، وذلك وفق " مزاجه الخاص ، وفنه الخاص ، وهذه الظروف التي تحيط بمزاجه وفنه ، فتصوّر أثره الأدبي في الصورة التي يخرجه فيها للناس " [٨].

* * *

---

(١) من أدبنا المعاصر ، ص ٠٩٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ٠٩١

(٣) المصدر نفسه ، ص ٠٩١

(٤) فصول في النقد والأدب ، ص ٠١٣١

(٥) انظر من أدبنا المعاصر ، ص ٠١٤٢

(٦) فصول في الأدب والنقد ، ص ٠٨٦

(٧) خصام ونقد ، ص ٠٢١٨

(٨) فصول في الأدب والنقد ، ص ٠٤٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابتعاده عن الإقليمية في النقد :

ولعلنا لاحظنا أن جميع القصّاص الذين تناولهم كانوا مصريين، ماعدا الشاعر التونسي محمودًا المسعودي، والسبب في هذا يعود الى أنه **لم يكن يتاح له أن يتناول كل مايطلع عليه من القصص**، ودليل هذا أن ثمة قصّاصا مصريين معروفين لم يقم بدراسة أيٍّ من أعمالهم، من أمثال: محمود تيمور ومحمد عبدالحليم عبدالله ويوسف إدريس، والذي يدل على أن الأمر لا يعود الى **أية نظرة اقليمية**، أنا نجده في بداية تناوله لتمثيلية المسعودي يعرب عن ابتهاجه، لأنه أتيح له أن يقدم للقراء عملا قصصيا لشاعر من قطر عربي، بل إنه يبدي **مشاعره الوطنية العربية القوية**، ويندّد بالاستعمار الفرنسي، حين عرض لبلد الشاعر "تونس"، قائلا عنه: لقد "جثم الاحتلال الفرنسي على **هذا الوطن العربي الكريم**، وتعمّد أن يقطع الصلة بينه وبين أشقائه من الأوطان العربية"[١].

والذي يدل أيضا على أن القضية لا علاقة لها بالنظرة الأقليمية، أنا رأيناه حين يعرض لدواوين وقصائد الشعراء المعاصرين يختار حوالي نصفها لشعراء عرب، بل رأيناه يعجب بشعر بعضهم، ويفضله على شعر زملائهم المصريين، كما فعل في نقده لخليل مطران وفوزي المعلوف خاصة.

مقاييسه في نقد القصة :

ولقد رأينا طه حسين يقدّم لنا مقاييسه في نقد الشعر خاصة تقديما مباشرا، ويجهر بها جهرا[٢]، وأمّا في نقد القصة والمسرحية فإنّه لم يفعل ذلك، ولكن من اليسير علينا أن نستخلص هذه المقاييس من خلال تأمل نقده لكل منهما، وأن نتعرّف في الوقت نفسه **مذهبه الفني** في القصة والمسرحية، وأبرز مآخذه العامة على كتابهما، الذين عرض لهم.

* * *

أمّا القصة فهي في رأيه ينبغي أن تكتب **بلغة فصيحة متوسطة**، ليست باللغة الفصحى القديمة، التي يشق فهمها على أوساط الناس، ولا بالعامية المبتذلة[٣]، وهو يحبذ أن تكون هذه اللغة الفصيحة المتوسطة لا عِوج فيها ولا فساد، ولا بأس مع هذا بأن تجري خلالها "الجملة العامية أحيانا، حين لا يكون منها بدّ، فيحسن موقعها، وتبلغ موقع الرضا"[٤]، وطه حسين في هذا هو

---

(١) من أدبنا المعاصر، ص ١١٢.

(٢) انظر حديث الاربعاء، ص ١٩٧، ج ٣.

(٣) انظر "من أدبنا المعاصر"، ص ٨٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تلميذ **الجاحظ** دون ريب ، لأن أبا عثمان كان أشهر من دعا في القديم الى عدم التحرّج من إيراد اللفظة أو الجملة العامية ، بل إيراد اللفظة أو الجملة الأعجمية[١]، حين يكون ذلك ملائما ، أو ضروريا ، لا بدّ منه للحكاية القصصية ، وذلك في كتابيه " الحيوان "[٢]، و " البيان والتبيين "[٣] ، وفضلا عن الفصاحة ، وصحة النحو ، فإن طه حسين يحبذ أن تكون اللغة القصصية قريبة من **لغة الشعر**[٤].

والقصة الجيدة ينبغي أن يحرص فيها القاص على توفير **عنصر التشويق**[٥] ، **وأسباب الجمال الفني**[٦]، وهذا التوفير يتأتّى للقصة الطويلة خاصة من خلال مراعاة الوحدة ، والتنوّع ، والحيوية في التصوير والبراعة فيه ، والابتعاد عن التكلف والمبالغة[٧]، كما يتأتى لها من خلال الواقعية الطبيعية ، والابتعاد عن المفاجآت المتكلفة ، التي لا يسيغها الذوق ولا المنطق[٨] ، وتجنب الوقوع في الأخطاء العلمية[٩]، ومراعاة الملامح المرسومة للشخصية خلال نطقها أو تصرّفها[١٠]، كما يتأتى للقصتين القصيرة والطويلة معا من خلال **الروح المتفائل** في معالجة الموضوع ، فالقصة ينبغي أن تدفع القارىء الى التفاؤل ، أو ينبغي ألاّ تجنح به الى التشاؤم على الأقل[١١].

---

(١) انظر البخلاء ، ص ٢٢ ، تحقيق طه الحاجري ، ط ٦ ، دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٨١.
وانظر أيضا " الحيوان " ، ص ٤٥٢ ، ج٦ ، تحقيق عبدالسلام هارون .

(٢) انظر " الحيوان " ، ص ٢٨٢ ، ج ١ ، تحقيق عبدالسلام هارون .

(٣) انظر البيان والتبيين ، ص ١٤٥ ، ج ١ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، الناشر مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٨.

(٤) انظر " نقد واصلاح " ، ص ١٥٣ ،
ومن أدبنا المعاصر ، ص ١٨٠ ـ ١٨١.

(٥) نقد واصلاح ، ص ٩١ ،
وانظر " من أدبنا المعاصر " ، ص ٨٣.

(٦) انظر " خصام ونقد " ، ص ٨٦ ـ ٨٨.

(٧) انظر " نقد واصلاح " ، ص ١١٣ ،
و " من أدبنا المعاصر " ، ص ٨٣.

(٨) انظر المصدر نفسه ، ص ١٠٦.

(٩) انظر " من أدبنا المعاصر ، ص ١٨.

(١٠) المصدر نفسه ، ص ١٩.

(١١) انظر مقدمة " ألوان من القصة المصرية " ، ص ١٣ ،
وانظر " نقد واصلاح " ، ص ١١٢ ـ ١١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه الأمور كلها ينبغي أن تتوفر في القصة ، حتى تكون جيدة ، وخليقة بالثناء ، وتوفيرها كلها للقصة ليس متعذّرا على القاص الموهوب ، الذي يعمد الى الأناة ، والى تجويد عمله وتثقيفه قبل أن يخرجه للناس ، فطه حسين يوحي إيحاء قويا بأن التسرّع في إخراج العمل القصصي يؤدي بصاحبه الى الإخفاق الذريع ، كما وقع ليوسف السباعي في قصتيه " إني راحلة " و " ردّ قلبي "[١].

أسلوبه في نقد القصاص :

ومن وجهة أخرى نلاحظ أن أسلوبه في نقد القصة والمسرحية ، يميل في الغالب الى **الرفق والتلطف** ، وينأى عن تلك الحدة والقسوة والسخرية التي لمحناها في نقده للشعر المعاصر ، ولعل ذلك عائد الى أنّ نقده لهما قد جاء متأخرا . وقد تقدمت به السنّ بعض الشيء، على أن هذا لا يعني البتة أنه كان يجامل في نقده ، أو لا يقول حقيقة مايعتقد ، فقد رأيناه لا يتردّد في الحكم على العمل القصصي بأنه مخفق ، حتى لو كان صاحبه صديقه الأثير الدكتور محمد حسين هيكل[٢]. بل لاحظنا أن جميع الأعمال التي تناولها لم تنل إعجابه الكامل ، ولم تسلم من مآخذه النقدية ، والقصة الوحيدة التي يُمكن استثناؤها ، والتي حظيت بإعجابه التام حقا ، ولم يلحظ فيها أي عيب أو ضعف ، كانت قصة **" بين القصرين "** ، والقصة حين نقرؤها متمهلين ، نشعر أنها خليقة بما أثنى عليها حقا ، وهي فضلا عن هذا ، قد حظيت بإعجاب كل من تناولها باللغة العربية أو الأجنبية[٣]. كما أنها فازت **بجائزة الدولة** بعد نشرها ، فهو إذن لم يسرف حين أثنى عليها ، وانما قال كلمة حق منصفة .

ومأخذه النقدي العام على أكثر كتاب القصة أنهم **يتكلّفون الواقعية والالتزام** في أعمالهم القصصية تكلّفا ، أو أنهم لا يفهمونهما حق الفهم ، ويبدو هذا التكلّف لهما ، أو سوء الفهم في أعمالهم القصصية ، من خلال ثلاثة مظاهر : أولها أنهم يظنون **الالتزام والواقعية** يعفيانهم من توفير الجمال الفني لأعمالهم ، على حين أن طه حسين يرى أنّ أيّ عمل لا يتضمن الجمال الفني هو مجرد كلام ، ولا يستحق البتة أن يسمّى أدبا ، ولذا نجده يخاطب الكثرة من القصاص ، متسائلا في انكار : **" ... أأدب هو أم كلام من الكلام ؟ ذلك أن تأدية مافي النفوس الى الناس لا يكون أدبا ، ولا يستحق هذا الاسم إلاّ إذا امتاز بشيء من الجمال الذى ينشئه الفن ، فيملأ قلب القارىء وعقله لذة ومتاعا "**[٤].

---

(١) انظر " نقد واصلاح " ، ص ٩٢ ، ٩٤ ، ١٠٦.

(٢) انظر " من أدبنا المعاصر " ص ١٦ - ١٩.

(٣) كما فعل الأب : ج ، جوميبه ، إذ كتب عن الثلاثية كتابا بالفرنسية ، ترجمه الدكتور نظمي لوقا .

(٤) مقدمة " ألوان من القصة المصرية " ، ص ١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثاني هذه المظاهر أنهم باسم واقعيتهم المتكلّفة أو المزيّفة يحاولون أن يستروا جهلهم باللغة ، أو ضعفهم فيها ، فيزعمون أنهم يعمدون الى العامية في أعمالهم ، لأنها أشد اتصالا بالواقع ، وأكثر صدقا في التعبير عنه من الفصحى ، وهنا نرى غيرة طه حسين المعهودة على العربية الفصحى ، تدفعه الى القول في شيء من الحدة والسخط : " ... سيثبت **المؤرخون** أنّ مصر عاشت حينا من الدهر ، كانت **لغتها الرسمية** فيه هي اللغة العربية ، وكانت لغتها بحكم **الدستور** هي اللغة العربية ، ولكن فريقا من كتابها كانوا يصطنعون رطانة تقارب العربية ، لأنهم لم يكلفوا أنفسهم أن يتعلموا الأداة الأولى للأدب وهي اللغة "[١].

وثالث هذه المظاهر أن هؤلاء القصاص يظنون أن الالتزام والواقعية يقتضيان منهم تكلّف الإكثار من المآسي والخطوب في أعمالهم ، والحرص على النهايات السيئة أو الفاجعة لشخصياتهم ، وهنا نجد طه حسين يشبههم بصاحب الأداة الفوتوغرافية الذي " يعيش كما يعيش غيره من الناس ، ولكنه لا يسلّط أداته ، إلاّ على مايحزن ويسوء من مظاهر الحياة المظلمة المؤلمة "[٢] ، بل هم في رأيه كالممثّل في المأساة ، يظهر بائسا يائسا ، حتى إذا انصرف من الملعب استأنف حياته الطبيعية ، التي فيها الرضا ، والابتهاج ، يقول ساخرا من هذه الواقعية المتكلفة : " كذلك يحيا الواقعيون من شبابنا حياة متناقضة ، يشتد ظلامها حين يكتبون ، ويلمّ بها النور ، إذا تركوا القلم والقرطاس ، وهم مؤمنون بهذه الواقعية ، مؤمنون بأنهم صادقون ينتجون أدبا صادقا "[٣].

وسوء فهمهم للواقعية ، أو تكلّفهم لها ، يؤدي أحيانا ببعضهم الى الإضرار بالمجتمع ، وهم يقصدون الى خيره ، كما لاحظ هذا عند **أمين يوسف غراب**[٤] ، أو لدى **ثروت أباظة** في قصة " هارب من الأيام "[٥].

وطه حسين لا يكتفي بنقد القصاص في تكلّفهم للواقعية والالتزام ، وانما يحاول أن يرشدهم الى المفهوم الصحيح لهما .

* * *

---

(١) من أدبنا المعاصر ، ص ٢٧.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٨.

(٤) انظر نقد واصلاح ، ص ١١٣.

(٥) انظر " من أدبنا المعاصر " ، ص ١٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رأيه في الواقعية والالتزام :

أمّا الواقعية القصصية فيرى أنها ينبغي أن تكون مستمدة من صدق القاص مع نفسه ، **مشتقة من حياة الناس حقا** ، هذه الحياة التي يجب على القاص أن يقترب منها ، ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وهنا يلفت طه حسين القصاص ، الذين يزورّون عن الأدب العربي القديم ، زاعمين أنهم محدثون - يلفتهم الى أن هذا **الأدب العربي القديم** كان أدبا **واقعيا حقا** ؛ لأنه كان " قريبا من الناس ، مشتقا من حياتهم "[١] ، على حين أنهم هم " يصطنعون واقعيتهم هذه اصطناعا ، ولا يشتقونها من طبائعهم ، وهم مع ذلك يرون هذا صدقا في الفن ، وليس هذا من الصدق في شيء ، كما أنه ليس من الفن في شيء "[٢] .

وأما الالتزام فيكون بإنتاج الأدب الجدير بهذا الاسم ، لا بإنتاج لغو الكلام ، فطه حسين يرى أن **الاديب هو ملتزم بطبعه** ، حتى لو كان يعالج موضوعا ذاتيا ، **لأن الانتاج لا يستحق أن يسمّى** أدبا إلاّ إذا كان يتوفّر فيه **الجمال الفني** ، والجمال الفني في الأدب من شأنه أن يهب القارئ السعادة واللذة والنفع ، سواء أكان هذا الأدب يعالج قضية ذاتية أم يعرض للمجتمع أو للجماعة . وهنا ينبغي أن نلحظ أن طه حسين يرى أن الجمال الفني في الأدب هو مايؤدي الى متعة القراء وسعادتهم ومنفعتهم ، وهو في الوقت نفسه لا يتحقّق أبدا في أية كتابة تؤدي الى إتعاس الناس أو الإضرار بهم[٣] ؛ ولذا رأيناه لا يتهاون البتة في نقده مع أي قاص يجنح الى التشاؤم أو الى مامن شأنه أن يضر بالمجتمع من الناحية الأخلاقية أو الاجتماعية[٤] ، ومعنى هذا كله أن الأديب الحق في رأيه هو ملتزم لا محالة ، لأنه لا يستحق أن يسمّى أديبا إلاّ إذا شعر في أثناء كتابته أنه مسؤول حقا أمام ضميره وأمام المجتمع ، وطه حسين صريح في تقرير هذه الحقيقة كل الصراحة[٥] وستبدو لنا هذه الحقيقة أكثر وضوحا عنده ، حين نعود اليها مرة أخرى ، إذ نعرض لمحاورته عبدالعظيم أنيس ومحمودً العالمَ في الفصل القادم ، وعلى الرغم من وضوح هذه الحقيقة في نقد طه حسين ، فإنا نجد بعض خصومه من أمثال أنور الجندي يشيع في كتبه أن رسالة طه حسين النقدية الحقيقية هي " تزييف مفهوم النقد الأدبي ، وخلق روح من التحلّل والإباحة "[٦] ، كما يكرّر القول : إن " أكبر أهداف الدكتور طه حسين إشاعة أدب

---

(١) من أدبنا المعاصر ، ص ٢٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٩ .

(٣) انظر " خصام ونقد " ، ص ٥٨ ؛ ١١٦ - ١٢٧ .

(٤) انظر " نقد واصلاح " ، ص ١١٣ ، ومن أدبنا المعاصر ، ص ١٩٣ - ١٩٤ .

(٥) انظر من أدبنا المعاصر ، ص ١٩٣ .

(٦) انظر محاكمة فكر طه حسين ، ص ٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجان والجنس والإباحة "[١]، ومرة أخرى نلاحظ أن غاية هذا الكاتب ليست علمية ، إذ نجده لا تهمّه الحقيقة في سبيل أهوائه ، فهو لم يحاول أن يتحراها في نقد طه حسين وكتبه ، وانما اعتمد في ماردّد على نقد للمازني[٢] ، قصد به في الغالب الى العبث والسخرية ، على نحو ماسوف نرى في الفصل القادم أيضا .

والحق أن نظرة طه حسين الى **الأدب خاصة** ، هي جزء من نظرته الى **الفن عامة** فهو يؤمن أنه بالفن الجميل " يجب أن تسمو نفس الشعب ، لتسمو آماله وأعماله "[٣] ، كما يؤمن أن الفنون الجميلة لم تستحق اسماءها ، إلاّ لأنها سبيل الى سعادة بني البشر ورقيّهم ، يقول: **" الفنون الجميلة بمعناها الدقيق هي السبيل الوحيدة الى السعادة ، ... والفن الجميل على اختلاف أنواعه هو السلّم الذي يتيح للشعب أن يرقى ويسمو ، ويعنى بعظائم الأمور ، وجلائل الأعمال "**[٤].

إنّ **موقف طه حسين من الفن عامة** ، يذكّرنا دون ريب بموقف **" تولستوي Tolstoy "** الشهير منه أيضا ، كما أعرب عنه في كتابه : **" ماهو الفن : What is Art ? "** ، فقد ذهب الى أنّ الفن يجب أن يؤدي الى سعادة الناس على اختلاف طبقاتهم ، حتى إنه " قاس مقدار نجاح العمل الفني بعدد الناس ، الذين يستمدون منه السعادة "[٥].

مقاييسه في نقد المسرحية :

وأما المسرحية فمقاييس نقده لها تتشابه ومقاييس نقده للقصة ، **مع ملاحظة أمرين خاصين بها : الأول** يتعلق بالتمثيلية الشعرية وحدها ، لأنه يتصل بالعروض ، فطه حسين يحبذ أن يلتزم الشاعر وزنا واحدا في كل فصل ، حتى يريح المتلقي من إزعاج الصعود والهبوط ، كما يحبذ الملاءمة بين الوزن والقافية وبين الموضوع الذى يعالجه[٦].

والأمر الثاني يتعلق بالقصة التمثيلية ، سواء أكانت شعرا أم نثرا ، لأنه يتصل بالتمثيل

---

(١) انظر محاكمة فكر طه حسين ، ص ٤٧.

(٢) المرجع نفسه ، ص ١١.

(٣) من أدبنا المعاصر ، ص ٤٤.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٤.

(٥) د. محمد عبدالسلام كفافي " في الأدب المقارن " ، ص ٧٤ - ٧٥ ، دار النهضة العربية - بيروت - ١٩٧٢.

(٦) من أدبنا المعاصر ، ص ١٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نفسه ، فطه حسين يرى أن الحوار ينبغي أن يكون فيه روح التمثيل الحق ، وأن يصلح للتمثيل في الواقع ، وأن ينشغل المستمعون أو المشاهدون عنه بأمور الشخصيات المختلفة وبالأحداث[١] ، ولذا فقد ظل يصرّ على أن **شوقي** في ما أنشأ من قصص لم يكن **صاحب تمثيل** وانما كان **صاحب غناء** ليس غير . فالتاريخ في رأيه لن يحفظ لشوقي " **فنا تمثيليا ممتازا ، وسيظل شوقي دائما شاعر غناء لا شاعر تمثيل** "[٢] ، ومثل شوقي تلميذه **عزيز أباظه** ، فشعره التمثيلي أيضا يطرب لدقة معانيه ، وجزالة لفظه ، ورقة أسلوبه ، وحسن تأتيه ، أكثر مما يعجب بإتقان الحوار ، أو بحسن تدبير الحركة " وهو يشغلنا بجماله الخاص عن أشخاصه ، فنحن حين نقرأ أو نشهد قصة العباسة ، لا نحفل بالعباسة نفسها ، ولا بالرشيد ، ولا بجعفر ، وانما نحفل بالشعر الذي يجريه الشاعر على ألسنتهم ، وقل مثل ذلك بالقياس الى قصصه الأخرى ، ومنها غروب الأندلس "[٣] .

واذن فشوقي وعزيز أباظة هما في رأيه **مغنيان لا ممثلان** ، على حين أن **شكسبير وراسين هما ممثلان لا مغنيان**[٤] .

وأما توفيق الحكيم في " أهل الكهف " و " شهر زاد " فقد مال الى الفلسفة ، ولم يراع حقوق النظارة ، مما جعل التمثيليتين تصلحان للقراءة أكثر من التمثيل[٥] .

* * *

غيرته على الفصحى :

وغيرة طه حسين على العربية الفصيحة في نقده للمسرحية ، لا تقل عن غيرته عليها في نقده للقصة ، ومن خلالها يتبيّن لنا السبب في أنه تناول مسرحيات للحكيم ، حوارها كلها بالفصحى ، لأنها ذات طابع تاريخي ، على حين أنه لم يعرض لأية مسرحية لجأ الحكيم فيها الى **العامية** ، بل لقد جهر بأن الحكيم قد أساء الى فنه إساءة بالغة " حين اصطنع اللغة العامية في قصة (**عودة الروح**) فأسرف في اصطناعها "[٦] ، كما أنه من خلال هذا المقياس (مقياس فصاحة اللغة) يتبين لنا أيضا السبب في إعراضه عن تناول مسرحيات للكتاب الشباب في الطور الأخير من حياته الأدبية ، ذلك أنهم كانوا في الغالب يلجأون الى العامية في الحوار ، متذرّعين بحجج ،

---

(١) خصام ونقد ، ص ٢١٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢١٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢١٩ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢١٩ .
(٥) انظر " فصول في الأدب والنقد " ، ص ٩٠ ، ١٠٤ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان ينكرها عليهم أشد الانكار[١]، فتلميذه الكاتب المسرحي **نعمان عاشور** يقول عنه : إنه كان يعرب له عن أسفه ، كلما صادفه ، لأنه كتب مسرحيتيه **(عفاريت الجبانة) و (الناس اللي تحت)** بالعامية[٢]، بل يخبرنا عنه أنه اتصل به ذات يوم هاتفيا ، واستدعاه الى بيته ، ليلومه لوما شديدا ، لأنه نشر مقالا في صحيفة ، واتخذ له عنوانا بالعامية ، وقد كانت بداية اللقاء بينهما ، على هذا النحو ، الذي صوره نعمان عاشور نفسه : " قال (طه حسين) : ... أظنك تحسب أنني لا أعرفك ، أنت أصلا **لست من تلاميذي** ، فأجبت مسرعا : **كلنا تلاميذك يادكتور** ، صمت لحظة ثم ضحك ساخرا : **لا ... تلاميذي لا يكتبون باللغة العامية أبدا** ، أنا أعرف تماما جميع الحجج واللغة الدرامية التي تقول عنها ... كلام فارغ "[٣]. ولقد كان يتصدّى لهذه **الحجج** التي يتذرع بها كتاب المسرحية أو القصة ، ممن يكتبون بالعامية ، فيبيّن أنها **واهية** ، إذ " ليس صحيحا أن الصدق يفرض عليهم الكتابة بالعامية "[٤]. فها هو ذا **نجيب محفوظ** ، أصدق قاص تغلغل في وصف حياة الشعب المصري ، على اختلاف طبقاته ، وأبرع قاص صور البيئة الشعبية المصرية - ها هو ذا تفوّق عليهم جميعا ، على الرغم من أنه لا يكتب **إلاّ بلغة عربية سليمة** ، يقول عنه : " لست أشك في أنّ كل قارئ أو سامع لقصصه يفهم عنه في غير مشقة ، مهما تكن بيئته ، ومهما يكن حظه من الثقافة والتعليم ، وهو على ذلك يكتب بلغة فصيحة ، لا غبار عليها "[٥].

ولقد ظل طه حسين يتابع انتاج الشباب من كتاب المسرحية والقصة بمثل هذا النقد الذي رأيناه ، حتى تقدمت به السن ، واشتدت عليه وطأة المرض ، ولاحظ - فضلا عن ذلك - أن الكتاب الشباب يضيقون ذرعا بنقده وبمتابعته ، وحينئذ جهر في حديث تلفازي بأنه أخذ لا يتابع كتابات الأدباء الشباب ، **لأنهم لا يعترفون به**[٦].

ويقول **نعمان عاشور** مبيّنا السبب في ضيق زملائه الكتاب بنقده ومتابعته : " ... لعل مرجع ماكنّا ننعاه عليه من عَنَت أنه صاحب منطق حاسم ، وباتر ، وحاد ، لا يخلّف وراءه إلاّ الصدمة المباغتة ، وتلك صفة أضفتها عليه ثقافته الفرنسية "[٧].

---

(١) من أدبنا المعاصر ، ص ٨٠.

(٢) انظر مقالة نعمان عاشور " لقاء مع طه حسين " ، ص ١٨ ، مجلة الدوحة ، العدد (٥١) ، الدوحة - ١٩٨٠.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢١.

(٤) من أدبنا المعاصر ، ص ١٨٠.

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٨١.

(٦) انظر " مع نجيب محفوظ " لأحمد محمد عطيه ، ص ٢٢.

(٧) نعمان عاشور ، لقاء مع طه حسين ، ص ٢١ ، مجلة الدوحة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* **تساؤلان في نقد المسرحية :**

وبعد ... فإن طه حسين في أثناء نقده المسرحية خاصة يعرض لتساؤلين مهمين رآهما يترددان ، فأجاب عنهما إجابة محددة واضحة ، أما التساؤل الأول فهو :

* **هل الشعر يلائم التمثيل المعاصر ؟**

وعلى الرغم من أنّ بعض الشعراء من أمثال عزيز أباظة أصروا على أن الشعر مازال ملائما للتأليف المسرحي (١) ، فإن طه حسين ذهب الى أنّ الشعر **لم يعد ملائما للتمثيل** في هذا العصر كما كان في القديم " فقد شبّ التمثيل عن طوق الشعر وتمرّد على أوزانه وقوافيه ، وآثر حرية النثر وطلاقته واسماحه على قيود الشعر وتحرجه وصرامته منذ زمن غير قصير " (٢) ، فهو يلاحظ أنّ القصص الشعرية قد أضحت في اللغات الأوروبية قليلة ، بل أصبحت " **طرفة نادرة** يطرف بعض الشعراء الممتازين بها الناس وقتا بعد وقت ، ولا يمنعهم ذلك من أن يعمدوا الى النثر في بعض القصص ، لأ ن النثر قد أصبح اللغة الطبيعية للتمثيل منذ وقت غير قصير " (٣) .

واذا كانت هذه حال التمثيل الشعري في أوروبا على الرغم من أنّ لهم منه تراثا تليدا ، فكيف تكون حاله في الأدب العربي الذي لم يعرف التمثيل شعرا ولا نثرا إلاّ في أواخر العصر الحديث ؟ إنّ حاله أكثر غرابة في رأيه ، يقول : " أرى فيه غرابة لاتكاد تلائم المألوف من أذواقنا الحديثة ، ولهذا **لم أفتن قط بتمثيليات شوقي** ... ولم أنشط لتمثيليات خليفته عزيز أباظة ، ... وكنت أرى هذا كله رجوعا الى فن قديم بعد العهد به " (٤) .

* وأما التساؤل الثاني الذي يتصدى له ، فهو مهم حقا ، لأ نّ الدارسين ما انفكوا منذ زمن يخوضون فيه ، وهو : **لماذا لم يعرف العرب المسرحية ؟**

---

(١) انظر مناقشة عزيز أباظة وطه حسين في القضية " خصام ونقد " ، ص ٢٠٦.

(٢) طه حسين ، مقدمة غروب الأندلس لعزيز أباظة ، ص ٨ ، الناشر الشركة العربية للطباعة والنشر ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٩.

(٣) من أدبنا المعاصر ، ص ٢١٥.

(٤) مقدمة غروب الأندلس ، ص ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويُلاحَظ أنه حين يعرض للتساؤل يرفض **الإجابة التقليدية** ، التي تقول : إن العرب القدماء حين ترجموا بعض آثار اليونان ، أعرضوا عن ترجمة كتب التمثيل ، لملتها بالوثنية، التي تتعارض والإسلام ، ولذا فهم لم يعرفوا هذا الفن ، وينقض هذا الرأي بقوله : إن العرب لم يعرفوا التمثيل **لا لأن التمثيل اليوناني كان وثني النزعة** ، فقد كانت **الفلسفة** اليونانية أيضا منحرفة عما ألف المسلمون والمسيحيون من أمور الدين ، وأولئك وهؤلاء قد عرفوها حق معرفتها " (١) ، وانما لم يعرفه العرب لسبب يسير جدا ، هو أنهم " **لم يجدوا التمثيل عند الذين عاصروهم من الروم** ، فقد أعرضت المسيحية عن التمثيل ، ولم تكن آيات التمثيل اليوناني تعرض على النَّظّارة ، أو تقرأ في الكتب حين اتصل المسلمون بالروم " (٢) .

واذن فليس العرب وحدهم ، الذين لم يعرفوا التمثيل في عصور ازدهارهم ، وانما شاركهم في هذا الجهل معاصروهم من **الروم ، بل اليونان** أنفسهم ، ولو صادف العرب التمثيل قائما عندهم ، لعرفوه - فيما يرجح - كما عرفوا **الفلسفة** اليونانية .

هذه هي إذن العلة الحقيقية في رأيه ، وهذا الجهل للتمثيل هو السبب أيضا في أنّ العرب حين حاولوا أن يترجموا **كتاب الشعر لأرسطوطاليس** " لم يستطيعوا أن يفهموه على وجهه ، لانهم لم يعرفوا من أمر **التراجيديا والكوميديا** شيئا ذا بال ، وحاول ابن سينا أن يلخص كتاب الشعر ، فلم يصنع شيئا ، مع أنه قد وفّق الى تلخيص " **الخطابة** " تلخيصا حسنا " (٣) .

وهكذا نلاحظ أن طه حسين حين عاد الى كتاب الشعر مرة أخرى ، قد علّل السبب في أنّ من تصدوا لتلخيص الكتاب وشرحه لم يفهموه ، وأما في المرة الأولى فقد اكتفى في الغالب بالتساؤل عن السبب في عدم فهمهم للكتاب كله ، لكنه حين عرض للموضوع في الخمسينيات عرضا عابرا ، أكد أن جهل **العمل المسرحي** في ذلك العصر كان هو

---

(١) خصام ونقد ، ص ٢١٣.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢١٣.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السبب قال : **" ليس لذلك سبب إلاّ أن العرب ومن عاصرهم من اليونان كانوا يتحدثون عن التمثيل كما يتحدث الناس عما لا يحققون "** (١).

وهذا الرأي الذي علل به طه حسين إخفاق العرب في فهم كتاب الشعر كله ، قد أكدته دراسات توفرت على الموضوع بعد ذلك ، فالدكتور إحسان عباس مثلا حين درس أثر كتاب الشعر في النقد العربي خلال القرن الخامس للهجرة ، ولاحظ أن جانبا من الكتاب لم يستطع أن يفهمه ابن سينا وغيره ممن عرضوا لتلخيصه وشرحه (٢)، قد علل هذا بقوله : " ... كانت معرفة **العمل المسرحي** هي القادرة على أن تجعل كتاب الشعر واضحا ، وأن تخلق له أثرا في البيئة العربية " (٣).

xxxxxxxxxxxxx
xxxxxxxxxxx
xxxxxxxxx
xxxxxxx
xxxxx
xxx
x

---

(١) خصام ونقد ، ص ٢١٣.
(٢) انظر " تاريخ النقد الأدبي عند العرب " ، ص ٤١٥.
(٣) المرجع نفسه ، ص ٤١٥ ـ ٤١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــل الســـادس

محاوراتـــــه النقديـــــة

" لم يخطر لي قط على بال أن اختلاف الرأي في مسألة من المسائل العلمية أو الأدبية أو الســياســـــية يمكن أن يسـوء أحدًا من المختلفين ، ولو عرفت ذلـك لما أذعت في الصحف حرفاً واحداً منذ أخـــــــذت أتحدث الى الناس فيها " .

طه حسين ـ ١٩٣٧م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" رأيه في الحوار النقدي "

كان طه حسين يؤمن بجدوى الحوار النقدي الهادف ، الذي تتوفر فيه أسباب العلم والأدب ، ولا يجنح الى أسلوب التجريح الشخصي والملاحاة ، وكان يريد لهذا الحوار أن يتمّ في جوّ من الهدوء ، والاحترام المتبادل ، ونبل المقصد العلمي ، وحسن الاستعداد للاقتناع والقبول ، قائلا : " ... لا أعدّ الاختلاف في رأي من الآراء الأدبية ، والثقافية مصدرا من مصادر الخصومة واللّجاج"[١].

أما إذا ثارت الخلافات الشديدة في أثناء المحاورات ، فكان يسميها دائما (**خصومات**) أدبية أو نقدية ، ولا يسميها البتة (**معارك**) ، على نحو ما أوحى الرافعي لتلاميذه ، فأشاعوا التسمية ، بكلّ مافيها من تهويل واثارة[٢] ، وكان يرى أنّ الخلافات النقدية أو الخصومات ينبغي ألاّ تولّد في نفوس المتحاورين الضغينة ومشاعر العداء ، يقول مبيّنا موقفه منها ، وهو يتحدث عن خصوماته النقدية المشهورة مع الأدباء من أمثال : العقاد والرافعي والمازني وتوفيق الحكيم : " ... كل الناس يعرف أنّ الخصومة بين الناس وبيني مهما تشتدّ ، فهي أهون شأنا ، وأقل خطرا من أن تترك في نفسي أثرا "[٣].

ولقد كان يدرك أنّ النقاد والأدباء الذين يرحبون بالنقد الأدبي البريء من المجاملة قليل جدا ، وكان من هؤلاء الذين يقدّرونه حقا صديقه **الدكتور محمد حسين هيكل** ، ولذا فقد كان ينقده دون مجاملة ، وهو مطمئن الى عدم غضبه ، على نحو مارأيناه يفعل في نقده لقصته " هكذا خلقت " ، وكان في العشرينيات قد نقد أيضا كتابه " جان جاك روسو " فأخذ عليه أنّ بعض الأخطاء اللغوية والنحوية تعتوره ، وأنه يعاني من سوء الطباعة والترتيب[٤] ، ثم نشر هذا النقد في صحيفة " السياسة " ، التي كان يرأس تحريرها هيكل نفسه ، وقد جهر طه حسين خلاله بالردّ

---

(١) خصام ونقد : ص ٦٨.

(٢) جعل الرافعي عنوان رده على طه حسين ، حين نقد " رسائل الأحزان " - جعله " القنبلة الأولى " (انظر تحت راية القرآن ، ص ١٠٠) .
ثم جاء تلميذه سعيد العريان فسمّى المحاورات بين الرافعي وطه حسين معارك . (انظر حياة الرافعي ، ص ١٥٣).
ثم جاء أنور الجندي فجمع نصوصا من محاورات الأدباء وجعل عنوان الكتاب " المعارك الأدبية " ، ثم شاعت التسمية ، بعد أن استعملها عامر العقاد وسامح كريم وغيرهما .

(٣) خصام ونقد ، ص ١٤٦.

(٤) انظر حديث الأربعاء ، ص ١٠٩ - ١١١ ، الجزء الثالث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي يتوقعه من هيكل على نقده إيّاه ، قائلا في يقين : " ... **أعلم أننا سنتحاور ، ونختصم ، ثم نتضاحك ...** "(١) .

ومن المعروف أن طه حسين قد حاور خلال حياته الأدبية الحافلة كثيرا من الكتّاب في عديد من القضايا الأدبية والفكرية والتربوية ، والسياسية ، ولا ريب أن الذي يهمّ هذا البحث هو محاوراته الأدبية ، على أننا لن نعرض لهذه المحاورات إلاّ إذا كان لها مساس قوي بالنقد الأدبي خاصة ، وكان طه حسين طرفا مشاركا فيها ، ولا شك أنّ أكثر مايهمنا في هذه المحاورات هو أن نتعرف رأيه في قضايا نقدية أساسية ، كانت - وما زالت - مدار الخلاف بين نقاد الأدب المحدثين .

ولقد كان طه حسين يريد للدارسين الذين يعرضون لمحاوراته وخصوماته عامة أن يبتعدوا عن الميل والهوى ، وأن يكونوا أمناء في إيراد النصوص كاملة غير مبتورة ، وأن تكون الحقيقة هي بغيتهم ، إذ يروي سامح كريم أنه سأله في أواخر حياته عن رأيه في دارس متحامل عليه ، وقد عرض لإحدى محاوراته ، فأجاب في انفعال : " مثل هذا الذي يكتب كمثل من قال : ولا تقربوا الصلاة وسكت متعمّدا ، مع علمه بأن نص الآية الشريفة : ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى "(٢) ، ثم ضحك وأضاف قائلا له حين طلب منه مزيدا من الإيضاح : " ... ألا ترى أنّ صاحبنا هذا يتصيّد لي الأخطاء ، وهو أمر ترفضه الموضوعية ، وتأباه الدقّة "(٣) .

وحين سأله : كيف يودّ أن يعرض الدارس لمحاوراته النقدية ، لاحظ أنه ردّ ردّا حاسما وسريعا حين قال : " **أود أن أراها كما هي ، لا زيادة فيها ولا نقصان ، فلا يكون هناك فرق بينها مسجلة الآن أو منشورة في الماضي ... ولنترك للقارئ فرصة التفكير فيما يقرأ ...** "(٤) .

ومعنى هذا كلّه أن طه حسين كان يرى الدارسَ الذي يتعصّب له كالدارس الذي يتعصب عليه ، فكلاهما لديه سواء ، لأن الواحد منهما يجور عن القصد ، وينحرف عن سواء السبيل ، على حين يريد له أن يعرض للمحاورات النقدية في براءة من الميل أو الهوى ، وأن يكون حرا في تأملها ، حتى يتسنّى له أن يفكر فيها تفكيرا سليما ، يوصله أخيرا الى الحقيقة ، وهي الهدف الأساسي ، الذي يجب أن ينشده ، دون نظر الى شخصيات المتحاورين - كما أنّ هذا يعني في الوقت نفسه أنه قد ظلّ تعمُره الثقة ، ويطمئن الى سلامة آرائه ومواقفه في هذه المحاورات ، حتى

---

(١) انظر حديث الأربعاء ، ص ١١٢ ، ج٣ .

(٢) معارك طه حسين الأدبية والفكرية ، ص ١١ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١١ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

آخر سنة من سنوات حياته[١] .

ويُلاحَظ أن طه حسين حين جمع كثيرا من مقالاته النقدية في كتاب " حديث الأربعاء " ، قد حرص على أن يثبت فيه نصوص مقالات لأدباء حاوروه فيها ، من أمثال : رفيق العظم[٢] ، ومحمد الخضري ، ومحمد حسين هيكل ، والرافعي[٣] ، بل لقد أثبت في بداية الجزء الثالث من كتاب " حديث الأربعاء " نصّ مقالة للرافعي ، لا يعرض فيها له من قريب أو بعيد[٤] ، ولا ريب أن حرصه على إثبات نصوص هذه المقالات في كتابه ليؤكد صحة ما أورده سامح كريم عنه من جهة ، كما أنّ ما أورده عنه في الوقت نفسه يفسّر لنا لماذا حرص على إثبات نصوص المقالات من جهة أخرى ، بل إننا نجده يسوّغ لنا السبب الذي دعاه الى إثبات مقالة الرافعي في بداية كتابه السابق بكلام يتطابق في مضمونه وما قاله لسامح كريم[٥] ، على نحو ماسوف نرى .

أما أهم محاورات طه حسين النقدية فهي :

(١) محاورة الرافعي

لا ريب أن الخصومة النقدية بين طه حسين والرافعي هي من أشهر الخصومات النقدية في الأدب العربي الحديث ، و يُلاحَظ أن جذورها تمتد الى ماقبل سنة ١٩١٤ ، حين كان طه حسين الطالب المرموق بالجامعة المصرية القديمة[٦] ؛ ذلك أن الرافعي نفسه يخبرنا أن طه قد عرض في عام ١٩١٢ بالنقد لكتابيه " حديث القمر " و " تاريخ آداب العرب " ، وأخذ عليه فيهما غموض الأسلوب ، وجهر بأنه لم يفهم منهما شيئا[٧] . كما أنه اتّهم الرافعي بأنه الحّ على حفني ناصف ، حتى اضطره الى أن ينشر مقالة ، يثني فيها على كتابه " حديث القمر " مجاملة

---

(١) ذلك أنّ الحديث الذي دار بينه وبين سامح كريم حول محاوراته وخصوماته النقدية كان في السنة التي توفي فيها ، أي في عام ١٩٧٣ .
(انظر كتاب معارك طه حسين الأدبية ، ص ١٣) .

(٢) انظر " حديث الأربعاء " ، ص ٥٨ ، ج ٢ .

(٣) انظر المصدر نفسه ، ص ٦٧ ، ١١٥ ، ٨ ـ ٩ الجزء الثالث .

(٤) انظر المصدر نفسه ، ص ٥ ـ ٧ ، الجزء الثالث .

(٥) انظر المصدر نفسه ، ص ٥ ، ج ٣ .

(٦) انظر " حياة الرافعي " لمحمد سعيد العريان ، ص ١٥١ ، ط ٣ .

(٧) انظر كتاب الرافعي " تحت راية القرآن " ، ص ١٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتخلّصا ، مما دفع الرافعي الى الردّ مكذّبا ، فدارت محاورة بين الاثنين على صفحات " الجريدة " في بداية عام ١٩١٣ ، حتى توقّفت أخيرا حين أمسك الرافعي عن الردّ ، ومواصلة الحوار[١].

وعندما عاد طه حسين من فرنسا عام ١٩١٩ ، انضمّ الى حزب الأحرار الدستوريين ، إذ استقل عن حزب الوفد ، ثم أصدر هذا الحزب صحيفة " السياسة " في عام ١٩٢٢ ، فجعل لطه حسين الإشراف على الصفحات الأدبية . وقد بذل حينئذ جهدا نقديا لافتا ، أقرّ به أنصار خصومه ، كسعيد العريان الذي نجده لا يتردّد في القول : " نفخت السياسة الأسبوعية في الأدب روحا جديدة "[٢] ، مما جعل الصحيفة تحظى باهتمام الأدباء ، فيسعون الى نشر المقالات فيها ، واهداء كتبهم اليها ، ومنهم الرافعي .

وقد نقل **محمد سعيد العريان عن الرافعي** أنّ أسباب المحاورات والخصومة النقدية التي جرت بينه وبين طه حسين في صحيفة " السياسة " قد تهيّأت ، حين دسّ الرافعي " كلمة الى طه يذمّ أسلوبه بما يشبه المدح ، ويعيب عليه التكرار وضيق الفكرة ... فنشرها طه في السياسة قبل أن يستبين مغزاها ، وما ترمي اليه ، ثم عَرف "[٣] ، ثم قال العريان مضيفا " وتهيّأت أسباب الحرب ولم يبدأ أحد العدوان ، وتربص الرجلان في انتظار السبب المباشر لبدء المعركة ، ثم أصدر الرافعي " رسائل الأحزان " فسعى راجلا الى دار السياسة ، ليهدي اليها كتابه ، وهناك التقى الرافعي وطه حسين وجها لوجه ، ونظر الرافعي الى طه ، واستمع طه الى حديث الرافعي ، وتصافح الخصمان ، قبل أن يصعدا الى حلبة المصارعة ، ونفخ الدكتور هيكل في صفارة الحكم ، وبدأت المعركة "[٤] .

على هذا النحو يصوّر العريان قضية المحاورة والخصومة بين الاثنين ، وقد أوردنا ذلك كلّه **لأننا نأخذه بمأخذين مهمّين :**

الأول : أنه ينظر الى المحاورة النقدية نظرته الى حرب أو مصارعة ، ولذا فهي تحتاج الى (حلبة) والى (صفارة) حكم ، على نحو مارأينا ، ولا ريب أن هذه النظرة الى الحوار النقدي غير علمية البتة ، بل هي مرفوضة رفضا قاطعا في ميدان الدّرس العلمي ، وشتان مابين هذه النظرة ونظرة طه حسين ، الذي رأيناه قبل قليل يقول : " لا أعدّ الاختلاف في رأي من الآراء الأدبية والثقافية مصدرا من مصادر الخصومة واللجاج " .

---

(١) انظر " معارك طه حسين الأدبية " لسامح كريم ، ص ٢٩٩ .
(٢) حياة الرافعي ، ص ١٥٢ ، ط ٣ .
(٣) المرجع نفسه ، ص ١٥٣ .
(٤) المرجع نفسه ، ص ١٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما المأخذ الثاني فهو وقوعه في أكثر من خطأ علمي حين أورد عن الرافعي ما أورد، ثم ذهب الى أن " رسائل الأحزان " كانت هي بداية المحاورات النقدية العنيفة بين الأدبيين ، والغريب أن سامح كريم حين عرض للخصومة الأدبية بين الرافعي وطه حسين لم يتنبّه الى خطأ العريان ، بل لقد جاراه فيه ، حين عدّ أيضا " رسائل الأحزان " هي بداية المحاورات النقدية بينهما ، بعد عودة طه من فرنسا[١] ، والوحيد الذي تنبّه الى خطأ ما أورده العريان هو طه حسين نفسه - فيما نظن - ، ولكنّه لم يعرض له في صراحة أو مباشرة ، ومن هنا خفي الأمر على الدارسين .

رسالة العتب وبداية الحوار :

لقد قلنا : إنّ طه حسين قد حرص في بداية الجزء الثالث من كتاب " حديث الأربعاء " على أن يثبت مقالة للرافعي لا يعرض فيها له من قريب أو بعيد ، ذلك أنها رسالة يعاتب فيها أديبا من أدباء الشام[٢] . وقد سوّغ طه حسين مافعل بقوله مفتتحا الكتاب : " كان نشر هذا الكتاب (الرسالة) للأستاذ مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله - في جريدة السياسة مثارا لجدل عنيف ، وخصومة خصبة لها في تاريخ الأدب العربي الحديث أثر أي أثر ، لذلك رأيت أن أثبت نص هذا الكتاب ، ليستطيع القارئون من الشباب ، الذين لم يشهدوا هذه الخصومة أن يتتبعوها واضحة جلية "[٣].

ولعلنا لاحظنا أن مايذهب اليه طه حسين هنا ، شبيه بما قاله لسامح كريم في أواخر حياته ، حين سأله كيف يود أن يعرض الدارس لمحاوراته وخصوماته النقدية ، **فطه حسين يجهر برغبته في أن تطلع أجيال الشباب على حقيقة محاوراته كاملة غير مبتورة ، واضحة جلية ، ويخيّل الينا** أنه يردّ من طرف خفي ، ودون مباشرة ، على ماكان أورده العريان في كتابه " حياة الرافعي " الذي نشر بعد وفاة الرافعي بسنة ، أي في عام ١٩٣٨[٤] إذ إن مانقله عن الرافعي ليس صحيحا ، وانما هو نقيض الحقيقة ؛ لأنّ طه حسين هو الذي بدأ الرافعي بنقد أسلوبه الأدبي ، وليس الرافعي هو البادئ ، ذلك أنه أرسل الى صحيفة السياسة في عام ١٩٢٣ مقالته التي أثبتها طه حسين في بداية كتابه ، وعنوانها " أسلوب في العتب " ، وقد ذهب في مقدمتها الى أنه قلّد فيها أسلوبا أدبيا من أساليب القدماء ، التي شاعت منذ القرن الرابع للهجرة قال :

---

(١) انظر كتابه " معارك طه حسين الأدبية والفكرية " ، ص ٢٩٩.

(٢) انظر " حديث الأربعاء " ، ص ٥.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣ ، جـ ٣.

(٤) انظر " حياة الرافعي " ، ص ٢٠ ، ط ٣ .
والمعروف أن ترتيب كتاب " حديث الأربعاء " قد استقر عام ١٩٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" وقد كتبتها من النمط الأول الذي هو فن من زينة البلاغة العربية ، يشبه بعض فنون الزخرف والتنسيق ، وهو حين يكون في مثل هذه الرسالة لا يكون أبدع منه شيء من الأساليب الأخرى "[١]. وعلى الرغم من أن طه حسين قد نشر رسالة الرافعي الأدبية ، فإنه - بوصفه المحرر الأدبي للصحيفة - قد تناول أسلوبها بالنقد قائلا : " أمّا أنا فأعتذر للكاتب الأديب إذا أعلنت مضطرا أنّ هذا الأسلوب ، الذي ربما راق أهل القرن الخامس والسادس للهجرة ، لا يستطيع أن يروقنا في هذا العصر الحديث ، الذي تغيّر فيه الذوق الأدبي ، ولا سيما في مصر ، تغيّرا شديدا "[٢]. ولكنّ الرافعي لم يشأ أن يترك هذا النقد المقتضب يمر دون أن يردّ عليه ؛ لذا فقد أرسل كلمة يردّ فيها ، وقد حرص طه حسين على إثبات نصّها في كتابه أيضا[٣] ، إذ راح الرافعي يدافع في رده عن أسلوبه ، ذاهبا الى أنه " كان موضع الانفراد ، وكان الغاية التي تتقاصر دونها الأعناق منذ القرن الرابع الى آخر التاسع "[٤]. واذا كان هذا الأسلوب مستهجنا في هذا العصر فليس السبب تغيّر الذوق الأدبي ، كما ذهب طه حسين ، وانما يعود الى ضعف الكتاب فيه ، وتقصيرهم عن حدّه ، فأكثر الكتّاب في هذا العصر لا يجيدونه ، ومنهم طه حسين نفسه[٥].

فردّ طه حسين على الرافعي مقرّا بأنه لا يجيد أسلوب الزخرف ، ولا يريد أن يجيده ؛ لأنه يؤمن بأن الذوق الأدبي في هذا العصر قد تغيّر حقا ، وأصبح هذا الذوق الجديد في حاجة الى أسلوب جديد أيضا ، " يلائم حاجات الناس وحياتهم "[٦] ، ويُلاحظ أنّ طه قد أخذ على الرافعي من الناحية اللغوية قوله في رده السابق : " هَبْ أنّ الذوقَ تغيّر "[٧] ، على حين أن الأسلوب الفصيح يقتضي أن يأتي بعد " هَبْ " الاسم الظاهر ، أو الضمير العائد اليه ؛ ثم نشر طه حسين بعد هذا الرد في صحيفته مقالة عامة ، ناقش فيها الأساليب الأدبية ، **وبيّن خلالها أن الأسلوب الأدبي ينبغي أن يناسب العصر الذي يعيش فيه الكاتب ، فليس ملائما أن يصطنع الكاتب المعاصر لغة الجاهليين أو الأمويين ، أو العباسيين ، ليصوّر أشياء لم يعرفوها ، وضروبا من الحس والشعور لم يحسّوها ، ولم يشعروا بها ، فاتخاذ أساليب العصور الخالية نقص أدبي " لأن الكمال الأدبي يستلزم أن تكون اللغة ملائمة للحياة ، وهو نقص خلقي ، لأنه كذب للكاتب على نفسه ، وعلى معاصريه ، وهو نقص من جهة أخرى ؛ لأنه لا يدل على أقل من أنّ الكاتب ينكر شخصيته ، ولا يعترف لها بالوجود "**[٨].

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٥ ، ج ٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٧ .
(٣) انظر نص ردّه في المصدر نفسه ، ص ٥٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٨ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٥٨ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٥٩ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٥٨ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ٥١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم تحوّل الى أسلوب الرافعي في رسالة العتب ، فحاول أن يحلّل علميا ماحدث حين عمد فيها الى ذاك الأسلوب البديعي ، قائلا عنه فيها : " ... ليس من شك في أنه لم يشعر كما كتب ، ولم يفكر كما كتب ، وانّما شعر بطريقة ، وكتب بطريقة أخرى ، فلسنا نراه هو في كتابه ، وانما نرى في هذا الكتاب تكلّفه ومحاولته الإجادة "[١] . واستدل على هذا التكلف بأن الرافعي يعاتب في رسالته صديقا ، والعتاب يقتضي أن يظهر الصديق لصديقه دخيلة قلبه ، وخلاصة نفسه ، وصادق مشاعره " لا أن ينسج له نسجا ليس بينه وبينه صلة "[٢] .

وهكذا خلص في المقالة الى أن أسلوب الرافعي متكلّف ، لأنه " قديم جدا ، لا يلائم العصر الذي نعيش فيه "[٣] .

وقد ربط بين رسالة الرافعي في العتب وبين مقالة أخرى نُشرت في صحيفة السياسة نفسها بعد أسبوع من نشر رسالة الرافعي ، عنوانها " بين الجمال والحب " **لطه عبدالحميد الوكيل**[٤] ، إذ لاحظ أن الكاتب على النقيض من الرافعي قد عمد الى **أسلوب حديث جدا** ، لكنه " لا يلائم العصر الذي نعيش فيه أيضا ، وآية ذلك ... أن كثيرا من القراء سيشعرون حين يقرؤون رسالته بشيء من الغموض كثير "[٥] ، وقد خلص من خلال هذا الربط بين أسلوبي الكاتبين الى أنّ القصد أساس الخير في كل شيء ، فليس من الخير أن يتخلّف أسلوب الكاتب عن عصره ، كما أنه ليس من الخير أن يستبق الكاتب أسلوب عصره ، يقول مظهرا في جلاء **موقفه من قضية الأسلوب** الأدبي وملاءمته للعصر الذي يعيش فيه الأديب ، وهو موقف قائم على الاعتدال : **" ... لا أمقت القديم ، ولا آنف من الحديث ، وانما أرى أني وسط بين القديم والحديث ، وأرى أن لغتي يجب أن تكون مرآة صادقة لنفسي ، ولن تكون لغتي مرآة صادقة لنفسي ، إذا كانت قديمة جدا ، أو حديثة جدا ، وانما هي مرآة صادقة لنفسي ، إذا كانت مثلي وَسَطا بين القديم والحديث "**[٦]

وهو يعرض في هذه المحاورة المبكرة لزعم أدعياء الحداثة في الربع الأول من هذا القرن ، إذ يذهبون الى أنّ اللغة العربية الفصحى قد أضحت قديمة جدا ، لا تلائم أبناء هذا العصر ، ولا تستطيع أن تؤدي مايحسّونه ، ويشعرون به ، فيرد عليهم في قوة قائلا " كلا ليس هذا حقا ، **فإن اللغة العربية الفصحى ليست من الموت والجمود بحيث تظنون ، وانما هي**

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١١٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٢

(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٢

(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٠

(٥) المصدر نفسه ، ص ١١٢

(٦) المصدر نفسه ، ص ١١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كغيرها من اللغات الحيّة مُستحيلة ، إذا تكلفها أحياء يخضعون لنظام الاستحالة والتطور، حيّة ، مستحيلة ، لأننا نفهمها ، ونتخذها وسيلة للتخاطب وتبادل الآراء ، فيفهم بعضنا بعضا دون تكلف ولا عناء "[١] .

على أنه يرى أنّ العربية الفصحى ينبغي أن تسلك سبيلها في الحياة والتطور ، دون أن يحول بينها وبين هذا التطور الطبيعي حائل ، أو " أسلوب قديم كأسلوب الرافعي ، ودون أن يفسد عليها هذه الحياة أسلوب حديث جدا كأسلوب طه عبدالحميد الوكيل "[٢] ، ولذا أهاب بالأدباء المعاصرين أن يتوخوا الدقة في اختيار ألفاظ فصيحة ، جلاها الاستعمال ، وصقلتها الألسنة ، وأن يؤثروا هذه الألفاظ على الألفاظ المبتذلة [٣]. ثم تساءل أخيرا ، بعد أن جهر برأيه في ماينبغي أن يكون الأسلوب الأدبي عليه في هذا العصر : ماذا يمكن أن ينكر الرافعي من هذا المذهب الذي يدعو اليه ، والذي يقوم على القصد والصدق وحسن الملاءمة ؟ [٤]

وقد ردّ الرافعي قائلا : إنه يخشى اذا انتصر مذهب الاعتدال في الأسلوب الأدبي ، كما يدعو اليه طه حسين " أن تضعف اللغة ويذوي عودها ، وأن يضطر الناس بعد حين الى أن يترجموا العربية الى العربية "[٥] ، كما سوّغ أنه لجأ الى الأسلوب البديعي في رسالة العتب ، بأنه يخاطب أديبا مثله ، وليس واحدا من عامة القراء .

لكنّ طه حسين أجاب بقوله : إنّ الأدباء في رسائلهم ، التي ينشرونها لا يتكلّفون ، وانما يصطنعون أسلوبا يفهمه القراء ، فالأدباء الأوروبيون من أمثال ، " **فيكتور هوغو و رينان وبرتلو و لامارتين و فلوبير و بودلير** لم يكونوا " يتكاتبون باللاتينية ولا بفرنسية القرن السادس عشر ، ولا بفرنسية القرن السابع عشر أيضا ، وانما يتكاتبون بفرنسية القرن التاسع عشر ، وذوق القرن التاسع عشر "[٦] ، بل إن أدباء العربية القدامى في العصر العباسي كانوا حين يتكاتبون لا يصطنعون ألفاظ **رؤبة والعجّاج** وأساليب الجفاة من الأعراب ، وانما يتحدثون ويكتبون متأثرين بذوق العصر الذي يعيشون فيه[٧] ، وأما خوفه من أن تضعف العربية إذا **ساد مذهب الاعتدال** ، وأن تموت في النهاية فليس له مايسوّغه ، ذلك أنّ **الخطر على العربية في**

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ١٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٣ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٧ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٧ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رأي طه حسين يلوح إذا انتصر مذهب الرافعي في الأسلوب ، وقد استدلّ على صحة قوله بأنّ عامة القراء محتاجون الى أن تترجم لهم رسالته في العتب ، وليسوا محتاجين الى أن تترجم لهم مقالات طه أو رسائله[١] ، بل يقول له مستدركا " ... ماذا نقول : ليسوا محتاجين الى أن يترجم لهم الجاحظ وابن المقفع، وهم محتاجون الى أن يترجم لهم الأستاذ صادق الرافعي ، وسل القراء ينبئوك الخبر اليقين "[٢] .

ثم ينهي طه حسين ردّه مرحبا بالحوار النقدي مع الرافعي، وبدفاعه عمّا وجّه اليه من نقد ، وإنْ كان يأمل منه أن يلتزم في حواره بلين القول ، وبالرفق فيه[٣] .

خطأ العريان ومغالطة الرافعي :

وقد ردّ الرافعي على النقد ، ولكنه لم يدافع عن أسلوبه هذه المرة ، وانما تحوّل من الدفاع الى الهجوم على أسلوب طه حسين نفسه ، **وهنا ينبغي أن نلاحظ أن هذا الرد هو عينه الذي نقل العريان عن الرافعي أنه (دسّه) الى طه يذم أسلوبه بما يشبه المدح** ، ويعيب عليه التكرار وضيق الفكرة ، فنشره طه في السياسة قبل أن يستبين مغزاه ، وما يرمي اليه ، ... ثم عرف ... وتهيّأت أسباب الحرب[٤] . والذي يدلّ دلالة قاطعة على أن هذا الردّ هو نفسه الذي أشار اليه العريان نقلا عن الرافعي، أننا نجد **الرافعي** قد أثبت نصّه في كتابه " **تحت راية القرآن** " . وقدّم له بكلام يتطابق وما نقله العريان عنه ، قال في التقديم : " ... ترى الكلمة على طريقة السؤال والمداراة ، وفي وجه غير النقد أو التصريح ، لأن الأستاذ كان يتولّى " صحيفة الأدب " في جريدة السياسة ، ... فكان لا يجيز إلاّ ما أراد نشره أو وقع من نفسه موقعا ... **فاحتلنا عليه بتوجيه الخطاب وجهة ، لا ينفر منها ، إنْ لم يأنس اليها ، ولا ينكرها ، إنْ لم يقرّها ، وجازت عليه الحيلة فوقع فيها ، ثم فطن لها بعد** "[٥] .

والغريب حقا أننا نقرأ هذا الردّ الذي قدّم له الرافعي بما ذكرنا ، فنُفجأ بأنه هجوم واضح على أسلوب طه حسين ، لا يمكن أن يخفى على أدنى القرّاء ذكاء وفطنة ، وآية هذا أن الرافعي في كلمته قد اجتزأ فقرة من مقالة كان طه قد كتبها حول المعلمين في تلك

---

(١) المقصود مقالات طه حسين ورسائله .
(٢) حديث الأربعاء ، ص ٠١٧
(٣) المصدر نفسه ، ص ٠١٨
(٤) انظر " حياة الرافعي " ، ص ١٥٣ ، ط ٠٣
(٥) الرافعي " تحت راية القرآن " ، ص ٩٧ ـ ٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البرهة التي كانت المحاورة بينه وبين الرافعي قائمةً، وقد اختار هذه الفقرة بعينها ، لأن فيها تتكرّر كثيرا كلمات : " المعلمين " و " قمة " و " قضية " ، ولأنه أخذ عليه لغويا قوله فيها : " وليست قصّتهم **مفزعة مهلعة** "[١] ، قال الرافعي بعد أن أثبت الفقرة : " ... هذه عشرة أسطر صغيرة دار (المعلمون) فيها عدد أيام الحسوم ، وحكيت (القصة) ست مرات ، وكان (للقضية) ست جلسات ، غير ماهناك من مفزعة ومهلعة قد أفزعت وأهلعت مرتين "[٢] ، ومن الواضح أنه قصد بما قال السخرية من التكرار في أسلوب طه حسين ، ثم ختم ردّه **بتهكم لاذع** قائلا عن الكلمات التي تكرّرت في الفقرة : " **هذه الكلمات رُقى وطلاسم** للتسخير بقوتها وروحانيتها ، فإذا قرأ المعلمون هذه المقالة عشر مرات ، انحلت المشكلة ، وجاءهم الرزق وهم نائمون ، **ولكن يبقى ياسيدي (طه) أن تختم الكلام بعد هذه الهمهمة والغمغمة بقولك: الوحيَ الوحيَ ، العَجَلَ العَجَلَ ، الساعةَ الساعة ... والسلام** "[٣].

وهنا ينبغي أن نتوقّف قليلا ، لنتساءل ، ثم نحاول الإجابة في أناة قائلين : مادام غمز الرافعي في كلمته لأسلوب طه حسين واضحا ، وما دامت سخريته ظاهرة ، وما دام قد خطّأه لغويا إذ قال " مفزعة مهلعة " فكيف (دسّها) لطه دسّا ، فنشرها في السياسة ؟؟ بل كيف جازت الحيلة على طه حسين ، كما ذهب الرافعي ونقل عنه العريان ، مع أن الكلمة جليّة لا تتضمن أية حيلة ؟ وكيف كان طه حسين من الغفلة ، حتى احتاج الى من ينبهه الى مقصد الرافعي من الكلمة ؟ يقول الرافعي في هذا : " **ثم فطن لها من بعد ، نبّهه صديق كنا حكيناها له ، فأسرّها في نفسه** "[٤] .

من الغريب حقا أنّ أحدا من الدارسين لم يتنبّه الى هذه المغالطة ، وأنّ الوحيد الذي تنبّه اليها هو طه حسين نفسه ، ولكن دون أن يشير اليها أية اشارة صريحة ، ولذا ظلّت خافية ، **إذ اكتفى بإثبات نص كلمة في كتابه " حديث الأربعاء " تتكفّل بإظهار الحقيقة لأي دارس متأمل** ذلك أنها في حقيقتها كانت ردّا نشر في حينه[٥] ، على كلمة الرافعي ، التي ذهب الى أنه دسّها دسّا ، وأعمل فيها الحيلة ، وكلمة طه حسين تثبت دون شك أنها وكلمة الرافعي كانتا في إطار المحاورة التي دارت حول رسالة العتب ، حتى إن طه حسين قد جعل عنوان ردّه

---

(١) انظر " تحت راية القرآن " ، ص ٩٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٩٨ .

(٥) انظر " حديث الأربعاء " ، ص ٢٠ ، ج ٣ .
واربط بين نص الكلمة ، وكلمة الرافعي التي أثبتها في " تحت راية القرآن " ، ص ٩٧ - ٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" حول أسلوب في العتب " [١]، وفيه ذهب الى تعليل هجوم الرافعي على أسلوبه بقوله : " لعله أراد أن يثأر لنفسه ، فنقد أسلوبنا كما نقدنا أسلوبه " [٢]، ثم يبيّن بعد ذلك للرافعي أنه ليس مثله يضيق ذرعا بالنقد ، وانما يتقبله شاكرا ، لأنه لا يزعم لأسلوبه امتيازا من الأساليب ، كما فعل هو في دفاعه عن أسلوبه ، يقول طه حسين في رده على الرافعي ساخرا ومعرّضا : " نتقبل نقده شاكرين متواضعين ، لا ساخطين ولا مجادلين ، فلسنا نزعم لأسلوبنا امتيازا من الأساليب ، ولسنا نصفه بأنه من أنواع الزخرف ، ولسنا نزعم أنّ الأعناق تقطعت دونه عصورا ، ولسنا نزعم أنّ الكتاب غير قادرين على اتقانه ، ... لسنا نزعم لأسلوبنا شيئا من ذلك ، إنما نشعر فنكتب ، وقد نجيد مرة ، ونتورط في الردىء مرة أخرى " [٣].

والذي يدلّ دلالة قاطعة على أنّ كلمة طه حسين هذه هي ردّ على كلمة الرافعي ، التي ذهب الى أنه دسّها ، وموّه عليه فيها ، أننا نجد طه يرد فيها على أشياء محددة وردت في كلمة الرافعي ، فقد ذهب الرافعي في كلمته الى أنه معني بتتبع أساليب العربية في القديم والحديث، قائلا " **لأنّ فلسفة ذلك باب من أبواب كتاب أضعه** ، ولكني في كل ماقرأت من بدء اتصال الرواية بالعرب الى اليوم لم أصب مثل هذا الأسلوب الذي تكتب به " [٤] ثم يسأله متهكما عن السر الذي يدعوه الى اختيار أسلوبه قائلا : " لا ريب أن الأستاذ قد نحا بهذا نحوا لا نعرفه ، وقصد الى وجه لم نتبينه ، فهو يدلّنا عليه **لنجريه فيما أجرينا من أساليب البلاغة ، ونؤرخ له في الذوق الجديد** " [٥]، ونجد طه يردّ عليه في هذا الأمر قائلا في سخرية : " أما بعد ... فلسنا نحاكي بأسلوبنا أسلوبا آخر قديما أو حديثا ، ولسنا نتكلف هذه المحاكاة ، وانما هي طريقتنا في التفكير وطريقتنا في الإملاء ، **فاذا أراد الأستاذ أن يقدّر هذه الطريقة ، ويؤرخ لها في كتابه فنحن شاكرون له عنايته وحسن ظنه ، واذا أراد الأستاذ أن يزدريها ويربأ بكتابه عنها فله ذلك غير ملوم ولا معاتب** " [٦]، واذا كان الرافعي في كلمته قد أخذ على طه حسين قوله " **مفزعة** " و " **مهلعة** " ، فإننا نجد طه في كلمته قد دافع عن السلامة اللغوية في كلمة (مفزعة) بقوله : " ... يأخذنا الأستاذ بكلمة " مفزعة " وليس في " المُفْزَعة " مأخذ فهي كلمة يرضاها القياس ، ويقرّها السماع " [٧]، كما دافع عن السلامة اللغوية في كلمة " مُهْلِعة " بقوله :

---

(١) انظر حديث الأربعاء ، ص ٢٠.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠.
(٤) تحت راية القرآن ، ص ٩٩.
(٥) المصدر نفسه ، ص ٩٩.
(٦) حديث الأربعاء ، ص ٢٠ ، ج ٣.
(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" ويأخذنا الأستاذ بكلمة " مَهْلعة " ، وليس في هذه الكلمة مأخذ ، فإن كتب النحو ، وكتب اللغة سواء منها مايقدر الأستاذ وما لا يقدر تبيح للناس أن يعدوا الأفعال الثلاثية بالهمزة قياسا مطردا "[١] .

ثم إنه لم ينسَ في معرض ردّه اللغوي أن يذكّر الرافعي بهفوته اللغوية السابقة ، إذ قال " **هَب أنّ الذوق تغيّر** " ، فقد حاول الرافعي أن يسوغ وضعه " أنّ " بعد " هَبْ " بأن هذا قد ورد في ماقاله **ابن برّي في مناقضة الحريري** ، يقول طه حسين معرضا بهفوة الرافعي اللغوية : " الرجوع الى المعجمات أيسر على الأستاذ في هذه الكلمة (مفزعة) من الرجوع الى هذه المعجمات في **وضع " أنّ " بعد " هَب "** وأيسر عليه من تلمس المعاذير ومن تتبع ماقال ابن برّي في مناقضة الحريري ، ولعل الأستاذ يذكر أنا حمدنا له حسن حظه ، إذ وجد من ابن برّى عاذرا ومقيلا "[٢] .

وهكذا يتضح لنا في جلاء ، ودون أدنى شك ، أن كلمة الرافعي ماهي في الحقيقة إلاّ حلقة من حلقات محاورته الأولى لطه حسين ، التي دارت بينهما إثر نشره لرسالته في العتب ، وأنّ طه حسين لم يغفل عن مرماها ، ولم تجز عليه الحيلة فيها ، وانما ردّ عليها ردّا مناسبا قويا في حينه ، على نحو مارأينا ، فالرافعي إذن لم يدسها دسا كما ذهب ونقل عنه العريان .

على أنّنا ينبغي أن نتساءل هنا : **كيف أباح الرافعي لنفسه إذن أن يقول ماقال ، وأن يذهب الى ماذهب ؟**

إن الالتزام بالحيدة ، وبعدم الانحياز إلاّ الى الحقيقة ، دون نظر الى الأفراد ، يوجب علينا أن نقول : إننا في تفسير القضية بين احتمالين : إما أن يكون الرافعي قد نسي أمر كلمته ، وردّ طه حسين عليها في حينه ، وعلاقتها بالمحاورة التي دارت ، وذلك لأنه نشر كتابه " تحت راية القرآن " بعد عاصفة الشعر الجاهلي عام ١٩٢٦ ، على حين أن الكلمة والرد كانا في عام ١٩٢٣ ، والنسيان أوقعه في وَهْم ماذهب اليه ، مع أن الكلمة ليس فيها حيلة ، وانما فيها تعريض ساخر ، وتخطئة لغوية واضحة ، وإما أنه لم ينسَ ، وانما عمد الى المغالطة والإيهام عمدا ، وقصد اليهما قصدا ، وممّا يرجح الاحتمال الثاني على الأول أن الرافعي نفسه يجهر في إحدى محاوراته لطه حسين بأنه قوي الذاكرة جدا ، حتى إنه يقول له :" ... فأنا لا أكاد أنسى ما أقول ، ولا ما يُقال لي "[٣] .

---

(١) حديث الأربعاء ، ص ٢٠ ، ج ٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠ .

(٣) الرافعي ، " تحت راية القرآن " ، ص ١٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما محمد سعيد العريان فقد وقع في ثلاثة أخطاء في ما أورده ، وعرضنا له ، **وأول هذه الأخطاء** أوقعه فيه الرافعي حين نقل عنه مانقل دون تيقن أو تثبّت ، وهو يتحمل علميا تبعة هذا الخطأ ، لأنه - بوصفه دارسا - كان ينبغي أن يتحقّق من صحة مانقل ، حين عرض للخصومة بين الناقدين ، وهو يتحمل تبعته مرة أخرى ، لأن طه حسين حين قام بترتيب أجزاء كتابه " حديث الأربعاء " الترتيب الأخير في الأربعينيات ، قد حرص على إثبات نص رده على كلمة الرافعي ؛ ليظهر - في صمت تام ، ودون ضجيج - باطل ما أورده الرافعي ونقله عنه العريان ؛ ولذا كان على العريان أن يتنبه الى الخطأ ، وأن يبادر الى تصحيحه في أول طبعة جديدة من كتابه " حياة الرافعي " صادفت بعد ذلك ، ولكنه لم يفعل[١] . كما أن أي دارس آخر لم يتنبه .

وثاني هذه الأخطاء أنه ظن فيما نقل - وأوهم قارئه - أن الرافعي هو الذي بدأ بنقد أسلوب طه حسين ، على حين أن طه كان هو البادىء ، كما بيّنا[٢] .

وثالث الأخطاء أنه ظنّ أنّ **المحاورة الأولى** بينهما كانت حول رسائل الأحزان ، على حين أنها كانت **حول " رسالة في العتب "** ، على نحو ما رأينا[٣] ، والحق أن المحاورة الأولى التي دارت حول مقالة " أسلوب في العتب " كانت أكثر خصبا واتساعا من المحاورة الثانية ، التي دارت حول " رسائل الأحزان " ؛ لأن النقد والردّ خلالها قد تتابعا وتعاقبا ، كما اشترك فيها أخيرا عدد من النقاد والأدباء[٤] ، وقد انتهت هذه المحاورة بتهديد من الرافعي ، وبتحدّ من طه حسين : أما الرافعي فقد أرسل اليه رسالة خاصة ، أنذره فيها بكلمات قد يتناوله بها في صحف أخرى ، غير السياسة إذا لم يكفّ عن نقده ، أو يمتنع عن نشر مقالات من ينتقدون أسلوبه ، وطلب منه ألاّ ينشر الرسالة ، غير أن طه حسين لم يتردّد في إفشاء فحواها ، قائلا في تحدّ : " ينذرنا الأستاذ بكلمات قد يتناولنا بها في صحف أخرى ، فهل قرأ الأستاذ :

" زَعَمَ الفَرزدقُ أنّ سَيقتلُ مِرْبَعاً "

وهل قرأ الأستاذ قول الآخر :

" تمناني ليقتلني زيادٌ "[٥] .

على أن الأمر بينهما في المحاورة قد توقف عند هذا التهديد والتحدي ؛ ربما لأنّ الرافعي قد شُغل بالرد على الكتاب الآخرين الذين تناولوا أسلوبه في صحيفة السياسة ، وبالرد

---

(١) انظر مثلا الطبعة الثالثة من الكتاب ، ص ١٥٣ . وقد صدرت عام ١٩٥٥ .

(٢) انظر المرجع نفسه ، ص ١٥٣ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٥٣ .

(٤) انظر " حديث الأربعاء ، ص ١٤ ، ج ٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على سلامة موسى الذي هاجمه خلال ذلك في **مجلة " الهلال "**[١]... وربما لأنه في هذه المحاورة لم يكن قد استيأس بعد من مجاملة طه حسين، وصداقته الأدبية، ولذا آثر أن يُبقي على (شعرة) معاوية بينهما، وآية هذا أنه لم يغلظ له القول في ردوده، كما أغلظه في ردوده على النقاد الآخرين، الذين اشتركوا في نقد أسلوبه في العتب، فهو لم يتورع عن الدفاع عن أسلوبه بالشتم واستصغار الشأن، وبوصف الواحد منهم بأنه (عقرب) قاصر، حرمه الله الفقه الأدبي[٢]، وآية هذا أيضا أنه لم يرد على طه حسين، إذ استأنف نقده له، حين عرض للمحاورة العنيفة، التي دارت بينه وبين سلامة موسى في الهلال[٣]، بل آية هذا أن الرافعي عاد بعد مدة قليلة فأهدى اليه كتابه الجديد " رسائل الأحزان "، ومعه رسالة رقيقة العبارة[٤].

رسائل الأحزان والمحاورة الثانية :

وحين نأتي الى المحاورة التي دارت حول كتاب **" رسائل الأحزان "**، نلاحظ أول ما نلاحظ أن سامح كريم، الذي اتصل بطه حسين في أواخر أيامه، واستأذنه في أن يعرض لخصوماته الأدبية، وراح يستفسر منه ويسأله عنها - قد وقع في خطأ ظاهر، إذ عرض لمحاورة رسائل الأحزان، فهو فضلا عن أنه عدّها الأولى بعد الخصومة النقدية التي دارت حول كتاب " حديث القمر " عام ١٩١٢، قد قال :

" بدأت المعركة من جديد حين نشر الرافعي كتاب " رسائل الأحزان " فهاجمه طه حسين في جريدة السياسة في مايو ويونيه عام ١٩٢٣ في مقالات عدّة "[٥]

فكيف يكون طه قد هاجم الكتاب عام ١٩٢٣، على حين أن الرافعي قد " بدأ كتابه " رسائل الأحزان " في يناير سنة ١٩٢٤، وانتهى منه مساء ١٧ من فبراير سنة ١٩٢٤"؟[٦]

---

(١) انظر مقالة سلامة موسى، مصطفى صادق الرافعي المذهب القديم والمذهب الجديد، مجلة الهلال، ص ٤٠٠ - ٤٠٤، الجزء الرابع، السنة الثانية والثلاثون - ١٩٢٣.
وانظر ردّ الرافعي عليه " دفاع عن المذهب القديم في الأدب " مجلة الهلال، ص ٤٦٩ - ٤٧٥. السنة الثانية والثلاثون، الجزء الخامس - ١٩٢٣.

(٢) حديث الأربعاء، ص ٢٢، ج ٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣ - ٣٠.

(٤) انظر المصدر نفسه، ص ١٢٥.

(٥) سامح كريم " معارك طه حسين الأدبية "، ص ٢٩٩.

(٦) محمد سعيد العريان، " حياة الرافعي " ص ١٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والصحيح أن المحاورة التي دارت عام ١٩٢٣ كانت حول رسالة " أسلوب في العتب " ـ كما رأينا ـ ثم إنّ طه حسين لم يهاجم " رسائل الأحزان " هجوما في مقالات عدة ، وانما قال فيها رأيه النقدي من خلال مقالة واحدة ، لأن الرافعي سأله أن يقول هذا الرأي ، حين أهداه الكتاب ، ومعه رسالة لطيفة يطلب إليه فيها أن يحسن كما أحسن الله إليه ، وألاّ يبغي [١] ، وقد فهم طه حسين منها أنّ الرافعي يلتمس منه أن يثني على كتابه التماسا ، يقول : " كان في كتابه أقرب الى التضرع والتسول منه الى الوعيد والنذير " [٢] ولكن طه حسين في هذه الحقبة كان يرفع لواء النقد الحر البريء في جرأة وايمان مدهشين ، ولذا كان يستوي عنده في هذا النقد خصمه اللدود ، وصديقه الحميم ، وكان إذا شرع ينقد خصما من خصومه طمأنه بأنه سينسى في أثناء النقد أسباب الخصومة كلها [٣] ، على حين كان إذا شرع ينقد الصديق أو النصير ، تذكّر أنه قد ينتظر منه المجاملة ، فبيّن له أنه يتمنى لو يستطيع ذلك ، واعتذر إليه قائلا : " ... لكن كيف السبيل الى المجاملة ، وصناعة النقد لا تحتملها ولا ترضاها ، وقد أراد الله أن أكون ناقدا ، فأراد أن أكون ثقيلا إذن " [٤] .

بهذا الروح النقدي الحر ، كان قد تناول قبل أيام معدودة فقط من نقده لرسائل الأحزان خصمه السياسي عباس محمود العقاد [٥] ، ونصيره الذي ظاهره على الرافعي في المحاورة السابقة سلامة موسى [٦] ، وصديقه الدكتور محمد حسين هيكل ، رئيس تحرير صحيفة " السياسة " [٧] ، وهاهو ذا يتهيّأ لنقد رسائل الأحزان ، وهاهي ذي رسالة الرافعي تلتمس منه المجاملة والثناء ، وتلوّح له أيضا من طرف خفي بالتهديد والوعيد ، فكيف كان موقفه منها ؟ يقول : " .. قد ضحكت من كتابه هذا ، وأهملته فيما أهمل ، ثم نقدت فلسفته في الجمال والحب "رسائل الأحزان" [٨] .

وقد عاد طه حسين في نقده لرسائل الأحزان الى مأخذه القديم الحديث على الرافعي ، وهو أسلوبه الأدبي ، الذي يتكلّفه في رأيه تكلفا ، ويعاني في أثناء تكلفه كل مشقة وعنت ، حتى ليخرج هذا الأسلوب غامضا ، لا يكاد يفهم عنه القارىء ، يقول مصورا شعوره بإزاء أسلوب الكتاب :

---

(١) أنظر " حديث الأربعاء " : ١٢٥ ، ج ٣ .
(٢) المصدر نفسه : ١٢٥ .
(٣) أنظر المصدر نفسه : ٩٦ .
(٤) المصدر نفسه : ١١٢ .
(٥) المصدر نفسه : ٩٦ ، ج ٣ ، وكان العقاد من حزب الوفد ، على حين كان طه كاتب حزب الأحرار الدستوريين ، وكلاهما عدو للآخر .
(٦) أنظر المصدر نفسه : ١١٢ ـ ١١٣ .
(٧) المصدر نفسه : ١٠٦ ، ج ٣ .
(٨) المصدر نفسه : ١٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" .. كل جملة من جمل هذا الكتاب تبعث في نفسي شعورا قويا مؤلما بأن الكاتب يلدها ولادة ، وهو يقاسي في هذه الولادة ماتقاسيه الأم من آلام الوضع ، ولو أنه ظفر بعد هذه الآلام بما تظفر به الأمهات بعد آلام الوضع ، لقلنا : آلام قيمة لها نتائجها الحسنة ، وآثارها الخالدة ، ولكنه لا يظفر من هذه الآلام بشيء ، فأنت لا تجد لذة في قراءة هذه الجمل المتعبة المكدودة التي شقّت على كاتبها ، وهي تشق على قارئها " (١) .

وهو لهذا قد قرأ الرسائل كلها ، لكنّه لم يفهم عنها شيئا ، لأنها تبدو غامضة غموضا شديدا ، وقد دفعه عدم فهمه للرسائل الى **أن يذيع رأيا خطيرا حقا في مذهب الرافعي النثري** ، إذ ذهب الى أنه يتكلف الغموض الشديد ليوهم قارئه بأنه يصور معاني ومشاعر يجدها في نفسه ، يقول : " .. أكبر ظني أن الأستاذ الرافعي نفسه لا يحاول أن يقول شيئا حين يكتب هذه الرسائل ، وانما هو يذهب في النثر مذهبا غريبا ، فيتكلف العناء والمشقة في الغوص على المعاني الغريبة ، ثم يتكلف العناء والمشقة في أن يسبغ على هذه المعاني الغريبة ألفاظا غريبة ، حتى إذا تمّ له ذلك خَلْق غريب رصّ هذه الخلق بعضه الى بعض فاتسقت منه رسالة ، ثم يستأنف العمل ، حتى تتسق له رسالة أخرى ، ورسالة ثالثة ورابعة ، ثم يرصّ هذه الرسائل بعضها الى بعض فيتسق له منها كتاب " (٢) .

ولا ريب أن لهذا الرأي النقدي خطره على الرافعي ، لأن إبداعه الأدبي يقوم في الغالب على هذا اللون من الكتابة النثرية ، كما في كتبه " حديث القمر " و " السحاب الأحمر " و " أوراق الورد " .

لقد كان طه حسين قبل هذا النقد بحوالي أسبوع قد التقى الرافعي في جريدة " السياسة " فصارحه بأنه لا يفهم رسائل الأحزان ، وحينئذ أجابه : **لم تتخذ نفسك مقياسا للناس ، أو للعقل الإنساني في الأرض** (٣) ؟ وهو يقصد بهذا أن العلة قد تكمن في طه حسين لا في الكتاب ، وأنّ غيره من القراء قد يفهمونه . وقد أجابه طه حسين عن هذا بقوله : " لست أتخذ نفسي مقياسا للناس ، وانما أتخذ نفسي مقياسا لنفسي " (٤) .

---

(١) حديث الأربعاء : ١١٢ ، ج٣ .

(٢) المصدر نفسه : ١٢٣ .

(٣) المصدر نفسه : ١٢١ ، ج ٣ ، وقد ذهب الرافعي في ردّه الى أنه لم يقل : " مقياس للناس" وانما للعقل الإنساني في الأرض ، أنظر " تحت راية القرآن " : ١٠٧ .

(٤) حديث الأربعاء : ١٢١ ، ج ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما من شك أنّ مطعن الرافعي في حكم طه حسين النقدي على الرسائل هو منطقي ، فقد تكون العلة أحيانا في الناقد لا في الكتاب المنقود ، ولذا يُلاحظ أن طه حسين حين نقد " رسائل الأحزان " وأصدر حكمه عليها ، قد لجأ الى أسلوب بديع حقا في القياس النقدي ، ليثبت أنّ العلة ليست في سوء فهمه وانما هي في كتاب الرافعي ، إذ قال يخاطبه : " إني وانْ لم أتخذ من نفسي مقياسا للناس فلست من الأميين ، ولا من الذين يشقّ عليهم أن يفهموا الآثار الأدبية القيّمة ، واذن فإذا كتبت كتابا لا سبيل الى أن أفهمه فيجب أن يكون في هذا الكتاب عيب حال بيني وبين فهمه، **ذلك لأني أقرأ القرآن فأفهمه ، وأقرأ الشعر فأفهمه ، وأقرأ ضروبا من النثر العربي والأجنبي فأفهمها ، وأقرأ كتابك فلا أفهمه ، فيجب أن يكون كتابك شيئا لا كالكتب ، ويجب أن يكون مذهبك في الكتابة شيئا لا كالمذاهب** " (١).

على أن الرافعي أصرّ في ردّه العنيف الغاضب على النقد على أن العلة لا تكمن في كتابه، وانما في فهم طه حسين ، إذ إنه بدأ رده على هذا النحو : " إلى الأستاذ الفهّامة طه حسين يسلم عليك المتنبي ، ويقول لك :

" وكَمْ مِنْ عَائبٍ قولاً صَحيحـًا وآفتـهُ مِن الفَهْـمِ السَّـقيمِ " (٢)

وقد ذهب الى أن فهم طه حسين السقيم هو الذي يمنعه من تذوق الأسلوب البياني الأصيل ، وما يتضمنه من " دقائق المجازات والاستعارات ، والكناية والإشارة ونحوها " (٣) . وهو الأسلوب الذي اتبعه الرافعي في رسائله ، وأما قوله في نقده : إنه يفهم القرآن ولا يفهم الرسائل ، فيردّه الرافعي بقوله : " أنا لا أصدّق من هذا شيئا " (٤)، لأن في القرآن حقائق البلاغة ودقائق الإشارات " (٥)، ويستدل الرافعي على أنّ طه عاجز عن تذوق الأسلوب البلاغي ، بأنه يعمد في أسلوبه الى التكرار الممل ، كما أن هذا الأسلوب يخلو من الاستعارات والكنايات المستملحة (٦)، واذا كان الأسلوب البياني في نظر الرافعي هو المحك الحقيقي لمقدرة الأديب ، فإنه في ردّه يتحداه قائلا : " ... **أفأنت تقوم لي في باب الاستعارة والمجاز ، والتشبيه ؟ ... لقد كتبت رسائل الأحزان في ستة وعشرين يوما فاكتب أنت مثلها في ستة وعشرين شهرا** " (٧)، واذا كان طه قد ذهب في نقده الى أن الرافعي يشق على نفسه في أسلوبه الكتابي ، حتى لكأنه يلد جمله ولادة ، فإن الرافعي يردّ على هذا النقد قائلا في تحدّ ساخر :

---

(١) حديث الأربعاء : ١٢١ ، جـ ٣.
(٢) الرافعي " تحت راية القرآن " : ١٠١ ، ط ٤.
(٣) المصدر نفسه : ١٠٩.
(٤) المصدر نفسه : ١١١.
(٥) المصدر نفسه : ١١٢.
(٦) المصدر نفسه : ١٠٨ ـ ١٠٩.
(٧) المصدر نفسه : ١٠٤ ـ ١٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" .. ها أنا أتحداك أن تأتي بمثلها ، أو بفصل من مثلها ، وانْ لم يكن الأمر عندك في هذا الأسلوب الشاق عليك إلاّ ولادة وآلاما ، من آلام الوضع ، كما تقول ،فعليّ نفقات القابلة والطبيبة ، متى ولدت بسلامة الله " (١) .

وما من شك في أنّ تحدي الرافعي هذا لطه حسين مرفوض من الناحية النقدية ، لأنه حين يدعوه الى أن يكتب " مثل " رسائله ، يدعوه في الحقيقة الى أن يتنازل عن شخصيته الأدبية ، لأنّ لكل أديب أسلوبه المتميز النابع من شخصيته الخاصة ، وهو سيتنازل عن شخصيته لأنه ينبغي عليه أن يقلد أسلوب الرافعي ، حتى يأتي (بمثل) رسائله ، مع أنه ينكر هذا الأسلوب ، ولا يسيغه ، والذي يدل على أن هذا التحدي مرفوض من الناحية العلمية أو النقدية ، هو أن كل أديب يمكنه أن يوجهه الى الآخر ، وهو آمن أنّ من يتحداه لا يستطيع الاستجابة ، ولا ريب أنّ الرافعي نفسه لا يستطيع أن يأتي بمثل أسلوب طه حسين وكتابته .

والرافعي يرى طه حسين ضعيف الخيال ، عاجزا عن الإبداع الأدبي (٢) ، ولذا ينكر عليه أن ينقد المبدعين ، وهنا نلحظ أنه يذهب الى أمر مستهجن حقا في ميدان النقد الأدبي ، إذ يرى أنه لا يحق لأيّ كاتب أن يزاول صناعة النقد الأدبي ، مهما يكن ذا حس نقدي ، أو ثقافة واسعة ، إذا لم يثبت أولا أنه يستطيع أن يبدع أثرا أدبيا يضارع في مستواه الفني الأثر الذي ينقده ، ولذا فطه حسين في رأيه ليس مؤهلا ليكون ناقدا ، يقول : " أنا لا أقول أن الأستاذ طه ليس شيئا في فضله وأدبه وعلمه ، بل هو عندي أشياء كثيرة ، بل هو مكتبة تنطق كتبها ، ولكنه لم يلابس صناعة الشعر ، ولا أساليب الخيال ، ولا أخذ نفسه في ذلك بمزاولة ولا عمل ، فليس له أن ينقد هذه الصناعة ، ولا أن يقول في هذه الأساليب إلاّ بعد أن يجيء بمثل مايكتب أهلها " (٣) .

ونحسب أنّ هذا الرأي مرفوض من الناحية العلمية ، إذ يكفي المرء أن يكون ذا حس نقدي وذوق فني سليم ، وثقافة نقدية وأدبية واسعة ، ورغبة صادقة في مزاولة العملية النقدية - حتى يكون ناقدا ، وهذا الرأي مرفوض من الناحية الواقعية أيضا ، لأننا لو أخذنا به لحذفنا أسماء أكثر النقاد من تاريخ النقد الأدبي ، فالآمدي إذن في الموازنة ، ليس مؤهلا للنقد ، لأنه قبل وضع كتابه لم يأت بشعر في مستوى شعر أبي تمام والبحتري - وعبدالعزيز الجرجاني في " الوساطة " ليس مؤهلا للنقد ، لأنّ شعره ليس في مستوى شعر المتنبي من الناحية الفنية ، ونحو هذا يمكن أن

---

(١) تحت راية القرآن : ١٠٥ .

(٢) أنظر المصدر نفسه : ١٠٥ .

(٣) المصدر نفسه : ١١١ .

وأنظر أيضا ص ٢٤٨ من الكتاب نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نقوله عن كثير من النقاد القدامى والمحدثين .

لقد كان طه حسين قاسيا حقا في نقده لرسائل الأحزان ، ولكنّ نقده مع هذه القسوة قد ظل في حدود الأدب والعلم ، والمنطق ، بل لقد علّل هذه القسوة بسبب مشابه للسبب الذي علّل به قسوته في نقد إيليا أبي ماضي خاصة ، والشعراء المهجريين عامة ، إذ ذهب الى أنّ التهاون في نقدهم قد يغري الشعراء الشباب بتقليدهم ، والاستهانة بالعروض واللغة والبيان مثلهم [١] ، والتهاون في نقد أسلوب الرافعي قد يغري الشباب بتقليد هذا الأسلوب ، يقول معلّلا قسوته في نقد رسائل الأحزان: " قد يكون من الإسراف في القسوة أن تعرض لعمل كهذا فيه مشقة وعناء ومال ، فتعلن أنه غير جيد وتعلن أنه غير مفهوم ، ولكن مارأيك في أنّ مثل هذه الكتب التي تذاع ، وتغلو الصحف في حمدها يتناولها الشبان فيقرؤونها ويحتذونها ، فيموها أو لم يفهموها ، فتكون لها الآثار المختلفة ، في عقولهم وآرائهم وأساليبهم الكتابية ؟ " [٢] .

وهو يرى أن لهؤلاء الشبان حقا على الناقد الأدبي المسؤول ، إذ عليه أن يلفتهم الى عيوب هذه الكتب والأساليب ، وأن يقول رأيه الصريح فيها ، وأن يحذرهم من مغبة تقليدها ، وهو لذا يعتذر للرافعي عن قسوته النقدية قائلا : " أنا مضطر أن أعتذر الى الأستاذ الرافعي من أني لا أستطيع أن أثني على كتابه ، ولا أن أحث الشبان على قراءته " [٣] .

على أنّ الرافعي لم يستطع أن يحتمل هذه القسوة النقدية فكان ردّه يمتلئ **بالحدة والغضب حتى إنه لم يتمالك نفسه فيه من الجنوح قليلا الى أسلوب الشتم والتحقير** ، ذلك أنه كرّر القول فيه إن طه حسين سقيم الفهم ، أو عديمه ، نحو قوله يخاطبه موبّخا : " .. **أما النقد فليس هناك الا أنك لا تفهم** " [٤] ، ويتجلى عنفه في مخاطبته إذ يقول له : " على أني لو أردت أن آخذ معك في كتابتي هذا المأخذ لجعلتك تتلوى من الكلام المؤلم على مثل أسنان الإبر ، ولاستقبلتك بما لا تدري معه أين تذهب ، ولا كيف تتوارى ، كالإعصار الذي يأخذ عليك الجهات الأربع من آفاقها " [٥] .

وهذا الأسلوب العنيف في الرد قد اضطر طه حسين أيضا الى أن يرد ردّا يمكن أن نعده أعنف

---

(١) أنظر حديث الأربعاء : ٢٠٠ ، ج ٣ .
(٢) المصدر نفسه : ١٢٢ .
(٣) المصدر نفسه : ١٢٢ .
(٤) الرافعي " تحت راية القرآن " : ١٠٦ .
(٥) المصدر نفسه : ١٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ماكتبه في محاوراته النقدية كلها ، وقد نشره مع رد الرافعي السابق في عدد واحد من صحيفة السياسة وقد ذهب في بدايته الى أنه أباح لنفسه أن ينشر رد الرافعي ، على الرغم مما فيه من سفه كثير، وشتم منكر ، وتجاوز لحدود الأدب والأ خلاق ، **لأنه يرى حقا للقراء " في أن يظهروا بأنفسهم على أخلاق الكتاب وآدابهم ومناهجهم في الحوار وهم أحياء "** (١) ، ثم عمد بعد هذا الى تقريعه تقريعا مؤلما ، متّهما إياه بأنه يتهالك على الثناء ، حتى إنه ليتسوله تسولا من الناقد ، كما فعل في رسالته التي أرسلها اليه ، حين أهدى كتاب " رسائل الأحزان " ، وكما حدث حين اضطر حفني ناصف الى الثناء على كتابه " حديث القمر " (٢) . وتتجلى حدة طه حسين إذ يرد على تحدي الرافعي إياه أن يكتب مثل " رسائل الأحزان " فيقول ساخرا : " استغفر الله ، ومتى أبيح لمثلي من الضعفاء أن ينهض لتقليد الرافعي ، اعترف بأنني عاجز عن آتي بكتاب ككتاب الرافعي ، لأن الله لم يُرِد أن أكون غامضا غموض الرافعي ، ولا كاذبا على نفسي وعلى الناس كذب الرافعي ، ولا عابثا بجمال هذه اللغة عبث الرافعي، ولا متسولا على الناس في المدح والثناء تسول الرافعي ، ولا حاقدا على الناقدين حقد الرافعي " (٣) .

ولا ريب أن ردّ طه حسين كان أكثر حدة وعنفا من رد الرافعي ، فعلى الرغم من أنه لم يسفّ ولم يجنح الى الشتم ، فإنه في الحقيقة قد عمد الى تجريح الرافعي ، والتشهير بعيوبه النفسية التي لها علاقة بالنقد والأدب ، بل إنه لم يتورع عن وصفه مرارا بأنه " سفيه " (٤) . وقد لاحظ هو نفسه أن رده لم يدر حول قضايا نقدية ، وعلّل هذا بقوله للرافعي وهو يبكّته : " أحسبك لا تطمع في أن أرد على مافي فصلك هذا من رد على مانقدتك به ، فأنت لم ترد إلاّ بشتم وسب " (٥) ويمكن القول : إنه في رده قد أفرغ كل مافي جعبته من مآخذ على الرافعي ، وصرح بها تصريحا ، بعد أن كان في محاوراته السابقة يلمّح إليها تلميحا ، ونحسب أن الذي دفعه الى هذا هو استياؤه الشديد منه ، وأنه قرّر - فيما يبدو - أن يعرض عن نقده أو الردّ عليه اعراضا تاما ، واذن فرده هذا هو الأخير ، إذ به توقّفت المحاورة النقدية بين الناقدين الأديبين ، أو بعده توقف طه حسين من جانبه عن نقد الرافعي ومحاورته ، وقد التزم بهذا خلال حياته الأدبية الطويلة ، التي امتدت بعد ذلك .

أما الرافعي الذي أمضّه ردّ طه حسين وتقريعه وأهاج طبيعته العنيفة ، فلم يتوقّف عن النقد والهجوم ، إذ راح يتناول خصمه في صحف أخرى غير " السياسة " ، وتهيّأ لشنّ حملات شرسة لا هوادة

---

(١) حديث الأربعاء : ١٢٥ ، ج ٣.
(٢) المصدر نفسه : ١٢٩.
(٣) المصدر نفسه : ١٢٧.
(٤) انظر المصدر نفسه : ١٢٥ ، ١٢٧.
(٥) المصدر نفسه : ١٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيها عليه ، ولم ينتظر الفرصة المناسبة طويلا ، إذ ما لبثت أن واتته في عام ١٩٢٦ ، حين نشر طه حسين كتابه " في الشعر الجاهلي " . فقد فتح حزب الوفد صفحات صحفه لأي كاتب يودّ أن يهاجم طه حسين ، كاتب حزب الأحرار الدستوريين ، الذي كان في الحكم خلال هذه الحقبة ، **فما كان من الرافعي إلاّ أن هاجمه في أكثر من عشرين مقالة نارية عنيفة ، نشرها في جريدة " كوكب الشرق " الوفدية** ، ثم قام بعد ذلك بجمعها هي ومقالات أخرى في كتاب ، جعل عنوانه " تحت راية القرآن " . ويعترف سعيد العريان تلميذ الرافعي بأنه في هذه المقالات " لم ينسَ أنّ له ثأرا عند طه ، فجعل الى جانب النقد الأدبي في هذه المقالات شيئا من أسلوبه المرّ في النقد ، ذلك الأسلوب الذي لا يريد به أن يفحم أكثر مما يريد أن يثأر وينتقم " [١] بل يعترف بأن الرافعي فيها قد " **نسي كل اعتبار مما تقوم به الصلات بين الناس ، فما كان يكتب نقدا في الأدب ، بل يصب لهيبا وحمما وقذائف لا تبقي على شيء** " [٢] .

ولا ريب أن أخطر مافي هذه المقالات ، أنه وهو فيها يستعدي عليه الرأي العام ، ويستثير الأزهر ، **قد اجتهد أن يصوّره في صورة المارق من الدين** ، الذي يدعو شباب الجامعة الى الزيغ والضلال ، يقول في إحدى هذه المقالات ، يحرض الجامعة على فَصْله : " إن هذا الرجل هو مرآتك فسي الأمة ، فهو رادّك الى طبعه وخلقه ، وممثلك بجهله وحمقه ، ودافعك بزيغه والحاده ، فتعالمت به حتى فضحك جهله ، وأمنت له حتى لبسك كفره ، ثم أنت بعد ذلك لا خطأ نفيت ، ولا صوابا أتيت ، بل ذهبت بنفسك ، غرورا منك بأن اسمك الجامعة ، وتعصبا لباطل أستاذك الملحد " [٣] .

وتهمة " الإلحاد " هذه ، التي قذفه بها ، وردّدها كثيرا في مقالاته [٤] **شاعت خلال الشجة الإعلامية التي صاحبت عاصفة الشعر الجاهلي** [٥] **، كما أنها مازالت تشيع بين عامة القراء ؛ لأن تلاميذه من بعده ، ما انفكوا يرددونها .**

والغريب أنّ طه حسين لم يردّ على المقالات الهجومية بأية كلمة ، وقد عزا بعض الدارسين السبب الى أنه تلقى من رؤساء حزبه : حزب الأحرار الدستوريين نصيحة بأن يدع العاصفة تمر [٦] ، ولكن ينبغي أن نلاحظ أيضا أن الرافعي قد ظل بعد أزمة الشعر الجاهلي يهاجم طه حسين

---

(١) " حياة الرافعي " : ١٥٥ .
(٢) المصدر نفسه : ١٥٦ .
(٣) الرافعي : تحت راية القرآن : ٢١٤ .
(٤) أنظر المصدر نفسه : ٣٤٤ .
(٥) أنظر " حياة الرافعي " : ١٥٨ .
(٦) المرجع نفسه : ١٥٧ ـ ١٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصرّحا حينا [١] ملمحا أحيانا ، حتى إنّ آخر مقال أرسله الى مجلة الرسالة قُبيل موته ، كان بعنوان " شيطان وشيطانة " ، وقد ردّه رئيس التحرير أحمد حسن الزيات ، لأن الرافعي يغمز فيه طه حسين وتلميذته سهير القلماوي [٢] ، ولكننا مع هذا كله نجده لا يرد على الرافعي ، ولا يكاد يأتي على ذكره ، حتى إننا نلحظ أنه يهمله حيث ينبغي ذكره ، وذلك كقوله ، وهو يعرض للخصومات الأدبية التي ثارت قديما بين الأدباء والنقاد المجدّدين وبين المحافظين : " .. ثار العقاد والمازني وشكري وطه حسين بشوقي وحافظ والمنفلوطي والمويلحي ، وأمثالهم " [٣] .

فنحن نلحظ أن إهماله للرافعي هنا متعمد ، ذلك أنّ الرافعي هو أشهر الأدباء المحافظين الذين تصدوا للمجددين ، وفي مقدمتهم العقاد وطه حسين .

سر الخصومة النقدية بينهما :

وبعد ... فلا ريب في أنّ الخصومة النقدية والأدبية بين طه حسين والرافعي هي نتيجة طبيعية لاختلاف شخصيتيهما من حيث تكوين المزاج ، والذوق الفني ، والثقافة ، وما يتصل بها من نظرة الى الأسلوب والأدب والنقد والمحاورة ، ذلك أنه أتيح لطه حسين أن يتقن لغات عدة ، وأن تتعادل في شخصيته الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الأوروبية على نحو نادر ، وأما شخصية الرافعي فهي لم تستكمل أدواتها الثقافية ، إذ كان اطلاعه على النقد والأدب الأوروبيين محدودا ، ولم يكن يتقن سوى العربية ، وقد تجلى لنا الاختلاف في شخصيتيهما في النظرة الى الأسلوب والنقد خاصة ، إذ بينما كان طه يدعو في ميدان التدريس الى استبدال النقد الحديث بالبلاغة ، التي لم تعد ملائمة في هذا العصر ، رأينا الرافعي يتحداه في باب الاستعارة والمجاز والتشبيه [٤] وبينما كان الرافعي يعمد الى تقليد الأساليب القديمة ، ويرى في احتذائها حياة الفصحى ، وكان قبل أن يبدأ الكتابة يقرأ أولا في كتاب قديم للجاحظ أو لأبي الفرج ، ليعيش لحظات تمكنه من احتذاء أسلوب كل منهما [٥] . رأينا طه حسين يعيب عليه هذا التقليد ، ويرى أن أسلوب الأديب ينبغي أن يكون نابعا من نغمة نفسه ، مصوّرا لطريقة تفكيره واحساسه ، وأن العربية ينبغي أن تنمو ، وأن تواكب العصر ، مع الاحتفاظ بأصولها وقواعدها ، لأنه كان يعرف اللاتينية وما أصابها ، ولذا راح ينبهه الى خطر مذهبه الداعي الى احتذاء الأساليب القديمة ، والى الجمود اللغوي وأما من الناحية

---

(١) أنظر " المعارك الأدبية " لأنور الجندي : ٥٦٨ .
(٢) أنظر " حياة الرافعي " : ١٦١ - ١٦٢ .
(٣) طه حسين " خصام ونقد " : ٦٥ .
(٤) أنظر " تحت راية القرآن " : ١٠٤ .
(٥) أنظر " حياة الرافعي " : ٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النقدية فقد كان طه حسين يؤمن بحرية النقد ، على حين كان الرافعي لا يقبل من ناقده سوى الثناء ، ويلاحظ أن طه هو الذي بدأ الرافعي بنقد كتابه " حديث القمر " في عام ١٩١٢ ، ورسالته في العتب عام ١٩٢٣ ورسائل الاحزان عام ١٩٢٥ ، ونحسب أن الرافعي سعى في البداية الى صداقة طه حسين الأدبية ، لأنه كان يكنّ له شيئا من الإعجاب ، ظل يعترف به حتى بعد مخاصمته إياه ، كقوله عنه في إحدى الرسائل التي أرسلها الى الشيخ محمود أبي رية : " أما طه حسين فليس بالضعيف الذي تتوهمه وهو في أشياء كثيرة حقيق بالإعجاب " (١) ، ولكنه وهو المحب للمجاملة النقدية والثناء ، قد اصطدم في المرات الثلاث بمفهوم طه حسين للنقد الأدبي ، حتى استيأس منه أخيرا ، وهذا اليأس وذاك الإعجاب واضحان في رده على نقد رسائل الأحزان ، إذ يقول له يخاطبه : " ... إني والله - على إعجاب كان بك - أصبحت مستيقنا أنّ الله تعالى لم يهبك الى اليوم قلم الكاتب ، ولا أودعك دهاء السياسي ، ولا خصّك بفهم الحكيم " (٢) ولكنه حين يئس منه ، لم يشأ أن يتركه ، وقد عزّ عليه أن يهزّ طه حسين بنقده صورته الأدبية أمام القراء ، وهو الحريص على أن تبدو ممتازة ، متفوّقة ، مشرقة ، ولذا فقد دفعه طبعه العنيف الى مهاجمته بكل وسيلة ممكنة .

وأما طه حسين فنحسب أنه في نقده للرافعي لم يكن يصدر عن تحامل أو كراهية ، ذلك أنه في المرات الثلاث التي نقده خلالها قد ظل يأخذ عليه مأخذا واحدا بعينه ، وهو الأسلوب الغامض الذي يقصد الى تقليد الأساليب القديمة ، دون مراعاة لطبيعة العصر ، ويبدو أنّ هدفه الأساسي من محاورته له هو أن يقنعه بالعدول عن الأسلوب الغامض المتكلف ، الى الأسلوب الواضح الصادق ، النابع من نغمة المشاعر ، المصوّر لطريقة التفكير ، الملائم لظروف العصر ، ولكنه أيضا استيأس منه في آخر الأمر ، إذ اصطدم بطبعه العنيف ، الذي يهيجه النقد ، ويدفعه الى عدم المبالاة بأدب الحوار خلال الرد ، يقول في رده الأخير مصورا حساسيته من النقد : " لقد نقدت الناس من قبل الرافعي ، فلم أصانعهم ولم أرفق بهم ، وفيهم ضيّق الصدر ، وفيهم من لا يحتمل النقد ولا يَسَعه ، فلم أجد منهم هذا الألم ، ولا هذا السخط ، ولا هذا الشيء الذي يذهب على الرجل بعقله وصوابه " (٣) .

ولكنه حين يئس من الرافعي ، لم يشأ أن يهاجمه أو يواصل محاورته ونقده ، وانما قرر أن يتركه وشأنه ، والتزم بهذا بقية حياته الأدبية ، حتى إنه لم يرد على مقالاته الهجومية الكثيرة .

ولقد كان كلّ منهما يشعر في قرارة نفسه أن صاحبه قد ظلمه ، وتجنّى عليه ، أما الرافعي فقد أعرب عن حقيقة مايشعر به ، قائلا عنه " نعرف من صنيع الأستاذ أنه لا ينصفنا مرة إلاّ بعد أن

---

(١) محمود أبو رية ، رسائل الرافعي : ١٨ .
(٢) تحت راية القرآن : ١٠٥ .
(٣) حديث الأربعاء : ١٢٨ ، ج ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يظلمنا مرارا ، وأنه اتخذ الوقيعة فينا مذهبا عرف به ، وغلب عليه " [١] .

وأما طه حسين فيقول في رده الأخير مبينا أن الرافعي قد ظلمه حين لم يقدّر الهدف البريء من نقده له **" لو أنّ للرافعي حظا من الإنصاف لقدّم إليّ الشكر عليه ، ذلك أن الرافعي كغيره من الكتاب يستطيع أن يكتب ما يُفهم ، وأن يقول كلاما يدل على شيء "** [٢] كما أعرب في سنواته الأخيرة عن شعوره بأن الرافعي قد ظلمه حين هاجمه في أثناء عاصفة الشعر الجاهلي ، إذ سجل عنه سكرتيره الدكتور محمد الدسوقي أنه قال للشيخ محمود أبي رية ، صديق الرافعي القديم ، حين زاره في عام ١٩٧٠ : **" أنا لا أدري بالضبط لماذا هاجمني الرافعي ، وكان عنيفا في هجومة ، متحاملا أشد التحامل ، هل ذلك لأني قلت عن بعض كتبه : إنها غامضة غير مفهومة "** [٣].

موقف الرافعي في أزمة الشعر الجاهلي وعلاقته بالسياسة :

واللافت هنا أن طه حسين قد بقي حتى آخر حياته غير مقتنع بأنّ الخصومة النقدية وحدها هي السبب ، الذي دفع الرافعي الى مهاجمته ، والتحامل عليه ، حين نشر كتابه " في الشعر الجاهلي " ، مع أنّ هذا هو السبب الشهير ، الذي ردّده الدارسون ، الذين عرضوا لخصومتهما حتى الآن [٤] ، وعلى الرغم من أن الدكتور الدسوقي لم يوضّح لنا السبب الآخر ، الذي كان يظنه طه حسين ، فضلا عن الخصومة النقدية ، فإنه قال : **" ولم ينته العميد والشيخ أبو رية الى رأي يحدّد أسباب الصراع ، وهل كان من بينها أسباب سياسية ، أم (هل) أنها كلها تدور في نطاق الخلاف الفكري "** [٥] ولكن ماقاله الدكتور الدسوقي يكفي كي يدفع الدارس الى البحث عن سبب آخر ممكن ، لنه مساس بالناحية السياسية ، إذ إن طه حسين لم يكن ناقدا أو أديبا فحسب ، وانما كان رجل سياسة ، وكاتبا سياسيا أيضا ، حتى إذا عدنا الى ماكتبه طه عن حياته ، خلال الحقبة التي نشر فيها كتابه " في الشعر الجاهلي " ، وجدناه قد ذكر **أنّ جهتين سياسيتين كبيرتين ، كانتا تناصبانه العداء في عام ١٩٢٦ ، الأولى حزب الوفد** منافس حزبه ، الذي كانت له الوزارة في ذلك الوقت [٦] **، والجهة الثانية القصر** ، الذي كان قد تحوّل عنه في هذه الحقبة ، وأخذ يسخط عليه ، لأنه رآه يمضي " في

---

(١) تحت راية القرآن : ١٣١ .

(٢) حديث الأربعاء : ١٢٦ ، ج ٣ .

(٣) طه حسين يتحدث عن أعلام عصره : ٨٩ .

(٤) نحو كتاب العريان ، " حياة الرافعي " ١٥١ ـ ١٦١ ؛
وكتاب " معارك طه حسين الأدبية " لسامح كريم : ٢٩٧ ـ ٣٠٠ .

(٥) طه حسين يتحدث عن أعلام عصره : ٨٩ .

(٦) أنظر مذكرات طه حسين : ٢٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تأييد الدستور الديمقراطي، غيرَ مُلقٍ بالا الى القصر، ولا الى صاحب القصر " [١] . **كما نجده يقرّر أن ما أصابه من أهوال في حياته، كان نتيجة لتورطه في السياسة واكتوائه بنارها ليس غير** [٢] ، فحين نشر كتابه " في الشعر الجاهلي " وجد تينك الجهتين السياسيتين تسعيان معا الى تحطيمه، يقول مصوّرا هذا " .. **نظر صاحبنا فإذا هو بين عدوين لا يدري أيّهما أنكى له من صاحبه، يراه السَّعْدِيُّون مارقا، قد مالأ المارقين، ويراه القصر كافرا بالنعمة، جاحدا للجميل، ويرى هو أنه قد أرضى ضميره، وأدّى واجبه، وليكن بعد ذلك مايكون** " [٣] .

ولكن ماعلاقة الرافعي بهاتين الجهتين السياسيتين، اللتين كانتا تناصبان طه العداء، وتسعيان الى الإضرار به خلال أزمة الشعر الجاهلي ؟؟

أما حزب الوفد فنستطيع القول : إن الرافعي لم يكنْ له علاقة به، سوى أنه استغل فرصة فتحه صحفه لكل من يودّ مهاجمة طه حسين خلال الضجة، فكان أن نشر مقالاته الهجومية العنيفة في جريدة " كوكب الشرق " الوفدية الذائعة [٤] .

واذن بقي القصر، فهل كانت للرافعي علاقة به خلال مهاجمته طه حسين ؟؟

إننا حين نرجع الى حياة الرافعي، كما كتبها تلميذه الأثير محمد سعيد العريان، نتنبّه الى فصل قائم برأسه، عنوانه " شاعر الملك " [٥] ، وفيه يذكر العريان أن الرافعي كان شاعر الملك فؤاد ومن حاشيته على أن المفاجأة اللافتة حقا في هذا الفصل، هي أنّ الرافعي قد أصبح شاعر الملك في عام ١٩٢٦ [٦] ، وهو العام الذي حدثت فيه ضجة الشعر الجاهلي، مما يدفعنا الى التساؤل : هل ثمة علاقة بين اختياره شاعر القصر في هذا العام وبين خصومته المشهورة لطه حسين ؟ **وهل أمعن الرافعي في التشهير بطه حسين على نحو ماهو معروف، استجابة لتحريض الملك فؤاد ؟؟**

إنّ الرافعي في عام ١٩٢٦ لم يكن مشهورا بشعره، وانّما كان معروفا بنثره ورسائله، وهو من الناحية الشعرية لا يوازن بشاعر كشوقي أو حافظ ابراهيم، وكان كل منهما لا يزال حيا، وفي أوج

---

(١) مذكرات طه حسين : ٢٥٩.
(٢) المصدر نفسه : ٢٦٠ .
(٣) المصدر نفسه : ٢٥٩ .
(٤) العريان، حياة الرافعي : ١٥٥ - ١٥٦ .
(٥) المرجع نفسه : ١٦٨ .
(٦) المرجع نفسه : ١٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شهرته ، وشوقي شاعر بلاط ، له ماضيه العريق ، والعريان يذكر أنّ حافظ ابراهيم كان يطمح الى هذا المنصب ، وينافس شوقي فيه ، حين اختير الرافعي له [١] ، فلماذا وقع اختيار القصر على الرافعي بعينه في هذه السنة بعينها ؟ ألا يمكن أن يكون قد اختاره ليحارب به طه حسين، وليجعل منه لسانه ، الذي يحرّض الرأي العام به ؟؟

واذا كان الملك فؤاد قد حرّك كلّ قوة تدور في فلك قصره لتثور بطه حسين خلال الضجة ، فمن المنطقي أن يَدْفَع بالرافعي الذي اصطنعه لتحريض الرأي العام واثارته ، ومن الطبيعي أن يستجيب الرافعي لمشيئة صاحب القصر ، بل من الغريب ألاّ يستجيب ؛ لأن تلميذه العريان يخبرنا أنه كان حريصا على مرتبته الشعرية ، التي ارتقى اليها ، ويزدهي ويدلّ على زملائه بشرف هذا المنصب كما كان يصيب منه منافع مادية جمة ، كطبع بعض كتبه ، وتعليم ابنه في فرنسا على نفقة القصر [٢] ، وكان أخوف مايخاف أن تنقطع عنه هذه المنافع [٣] ، وقد بلغ من إعجاب الرافعي بلقب " شاعر الملك " أن ظل يذكره في زهو حتى آخر حياته ، وبلغ من حرصه عليه أن هاجم عبدالله عفيفي هجوما عنيفا دون إمضاء ، بمقالات جعل عنوانها " على السفود " ؛ لأنه حاول أن ينافسه على اللقب ، ونشر بعض القصائد في مدح الملك [٤] .

والذي يرجّح مانفترضه: أن سكرتير طه حسين الدكتور محمد الدسوقي ينقل عنه أنه قال : إن **الملك فؤادًا قد حلف برأس أبيه خلال أزمة الشعر الجاهلي ليخرجنّه من الجامعة ولكنه عجز عن ذلك** [٥] ، على حين رأينا الرافعي قبل قليل يحرض المسؤولين في الجامعة على فصله منها ، محاولا اقناعهم بأن بقاءَه فيها عار عليها ، وملحق بسمعتها أفدح الضرر من الناحية الأدبية والدينية [٦] . كما ينقل الدكتور الدسوقي عن طه حسين أنّ الملك فؤادًا كان من وراء حملة الأزهر عليه خلال الأزمة ، قال طه : **" سأل عبدالخالق ثروت الشيخ أبا الفضل الجيزاوي وكان شيخ الأزهر : ماحكاية هذه الحملة التي يقوم بها الأزهر ضد طه حسين ؟ فقال الشيخ : الأزهر غير مسؤول عن هذه الحملة فسأله ثروت : ومن المسؤول إذن ؟ فقال : الملك فؤاد "** [٧] .

---

(١) حياة الرافعي : ١٦٩ .
(٢) المرجع نفسه : ١٧٠ ـ ١٧١ .
(٣) المرجع نفسه : ١٧٨ .
(٤) المرجع نفسه : ١٧٥ ـ ١٨١ .
(٥) طه حسين يتحدث عن أعلام عصره : ٧٥ .
(٦) وأنظر " تحت راية القرآن " : ١١٣ ـ ١١٨ ، ١٧٠ ، ٢١٤ .
(٧) طه حسين يتحدث عن أعلام عصره : ٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على حين نجد الرافعي خلال الأزمة يحرّض في كثير من مقالاته الأزهر، ويستثير علماءه،[١] بل نجده في بعض مقالاته يزهو بأنه قد نجح في تحريكهم واستثارتهم[٢]. ولقد قرر العريان أن (صيحة) الرافعي هي التي حركت علماء الأزهر[٣] واذن من المحتمل أو الراجح أن يكون الملك فؤاد قد اصطنع الرافعي وسيلة لإثارة الأزهر، ومما يرجح هذا أيضا أن علاقة الرافعي الحسنة بالقصر قد امتدت زمنيا حتى وفاة الملك فؤاد، أي أبعد من المدى الذى حدده العريان في كتابه وهو سنة ١٩٣٠ أو سنة ١٩٣٤[٤]، ذلك أنه حين توفي الملك فؤاد عام ١٩٣٦ نجد الرافعي قد رثاه في مجلة الرسالة بمقالة بالغ فيها كل المبالغة في تَعداد مناقبه وأثبت في حاشيتها قوله عن نفسه في زهو واقرار، وقد عمد الى أسلوب التجريد: "لجلالة الملك فؤاد - رحمه الله - فضل عظيم على الأستاذ الرافعي، وقد رفع الأستاذ الى سدته العالية أكثر من ألف بيت من الشعر، وكان جلالته يعجب به، ويكبر أدبه، وقد أمر بطبع كتابه إعجاز القرآن على نفقته الخاصة"[٥].

وقد يقول قائل: ولكن الخصومة الأدبية بين طه والرافعي كانت قائمة، قبل نشر كتاب "في الشعر الجاهلي"، وكان الرافعي قد أخذ يهاجمه، فهو لم يكن ينقصه الدافع في أثناء الضجة، التي نجمت عن نشر الكتاب، - فنقول: نعم، هذا صحيح، ولكن شتان مابين أسلوب الرافعي في الهجوم قبل كتاب الشعر الجاهلي وبين أسلوبه بعده.

أما بُعيد نشر كتاب "في الشعر الجاهلي" فلم يكن الرافعي يكتب نقدا، كما يعترف تلميذه العُريان[٦]، وانما **كان يشهّر تشهيرا، وهمه الأكبر استثارة الرأي العام، واستعداء القانون وعلماء الدين**[٧]، فكان شأنه في هذا الوقت شأن وسائل الإعلام التابعة لجهة سياسية أو حزب، وقد نشطت في الهجوم على خصم سياسي في الحكم، مستغلة علاقته بقضية ما، فراحت تروّجها له فضيحة مدوية، وتستثير الرأي العام عليه، لإسقاطه واسقاط حزبه، وآية هذا أن طه حسين لم يستطع أن يرد، أو أن يدافع عن نفسه، لأن حزبه قد أشار عليه "أن يترك العاصفة تمر، حتى لا يهزم أنصاره أمام الحكومة وأمام البرلمان"[٨]، ومهما يكن الأمر فلا ريب أن **الرافعي**

---

(١) انظر "تحت راية القرآن" ١٤٤، ١٥٨، ١٩٥.
(٢) المصدر نفسه: ١٨٠، وهامش ص ١٩٥.
(٣) حياة الرافعي: ١٥٧.
(٤) أنظر المصدر نفسه: ١٦٩، ١٧١.
(٥) الرافعي، الملك فؤاد، مجلة الرسالة: ٧٦٣، عدد (١٤٩) ١١ مايو - ١٩٣٦.
(٦) حياة الرافعي: ١٥٦.
(٧) المصدر نفسه: ١٥٧ - ١٦٠.
(٨) المصدر نفسه ١٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو المسؤول الأوّل عن تشويه الصورة الدينية لطه حسين في نظر عامة القراء حتى الآن ، ذلك أنه - كما يرى العُريان - هو السبب الأساسي في ضجة الشعر الجاهلي المدوّية كلها ، يقول : " لولا ماكان من الخصومة بين الرافعي وطه لما قامت هذه الضجة ، ولا ثارت هذه الثائرة ، ولما كان في التاريخ الأدبي أو السياسي لهذه الحقبة شيء مما كان " (١) .

وأما أسلوبه قبل نشر كتاب " في الشعر الجاهلي " فقد كان أقرب الى النقد الأدبي الذي يقوم على الهجوم الشخصي فحسب ، دون التفات الى الرأي العام ، أو اهتمام باستثارته واستعدائه ، إذ يكاد ينحصر هجومه على طه حسين في إعابة ذوقه الفني وأسلوبه ، وبصره بالشعر وأساليب البيان ، والتشكيك في مواهبه ومنزلته الأدبية ، واذا كان طه حسين قد لفته في عام ١٩٢٣ قائلا : " الناس لا ينقد بعضهم بعضا ، كما كان يتهاجى جرير والفرزدق منذ أحد عشر قرنا " (٢) ، فإنّ الرافعي لم يلتفت الى هذا النقد ، وانما اندفع يهاجمه نثرا ، بل راح يهجوه شعرا كما كان يفعل جرير والفرزدق ، واللافت في هذا الهجاء الشعري أنّ الذي كان يمضّه هو رؤية منافسه طه حسين وقد أخذ يتألق نجمه النقدي والأدبي في عام ١٩٢٥ ، حتى بدا وكأنه ناقد مصر أو أديب العصر ، وهذا واضح في مطلع أرجوزة أنشأها الرافعي في هجائه ، وقدّم لها بقوله : " قد حضرتني الآن أرجوزة صغيرة ، أحب أن أهديها لصاحبنا الدكتور طه حسين ، ليتقاصر قليلا ، فإنّه لن يخرق الأرض ، ولن يبلغ الجبال طولا ،

يا عجبًا (طه) أديبُ العَصْرِ
أَصبحَ مثلَ انجلترا في مِصْرِ
أُسطولُهُ يَراعةٌ في حِبْرِ
وبَحرُهُ زجاجةٌ مِن حِبْرِ
ومُلْكُهُ مِترٌ بنصفِ مترِ
في مَجلسٍ للدَّرسِ بل لِلهَتْرِ
يَجلسُ فيهِ مثلَ ضَبِّ الجُحْرِ
معقّدًا من ذَنَبٍ لِظَهرِ
تَعقيدَ من قد خلقوا للمكرِ
وَهْبِّطوا الدنيا لأمرِ نُكْرِ (٣)

---

(١) حياة الرافعي : ١٦٠ .
(٢) حديث الأربعاء : ١٤ ، ج ٣ .
(٣) أنظر بقية الأرجوزة في " تحت راية القرآن " ١٢٦ - ١٢٧ .
وأنظر في الكتاب ص ١١٥ حيث يهجوه شعرا أيضا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٢) محـــاورة العقـــاد :

في عام ١٩٢٥ كان طه حسين والعقاد خصمين لدودين في ميدان السياسة .

أما العقاد فكان **كاتب حزب الوفد ، وكان نصيرا مخلصا لسعد زغلول** ، حتى وصفه طه حسين في حينه بأنه " سَعْديّ مغرق في السَّعْدية " [١] .

وأما طه حسين فكان من حزب الأحرار الدستوريين ، المعادي لحزب الوفد ، وكان كاتب الحزب البليغ ، الذي لا يتردد في مهاجمة الوفد وزعمائه ، وهو يخبرنا أنه أتى عليه حين من الدهر ، **كان ينفق أقصى ما يملك من العنف في مهاجمة الوفديين** ، حتى إنه كتب ذات يوم في مقالة ساخرا من السعديين : **" يقول الوفديون : لا رئيسَ إلاّ سعد ، كما يقول المسلمون لا إله إلاّ الله "** [٢] .

وأما في ميدان الأدب فكان كل منهما يتزعم مدرسة نقديّة تتميّز من الأخرى : العقاد يتزعم مدرسة الديوان ، المتأثرة بالثقافة الأنجلوسكسونية ، وطه حسين يتزعم مدرسة الاتجاه التكاملي في الدراسات الأدبية [٣] ، المتأثرة بالثقافة اللاتينية .

وفي هذا العام كان طه حسين المحرر الأدبي في صحيفة السياسة ، قد ترك دراسة الشعراء القدامى ، بعد أن حقّق قدرا كبيرا من الشهرة ، إثْر نشره دراساته في شعراء المجون العباسيين ، والغزليين الأمويين - على نحو مارأينا - ، ثم أخذ يتجه الى ماينشره زملاؤه الأدباء من كتب ، فينقد بعضه نقدا حرا ، بريئا ، جريئا ، لايبالي معه بمحاورة أو خصومة ، وكان من بين الكتب التي تناولها كتاب **" مطالعات في الأدب والحياة " للعقاد .**

وقد أكّد طه حسين في بداية تناوله الكتابَ أن نقده الأدبي سيكون بريئا من الخصومة السياسية ، وأنه سيجعل خلاف الحزبين دُبُر أذنه وتحت قدمه ، ليقول كلمة حق في الأدب ، ليس بينها وبين السياسة والأحزاب صلة ، وإنْ كان يمقت مذهب العقاد السياسي [٤] .

ويلاحَظ أن نقده **كان معتدلا حقا ، إذ تراوح بين المدح والقدح** ، فقد أثنى على فهم العقاد

---

(١) حديث الأربعاء : ٩٥ ، ج ٣ .
(٢) مذكرات طه حسين : ٢٥٦ .
(٣) د. ناصر الدين الأسد ، ذكرى طه حسين ، ١٢٩ .
(٤) حديث الأربعاء : ٩٦ - ٩٧ ، ج ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للأدب ، لأنه يفهمه كما ينبغي أن يُفهم في العصر الحديث [١] . ولاحظ أيضا أنه " قد وفّق التوفيق كلّه لفهم السخرية العلائية " [٢] ، ولذا أعرب عن إعجابه بما كتب عن أبي العلاء خاصة [٣] ، ولكنه في نقده أيضا سخر سخرية مرة من مقدمة الكتاب ، وذهب الى أنها غامضة أشد الغموض ، لا يستطيع العقاد نفسه أن يفهمها ، لأنها أدق من أن يفهمها عقله [٤] ، كما ذهب الى أن لغة العقاد لا ترضيه من كل وجهة ، " ففيها إهمال ، وهي لا تخلو من غموض ، مصدرها أن عقل الأستاذ (العقاد) أطول من لسانه " [٥] . وعلى الرغم من إعجابه بدراسته لأبي العلاء ، فقد أنكر عليه القول : إنّ المعري كان في رسالة الغفران ، قليل الحظ من الخيال ، وكانت حجته في هذا الإنكار أنّ الأوروبيين يرون أن " دانتي " عظيم الحظ من الخيال ، وكتابه " الكوميديا الإلهية " يشبه من وجوه كثيرة رسالة الغفران ، بل " إن من الأوروبيين الآن من يزعم أنّ شاعر فلورنسا قد تأثر بشاعر المعرة قليلا أو كثيرا " [٦] وقد لفت العقاد الى أنّ علماء النفس يرون أنّ اختراع شيء من لا شيء ، أو التأليف بين أشياء لا ائتلاف بينها هو وهم وليس بخيال [٧] ، كما قد يظن ، ذلك أنّ الخيال " لا يخترع شيئا من لا شيء ، وانما يستمد صوره ونتائجه من الأشياء الموجودة ، ويؤلف بينها تأليفا غريبا ، يبهر النفس ، ويفتنها " [٨] .

واذن فبحسب هذا المفهوم الحق للخيال يمكن القول : إن " حظ أبي العلاء من الخيال في رسالة الغفران لا حدّ له " [٩] .

وقد كان طه حسين يتوقع أن يكون ردّ العقاد قويا عنيفا ، ذلك أنه في نقده إيّاه قد تناول كتّابا آخرين ، ولكنّه لم يسمّهم قائلا : " لأني لا أريد أن أضيف خصوما الى خصوم ، وحسبي العقاد وأنصار العقاد " [١٠] . بل إنه بدأ نقده متظاهرا بأنه خائف من تناوله ، قائلا في سخرية : " أما الأستاذ عباس محمود العقاد فأريد أن أنقده ، ولكني أعترف بأني خائف متهيّب ، لأنه مُهيب مَخُوف ،

---

(١) حديث الأربعاء : ١٠٢ .
(٢) المصدر نفسه : ١٠٤ .
(٣) المصدر نفسه : ١٠٥ .
(٤) المصدر نفسه : ١٠١ .
(٥) المصدر نفسه : ١٠٢ .
(٦) المصدر نفسه : ١٠٣ .
(٧) المصدر نفسه : ١٠٣ .
(٨) المصدر نفسه : ١٠٣ .
(٩) المصدر نفسه : ١٠٣ .
(١٠) المصدر نفسه : ١٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلأكن شجاعا ، ولأهجم على كتاب الأستاذ في ثبات وأمن " [١] .

ولكن المفاجأة كانت أنّ العقاد قد اكتفى بإرسال رسالة الى طه حسين ، تتراوح بين المسدح والقدح أيضا ، واذا كان طه قد ردّ الغموض عند العقاد الى " إسراف في العلم والفلسفة ، وقصور اللغة والبيان " [٢] فقد أقرّ العقاد بشيء من هذا ، قائلا في رسالته : " ٠٠ إنّ صوتي يسمع على مافيه من نشوز ، وأنا أعلم أنّ في صوتي نشوزا ، وأحمد الله أن هذا النشوز لا يمنع الناس من الاستماع لهذا الصوت ، فقد يكون في الاستماع له خير ، مهما يكن قليلا فهو خير " [٣] .

موقف العقاد في أزمة الشعر الجاهلي :

ويبدو أن العقاد لم يرد بمقالة عنيفة ، لأنه اقتنع بأن طه حسين قد نحّى الخصومة السياسية حقا في نقده ، وأنه كان صادقا حين قال في مقدمة هذا النقد عنه " سأنقده ، وسأقول فيه كلمة الحق والإنصاف هذه ، وسيكون هذا النقد وهذا الإنصاف في جريدة السياسة ، التي تخاصم السعديين ، وتزدري سياستهم ، لأن " **للسياسة " الى جانب مذهبها السياسي الحزبي مذهبا آخر تقدّسه ، وتجد في تقديسه ، ٠٠٠ وهو حرية الرأي مهما يكن صاحبه ، ومهما يكن لونه السياسي** " [٤] .

ولقد ردّ العقاد على هذا ردّا أثبت فيه أنه ليس أقل من طه حسين حرصا على الفصل بين ماهو سياسة ، وما هو أدب ، كما أثبت أنه ليس أقلّ منه تقديسا لحرية الرأي والنقد ، ذلك أنّ عام ١٩٢٦ مالبث أن جاء ، ليحمل لطه حسين محنة الشعر الجاهلي ، وقد أسهم حزب الوفد في هذه المحنة إسهاما كبيرا ، إذ انتهز الفرصة المواتية لإسقاط كاتب بليغ ، ما ينفك يهاجمه في عنف شديد [٥] ، ولإسقاط حزبه الذي كانت له الوزارة في ذلك الوقت [٦] ، ولذا فقد فتح صحفه لكل كاتب يريد أن يهاجم طه حسين ، ويشهّر به ، ويستعدي عليه الرأي العام وعلماء الدين ، ٠٠٠ **واذا العقاد كاتب حزب الوفد ، ينحي الخصومة السياسية جانبا ، واذا هو يتمرّد على إرادة حزبه ورغبته ، واذا هو يقف في البرلمان - وكان نائبا في هذا الوقت - ليدافع عن طه حسين في محنته ، وليدافع عن حرية**

---

(١) حديث الأربعاء : ص ١٠٠ ، ج ٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ١٠٢ ، ج ٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ١٠٦ ، ج ٣ .
(٤) المصدر نفسه : ٩٦ - ٩٧ ، ج ٣ .
(٥) أنظر مذكرات طه حسين : ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ .
(٦) أنظر المصدر السابق : ٢٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرأي والنقد المتمثلة فيه [١] .

وفي عام ١٩٣٢ تعرّض طه حسين لمحنة قاسية ثانية ، إذ قام صدقي باشا ، رئيس الـــوزراء ، بفصله من الجامعة ، وكان عميدا لكلية الآداب ، وذلك لأنه رفض أن يمنح بعض الساسة درجـــة الدكتوراه الفخرية [٢] ، صونا للعلم من أن يخضع لابتزاز السياسة ، ولكن الفصل أوقعه في أزمـــة مالية عسيرة يقول : " أحلت على المعاش ، دون أن يكون لي معاش ، ولم تكن كتاباتي السياسية تـــدرّ علي شيئا ، فقد كنت أكتب مجانا ، يضاف الى هذا أنه لم يكن لدي مال مدّخر ، وتعرضت لأزمة شديدة ، حاولت التغلب عليها بالسلف " [٣] .

وقد انتهز حزب الوفد الفرصة مرة ثانية ، ولكنه هذه المرة لم يحاول الايقاع بطه حسيـــن ، كما حاول في المرة الأولى ، وانما حاول أن يستميله الى جانبه ، إذ كان حزب الوفد قد تقارب وحـــزب الأحرار في هذه البرهة ، لإسقاط حكومة صدقي باشا ، زعيم حزب الشعب ، ولذا زار مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد طه حسين ، وعرض عليه أن يكون رئيسا لتحرير صحيفة "كوكب الشرق" لقـــاء مرتب كبير ، وقد ظل طه يرأس تحرير هذه الصحيفة حتى عام ١٩٣٤ ، وهو العام الذي عاد فيه الـــى الجامعة [٤] . وقد حدث خلال هذه المدة أن تحول عن حزب الأحرار ، الى حزب الوفد ، فأضحى التقارب بينه وبين العقاد أكثر من قبل ، بعد أن زالت الخصومة السياسية بينهما .

الناقـــد اللاتيني والناقـــد السكسوني :

على أنّ هذا التقارب السياسي لم يمنعهما من استئناف الحوار في ميدان النقد الأدبي ، وقـــد بدأ هذا الحوار من جديد ، حين كتب العقاد في عام ١٩٣٣ كلمة ذهب فيها الى أنّ ثمة مدرستيـــن كبيرتين من مدارس النقد الأدبي الحديث في البلاد العربية ، وهما **مدرسة اللاتين ، وشعارهـــا في رأيه الأناقة ، ومدرسة السكسون ، وشعارها البساطة** ، كما ذهب الى أنّ الناقد اللاتيني يميل الـــى المجاملة واللباقة في النقد ، على حين أن الناقد السكسوني يُعنى بشخصية الأديب ، وبحقيقتـــه الإنسانيـــة [٥] .

---

(١) أنظر كتاب " خصام ونقد " : ١٤٦ .

(٢) أنظر " طه حسين يتحدث عن أعلام عصره " : ٩١ .

(٣) المصدر نفسه : ٩١ ، والذي يدل على صدق طه حسين أن زكي مبارك قد ذكر ذلك قبل سنـــوات طويلة من جهر طه به (أنظر ديوان " ألحان الخلود " : ٢٤٤ ـ ٢٤٥) .

(٤) طه حسين يتحدث عن أعلام عصره : ٩١ ـ ٩٢ .

(٥) العقاد ، شوقي أو أسلوبان في النقد ، جريدة الجهاد عدد ١٦ يناير ، ١٩٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد دفعت هذه التفرقة النقدية طه حسين الى الردّ على العقاد ، إذ رأى أنه قد تورّط في خطأ صارخ ، وظلم بيّن ، **" فليس هناك نقد لاتيني ، ونقد سكسوني ، وانّما هناك نقد فحسب "** (١) وحجته أنّ الذوق الأوروبي كله قد تأثر في الغالب بما أحدثته الثقافة اليونانية اللاتينية ، فالنقاد الفرنسيون والإيطاليون والألمان والإنجليز قد تأثروا جميعا بروائع الأدب اليوناني واللاتيني ، فكوّن هذا التأثر لديهم ذوقا عاما مشتركا ، جعل من العسير القول : إنّ هناك نقدا لاتينيا ، ونقدا سكسونيا ، وأما قول العقاد : إن الناقد اللاتيني يشبه رجل الصالونات ، الذي يقدّم الكتاب والشعراء في أناقة ومجاملة وظرف ، فقد ذهب طه الى نقضه ، ضاربا المثل بالناقد سانت بوف ، الذي كان لا يجامل في النقد الأدبي واذن فالعقاد في رأيه قد تعجّل ، وأخطأ في القضية ، لأنه مال الى التعميم في الأحكام .

وقد ردّ العقاد على طه مصرّا على رأيه ، مكررا القول : إنّ ثمة فرقا بين الناقد اللاتيني وبين الناقد السكسوني ، وقد ذهب في هذه المرة الى أنّ الفرق ناجم **من الاختلاف بين الثقافتين: اللاتينية والسكسونية** ، ثم دعا طه حسين الى أن يدرس في مهل وأناة النقاد اللاتينيين من أمثال: سانت بوف وتين وفاجيه وأناتول فرانس ، ذلك أن دراستهم تؤيد ما ذهب اليه من تفرقة ، فهناك حقا مزاج لاتيني ومزاج سكسوني ، وهو مايظهر جليا في فروع الآداب والفنون المختلفة .

وقد ردّ طه حسين قائلا : إن العقاد قد توسّع في القضية ، إذ انتقل من النقد اللاتيني والسكسوني الى الثقافة اللاتينية والسكسونية ، ثم راح يفاضل بينهما ، على حين **أن المفاضلة على هذا النحو الذي ذهب اليه غير جائزة ، لأنها تقوم على تعصب لثقافة دون أخرى** ، وقد أكّد للعقاد أن النقد اللاتيني مثل السكسوني مازال نقدا جادا ، يقصد الى طبيعة الكاتب أو الشاعر في بساطتها ، ويقصد الى الرجل من حيث هو رجل ، كما عجب منه لأنه ينكر أن النقد الأدبي الحديث يقوم على الثقافة الأدبية اليونانية واللاتينية ، على الرغم من تطوره واختلاف مذاهبه ، ولأنه ينكر أيضا أن العقل الأوروبي في بيئاته جميعها هو وليد العقل اليوناني والروماني (٢) .

وهكذا استمرت المحاورة النقدية حول القضية ، وقد تمسك كلّ من الناقدين برأيه : العقاد يميل الى التمييز بين الثقافتين ، ويتحرى الفروق الدقيقة بينهما (٣) ، وطه حسين ينظر اليهما على أنهما وحدة واحدة ، لأن منبعهما واحد ، ولأن إحداهما لا تنفك تؤثر في الأخرى ، ولكن أهم ما يلفت في المحاورة أن طبيعتها كانت رقيقة هادئة ، حتى إن العقاد المشهور بعنفه في ردوده

---

(١) طه حسين ، لاتينيون وسكسونيون ، الرسالة ، عدد (٢) أول فبراير ، ١٩٣٣ .

(٢) أنظر مقالة لاتينيين وسكسونيين لطه حسين: مجلة الرسالة ، العدد (٣): ٤٠-٤٢، ١٥ فبراير، ١٩٣٣ .

(٣) أنظر جريدة الجهاد المصرية ، عدد ١٤ ، فبراير ١٩٣٣ ، ورد العقاد على طه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النقدية ، كان يخاطب طه حسين فيها بقوله "صديقنا العَلاَّمة " على حين كان طه حسين يرد عليه قائلا " أعاتب الأستاذ العقاد عتابا رقيقا " (١) .

وفي عام ١٩٣٥ شرع طه حسين يدرس نماذج من الشعر الجاهلي - على نحو ما رأينا - ، وقد تحدّى وهو يحلّل معلقة لبيد كل من يزعم أن الشعر الجاهلي الحق يفتقر الى الوَحْدة المعنوية (٢) . ولم يكن يقصد سوى العقاد وزميليه : المازني وشكري ، لأن مدرسة الديوان هي التي ذهبت الى ذلك في الغالب ، ولكن العقاد - كما يلاحظ تلميذه عبد الحي دياب - لم يشأ أن يرد ، أو يدخل وطه حسين في حوار نقدي حول القضية (٣) .

رجعة أبي العلاء :

وحين نشر العقاد كتابه " رجعة أبي العلاء " أهدى الى طه حسين نسخة منه ، فقام بنقده ، وقد أخذ عليه أنه أهمل فيه النحو بعض الإهمال ، فقد جرّ حيث يجب الرفع ، إذ سأل على لسان المعري قائلا : والمساكين والمستضعفين ؟ كما وضع (من) مكان (ما) ، على حين أن الأولى تكون للعاقل والثاني لغيره ، ثم أنكر عليه أن يتحدث أو يذكر " حيرة المنبت " ، لأن " المنبت " مسرف في الإسراع ، يعرّض نفسه للعطب ، ولا يغني عنه إسراعه شيئا ، فلا حيرة هناك ولا حائر (٤) .

وقد عرض العقاد في ردّه للمآخذ الثلاثة ، فبيّن أنه حين قال في السؤال : " والمساكين والمستضعفين ؟ " لم ينصب أو يجر حيث يجب الرفع ، لأنه يجوز نصب الاسم بتقدير عامل محذوف . واستشهد بقول الشاعر :

" أَخاكَ أَخاكَ إنَّ من لا أخا له "

وقد ذهب الى أن الكلمتين (المساكين والمستضعفين) تجران ، لأن التقدير (ماشأن المستضعفين) أو (مابال المستضعفين) أو (إنني أسأل عن المستضعفين) .

ونلاحظ هنا أن العقاد لجأ الى مغالطة واضحة ، فقد ذكر أنه يجوز تقدير عامل النصب ، وهذا صحيح ولكنه حين قدّر العامل المحذوف ، واذا هو عامل جر - ربما لأنه لم يستقم له تقدير عامل نصب -

---

(١) أنظر الرسالة . العدد (٣) : ص ٤١ ، ١٥ فبراير - ١٩٣٣ .
(٢) أنظر حديث الأربعاء : ٣٢ ، ج ١ .
(٣) أنظر كتاب " العقاد ناقدا " لعبدالحي دياب : ٦٦٥ ، وذلك في مجلة الثقافة ، العدد (٣): ص ٣ - ٦ ، ١٧ يناير - ١٩٣٩ .
(٤) أنظر مجلة الثقافة : العدد (٣) ، ٣ - ٦ ، ٤٦ ، ١٧ يناير ١٩٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تناسى أن يَذْكر : أيجوز تقدير عامل جر في هذا الموضع أم لا ؟ وانما قدّر ما قدّر اعتمادا على أنه يجوز تقدير عامل نصب .

والصحيح أنه لا يجوز قياسا تقدير عامل جر محذوف في الجملة الاستفهامية المذكورة ، على نحو ما أوهم العقاد ، سواء أكان عامل الجر حَرْفًا [(١)] ، أم كان مضافا [(٢)] .

واذن فرد العقاد في الحقيقة ردّ ضعيف .

وأما المأخذ الثاني وهو وضع (ما) حيث يجب وضع (من) في قوله : " لو أن الأستاذ قد شهد أسراب الطير ، وهي تعبر المحيط كل عام فيغرق منها من يغرق ، ويسلم منها من يسلم " فقد رده العقاد بقوله : من تستعمل للعاقل وغير العاقل في أفصح الكلام ، واستشهد بقول الشاعر :

" أسربَ القَطا هلْ من يعيرُ جناحَهُ ؟ لعلي الى من قَدْ هويتُ أطيرُ "[(٣)]

وبقول امرىء القيس :

" ألا عِمْ صَباحًا أيّها الطَّلَلُ البالي وَهلْ يَعِمْنَ (منْ) كانَ في العُصُر الخالي "

واستشهد بقوله تعالى : " ومنهم من يمشي على بطنه ، ومنهم من يمشي على أربع " [(٤)] .

ونلاحظ هنا أيضا أنّ العقاد قد تجاهل المسوّغ في البيتين ، والمسوّغ في الآية الكريمة ، لوضع (من) مكان (ما) . أما المسوّغ في البيتين فهو أنّ كلاً من الشاعرين : العباس بن الأحنف وامرىء القيس قد أنزل غير العاقل منزلة العاقل حين ناداه وكأنه يفهم عنه - " أسربَ القطا " و " أيها الطَّلَلُ البالي " . ولذا قال ابن هشام " نداء القطا والطلل سوّغ ذلك " [(٥)] وأما المسوغ في الآية الكريمة فهو اقتران غير العاقل بالعاقل في عموم فُصِّل ، ولذا قال ابن هشام أيضا : إنّ مسوّغ الإتيان بمن في قوله تعالى " من يمشي على بطنه " و " من يمشي على أربع " هو اقترانهما بالعاقل

---

(١) أنظر المواضع القياسية الثلاثة عشر لحذف حرف الجر وبقاء عمله في كتاب " أوضح المسالك " لابن هشام : ١٦٦ ، ج ٢ ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد .

(٢) أنظر في المصدر نفسه ٢٢٢ - ٢٢٣ ، المواضع القياسية لحذف المضاف وبقاء عمله .

(٣) قائل البيت هو العباس بن الأحنف ، وهو شاعر عباسي لا يحتج بشعره ، فالبيت ليس بشاهد وانما هو مثال .

(٤) الآية : ٤٥ من سورة النور .

(٥) أوضح المسالك : ١٠٧ ، ج ١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فـــي عمـــوم (كـــل دابـــة) [١] .

وهنا ينبغي أن نلاحظ أن جملة العقاد "لو أن الأستاذ قد شهد أسراب الطير، وهي تعبر المحيط كل عام، فيغرق منها من يغرق ويسلم من يسلم" تفتقر الى الموغين السابقين؛ لأنه لم يُنزل غير العاقل منزلة العاقل، ممهّدا لهذا بنداء أو طلب، ولأن غير العاقل في جملته لم يقترن بالعاقل .

وهكذا يمكن القول: إنّ العقاد قد أخطأ لغويا في جملته، وانّ تخريجه للخطأ هو في الحقيقة تخريج ضعيف أيضا .

وأما المأخذ الثالث وهو ذكره لحَيْرة (المنبت) فقد ردّه بقوله: إن المنبتّ يَحار حقا، لأنه أتلف دابته، وانقطع عن صحبه، ولم يصل الى غايته، وليس هناك مايمنع المنبت من الحيرة . وما من شك أن الحق الى جانب العقاد هنا؛ لأن المنبت، الذي لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى، يحار في أمره ويَسْقط في يده، إذ لا يدري ماذا يفعل للخروج من مأزقه، وان كان الحديث عن الإسراف في الإسراع، واذن فمأخذ طه حسين ليس له مايسوّغه .

أبو نواس ومنهج التحليل النفسي:

وحين وضع العقاد كتاب "أبي نواس" ذهب الى القول فيه: إن شخصية أبي نواس "هي شخصية "نرجسية" باصطلاح النفسيين المحدثين، على أن نفّهم "النرجسية" فَهْما يخالف تعليلات "فرويد" " [٢] ثم راح في الكتاب يحلّل شخصية الشاعر القديم تحليلا نفسيا وفق أحكام النرجسية، كما يفهمها بعض علماء النفس المحدثين [٣] .

وقد قام طه حسين بنقد كتاب العقاد، وأخذ عليه أنّه حين حلّل شخصية أبي نواس غالى في ذلك، وأسرف كثيرا حين أجرى "أحكام النرجسية على الشاعر القديم، كما يجريها المحلّلون

---

(١) أوضح المسالك: ١٠٧، جـ ١، وأوّل الآية: "والله خلق كل دابة من ماء، فمنهم من يمشي على بطنه" .

(٢) العقاد: أبو نواس: ٧٥، (المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد، المجلد السادس عشر، تراجم وسير؛ دار الكاتب اللبناني - بيروت ١٩٨٠ .

(٣) المصدر نفسه: ٧٦ ومابعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النفسيون ، على من يفحصونهم من الأحياء "[١]. واذا كان العقاد قد ذهب الى أنّ أبا نواس قد شغف بنفسه كما شغف النّرجس فقد ذهب طه الى أن ليس هناك شغف ولا نرجسية ، وكلّ مافي الأمر أنّ أبا نواس كان يعتدّ بشخصيته اعتداد كثير من الشعراء بأنفسهم ، بل ذهب الى أنّ صاحب الفن " معتدّ بنفسه دائما الى حدّ ما ، واعتداده بنفسه هذا شرط أساسي للتجويد النفسي ، لأنه لو لم يعتدّ بنفسه وفنه لم يحفل بالشعر ، ولم يتأنق فيه ، ولم يحسن الحكم عليه "[٢].

وخلاصة رأي طه حسين في القضية أنّ التحليل النفسي لا يجدي في تحليل شخصيات الأموات من الأدباء والفنانين ، وانما يصلح في تحليل شخصيات الأحياء ، لأنهم يستجوبون ، ويمكن إخضاعهم لإجراء الفحوص والاختبارات[٣].

وقد ردّ العقاد على نقد طه حسين ، فذهب الى أنّ ثمة فرقا بين النرجسية والاعتداد بالنفس ، كما ذهب إلى أن التحليل النفسي الحديث مناسب أيضا لتحليل شخصيات المشهورين من القدماء ، مثلما هو مناسب لتحليل شخصيات الأحياء ، وبعد أن فصّل القول في الأسباب التي تدفعه الى الاعتقاد بذلك ، دعا طه حسين الى الاطلاع على المزيد من بحوث علم النفس الحديثة ، فهذا جدير أن يغيّر رأيه في القضية ، وأما نقده إيّاه فهو لم يقنعه البتة بالعدول عن الاستعانة بعلم النفس في تحليل شخصيات الأدباء[٤].

وقد ردّ طه حسين قائلا : إنه لا ينكر إقحام التحليل النفسي في الدراسات الأدبية ، التي تدور حول القدماء عن جهل ببحوث علم النفس ، وانما ينكره " لأن القدماء لا يصلحون موضوعا للتحليل النفسي إلاّ على نحو من التجوّز ، لا يغني عن العلم الصحيح شيئا "[٥] ثم أخذ يبيّن للعقاد شيئا من معرفته أو اطلاعه على ألوان مختلفة من الدراسات النفسية الحديثة[٦] ، ولفته الى أنه حين كان عميدا لكلية الآداب جعل دراسة علم النفس التجريبي جزءا أساسيا من الدراسات الفلسفية في الكلية ، كما دعا أستاذ علم النفس التجريبي المشهور " **دوما** " لإلقاء عديد

---

(١) طه حسين : خصام ونقد : ٢٣٨.

(٢) المصدر نفسه : ٢٤٠.

(٣) المصدر نفسه : ٢٣٨.

(٤) انظر رد العقاد : جريدة " أخبار اليوم " - العدد (٤٧٦) ٢٧ فبراير ، سنة ١٩٥٤.

(٥) خصام ونقد : ١٠٣.

(٦) المصدر نفسه : ١٠٣ ، وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من المحاضرات [١] ، ثم خلص أخيرا الى القول : إنه حين أنكر اخضاع أبي نواس للتحليل النفسي كان يعلم حق العلم مايقول ، وأنه كان يعمد إليه عن إرادة وبصيرة وثقة ، لأنه يرى أن إخضاع القدماء لهذا التحليل هو ضرب من الظن ، لا يرقى الى العلم ، ولا ينتهي الى اليقين ، ولا يقنع القارىء الحصيف ، ولذا فهو يصارح العقاد أيضا بأنه لم يقتنع بما جاء في رده السابق كي يتحول عن رأيه يقول : " مازلت أرى هذا الرأي ، لم يصرفني عنه الأستاذ العقاد بما كتب في مقاله الأخير ، وما أرى أنه سيصرفني عنه الآن على أقل تقدير " [٢] .

وهكذا توقفت المحاورة بين الناقدين ، وكلّ منهما يصرّ على رأيه في القضية .

ونحسب أنّ هذه القضية هي أهمّ قضية نقدية دار حولها الحوار بين العقاد وطه حسين ، وذلك لأسباب عدة : أولها أنها آخر قضية دار حولها الحوار بين الاثنين ، وكان ذلك في الطور الأخير من حياتهما النقدية . **وثانيها** أنّ كلاً منهما كان يصدر في رأيه عن دراسة كبيرة متعمقة في الشاعر أبي نواس : العقاد وضع فيه كتابا ، وطه حسين كان قد نشر دراسة كبيرة رائدة حوله في عام ١٩٢٤ ـ كما مرّ بنا ـ .

وثالثها ـ وهو أهمها ـ أنّ الخلاف بينهما ليس عَرَضيًا أو ثانويا ، وانما هو جوهري أو أساسي ، ذلك أنه في الغالب يمثّل التصادم بين منهجيهما في النقد الأدبي ، فالعقاد يميل في منهجه الى العناية بتحليل شخصية الشاعر أكثر من العناية بتحليل شعره ، على حين أن طه حسين في منهجه يميل الى نقيض ذلك ، والحق أنّ طه حسين قد عرض مبكرا للخلاف بين المنهجين ، وذلك في عام ١٩٣٣ ، حين ألقى محاضرة حول ابن الرومي ، فأشار في نهايتها الى دراسة العقاد وصاحبه المازني للشاعر ، وقد لاحظ أنّ كلاً منهما في دراسته يقف عند شخصية ابن الرومي أكثر مما يقف عند الجمال والتحليل الفني للشعر ، قال : **" والظاهر أنهما يكلفان كلفا خاصا بشخصيات الشعراء ، أما أنا فربما عنيت بالشعر أكثر من عنايتي بالشعراء ، وربما اتخذت الشاعر وسيلة الى فهم الشعر "** [٣] .... **ورابعها** أنّ نقد طه حسين لمنهج العقاد في دراسة شخصية أبي نواس ، قد كان جزءا من نقد مشابه ، تناول به دارسين آخرين في الحقبة نفسها ، **من أمثال الدكتور محمد النويهي ، الذي كان قد درس أبا نواس ، فحاول أن يحلل شخصيته وفق نظريات " فرويد "** ، ثم خلص الى أنّ الشاعر كان يعاني من عقدة " أوديب " ، وحاول من خلالها أن يفسّر شخصيته ، لكن طه حسين حين نقد هذه الدراسة ، ذهب الى أن هذا التفسير لشخصية أبي نواس متكلف من أساسه ، ورجّح أنّ النويهي قد عمد اليه " ليكون مبتكرا ،

---

(١) خصام ونقد : ١٠٤ .

(٢) المصدر نفسه : ١٠٦ .

(٣) من حديث الشعر والنثر : ٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مجددا ، فأسرف على نفسه ، وأسرف على أبي نواس ، وأسرف على قرائه " [١] ثم نبّهه الى أن **العلماء في أوروبا لا يطمئنون الى نظريات فرويد " في التحليل ، ولا يقرّون تطبيقها على شاعر قديم ، لا تُعرف دقائق حياته الواقعية** [٢] ، وقد تمنّى على النويهي لو أنه عُني بفن الشاعر أكثر من شخصيته [٣] ، لأن منهج التحليل النفسي يمكن تطبيقه على الأديب المعاصر ، أما القدماء فلا يمكن أن ندرسهم وفق هذا المنهج ، لأن حياتهم مجهولة في الغالب [٤] ، ثم ختم نقده للنويهي بقوله : **" إني لأنصح للأستاذ أن يعود الى أبي نواس فيدرسه درس الأديب الناقد ، ويدع التحليل النفسي لأصحابه الهائمين به ، الغارقين فيه "** [٥] .

ولعلنا لاحظنا أن ماقاله للنويهي ، قد عاد فكرّره كلّه للعقاد في المحاورة الأخيرة ، بل إنه حين نقد العقاد ، عرض لدراستي الاثنين معا بالقول : إن إقحام التحليل النفسي في تحليل شخصية أبي نواس **" أنتج لنا النرجسية في كتاب العقاد ، وأنتج لنا في العام الماضي ذلك الرجل الذي أصابته عقدة " أوديب " ، ومن يدري لعله ينتج لنا فنونا من الأعاجيب ، إذا مضينا في إجراء التحليل النفسي عليه "** [٦] .

وقد حدث ماتوقعه ، إذ مالبث سلامة موسى أن نشر دراسة في أبي نواس ، ذهب فيها الى تفسير شذوذ شخصيته تفسيرا نفسيا مغايرا [٧] ، ولم يتردد طه حسين في نقده أيضا ، على نحو ما سوف نرى [٨] .

واذن فأهمية المحاورة الأخيرة بينه وبين العقاد ترجع في الغالب الى أنها تظهر معارضته النقدية الشديدة لاستخدام التحليل النفسي في دراسة شخصيات القدماء ، وتبيّن الأسباب التي تدعوه الى الاعتقاد بأن هذا النهج لا يحسن إتباعه في دراستهم .

---

(١) خصام ونقد : ٢٢٥ .
(٢) المصدر نفسه : ٢٢٦ .
(٣) المصدر نفسه : ٢٢٧ .
(٤) المصدر نفسه : ٢٢٧ .
(٥) المصدر نفسه : ٢٢٧ .
(٦) المصدر نفسه : ٢٤٤ .
(٧) أنظر كتاب سلامة موسى " الأدب للشعب " : ٧٩ .
(٨) أنظر خصام ونقد : ٢٥٠ ، ومابعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لماذا لم تقـــع الخصومة بينهما ؟

وبعد .. فعلى الرغم من أنّ المحاورات النقدية بين طه حسين والعقاد قد تعدّدت ، وظلّـــت تتجدّد على مدى طويل من الزمن ، فإنها كانت دائما تحتفظ بمستوى رفيع من أدب الخطاب ، والاحترام المتبادل ، ولا تخرج البتة عن إطار النقد والعلم ، وقد لاحظ أنور الجندي هذا ، ولكنه اضطرب في تفسيره ، فقال مرة : إنه يعود الى التقارب السياسي بين الاثنين [١] . وقال مرة أخرى : " كان طـــه حسين يخشى قلم العقاد ، فلم يعرض له إلاّ لماما ، وفي حذر شديد " [٢] . ولا ريب أن كلا التفسيرين متهافت من الناحية العلمية .

أما القول : إنّ الأمر يعود الى الظروف السياسية فيردّه أنّ المحاورة النقدية الأولـــى دارت والعداء السياسي بينهما على أشده ، ومع ذلك فقد كانت معتدلة في المدح والقدح ، على نحو مارأينا ، بل إن طه حسين نفسه قد نقض هذا التعليل إذ قال ذات مرة : " الذين عاصروا خصوماتي للعقاد يذكرون من غير شك أني أثنيت على أدبه في جريدة السياسة ، حين كانت الخصومة بين الوفديين والدستوريين كأعنف ماتكون الخصومات ، لم يمنعني ذلك من أن أسجل أنه كاتب عظيم " [٣] . كما ذكر أن العقـــاد قد تناسى هو أيضا الخصومة السياسية في أثناء العاصفة التي دارت حول كتابه " فـــي الشعـــر الجاهلي " فدافع عنه في مجلس النواب ، مخالفا بذلك إرادة حزبه [٤] .

وأما القول : إنّه كان يخشى قلم العقاد ، فينبغي ملاحظة أنّ **أنور الجندي يردّده ، متابعا فيه الرافعي ، كما يروى هو نفسه عنه ذلك في كتابه** [٥] ، والحق أنّ بعض أنصار الرافعي والعقاد ، ممـــن ينظرون الى الحوار النقدي على أنه معارك ضارية ، تسفك فيها الدماء ، وتسقط خلالها الضحايـــا أشلاء - نجدهم يردّدون مثل هذا الكلام ، فحين قال طه حسين بعد وفاة العقاد في مقابلة تلفازية : إنه لم يفهم كتابه " عبقرية عمر " ، سارع بعض هؤلاء ، وذهبوا الى أن طه ماكان ليجرؤ على قول ماقـــال لو أنّ العقاد مازال حيا يرزق [٦] . **ثم راحوا يشيعون أن طه كان يخشى العقاد** ، ولا ريب أن مثل هذا القول هو من الناحية العلمية مرفوض رفضا قاطعا ، وذلك لأسباب عدة : **أولها** أن من يتأمل سيـــرة طه حسين يلاحظ أن الجراءة هي من أبرز السمات اللافتة في شخصيته ، سواء أكان ذلك في ميـــدان

---

(١) أنظر " المعارك الأدبية " : ٦٢٤ .
(٢) المرجع نفسه : ١٣ .
(٣) خصام ونقد : ١٤٥ .
(٤) المصدر نفسه : ١٤٥ - ١٤٦ .
(٥) أنظر " المعارك الأدبية " : ٤٣٣ .
(٦) أنظر " طه حسين يتحدث عن أعلام عصره " : ٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النقد والأدب أم كان في ميدان السياسة ، وقد جرّت عليه هذه الجراءة العنيفة محنا شِدادا ، كان من أشدها محنة الشعر الجاهلي ، ومع ذلك فقد ثبت لهذه المحنة ، ولم تقلل من جراءته ، ذلك أنه عاد بعد سنوات قليلة ، فتحدى رئيس الوزراء صدقي باشا ، حين طلب اليه أن يمنح بعض السياسيين درجة الدكتوراه الفخرية ، ممّا عرّضه للفصل ، ولبعث قضية الشعر الجاهلي من جديد ، وقد صوّر لنا طه حسين في اعترافاته شيئا من جراءة نفسه وعنفها في مواجهة إحدى المحن - نحسبها محنة الشعر الجاهلي - فقال : " **لقد رأى نفسه ذات يوم ، وليس بينه وبين المحنة إلاّ خطوة الى أمام ، وليس بينه وبين العافية إلاّ خطوة الى وراء ، وانّ أصدقاءه المحبين له ، العاطفين عليه ... ليلحّون عليه أن يؤثر العافية ، ولو وقتا قصيرا ، فلا يسمع لمشورتهم ، ولا يحفل بإلحاحهم ، وانما يخطو خطوته تلك الى أمام ، فيلقي بنفسه بين ذراعي وجبة الأسد** " (١) .

واذا كان حزب الوفد هو حزب الأكثرية ، وكان زعيمه سعد هو زعيم الأمة أو الشعب ، وكان العقاد يستمد قوة من أنه كاتب هذا الحزب ، الأثير الى زعيمه ، فإن طه حسين كان أعنف كاتب هاجم هذا الحزب وزعيمه - كما مرّ بنا - وها هو ذا يقول مرة أخرى في مذكراته : " **كان صاحبنا أطول الكتّاب لسانا ، وأجرأهم قلما في نقد سعد ، ونقد سياسته ، قبل أن يلي الحكم . وبعد أن وليه ، وبعد أن اضطر الى اعتزاله ، وأصاب الفتى من هذه الخصومة مكروه أيّ مكروه** " (٢) ، واذا كان هو لم يخشَ الحزب وزعيمه ، ولم يحفل بأكثرية الشعب وسخطه (٣) ، فكيف يصحّ في المنطق القول : إنه كان يخشى فردا من هذا الحزب ، وهو العقاد ، **مع أنه بَدأه بالنقد الأدبي ، وتجرأ عليه ، فسخر من غموضه الأدبي سخرية لاذعة ، بل إنه حين نحّى السياسة عن النقد ، لم يفته أن يعرب عن احتقاره لمذهب العقاد** السياسي ، قائلا : " أنا أمقت المذهب السياسي للأستاذ عباس العقاد وأزدريه ازدراء لا حدّ له " (٤) .

وقد لاحظنا في هذا النقد أنه استعد لخصومة العقاد وأنصاره (٥) ، ولكنه فوجئ بأن ردّ العقاد كان هيّنا ، اقتصر على رسالة تضارع النقد من حيث المدح والذم ، بل لقد فوجئ بوقوف العقاد الى جانبه في محنة الشعر الجاهلي - على نحو مارأينا - .

وثاني هذه الأسباب أن طه كان في المحاورات السابقة كلها هو البادئ بنقد العقاد ، وقد

---

(١) مذكرات طه حسين : ٢٦١ ، والمذكرات هي الجزء الثالث من كتاب " الأيام " .
(٢) المصدر نفسه : ٢٢٧ .
(٣) أنظر " حياة الرافعي " للعريان : ١٥٨ .
(٤) حديث الأربعاء : ٩٦ ، ج ٣ .
(٥) أنظر المصدر نفسه : ١٠١ - ١٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لاحظنا أن ردود العقاد في هذه المحاورات قد ابتعدت عن العنف ، واتسمت بالرّقة واللطف ، بل يُلاحَظ أنّ العقاد حين نقد بعض أعمال طه حسين الإبداعية ، مثل : دعاء الكروان ، والحب الضائع ، وعلى هامش السيرة ، قد مال الى المدح أكثر من استقصاء المآخذ الفنية ، والبحث عن العيوب [١] .

وثالثها أنه حين نقد العقاد في حياته ، قد ذهب الى أنه يعاني من " قصور اللغة والبيان "[٢] ، وعلّل بهذا القصور غموضه في بعض كتاباته ، حتى إنه حين نقد رسائل الأحزان للرافعي قد عاد الى العقاد ، ليقول عنه : **" .. قد قلت لك غير مرة : إني لا أفهمه أحيانا "** [٣] .

واذن فحين قال في المقابلة التلفازية بعد موت العقاد : إنه لم يفهم عبقرية عمر ، فإنّ هذا القول يتسق دون شك وأقواله السابقة خلال حياته .

وأما استهجان هذا منه ، ورده الى الخشية ، ومحاولة افتعال الضجيج فهي إنْ دلّت على شيء فإنما تدل على عدم الإلمام الكافي أو الدقيق بنقده .

ورابع هذه الأسباب - وهو أهمها - أنه لو جاز لنا القول : إن طه كان يخشى قلم العقاد ، لأنه لم ينقده نقدا عنيفا ، لوجب علينا في الوقت نفسه القول : إن العقاد كان يخشى قلم طه ويتهيّبه ، لأنه لم ينقده أيضا نقدا عنيفا ، ذلك أن الأمر ينبغي أن يشمل الاثنين معا ، وألاّ يقتصر على طه حسين وحده .

والحق أن الأمر لا يعود الى الخشية البتة ، وانما يرجع الى التقدير والإعجاب المتبادلين ، **والظريف أن أحد المعجبين بطه حسين** قد وجّه اليه رسالة في عام ١٩٣٩ ، نشرتها مجلة " الثقافة " التي كان يصدرها أحمد أمين ، وفيها لاحظ أنه قد ترفّق في نقده كتابَ العقاد " رجعة أبي العلاء " . **ثم تمنى لو أنه يستطيع الوقيعة بينه وبين العقاد** ، كي يرى الخصومة النقدية بينهما على أشدها [٤] ، وهكذا يظهر أن **الخصومة الأدبية العنيفة بين طه حسين والعقاد كانت أمنية بين مثقفي القراء فضلا عن الأدباء** ، وقد ردّ طه على هذا القارئ في المجلة نفسها ، طالبا إليه " ألاّ يتعجلَ الحوادث ،

---

(١) أنظر مجلة الرسالة عدد ٢٦ يناير سنة ١٩٤٢ ، وأنظر كتاب العقاد " ساعات بين الكتب " : ٧١٤ ومابعدها - دار الكتاب العربي - بيروت .

(٢) حديث الأربعاء : ١٠٢ ، ج ٣ .

(٣) المصدر نفسه : ١٢٣ ، ج ٣ .

(٤) أنظر مجلة الثقافة : ص ٤٢ ، العدد (٦) . ٧ فبراير ، ١٩٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وألاّ يثير نار الخصومة الأدبية الحادة قبل إبانها ، فلكل شيء وقته " [١] ، وطمأنه الى أن مايتمناه ممكن الوقوع ، على أنه قال : " ليس على الخصومة العنيفة بيني وبين الأستاذ العقاد في الأدب من بأس أن تبدأ بالدعابة واللين والنقد الرفيق ، فرب لمحة أغنت عن صراحة ، ورب إشارة أجزأت عن عبارة " [٢] ، ثم عرض **لحقيقة مهمة تتصل به وبالعقاد من الناحية النقدية ، وهي أنه إذا ثارت الخصومة أقدر من العقاد على تحمل النقد الحاد** ، قال : " العقاد رقيق الحس ، دقيقه ، وهو أرق مني حسّا ، وأدق مني مزاجا ، **يضيق بالنقد ، ويتأثر بلذعه ، أكثر مما أضيق وأتأثر** " [٣] .

واذن فليس في القضية تهيّب ولا خشية ، فطه إذ حَزَب الأمر أصبر من العقاد على تحمّل النقد العنيف ، وتقبّله ، فهذا النقد لايهزّه كما يهزّ العقاد ، الذي يأخذ عليه أنه " **لا يكاد يقرأ فصلا في نقد كتاب من كتبه ، حتى يسرع الى الرد ، والرد الذي يتكلف فيه التأويل ، والتحليل ، وتقدير أصحاب النحو والصرف ، وتخريج أصحاب اللغة والفقه** " [٤] . ولا ريب أن ماذهب اليه هنا صحيح ، وليس أدل على صحته من خصومة كل منهما للرافعي ، فقد رأينا كيف تركه طه يهاجمه ، ولم يُعنَ بالرد عليه حين لاحظه لا يلتزم بأدب الحوار ، وأما العقاد فقد شُغل بالرد على الرافعي ردحا من الزمن ، حتى أعياه أمره في النهاية ، بعد أن جرى مجراه في الإسفاف ، والتورط في هُجْر القول ، واذن ليست الخشية من النقد هي السبب ، فالعقاد لم يكن أعنف من الرافعي أو زكي مبارك ، وانما هو الحفاظ على الصداقة والمودة ، ومن وجهة أخرى يلاحَظ أن طه يكاد يكون الناقد الوحيد ، الذي نقد العقاد ، وحاوره مرارا ، دون أن يغلظ العقاد له في القول ، ولا ريب أنّ السبب يعود أيضا الى المودة الصادقة ، التي كان يكنّها لطه حسين .

أمّا أنّ العقاد كان يقدّر طه حسين حقا ، فهو ما أعرب عنه في بعض مانشره عنه ، وهو مارواه عنه أقرب الناس اليه من أهله ، ففي أزمة الشعر الجاهلي ، حين طالب بعض النواب بفصله من الجامعة ، وقف يلفتهم الى كفاءته ، قائلا : " على مهلكم فأنتم إذا أخرجتم طه من الجامعة فلن تجدوا من يستحق أن يجلس مكانه [٥] ، وعندما طلبت مجلة " الهلال " إلى كل منهما أن يقول رأيه صراحة

---

(١) طه حسين ، بين المجلة والقراء : ص ٤٢ ، مجلة الثقافة ، عدد (٦) .
(٢) المصدر نفسه : ٤٢ .
(٣) المصدر نفسه : ٤٢ .
(٤) المصدر نفسه : ٤٢ .
(٥) أنظر المقابلة التي أجرتها صحيفة الأهرام مع طه حسين والمنشورة بعنوان " أول حديث لطه حسين عن العقاد " : الأهرام ، العدد (٢٨٢٢) ١٦ مارس ، سنة ١٩٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في الآخر، لبّى العقاد وحده ذلك، فنشر فيها مقالة عام ١٩٣٥ [١]، قرّر خلالها أن طه حسين أديب ناقد، جرىء العقل وقويه، وأنّ **أسلوبه الذي لا ينفك بعضهم يعيبه هو في الحقيقة فريد من نوعه في اللغة العربية، وليس فيه محاكاة لأسلوب آخر في اللغات الأوروبية، فهو أسلوب أدبي قد استقل طه بابتداعه، ولو غضب المنكرون** [٢].

ولقد كان العقاد يرى أنّ طه حسين هو نِدّه الوحيد، وأنه خير أديب يقاسمه حمل المسؤولية الثقافية، فقد روى ابن أخيه عامر العقاد عنه أنه عاد ذات يوم الى البيت، وعلامات الأسف الشديد تعلو وجهه، فلما سأله عن السبب، أجاب: إنّ طه حسين قد أغمي عليه في جلسة مجمع اللغة، حتى ظُنّ في البداية أنه فارق الحياة، ثم قال العقاد له: " **.. إنني يا مولانا لا أتمنى من الله أن يطيل حياتي بعد الدكتور؛ لأن في ذلك مشقة أو تعبا لا أقوى عليه** " [٣]، قال ابن أخيه عامر: " **وأدركت يومذاك مكانة الدكتور في نفس العقاد** " [٤].

وأما أنّ طه حسين كان يقدّر العقاد فهو ما نجده يجهر به جهرا في بعض كتاباته. نحو قوله: " **.. ما أظن بين لِدات العقاد وأترابه ومعاصريه من يقدره ويكبره مثل ما أقدره أنا وأكبره، وليس يعنيني أن يكون رأي العقاد فيّ كرأيي فيه، وانما الذي يعنيني أن أقول الحق، وان كرهه الكارهون**" [٥]

ولقد سجل عنه سكرتيره الدكتور الدسوقي أنه كان يرى العقاد كاتبا ممتازا، وأنه قال له: "إنما كان العقاد لي صديقا حميما " [٦].

وقد صوّر طه موقف العقاد منه في أزمة الشعر الجاهلي فقال عنه: " كانت الحرب سجالا بيني وبينه، فلم يمنعه ذلك من أن يقوم مقام الرجل الكريم في مجلس النواب، فيدافع عني، حين كان الوفديون جميعا عليّ حربا " [٧].

ونحسب أنّ موقف العقاد منه في الأزمة هو في مقدمة الأسباب التي جعلته يحرص على

---

(١) عنوانها " طه حسين " أنظر مجلة الهلال: ١٠١٧ - ١٠٢١، الجزء التاسع السنة (٤٣).
(٢) المصدر نفسه: ١٠٢٠ - ١٠٢١.
(٣) عامر العقاد " معارك العقاد الأدبية " : ٩٩، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
(٤) المرجع نفسه: ٩٩.
(٥) خصام ونقد: ١٤٥.
(٦) طه حسين يتحدث عن أعلام عصره: ٥٧.
(٧) خصام ونقد: ١٤٥ - ١٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مودته وأن يمهّد دائما تمهيدا لطيفا لنقده ، تجنبا لحدوث القطيعة بينهما ، ولا يعني هذا أنه كان يجامله ، وانما كان يقول رأيه الحق في ماينقد من كتبه وآرائه ، ولكنْ في شيء واضح من الرفق والتلطف ، علّله بأنه لا يطيق النقد الحاد الجاف ، ولذا قال في دعابة عن الأسلوب الملائم في نقده : **" الخير كل الخير في أن نطرق عليه الباب في رفق ، وأن ندخل عليه بعد أن يأذن لنا في رقة وظرف ، والله يعلم بعد ذلك كيف يكون مُقامنا عنده ، وكيف يكون انصرافنا عنه "** [(١)] ولقد ظل يذكر موقف العقاد منه في الأزمة حتى آخر حياته [(٢)] ، كما رأيناه يذكر موقف الرافعي ، ويُلاحَظ أنه قبل أن ينشر كتابه " في الشعر الجاهلي " كان العقاد والرافعي أبرز خصمين له ، قد عرض لنقدهما ، بل كان العقاد أشد خصومة ، لأنه جمع بين خصومة الأدب وخصومة السياسة ، كما يُلاحَظ أنه قرّر في نقده إياهما أن كليهما غامض في كتابته ، وأن علة الغموض عند أحدهما تناقض علته لدى الآخر ، فبينما أرجع غموض العقاد الى أن عقله أطول من لسانه [(٣)] ، أرجع غموض الرافعي الى أن لسانه أطول من عقله ، إذ ألمح الى أنه يعتده أديبا ثرثارا في غير طائل ، قال " ولكنه لا يخلو من أصل قيم " [(٤)] ، على هذا النحو كان طه حسين يقف من العقاد والرافعي قبيل أزمة الشعر الجاهلي ، ينقدهما في حرية ، ويرحب بنقدهما ومحاورتهما في براءة ، ولكن موقفه منهما قد اختلف بعد الأزمة التي أعقبت نشره كتابه ، فبينما استمر ينقد العقاد ويحاوره في مودة حتى توفي العقاد عام ١٩٦٤ ، لاحظنا أنه أهمل الرافعي أهمالا تاما ، وأمسك عن ذكر اسمه في كتبه حتى آخر حياته ، ومامن شك أن موقفه منهما قد تأثر كثيرا بموقفيهما منه ، خلال محنة الشعر الجاهلي ، واذا كان طه حسين يقدّر الأديب الناقد ذا الموقف الحر البريء ، فشتان مابين موقف العقاد وبين موقف الرافعي منه خلال الأزمة : أما العقاد فقد تناسى الخصومة السياسية والأدبية - كما قلنا غير مرة - ، وتجاهل أهداف حزبه حزب الوفد ومطامعه ، وتحدّى إرادته ، وهَبَّ **يدافع في البرلمان عن حرية الرأي والفكر ممثلة في طه حسين** [(٥)] ، وأما الرافعي فقد استجاب لنداء الخصومة الأدبية والشخصية ، واستجاب أيضا لنداء

---

(١) طه حسين ، بين المجلة والقراء ، مجلة الثقافة : ص ٤٢ ، عدد (٦) .

(٢) أنظر المقابلة المنشورة في صحيفة الأهرام بعنوان " أول حديث لطه حسين عن العقاد " العدد (٢٨٢٢) .

(٣) حديث الأربعاء : ١٠٢ ، ج ٣ .

(٤) المصدر نفسه : ١٠٢ ، ج ٣ .
ويلاحظ أنه لم يسمّ الرافعي ، ولكن الإشارة اليه كانت واضحة ، وقد كان هذا قبيل نقده رسائل الأحزان .

(٥) أنظر دفاع العقاد عن طه حسين في مجلس النواب ، مضبطة الجلسة الخامسة لمجلس النواب والشيوخ ، يوم ١٣ سبتمبر ، سنة ١٩٢٦ ، كذلك أنظر وثيقة دفاعه في مجلس النواب في كتاب " طه حسين .. أيام ومعارك " لنجاح عمر : ١٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القصر ، الذي كان شاعره في سنة ١٩٢٦ ، ويرتبط به برباط المنفعة الذاتية [١] ، واستجاب لنداء صحف الوفد وإغرائها ، استجاب لهذا النداء كلّه ، **ليكون (بطلَ) حملة التحريض والتشهير على حرية الرأي والتعبير .**

(٣) محاورة سلامة موسى :

سلامة موسى مثال الناقد المتطرف في تعصبه على الأدب العربي القديم ، حتى إنه كان يجهر بازدرائه لهذا الأدب ، ويدعو الى الإعراض عنه ، لأنه في رأيه لا يُلهم ، وينادي بالتوجه الى الأدب الأوروبي ، لأنه وحده الأدب الحق ، وأساس النهضة الأدبية الحديثة [٢] .

واذا كانت مجلة " الرسالة " التي أصدرها أحمد حسن الزيات في عام ١٩٣٢ قد اضطلعت بدور ثقافي كبير ، فإنّ عباس خضر يذكر أنه خلال صدورها قد سمع سلامة موسى ذات مرة يهاجم هذه المجلة الرفيعة ، ولا مأخذَ له عليها سوى أنها تُعنى بالأدب العربي القديم ، وباللغة الفصحى ، يقول : **" .. لم يكن سلامة موسى يرى في تراثنا ما ينفع ، بل فيه مايضر ، وأنّ الخير والنهوض والتقدم ، لا تكون إلاّ في أن نَتّجه الى أوروبا ، ونأخذ عنها كل شيء " [٣] .**

وقد كان سلامة موسى في كتابه " البلاغة العصرية " من دعاة العامية ، ونحسب أن أنور الجندي لم يبالغ حين قال عنه " كان عنيف الخصومة للغة العربية ، والأمة العربية ، والدين عامة ، والإسلام والشرق " [٤] .

وسلامة موسى نفسه يروي لنا أنّ العقاد قد علّل كراهيته للأدب العربي القديم بأنه ليس

---

(١) أنظر " حياة الرافعي " للعريان : ١٦٨ ـ ١٨٣ .

(٢) أنظر كتاب سلامة موسى " الأدب للشعب " : ٥٧ ، ومابعدها .

(٣) عباس خضر ، هل أنا غبي ؟ ، مجلة الدوحة : ١٣٨ ـ ١٣٩ ، العدد (٤٢) يونيو ـ قطر ـ ١٩٧٩ .

(٤) المعارك الأدبية : ٦٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعربي، ومع أنه هاجم العقاد فإنه لم يحاول أن يدرأ عن نفسه التهمة [١] .

وكان سلامة يرى أنه من طليعة المجدّدين، وقد عرض له طه حسين بالنقد والمحاورة غير مرة، تُرى : أوافقه على آرائه الأدبية التي نادى بها، أم عارضه فيها ؟؟

* * *

عندما نجح طه حسين في نيل درجة الدكتوراه من الجامعة المصرية القديمة سنة ١٩١٤ ، وأصبح حينذاك حديث الصحافة، تحدّث عنه سلامة موسى في مجلة " المستقبل " ، التي كان يرأس تحريرها وكتب عنه مرتين يثني فيهما على عصاميته وموهبته الأدبية [٢] .

وعندما دارت محاورة بين طه حسين والرافعي، حول أسلوب الثاني في رسالة العتب، التي نشرها في صحيفة " السياسة " عام ١٩٢٣ ، واشترك فيها أخيرا عدد من الكتاب، نشر سلامة موسى مقالة في مجلة " الهلال " ، هاجم فيها الرافعي وأسلوبه الزخرفي المتكلف [٣] ، ثم أتبعها بمقالة أخرى، جهر فيها بتأييده لطه حسين وما يذهب اليه من آراء، مفضّلا إياه على الرافعي [٤] .

على هذا النحو كان سلامة موسى يقف من طه حسين، دون أن يكون قد عرفه معرفة شخصية، ذلك أن طه حسين حين تناوله في صحيفة " السياسة " عام ١٩٢٥ ، قد كرّر القول : إنّه لا يعرفه ولا يذكر أنه تحدث اليه البتة [٥] ، ومع أنه كان على عِلْم بمواقفه منه [٦] ، فإنه في بداية تناوله لكتابه " مختارات سلامة موسى " لم يتردّد في القول : " .. **أنا أستبيح لنفسي أن أكون حرا في نقده** " [٧].

---

(١) أنظر كتابه " الأدب للشعب " : ١٨٨ .

(٢) وقد كتب عنه في عددين متتاليين من مجلة المستقبل : العدد الثاني، الصادر في ١٩١٤/٥/١٤ ، والعدد الثالث الصادر في ١٩١٤/٥/٢١ وأنظر "معارك طه حسين الأدبية" لسامح كريم: ٣١٥ .

(٣) أنظر مقالته "مصطفى صادق الرافعي" مجلة الهلال: ٤٠٠-٤٠٤ الجزء الرابع - السنة(٣٢)- ١٩٢٣ .

(٤) أنظر مقالته "طه حسين" مجلة الهلال: ٥١٨ الجزء الخامس، السنة(٣٢) - ١٩٢٣ .

(٥) أنظر حديث الأربعاء : ٩٤ ، ٩٧ ، ج ٣ .

(٦) المصدر نفسه : ٢٣ - ٢٤ ، ج ٣ .

(٧) المصدر نفسه : ٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخلاف حول الأدب العربي القديم والمعاصر :

وقد لاحظ أوّل ما لاحظ أن سلامة موسى متسرّع في إصدار أحكامه [١] ، فهو لا يصطنع الأناة والرويّة ، وانما هو مسرف في تطرّفه [٢] .

وأبرز ما أخذه عليه أنه " مسرف في ازدراء الأدب العربي القديم ، والغضّ منه " [٣] ، ذلك أنّه لا يريد أن يأخذ منه ما هو ضروري للانطلاق والتجديد ، وانّما يريد إهماله إهمالا تاما ، وهو ما أنكره عليه طه حسين ، ولذا نجده يقول له مدافعا عن الأدب العربي القديم : " .. قد أفهم ألاّ يكون هذا الأدب القديم ، كما هو ، ملائما كله لذوقنا الحديث ، أو كافيا لحاجات أنفسنا ، ولكنّ القدماء لم يضعوا أدبهم لنا ، وانما وضعوه لأنفسهم ، وليس من شك في أن هذا الأدب كان يلائم أذواق القدماء وحاجات نفوسهم " [٤] .

واذن فموقفه في القضية على النقيض من موقف سلامة موسى ، إذ إنّ الأدب العربي في رأيه جدير بالقراءة ، وبكل عناية ورعاية في العصر الحديث [٥] .

* * *

ويُلاحَظ أنّ سلامة موسى كان إذا رأى المحاورة النقدية تشتد بين طه والعقاد فإنه لا يتردّد في الاشتراك فيها ، إذ عندما اشتد الحوار بين العقاد وطه حسين حول الفرق بين الناقد اللاتيني والسكسوني ، ثم تطور فأضحى حول الفرق بين الثقافتين : اللاتينية والسكسونية - على نحو ما رأينا - تدخل سلامة موسى - وهو ذو ثقافة إنجليزية - فذهب الى أن الثقافة اللاتينية هي التي كانت سائدة في القرن الثامن عشر ، لأن الفرنسيين كانوا هم قادة العالم في هذا القرن ، وأما في هذا القرن فإن الثقافة السكسونية هي السائدة ، لأن الانجليز هم قادة العالم فيه [٦] .

وقد ردّ عليه طه حسين مُسْتَخِفًّا برأيه المتسرّع ، ذلك أنه جلس مجلس القاضي وأصدر بين

---

(١) حديث الأربعاء : ٩٨ ، ج ٣ .
(٢) المصدر نفسه : ٩٩ ، ج ٣ .
(٣) المصدر نفسه : ٩٩ .
(٤) المصدر نفسه : ٩٩ .
(٥) أنظر رأيه في المصدر نفسه : ص ١٣ ومابعدها .
(٦) مجلة الرسالة : ص ٤٢ ، ص ٤٦ ، العدد (٣) ١٥ فبراير - ١٩٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثقافتين حكم الواثق المطمئن، من خلال أسطر قليلة، لا تكاد تتجاوز العشرة، ومع ذلك حاول فيها أن يقارن بين أناتول فرانس وبرناردشو، وأن يقنع بأنّ الفرنسيين قادوا العالم في القرن الثامن عشر، وأنّ الانجليز يقودونه الآن [١] ، قال يخاطبه، لافتا الى أنّ الحكم في المسألة يحتاج الى أناة وتعمق: "أظن أن الأستاذ سلامة موسى يوافقني على أنّ هذه المسألة أعسر، وأعظم خطرا، من أن يقضي فيها بجرّة قلم، وبهذا الإيجاز، الذي لا يمكن أن يوصف بأقل من أنه يدعو الى الابتسام" [٢].

وحين اشتد الحوار بين العقاد وطه حول أبي نواس، وحول اللجوء الى نظريات علم النفس الحديثة في تحليل شخصيات الشعراء القدامى، **تدخل سلامة موسى مشتركا في الحوار، فذهب الى أنّ أبا نواس كان من الشخصيات "السيكوياتية"**، لأنه لو عاش في مجتمع يختلط فيه الرجال بالنساء، ولو تعلم الرقص لما استسلم لشهواته وشذوذه؛ لأن الشاب حينما يرقص والفتيات، ويتأمل جمال وجوههن، ويضع ذراعه في خصورهن، ويشم شعورهن، لا يستطيع أن يفكر إلاّ فيهن وحدهن، واذن فالذنب ليس ذنبه، وانما جاءه من عيب المجتمع، الذي كان يعيش فيه، والذي كان يحظر على الجنسين الاختلاط، مما دفع الشعراء الى التغزّل بالصبيان [٣].

وقد ردّ عليه طه حسين، ينقض رأيه بالقول له: "لم يكن الانفضال بين الجنسين من الخطورة بحيث يظن الأستاذ في ذلك العصر، فما كان أيسر اللقاء بينهما في ظروف الجد والهزل جميعا" [٤] ، ثم لفته الى أنّ الحرائر هنّ اللائي كنّ يتشدّدن في الحجاب، وأمّا الإماء فكنّ يلتقين الرجال، دونما شعور بحرج أو جناح، **وقد ذهب الى أنّ سبب الشذوذ يعود في الغالب الى تحرّر الأمم الأخرى في العصر العباسي، ووقوفها مع العرب على قدم المساواة** [٥]، وآية ذلك أنّ الشعراء الذين اشتهروا بالمجون، كان أكثرهم من غير العرب، "كانوا من الفرس أو أشباه الفرس، ومن أولئك الموالي" [٦] وشذوذ أبي نواس ليس بدعا من شذوذ أمثاله في ذلك العصر، وفي غيره من العصور؛ لأن مثل هذا الشذوذ ينبغي أن يرد الى **"الإسراف في الترف، والى الأسباب الاجتماعية، التي**

---

(١) خصام ونقد: ٤٦.
(٢) المصدر نفسه: ٤٦.
(٣) سلامة موسى، "الأدب للشعب": ٧٩ ومابعدها. والفصل في الأصل مقالة نشرها في جريدة أخبار اليوم: العدد (٤٨٨)، بتاريخ ١٩٥٤/٢/٦.
(٤) طه حسين، خصام ونقد: ٢٥١.
(٥) المصدر نفسه: ٢٥٢.
(٦) المصدر نفسه: ٢٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تأتي من ضعف الأخلاق، وانحلال النظم، أكثر من ردّه الى الأسباب، التي تتصل بالأفراد " [١] .

وقد ذهب سلامة موسى ذات مرة الى أنّ القصة المصرية تافهة [٢] ، كما ذهب الى ازدراء الأدب المصري، وحكم عليه بأنه غير صالح للبقاء، قائلا : " .. لم أجد من أدبائنا من يستحق أن يقرأ له أولادنا وأحفادنا بعد عشرة أعوام " [٣] .

وقد ردّ عليه طه ملا حظا مرة أخرى، أنه مسرف، متسرع في إصدار أحكامه، وقد استدل على خطأ ماذهب اليه بشأن القصة بأن كثيرا من الأدباء والقراء يرضون عن القصة المصرية، وبأنّ ثمة قصصا مصرية قد " جاوزت حدود العالم العربي نفسه الى العالم الغربي، فترجمت الى لغات أوروبية مختلفة " [٤] ، ويأتي في طليعتها آثار توفيق الحكيم ومحمود تيمور . فهي " ليست غريبة بالقياس الى الفرنسيين والإنجليز " [٥] ، وقد لفته الى أنه التقى في فرنسا راهبا دُومنيكيًا، ترجم قصة " السقامات " ليوسف السباعي الى الفرنسية، ولما سأله هذا الراهب عن قصص أخرى خليقة بالترجمة نصح له بترجمة قصص نجيب محفوظ [٦] .

وأمّا ازدراء سلامة موسى للأدب المصري المعاصر، وقضاؤه عليه بأنه غير صالح للبقاء، وبأنّ شيئا منه لن يقرأ بعد عشر سنوات فقد سخر طه حسين منهما وذهب الى أنه لا بأس على الأدب المصري المعاصر من ازدرائه وحكمه، مادام غيره من الناس يستطيع أن يكبر ماازدرى، وأن يعرف ما أنكر، وأن يحب ماكره، ولكنّ المأخذ الخطير على سلامة في رأيه أنه يحاول في تسرعه أن يسبق التاريخ والحكم عليه قبل أن يكون [٧] ، وهو ماينبغي على الناقد الأدبي المسؤول أن يتجنّبه، ولذا خلص في نهاية نقده الى أن سلامة موسى ناقد غير جاد، لا يشعر بمسؤوليته الجسيمة أمام قرائه، قال : " كان الأستاذ سلامة موسى عابثا إذن حين قضى بغير علم، وحين حكم فيما لا يملك الحكم فيه " [٨] .

---

(١) خصام ونقد : ٢٥٦ .
(٢) سلامة موسى، الأدب للشعب : ١٧٣ ومابعدهنا .
(٣) المصدر نفسه : ١٧٨ .
(٤) خصام ونقد : ١٣٨ .
(٥) المصدر نفسه، ١٣٨.
(٦) المصدر نفسه، ١٣٨.
(٧) المصدر نفسه : ١٣٩ .
(٨) المصدر نفسه : ١٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أدب الملـــوك وأدب الشعـــب :

وبعد أن قامت الثورة المصرية في عام ١٩٥٢ ، وأطيح بالحكم الملكي ، عاد **سلامة موســـى الى ازدراء الأدب العربي القديم ومهاجمته ، وكان مأخذه عليه في ظلّ الظروف الجديدة أنه الى حدّ بعيد أدب ملوك "** (١) ، وليس بأدب الشعب أو العامة ، أو المجتمع أو الإنسانية (٢) ، ولذا قـــال يجهر بموقفه منه في جراءة وصراحة : **"إنما موقفي من هذا الأدب أنه لا يلهمنا ، أي لا يلهـــم الكاتب ، كما أنه لا يرشد القارئ الى الحياة السامية ، أي الى العظمة "** (٣) .

ثم راح - ومعه بعض أشياعه من الكتاب الشباب وقتذاك (٤) - يدعو الى وجوب ظهـــور الأدب الثوري في سرعة فائقة .

وقد تصدّى طه حسين لسلامة موسى في قوة ومنطق ، وجراءة أيضا ، إذ ذهب الى أنه هو وأشياعه حين يزدرون الأدب العربي القديم ، ويدعون الى الازورار عنه ، متذرّعين بأنه أدب ملوك ، يظنـــون أنهم بهذه الذريعة يقنعون رجال الثورة ويرضونهم ، ومادروا أن الباطل لا يرضي أحدا ، وأن الحـــق لا يغضب الرجل الرشيد ، ثم أعرب عن شكه في أن يستطيع سلامة موسى وأمثاله " أن يصارحوا الثورة بأن الأدب القديم شر يجب أن يزول ، وفساد ينبغي أن يلغى ، واثم ينبغي أن تمحّى آثاره " . قـــال ساخرا : " ولو قد تحدث أحد هؤلاء السادة الى رجل من رجال الثورة في شيء من ذلك ، أو في شـــيء يشبه ذلك من قريب أو بعيد لما رأى منه إلاّ ازدراء ، ولما سمع منه إلاّ زجرا وانتهارا " (٥) ثـــم تحوّل بعد ذلك الى هذه الدعوة التي يدعو اليها هؤلاء ، والتي تذهب الى أن الأدب العربي القديـــم كان بعيدا عن حياة الشعب ، وأنه كان أدب ملوك أو أدب اقطاع ، ولذا لا يستحق في ظل الثـــورة إلاّ الإعراض عنه ، والنفور منه (٦) ، - **فبيّن أنها دعوة خطرة ، لأنها لا تعني أقل من الغاء القديـــم كله ، واجتثاث الإنسانية من أصولها** ، ذلك أن القضية توضع وضعا غير صحيح من أساسها ، **فليس ثمة أدب للملوك ، قُصِر عليهم ، وانما الملوك وأصحاب الثراء اتخذوا وسائل لإنتاج الأدب في بعـــض الظروف** (٧) ، وليس يعنينا في الأدب القديم صدق الشعراء أو كذبهم بالقياس الى الذين كانـــوا يمدحونهم من الملوك والأمراء ، " وانما المهم أن يصدق الشعراء في تصوير المثل العليا فيمـــا

---

(١) سلامة موسى : الأدب للشعب ، ٥٩ .
(٢) المصدر نفسه : ٥٩ .
(٣) المصدر نفسه : ٥٨ .
(٤) من أمثال لويس عوض ، أنظر " خصام ونقد " : ٦٦ .
(٥) خصام ونقد : ٥٤ .
(٦) المصدر نفسه : ٥٠ .
(٧) المصدر نفسه ، ٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ينشئون من مدح وثناء ، لأن المادحين والممدوحين يذهبون ، وتبلى أشخاصهم ، ولكنّ المثل العليا ، التي يصدقون في تصويرها تبقى للناس مابقي الناس " [١] .

وقد استدل على فساد المنطق في هذه الدّعوة بأنّ الأمم المختلفة لو أخذت بها في هذا العصر، لاضطرت الى التنازل عن كثير من آثارها الفنية الرائعة ، لأن لوجودها علاقة ما بالملوك أو الأمراء ، ولكنْ لا أحدَ في هذه الأمم تخطر له هذه الدعوة ، بل إنّ أصحاب هذه الدعوة في مصر يريدون إلغاء الأدب العربي القديم ، لأنه أدب ملوك ، وهم في الوقت نفسه لا يريدون " أن يلغوا من أدب شكسبير ما مدح فيه الملوك والأشراف ، ولا يريدون أن يلغوا آثار أصحاب الفن الأوروبيين الخالدين في التصوير والنقش والعمارة ، مع أنها أنشئت لملك أو شريف أو أمير من أصحاب الإقطاع [٢] . واذن فدعوتهم خاصة بالأدبَ العربي القديم وحده ، مع أن هذا الأدب ليس كله يتعلق بالملوك والأمراء ، وانما يتعلق منه بهم شعر المدح وحده ، على أنه ينبغي أن نلاحظ أنّ شعر المدح نفسه لم يكن يقال للممدوحين وحدهم ، " ولو كان الأمر كذلك أيضا ما عُني الناس بهذا المدح بَعد موت الممدوحين ، وبُعْد العهد بهم ، بل لو كان الأمر كذلك ما احتفل ممدوح بمدح قط ، **فعناية زهير بن أبي سلمى** مثلا لم تكن مقصورة على هَرِم بن سِنان حين مدحه ، " وانّما مدح زهير صاحبه ذاك ليأخذ عطاءَه من جهة ، وليعجب الناس بشعره من جهة أخرى ، وعسى أن يكون حرصه على إعجاب الناس بشعره أشد من حرصه على الظفر بعطاء الممدوح " [٣] . وبهذا وحده يمكن أن نفسّر ماقيل : إنّ ما أعطاه هَرِمٌ لزهير قد فني وأدركه البِلى ، على حين أن مدح زهير إياه لا سبيل الى أن يدركه الفناء [٤] .

وليس الأمر في شعر المدح مقصورا على الأدب العربي ، وانّما هو موجود في كلّ أدب عالمي قديم حي ، مثل الأدب اليوناني ، فقد " انقضت الألعاب الأولمبية اليونانية ، وانقضى المستبقون فيها من السادة والطغاة منذ قرون طويلة جدا ، ولكننا مازلنا نقرأ شعر " بندار " ونعجب به ، ونحرص عليه الى الآن " [٥] .

ومادام الأدب العربي القديم ليس كله شعر مدح ، ومادام هذا القسم الضئيل منه ليس موجّها الى الممدوح وحده ، وانما كان الشعراء فيه يقصدون أيضا الى انتزاع إعجاب الناس كافة ، وآية ذلك

---

(١) خصام ونقد : ٥١ .
(٢) المصدر نفسه : ٥٠ .
(٣) المصدر نفسه : ٤٨ ـ ٤٩ .
(٤) المصدر نفسه : ٥٠ .
(٥) المصدر نفسه : ٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنّ نماذجه الجيدة قد عاشت منذ قرون [١] ، ومازالت الى الآن قادرة على انتزاع إعجاب القراء ـ مادامت حقيقة الأدب العربي القديم هي هذه ، **فكيف يستقيم القول : إن هذا الأدب لم يصوّر الحياة ؟**

لقد رأينا طه حسين في عام ١٩٢٥ يرد على زعم سلامة موسى أنّ الأدب العربي القديم لا يلائم الذوق الحديث بقوله له : " القدماء لم يضعوا أدبهم لنا ، وانما وضعوه لأنفسهم ، وليس من شك في أن هذا الأدب كان يلائم أذواق القدماء ، وحاجات أنفسهم " [٢] ، وهاهو ذا بعد الثورة ، أو بعد أكثر من ربع قرن ، يردّ على زعمه أن الأدب القديم لم يصوّر الحياة بكلام مقارب ، وبمنطق مشابه ، **مما يدل على أن موقفه من الأدب العربي القديم قد ظل ثابتا على الزمن ، قال يخاطبه : " لا تقل إنّ الأدب القديم لم يكن يصوّر الحياة ؛ بل قل : إنّه لم يصح مصوّرا لحياتنا نحن "** [٣] ، واذن فلا مأخذ على هذا الأدب من هذه الناحية ، لأن من الحماقة أن نطالب الأدب القديم بأن يكون مصوّرا لحياتنا في هذا العصر .

والحق أنّ طه حسين لم يكتف بإثبات تهافت هذه الأسباب التي يتذرّع بها سلامة موسى بين حين وآخر ، لتسويغ دعوته الخطيرة ، وهي ازدراء الأدب العربي القديم والإعراض عنه ، والغاؤه ، وانما هو قد نبّه الى سبب دعوته الى هذه الدعوة في ذلك الوقت بعينه ، كما قد نبّه الى حقيقة مقصده الذي يخفيه وراء هذه الدعوة القديمة الجديدة .

أمّا سبب عودته القوية الى هذه الدعوة في ذلك الوقت ، وتذرّعه بهذه الحجة الواهية بعينها ، وهي أن الأدب العربي القديم أدب ملوك ، فما ذاك إلاّ لأن سلامة موسى وأشياعه من المتملقين لرجال الثورة ، المتزلّفين اليهم [٤] ، قد رأوا الناس يجهرون بكراهية الملوك في تلك الحقبة ، لسوء آثار الملوك فيهم ، قال : " ولأن الثورة قد طردت ملكا فلا يجدون بأسا في أن ينتفعوا بهذه الظروف ، ليروّجوا لدعوتهم ، ويزيدوها الى الناس قربا ، والى قلوبهم حبا " [٥] .

وأمّا مقصده الذي يخفيه وراء هذه الدعوة القديمة المتجدّدة ، تحت ستار هذه الحجة أو تلك ،

---

(١) أنظر المثل الشعري الذي ضربه للمدح الجيد ، ليدلّل على صحة ماذهب اليه في " خصام ونقد " : ص ٥٠ ـ ١١ .
(٢) حديث الأربعاء : ٩٩ ، ج ٣ .
(٣) خصام ونقد : ٤٩ .
(٤) أنظر المصدر نفسه : ٥٣ ، ٦٧ .
(٥) المصدر نفسه : ٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو أن سلامة موسى - وهو قِبْطِيّ - يكره في الحقيقة الهويّة العربية ، وكل ماتقوم عليه من أسس ، وأقوى هذه الأسس الأدب العربي واللغة الفصحى ، ولكن طه حسين لا يتردّد في مصارحته بأن خصومته للأدب العربي القديم هي خصومة سخيفة [١] ، ذلك أنّه لن يضير الأدب العربي ، ولن يغضّ منه أن يكيد له فلان ، أو يسخط عليه ، فقد عملت أجيال عدة من الناس في قرون طويلة من الدهر على أن تغضّ من هذا الأدب ، فلم تصنع شيئا **" لم يغض منه تسلط الترك ، ولا غارات التتار ، ولا الحروب الصليبية ، وانما قاوم هذا كله مقاومة رائعة ، وانتصر على هذا كله انتصارا رائعا ، واستأنف من الحياة والقوة ، والخصب ما يملأ الأرض به جمالا ونورا "** [٢] .

وأما مطالبة سلامة موسى وأشياعه بوجوب ظهور الأدب الثوري في سرعة فائقة ، فيرد طه حسين عليها قائلا : إنها مطالبة تدل على التسرّع ، والتكلّف ، ولا تقوم على الأناة والروية والتفكير السليم العميق ، ذلك أن الأدب الثوري لا يظهر بين عشية وضحاها ، وانّما يحتاج الى بطء وأناة ، فالإسلام حين ظهر لم يغيّر الشعر العربي الجاهلي تغييرا خطيرا إلاّ بعد ظهوره بنصف قرن ، والثورة العباسية لم تستطع أن تنشئ أدبها العباسي الخالص إلاّ بعد أكثر من خمسين سنة ، ويمكن القول : إن الثورة الفرنسية قد مهد لها أدب القرن الثامن عشر ، لكنها لم تنتج أدبها الخاص بها إلاّ في أواسط القرن التاسع عشر ، ويمكن قول هذا أو مثله في أدب الثورات الحديثة الأخرى [٣] ، واذن " فالذين كانوا ينتظرون أن يصبحوا في الخامس والعشرين من شهر يوليو سنة ١٩٥٢ وبين أيديهم أدب جديد يلائم الثورة ويطابقها يخطئون أشد الخطأ وأشنعه " [٤] واذا كان النقاد العرب القدامى قد أدركوا هذه الحقيقة ، حين عرضوا لضعف شعر حَسّانٍ في الإسلام ، بالقياس الى شعره في الجاهلية ، وعرضوا لإعراض لَبِيد عن قول الشعر ، فقد أثبتوا بهذا أنهم " أفقه بالحياة ، وأحسن لها فهما وتقديرا من هؤلاء المعاصرين ، الذين يخطفون أحكامهم خطفا ، ويظنون أن ظواهر الحياة خاضعة لسلطانهم ، يدعونها فتستجيب ، ويهملونها فتنتظر ، ويرجئونها فترجئ نفسها " [٥] .

ويُلاحَظ أن طه حسين وهو يدافع عن الأدب العربي القديم ، ويبيّن زيف الدعوة الى الإعراض عنه وإهماله ، قد لفت سلامة موسى الى أنه لا يستطيع أن ينكر أنه (أي طه) من المعجبين بالأدب الأوروبي الحديث ، والداعين الى الاطلاع عليه ، ولكنّ هذا الإعجاب لا يستلزم ازدراء الأدب العربي القديم ، لأن **نهضة الأدب العربي الحديث قد قامت حقا " على إحياء الأدب العربي**

---

(١) خصام ونقد : ٦٨ .
(٢) المصدر نفسه : ٦٩ .
(٣) المصدر نفسه : ٣٨ - ٣٩ .
(٤) المصدر نفسه : ١٥٠ .
(٥) المصدر نفسه ، ١٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودرس الآداب الأوروبية الحديثة، وستقوم دائما على هذين العنصرين من عناصر الحياة الخصيبة " (١) ، بل إنّ طه حسين يلاحظ أن حياة العرب القدماء أو حياة الأمة الإسلامية القديمة قد قامت على إحياء الأدب العربي، ودرس الثقافات الأجنبية التي عرفتها في تلك العصور، يقول في انتماء واضح وصادق الى العروبة والإسلام : " فنحن نسلك نفس الطريق التي سلكها القدماء، نقيم حضارتنا الحديثة على ما أقام القدماء عليه حضارتهم تلك المزدهرة " (٢) .

هذه هي السبيل الحقة الى نهضة الأدب العربي الحديث، وهي سبيل ليست بخافية على سلامة موسى، لولا أنّ لديه هدفا يخفيه، لكنه يدفعه الى مهاجمة الأدب العربي القديم بين حين وآخر، وهذا الهدف هو إعابة العرب وكلّ مايمتّ اليهم بسبب أدبي أو ثقافي أو حضاري، **وإذن فسلامة هو في حقيقته (شعوبي) مُحدَث، أو هو رأس (الشعوبية) الحديثة في مصر**، التي بدأت تطل منذ بداية هذا القرن، يقول طه حسين مشيرا اليه في جراءة وصراحة، وقد جهر بأنه يريد أن يلمّ بموضوع الهجوم على الأدب العربي القديم، الذي أخذ يظهر في الميدان الثقافي وقت ذاك : " أنا في هذا الإلمام **أريد شخصا بعينه، وهو يعرف نفسه، وقد يعرفه كثير من الناس**، دون أن احتاج الى تسميته، وهذا الموضوع الذي أريد أن ألمّ به هو هذه (الشعوبية الحديثة) التي أخذت تمعن في هذه الأيام في لون من العنف لا أعرف له موضعا ولا موضوعا، **فالأدب العربي عند هذا الأستاذ هباء كله، لا يغني عن الناس شيئا، ... والطلاب في المعاهد والجامعات أشد حاجة الى أن يدرسوا فولتير وروسو وبرناردشو .. منهم الى أن يدرسوا أدبنا العربي ذاك الذي بَعُد به العهد وطالت عليه القرون "** (٣) .

وقد أدرك سلامة موسى في يسر أنه يعنيه بهذا الكلام دون غيره، فاندفع يهاجمه، محاولا استعداء قادة الثورة عليه، قائلا : " لقد اتهمني الدكتور طه حسين بالشعوبية أو كاد، وكأنه نسي كفاحي لأجل الشعب، ضد فاروق الفاسد، هذا الفاروق الذي وقف الدكتور طه حسين نفسه في حرم الجامعة ومنبرها يخاطبه بالصوت العالي بقوله : يا صاحب مصر " (٤) .

ويبدو أنّ طه حسين لم يكن يخفي أن سلامة موسى في نقده الأدبي كان يصدر أحيانا عن موقف معاد للدين الإسلامي ونبيه الكريم، ذلك أنّ سلامة موسى نفسه يذكر لنا أنه حين نقد شعر شوقي قد تناهى اليه أن طه حسين قد قال : " **.. إنّ جريمة شوقي في نظر سلامة موسى هي في هذه**

---

(١) خصام ونقد : ٧٠ .
(٢) المصدر نفسه، ٧٠.
(٣) المصدر نفسه : ٦٨ ـ ٦٩ .
(٤) سلامة موسى، الأدب للشعب : ٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القصائد التي تغنيها أم كلثوم ، أي قصائد شوقي في مدح الرسول " [١] .

ولذا فقد اندفع يهاجم طه حسين ، مكرّرا القول : إنه خاطب الملك فاروق بقوله : يا صاحب مصر [٢] ، وهي كلمة - كما نرى - لا تدل على شيء وانّما تقرر حقيقة كانت واقعة ، **كما ردّ على دفاعه عن الأدب العربي القديم بقوله : " أدب الملوك والأمراء والباشوات هو هذا الأدب الذي يدعو اليه الدكتور طه حسين " [٣] .**

ولعلنا نلاحظ كم في هذا الكلام من بعد عن الحقيقة ، بل إن سلامة موسى نفسه لم يكن يعني في الغالب ماقال حقا ، وانما جُلّ ماكان يعنيه هو تشويه صورة خصمه في نظر الثورة الجديدة ، لإسقاطه ، واستعداء قادتها عليه .

ولكن تاريخ طه حسين الزاخر بمواقف النضال في سبيل حرية مصر والدستور الديمقراطي ، المعروف بسخط القصر عليه ، كان أشهر من أن يخفى على الثورة وقادتها ، ولذلك احتفت به في بداية قيامها ، كما لاحظ نعمان عاشور [٤] ، ثم أعربت عمليا عن هذه الحفاوة ، إذ منحته " جائزة الدولة التقديرية عن الآداب عام ١٩٥٨ ، في أول عام منحت الدولة فيه هذه الجائزة ، فكان أوّل مصري يحصل عليها " [٥] .

* * *

التباين بين شخصيتي طه وسلامة :

وبعد .. فلعلنا لاحظنا أن القضايا التي دارت حولها المحاورات بين طه حسين وسلامة موسى كانت هي : الأدب العربي القديم وملاءمته للذوق الحديث ، والثقافة اللاتينية والسكسونية ، وشخصية أبي نواس وأسباب شذوذها ، والقصة المصرية والأدب المصري الحديث ، ثم الأدب الثوري وزمن ظهوره ، والأدب العربي القديم وعلاقته بالملوك والأمراء .

---

(١) الأدب للشعب : ١٩٠ .
(٢) أنظر المصدر نفسه : ٥٨ ، ٥٩ .
(٣) المصدر نفسه : ٤٣ .
(٤) أنظر مقالته ، لقاء مع طه حسين : ص ٢٢ ، مجلة الدوحة العدد (٥١) .
(٥) د. عبده بدوي ورفاقه ، طه حسين وقضية الشعر : ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمكن القول في حَيْدة وموضوعية : إن آراء سلامة موسى في هذه القضايا كانت تقوم في الغالب على التسرع والتطرف وحب الإثارة أكثر من قيامها على المنطق المقنع، أو الفكر المستقيم على النقيض مما لاحظناه عند طه حسين، ولا ريب أن أهم القضايا التي دار حولها الحوار كانت قضية الدعوة الى ازدراء الأدب العربي القديم والإعراض عنه، ففضلا عن خطر القضية في ذاتها لاحظنا أن المحاورة حولها **قد كشفت مدى التباين الكبير بين شخصيتي طه حسين وسلامة موسى، من حيث الأهداف ومنطلق التفكير والموقف من العربية وأدبها وثقافتها**، وهو تباين يظهر في وضوح أنهما على طرفي نقيض؛ **إذ شتان مابين سلامة موسى** المتعصب على العربية الفصحى، الداعي الى العامية المصرية، المنكر لعروبة مصر، الهازئ بالوحدة العربية والإسلامية [1] ..**وبين طه حسين** المتعصب للعربية الفصحى - على نحو مارأينا عمليا في الأدب المعاصر -، والذي كان يحارب العامية محاربة شديدة، ويدعو الى التمسك بالعربية الفصحى؛ لأنها عماد الوحدة العربية، ولأنها لغة حيّة متطورة لا تجوز مقارنتها باللاتينية الميتة [2]، حتى بلغ به الأمر أن قال ذات مرة في إحدى المقابلات : **" .. من يحسن العربية، ثم يتحوّل عنها الى العامية فهو عندي آثم في دينه، ومقصّر في ذات وطنه؛ لأن اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم، ولغة التراث الإسلامي والعربي المجيد .. وهي مقوّم من مقومات الحياة؛ لأنها تجمع الأمة العربية في جميع أقطارها، ولأنها تتيح لأدبنا العربي، وثقافتنا العربية أن تشيع "** [3] .

وشتان مابين سلامة موسى، الذي رأيناه يلحّ في الدعوة الى نبذ الأدب العربي القديم، والإعراض عنه، ويدعو الى الإقبال على الثقافة الأوروبية والفناء فيها [4]، ... **وبين طه حسين** الذي نجده يجهر بالقول في وضوح، وانتماء عميق أصيل **" ... نحب لأدبنا القديم أن يظل قواما للثقافة، وغذاء للعقول؛ لأنه أساس الثقافة العربية، فهو إذن مقوّم لشخصيتنا، محقّق لقوميتنا، عاصم لنا من الفناء في الأجنبي، معين لنا على أن نعرف أنفسنا "** [5] .كما يكرّر القول : **" نحب أن يظل أدبنا القديم أساسا من أسس الثقافة الحديثة؛ لأنه صالح ليكون أساسا من أسس الثقافة الحديثة، ونحب أن يظل أدبنا القديم غذاء لعقول الشباب، لأنّ فيه كنوزا قيّمة تصلح غذاء لعقول الشباب، والذين يظنون أن الحضارة الحديثة قد حملت الى عقولنا خيرا خالصا يخطئون، فقد**

---

(١) وهو في هذا كله لايتستر، وانما يجهر جهرا، كما نجد في كتبه : " اليوم والغد " و " البلاغة العصرية " و " الأدب للشعب " وأنظر مقالة عباس خضر، هل أنا غبي : ١٣٨-١٤٠، مجلة الدوحة، العدد (٤٢)، وأنظر أيضا كتاب "الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر " للدكتور محمد محمد حسين : ٢٢٤ - ٢٢٨ .

(٢) أنظر كتاب " خصام ونقد " : ١٧٩ - ١٩٤ .

(٣) د. عبده بدوي ورفاقه، طه حسين وقضية الشعر : ٣٥ .

(٤) أنظر كتابه " الأدب للشعب " : ٣٩ - ٥٦، و ٥٧ ومابعدها .

(٥) حديث الأربعاء : ١٣، ج ١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حملت الحضارة الحديثة الى عقولنا شرا غير قليل " [١] .

واذن فالاختلاف أساسي ، جوهري ، بين الناقدين ، على نحو مارأينا ، واذن فنحن ندهش أشد الدهش ، حين نرى **بعض خصوم طه حسين ، المتعصبين عليه ، لايتورعون عن تشويه الحقيقة ، وتضليل القرّاء** ، إذ يوهمونهم - صادقين مع أنفسهم أو غير صادقين - بأن طه حسين وسلامة موسى هما واحد من حيث معاداة العروبة ، واللغة الفصحى والثقافة العربية ، ومن حيث الدعوة الى الثقافة الأوروبية ، والفناء فيها ، وذلك كما فعل الدكتور محمد محمد حسين في كتابه " الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر " ، فهو لم يكتفِ بأن قرن أحدهما الى الآخر ، وانما ذهب الى أن طه حسين أشد خطرا من سلامة على العروبة والفصحى والثقافة العربية [٢] ، وقد عمد لإثبات هذا الى تناول كتاب بعينه من كتبه ، ثم راح يبتر النصوص منه بترا ، ويتعسف في تأويلها تعسفا ، متذرّعا بأن ظاهر الكلام لا يخدعه ، وانما الذي يهمّه هو ما خلف السطور [٣] ، ولكنه في أثناء التأويل بدا وكأنه عليم بذات الصدور [٤] .

---

(١) حديث الأربعاء : ١٣ ، ج ١ .

(٢) أنظر كتابه " الاتجاهات الوطنية " ، ج ٢ : ٢٢١ ، ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٣) انظر المرجع نفسه ، ج ٢ ، ٢٢٩ .

(٤) أنظر المرجع نفسه : ٢٣٥ ، ٢٤١ ، ج ٢ ، والكتاب الذي تناوله هو " مستقبل الثقافة في مصر " ولم يشأ الدكتور محمد محمد حسين أن يستأنس بما كتب طه حسين قبل هذا الكتاب أو بعده ، أو خلال حقبة صدوره ، علما أننا نلاحظ أن آراء طه حسين في مختلف القضايا تبدو متّسقة على مرّ الزمن ، ويتجلى لنا تعسّف الدكتور محمد في التأويل إذ يثبت نصوصا من الكتاب ، يجهر فيها طه جهرا بأنه عدو للعامية ، وعدو لفكرة كتابة العربية بالحروف اللاتينية ، ولكن الدكتور محمد يمرّ في تأويلها بأنها ستار يستر به طه حسين قصده الى وأد الفصحى ، لانه يدعو في الوقت نفسه الى تيسير قواعد نحوها واملائها ، وهنا ينبغي أن نتنبّه الى أن الدكتور محمد محمد حسين يعارض مبدأ تطوّر العربية ونمائها وتيسير قواعد نحوها واملائها (أنظر كتابه المذكور ، ج ٢ ، هامش الصفحات : ٢٣٩ - ٢٤١) .

ولو استأنس الدكتور بنصوص كثيرة ، عرضنا لها في هذا البحث ، وكلها تثبت دون شك صدق طه حسين في محبة الفصحى وعداوة العامية ، بل لو استأنس بمقالة واحدة لطه ، عنوانها " بين الفصحى والعامية " ، ضمنها كتابه " خصام ونقد " ١٧٩ - ١٩٤ ، وهو كتاب صدر في عام ١٩٥٥ ، أي قبل كتابه بسنة واحدة فقط ، إذن لأيقن هو نفسه بأنه يتعسف في التأويل ، ويجور عن الحق ، ويظلم طه حسين أيّما ظلم ، ولكنه - على الرغم من طباعة كتابه مرارا - لم يحاول شيئا من هذا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٣) محاورة المازني

لم يُعنَ طه حسين بنقد ابراهيم المازني عنايته بنقد صديقه العقاد ، إذ يكاد نقده إيّاه يقتصر على التفاتات عابرة ، أبداها وهو يتحدث عن شعر مدرسة الديوان عامة [١] ، وحين ألقى محاضرة عن ابن الرومي في عام ١٩٣٣ [٢] ، فقد التفت في ختامها الى دراسته في الشاعر ، ليقول : " والمازني قد يكون أكثر استشهادا بشعر ابن الرومي من العقاد ، ولكنه كالعقاد يقف عند شخصية ابن الرومي أكثر مما يقف عند الجمال والتحليل الفني " [٣] .

أمّا المازني فقد بادر الى نقده غير مرة ، فعندما نشر الجزء الأول من كتابه " حديث الأربعاء " عام ١٩٢٥ ، وكان يضم مقالات عن شعراء العصر العباسي الأول [٤] ، تناوله المازني بأسلوب يمتزج فيه النقد بالسخرية القصصية الخيالية ، وقد ذهب الى أنّ لطه حسين شغفا خاصا بأصحاب الفسق والمجون من أمثال أبي نواس وبشار والحسين بن الضحّاك ، وهذا له دلالة ما على نفسيته ، قال : "إنّ الدكتور لم يزدنا علما بالعصر العباسي ، ولم يضف الى ما نعرفه عنه جديدا ، فلو لم يكتب هذه المقالات لما فاتنا شيء يذكر ، .. ولكن هذه المقالات كشفت عن جانب من جوانب نفسه هو ، .. وهذا هو الذي ربحناه " [٥] .

ويبدو أن طه حسين لم يعبأ بهذا النقد ؛ ذلك أنه لم يرد عليه ، ونحسب أن السبب يعود الى أنه رآه يفتقر الى الجديّة والبراءة ، ويجنح الى الإعابة والهجوم ؛ إذ ليس صحيحا أنّ دراسة طه حسين في شعراء الخمر والمجون لم تأت بجديد ، فلعلنا لاحظنا أنها كانت دراسة رائدة ، قدّم طه حسين فيها منهجه الجديد الى القراء تقديما مباشرا [٦] ، ثم قدّمه عمليا من خلال الدراسة نفسها ، ثم خلص في النهاية من خلاله الى نتائج جديدة ، وهي أن هذه المدرسة الشعرية العباسية تشخّص عصرها ، فتثبت أنه كان عصر شك ومجون ، والذي يدلّ على أن هذه النتائج كانت جديدة على القراء والأدباء هو أنها أثارت ضجة احتجاج - كما رأينا - ، ولو أنها كانت عادية - كما حاول المازني أن يوهم - لما استطاعت أن تبدو مثيرة في حينه ، وأما قوله : إن تناوله لشعراء الخمر والمجون يكشف عن جانب من جوانب نفسه ، فهو قول يقصد به الى الثلب والتجريح ، ولا يقصد به الى النقد الصحيح ؛ لأن اختيار طه حسين هؤلاء الشعراء لدراستهم ، لم يأت استجابة لميل في نفسه ، **وانما جاء نتيجة لاعتقاده**

---

(١) أنظر كتابه " تقليد وتجديد " : ١٣٥ ومابعدها .
(٢) من حديث الشعر والنثر : هامش ، ص ٨١ .
(٣) المصدر نفسه : ١٥٠ .
(٤) د. جابر عصفور ، المرايا المتجاورة : ٤٩٧ .
(٥) المازني ، قبض الريح : ٣٣ ، دار الشعب - القاهرة - ١٩٧١ .
(٦) أنظر " حديث الأربعاء " : ٥٣ ، ج ٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأن شعر هؤلاء في الخمر والتغزل بالغلمان يمثّل الجديد الذي طرأ على الشعر العربي في عصرهم[١]، فهو - كما لاحظنا في الفصول الماضية - له شغف برصد الجديد الشعري في كل عصر من عصور الأدب العربي، ودراسته، وليس له شغف بدراسة المجان من الشعراء، وثمة أمر لافت كان خليقا أن يلفتَ المازني لو أنه قصد الى الجِد والإنصاف في نقده، وهو أن طه حسين في دراسته شعراء المجون قد ذهب الى أنه وجد نفسه بين شاعرين كبيرين قد أصيبا بهذه الآفة التي أصيب بها، وهما بشار وأبو العلاء. أما بشار فقد جهر بأن روحه لا يوافق روحه[٢]، بل ذهب الى القول: " مهما تكن لبشار الأشعار الجياد البارعة، فأنا لا أحبه، ولا أميل اليه "[٣]، وأمّا أبو العلاء، فقد ذهب الى أنّ نفسه خليقة بالحب[٤]، وكان في دراساته الأخرى يتحدث أحيانا عنه بوصفه مثله الأعلى، الذى يحبه، ويفضله على جميع الشعراء[٥]، واذن فهو لأسباب تتصل بالسلوك والتفكير كان ينفر من بشار الماجن الخليع، ويؤثر أبا العلاء الزاهد المتقشف؛ ولذا توفّر على دراسته أكثر من توفره على أيّ أديب أو شاعر آخر، وما من شك أنّ هذا له دلالة بالغة على نفسية طه حسين، **ولا ريب أن هذا أيضا ينقض ماحاول المازني أن يدّعيه عليه من الناحية النفسية.**

والطريف أنّ المازني في أكثر مقالاته قد مهّد تمهيدا خياليا ساخرا للنقد، إذ ذهب الى أنه حين كتبه كان في الصحراء، وهناك التقى " سَحْلية "، بينه وبينها علاقة صداقة ومحبّة، وبعد أن حاورها وحاورته طويلا، اقترحت أخيرا عليه النقد، واذن فنقده هو من وحي " سَحْلية " من سحليّات الصحراء[٦].

والحق أنّ المناقشة الجادة لنقده تظهر تهافته - على نحو مارأينا - بل نحسب أنه ماكان يستحق منا المناقشة الجادة، لولا أن المازني ناقد مشهور من جهة، ولولا أنّ خصوم طه حسين من جهة أخرى، قد تعلّقوا بهذا النقد، وراحوا يكررونه كله أو بعضه، وكأنه حقيقة مسلّم بها، ويأتي في طليعة هؤلاء الخصوم أنور الجندي، وهو عيال في مايكتب على آراء أساتذته من مدرسة الرافعي؛ ولذا نجده في ماكتب عنه من مقالات أو كتب، يردّد آراءَهم دون تحرّ للحقيقة، إذ حسبه من هذه الآراء التي يردّدها أنها تحقّق مايقصد اليه، وهو ثلب طه حسين وتجريحه، واظهاره في مظهر

---

(١) انظر حديث الأربعاء: ٣٢، ٩٩، ج ٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٨٨، ج ٢.

(٣) المصدر نفسه: ١٩٨، ج ٢.

(٤) أنظر المصدر نفسه: ١٨٩، ج ٢.

(٥) أنظر كتاب " مع أبي العلاء في سجنه ": ٦٥١ - ٦٥٢ (من تاريخ الأدب العربي - المجلد الثالث) ومذكرات طه حسين، ١٦٦، ١٧٣.

(٦) أنظر كتاب المازني " قبض الريح ": ٣٠ - ٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المارق المتحلّل، وتصويره في صورة المتنكّر لأدب العرب وثقافتهم، المبشّر بثقافة الغرب وحضارته، وخير شاهد على صدق مانذهب اليه أنّا نجده قد عمد الى النقد السابق، فأورده كحقيقة لا يأتيها الباطل، مردّدا أن المازني قد لاحظ أن طه حسين يقصد في دراساته قصدا الى تعقّب الزُناة والفَجَرة والفسّاق [١]، منطلقا من هذا الى التقرير في غير موضع من كتاب له أنّ رسالة طه حسين النقدية والأدبية هي في الحقيقة إشاعة روح الفسق والفجور والانحلال في المجتمع العربي [٢]! على نحو مارأينا في الفصل الماضي.

* * *

وقد تعرّض المازني لطه حسين مرة ثانية، إذ تناول أسلوبه الأدبي، فذهب الى أنه أسلوب غير كتابي، وانما هو أسلوب خطابي، لأنه يمليه إملاء، قال: ولأنه "ألف أن يملي كتبه ورسائله ومقالاته، فإن كتبه وحديثه حين يجدّ في مستوى واحد، كائنا ماكان ذلك المستوى" [٣]. كما ذهب الى أنّ هذا الأسلوب يفتقر الى مزايا الخطابة، افتقاره لمزايا الكتابة [٤]، وأنّ أظهر عيوبه "هو التكرار والحشو، وماهو منهما بسبيل" [٥]، وقد ردّ هذا العيب الى سببين هما: الآفة التي أصيب بها، وأدّت الى فقد بصره ثم اشتغاله بالتدريس، "والتعليم مهنة تعود المشتغل بها التبسّط في الإيضاح والإطناب في الشرح والتكرير أيضا" [٦].

ولكن طه حسين لم يعبأ بهذا النقد أيضا، وانّما أهمله، ولم يردّ عليه.

ونحسب أن السبب يعود الى أنه رآه كالنقد السابق، هدفه الأول والأخير النيل واللمز، فقد **حَرَم المازني أسلوب طه حسين من كل ميزة جمالية**، بل رماه في النهاية بالسطحية وبتجنّب التعمق والغوص، شأنه في ذلك شأن كل مدرس جامعي أو غير جامعي [٧]، واذا كان الحكم العام في أسلوب كاتب من الكتّاب بأنه جميل أو غير جميل يعود في الغالب الى الذوق، فيمكن الاعتراض على حكم المازني بأن كثيرا من الكتاب والنقاد غيره قد حكموا لأسلوب طه حسين بالجودة والجمال، بل

---

(١) أنور الجندي: محاكمة فكر طه حسين: ١١.
(٢) المرجع نفسه: ٢٩، ٤٧ ـ ٤٩.
(٣) المازني، قبض الريح: ٢٥.
(٤) المرجع نفسه: ٢٦ ـ ٢٧.
(٥) المرجع نفسه: ٢٧.
(٦) المرجع نفسه: ٢٨.
(٧) المصدر نفسه، ٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حكم بعضهم له بأنه فريد متميّز من الأساليب الأدبية القديمة والحديثة ، ـ كما مرّ بنا في الفصول السابقة ـ ويكفي أن نذكر هنا أن طه حسين هو الأديب المعاصر الوحيد ، الذي حظي أسلوبه في كتاب واحد بعينه ، هو كتاب " الأيام " بدراسة لغوية كبيرة ، قام عليها كتاب **" أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث " للدكتور البدراوي زهران** ، وقد خلص من دراسته العلمية اللغوية الى القول عن هذا الأسلوب : إنه **" أشبه بأنغام الموسيقى وأدواتها ، فكما تتعاون تلك الآلات والأنغام كذلك تتآزر الصفات (اللغوية) عنده** ، وتتناسق عن طريق اختيار الألفاظ والمراوحة بينهما ، فيحدث غرضه ذلك الذي يقصد اليه قصدا ، فيجيء أسلوبه متزنا كاملا ، يرضي الأذن ويتغلغل في جوانب النفس ، ويُنبيء عن ذاكرة حافظة " [١] . وقد ردّ هذا كله الى أذنه المدرّبة ، وحسّه اللغوي الدقيق في الملاءمة بين الألفاظ مع ملاحظة أن البديع في أسلوبه يعدّ ثانويا ، على الرغم من وفرته [٢] .

ويكفي أن نذكر أيضا أن **الدكتور ناصر الدين الاسد** لا يردّ قوة التأثير والإقناع في كتابه " في الشعر الجاهلي " الى عِلْمية الأدلة ، ومنطقية الحُجَج ، التي يقدّمها ، وانما يردها الى أنّ طه حسين يسوق هذه الأدلة والحجج **" في أسلوبه الأخّاذ ، الذي يلفّ القارىء به لفا ، حتى يكاد ينسيه نفسه ، ويصرفه عن مناقشة رأيه "** [٣] ... ولكن مالنا نذهب بعيدا ، وقبل قليل مرّ بنا رأي العقاد في أسلوب طه حسين ، وهو صديق المازني ، وزعيم مدرسته النقدية ، فقد ذهب في تحليل هذا الأسلوب مذهبا هو أقرب الى روح العلم ، وأدنى الى الحَيْدة والإنصاف من مذهب المازني ؛ ذلك أن هذا الأسلوب في رأيه يجمع بين الحديث والكتابة معا ، وجاء ثمرة اطلاع واسع على الأدبين : العربي والاوروبي ، ولكنه أوّل أسلوب من نوعه في الأدب العربي ، وليس فيه محاكاة لأسلوب آخر في اللغات الأوروبية ، ولذا نجده لا يتردّد أخيرا في تقرير حقيقة ، يحاول بعضهم أن يجحدها من أمثال صديقه المازني ، وهي أن هذا الأسلوب قد " استقل بابتداعه طه حسين ولو غضب المنكرون [٤] ، وهذا وحده يعدّ في الأدب العربي الحديث فتحا قديرا [٥] .

* * *

---

(١) د. البدراوي زهران ، أسلوب طه حسين في ضوء الدرس الحديث : ٢٧ ، دار المعارف ـ ١٩٨٢.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧.

(٣) د. ناصر الدين الأسد " مصادر الشعر الجاهلي " : ٣٨٠ .

(٤) أنظر " طه حسين للعقاد " مجلة الهلال : ١٠٢١ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٠٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد عدة سنوات عاد المازني فتعرّض لطه حسين مرة أخرى، إذ تناول تصديرا كان قد كتبه لديوان عزيز أباظه "أنات حائرة"، وذلك في عام ١٩٤٣، وكان طه حسين في هذا الوقت مديرا لجامعة الاسكندرية، ومستشارا فنيا لوزارة المعارف، وقد ذهب في كلمته الى أنه لم يفهم من تصدير طه حسين شيئا، ذلك أن كلامه فيه لا محصول وراءه، ولا يُعرف له رأس من ذنب، كما ذهب الى أن طه المشغول بمناصبه الكبيرة، وباللّجان الكثيرة التي هو عضو فيها، قد تراجع في مستواه الأدبي؛ لأنه لا يملك الوقت الكافي كي يواظب على التحصيل، وتغذية عقله ونفسه، وهو ما لا غنى لأديب عنه ثم تساءل: لماذا لا يستقيل من المناصب واللجان كلها أو بعضها، ليعطي الأدب حقه من الوقت الكافي فهذا خير له من أن يخسره الأدب، ولا تكسبه الحكومة؟ (١).

ويبدو أن طه حسين قد ضاق بالمازني وبنقده هذه المرة؛ ولذا ردّ عليه ردّا عنيفا مفعما بالغضب والسخرية، واذا كان المازني في هذه الحقبة لم يكن يشغل أيّة وظيفة، فقد ذهب الى القول: إنه يأسف لأنّ الحكومة لم تَكِل للمازني عمله في وزارة المعارف، وعمله في جامعة الاسكندرية. كما يأسف أشد الأسف؛ لأنّ الشاعر عزيز أباظه لم يطلب اليه أن يكتب التصدير لديوانه، ولو فعل لكتب كلاما له المحصول كل المحصول، وله رأس كقمة الجبل، وذنب كالذنب الذي خُوّف به المنجّمون المعتصم حين همّ بفتح عمورية، **ثم لفت المازني الى قصة أبي العلاء في مجلس الشريف المرتضى، ثم استأذنه في أن يسرق من هذه القصة شيئا**؛ لأن السرقة في الأدب مباحة، إذا كانت في العَلَن، فهي تشبه حينئذ السطو، ثم سأل المازني أن يقرأ سورة الفَلَق، وأن يقرأ مطولة لَبِيد، ومطولة طَرَفه، وعينيّة سُويد بن أبي كاهل التي مطلعها:

"بَسَطتْ رابعةُ الحبلَ لَنَا ... فَوَصَلْنا الحبلَ منها ما اتسعْ"

ورائية الأخطل التي مطلعها:

أَلا يا اسْلمي يا هندُ هندَ بني بدرٍ ... وإنْ كان حَيّانا عِدًا آخرَ الدّهرِ

ولامية المتنبي التي مطلعها:

"بَقائي شاءَ ليسَ همُ ارْتحالا ... وَحسن الصبرِ زَمّوا لا الجِمالا"

واذا كان طه حسين يؤثر الوضوح في مايكتب، **فقد التفت في النهاية الى القراء معتذرا؛ لأنه عمد الى اللغز في رده، وعذره أنه هذه المرة لا يكتب لهم**، وانما يكتب للمازني وحده، كما أنه سلك سبيل المازني، الذي لم يبين لهم لماذا لم يفهم التصدير، وهم الذين لم يقرأوه أيضا، ثم

---

(١) أنظر مقالة المازني، نقد أسلوب طه حسين - صحيفة البلاغ - عدد يونيه الصادر بتاريخ ١٩٤٣/٦/٢٥. وأنظر أيضا مجلة الرسالة: ٦٢٦، عدد ٩ اغسطس ١٩٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ختم رده بأنه يحب أن يستقيل من مناصبه ، ولكنه يريد أن يستيقن قبل ذلك من أن الحكومة ستضع المازني مكانه [١] .

* * *

وقد كان يمكن أن تظل الألغاز التي قصد اليها طه حسين في ردّه مبهمة على القراء ، لولا أن الدكتور زكي مبارك آثر شرحها لهم ، وتوضيح المقصود منها [٢] ، فقد قصد طه من سورة الفلق أن يقرأ المازني قوله تعالى فيها " ومن شر حاسد إذا حسد " ، وقصد من معلقة لبيد قوله [٣] :

" فاقنعْ بما قسمَ المليكُ فإنّما ... قسمَ الخلائقَ بيننا علاّمُها "
" واذا الأمانةُ قُسِّمتْ في مَعْشرٍ ... أوفى بأعظم حِظنا قَسّامُهـــا "

وقصد من معلقة طرفة قوله :

"فلو كنتُ وَغْلاً في الرجالِ لضرنـــي ... عداوةُ ذي الأَصحابِ والمُتوحِّدِ "
" ولكن نَفى عني الرجالَ جَراءتـــي ... عليهمْ واقدامي وصدقي ومَحتدي "

وقصد من عينية سويد قوله [٤] :

" ربَّ من أنضجتُ غيظاً قلبهُ ... قد تمنّى ليَ موتاً لمْ يُطعْ "
" ويراني كالشَّجا في حَلْقِـهِ ... عَسِرا مخرجُه ما يُنتـزعْ "

وقصد من رائية الأخطل قوله [٥] :

"تَنِقٍ بلا شيءٍ شيوخُ محاربٍ ... وماخلتُها كانتْ تَريشُ ولا تبري "
" ضَفادعُ في ظَلماءِ ليلٍ تَجاوبَتْ ... فَدلَّ عليها صوتُها حَيّةَ البحْـــرِ "

وقصد من لامية المتنبي قوله [٦] :

" أرى المتشاعرينَ غروا بَذمي ... ومن ذا يحملُ الداءَ العُضالا "
" ومن يكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَريـــضٍ ... يَجدْ مُرّا به الماءَ الزُّلالا "

* * *

---

(١) أنظر مقالته " رد على نقد " ، البلاغ ، عدد ١٩٤٣/٦/٢٦ وأنظر أيضا الرسالة : ٦٢٧ ، عدد (٩) أغسطس ١٩٤٣ .

(٢) أنظر مقالته ، الحديث شجون ، الرسالة :ص ٦٢٦ ، عدد (٩) أغسطس ١٩٤٣ .

(٣) المرجع نفسه : ٦٢٧ .

(٤) د. زكي مبارك ، الحديث شجون ، مجلة الرسالة : ص ٦٢٧ .

(٥) المصدر نفسه : ٦٢٧.

(٦) المصدر نفسه : ٦٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونلاحظ أن الدكتور زكي مبارك لم يذكر للقراء قصة أبي العلاء مع الشريف المرتضى، كما أنه حين عرض لقوله : إنه يريد أن يسرق من هذه القصة شيئا " فالسرقة في الأدب مباحة، ولا سيما حين تكون في العلن، لا في السر، وهي حينئذ أشبه بالسطو " [1] قد اكتفى - ربما مراعاة لشعور صديقه المازني - بقوله : " كان يستطيع أن يقول: إنه (يستعير) قصة أبي العلاء مع الشريف، و (يستعير) هي اللفظة المطلوبة في هذا الموقع، ولكنه قال : إنه (يسرق) ليندّد بالأستاذ المازني، ولم يكتف بذلك، بل جعل سرقته علنية، وهي حينئذ أشبه بالسطو " [2] .

واذن فالقصة، وما أخذ طه حسين منها، وما يرمي اليه من قوله : أريد أن (أسرق) أو (أسطو)، هذه الأمور كلها - على الرغم من أهميتها - لم يحاول الدكتور زكي مبارك إيضاحها.

أما قصة أبي العلاء مع الشريف المرتضى، فتقوم على تعصّب الأول للمتنبي، وكراهية الثاني إياه، فقد روى ياقوت أنّ أبا العلاء كان ذات يوم في مجلس الشريف، فجرى ذكر المتنبي، فاستنقصه المرتضى، وجعل يعدّد عيوبه، فقال المعري : لو لم يكن له من الشعر إلاّ قوله :

" لَكِ يا مَنازِلُ في القلوبِ مَنازِلُ "

لكفاه فضلا، " فغضب المرتضى، وأمر بسحبه، فسحب برجله، وأخرج من مجلسه، وقال لمن بحضرته: أتدرون أيّ شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة ؟ فإنّ للمتنبي ماهو أجود منها لم يذكرها، فقيل : النقيبُ السيدُ [3] أعرفُ، فقال أراد قوله في هذه القصيدة :

" واذا أتتكَ مَذمتي من نَاقصٍ فَهيَ الشهادةُ لي بِأني كامِلُ "[4]

وهكذا نلاحظ أن طه حسين لم يأخذ من قصة أبي العلاء شيئا، وانما استوحى أسلوب أبي العلاء في الردّ على الشريف، ولكنه توسّع في هذا الأسلوب حتى بدا وكأنه فن بديع، قد خلقه خلقا جديدا .

وأما استئذانه من المازني أن (يسرق) من القصة، وقوله له : إنّ السرقة مباحة في الأدب، ولا سيما حين تكون في العلن لا في السر، وهي حينئذ أشبه بالسطو، فمن الواضح أنه يقصد فيه الى

---

(١) الحديث شجون : ٦٢٧.

(٢) المصدر نفسه : ٦٢٧.

(٣) الشريف المرتضى أخو الشريف الرضي، ونقيب العلويين.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١٢٢ - ١٢٣، ج ٢ دار المأمون - سلسلة الموسوعات العربية (د.ت).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التعريض بسرقاته الأدبية التي اتهم بها بين حين وآخر ، وقد مرّ بنا أن صديقه عبدالرحمن شكري قد اتهمه بسرقة قصائد من مجموعة " الذخيرة الذهبية The Golden Treasury " [١] ، وأكد هذه التهمة دارسون آخرون من أمثال : عبدالرحمن صدقي [٢] ، بل ثبت أن المازني قد سرق فصلا من قصة " ابن الطبيعة " ، التي ترجمها هو نفسه ، ووضعه في قصته " ابراهيم الكاتب " ، والطريف أن المازني قد أقرّ بنقل هذا الفصل ، ولكنه ذهب الى أنّ ذلك قد حدث دون شعور منه [٣] ، وهي حجة كان يتذرّع دائما بها ، كلما جُوبه بتهمة السرقة .

وبعد ... فنحن حين نتأمل نقد المازني للتصدير جيدا ، نلحظ أنه ينطوي على شيء من التناقض ، فهو في بدايته يذهب الى أنه لم يفهم التصدير ، لأنه يتضمن كلاما لا محصول وراءه ، ولا يُعرف له رأس من ذنب ، لكنه في نهايته نجده يقول : " حملت على طه لأني لم أفهم تصديره ، لا لأنه غير مفهوم ، أو لا يفهم ، بل لأني كنت ذاهلا شارد اللب ، وآية ذلك أني لم أعرف من هذا التصدير أنّ الكتاب شعر لا نثر ، وانْ كان قد ذكر هذا في غير موضع " [٤] .

واذن فهو لم يفهم التصدير ، لأنه كان شارد اللب ذاهلا ، فكيف حكم على التصدير مع هذا بأنه لا محصول من ورائه ، ولا يعرف له رأس من ذنب ؟ بل كيف بادر في البداية الى رثائه قائلا : لا حول ولا قوة إلاّ بالله : هذا طه حسين يخسره الأدب ولا تكسبه الوظيفة ؟ ... المازني عابث في نقده دون ريب ، وهذا ما أغاظ طه حسين ، فدفعه الى ردّ سريع ، كتبه في اليوم نفسه الذي ظهرت كلمة المازني فيه ، ثم نُشر في اليوم التالي [٥] ، ولذا جاء يمور بالسخط والانفعال ، بل جاء من ردود طه حسين النادرة ، التي لم يتورع فيها عن الملاحاة في الحوار ، ذلك أنّه عرّض فيه بسرقات المازني الأدبية ، ووصفه بأنه حاسد له ، ماينفك بشرثر بين حين وآخر ، لأنه ينفس عليه مناصبه ومكانته في الدولة ، ولا ريب أنّ رده كان عنيفا قاسيا ، ولكنّ الذي خفّف من حدة قسوته أنه لم يعمد فيه الى المباشرة ، وانما لجأ الى اللغز والإيماء البعيد ، ذلك أنه على الرغم من انفعاله وغضبه ، قد ظل حريصا كعادته على السمو والارتفاع ، وعلى تجنّب الإسفاف والركاكة ، وكأنه بهذا قد كان حريصا على ألاّ تظهر ملاحاته في الرد للقراء ، الذين اعتذر لهم بأنه عمد الى الإبهام ، لأنه

---

(١) أنظر مقالة عبدالرحمن شكري ، انتحال المعاني الشعرية ز المقتطف : ص٧٨ ، عدد يناير ١٩١٧ .

(٢) أنظر كتاب الدكتور يسرى سلامة " جماعة الديوان " : ٢٧ .

(٣) أنظر كتاب أنور الجندي " المعارك الأدبية " : ٦٥٧ ـ ٦٥٨ .

(٤) المازني ، " نقد أسلوب طه حسين " ، جريدة البلاغ ، عدد ١٩٤٣/٦/٢٥ .

(٥) نشر المازني نقده في صحيفة البلاغ بتاريخ ١٩٤٣/٦/٢٥ ، ونشر رد طه حسين بتاريخ ١٩٤٣/٦/٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يتوجه اليهم هذه المرة ، وانما يتوجه الى المازني وحده ، ومع أنه لجأ في رده الى أسلوب فني ، فيُلاحَظ **أنه لم يثبت هذا الرد ضمن ردوده النقدية التي حرص على إثباتها في كتبه** ، ونحسب أن سبب هذا يعود الى أنّ الرد لا يدور حول قضية نقدية ، وأنه فيه - كما قال - لا يتوجه الى القرّاء ، وهو **الذي يشعر دائما بمسؤوليته النقدية والثقافية الجادة أمامهم** : وآية ذلك أنه في نهاية رده نجده يلفت المازني الى أن المحاورة على نحو ماحدث هي سخف ينبغي الكفّ عنه ، وعدم التورط فيه ، ولكن على الرغم مما رأينا بين الناقدَين ، فيبدو أن ثمة صداقة أو مودة كانت تجمع بينهما ، فالمازني في نقده السابق يصرّح بهذا ، ويعتذر عن نقده بقوله " إنّ الأدب فوق الصداقة ... وليس من شأن النقد الأدبي أن يفسد ما بين الصديقين " [١] ، ولقد أيّده في قضية الشعر الجاهلي ، كما هو واضح في مقالة أثبتها في نهاية كتابه " قبض الريح " . وأما طه حسين فقد ذهب في مقابلة أجريت معه ، حين بلغ الثالثة والثمانين الى أن المازني والعقاد كانا له صديقين ، وقد وازن بينهما ، فذكر أن العقاد كان أديبا ممتازا ، غير أنه كان جادا في سلوكه ، قال : " ولكن المازني كان كثير المزاح ، وكان فيه خفة روح ، فهو أقرب عندي من العقاد " [٢] وفضلا عن هذا ، فنحن لا نجد في كتب طه حسين إلاّ ثناء خالصا على المازني ، **ويظهر أنه كان يعجب بميزتين في أدبه : الأولى لغوية** ، وتتعلق بمقدرته على إحياء أساليب قديمة ، يراها تناسب هذا العصر ، قال : " لم يكن المازني - رحمه الله - يتحرج من إحياء تلك الأساليب القديمة التي كان يجدها عند عبدالقاهر الجرجاني ، وعند الذين سبقوه من أصحاب النقد والبيان ، وكان الناس يقرأون له ، ويعجبون به ، ويستزيدونه من فنه ذلك ، الجديد القديم " [٣] .

وأما الميزة الثانية فتتعلق بالمضمون ، ذلك أن المازني في رأيه مثال الأديب الملتزم بين أدباء جيله ، يُلمس هذا في كتبه النقدية والتعليمية ، كما يُلمس في كتبه التي صور فيها تجاربه الخاصة ، ومشكلات المجتمع عامة [٤] .

---

(١) المازني ، قبض الريح : ٢٥ .
(٢) كمال ملاخ ، قاهر الظلام ، ٢٤٧ .
(٣) خصام ونقد : ١٨٤ .
(٤) أنظر المصدر نفسه : ١٢٢ - ١٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٥) محاورة توفيق الحكيم

بدأت العلاقة الأدبية بين طه حسين وتوفيق الحكيم في عام ١٩٣٣ ، وذلك حين قدّم الدكتور محمد كامل حسين وحسين محمود لطه حسين مسرحية " أهل الكهف " وطلبا منه إبداء رأيه النقدي فيها [١] ، فلما قرأها - وكان لا يعرف الحكيم ولا يسمع به - أعجب بها أيّما إعجاب ، ثم نشر مقالة في مجلة " الرسالة " يثني عليها ويعدّها عملا رائدا في الأدب العربي ، وفتحا جديدا [٢] ، فما كان من توفيق الحكيم إلاّ أن أرسل اليه برقية شكر من مدينة دمنهور ، حيث كان يعمل في النيابة هناك [٣] ، فكان هذا أوّل ماقاد المعرفة والصداقة بينهما ، يقول طه حسين مصوّرا وقع نقده على الحكيم ، واندفاعه في شكره وتقديره : " .. واذا الأستاذ توفيق الحكيم قد سعى اليّ من إقليمه الذي كان يعمل فيه ، وهو يشكر لي تشجيعي له ، ويغلو في هذا الشكر ، **ثم يلقي أموره الأدبية كلّها إليّ ، ويطلب مني أن أكون له مرشدا ، وحاميا ، فأقبل منه هذا كله سعيدا به ، مبتهجا له** " [٤] .

على أنّ الحال بينهما لم تبقَ على هذا النحو من المودة طويلا ، إذ مالبث الحكيم أن نشر مسرحية " شهرزاد " ، فقام طه حسين بنقدها ، - كما رأينا - ونوّه بموهبة الحكيم وبراعته الفنية فيها ، ومع أنّ المآخذ التي أخذها على المسرحية لا تكاد تذكر بالقياس الى ثنائه عليها ، فقد كانت المفاجأة أنّ النقد لم يعجب الحكيم ، ولذا أرسل الى طه رسالة شخصية في عام ١٩٣٤ ، أعرب فيها عن غضبه من النقد ، لأن طه حسين نصح له في أثنائه بأن يقرأ المزيد من كتب الفلسفة ، كما قرّر أن التمثيلية لا تلائم الملعب المصري [٥] . ومع أنه طلب أن يظل أمر الرسالة سرا ، فإنّ طه حسين الذي استاء جدا منها ، لم يتردّد في نشرها ، خلال مقال غاضب ، نشره في مجلة الرسالة بعنوان " الأديب الحائر " ، حكى فيه بأسلوب مسرحي قصة علاقته بالحكيم من بدايتها الى منتهاها [٦] .

ويُلاحَظ أنّ الحكيم في رسالته التي ردّ بها على نقد طه حسين لمسرحية " شهرزاد " **لم يرفض المآخذ التي أخذتْ عليها فحسب ، وانما رفض أيضا الأحكام النقدية التي تقرّر ريادتَه المسرحية**

---

(١) طه حسين يتحدث عن أعلام عصره : ٣٢ .

(٢) أنظر مقالته النقدية في مسرحية أهل الكهف ، مجلة الرسالة : ٣٧ - ٣٩ ، العدد (٩) ١٥ مايو - ١٩٣٣ .

(٣) طه حسين يتحدث عن أعلام عصره : ٣٢ .

(٤) الأديب الحائر ، مجلة الرسالة : ١٠٦٤ ، عدد (٥١) - ١٩٣٤ .

(٥) أنظر " فصول في الأدب والنقد " : ١١٥ ، و " طه حسين يتحدث عن أعلام عصره " ص ٣٣ .

(٦) طه حسين ، الأديب الحائر ، مجلة الرسالة : ١٠٦٣ ، العدد (٥١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتفوقه ، وخلود تمثيله المتقن . فإذا كان طه قد ذهب في نقده الى أنّ الحكيم قد أدخل في الأدب العربي فنا جديدا ، لم يسبق أحد قبله اليه ، فقد رد الحكيم هذا الحكم النقدي بقوله : " ... **هذا إسراف سبق لي أن أشرت اليه في خطاب مني اليك عن أدب الجاحظ** ، ذكرت فيه يومئذ أن للجاحظ ملكة في إنشاء الحوار ، تذكرنا ببعض كتّاب المسرح من الغربيين ، فما أنا إذن بمبتدع ، وانما أنا أحد السائرين في طريق شقه الشرق من قبل " [١] ... واذا كان طه حسين قد أعرب عن اعتقاده بأنه سيكون لمسرحيات الحكيم حظ من البقاء الطويل فقد ردّ الحكيم هذا بقوله : " **أما نصيب قصصي من البقاء فلست أعتقد أنّ لناقد معاصر حق الجزم به ، ومابلغت من البساطة حد تصديق ناقد يتكلم في هذا** ، فإن الزمن وحده هو الكفيل بالحكم للأعمال بالبقاء ، فأنا كما ترى لا أسمح لنفسي بقبول مثل هذا الثناء " [٢] .

ومع أنّ الحكيم هو الذي طلب الى طه حسين أن يكون مرشده وموجّهه ، بل أقرّ بأنه تنازل له عن (حريته) ، فما كان يتصرف في عمل أدبي بغير رأيه ، ولا استشاره أحد في أمر يتصل بكتبه إلاّ أحال الأمر عليه ، وانتظر كلمته فيه [٣] - مع هذا كله فقد رد على تشجيعه إيّاه في نقد مسرحية شهرزاد ، وعلى نصيحته له بأن يقرأ مزيدا من كتب الفلسفة بقوله في حدة ظاهرة : " ... **لست أسمح لأحد أن يخاطبني بلسان التشجيع** ، فما أنا في حاجة الى ذلك ، فإني منذ أمد بعيد أعرف ما أصنع ، ... كما أني لست في حاجة الى أن يملي عليّ ناقد قراءة بعينها ، فإني منذ زمن طويل أعرف ماذا أقرأ ، وما إخالك تجهل أني قرأت في الفلسفة القديمة والحديثة وحدها ، ما لا يقل عمّا قرأت أنت " [٤] .

وقد عمد **طه حسين الى المنطق في ردّ أقوال الحكيم السابقة** : أما قوله : إنّ ثمة من سبقه في الأدب العربي الى التمثيل ، مثل الجاحظ ، الذي كانت له ملكة حوار ، فقد ذهب طه الى أنه كان قد نبّه الحكيم " **الى أن الحوار شيء ، والتمثيل شيء آخر** ، والى أن الكاتب يستطيع أن يكون محاورا مجيدا دون أن يبلغ من التمثيل شيئا " [٥] ، واذن فإتقان الجاحظ للحوار ، وبراعته فيه لا يعنيان أنه عرف التمثيل ، أو ألمّ به ، أو كان يمكن أن يخطر له التمثيل على بال " [٦] ثم عرّض **طه حسين بجهل الحكيم الفرق بين الحوار والتمثيل** ، مشيرا في سخرية الى رده في رسالته السابقة قائلا : "إنه لمن المؤلم حقا أن أحتاج الى أن أسوق مثل هذا الكلام الى كاتب أديب كتوفيق قرأ من

---

(١) الأديب الحائر : ١٠٦٥ .
(٢) المصدر نفسه : ١٠٦٥ .
(٣) توفيق الحكيم ، خصومة ، مجلة الرسالة : ١٠٩٤ ، العدد (٢٥) ، ٢ يوليه - سنة ١٩٣٤ .
(٤) طه حسين ، الأديب الحائر : ١٠٦٥ ، من مجلة الرسالة .
(٥) المصدر نفسه : ١٠٦٦ .
(٦) المصدر نفسه : ١٠٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

آثار القدماء والمحدثين مثل ماقرأت على الأقل "[١] **وأما إنكار الحكيم الحكم لقصه بالبقاء الطويل فقد رده طه بقوله : إن الناقد الأدبي** حر في الإعراب عمّا يتصوّر أو يعتقد ، واذن ليس من حق الحكيم أن يردّ هذا الحكم ، سواء أكان صحيحا أم كان خطأ ، **وأما رده الثناء عليه فليس هذا من حقه أيضا** ، لأن الناقد يهمّه العمل الأدبي نفسه وليس شخص صاحبه ، قال : " فليعلم (الحكيم) أني لم أهدِ الثناء الى شخصه ليرفضه أو يقبله ، وأنّ شخصه لا يعنيني إلاّ قليلا منذ الآن ، وانما أهديت الثناء الى فنه ، وما زلت أهديه اليه ، ولن يستطيع هو أن يرده ، وكنت أحب له أن يفرّق بين شخصه الفاني وفنه الباقي "[٢].

وأما قول الحكيم (لا أسمح) لأحد بأن يخاطبني بلغة التشجيع ، فقد سخر منه طه قائلا : إنه يحب أن يكون أذكى في حياته العملية من أن يشارك رئيس الوزارة في لغته ، " فلا أسمح هذه كلمة ... يملكها رئيس الوزراء القائم وحده "[٣] وهنا ينبغي أن نلحظ أنّ طه حسين يعرّض أيضا برئيس الوزراء ، الذي كان يميل الى الاستبداد في هذه الحقبة ، وهو صدقي باشا ، الذي قام بفصله من الجامعة[٤] . واذن فالأديب ليس من حقه أن يردّ تشجيع الناقد الأدبي ، وان كان حرا في أن يقبله أو لا يقبله ، كما أن الناقد حر في أن يشجع من يراه مجيدا من الناحية الإبداعية ، بل إنّ هذا من صميم واجبه ، وأما قوله : إنه لا يسمح لأحد بأن يدله على مايقرأ ، وانه قرأ من كتب الفلسفة مثل ماقرأ طه على الأقل ، فقد ردّه عليه بقوله : **إنه هو نفسه غير راض عما قرأ من كتب الفلسفة القديمة ، والحديثة** ، وانه يبذل المزيد من الجهد ليقرأ أكثر مما قرأ ، وانه يسأل الله دائما أن يقيه شر الغرور[٥] ، **وأما قول الحكيم : إنه لا يحتاج الى أيّ ناقد ، ليدله على ماينقصه ، ويلفته اليه** ، فينقضه أن للناقد الأدبي الحق في أن يلفت الأديب الى ماينقصه وما يحتاج اليه من الأدوات اللازمة لفنه ، كما أن للأديب في الوقت نفسه الحق في أن يتقبّل ذلك أو لا يتقبله ، فالناقد والأديب المنقود ، كلاهما حر في الأمر بقدر متساوٍ تماما[٦] .

وقد ردّ الحكيم بمقالة[٧] **أعرب فيها عن أسفه** ، لأن طه حسين أصرّ على أن يجهر بخصومته

---

(١) طه حسين ، الأديب الحائر ، مجلة الرسالة : ١٠٦٦ .

(٢) المصدر نفسه : ١٠٦٦ .

(٣) المصدر نفسه : ١٠٦٦ .

(٤) كان طه حسين في هذه الحقبة من عام ١٩٣٤ يصدر صحيفة (الوادي) ويعرض فيها بالنقد لسياسة الحكومة .

(٥) طه حسين ، الأديب الحائر ، مجلة الرسالة : ١٠٦٦ .

(٦) المصدر نفسه : ١٠٦٦ .

(٧) بعنوان " خصومة " أنظر مجلة الرسالة : ١٠٩٣ ، العدد (٥٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

له أمام القراء ، وأن ينشر الرسالة الخاصة التي كان قد بعثها ، على الرغم من وساطة الأصدقاء بألاّ يفعل ، ثم عمد الحكيم الى أسلوب رقيق مؤثر ، ذهب فيه الى أنّه يقدّر طه حسين أعظم تقدير ، ويعدّه العميد الرفيع المقام ، والزعيم الجليل الشأن في الأدب العربي الحديث ، وأنه لا ينسى جميله النقدي الذي أسداه اليه ، إذ ألقى الضوء على وجوده الأدبي ، غداة كتب عن مسرحية " أهل الكهف " ، وذهب الى أنّ صلة الصداقة بينهما خالدة ، " لأنها صلة بين قلبين اجتمعا على حب الجمال الأعلى : جمال الفن والحقيقة " [١] .. والطريف أن الحكيم قد علّل انقلابه المفاجئ على طه حسين في الرسالة الخاصة ، التي أرسلها **بأنه عابث ، قد قصد الى الهزل ليس غير ، قال : " الدكتور لم يعرفني حق المعرفة ، وأراه يأخذ بعض تصرفاتي على سبيل الجد ، حيث لا ينبغي أن تؤخذ على سبيل الجد "** [٢] ، كما قال **" فآتّه أني أجد لذة عقلية في معارضة منطقه السليم ، وآرائه المستقيمة ، دون أن أحفل بالنتائج "** [٣] .

وينبغي ملاحظة أن الحكيمَ قد حاول بهذا التعليل أن يدرأ التهمة التي حاول طه حسين أن يوجّهها اليه في مقالته السابقة الغاضبة ، وهي أنّ الحكيم الذي كان يعمل خلال هذه الحقبة في وزارة المعارف ، إنما انقلب فجأة عليه ، لأنه - أي طه حسين - كان مفصولا من الجامعة ، التي كانت تتبع وزارة المعارف ، ولأنه كان في مقالاته يناصب الحكومة عامة العداء ، فهو قبل أسبوع من نقده لمسرحية " شهرزاد " كان قد هاجم وزارة المعارف مهاجمة عنيفة [٤] . قال يجيبه بالتهمة : " الذين يعملون في وزارة المعارف لا ينبغي أن تظهر الصلة بينهم وبيني ؛ لأن هذه الصلة خطرة حقا ، وما رأيك في قوم يعملون في هذه الوزارة ، ثم يتصلون برجل لا يزال من يوم الى يوم ينال هذه الوزارة ورؤساءها بالنقد الشديد " [٥] ثم لفت الحكيم الى أن جهره بالخصومة في صالحه ، قال : " فسيعلم رؤساؤه منذ اليوم أنه قد أساء الي عمدا ، في غير ما يبيح الإساءة ، وأنه قطع ما بينه وبيني من صلة ... وأظن أن رؤساءه منذ اليوم سيرفقون به ، ويعطفون عليه ، ويحسنون الرأي فيه " [٦] .

ونحسب أنّ هذا الظن هو الذي أثار غضب طه حسين ، ودفعه الى الإصرار على نشر الرسالة الخاصة في تضاعيف مقالته السابقة ، وقد شاعت هذه التهمة ، وألصقت بتوفيق الحكيم ، حتى إن

---

(١) خصومة : مجلة الرسالة ، ١٠٩٤.
(٢) المصدر نفسه : ١٠٩٤.
(٣) المصدر نفسه : ١٠٩٤.
(٤) طه حسين ، الأديب الحائر ، مجلة الرسالة : ص ١٠٦٦ .
(٥) المصدر نفسه : ١٠٦٦.
(٦) المصدر نفسه : ١٠٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عباس محمود العقاد قد عاد اليها بعد ثمانية أعوام ، وسبب ذلك أنّ طه حسين كان قد أهدى الى العقاد قصته " دعاء الكروان " التي نشرت في عام ١٩٤١ ، فكتب العقاد عنها في مجلة " الرسالة" يقرّظها ، ولكن الحكيم ذهب الى أنّ لهجة العقاد في مقالته ، كانت تفتقر الى الرقة المنتظرة [١] ، فردّ عليه العقاد مذكّرا برسالته التي بعثها الى طه حسين إثر نقده لمسرحية شهرزاد ، وأنه قابل جميله بالتنكر له ، إرضاء لرؤسائه في وزارة المعارف ، غير أنّ الحكيم ردّ على العقاد مصرّا على أن ما حدث بينه وبين طه في عام ١٩٣٤ كان خصومة أدبية صرفة ، قال " ولكن الدكتور طه أراد أن يقحم فيها عنصر السياسة ، ليظهرني في صورة (يَهُوذا) ويظهر نفسه في صورة (المسيح) فاخترع تلك القصة اختراعا " [٢] .

والحق أنّنا حين نتأمل جيدا القضية ، يظهر لنا أنّ الحكيم مظلوم فيها ، وأنّ طه حسين كان على خطأ في ظنه ، فلو كان الحكيم قد قصد حقا الى ماتوهّمه لما أرسل اليه رسالة خاصة ، ولنشر الرسالة نفسها في صحيفة ، ليشعر المسؤولين في وزارة المعارف بما فعل ، بل لو كان هذا حقيقة مقصده لما وسّط الأصدقاء بينهما ، لإقناع طه بالعدول عن نشر الرسالة ، والمقالة التي تجهر بالخصومة ، ولإقناعه بأن يظل الأمر بينهما سرا ، حتى يُعرض على أستاذهما لطفي السيد ، فيعيد الصفاء بينهما [٣] ، ولَمَا ردّ على مقالة طه الغاضبة بعد نشرها ردا رقيقا ، ينطوي على كل تقدير واعجاب ، فطه حسين عميد كلية الآداب ، الذي فصله وزير المعارف ، تلبية لرغبة رئيس الوزراء ، هو مازال في رأي الحكيم المعلن " العميد الرفيع المقام ، والزعيم الجليل الشأن في أدبنا العربي الحديث " [٤] ، والصلة بينهما لا يمكن أن تزول " لأنها صلة بين قلبين اجتمعا على حب الجمال الأعلى : جمال الفن والحقيقة " [٥] ، والعبارة الأخيرة التي يختم بها الحكيم رده هي قوله لطه : " إليك الآن ماتمت عزيمتي عليه ، إذا احتفظت بغضبك عليّ فسأعرض عن كل حياة أدبية "[٦] ونحسب أنّ طه حسين لم يوافق على عودة الصفاء بينه وبين الحكيم بعد رده الرقيق [٧] ، إلاّ حين تحقّق من أنه كان مخطئا في ماذهب اليه من ظن ، وكأنه حاول من خلال مقالته أن يكشف حقيقة موقفه ، ويتحقق من شكه .

---

(١) أنظر مقالة توفيق الحكيم ـ خصومات أدبية ـ مجلة الرسالة ص ٥١٨ عدد (٤٦٢) مايو ـ سنة ١٩٤٢ .

(٢) توفيق الحكيم ، خصومات أدبية ، مجلة الرسالة : ٥١٨ .

(٣) توفيق الحكيم ، خصومة : ١٠٩٣ ، مجلة الرسالة ، ٢ يوليه ـ ١٩٣٤ .

(٤) المصدر نفسه : ١٠٩٤ .

(٥) المصدر نفسه : ١٠٩٤

(٦) المصدر نفسه : ١٠٩٥ .

(٧) أنظر المصدر نفسه : ١٠٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحق أن موقف توفيق الحكيم في رده يتسق وموقفه السابق للخصومة ، فقد كان ينظر الى طه حسين بوصفه أستاذه ، الذي يعجب به ، ويركن الى آرائه في الأدب والفن والفكر ، ولذا كان يسعى الى محاورته فيها ، من خلال توجيه الرسائل الأدبية اليه في الصحف ، كرسالته الأدبية التي نشرها في عام ١٩٣٣ بعنوان " الى الدكتور طه حسين "[١] ، وقد أظهر في بدايتها تأثره المعروف بدعوة لطفي السيد الى القومية المصرية ، واللهجة العامية ، **إذ ذهب الى التفرقة بين الروح المصري والروح العربي** ، وقال : **لا بد لنا أن نعرف : ما المصري ، وما العربي ؟** كما ذهب الى أن طابع العرب هو السرعة ، والميل الى الزخرفة ، " كل شيء عند العرب زخرف : الأدب نثر وشعر لا يقوم على البناء ، فلا ملاحم ولا قصص ولا تمثيل ، إنما هو وشي مرصع جميل "[٢] ، ولاحظ أن العرب " لا طاقة لهم بالفن الرمزي ، ولا يريدون إلّا التعبير المباشر بغير الرموز ، وإلّا الصلة المباشرة بالحس "[٣] وأن **عقليتهم لا تشعر بالوحدة الفنية في العمل الأدبي أو الفني ، لأنها** تنشد اللذة السريعة ، إذ " يكفيها بيت شعر واحد ، أو حكمة واحدة أو لفظ واحد ، أو زخرف واحد لتمتلئ طربا واعجابا "[٤] وأما الحضارة العربية كلها فمن المستحيل أن نرى فيها " أيّ ميل لشؤون الروح والفكر بالمعنى الذي تفهمه مصر والهند من كلمتي : الروح والفكر "[٥] ، **واذن فمصر في رأي الحكيم والعرب هما طرفا نقيض :** " مصر هي الروح ، هي السكون ، هي الاستقرار ، هي البناء ، والعرب هي المادة ، هي السرعة ، هي الظعن ، هي الزخرف "[٦] .

واذا كان توفيق الحكيم يؤمن بأن الإبداع الأدبي الحق يكون بتفاعل الروح والمادة ، فقد دعا في خاتمة رسالته الى أن يحدث مثل هذا التفاعل في الأدب المصري الحديث بين روحية مصر ومادية العرب ، قائلا لطه حسين : " أيّ أدب عظيم يخرج من هذا التلقيح ؟ **اني أؤمن بما أقول يا دكتور** ، وأتمنى للأدب المصري الحديث هذا المصير : زواج الروح بالمادة ، والسكون بالحركة ، والاستقرار بالقلق ، والبناء بالزخرف ، تلك ينابيع فكر كامل ، ومدنية متزنة لم تعرف البشرية لها من نظير "[٧] .

وقد ردّ طه حسين عليه برسالة أدبية ، نشرها أيضا في مجلة الرسالة ، وجعل عنوانها " إلى

---

(١) نشرت في مجلة الرسالة : العدد (١٠) ص ٥ ـ ٨ أول يونيه ١٩٣٣ .
(٢) المصدر نفسه : ٦ .
(٣) توفيق الحكيم ، الى الدكتور طه حسين ، مجلة الرسالة : ص ٧ .
(٤) المصدر نفسه : ٧ .
(٥) المصدر نفسه : ٧ .
(٦) المصدر نفسه : ٧ .
(٧) المصدر نفسه : ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأستاذ توفيق الحكيم " ، ويمكن القول : إنه فيها لم يقرّه على أكثر ماذهب اليه في آرائه السابقة، فقد لفته الى أنه يسرف ويتعجّل في أحكامه ، ولذا فهي لا تثبت للنقد والتمحيص ، ويأتي في مقدمة هذه الأحكام حكمه على العرب ، فرأيه فيهم يحتاج منه الى التقويم حاجة شديدة ، ذلك أنه جارَ عليهم جورا أشدّ مما فعل ابن خلدون ، لأنّ ابن خلدون لم تتح له معرفة أمور اليونان والرومان والهند كما هي معروفة الآن ، ولذا فهو معذور ، وأمّا الحكيم فلا عذر له ، يقول له مستنكرا رأيه في العرب : " ... **قد ذهب الى مثل ماذهبت إليه جماعة من المستشرقين منهم دوزي ورينان ، وأحسبكم تظلمون العرب ظلما شديدا ، وتقضون في أمرهم بغير حق** " [(١)] .

وأمّا غضّ الحكيم من شأن الأدب العربي ، وقوله عنه : إنه قام على السرعة والزخرفة ، وأنه يفتقر الى الوحدة الفنية ، والاهتمام بالروح ، كما هي الحال في الآداب المصرية والهندية والفارسية القديمة ، فقد ردّه طه حسين بقوله : إننا لا نكاد نعرف من آداب هذه الأمم شيئا يثبت للمقارنة مع الأدب العربي ؛ ولذا فإن أدبنا العربي يتفوّق على هذه الآداب دون ريب ، ذلك أنه على النقيض مما ذهب الحكيم ، للعرب شعرهم ونثرهم ودينهم ولهم قصصهم أيضا [(٢)] ، بل "**إن الأدب العربي الخالص أرقى جدا من الأدب الروماني الخالص** ... وقد تفوّق الرومان في الفقه ، ولكنهم لم يسبقوا العرب في هذه الناحية ، ولعل الأمة الوحيدة التي يمكن أن تشبّه بالرومان في الفقه هي الأمة العربية " [(٣)] ، وأما الأدب اليوناني فيمكن القول : إنه يتفوّق على الأدب العربي ، ولكن يمكن الاعتراض على هذا القول بأنه لا يجوز أن نقيس رقي الأدب في أمة من الأمم برقي الأدب في أمة أخرى ، فظروف الحياة العربية تخالف ظروف الحياة اليونانية ، ولذا اختلف الأدب عند كل منهما . **وهنا نلاحظ أن طه حسين لا يقطع أو يسلّم بتفوق الأدب اليوناني على الأدب العربي القديم** ؛ ذلك أن الأدب العربي في رأيه قد صوّر حياة العرب أصدق تصوير ، وأدى واجبه أحسن الأداء ، وكل مايأخذه بعضهم عليه أنه لا يصوّر حياتنا نحن الآن ، على أنّه يرد هذا المأخذ ، ملتفتا الى الحكيم الذي كان قد حكم للأدب اليوناني بالتفوق قائلا : " **ولكن أواثق أنت بأنّ الأدب اليوناني القديم قادر على أن يصوّر الحياة الحديثة تصويرا يرضي أهلها ؟** أما أنا فلا أتردد في الجواب على مثل هذا السؤال ،فالأدب اليوناني القديم خصب ، غني ممتع ، من غير شك ، ولكنه كالأدب العربي قد صور حياة القدماء ، وهو قادر على أن يلهم المحدثين لا أكثر ولا أقل " [(٤)] .

---

(١) طه حسين ، الى الأستاذ توفيق الحكيم ، مجلة الرسالة : ص ٨ ، العدد (١١) سنة ١٩٣٣، وأنظر " فصول في الأدب والنقد " ص ٩٧ .

(٢) المصدر نفسه : ٨ .

(٣) المصدر نفسه : ٨.

(٤) طه حسين ، الى توفيق الحكيم ، مجلة الرسالة : ٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كذلك لاحظ أنّ الحكيم قد ظلم العرب حين ميّزهم بالسرعة ، وعاب فنّهم وغناءهم ؛ لأن العرب إنما أسرعوا في الفتوح ، ثم مالبثوا أن استقروا في الأمصار ، وشادوا حضارة تشبه في القرون الوسطى حضارة اليونان في العصر القديم ، وأما فنهم فقد أسهمت فيه الأمم الإسلامية كلها ، وسواء أمدحنا هذا الفن أم عبناه ، فمن الأفضل " أن نقتصد في إضافته الى العرب " [١] وأمّا الموسيقى والغناء ، فكلّ شيء يدل على أنهما كما عرفهما العرب أيام الأمويين والعباسيين وفي الأندلس كانا متأثرين أشد التأثر بالموسيقى البيزنطية والغناء البيزنطي ، يقول ملتفتا الى الحكيم "**إذا أردت أن تعيبهما فلا تنسَ أن تعيب أصلهما اليوناني القديم**" [٢] .

ثم يخلص أخيرا الى جوهر الموضوع ، الذي سأله الحكيم الرأي فيه ، وهو **العناصر التي ينبغي أن يقوم عليها الأدب المصري الحديث** ، فيجيب بقوله : إنه منذ أن (استعربت) مصر ، قام وينبغي أن يقوم في المستقبل على **ثلاثة عناصر أساسية : أولها** العنصر المصري الخالص الموروث منذ أقدم الأزمان ، **وثانيها اللغة العربية والدين والحضارة الإسلامية** ، وهذا العنصر المهم امتزج بحياة المصريين ، وأضحى مقوّما لشخصيتهم " فكل إفساد له إفساد لهذه الحياة ، ومحو لهذه الشخصية " [٣] ، وهنا نجده يلتفت الى توفيق الحكيم ، الذي عدّ العنصر العربي وما يقوم عليه عنصرا أجنبيا يتميز من العنصر المصري ، فيقول له : " لا تقل : إنه عنصر أجنبي ، فليس أجنبيا هذا العنصر الذي تمصّر منذ قرون وقرون ، وتأثر بكل المؤثرات التي تتأثر بها الأشياء في مصر من خصائص الأقليم المصري ، **فليست اللغة العربية فينا أجنبية ، وانما هي لغتنا ، وهي أقرب الينا ألف مرة ومرة من لغة المصريين القدماء ، وقل مثل ذلك في الدين ، وقل مثله في اللغة** " [٤] .

وثالث هذه العناصر الثقافة الأجنبية ، على اختلاف مصادرها وأنواعها ، ولكنّ طه حسين يعرب عن مخاوفه **من الغناء في هذه الثقافة الأجنبية** ، ويحذّر من خطر هذه الثقافة على شخصية مصر العربية ، ويلفت الى أن هذا الخطر يكون حين تُؤثر مصر ثقافة أجنبية واحدة بعينها ، كالثقافة السكسونية أو اللاتينية ، ولذا يقترح لإضعاف خطر هذه الثقافات الأجنبية على شخصية مصر العربية أن يُفتح الباب للثقافات الأجنبية كلها .. يقول : " فلو فتحنا أبوابنا للثقافات الأجنبية على اختلافها ، لانتفعنا بها كلها ، ولأضعف بعضها بعضا ، وحال بعضها دون بعض أن يفنينا أو يسيطر علينا ، لذلك تمنيت ومازلت أتمنى لو لم تفرض على مصر لغة بعينها من اللغات

---

(١) الى توفيق الحكيم : ٨٠

(٢) المصدر نفسه : ٨٠

(٣) المصدر نفسه : ٨ .

(٤) المصدر نفسه : ٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأوروبية ، بل جُعلت اللغات الحية الراقية كلها مباحة للطلاب يأخذون منها مايشاؤون"[١] ثم يختم ردّه بقوله : إنه **جاد في الدعوة الى هذه العناصر الثلاثة** ، التي ينبغي أن تطبع الأدب المصري الحديث بطابعها ، وانه مؤمن كل الايمان بشخصية مصر العربية ، التي لن تستطيع الثقافات الأوروبية أن تفنيها أو تضعفها ، وانما ستساعدها على النماء والتطور ، يقول " **.. فشخصيتنا المصرية العربية أقوى بحمد الله من أن تمحّي أو تزول ، والحضارة الأوروبية أقوى وألزم من أن نعرض عنها ، أو نقصّر في الأخذ بحظنا منها** " [٢] .

* * *

وبعد ... فلعلنا لاحظنا : موقف طه حسين الواضح من القضايا السابقة ، ومع هذا فنحن نجد بعض خصومة المتزمتين ، لا ينفكون يروّجون أنه كان أكبر داعية الى إفناء شخصية مصر العربية في الثقافة العربية أو في الشخصية الأوروبية . وقد عرض أنور الجندي لرسالة طه الى توفيق الحكيم السابقة ، فما زاد على قوله : " تحوّل طه حسين عن هذا الرأي في كتاب مستقبل الثقافة " [٣] .

والحق أنه لم يتحوّل في كتابه " مستقبل الثقافة في مصر " عن هذا الرأي ، ولكنّ أنور الجندي **اعتمد في فهمه لهذا الكتاب على ماكتبه عنه الدكتور محمد محمد حسين** [٤] ، الذي فهم الكتاب - مثله مثل الكثيرين - على غير وجهه ، كما بيّنا في محاورة سلامة موسى ، والذي ينقض ماذهب اليه أنور الجندي نقضا ظاهرا ، ويدل دلالة قاطعة على عدم صحته ، هو أن طه حسين **قد عاد فنشر رسالته التي أجاب بها توفيق الحكيم في كتابه " فصول في الأدب والنقد " الذي ظهر في عام ١٩٤٥** [٥] ، أي بعد سبع سنوات من ظهور كتاب " مستقبل الثقافة في مصر " [٦] ، مما يدلّ على أنه في آرائه قد ظل ثابتا على الزمن ، وهو ماغفل عنه أنور الجندي أو تغافل عنه ولم يذكره ، كما ينقض ماذهب اليه أن طه حسين **عاد في مطلع الخمسينيات فكرّر آراءه السابقة ، أو ما يقاربها ، لسلامه موسى ، وهو يحاوره** - على نحو مارأينا - .

---

(١) الى توفيق الحكيم ، مجلة الرسالة : ٨٠.

(٢) المصدر نفسه ، ٨٠.

(٣) المعارك الادبية : ٥٩٤ .

(٤) أنظر المرجع نفسه : ٤٠٩ ، ٤٢٢ - ٤٢٤ .

(٥) أنظر كتابه " فصول في الادب والنقد " ٩٧ - ٩٨ ومابعدها .

(٦) وقد نشر كتاب " مستقبل الثقافة في مصر " سنة " ١٩٣٨ " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا توفيق الحكيم فيبدو أنه أفاد من آراء طه حسين، واقتنع بوجاهتها، ذلك أنه عاد فوجّه اليه رسالة أخرى، عنوانها **" من توفيق الحكيم الى الدكتور طه حسين "** [١]، وقد أقرّ له في بدايتها بمنطقه المقنع، وبأستاذيته الأدبية والفكرية، قائلا له : " .. إنك لا تلمس شيئا حتى ينقلب الى حق : حق كبير يبتلع كل رأي، ويلقف كل حجة، **تلك عصا الأستاذية، ماكنت أجهل أنك حاملها في هذا العصر** " [٢] كما ختمها مقرّا بفضله عليه من الناحية الأدبية والفكرية، موحيا مرة أخرى بأنه يعدّه كبير الأدباء والمفكرين في الوطن العربي كله، قائلا له : **" .. أيّ ضمان أنت في الشرق لحياة الفكر والبيان "** [٣] .

وأما الخصومة التي رأيناها بين الأديبين حول مسرحية " شهرزاد " ونقدها، فسرعان مازالت إثر اعتذار الحكيم، فعادت المودة والصفاء بينهما، حتى انهما التقيا عام ١٩٣٦ في قرية " سالنش " الفرنسية، واشتركا في تأليف قصة واحدة، هي " القصر المسحور "، والطريف أنهما استوحيا فكرتها من مسرحية " شهرزاد " نفسها التي دارت حولها الخصومة النقدية [٤]، وعلى الرغم من أن طه حسين قد ظل ثابتا في مآخذه النقدية على مسرح الحكيم عامة، ومسرحية شهرزاد خاصة، يرددها في كل مناسبة، فقد بقي التقدير والإعجاب بينهما متبادلا، خلال السنوات الطويلة التالية، حتى إذا توفي طه حسين في عام ١٩٧٣، والحرب العربية الإسرائيلية تدور رحاها، كتب توفيق الحكيم على نَعْش صديقه [٥] : " .. إنّ روحك العظيمة لم تشأ أن تفارق جسدك إلّا بعد أن فارق اليأس روح مصر " .

---

(١) أنظر مجلة الرسالة، العدد (١٨) أول أكتوبر عام ١٩٣٣ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٩٠

(٣) المصدر نفسه : ١٣ .

(٤) أنظر مقابلة محمد بديع سربية لتوفيق الحكيم، مجلة الموعد : ص١٢ عدد(١٠٩٩) سنة ١٩٨٤ .

(٥) طه حسين يتحدث عن أعلام عصره : ٣٧ .
وأنظر العبارة بألفاظ مختلفة قليلا في كتاب " معك " لسوزان طه حسين : ص ١٢٠ . حيث جاءت على هذا النحو : " لم يرد أن يترك روحه تغادر الحياة، قبل أن يغادر اليأس روح وطنه " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٦) محاورة محمود العالم وعبد العظيم أنيس :

في النصف الثاني من هذا القرن ، وبُعيد أن قامت الثورة المصرية في عام ١٩٥٢ ، أخذ نفر من الأدباء المصريين يخوضون في قضايا أدبية ، بدت في حينها ، وكأنها تثار لأول مرة . مثل قضية : **أدب الملوك ، والأدب الشعبي ، والأدب الثوري ، والعلاقة بين صورة الأدب ومادته (شكله ومضمونه)** ونحو ذلك .

ولما كان معظم هؤلاء الأدباء من الشباب وقتذاك ، وكان طه حسين يؤمن بضرورة إرشادهم وتوجيههم ، فقد راح يحاور بعضهم من أمثال : لويس عوض [١] وسامي داود [٢] ، ويدرأ في أثناء ذلك عن الأدب العربي بعض التّهم ، التي كان سلامة موسى يوجهها ، ويحاول إقناع الشباب بها - على نحو ما رأينا - .

ومن أبرز القضايا النقدية ، التي عرض طه حسين لها في الخمسينيات ، لأنه رأى بعض الكتاب الشباب يخوضون فيها خوضا لافتا ، **قضية : الأدب للأدب أم الأدب للحياة ؟ أو قضية : الأدب بين الالتزام والتحرّر** ، والقضية - كما نعرف - ثارت في فرنسا القرن الماضي ، حينما نشر **الشاعر بودلير** (١٨٢١ - ١٨٦٧) ديوانه " **أزهار الشر** " [٣] ، كما ثار حولها الجدل مطلع هذا القرن في أوروبا ، ومن أشهر النقاد الذين تصدّوا لمناقشتها الناقد " **برادلي** Bradley " ، وقد مال إلى مذهب " **الشعر للشعر** " في محاضراته التي ألقاها في جامعة اكسفورد ، ثم نشرها في كتاب بعد ذلك [٤] . وقد خالفه في ماذهب اليه الناقد " **ريتشاردز** Richards " وردّ عليه في فصل من كتابه " **مبادىء النقد الأدبي** " [٥] وقد حاول طه حسين أن يرشد الكتاب الشباب إلى سواء السبيل في هذه القضية ، التي رأى أكثرهم يضلّ فيها ، أو يفهمها على غير وجهها الصحيح ، مع أنها في رأيه قضية " بديهية ، مقرّرة ، قد اتفق الناس عليها ، واطمأنوا اليها منذ أقدم العهود " [٦] ، فخصّص لذلك مقالات عدة ، نحو مقالته " **الأدب والحياة** " و " الحياة في سبيل الأدب "

---

(١) أنظر " خصام ونقد " : ١٦٦ .

(٢) أنظر المصدر نفسه : ١٤٣ - ١٤٤ .

(٣) أنظر " حافظ وشوقي " : ٥٨ - ٦٢ .

(٤) أنظر A. C. Bradley , Oxford Lectures on Poetry, PP. 4 - 5 . London , 1959.

(٥) أنظر كتابه Principles of Literary Criticism , PP. 71 - 80, Routledge and Keganpaul , London , 1963.

(٦) خصام ونقد : ١٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و " صورة الادب " [١] . **وقد قرر طه حسين منذ البداية أنّ الأدب ليس وسيلة لغاية** " ولا ينبغي أن يكون وسيلة ، والأديب لا ينشئ أدبه ، ليحقّق هذا الغرض أو ذاك ، ولا ليبلغ هذه الغاية أو تلك ، وانما الأدب غاية نفسه ، والأديب يكتب ، لأنه لا يستطيع إلاّ أن يكتب " [٢] ثم ذهب الى أن الدعوة الى تسخير الأدب ، ليكون وسيلة إصلاح ، أو سبيل تغيير في حياة الشعوب هي دعوى ينبغي للأديب العربي ألاّ يفكر فيها ، أو يتورط في المناداة بها - أما هؤلاء الذين يدعون الى أن يكون الأدب وسيلة للإصلاح الاجتماعي فمن شأن دعوتهم أن تجعل الأدب " أداة من أدوات وزارة الشؤون الاجتماعية ، تستعين بها على تحقيق ماأنشئت له من الأغراض " [٣] .

على أنّ رفضه أن يكون الأدب وسيلة لغاية لا يعني أنّ هذا الأدب عقيم بطبعه ، وأن صاحبه أثِر بطبعه أيضا ، وانما يعني أنّ **الإصلاح أو التغيير ينبغي أن يصدر عن الأدب صدورا طبيعيا دون تكلف** " كما يصدر الضوء عن الشمس ، وكما يصدر العبير عن الزهرة ، وكما تثير الروضة في نفسك ماتثير من الشعور بالجمال " [٤] ، فضوء الشمس لا ينبعث عنها لتحقيق الأغراض والغايات التي يريدها الإنسان ، لأنه يريدها ، وانما يصدر عنها بطبيعته ، والزهرة لا تنشر رائحتها الزكية ، لتتملق حاسة الشم في الإنسان ، وانما يحدث ذلك منها بطبيعته أيضا [٥] .

ثم يعرض للزعم أنّ الأدب العربي القديم هو أدب فردي ، لأنه أدب ملوك وأمراء ، فيؤكد مرة أخرى أن هذا القول هو سخافة ، لا تستحق التوقف ، على الرغم من أنه كثر تكرارها [٦] ، ذلك أنه ماكان لهذا الأدب أن يخلد وأن يستمر لولا أن فيه العنصر الاجتماعي الإنساني الذي أتاح له البقاء " وأتاح للأجيال المتعاقبة أن تفزع اليه تلتمس فيه اللذة والمتاع ، ونعيم النفس ، وغبطة القلب ، ورضا الضمير " [٧] .

ويلاحظ أن طه حسين يؤمن بأنه حتى حين يكون الأدب لا غاية له سوى الأدب ، فإنه مع هذا لا يكون فرديا ، ذلك أن الأدب نفسه هو " **اجتماعي بطبعه ، وهو موجّه بطبعه في سبيل الحياة**

---

(١) انظر خصام ونقد : ٤١ ، ٧٢ ، ١٠٨ .
(٢) المصدر نفسه : ٨٥ .
(٣) المصدر نفسه : ٦١ .
(٤) المصدر نفسه : ٥٨ .
(٥) المصدر نفسه : ٥٩ .
(٦) المصدر نفسه : ١١٦ .
(٧) المصدر نفسه : ١١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأقوم معانيها ، وأبقاها ، وأرقاها ، حياة العقول والقلوب ، التي لا تموت ، ولا يدركها البِلى ، لا حياة الأجسام التي تُخلق من تراب وتصير الى تراب " [١] ، واذن فالقول إنّ ثمة أدبا فرديا ، هو في رأيه حديث خرافة ، وكل أدب عنده هو أدب اجتماعي ، يقول مقرّرا هذا الرأي : " أنا لا أعرف هذا الأدب الفردي ، ولا أعلم أنه وجد في وقت من الأوقات ، **فالأدب اجتماعي بطبعه ، كالإنسان الذي وصفه أرسطاطاليس بهذا الوصف منذ أربعة وعشرين قرنا** " [٢] .

وهو يلاحظ أنّ بعض الكتاب الشباب - بُعيد الثورة - قد أخذوا يردّدون عبارة " الأدب في سبيل الحياة " ، لكنه حين يسألهم عن المقصود بها يجدهم يعجزون عن الجواب الواضح ، ولذا يرجّح أنهم يقصدون بها الى أن " الأدب موجّه الى الجماعات الإنسانية " [٣] ، فإذا كان المقصود بها كذلك ، فإنه حينئذ لا يتردد في القول : " **.. أتحدى أصحاب " الأدب في سبيل الحياة " وأسألهم أن يدلوني على أدب قديم ، أو حديث لم يتجه الى إرضاء هذه الحاجة الإنسانية ، والى ترقية الحياة الاجتماعية ، وتكميلها ، ونقلها من طور الى طور** " [٤] .

كذلك يلاحظ أن بعض هؤلاء الأدباء الشباب من أمثال محمود أمين العالم وعبدالعظيم أنيس يقصدون بالأدب الفردي أدب أصحاب نظرية " الفن للفن " ولذا فهو ينبههم الى أنهم يفهمون هذه النظرية فهما غير صحيح ، ذلك أنّ الذين يريدون " الفن للفن " لا يرتفعون بأنفسهم عن الجماعات الإنسانية ، ولا يجعلون أنفسهم ملائكة ، ولا يعيشون في السحاب ، ولا يلتزمون هذه الخرافة التي تسمي " البُرّج العاجي " [٥] وانما هم يريدون من الجماعة الإنسانية ، كما يريدون لأنفسهم أن تعطي شيئا من وقتها ، ومن نشاطها ، ومن ملكاتها للجمال من حيث هو جمال ، فيستمتعون به من خلال الفن الرفيع ، سواء أكان أدبا أم تصويرا أم موسيقى أم غيرها من الفنون الجميلة [٦] ، كما أنّ أصحاب هذه النظرية يريدون للجماعة الإنسانية أن ترتفع بين حين وآخر عمّا يشغلها من منافع عاجلة قريبة الى ما هو أبقى وأرقى [٧] .

---

(١) خصام ونقد : ١١٦ - ١١٧ .
(٢) المصدر نفسه : ١١٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ١١٩
(٤) المصدر نفسه : ١١٩ .
(٥) المصدر نفسه : ١١٩ .
(٦) المصدر نفسه : ١١٩ .
(٧) المصدر نفسه : ١١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا يخلص طه حسين الى أنّ الأدب الذي لا يخدم الجماعة الإنسانية لم يوجد بعد ، كما يخلص الى أن الاديب حر في مايبدع كل الحرية ، لا ينبغي لأحد كائنا من يكون ، فردا أو جماعة ، أن يوجه أدبه هذه الوجهة أو تلك ، بل هو لا يتردّد في معارضة هذه المقولة التي يرددها الأدباء الشباب : "الأدب في سبيل الحياة" ، ويعكسها قائلا : إنه يريد من القراء جميعا أن يخلصوا جزءا من نشاطهم "للحياة في سبيل الأدب" ، وأن يأخذوا أنفسهم ساعة من نهار أو ساعة من ليل ، تقصر أو تطول ليفرغوا للقراءة والذوق" [١] ، إذ ليس كثيرا أن يخصّصوا ساعة من نهارهم للقراءة ، بعد أن ينفقوه في الجد والكد ، ليرتفعوا فيها عن حيوانيّتهم ، ويسموا الى إنسانيتهم الرفيعة ، فيكتشف الواحد منهم أن هذه الساعة التي خصّصها في يومه للأدب "إنما أتاحت له أن يكون إنسانا لحظات ، مهما تكن قصارا ، فإنها عذبة ، نافعة ، جديرة بأن تنفق الحياة في سبيلها "[٢].

وقد لاحظ طه حسين أيضا أن هؤلاء الأدباء الشباب ، ومنهم محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس ، يفصلون بين صورة الأدب ومادته (شكله ومضمونه) ، وذلك حين يذهبون الى أن الأدب يستمد صفته أو كونه أدبا أو غير أدب من مضمونه خاصة ، وقد أنكر عليهم هذا الفصل التعسفي ، مؤكدا لهم أنّ "صورة الأدب ومادته شيئان لا يفترقان ، أو هما شيء واحد إذا شئت ، وأضف اليهما عنصرا ثالثا - إنْ صحّ أن يستعمل العدد في مثل هذا الموضع - وهذا العنصر يلزمهما لزوما لا فكاك منه ، وهو عنصر الجمال" [٣] ، واذن فالأدب لا يستمد صفته من مضمونه أو مادته - كما يذهبون - ، وانما يستمدها من عنصر ثالث هو الجمال ، وهذا العنصر هو الفيصل بين الأدب وغيره من ألوان الكتابة ، يقول " .. حيثما وجد الجمال في الكلام كان الأدب ، وحيثما خلا الكلام من هذا الجمال ، كان ماشئت أن يكون" [٤] .

وقد دعا طه حسين الأدباء الشباب الى أن يفهموا الأدب على هذا النحو الحق ، الذي فهمه أدباء البشرية منذ أقدم العصور .

* * *

على أن هذه الآراء السابقة ، التي توجّه بها طه حسين الى الأدباء الشباب في أوائل

---

(١) خصام ونقد : ١٢٦ - ١٢٧ .
(٢) المصدر نفسه : ١٢٧ .
(٣) المصدر نفسه : ٨٨ .
(٤) المصدر نفسه : ٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخمسينيات ، والتي دارت في الغالب حول تحرر الأدب والتزامه ، وحول صورته ومادته ، وحول ماهيته وحدوده - هذه الآراء كلها أو بعضها قد لقيت في حينه معارضة من نفر من الأدباء الشبان ، أطلقوا على نفسهم " جبهة الأدب الجديد " ، فأصدر باسمها **محمود أمين العالم والدكتور عبد العظيم أنيس** بيانا أدبيا في شهر (فبراير) من عام ١٩٥٤، وجّهاه الى طه حسين بوصفه في نظرهما عميد الأدب العربي ، وزعيم المدرسة الأدبية القديمة ، وعارضا فيه ماكتبه عن صورة الأدب ومادته على حين هاجما العقاد وفهمه للوحدة العضوية (١) .

وقد ذهب الكاتبان الى أنّ الأدب يتألف من مادة وصورة دون ريب ، ولكن صورته ليست في اللغة ، ولا هي الأسلوب الجامد ، وانما هي **(عملية داخلية)** في قلب العمل الأدبي ، لتشكيل مادته وأبرز مقوماته ، كما أنّ مادة الأدب ليست هي المعاني كما يرى عميد الأدب طه حسين والمدرسة القديمة ، وانما هي أحداث تقع وتتحقق داخل العمل الأدبي نفسه ، وهي **(عمليات)** متشابكة متفاعلة ، يؤدي بعضها الى بعض ، كذلك **أصرّ الكاتبان على أن الأدب يستمد صفته من مضمونه** ، إذ ينبغي أن يعكس هذا المضمون مواقف ووقائع اجتماعية ، فكل أثر أدبي لا يصوّر المواقف والوقائع الاجتماعية فهو ليس أدبا (٢) .

وقد ردّ طه حسين على بيان محمود العالم وعبدالعظيم أنيس بمقال ، جعل له عنوانا طريفا هو **" يوناني فلا يقرأ "** (٣) ، وهي عبارة شاعت في أوروبا خلال العصور الوسطى ، وأصبحت " كناية يعبّر بها عمّا يصعب فهمه ، ويستعصي تحصيله وتحقيقه " (٤) ، والذي دعاه الى اختيار هذا العنوان أنه قرأ مقالة محمود العالم وزميله ثلاث مرات دون أن يفهم عنهما إلاّ القليل ، وطه حسين - كما نعرف - أكثر مايكره الغموض في الكاتب ، وقد مرّ بنا نقده لغموض الرافعي والعقاد ؛ ولذا نجده يعرض لبعض تعابيرهما ، التي تبدو جديدة في لغة النقد ، وغامضة حقا ، ليقول في سخرية : " .. نعم يوناني فلا يقرأ ، حتى أعرف (قلب العمل الأدبي) وحتى أعرف هذه **(العمليات)** التي تقع أو تحدث أو تجري في داخل هذا القلب ، وحتى أعرف هذا **(الاشتباك)** الذي يكون بين هذه العمليات ، وكيف يفضي بعضها لبعض " (٥) ، ثم يخلص من سخريته الى أن هذه التعابير الغامضة هي

---

(١) أنظر كتاب " في الثقافة المصرية " لمحمود أمين العالم وعبدالعظيم أنيس : ص٦٠، القاهرة ١٩٥٥ .
(٢) أنظر المصدر نفسه : ٦٥ - ٦٦،
وأنظر " خصام ونقد " ٩٢ - ٩٣ .
(٣) أنظر " خصام ونقد " : ٩٠ .
(٤) المصدر نفسه : ٩٣ .
(٥) المصدر نفسه : ٩٤ - ٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أقرب الى الأحاجي وفنون اللغز منها الى لغة الأدب والنقد ، وأما القليل الذي فهمه من كلامهما فمنه قولهما : إنّ الأدب لا يكون أدبا حقا ، إلاّ إذا صوّر المواقف والوقائع الاجتماعية ، ولذا فهو يردّ عليه بقوله : إنه لو كان صحيحا حقا لعنى أنّ الأدب يجب ألاّ يصف الطبيعة مثل : الأنهار والأشجار والجبال والسهول والحيوان والوديان ، لأن هذه لا تصلح مضمونا أو موضوعا للأدب ، بحسب شرطهما السابق ، لكونها ليست مواقف أو وقائع اجتماعية [١] ، ... ولعنى أيضا أن الأدب ينبغي ألاّ يتحدث عن السحاب والمطر والرياح العاصفة ، والنسيم العليل والبرق والرعد ، لأنها لا تصلح موضوعا له ، لكونها غير وقائع أو مواقف اجتماعية [٢] . ... ولعنى أيضا أن الأدب ينبغي ألاّ يصف إحساس الفرد وشعوره ونجواه ، ومايدور في ضميره وذهنه من الخواطر ، ومايضطرب في قلبه من العواطف ، وفي نفسه من المعاني ، لأنها لا تصلح موضوعا له ، فهي ليست وقائع اجتماعية ولا مواقف [٣] .

واذن فلو أُخِذَ برأي الكاتبين السابق لأُلغي أكثر الأدب العالمي القديم والحديث ، لأنه لا يصوّر الجوع ولا البؤس ، **وهنا يلتفت طه حسين الى المدرسة النقدية الاشتراكية ، التي ينتمي اليها محمود العالم وعبدالعظيم أنيس ، فيعرض بها ساخرا بقوله :** " .. الإنسان عند هؤلاء السادة ، وعند أساتذتهم أيضا قد خلق ليأكل ويشرب ، ... فجدّه وجهده ، وتفكيره وتدبّره وتأمله وشعوره وعواطفه - كل هذا يجب أن يتجه الى شيء واحد ليس غير ، وهو تيسير الحياة الاجتماعية ، وارضاء حاجات الناس التي تتصل بأجسامهم وحدها " [٤] .

ومدرسة النقد الواقعية الاشتراكية هذه لا تعترف إلاّ بالجانب المادي في الإنسان ، وأما الجانب الروحي فلا تعترف به ، ولذا فهي تُعنى بالطعام والشراب والدور والثياب ، على حين لا تلقي بالا الى قيم الخير والشر والحق والباطل والجمال والقبح وهي القيم " التي عاشت عليها الإنسانية قبل أن تنشأ هذه المدرسة الحديثة في أواسط القرن الماضي " [٥] وهي تقلل من شأن كثير من الكتاب العالميين المبدعين ، فالشاعر ت.س. **اليوت** ليس بذي خطر ، لأنه مسيحي يؤمن بالدين ، " وبأن للإنسان روحا وعقلا وقلبا ، ونفسا تسمو فوق المادة ، ولا يقصد الى الوقائع الاجتماعية

---

(١) خصام ونقد : ٩٧ .
(٢) المصدر نفسه : ٩٨ .
(٣) المصدر نفسه : ٩٨ .
(٤) المصدر نفسه : ٩٨ .
(٥) المصدر نفسه : ٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمواقف ، كما يريدها نقاد هذه المدرسة المادية الخالصة [١] ، والقاص الإيرلندي " **جيمس جويس** " ليس بذي خطر ، لأنه " عُني في قصته " **أوليس** " بالضمير الفردي ووصف الانهيار النفسي ، وتحلل الشخصية الفردية " [٢] ، على حين تعجب هذه المدرسة بالشاعر " **مايكوفسكي** " والقاص " **إيليا اهرنبورج** " ، لأنهما عُنيا بالوقائع الاجتماعية ، والحضارة الصناعية المادية [٣] .

واذن فالبون واسع - في رأي طه حسين - بين من يشترط في الكلام كي يكون أدبا أن يصور بؤس الجياع ، الذين يجب أن يقدم اليهم الطعام ، وبين من يشترط فيه أن يحتوي على الجمال الفني الذي يؤلف بين صورته ومادته ، ولا يهمه من أين ينبع هذا الجمال بعد ذلك : من جانب مادي أو روحي [٤] .

وتتجلى سخرية طه حسين المرّة من نظرة المدرسة الواقعية الاشتراكية الى الأدب ، إذ يلتفت الى الأدباء الشباب والقراء عامة ، فيقول لهم : " ... من شاء أن يلغي عقله وضميره ، وقلبه وروحه ، وأن يصبح جسما ليس غير ، فليسرع الى المدرسة التي يدعو اليها هؤلاء السادة ، ليأكلوا مريئا ، وليشربوا ، وليناموا وادعين ، وليكونوا كهذه الأدوات الكثيرة ، التي نسخّرها لمرافقنا المختلفة " [٥] .

* * *

وبعد ... فلعلنا لاحظنا **أن طه حسين لا يعارض في أن يصوّر الأدب الوقائع الاجتماعية والمواقف** ، كما لا يعارض في أن يستوحي الأدب واقع البؤس والحرمان والجوانب المادية في الحياة ، فهو نفسه قد صوّر واستوحى ذلك في أدبه [٦] ، **وانّما هو يعارض** في أن يشترط ذلك في الكلام كي يكون أدبا ، دون أدنى نظر الى عنصر الجمال الفني ، فهذا الاشتراط بحسب مفهومه ، له خطره من وجهتين أساسيتين : **الأولى** أنه يعني أنّ الكلام إذا صوّر الوقائع الاجتماعية والمواقف ، وعني بالجوانب المادية في الحياة ، فهو إذن أدب ، سواء أتضمن عنصر الجمال الفني أم لم يتضمنه ، كما يعني في

---

(١) خصام ونقد : ٩٩ .
(٢) المصدر نفسه : ٩٩.
(٣) المصدر نفسه : ٩٩ - ١٠٠ .
(٤) المصدر نفسه : ٩٨ .
(٥) المصدر نفسه : ٩٨.
(٦) كما نجد هذا في كتابه " الأيام " و " شجرة البؤس " و " المعذبون في الأرض " مثلا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوقت نفسه أن الكلام إذا لم يصور ذلك، وصور مايتصل بالروح والقيم، وبمظاهر الطبيعة، فهو حينئذ غير أدب، حتى لو توفّر فيه عنصر الجمال الفني؛ ولا ريب أن هذا الاشتراط فيه تعسّف ظاهر، لا يمكن قبوله أو إساغته، على حين أنّ اشتراط طه حسين عنصرَ الجمال الفني في الكلام كي يكون أدبا هو اشتراط منطقي دقيق، يستوحي حقيقة الأمر في القضية.

وأمّا الوجهة الثانية فهي أن هذا الاشتراط المسبق للأدب يعني تقييده، وتقييد حرية الأديب أيضا؛ على حين أن طه حسين يشترط للأديب الحرية في انتاج أدبه، فهو حر، يصدر عنه هذا الأدب بطبعه، صدور الضوء عن الشمس، والشذا عن الزهرة، على أنّ هذه الحرية لا تجيز للأدب أن يكون غير ملتزم أو غير هادف، فالأدب الفردي في رأيه لم يوجد بعد، وكل أدب اجتماعي إنساني بطبعه، حتى أدب أصحاب **"الفن للفن"**؛ لأنه يعود على المجتمع بالمتعة واللذة الفنية؛ وهنا يعترضنا تساؤل مهم: لقد رأينا طه حسين في نقده العملي للأدباء الشبان في الخمسينيات يأخذ عليهم الميل الى التشاؤم في معالجة قضايا المجتمع، مذكّرا إيّاهم بأن الأديب طبيب للمجتمع ومصلح [(١)]، كما رأيناه ينقد ثروت أباظه وأمين يوسف غراب وأمثالهما بأنّ في إنتاجهم مامن شأنه أن يلحق الضرر بالمجتمع، مذكّرا إياهم برسالتهم، وهي: **"أن الأدباء إنما يكتبون لتأديب الشعب وتهذيبه لا لتملقه واغرائه"** [(٢)]. **فكيف يتفق هذا النقد وايمانه بحرية الأديب؟**

والجواب أن المقصود هو أن يكون الأديب حرا من أي قيد خارجي يفرض على نفسه وذوقه وعواطفه والهامه، يقول طه حسين في مقابلة نشرت عام ١٩٥٩: "..كل ماأنكره على الذين يقولون أن الأدب يجب أن يكون له هدف هو أنهم يريدون أن يفرضوا على الأديب أغراضا بعينها، لا يجوز له أن يتعداها، وهي الأغراض التي تخدم حياة الناس المادية، وأنا أنكر عليهم هذا، لأنه سخيف في رأيي، فأول مزايا الأدب هو أن يكون حرا، وألّا يتأثر الأديب في انتاجه إلّا بطبعه وعواطفه وذوقه هو، وألّا يفرض عليه شيء من غيره، مهما يكن هذا الشيء" [(٣)] وهذه الحرية التي يريدها له لا تتنافى وكونه مقيدا بإنتاج الأدب نفسه، فكلام الأديب لا يكون أدبا إلّا إذا كان يتضمن عنصر الجمال، والجمال في ذاته يأبى الإغراء بالشر أو الإضرار بالمجتمع، كما أن الأديب لا يستحق هذا الاسم في رأيه إلّا إذا كان ذا ضمير حيّ، وهو صريح في تقريره أنّ الأديب مسؤول أمام ضميره، يقول: **"..الأديب عندي مسؤول قبل كل شيء أمام ضميره"** [(٤)] بل هو صريح في

---

(١) أنظر مقدمة "ألوان من القصة الاردنية"، ١٣.

(٢) نقد واصلاح: ١١٣.

(٣) مقابلة مع طه حسين، مجلة العربي: ص ١٢٢، العدد (١١).

(٤) المصدر نفسه: ١٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقريره أن الأديب مسؤول أمام المجتمع، فضلا عن مسؤوليته أمام ضميره ، يقول : **" الكاتب مسؤول أمام ضميره أولا ، وأمام الجماعة التي يكتب لها ثانيا ، فليس له بدّ من أن يستحضر تبعته حين يكتب ، وحين ينشر أو يذيع"** (١) .

ومن خلال هذا المفهوم العميق المتكامل للأدب ، ولمعنى تحرره والتزامه معا ، نجد طه حسين في ختام رده يرحب بمحاورة نقاد المدرسة الاشتراكية ، شريطة ألاّ يعمدوا الى هذه التعابير الغامضة ، التي رأيناه يسخر منها (٢) ، على حين نجد أعلام المدرسة الاشتراكية في النقد يقرّون بفضله ، **فالدكتور محمد مندور** مثلا كان يعترف بأن له أعظم الأثر في توجيهه ، وأن تأثيره ظل يلاحقه خلال السنين الطويلة (٣) .

وأما محمود أمين العالم فنجده يسلك نفسه في عداد تلاميذه ، ويعرب عن إعجابه به ، فهو وان أصر في نقده الأدبي على عنصر الجمال الفني ، ينزع الى العقل والمنطق فيه أيضا (٤) .

محاوراته الأخرى

لطه حسين بعض المحاورات القليلة الأخرى ، التي لها مساس بالنقد الأدبي من قريب أو بعيد ، والتي لم نفرد لأيّ منها حديثا مستقلا في هذا الفصل ، وذلك إمّا لانّ المحاورة قد أخذت مكانها في تضاعيف هذا البحث ، مثل محاورته رفيق العظم ، التي دارت حول شعراء المجون وطبيعة الحياة في العصر العباسي (٥) ، وامّا لأنها لم تتوهّج من خلالها قضية نقدية ما ، وانما نجدها مجرد نقد ، ثمّ ردّ يقوم في الغالب على الموافقة والإقرار ، كرد الدكتور محمد حسين هيكل على نقده

---

(١) من أدبنا المعاصر : ١٩٣ .

(٢) خصام ونقد : ١٠٢ .

(٣) د. محمد مندور ، معارك أدبية : ٢١ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٥٤ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة (د.ت).

(٤) من حوار خاص معه بتاريخ ١٩٨٧/١٢/١٦ ، وكان محمود العالم يزور الأردن ويشارك في المؤتمر الفلسفي العربي الثاني الذي عقد في عمان، وأنظر "النقد الأدبي الحديث" للدكتور أحمد كمال زكي : ٩٠ ـ ٩١ ، ١٣٣ .

(٥) أنظر حديث الأربعاء : ٥٨ ـ ٧١ ، ج ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكتابه " جان جاك روسو " ، وقد ألمحنا اليه أيضا [١] .

على أننا نحب في النهاية أن نعرض في شيء من الوضوح لما كان بينه وبين ثلاثة من الأعلام ؛ لأننا نظن أن له دلالته النقدية ، التي قد تكون من تمام الفائدة لهذا البحث ، وهؤلاء الثلاثة هم :

" أحمد أمين "

وقد كانت تربطه بطه حسين علاقة متينة ، بدأت حين دافع عنه في أزمة الشعر الجاهلي ، أمام لجنة الأزهر ، وكان عضوا فيها ، على أنّ هذه العلاقة لم تمنع طه حسين من أن يجهر بما يأخذه عليه من الناحية الأدبية ، وذلك حين نقد كتابه " فيض الخاطر " ، وقد انصب نقده على أسلوب أحمد أمين ، فهو يلاحظ أنه " **يسرف في حبه للمعاني ، واعراضه عن جمال اللفظ ، وغلوّه في أن يكون قريبا سهلا ، وسائغا مألوفا ، ومفهوما من العامة وأوساط الناس** " [٢] ، على أن أهمّ ما أخذه عليه أنه بسبب هذا الإسراف ، يضطر " الى أن يصطنع بعض **الاستعارات العامية** ، التي لا حاجة اليها ، ولا تدعو النكتة الفنية الى استعمالها " [٣] ، ولما كان طه حسين يناصب استعمال العامية في الأدب العداء - على نحو ما رأينا - ، حتى إنّ أبرز أمر لم يوافق فيه أستاذه وصديقه الأثير لطفي السيد هو مناداته في صحيفة " الجريدة " باستعمالها ، فقد خالفه وعارضه في ذلك [٤] - فإنه لم يتردد في مصارحة أحمد أمين بأنّ استعماله إياها دونما مسوّغ فني ، " **إنما هو تعمّد وتكلّف ، يفسد عليه الجمال الأدبي أحيانا** ، ويغري بعض نقاده أن يزعموا أنّ انشاءه ليس إنشاء أدبيا " [٥] واذا كان من الملاحظ أن أحمد أمين يجنح أحيانا الى العامية في أسلوبه ، وهدفه تقريب مايكتب من أفهام العامة ، فإن طه حسين قد لفته الى أنّ مايفعله يسيء الى فهم (**الديمقراطية**) الأدبية ، التي ينشدها ؛ لأنها لا تكون بإفساد الأدب وابتذاله ، والجنوح الى الركاكة والإسفاف ، فهذا كله له خطره البالغ ؛ لأن الأديب

---

(١) أنظر حديث الأربعاء : ١٠٦ ، ١١٥ ، ج ٣ .
(٢) " فصول في الأدب والنقد " : ٢٠ .
(٣) المصدر نفسه : ٢٠ .
(٤) أنظر " طه حسين يتحدث عن أعلام عصره " : ص ٢٥ .
(٥) فصول في الأدب والنقد : ٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو قدوة لقرائه وطلابه والمعجبين به ، وانما تكون بالهبوط الى مستوى العامة مع المحافظة على فصاحة اللغة ، ومحاولة إغرائهم بالمزيد من المطالعة ، يقول : " ... **ما أكره أن أهبط الى العامة ، بل يجب أن أدنو منهم ، ويجب أن أرفعهم الى حيث يذوقون الأدب الرفيع ، هذه هي الديمقراطية الصحيحة** " (١) .

ولم يردّ أحمد أمين على هذا النقد ، لكنه بعد مدة نشر في عام ١٩٣٦ مقالة في مجلة الرسالة ، ذهب **فيها الى أن الحركة النقدية آلت الى الركود** ، وأرجع السبب في هذا الى أنّ كبار النقاد قد أدركهم الفتور ، وآثروا السلامة والعافية ، إذ انصرفوا عن النقد الأدبي أو كادوا ، بعد أن حقّقوا مطامحهم في الوصول الى مناصب كبيرة ، مما أدى الى ضعف حركة النقد الأدبي ، إذ أصبح النقد في الغالب مجاملة أو مصانعة (٢) .

ومع أنّ أحمد أمين لم يسمِّ أحدا في مقالته ، وانما كان حديثه عاما ، فقد انبرى طه حسين للرد عليه ، وكأنه شعر بأنه يعنيه ، إذ كان في هذه الحقبة قد عاد الى الجامعة ، وأصبح عميدا لكلية الآداب ، فلذا قال له في رده : " ... إنّ رأيك يمسّني ، وأؤكد لك أنه يحفظني كل الإحفاظ ، ويؤذيني كل الإيذاء " (٣) .

ثم بيّن له أنه يخالفه في ماذهب اليه ، وينكره عليه ، لأنه يراه لا يصور الحق ، فهو وزملاؤه من كبار النقاد لم يؤثروا السلامة ، ولم ينصرفوا عن النقد - كما يقول - ، وذكّره بنقده لكتابه " فيض الخاطر " وبما أثار من خصومات نقدية في السنوات الأخيرة ، كما لفته الى أنه اتخذ **(الراديو) في بعض الأحيان وسيلة من وسائل النقد الأدبي** ، ينقد من خلاله الأدباء ، دون مجاملة ، ثم دعاه أخيرا الى أن يبقى على رأيه القديم فيه ، لأنه - برغم منصبه - مازال صريحا ، وحرا جريئا في النقد الأدبي ، كما عهده ، لا يبالي ما يلاقي في سبيله من خطوب ، وأعرب له عن أسفه ، لأن ثقته فيه قد اهتزت ، على حين أن (كراتشوفسكي) الذي ترجم الأيام الى الروسية ، في هذه الحقبة ، قد تنبأ له بأنه مازال ينتظره الكثير من الخطوب (٤) .

---

(١) فصول في الأدب والنقد : ٢٠ .

(٢) أحمد أمين ، النقد أيضا ، مجلة الرسالة : ص ٨٨١ ، عدد (١٥٢) ، ١٩٣٦ .

(٣) " فصول في الأدب والنقد " : ٣٠ .

(٤) أنظر المصدر نفسه : ٣١ - ٣٤ .

وأنظر أيضا "الى صديقي أحمد أمين" مجلة الرسالة : ٩٢١-٩٢٢ ، عدد (١٥٣) ٨ يونيه - ١٩٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ردّ عليه أحمد أمين مؤكدا له أنه لم يقصد اليه في مقالته ، وانما كان حديثه عامـا ، أعرب فيه عن أمر لاحظه ، ومازال يعتقد بصحته ، وعلى استعداد أن يحاوره فيه [1] ، ولكنّ طه حسين لم يرد عليه ، وكأنه اكتفى بأنّ ذاد التهمة التي أحفظته عن نفسه ، ونحسب أن الذي أثار حفيظته هو أنّ ماذهب اليه أحمد أمين ليس صحيحا بالقياس اليه ، ذلك أنه خلال هذه الحقبة كان في أوج عطائه النقدي والأدبي ، ويكفي أن نتذكر أنه نشر دراساته الأدبية في الشعر الجاهلي خلال عام ١٩٣٥ ، وأنه كتب في السنة التي حاور فيها أحمد أمين دراسته النقدية في شعر المتنبي ، مما أثار عليه خصومة محمود شاكر وغيره ، كما أثبتت السنوات التالية أنه جاد في حمله المسؤولية النقدية ، إذ نشر في عام ١٩٣٩ دراسته النقدية في لزوميات أبي العلاء [2] ، كما ظل يتابع أدب الشباب بالنقد والحوار حتى أقعده المرض عن الكتابة .

" محمـد الخضـري "

حين نشر محمد الخضري في العشرينيات كتابه **"مهذّب الأغاني"** بعد أن أنفق فيه خمسة عشر عاما من العمل ، وتناوله طه حسين في صحيفة " السياسة " عام ١٩٢٥ ، ذهب في البداية الى أنه سيكون حرا من الناحية النقدية في الحكم للكتاب أو عليه ، قال : " .. وانْ كانت للأستاذ علـيّ حقوق تجعل من العسير أن أناله بالنقد ، ولكني مع ذلك **سأكون حرا** ، ولم لا أكون حرا ، وقد كتب اليّ الأستاذ نفسه ، يطلب اليّ أن أكون حرا " [3] .

وقد كانت المفاجأة في نقده أنه **حكم على الكتاب لا له** ، إذ ذهب فيه الى أن المؤلف أنفق خمسة عشر عاما من الجهد في عمل فائدته ضئيلة ، ذلك أن **اختصار الكتب الأدبية القديمة في رأيه هو في حقيقة الأمر تشويه أو مسخ لها** ، حتى إنّ أصحاب الكتب أنفسهم كانوا يعدّون ذلك إساءة اليهم ، ولذا أعرب بعضهم عن رغبته في ألاّ يمسّ هذا التشويه كتبه ، قال يدعم حكمه النقدي : " .. لست أنسى خطبة ياقوت الحموي لكتابه الجغرافي المشهور ، فهو يحظر على الناس اختصار كتبـه

---

(١) أحمد أمين " الى أخي طه " : مجلة الرسالة : ٩٦٥ ، عدد (١٥٤) ١٥ يونيه - ١٩٣٦ .

(٢) أنظر مقدمة " مع أبي العلاء في سجنه " ص ٦٤٦ من الدراسات المجموعة " من تاريخ الأدب العربي " - المجلد الثالث .

(٣) حديث الأربعاء : ٦١ ، ج ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويستنزل ألوان السخط ، وضروب الآفات على من يتناولون كتابه بالاختصار ، وهو يقلّد الجاحظ في هذا " (١) .

وهكذا لم يتحرّج من أن يحكم على عمل الخضري بأنه عقيم الفائدة ، مثل جهد ابن منظور الذي سبقه الى اختصار كتاب الأغاني أيضا .

وقد ردّ محمد الخضري مبيّنا فوائد تهذيبه ، والدوافع التي دفعته اليه ، فهو قد رآه مبدّد الشمل فرتّبه ، ويعاني من بعض التحريف فأصلح ذلك ، ويحتاج الى ضبط الغريب وتفسيره ، فقام بسدّ هذه الحاجة ، كما أوضح مايتميز به تهذيبه من مختصر ابن منظور ، وجهر بهدفه من عمله ، وهو أن " يقتسم الفضل فيه أبو الفرج ، فإنه جمعه ، ومحمد الخضري ، فإنه هذّبه " (٢) .

وقد ردّ عليه طه حسين ، فأكد رأيه مرة أخرى في اختصار الكتب الأدبية القديمة ، فهو مسخ وتشويه ، ثم بيّن أن خير وسيلة لتسديد النقص والفساد في هذه الكتب هي الوسيلة التي لجأ اليها بعض علمائنا القدامى ، ويلجأ اليها العلماء الأوروبيون الآن ، وهي : " أن تضع كتابا مستقلا فيه إصلاح مافي الأغاني (أو غيره) من نقص وفساد ، ومن ضعف واضطراب " (٣) .

وأمّا قول الخضري : إنه يرغب في أن يقاسم أبا الفرج الفضل في كتاب الأغاني ، فقد ردّه عليه بأن الفضل لا يتحقق إلاّ إذا ألّف كتابا قيما مستقلا ، يكون مجده خالصا له دون أبي الفرج (٤) .

ونحسب أنّ **أهمية محاورته للشيخ الخضري** ترجع الى أمرين اثنين : **أولهما** أننا من خلال المحاورة النقدية نظفر برأي طه حسين في قضية اختصار الكتب الأدبية القديمة ، وهو أنّ هذا الاختصار مسخ وتشويه ليس غير ، وهو يؤكد هذا الرأي مرة أخرى إذ يتناول مع كتاب الشيخ الخضري كتاب " **تهذيب الكامل** " أيضا ، الذي اختصر به السباعي بيومي كتاب الكامل للمبرّد (٥) ، فيقرر في خاتمة التناول أنّ **جهد السباعي بيومي يشبه جهد الشيخ الخضري ، لم ينفق في ماهو نافع ، وانما هو جهد ضائع** ، يقول عن جهدهما وجهود الذين يختصرون كتبا أدبية قديمة : " **ويل للمحدثين من**

---

(١) حديث الأربعاء : ٦٣ ، ج ٣ .
(٢) المصدر نفسه : ٦٩ ، ج ٣ ، حيث أثبت طه حسين ردّه .
(٣) المصدر نفسه : ٧١ ، ج ٣ .
(٤) المصدر نفسه : ٧١ ـ ٧٢ ، ج ٣ .
(٥) المصدر نفسه : ٦٤ ـ ٦٥ ، ج ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه الجهود الضائعة، التي لو أنفقت في التأليف، لأفادت ونفعت أكثر من نفعها وفائدتها حين تنفق في المسخ والتشويه " (١) .

ونحسب أن الأيام أثبتت صحة ماقاله للشيخ الخضري، وهو أن حظ مختصره للأغاني لن يكون أفضل من حظ مختصر ابن منظور، الذي لا يكاد يسمع به إلا المتخصّصون، فها قد مرّ على نشر مختصر الخضري للأغاني ومختصر السباعي بيومي للكامل أكثر من ستين عاما، فهل شاعا بين عامة القراء؟ وهل أغنيا عن قراءة الكتابين الأصليين؟

وأما الأمر الثاني الذي يضفي على المحاورة أهمية، فهو أنها تمثّل بداية توجهه نحو نقد الأدباء المعاصرين، بعد أن فرغ من دراسة الغزليين الأمويين (٢)، ولعلنا لاحظنا أنه كرر القول كثيرا: إنه سيكون حرا في النقد، بل لقد قرّر أن صناعة النقد الأدبي ليست لذيذة في ذاتها، لأنها تضطر الناقد الى أن يقسو أحيانا على من يحب ويجلّ (٣)، فكأنه في بداية هذا التوجه قد اختار الشيخ محمدًا الخضريّ بعينه، ليثبت للأدباء والقراء أنه يعني مايقول عن حرية النقد الأدبي وصناعته، وأنه يؤمن حقا بأن لا محاباة فيه، ذلك أن **الشيخ محمدًا الخضريّ هو أستاذه، وصاحب فضل عليه**، فهو الذي أشرف على رسالته التي أعدها عن أبي العلاء المعري، والتي نال بها درجة الدكتوراه من الجامعة المصرية القديمة في عام ١٩١٤ (٤). ومع هذا فهو لم يتحرّج من الحكم على عمله الشاق بالإخفاق.

" زكي مبارك "

عرض طه حسين في إيجاز شديد لكتابين من كتب الدكتور زكي مبارك، ويمكن لنا من خلال تناوله لهما أن نتعرّف حقيقة رأيه في شخصية مبارك الأدبية، وفي أسلوب معالجته للموضوعات التي يدرسها؛ ذلك أنّ تناول طه حسين قد جاء في حقبة كان فيها الدكتور زكي مبارك من أخلص

---

(١) حديث الأربعاء: ٦٥، ج ٣.
(٢) المصدر نفسه: ٥٨، ج ٣.
(٣) المصدر نفسه: ٦٩، ٧٢، ج ٣.
(٤) أنظر " مذكرات طه حسين ": ٩٦ - ٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنصاره ، والكتابان هما **" حب أبن أبي ربيعة "** و **" مدامع العشاق "** ؛ أما دراسته في ابن أبي ربيعة فهي رسالة صغيرة ، عرض لها طه حسين في عام ١٩٢٤ ، وهو يتحدث عن الشاعر الأموي الغَزِل ، وبعد أن أثنى على جهده فيها - استدرك قائلا : **" ولكن الدكتور زكي مبارك** ، وهو شاب حادّ الشباب ، عنيفه ، **قد أسرف في نقد مصعب بن عبدالله إسرافا ، جعله الى الظلم أقرب منه الى الإنصاف** ، وليس مصدر هذا الإسراف إلاّ أنه لم يقدّر المُثُل الأدبية باختلاف العصور والأجيال " [١] . ثم نصح له في النهاية بأن يخفّف من عنف نقده وحدّته ، وأن يقلع عن الإسراف والجور في أحكامه قائلا " ما أحسب إلاّ أنه عائد الى هذا النقد فملطّف مافيه من حدة ، ومزيل مافيه من جور " [٢] .

وأما كتابه " مدامع العشاق " فقد تناوله في بداية عام ١٩٢٥ ، فأخذ عليه فيه أنه " لم يستطع أن ينسى نفسه وأهواءَها ، **فليست غايته في مايظهر علمية خالصة ، ولا أدبية خالصة ، وانما تملّق الكاتب عواطفه وعواطف قرائه ، وأسرف في هذا التملق ، فخرجت فصوله على أن تكون مباحث علم وأدب "** [٣] .

ثم لاحظ **أن ثمة فكرتين تعبثان بحياة زكي مبارك الأدبية ، وتفسدان عليه جهوده العلمية** " فهو يريد أن يكون حرا في الدين ، وحرا في الأدب ، وقد لامه قوم في حريته هذه ، فخيّل اليه أنه مضطهد يتبعه رجال الدين بإنكارهم ، .. ويتبعه رجال الأخلاق بإنكارهم ، فهو يتكلّف غيظهم واحراجهم " [٤] ، ثم لفته الى أنّ كَلَفه في أن يظهر بمظهر المضطهد قد يجلب له شيئا من الشهرة ، ولكنه لن يصنع منه في الحقيقة أديبا أو مفكرا ، ولذا دعاه الى الاتزان في النهاية قائلا : " أظن أن صديقنا منصور فهمي قد نصح لتلميذه الدكتور زكي مبارك بالقصد والاعتدال ، فلأنصحنّ له بهما أيضا " [٥] .

وهكذا نلاحظ أن زكي مبارك في رأي طه حسين يجنح في دراساته الى الحدة والإسراف في الأحكام ، ويضحّي في سبيل أهوائه بالحقيقة ، فيجور على من يتحدث عنهم ، ويتكلف الظهور بمظهر المضطهد ، ليتملق القراء ، ويصيب الشهرة ، لكنه بهذا يبعد بحوثه عن الأدب والعلم ، **واذن فهو يحكم عليه بالإخفاق من الناحية العلمية والأدبية** ، على الرغم من كون علاقته به كانت حميمة

---

(١) حديث الأربعاء : ٣٠٦ - ٣٠٧ ، ج ١ .
(٢) المصدر نفسه : ٣٠٧ .
(٣) المصدر نفسه : ٦٥ ، ج ٣ .
(٤) المصدر نفسه : ٦٦ ، ج ٣ .
(٥) المصدر نفسه : ٦٦ ، ج ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خلال هذا النقد ، حتى إن زكي مبارك حين ثارت أزمة الشعر الجاهلي بعد ذلك بسنة ، اندفع يناصره ، ويذود عنه هجوم خصومه ، وإذن ليس لطه حسين من غرض في هذا النقد البريء سوى إظهار حقيقة مايعتقد ، وتمحيض تلميذه النصح والإرشاد ، ولكن طبيعة زكي مبارك المفطورة على العنف والميل الى المخاصمة ، جعلته لا يلقي بالا الى النقد ، حتى إذا نشر كتابه **" النثر الفني "** في عام ١٩٣٤ ، **واذا هو قد تعرّض فيه لطه حسين** بأسلوب وصفه هو نفسه بأنه يقوم على المقاومة الشديدة والعنف البالغ [١] . قال : " .. حتى ليحسب القارىء أن بيننا عداوة ، **سَقيتِ لأجلها القلم قطرات من السم** " [٢] .

ولذا فإنّ طه حسين قد أعرض عن نقد الكتاب ، وإنْ كان في تضاعيف إحدى مقالاته عرض له ، ولكن بعبارات موجزة مبهمة ، تنمّ صياغتها على التجاهل ، واستخفافه بالكتاب ، وبصاحبه ، الذي ألحّ على المازني إلحاحا ، كي يكتب عنه ويثني عليه ، قال : " .. أخرج كاتب من الكتّاب كتابا من الكتب ، وأهداه الى الأستاذ (المازني) ، وعرف الناس أن هذا الكتاب قد أهدي اليه ، فأخذ الناس ينتظرون ، وأخذ صاحب الكتاب بنوع خاص ينتظر ، فلما طال الانتظار كان الطلب ، ولما كان الطلب ، ولم يجد شيئا ، كان الإلحاح ، واضطر المازني أن يذعن ، وأكره المازني على أن يكتب " [٣] .

ولا ريب في أنّ **أسلوب العبارة هذا المتجاهل لزكي مبارك ، يذكّرنا بالأسلوب الذي رأيناه يتجاهل به محمود محمد شاكر** ، إذ عرض له في تضاعيف كتابه " مع المتنبي " فأومأ الى رأيه الذي ذهب فيه الى أنّ خولة أخت سيف الدولة كانت تحب المتنبي ، على حين أنه يرى أنها كانت تحسن اليه إحسانا ، فقال عن رأيه هذا : " والفرق عظيم على كل حال بينه وبين رأي من رأى أن قد كان بين الشاعر وبينها حب أو مايشبه الحب " [٤] واذا كنّا افترضنا هناك أنّ هذا الأسلوب في التجاهل قد كان أحد الأسباب التي أثارت محمود شاكر ، ودفعته الى مهاجمته في عنف شديد - فمن المؤكد هنا أن هذا الأسلوب نفسه قد أثار زكي مبارك ، ودفعه الى مهاجمة طه حسين ، ذلك أنه **ردّ بعد أيام قليلة ليلفت** القراء الى أن طه حسين قد عرض له ولكتابه في أسلوب المتجاهل ، حين قال " أخرج كاتب من الكتّاب كتابا من الكتب " ، وليلفتهم أيضا في بداية ردّه الى أنه يعرف بأن طه حسين قد أقسم جهد اليمين

---

(١) د. زكي مبارك ، " النثر الفني في القرن الرابع " ص ١٤ ، ط ٢ : مطبعة السعادة ، القاهرة.

(٢) المصدر نفسه : ١٤ .

(٣) طه حسين ، النقد والطربوش وزجاج النافذة ، مجلة الرسالة : ٤٨٣ ، العدد (٣٨) ، ٢٦ مارس - ١٩٣٤ .

(٤) مع المتنبي : ٢٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليمسخنّ كتابه " النثر الفني " مسخا ، " وليمحونّه من الوجود ، وليصيرنّ اسم زكي مبارك مرادفا لاسم عيسى بن هشام " (١) .

وهكذا أخذ زكي مبارك يجهر بعدائه لطه حسين ، ويهاجمه في مقالاته ، ثم اتفّق خلال هذه الحقبة أنْ طرد من الجامعة لأسباب تتعلق بسلوكه (٢) ، وحينئذ ثبتت صحة ماذهب اليه طه حسين قبل تسع سنوات ، إذ لاحظ وهو ينقد كتابه " مدامع العشاق " عام ١٩٢٥ ، **أنّ زكي مبارك يحب أن يظهر بمظهر الأديب والمفكر المضطهد** ذلك أنه مابين سنة ١٩٣٤ وسنة ١٩٣٦ اندفع يهاجمه بمقالات كثيرة عنيفة ، أظهر نفسه فيها بمظهر المستنير الحر ، وطريد الجامعة المضطهد ، الذي حاربه طه حسين في رزقه ، مشيعا في هذا عبارات عنيفة مضحكة ، نحو قوله : " .. **لو جاع أطفالي لشويت طه حسين ، وأطعمتهم من لحمه ، إن جاز أن أقدّم إلى أطفالي لحوم الكلاب** " (٣) .

ولم يتورّع خلال مقالاته العنيفة عن نقض ما قاله سابقا في طه حسين ، فبعد أن كان في نظره ناقدا صادقا ، جميل الأسلوب ، ممتلئا بالثقافة ، وبعد أن دافع في حماسة شديدة عن كتابه " في الشعر الجاهلي " مؤكدا أنه فاتحة عهد جديد في دراسة الأدب العربي القديم (٤) - أضحى طه حسين في هذه المقالات الغاضبة ناقدا مزيّفا غير صادق ، ركيك الأسلوب ، قليل المحصول من اللغة والثقافة ، قليل التأثير ، وأمّا جهده في كتاب الشعر الجاهلي فمقصور على السرقة وانتهاب آراء المستشرقين ، على أنه في الأربعينيات تصافى وطه حسين ، وحينئذ لم يبال بأن ينقض آراءه فيه ، التي ذهب اليها خلال حملته عليه ، فبعد أن كان يردّد أنه ناقد غير صادق ، عاد ليؤكد أنه ناقد منصف ، حتى إنه في مقدمة ديوانه " ألحان الخلود " استشهد ببعض نقد طه حسين لكتابه " حب ابن أبي ربيعة " ، ليدلّل على أنه كان خير ناقد صدق في فهم شخصيته ، وذلك إذ قال عن نفسه : " .. وقد وصفه الأستاذ الدكتور طه حسين **أصدق** الوصف حين قال : الدكتور زكي مبارك شاب ، حاد الشباب ، عنيف " (٥) .

وبعد أن كان يؤكد أنّه قليل المحصول من اللغة والثقافة ، ضعيف التأثير ، لأنه يردد آراء

---

(١) د. زكي مبارك ، من زكي مبارك الى طه حسين ، صحيفة البلاغ ٣٠ مارس ١٩٣٤ .

(٢) أنظر ماسجله الدكتور محمد الدسوقي عن طه حسين حين سأله عن أسباب طرد زكي مبارك من الجامعة " طه حسين يتحدث عن أعلام عصره " : ٤٩ - ٥٠ .

(٣) د. زكي مبارك ، ديوان ألحان الخلود ، ٢٩ .

(٤) أنظر كتابه " النثر الفني " ص ١٤ ، وعدد البلاغ بتاريخ ٣ ديسمبر ١٩٢٦ .

(٥) د. زكي مبارك ، ألحان الخلود : ٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أساتذته الفرنسيين ترديد الببغاء ، عاد من جديد ليقرّر : " أن الدكتور طه " مسيو " بالفعل ، فلغته ولغة زوجته وأبنائه هي اللغة الفرنسية ، **ولكنه برغم ذلك من أعاظم الرجال في اللغة العربية وله تأثير خطير في توجيه الجيل الجديد** " (١).

وبعد أن كان يرى أسلوبه ركيكا ، يقوم على الإسراف في التكرار ، عاد من جديد ليحذّر الأدباء من خطر أسلوبه البليغ عليهم ، ذلك أن أسلوبه الجميل لا يقف عند حدّ في تطوّره ، حتى إنه في النهاية " .. **صار أعجوبة الأعاجيب في ترويض النثر الفني على إبداع أعنف المعاني في ألطف الأساليب** "(٢).

وبينما كان يرى مايكتبه ثرثرة فارغة لا قيمة له ، عاد فطلب اليه أن يكتب مقدمة لديوانه " ألحان الخلود " في عام ١٩٤٧ ، حتى إذا وجده مشغولا ، واضطر الى إخراج الديوان دون المقدمة المطلوبة ، قال عنها : " .. **إنها فرصة ضاعت من يدي** ، والسبب في ضياعها هو الاستعجال ، فأنا أخاف أن أموت قبل أن يظهر الديوان " (٣) .

خلاصة القول : **إن زكي مبارك** الذي تَلْمذ لطه حسين في الجامعة المصرية الأهلية ، ولازمه بضع سنين ، حين عمل سكرتيرا له ، **هو في التقويم الأخير تلميذ طه حسين المعجَب** ، الذى نجده يحاول أن يحتذيه حينا ، كما يحاول أن يتفوق عليه بتحديه والتمرد عليه حينا آخر ، ولكن من خلال الادّعاء الكلامي في الغالب دون العمل النقدي أو الأدبي ، فهو كثيرا مايضع نفسه في موازنة معه ، **وكأنه مَثَله الأعلى** الذي يتطلع اليه دائما ، ممجّدا إيّاه مرة ، محاولا تحطيمه مرة أخرى ، واللافت في هذا أنه مِثْله دَرَسَ في الأزهر ، ثم نال درجة الدكتوراه من الجامعة المصرية ، ثمّ أمر - بعد اتصاله به - أن يدرس في فرنسا ، فنال درجة الدكتوراه من السوربون ، كما **حاول مثله أن يحدث** ضجة وأن يثير الأزهر وعلماء الدين بكتابه " الأخلاق عند الغزالي " ، ولكنّ هذه الإثارة كانت سريعة الخمود ، لان غايته فيها لم تكن علمية محضة (٤) ، واذا كان طه حسين يذكر أن أساتذته في الأزهر قد أسقطوه في امتحان " العالمية " ظلما (٥) ، فقد كان يحلو لزكي مبارك أن يذكر بأنّ استاذه طه حسين قد أسقطه في امتحان " الليسانس " مرتين ظلما أيضا ، ويذكر هذا أحيانا في شيء من الزهو

---

(١) ألحان الخلود : ٢١٣ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٢٥ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٢ .

(٤) أنظر " حديث الأربعاء " : ٦٦ ، ج ٣ ،
وأنظر كتاب " المعارك الأدبية " لأنور الجندي ، ص ٦٤٢ - ٦٤٤ .

(٥) أنظر مذكرات طه حسين : ٢٣ - ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقرون بالتحدي الأدبي واظهار التفوّق، ولكن في إطار من المرح، والأسلوب اللطيف الذي ينتزع الضحك، نحو قوله : "إن الدكتور طه حسين أستاذي، ألم تسمعوا أنه أسقطني في امتحانات "الليسانس" مرتين؟ إنّ القصيدة الآتية هي القول الفصل، فليعارضها الدكتور إنْ كان يطيق، ولن يطيق ألوف الشعراء، ولو اعتصموا بشواهق الجبال" (١) أو قوله عنه "هذا رجل من رجال الجامعة المصرية، قد حاربته بسلاحه فهزمته مرة ومرّتين، ومرات، هزمته بما علّمني يوم كنت تلميذه بالجامعة المصرية، ولا عيب على الأستاذ في أن ينتصر عليه نوابغ التلاميذ، فهو صاحب الفضل الأول" (٢).

وإذا كان الذي يهمنا هو ما يتصل بالنقد الأدبي، **فإنّ ثمة أمرين يتعلقان بطه حسين وزكي مبارك**، نرى أنّ لهما دلالتهما النقدية، ويلفتان، وإنْ لم يلتفت اليهما أيّ دارس : **وأولهما أن زكي مبارك** كان **(يتبنّى)** بعض آراء طه حسين النقدية ثم يوردها، وكأنّها له، وكأنه أول من توصل اليها، دون إشارة الى طه حسين، ومثال هذا أنه أعرب عن اعتقاده بأنّ ثمة صلة فنية بين أبي تمام وكثيّر عزة، ثم ذهب في توضيح هذه الصلة الى القول : "وأنا أرى أنّ مُسلما تلميذ كثيّر بن عبدالرحمن، وسيثبت الباحثون صحة هذا الافتراض، وسأثبته بقلمي إنْ أحياني الله الى أن أتمّ كتاب (صريع الغواني)"(٣).

وهذا الرأي هو بعض رأي أشمل وأعمق، **كان طه حسين قد ذهب اليه في عام ١٩٢٧**، حين رأيناه يجهر بأنه اكتشف مدرسة شعرية قديمة، بدأت في العصر الجاهلي، وكان رأسها أوسا وزهيرا، ثم ضربت بجذورها في العصر العباسي، وقد تتابع تلاميذها خلال ذلك، فكان منهم في العصر الأموي **جميل بثينه وروايته كثير**، وكان منهم في العصر العباسي **مسلم بن الوليد وأبو تمام والمتنبي** (٤).

وثاني هذين الأمرين أن زكي مبارك نشر في عام ١٩٤٠ مقالة ضمنها رسالة بعثها طه حسين اليه في عام ١٩٢٥، ردا على رسالة كان زكي قد أرسلها اليه، يخبره فيها أنه أخذ يكتب حول دراسته في فلسفة ابن خلدون فلنتأمل ماذا يرجو طه حسين من زكي مبارك أن يلتزم به في أثناء كتابته عنه، قال في رسالته الخاصة : "٠٠ كل ما أرجوه أن **تصدر في ماتكتبه عن الحرية الصادقة القاسية، لا عن الإخاء والمودة، اللذين يدفعان في كثير من الأحيان الى شيء من الرفق الذي لا يخلو من إثم، وأنا**

---

(١) زكي مبارك، ألحان الخلود، ٣٢٥ ٠

(٢) المصدر نفسه : ٣٢٥٠

(٣) المصدر نفسه : ٢٥ ـ ٢٦ ٠

(٤) في الأدب الجاهلي : ٢٧٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعيذ أصدقائي أن يتورطوا من أجلي في إثم الإسراف في البر ، كما أكره أن يتورطوا في إثم العقوق "[١].

وكان قبل هذا قد قلّل في الرسالة نفسها من شأن دراسته في فلسفة ابن خلدون ، قائلا له : " لست أدري كيف أشكر لك عنايتك بفلسفة ابن خلدون ، وأنا مقتنع في مابيني وبين نفسي بأنها **لا تستحق هذه العناية** " [٢] .

واذن فهو لا يلحّ أو لا يشجع أصدقاءه النقاد على الكتابة عن دراساته ، وانما يحاول في تواضع أن يقنعهم بأنها لا تستحق منهم العناية ، حتى إذا شرعوا يكتبون ، حذّرهم من أن يتورطوا في الثناء الكاذب مجاملة ومحاباة ، لافتا الى أنّ هذا " **لا يخلو من إثم** " ، راجيا أن يكونوا أحرارا في نقده ، صادقين في ذلك ، بل قساة في الحق ، يطلب إليهم هذا كله في الخفاء ، ومن خلال رسالة خاصة ، واذا تذكّرنا بأنه في بداية عام ١٩٢٥ ، قد ترك دراسة الغزليين الأمويين ، واتجّه الى دراسة الأدباء المعاصرين ، وأنه **أخذ يردد مثل هذا الكلام الذي قاله لزكي مبارك في نقده للرافعي والعقاد وسلامة موسى** ، بل كان يردّده في نقده لأساتذته وأصدقائه من أمثال محمد الخضري ومحمد حسين هيكل وأحمد ضيف [٣] ، ـ إذا تذكرنا هذا كله **تحقّقنا من أنه كان يؤمن حقا بحرية النقد ، ولا يتظاهر بها تظاهرا ، لأنّ أمرها عنده ، يستوي فيه الجهر والسر ، وسواء أكان ناقدا أم كان منقودا** .

وثمة أمر ثالث يمكن أضافته الى الأمرين السابقين ، وهو أنّ خصوم طه حسين قد عُنوا بحملة زكي مبارك عليه مابين عام ١٩٣٤ و عام ١٩٣٦ ، واستغلوا ماقامت عليه من ادّعاء لا أساس له [٤] ، لتشويه صورته ، أو حقيقة شخصيته ، حتى عدّها بعضهم " **أضخم معركة في تاريخ الأدب العربي المعاصر ، وسمّاها خصومة لقمة العيش** " [٥] والحق أنّ حملته عليه لا تقلّ في عنفها وضراوتها عن حملة الرافعي عليه في عام ١٩٢٦ ، أو حملة محمود شاكر في عام ١٩٣٧ ، واذا ما استثنينا أن زكي مبارك يتميّز من الرافعي ومحمود شاكر بأنه تلميذ طه حسين المعجَب به ، وأنه كان لا يلبث أن يؤوب الى الإنصاف ويفيء الى الحق بين حين وآخر ، ـ فيمكن القول : إنّ الحملات الثلاث هي أقسى ما شنّه الأدباء عليه ، واللافت أنها واحدة من حيث أسبابها وحججها النقدية ، ومن حيث موقف طه

---

(١) زكي مبارك ، أحمد الله اليك ، ١١٥٥ ـ ١١٥٦ مجلة الرسالة ، عدد (٣٦٧) ١٥ يوليه ، ١٩٤٠ .

(٢) المصدر نفسه : ١١٥٦ .

(٣) كان الدكتور أحمد ضيف صديق طه حسين وزميله في الدراسة والتدريس ، ولكنه حين تناول كتابه " بلاغة العرب في الأندلس " أخذ عليه تعجّل الأحكام ، والغموض والإهمال اللغوي ، أنظر " حديث الأربعاء " ص ٧٣ ـ ٧٧ ، ج ٣ .

(٤) أنظر " طه حسين يتحدث عن أعلام عصره " : ٤٩ ـ ٥٠ .

(٥) أنظر " المعارك الأدبية " لأنور الجندي : ٦٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حسين منها ، فهي كلها قد بدأت لأن طه لم يجامل أصحابها من الناحية النقدية ولم يثن عليهم ، وانما قرر إخفاق الرافعي الذريع في رسائل الأحزان [١] ، وعرض لزكي مبارك ، ومحمود شاكر في أسلوب المتجاهل والمستصغر لشأنهما الأدبي والنقدي ، كما أنها جميعا قد قامت نقديا على تهمة واحدة وهي القول : إن طه حسين عيال في آرائه النقدية على غيره ، أو على المستشرقين خاصة ، وهنا ينبغي أن نتنبّه الى أن هذه التهمة كانت تطلق جزافا ، ويكتفي أصحابها بترديدها ترديدا كلاميا ليس غير ، فما من واحد من الأدباء الثلاثة حاول أن يعمد الى الدراسة العلمية لإثباتها ، على أن الدراسة الحرة البريئة والزمن أيضا قد تكفّلا باثبات تهافتها ، فلعلنا لاحظنا من خلال هذا البحث أنّ طه حسين كان **لا يتردّد في أن يتصدّى لبعض آراء المستشرقين وغيرهم من الأوروبيين** ، حين يجدها تحيد عن الحق ، وتجور على الأدب العربي أو على العرب ، فقد نبّه وهو يحاول أن يثبت الوحدة المعنوية في الشعر العربي القديم الى أن الذي أشاع التهمة الزائفة هم مستشرقون [٢] ، وقد رأينا في دراسته المتنبي كيف **أثبت خطأ "بلاشير" الذي عدّ** شعر أبي الطيب في الجهاد شعرا قصصيا ، ولم يدرك الفرق الدقيق الذي يردّه الى شعر الغناء [٣] ، كما نبّه الى غفلته عن ملامح التطور في شعر المتنبي الأخير ، التي جعلته يقترب من الشعر الأوروبي [٤] ، بل رأيناه لا يتردّد في أن يردّ السبب الذي جعله لا يقدّر شعر الجهاد الى عصبيته لنصرانيته [٥] ، وفي محاورته توفيقاً الحكيمَ رأينا كيف نبّهه الى أنّ آراءه في العرب : أدبهم وفنهم وفكرهم هي آراء غير سديدة ، قائلا له : " قد ذهب الى مثل ماذهبت جماعة من المستشرقين منهم دوزي ورينان ، وأحسبكم جميعا تظلمون العرب ظلما شديدا ، وتقضون في أمرهم بغير الحق " [٦] .

واذن فالدراسة الحرة البريئة تثبت أن شخصية طه حسين أقوى من أن تبهر بالمستشرقين ، وتسلّم لهم دائما بوجاهة آرائهم ، فضلا عن انتهابها ، والزمن يساعد في إثبات هذا أيضا ، فبعد حوالي نصف قرن من إشاعة الرافعي وأنصاره هذه التهمة ، وبعد موت طه حسين ، **نشرت زوجه بعض أوراقها الخاصة** في كتابها الذي ألفته عنه بالفرنسية ، ومن بينها كانت رسالة بعثها طه حسين اليها من مصر ، وكانت هي في فرنسا ، وذلك في عام ١٩٢٥ ، فلنتأمل ماذا يخبرها فيها ، يقول لها «أبحاثي الشخصية تصل بي الى نتائج كبار المستشرقين نفسها ، أتدرين أنني قرّرت ألاّ أقرأ أبحاثهم إلاّ بعد

---

(١) أنظر "حديث الأربعاء" : ١٢٠ ـ ١٣٠ ، ج ٣ .
(٢) أنظر "في الأدب الجاهلي" : ٢٠٥ .
(٣) أنظر "مع المتنبي" : ١٧٠ .
(٤) أنظر المصدر نفسه : ٣٤٧ .
(٥) المصدر نفسه : ١٦٩ .
(٦) طه حسين ، الى الأستاذ توفيق الحكيم ، مجلة الرسالة : ٧ عدد (١١) ـ سنة ١٩٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن أنجز أبحاثي ، لكي أكون على علم بها فقط " (١) .

وأما موقف طه حسين من حملة زكي مبارك عليه فهو شبيه أيضا بموقفه الذي رأيناه يقفه من حملتي الرافعي ومحمود شاكر ، فهو لم يرد على مقالاته الهجومية الكثيرة ولو بمقالة واحدة ، لانه رآه فيها يحيد عن سبيل العلم ، ولا يلتزم بأدب الحوار ، وانما يعمد الى الإسفاف والملاحاة ويمكن القول : إنّه موقف التزم به مع كل خصم جنح الى الأسلوب نفسه ، حتى لفت هذا زوجه ، فلاحظت أنه لم يرد البتة على ما وجّه اليه من شتائم شخصية (٢) ، والحق أنّ طه حسين يصدر في هذا الموقف عن رأي بعينه ، ظلّ يؤمن به طوال حياته ، **وهو رأي خليق أن يلتزم به كل ناقد أدبي يحترم رسالته النقدية** ، وقد أعرب عن هذا الرأي مبكرا ، بعد عودته من فرنسا ، إذ بيّن في عام ١٩٢٢ متى يرحّب بالمحاورة النقدية، ومتى يحجم عن الدخول فيها ، فقال : **" .. مازلت أنتظر نقد الناقد المخلص ، لا يدعوه الى نقده إلاّ حب العلم ، والرغبة في الإصلاح ، فأمّا هذا الذي يبغضك ، ويحقد عليك ، فيتخذ النقد سبيلا الى إيذائك ، والنيل منك فخليق بك أن تتركه وشأنه ، وأن تنصرف عنه الى ما ينفع ويفيد "** (٣) .

أهمية المحاورات

وبعد .. فلعلنا لاحظنا أنّ **أهم المحاورات النقدية** التي اشترك فيها طه حسين في **النصف الأول** من هذا القرن قد دارت **حول الأسلوب الأدبي** ولغته ، والذوق الفني وتغيّره ، والفرق بين النقد اللاتيني والنقد السكسوني ، وأدب العرب وفنهم وثقافتهم ، وأما في النصف الثاني من هذا القرن فقد كانت محاوراته حول التحليل النفسي الحديث ومدى صلاحيته لتحليل شخصيات القدماء ، وحول الأدب الفردي **(أدب الملوك)** والأدب الشعبي ، والأدب الثوري وحول تحرر الأدب والتزامه ، وحادثه وصورته .

ونحسب أنّ هذه المحاورات كانت نافعة للنقد والأدب معا ، وقد لاحظنا كيف أن طه حسين

---

(١) سوزان طه حسين ، معك ، ٧٦ .
(٢) المرجع نفسه : ١٢٠ .
(٣) طه حسين ، تجديد ذكرى أبي العلاء : ٣٦٤ ، المجلد الثالث من دراساته المجموعة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيها قد دافع عن العربية الفصيحة الملائمة لطبيعة هذا العصر ، كما دافع عن العرب : أدبهم القديم وفنهم وثقافتهم ، ودعا الى الحرص على الشخصية الأدبية العربية المعاصرة ، وحذّر من فنائها في الأجنبي .

وطه حسين نفسه عاد في أواخر حياته الأدبية الى ذكر محاوراته في النصف الأول من هذا القرن ، فقرّر أنها كانت خصبة حقا ، وكانت نافعة " لم تمض مع رياح الصيف أو رياح الشتاء " [١] ، ثمّ **ميّز من بينها محاوراته التي دارت حول الأسلوب الأدبي ولغته خاصة** ، فذكر أنه هو وبعض النقاد ممن جمعوا في تجديدهم بين العناية بالأدب القديم وبين العناية بالأدب الحديث ، قد نهجوا في محاورة غيرهم من النقاد والأدباء نهجا يقوم على شيء واحد ، هو **القصد والتوسّط** بين **الغلو في المحافظة** الذي يؤدي باللغة العربية الى الجمود ثم الموت ، وبين **الغلو في التجديد** الذي يؤدي بها " الى الفناء في اللغات الأجنبية ، أو في الحياة الأجنبية ، أو فيما شئت من هذه الأعراض التي تعرض للذين يخرجون عن القصد ، فيغامرون ، فيفقدون قديمهم ، ولا يظفرون بجديد صحيح ، وانما ينتهون بلغتهم الى مثل ماتنتهي به المحافظة الغالية من الضياع والموت " [٢] .

أما أهمّ ماتمخضت عنه هذه المحاورات والخصومات النقدية الخصبة ، التي دارت حول اللغة والأسلوب ، فهو أنها **" أنشأت نثرا عربيا خالصا لم يَقنَ في الغرب الأوروبي ولم يغنَ في أدب الجاهليين والإسلاميين والعباسيين "** [٣] ، **وانما صور شخصية عربية معاصرة .**

واذا تذكّرنا أنّ هذا الذي تمخض هو عينه الذي كان يقصد اليه طه حسين وهو يحاور الغالين في المحافظة والتجديد على حد سواء في الربع الأول من هذا القرن وبعده ، عرفنا أن الغلبة في النهاية كانت لمذهبه اللغوي في الأسلوب الأدبي ، كما تنبأ له وهو يحاور الرافعي في عام ١٩٢٣ [٤] ، بل إن طه حسين عاد بعد أكثر من نصف قرن من محاورة الرافعي فلفت الى أنّ ماكان ينادي به هو وبعض المعتدلين من مذهب أدبي قد انتصر حقا انتصارا ، قال عنه : **" لا ينكره ، ولا يشك فيه إلاّ المحمقون "** [٥] .

---

(١) من أدبنا المعاصر : ١٥٨ .
(٢) المصدر نفسه : ١٦٢ .
(٣) المصدر نفسه : ١٦٠ .
(٤) أنظر " حديث الاربعاء " : ١٧ ـ ١٨ ، ج ٣ .
(٥) من أدبنا المعاصر : ١٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــــــة

تبيّن لنا في البحث أن شخصية طه حسين النقدية كانت قوية قوة لا فتة ، وأنها كانت تميل الى الاستقلال والاعتداد ، ولاحظنا أنّ قوتها كانت تنهض بمقومـــات أساسية عدة ، أهمها : الذهن القوي النفاذ ، والإحساس المتوهج الحاد ، والجرأة على المبادأة بالنقد والمواجهة ، والإيمان العميق بوجوب قول مايعتقد أنه حق أو صواب ، **أما من حيث التكوين الثقافي والنظرة النقدية** فقد رأينا أن هـــذه الشخصية كانت تقوم على الاعتدال بين القديم والحديث ، والائتلاف الملائم بين الثقافتين : العربية والأوروبية ، مع الحرص على الملامح العربية الإسلامية فيها من الفناء ، **وأما من حيث التأثر** فقد تكشف في البحث أن للآفة والبيئة أثرهما ، ولكن تكشـف أن لوالده خاصة أثره الكبير في شخصيته النقديـة ، ولذا يمكن الخلوص الى أنه مدين لأبيه بالكثير فيهـا ، فقد رأينا كيف تعهدها منذ البداية بالتشجيع والرعاية ، وكيف كان يبدي السرور والرضا حين يرى ابنه محاورا بارعا ، يظهر على محاوريه ، ويثيـر ضجة في مجتمع قريته ... **وأما مظاهر قوة الشخصية والاستقلال في نقده الأدبي** فقد لاحظنا أنهـــا كثيرة ، ولكنْ تبيّن لنا أنها تتجلّى خاصة في مظهرين كبيرين : **أولهما هذا المنهج** الذي لم يتبـع فيه ناقدا بعينه ، وانما اصطفاه من مناهج نقدية عدة ، ثم نفخ فيه من روحه ، واستوحى فيه ذوقـه الخاص ، ثم قدمه مبكرا تقديما نظريا الى الأدباء والقراء ، ثم أتبعه بتقديم عملي مـن خـــلال دراساته التي توالت ، حتى بدا واضحا محددا ، بل بدا متكاملا مقنعا . **وأما ثاني المظهرين** فيتمثـل في إصراره الدائم خلال حياته النقدية الطويلة على رفع راية النقد الحر البريء من الميل والهـــوى ، ليس من خلال دراساته النظرية فحسب ، وانما من خلال التطبيق العملي ، إذ نقد الأدباء القدمـــاء نقدا متحررا من نظرة التقديس والتبجيل المعهودة ، كما نقد الأدباء المعاصرين نقدا حـــاول أن يبرأ فيه من نظرة التحيز أو التحامل ، على نحو مارأينا .

وقد ظهر لنا في البحث أن **ذوقه النقـدي** كان يميل ميلا ظاهرا الى شعراء الصورة الحسـية ، وشعراء المعاني العميقة الدقيقة ، الذين كانوا يتنخلون أشعارهم ، ويتعهدونها بالتجويد ، فالشـعر المعجب عنده صناعة تعتمد على العقل والتثقيف ، لا فيض منبعه الطبع والإلهام وحدهما ؛ ولـــذا رأيناه يُعنى بدراسة أوس وزهير وتلاميذهما في الجاهلية والإسلام عناية خاصة .

وظهر لنا أيضا أنه كان يؤمن بوجود **مدارس شعرية** منذ العصر الجاهلي ، وبأن لكل مدرســة خصائصها الفنية المتميزة ؛ ولذا كان يميل الى **دراسة الشـعراء جماعات لا أفرادا** ، **كما تبيّن فـــي** البحث ، وذلك لاكتشاف هذه الخصائص ، على نحو مارأيناه يسلك في دراسة مدرسة أوس ، وينصـــح لغيره من النقاد بأن ينهجوا النهج نفسه في دراسة المدارس الجاهلية الأخرى ، التي اكتشـفها وعدّدها ، ولقد لاحظنا أنه ظل يميل الى هذا الأسلوب في العصور التالية ؛ إذ درس شـعراء الغـزل العذري في العصر الأموي ، الذين عدّهم امتدادا لمدرسة زهير ، كما درس شعراء الغزل المـــادي ، الذين عدّهم امتدادا لمدرسة قريش ، التي كانت ضعيفة في الجاهلية ، ثم ظهرت قوية إبان الدعـوة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإسلامية ، وعمد الى الأسلوب نفسه في دراسته شعراء الخمر والمجون ، خلال العصر العباسي الأول ، وأما العصر الحديث فقد رأيناه يتناول مدارسه الشعرية المختلفة ، كمدرسة **الاحياء** ، **والديوان** ، **وأبولّو** ، **والمهجر** من خلال تناوله أبرز الشعراء في كل منها .

وقد تكشف لنا من البحث أنه كان منذ البداية يهتم اهتماما لا فتا **بمعرفة الجديد الذي حقّقه الشعر العربي في كل عصر** ، ويُعنى عناية فائقة برصد تطوره بالقياس الى العصر أو العصور التي سبقته ، وهذا الاهتمام يكشف دون شك عن السر في اختياره لكثير من موضوعات دراساته الشهيرة ، فبعد عودته من فرنسا رأينا كيف استهل دراساته في الشعر العربي بدراسته صراع القديم والجديد في هذا الشعر عام ١٩٢٢ ، تبيّن خلالها ماتمخّض عنه هذا الصراع من تجديد ، ثم انطلق من هذه الدراسة النظرية المهمة الى دراسات عملية في فنون هذا الجديد الذي تبيّنه ، فدرس جديد الشعر في العصر العباسي الأول ، وهو شعر الخمر والغزل بالغلمان ، وجديده في العصر الأموي ، وهو شعر الغزل ، ثم ظل يحرص بعد ذلك في دراساته على تبيّن الجديد لدى كل شاعر يدرسه من أمثال : المتنبي أو المعري ، ولدى كل مدرسة معاصرة ، يعرض لها ، على نحوٍ مارأينا ، **كما** أولى الفنون الجديدة التي دخلت الأدب العربي في العصر الحديث عنايته ، فقد لاحظنا كيف احتفل بمسرحية **توفيق الحكيم " أهل الكهف "** حين ظهرت ، إذ عدّها فتحا جديدا في الأدب العربي ، لأن توفيقاً الحكيمَ استطاع من خلالها أن يوجد لهذا الأدب القصص التمثيلي المتقن ، الذي لا يقل في مستواه الفني الرفيع عن مستواه في الآداب الأوروبية .

على أنّ البحث قد أظهر أن طه حسين لم يكن يهتم بمعرفة ماحققه الشعر العربي من تجديد فحسب ، وانما كان يهتم اهتماما كبيرا **بأن يرى الشعر العربي المعاصر وقد تجدّد التجدد الفني الحقيقي المنشود** ، ولعلنا لاحظنا أنه في دراسته الأولى لصراع التجديد قد قرر أنّ ماحققه الشعر القديم من تجديد كان قليلا بالقياس الى ماحققه الشعر اليوناني ، وعلّل السبب بأن العرب لم يعرفوا آداب الأمم الراقية القديمة، معرفة عميقة ، ثم عاد بعد ثلاثة وثلاثين عاما الى هذا السبب ، الذي يراه أهم أسباب التجديد في الشعر ، وذلك حين تحدث في عام ١٩٥٥ عن الشعر العربي المعاصر ، فلفت الى أنه دُفِع الى أزمة عنيفة ، وصل فيها الى حد الافلاس ، والى أنه إذا أراد أن يخرج من هذه الأزمة وأن يتجدّد حقا ، فلا بدّ له من التفاعل والشعر الأوروبي الحديث خاصة ، ولعلنا لاحظنا كيف كان واضحا وضوحا تاما في تأكيده أن تجديد هذا الشعر العربي لا ينبغي أن يكون ، بل لا يمكن أن يكون من خلال فنائه في الشعر الأوروبي أو الأجنبي ، وانما لا بدّ أن يكون من خلال الانطلاق من تراثه القديم ، ومن خلال المحافظة على روحه العربي الأصيل ، والإبقاء على شخصيته العربية العميقة الجذور في التاريخ ، وقد تبيّن في البحث أن موقف طه حسين هذا من تجديد الشعر العربي المعاصر يتسق كل الاتساق ومواقفه السابقة من **سلامة موسى** وأمثاله ، ممن كانوا يدعون الى تجديد الأدب المصري من خلال إهمال الأدب العربي القديم ، والتوجه توجها كليا الى الأدب الأوروبي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما ظهر لنا أنه لا يرى ضيرا في تحرر الشعر العربي المعاصر من الوزن والقافية في سبيل التجديد الحقيقي المنشود ، ولكنه ينكر أن يكون هذا الشعر المتحرر قد وجد حقا في الأدب العربي المعاصر ، وأما ماظهر منه فهو في رأيه إنما هو مجرّد محاولات لا يزال الأمد بينها وبين الشعر الحق بعيدا .

ولقد بيّن البحث أن طه حسين كان **يوفر عنصر الإثارة** لداراساته النقدية الكبيرة ، على أنه بيّن أن هذا العنصر لم يكن متكلفا دخيلا ، أو يقوم على دراسات لا قيمة لها من الناحية العلمية الخالصة ، وانما كان يبدو ركنا أساسيا في كل دراسة ، أو ثمرة طبيعية لها ، إذ كان يقوم في الغالب على موضوع الدراسة ومنهجها النقدي ، وأسلوب تناولها ، وما ينجم عنها من نتائج ، والذي دلّ على أن هذا العنصر لم يكن متكلفا ، وأنّ طه حسين لم يكن ينشد الإثارة الفارغة في دراساته، أنّا رأيناه قد ظل حتى نهاية حياته يؤمن بمنهجه فيها ، وبالآراء النقدية التي خلص اليها من خلال هذا المنهج ، كما رأينا أن بريق هذه الدراسات الرائدة لم يَخْبُ ، وان الاهتمام بها لم يضعف ، على الرغم من مرور سنين عدة ، بل رأينا الدارسين ما انفك بعضهم الى اليوم يعرض لها، وينعى عليها ، على حين أن بعضهم الآخر مافتئ يؤكد أهميتها وقيمتها العلمية .

وقد بدا لنا في البحث واضحا أن طه حسين كان **شديد الشغف بالأدب العربي القديم** ، فقد رأينا كيف كان يصرّح بمحبته وتقديره إياه تصريحا ، ورأينا كيف درسه دراسة فنية ، لفتت الى مافيه من جمال وروعة ، وأثبتت أنه ذو بصر عميق به وبدراسته ، بل رأينا كيف تصدى للنقاد الذين يناصبون هذا الأدب العداء ، مؤكدا أنه مازال حيا ، وصالحا للقراءة ، وقادرا على أن يلذّ ويروع ، وأن تجديد الأدب المعاصر لا يكون إلاّ من خلاله ، كما بدا لنا واضحا أنه كان **يشغف بالعربية الفصحى** ، ويغار عليها غيرة شديدة ، فقد لاحظنا كيف كان يمقت اللهجة العامية في الأدب ، ويقرّر صراحة للنقاد والأدباء على السواء أنه يرى أن العامية لم تبلغ بعد أن تكون لغة أدب ، وأنه يرى أنها لن تبلغ ذلك أبدا ، ولقد لاحظنا كيف كان يربأ بنقده عن تناول أية قصة أو مسرحية تعمد الى العامية في الحوار ، وكيف بقي حتى نهاية حياته النقدية يقاوم جنوح بعض القصاص الشباب اليها في قصصهم ، الى درجة رأيناه معها يستدعي في الستينيات تلميذه **نعمان عاشور** الى البيت ، ليقرعه بسبب ميله اليها في الكتابة ...

واذا كان قد ثبت في البحث أن طه حسين كان يحب الأدب العربي القديم ، ولغته الفصحى حبا يكاد يقرب من التعصب ، لولا أنا رأيناه لا يؤمن بالتعصب ، فمن الطبيعي إذن أن يحدد هذا الحب العميق **انتماءه الواضح الى العرب وثقافتهم** ، سواء أأراد هذا أم لم يرده ، ولكن طه حسين -كما لاحظنا - لم يكن بالناقد الغافل عن ميوله وآرائه ، ولا بالحائر المتناقض بين إرادته ومحبته ، فقد رأينا في دراساته ومحاوراته كيف كان يجهر جهرا بانتمائه العربي ويقرّر أن شخصية مصر المعاصرة عربية ، رأينا منه ذلك في عام ١٩٣٣ ، وهو يحاور توفيقًا الحكيمَ أول مرة ، فيقرر في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وضوح وصراحة أنه يرى **شخصية مصر عربية** و أن لغتها هي العربية الفصيحة ، ويقترح ألاّ يقتصر تعليم اللغات الأوروبية في مصر على لغة بعينها ، حتى لا يتاح لهذه اللغة منافسة العربية واضعافها، وانما ينبغي أن تتاح الفرصة لتعليم لغات عدة منها ، حتى يضعف بعضها بعضا ، فتبقى للعربية القوة والغلبة من دونها جميعا · ثم رأينا ذلك منه عام ١٩٣٥ حين درس الشعر الجاهلي ، فلفت الى أهمية الأدب العربي القديم للشخصية العربية المعاصرة ، قائلا عنه وهو يتكلم بضمير الجماعة : إنه " أساس الثقافة العربية ، فهو إذن مقوم **شخصيتنا** ، محقق **لقوميتنا** ، عاصم **لنا** من الفناء في الأجنبي ، معين **لنا** على أن نعرف **أنفسنا** " ، ثم لاحظنا ذلك منه في الخمسينيات ، وهو يحاول اقناع بعض القصاص الشباب بضرورة التخلي عن العامية في كتابة القصة ، لا فتا اياهم الى أنّ العربية الفصيحة هي عامل مهم في وحدة الأقطار العربية ، كما لاحظنا ذلك منه في الحقبة نفسها ، حين انبرى يدافع عن الأدب العربي القديم ، ويذود عنه التهم الجديدة التي راح سلامة موسى يكيلها له في ظل الثورة المصرية ، فقد رأينا كيف تصدى له في قوة وجراءة ، حتى إنه لم يتردد في اتهامه بأنه **شعوبي محدث** ، واذن فقول من رأيناه يشيع أن طه حسين كان داعية الى (التغريب) من الناحية الأدبية أو الثقافية ، و أنه مثل سلامة موسى أو أشد خطرا منه على الأدب العربي واللغة الفصحى هو قول **ثبت لنا في البحث ألاّ أساس له من الصحة البتة** ·

ومن وجهة أخرى أظهر البحث أنه كان يؤمن **بالحرية والالتزام معا** ، ويرى ألاّ تناقض بينهما ، فالأديب ينبغي أن يظل حرا من أي قيد غير قيد نفسه ، في أثناء انتاجه ، وهو حينئذ لا ينتج إلاّ أدبا ملتزما ، لأن الأدب في رأيه ملتزم بطبعه ، أما كل انتاج من شأنه أن يلحق الضرر بالمجتمع فهو في رأيه لا يمكن أن يسمى أدبا ، ولذا رأيناه يقرّر أن الكاتب وانْ كان حرا من أيّ قيد خارجي يفرض عليه ، · لن يكون أديبا إلاّ إذا أنتج انتاجا يحتوي على **عنصر الجمال الفني** ، ويبدو فيه أنه شعر وهو يكتب **بتبعته** وبأنه " **مسؤول أمام ضميره أولا ، وأمام الجماعة التي يكتب لها ثانيا** " ، ولقد لاحظنا كيف كان في نقده صريح القول بضرورة التزام الأديب ، فهو في مقدمة دراسته المتنبي ، قد دعا الأدباء الى الإصرار على حريتهم في أثناء الكتابة قائلا :" **فلنتمرّد على الجماعة ، ولنثر بالقراء ، ولننبذ الاحتياط كله** " ولكنه أسرع فاستدرك مباشرة أمرا بعينه ، يرى أنه لا يجوز نبذ الاحتياط فيه ، إذ قال : " ··· ولننبذ الاحتياط كله **إلاّ هذا الذي يثير الشر أو يؤذي الاخلاق** " ، ولقد رأيناه يلفت كتاب القصة الى أن الأديب مصلح أو طبيب مجتمع ينبغي أن يعالج مشكلاته وعلله بالأمل والابتسام لا بالتشاؤم ، كما رأيناه يلفتهم الى أن الأدباء " إنما يكتبون لتأديب الشعب وتهذيبه ، لا لتملقه واغرائه " ، واذن لا يجوز لهم أن يضمّنوا قصصهم مامن شأنه أن يلحق الضرر بالمجتمع ، كما لاحظ في قصص أمين يوسف غراب وقصة ثروت أباظة ، ولقد أظهر البحث أنه في نقده الأدبي يهتم بالمجتمع ومشكلاته **وما يتفاعل فيه** ، ففضلا عن أن منهجه يربط ربطا وثيقا بين الأديب وأثره وبين جماعته وبيئته ، يبدو اهتمامه الاجتماعي واضحا في نقده القصة الطويلة خاصة ، فمن أسباب إعجابه بقصة " **بين القصرين** " مثلا أن القاص استطاع أن يصور غليان المجتمع المصري بالثورة ، وأحسن تصوير تفاعل الشعب وايّاها ، فأظهرها متغلغلة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في نفوس أبنائه على اختلاف طبقاتهم ، ومن أبرز المآخذ التي لاحظها على قصة **محمد فريد أبي حديد** **" أنا الشعب "** أنه اخفق في تصوير الأسباب التي كانت تتفاعل في أعماق الشعب ، وتهيئه للثورة، وأنه لم يُعنَ بتصوير بؤس الجماعات وضيقها بهذا البؤس ، وطموحها للخلاص منه ، كما لم يعنَ بتصوير عبث الحكام والهوة العميقة التي تفصل بينهم وبين المحكومين ، كما رأيناه يأخذ على **محمد كامل حسين** في قصة **" قرية ظالمة "** أنه يظلم الجماعات، لأنه يحملها التبعات ، مع أن القادة هم الذين يورطونها في الخطأ والإثم والضلال .

واذن فقد تبيّن في البحث أن **مفهوم طه حسين للالتزام رحب ، عميق ، لا يتناقض وايمانه بحرية الأديب ، ولا يتضارب والجمال الفني الذي يشترطه في الكتابة حتى يعدّها أدبا ، ولا يحصره في موضوعات مادية بعينها ، ولا يغفل فيه عن مشكلات المجتمع وتفاعله وحركته الحتمية** ، وهذا هو السر في أن بعض أعلام المدرسة الواقعية الاشتراكية من أمثال محمود أمين العالم يسلكون أنفسهم في عداد تلاميذه ، مع أننا رأيناه يسخر سخرية مرة من مفهومهم ، ومفهوم مدرستهم الضيق للالتزام ، ولقد لاحظنا كيف أن الدكتور محمد مندور كان يعد نفسه تلميذه ، بل لاحظنا بعض الدارسين من أمثال الدكتور شكري عياد والدكتور أحمد كمال زكي يعدونه امتدادا مباشرا له .

أما في محاوراته فقد تكشف في البحث أنه كان يرحب **بالحوار العلمي** ، الهادف الى تبيّن الحقيقة ، على حين كان دائما لا يُعنى بالرد على من يهاجمه جانحا الى أسلوب الثلب والملاحاة ، ولذا رأيناه يتجاهل حملات زكي مبارك ومحمود شاكر العنيفة عليه ، **أما في محاورة الرافعي خاصة** فقد تكشف في البحث أنه كان ينقده ويرحب بمحاورته في البداية ، لأنه كان يأمل في إقناعه بالعدول عن تقليد القدماء في أسلوبه ، كما كان يأمل في أن يكون له أسلوبه الخاص ، الملائم لعصره ، المستوحى من ذات نفسه ، ولكنه حين رأى الرافعي يغلظ له في الرد ، ولا يتورع عن الجنوح الى أسلوب اللمز والاتهام والتشهير ، احتمل منه ذلك كله - كما لاحظنا - وأمسك عن الرد عليه ومجاراته ، ولم يعرض له بشيء طيلة حياته النقدية التالية .

ومن وجهة أخرى أظهر البحث في محاوراتهما أن الرافعي قد **حرّف حقيقة متعلقة بنص من نصوص المحاورات** ، وأن تلميذه محمد سعيد العريان قد تابعه في ذلك ، ونقل عنه ماحرّفه عن حسن نية وغفلة في الغالب ، ولقد رجحنا أن طه حسين قد تنبه الى هذا التحريف ، ولكنه لم يعرض له مباشرة ، وانما اكتفى حين رتّب كتابه **" حديث الأربعاء "** بأن أثبت فيه نصا كان هو رده على نص الرافعي في حينه ، وقد أثبت طه حسين نص الرد فحسب ، وترك للدارسين إمكانية كشف الحقيقة ، ولكن لاحظنا كيف أن أمر هذه الحقيقة قد بقي خافيا على الدارسين الذين عرضوا لخصومتهما ، حتى قدّر لهذا البحث المتواضع أن يكشف عنها سافرة على نحو مارأينا ، كما ظهر من البحث في محاوراتهما أن الرافعي خلال أزمة الشعر الجاهلي قد قاد حملة التشهير وإثارة الرأي العام على طه حسين لسببين أساسيين:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما أولهما فلأن الخصومة النقدية كانت قد نشبت بينهما قبيل أن يظهر كتاب " في الشعر الجاهلي " ، وكان الرافعي قد بدأ يهاجمه كما رأينا ، حتى إذا ظهر الكتاب ، وأثار ضجته المشهورة ، هناك أيقن الرافعي بأن فرصته قد لاحت أخيرا للثأر من خصمه ، الذي ضيق عليه الخناق في ميدان النقد الأدبي ، ولفت غير مرة الى عيوب أسلوبه ، وأثار على هذا الأسلوب من هاجمه من الكتاب ، وهزّ صورته الأدبية ومكانته أمام القراء ، على نحو مالاحظنا ، ولما أيقن الرافعي بأن فرصته قد لاحت أخذ يهاجمه في عنف ، دون أن ينسى أن له ثأرا عنده كما رأينا تلميذه العريان يقرّ بذلك ، وهذا السبب هو الذي يذكره أكثر الدارسين الذين عرضوا لخصومتهما ، ...

وأما السبب الثاني فهو أن الرافعي قد اندفع في مهاجمة طه حسين كل الاندفاع وأمعن في التشهير به كل الإمعان ، لأنه كان - فضلا عن السبب السابق - واقعا تحت تأثير **الملك فؤاد** ، فقد كان في هذه الحقبة التي ثارت فيها الضجة شاعره وشاعر قصره ، على حين كان الملك فؤاد ساخطا على طه حسين خاصة ، وحزبه عامة ، الذي كانت له الوزارة ، وكان يعمل على إيجاد دستور ديمقراطي لمصر لا يريده الملك ، وكان طه حسين يدعو بقلمه الى وضع هذه الدستور ، وقد رأينا كيف أن طه حسين قد ذكر في كلام لم يقصد به الى النشر أن شيخ الأزهر قد أخبر عبدالخالق ثروت بأن الملك هو الذي كان من وراء ثورة الأزهر عليه ، كما رأينا كيف كان الرافعي يفخر بأنه هو الذي حرك الأزهر وأثاره مباشرة في الأزمة ، ورأينا تلميذه العريان يؤكد صحة هذا ، ولقد لاحظنا أن هذا السبب قد خفي على الدارسين فلم يعرض له أحد منهم ، حتى قدّر لبحثنا المتواضع أن يكشف عنه أيضا ، وهو انّ لم يستطع أن يؤكده ، فقد رأينا كيف رجحه ، وحسبه أنه القى الضوء عليه ، ولفت الدارسين اليه ، لعلهم يستجلونه أكثر في بحوثهم القادمة .

وأمّا آراؤه وأحكامه النقدية فقد ظهر أنها واضحة جريئة ، تصدر عن ناقد ممتلىء بالثقة والاعتداد ، وأنه لم يكن فيها اتباعيا بقدر ماكان ابداعيا مستقلا ، فقد رأينا كيف كان يعرض للقضايا النقدية الدقيقة ، التي يشتبه أمرها على النقاد ، كقضية شعر المتنبي في الجهاد والشعر القصصي ، وقضية المسرح والسبب في عدم ظهوره لدى العرب قديما ، وقضايا أخرى رأيناه يعرض لها ، فيبدي في كل منها رأيه الواضح ، الذي يعتقد أنه صواب ، ولا يبالي معه أوافق الرأي الشائع في القضية أم خالفه ، وقد لاحظنا كيف كتب لزوجه في عام ١٩٢٥ يخبرها بأنه يأنس في نفسه القدرة على الوصول من خلال بحوثه الى مايمكن أن يصل اليه كبار المستشرقين ، وأنه قرر ألاّ يقرأ بحوثهم إلاّ بعد أن يفرغ من بحثه ، ورأينا كيف كان في نقده الأدبي لا يتردد في مخالفة المستشرقين حقا ، من أمثال **بلاشير و دوزي** ، ويكشف عن أنهم هم مصدر بعض الآراء غير الصحيحة التي شاعت حول الأدب العربي والحضارة العربية ، كما أوضحنا في نهاية البحث ، **واذن فالبحث الموضوعي** في نقده الأدبي قد أثبت دون شك أن قول من رأيناه يردد أنه كان واقعا تحت تأثير المستشرقين، او كان ينهب آراءهم أو يتابعهم على غير هدى ، **إنما هو قول لا نصيب له من الصحة** .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تبيّن لنا من خلال البحث أنه كان يلتفت أحيانا الى الأدب اليوناني ونقده ، والى ماوصلت اليه الدراسات الحديثة فيهما ، ولكننا لاحظنا أن هذا الالتفات لم يكن التفات من يتأثر أو يتابع على غير بصيرة ، **وانما كان التفات من يعتدّ بمقدرته ، ويفهم روح البحث الحر ، ويريد أن يفيد من هذه الدراسات الإفادة العلمية المنشودة** ، فقد رأينا كيف كان ينظر اليها في مواضع متفرقة من دراساته ، إذ كان يضرب الأمثلة ، ويلاحظ تشابه بعض القضايا في الأدبين ، ويقارن ويقيس بعضها الى بعض ، ثم ينهج النهج نفسه في الدرس ، فيفكر بذهنه القوي ويجتهد ، ثم يصدر أحكامه في هذه القضايا ، وقد لمسنا أن نقده الأدبي قد أفاد شيئا من هذه الدراسات ، ولقد أظهر البحث تقديره العميق للأدب اليوناني ، ولكنه أظهر أيضا أن هذا التقدير لم يقلّل شيئا من شغفه بالأدب العربي القديم وتقديره ، بدا لنا هذا من خلال نقده عامة ، ومن خلال مقارناته بين الأدبين خاصة ، فقد رأينا أنه حين درس صراع التجديد في الأدبين عام ١٩٢٢ ، خلص الى أن هذا الصراع قد نجم عنه تطور أكثر تنوعا في الأدب اليوناني ، إذ ظهر فيه الشعر القصصي والتمثيلي ، لكننا رأيناه في عام ١٩٢٦ يرد على من يتهمون الأدب العربي القديم بأن فيه صورا لا يسيغها **الذوق الحديث** ، فيلفتهم الى أن في الشعر اليوناني مثل هذه الصور ، بل إن مثل هذه الصور موجود عند كبار شعرائهم من أمثال **هوميروس وبندار** • وفي عام ١٩٣٢ رأيناه يحاضر حول مكانة الأدب العربي في الآداب القديمة ، فيقرر أنه من أرقاها ، ولا يتقدم عليه سوى الأدب اليوناني بفنونه المختلفة ، ولكنه في عام ١٩٣٣ حين حاور توفيقًا الحكيمَ رأيناه قد رجع **فأنكر أن يكون الأدب اليوناني يتفوّق على الأدب العربي** ، وعارض كل من يقرّر أنه أرقى منه قائلا في تساؤل : " ولكن من الذي يقيس رقي الأدب في أمة من الأمم برقي الأدب في أمة أخرى ؟ فاذا كانت ظروف الحياة العربية مخالفة أشد المخالفة لظروف الحياة اليونانية ، فطبيعي أن تختلف الآداب عند الأمتين ، ثم خلص الى أنّ كلاً من الأدبين قد صور حياة أمته أصدق تصوير ، وأنّ كلاً منهما قاصر عن تصوير حياة المعاصرين ولكنه قادر على إلهام المحدثين فحسب ، ثم رأيناه في عام ١٩٣٥ يدرس الأدب العربي القديم ويذود عنه خصومه ، وقد ظل هذا دأبه أو موقفه حتى نهاية حياته الأدبية كما لاحظنا •

وهكذا **تبين لنا في البحث** أن طه حسين قد **رجع عن القول بتقديم الأدب اليوناني على الأدب العربي القديم** ، ومع أنه بقي يقدّر الأدب اليوناني حق قدره ، فقد لمسنا لمسا قويا في نقده أنه يكنّ للأدب العربي القديم حبا عميقا لا يكنه للأدب اليوناني أو غيره ، ذلك أنه حب من يدعو له الله بأن يعدمه مما حدث للأدب اللاتيني ولغته ، أو حب من يشعر نحوه بالانتماء لأنه يرى فيه أساسا لثقافة أمته ، وعاصما لقوميتها من الفناء •

وقد ظهر من خلال البحث أنه كان يصدر في آرائه النقدية عن تأمل عميق وروية ، وآية ذلك أنا رأيناها متآلفة لم نلمس فيها أي تناقض ، وعلى الرغم من أننا اجتهدنا في رصد التطور الذي طرأ عليها ، فقد **تبيّن أن هذا التطور ليس كبيرا** ، وتبين أنه بقي ثابتا على أكثر آرائه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشهيرة التي أذاعها مبكرا ، على نحو مارأينا ، ولكننا على الرغم من هذا قد لمسنا شيئا من التطور في آراء قليلة ، من أهمها رأيه في **وحدة القصيدة العربية القديمة** ، كما لاحظنا ، ومنها أيضا **موقفه الشهير من الشعر الجاهلي** ، فقد رأينا كيف شك في امرىء القيس وشعره عام ١٩٢٦ ، ثم رأينا كيف عاد في دراسته المتنبي عام ١٩٣٦ فتحدث عن هذا الشاعر وتأثير سنته الشعرية في المتنبي حديث من لا يشك فيه ولا في شعره ، وقد لاحظنا أنه تخلى عن الشك في الشاعر حين أطلق نفسه على سجيتها كما اعترف ، ولاحظنا أنه بعد عام ١٩٣٥ لم يعد يعرض لقضية الشك في الشعر الجاهلي ، **واذن ينبغي أن نتحرج من الحكم بأنه ظل ثابتا على موقفه الشاك في الشعر الجاهلي ، كما ينبغي التحرج من التأكيد أنه رجع عن هذا الموقف رجوعا كليا .**

وأما منهجه النقدي فقد ظهر لنا أنه اهتدى اليه في دراسته الأولى عام ١٩١٤ ، ولكن هذا المنهج لم يبدُ واضحا وضوحه التكاملي إلّا في عام ١٩٢٣ ، حين قدمه تقديما مباشرا وهو يدرس أبا نواس ، وقد لاحظنا كيف جهر عام ١٩٣٦ وهو يدرس المتنبي بأنه لم يعد يؤمن بأن شعر الشاعر يصور حياته أو حياة جماعته ، وانما يصور لحظات من حياته وحياتها ، ولكننا لم نلمس بعد ذلك هذا التطور في المنهج من خلال دراساته التالية ، ولم نلحظه يعود اليه ، فينكره مرة ثانية ؛ ولذا لا يمكن القول : **إنه تطور حقيقي طرأ على منهجه .**

أما جهده النقدي فهو كما رأينا جهد ضخم حقا ، استمر خلال مايقرب من نصف قرن ، ولقد تبيّن لنا أن أكثر هذا الجهد في الشعر وليس في النثر ، كما تبين لنا أن جهده في نقد الشعر القديم هو الغالب ، وأن أبا العلاء المعري هو أكثر أديب أو شاعر حظي منه بالعناية والدرس ، كذلك ظهر لنا أنه لم يدرس الأدب الأندلسي ، على الرغم من أنه ذكر غير مرة أن ثمة تجديدا طرأ على الشعر الاندلسي من حيث العروض والقافية ، وأما من حيث مسيرة جهده النقدي ، فقد رأينا كيف ظل حتى نهاية الثلاثينيات يعنى بدراسة الأدب القديم أكثر من الأدب المعاصر، ولكنه بعد ذلك أخذ يعنى بالمعاصر أكثر من القديم ؛ لأنه استشعر حاجة الجيل الجديد الى النقد ، ولذا رأينا نقده في الطور الأخير يتجه الى القصة أكثر من الشعر المعاصر،لأنه لاحظ عناية الأدباء الشباب اللافتة بكتابتها .

ولكن على الرغم من ضخامة جهده ، فقد بد لنا أن **طاقته النقدية أكبر من الجهد الذي بذله** ، بل إن جهده نفسه يوحي بأن ظروفه لم تكن تسعفه في إعطاء كثير من دراساته الوقت الكافي الذي تتطلبه ؛ ولذا رأيناه يتوقف عند بعضها وهو يعترف بأنه لم يكملها ، أو لم يَفِها حقها الذي تستحقه ، وقد لاحظنا هذا في أكثر دراساته الكبيرة التي نشرها منجَّمة متتالية في الصحف السيارة ، وفي دراسته الكبيرة في المتنبي التي كتبها وهو في إجازة ، كما لاحظنا أن أكثر العيوب والمآخذ على نقده تأتيه من قبل هذه الدراسات التي كتبها وهو في عجلة من أمره ، فأكثر دراساته الكبيرة التي نشرها في الصحف بدت في حاجة الى شيء من التماسك والى تسديد النقص في بعض جوانبها ، والتعمق والتوسع في بعض جوانبها الأخرى ، والوصول بها الى المدى الذي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتطلبه وتشعرنا طاقته النقدية بقدرته عليه ، فقد رأينا كيف اعتذر عن عدم تمكنه من دراسة طرديات أبي نواس وغزله بالغلمان بأن الصحف السيارة لا تصلح للتعمق وايراد كل شعر ، ولاحظنا أنه في دراسة الغزل الأموي قد توقف بعد أن أخذت الدراسة تتجه اتجاها مهما حقا ، وهو المقارنة بين **عمر بن أبي ربيعة** والشاعرين الفرنسيين **الفرد دى موسيه وبيير لوتي** ، ونحو هذا حدث في دراسته المتنبي التي كتبها مستعجلا ، فقد توقفت عند شعره الأخير الذي قاله في شيراز ، مع أنه قرّر أن تجديد الشاعر قد تجلى حقا في هذا الشعر ، الذي اقترب فيه الشعر العربي لأول مرة من الشعر الأوروبي ، واذا كان الأدب العربي - وما زال - في حاجة ماسة الى هذا اللون من الدراسة النقدية المقارنة فيمكن القول : إنه لو استوفى دراستيه ولم يتوقف لأفاد هذا الأدب من جهة ، ولتجلّت لنا من جهة أخرى من خلال النقد الأدبي المقارن طاقته الفذة ، بما تزخر به من ثقافة عربية وأوروبية عميقة ؛ ولذا قلنا : إن جهده في النقد الأدبي على ضخامته يوحي بأنه لم يعطِ أكبر مافي طاقته وقدرته ، على أن البحث أظهر لنا أن ثمة عيبا يعاني منه نقده في أحيان قليلة ، ولا يتصل باستعجاله في إخراج الدراسات أو بنشرها في الصحف ، وانما يعود الى شيء من الاختلاف بين نقده العلمي وبين الأصول الصحيحة التي يقررها من الناحية النظرية ، فهو من الناحية النظرية يُقرّ بقيام الشعر في الغالب على الخيال والمجاز ، ولكنّ كنا نلمس أحيانا في نقده الشعراء المعاصرين ، الذي اتسم شيئا ما بالحدّة والسخرية ، كأنه ينظر الى الشعر نظرته الى منطق خالص ، ينبغي ألاّ تخرج فيه الألفاظ عن حدود معانيها المعجمية ، وقد بدا هذا واضحا في نقده **ابراهيم ناجي وايليا أبا ماضي خاصة** ، إذ لم يتقبل بعض الصور التي يمكن أن تتقبلها البلاغة من خلال فنونها المختلفة ، فهو لم يسغ الصورة التي في بيت أبي ماضي مثلا الذي يقول :

كلّما أفرغتُ كأسيْ ... زِدتُ في كأسيَ دَنّا

فقد رأى أنها صورة مستحيلة ؛ لأن الكأس جزء من الدن ، أو هي تحتوي جزءا مما يحتويه ، ومن المؤكد أن الشاعر حين أتى بالصورة كان يعرف هذا كله ، ولكنه قصد الى المجاز للإتيان بصورة طريفة في إيحائها ، فقد قصد القول : زدت في كأسي (خمرا) ،لأنه شعر بأن ثمة علاقة مابين الخمر والدن يمكن أن تلتمس في المجاز المرسل ، كأن تكون العلاقة (محلية) مثلا أو نحوها ، وقد شعر ابراهيم ناجي بنظرة طه حسين المنطقية اللغوية الحادة حين نقد شعره ؛ ولذا رأيناه يبدي تذمرا من نقده ، ويتساءل إن كان هو لا يؤمن بالمجاز في الشعر .

وعلى الرغم من هذه المآخذ اليسيرة على نقده ، فقد تبين لنا في البحث أن جهده فيه جدير **بأن يسنّمه مكانة مرموقة** بين نقاد الأدب العربي ؛ إذ توفرت له مزايا ، وتحققت فيه انجازات تؤهله ليتسنّم تلك المكانة حقا ، وقد عرضنا لبعض هذه المزايا والانجازات المستخلصة من البحث في جهده النقدي ، فلا داعيَ الى إعادة القول فيها ، ولكن ثمة انجازات مهمة أخرى تكشف عنها البحث :

أولها أنه من النقاد المؤهلين الرواد الذين لفتوا الى أهمية الأثر اليوناني عامة وأثر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أرسطو خاصة في الأدب العربي ونقده،كما رأيناه يثبت علميا ذلك من خلال دراسته الرائدة في البيان ، تاركا لبعض تلاميذه أن يتوفروا على الموضوع من بعده ...

وثانيها أنه من أوائل النقاد المعاصرين الذين لفتوا الى أهمية الصورة الفنية في دراسة الشعر العربي ، وذلك من خلال دراسته الرائدة للصورة في شعر أوس وزهير وتلاميذهما .

وثالثها أنه من أبرز النقاد الذين أسهموا في ظهور الأسلوب الأدبي الفصيح ، المتحرّر من تقليد القدماء ، الملائم لطبيعة العصر ، المستوحى من نغمة النفس وطريقة التفكير ، فقد رأينا كيف لفتنا في الخمسينيات الى أنه يعد انتصار مذهبه في الأسلوب الادبي من الانجازات المهمة التي تمخض عنها نقده ومحاوراته وخصوماته ، ولقد كان أسلوبه نفسه من أبرز العوامل التي اقنعت بصحة مذهبه ، كما رأينا العقاد يلاحظ هذا بحق .

ورابعها أنه تمكن بجهده النقدي من أن يوجد في النقد العربي المعاصر مدرسة متميزة ، متكاملة المنهج ، محددة المفاهيم والأهداف ، واضحة الانتماء والرؤية ، عظيمة الأثر بتلاميذها الكُثّر ، تقوم على الاعتدال والتوفيق الملائم بين الثقافتين العربية والغربية ـ على نحو مارأينا ـ .

هذه هي أهم المزايا والانجازات التي تحققت في جهده النقدي ، والتي دفعتنا الى القول : إنه جهد خليق بأن يسنّمه مكانة مرموقة بين نقاد الأدب ، ولولا أنا نتحرّج تحرجا علميا شديدا من الوقوع في محظور المفاضلة ، وتعميم الحكم ، لحكمنا له في النهاية بالقول : إن البحث الموضوعي في نقده الأدبي عامة ، وفي محاوراته خاصة،ليوحي إيحاء قويا بأنه كان ـ وما زال ـ ناقد عصره ، وشاغله حقا ، كما يوحي بأن تأثيره في الأجيال القادمة سيكون أقوى .

xxxxxxxxx
xxxxx
xxx
x

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

literature preserves the national indentity of contemporary Arabs , and it is an origin of their culture, so he was very enthusiastic to study this literature , and to encourge the other writers do draw their inspiration from it .

It has seemed to us that his literary opinion was expressed after deep thinking, so their development was slight, in spite of this , we have remarked the development in two main literary opinions, the first is his point of view in the organic unity of the Arabic poem, the second is his famous opinion on pre-Islamic poetry.

Taha Hussein made a big effort in his literary criticism , most of which was made to the study of old Arabic poetry in particular, but in spite of his literary critical effort, it has seemed to us that he did not give literary criticism all his attention, because he was not a literary critic only, but he wrote on all arts of literature , except plays, and he was a Journalist, Political writer, and a writer on education. He had studied early the impact of Greek literature on old Arabic literature, especially the impact of Aristotle , and studied the poetic image in Arabic poetry, as we have seen, Taha Hussein urged the Arab writers at an early stage to have contemporary literary style, which must be free from imitation of the famous literary styles of the old Arab writers.

It is no doubt that Taha Hussein fulfilled a lot of achievement through his literary criticism, so he may be considered one of the great Arab literary critics in all ages of Arabic literature, and one of the world distinguished literary critics in this century indeed.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

second is a social conscience. We have noticed that he always paid attention in his literary criticism to the problems of society and their solution , for this reason , some eminent literary critics from socialist - realistic school like Muhammad Mandur and Muhmood Al - Alem considered themselves his followers.

It has seemed to us that he believed a critical literary arguement is very useful , and he was ready to discuss every literary question or issue with other critics, but he used not to argue with any writer , who criticized him impolitely, or attacked him severely like Mustafa Al-Rafi'y , Zaki Mubark , and Muhmood Shaker , who denounced him violently.

In 1926 he published his famous book which was about Arabic Pre-Islamic poetry. His opponent Al-Rafi'y launched aviolent attack against him through a lot of critiques for two reasons, as we have noticed , the first is because Taha Hussein had criticized his literary style severely before he published that book, the second reason is because Al-Rafi'y was the poet of King Fuad during this era , so the king encourged him to denounce Taha Hussein who used to mention in his essays that Egypt was in agreat need to a democratic constitution , which the Egyptian monarach did not want to hear.

His literary critical opinions have seemed to us very evident, and they reflect his independent personality, for instance, we have noticed how he didnot accept some famous opinions on Arabic literature and civilization, which some orientalists popularized like saying that the old Arabic poem does not have an organic unity. So we may deduce that the allegation of some conservative puritans, who used to say that he was not more than a follower of orientalists is not true at all, as we have seen.

Taha Hussein appreciated the literature of Greece, but he appreciated more the old Arabic literature, because he believed that the old Arabic

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

preferred to study the poets as groups, according to their own schools, and advised the other literary critics to follow his example.

Also it can be noticed that he was concerned to know the development of the Arabic Poetry in all historical ages, and aimed to study the developing poetry in every age, as we have seen.

Taha Hussein believed that the Arabic Contemporary verse is in a crisis nowadays, and it will not come out of it if the poets don't attempt this verse through reading European Contemporary Poetry, but he believed that the desired new Arabic poetry must not be a copy of the western verse, or a mere imitation , and it must preserve Arabic distinctive features of poetry.

His main studies seem to us to have stimulating element, which makes some readers protest or criticize him severely and others approve or admire him, but this element of excitement seems to us natural and a result of a good critical literary study.

Taha Hussein was really fond of the old Arabic literature and its classical grammatical language , so he studied this literature ardently , and used to encourge every literary critic to study it.

Also he defended it against its enemies like Salama Mosa, and other critics, as we have seen, so the accusation of his opponents who always claimed that he aimed at neglecting the Islamic-Arabic culture , and westernizing the culture of Egypt. This accusation is not more than a false allegation, as we have noticed.

Taha Hussein believed in a literary commitment and freedom together. In his opinion the author must be entirely free when he writes, but his writing will not be considered literature from his point of view if it does not have two elements: the first is artistic pleasure , the

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Conclusion

After studying Taha Hussein's literary Criticism , we may say that he was a very strong and independent critic. His strength appears to us through his excellent mental ability, and his boldness in facing the authors with real severe criticism, also appears through his deep belief in expressing his opinion frankly on his criticism.

His cultural personality seems moderate , because he was not fanatic in his look to the Arab or European culture , but he was enthusiastic to learn from all cultures . In spite of this , he was very cautious not to lose his Islamic-Arab identity.

His own environment and blindness seemed to have an effect on his literary critical personality , but his father also had an important impact on him , because he used to encourge him to criticize and argue with the others, while he was still a child. His strong personality appears in his literary criticism through two main aspects: the first is when he tried to accumulate the main principles of Sainte-Beuve , Taine, and Jules Lemaitre by bringing out first the poet's personality, then his environment, and finally the artistic pleasure that may be found in his poetry. The second aspect is in his insistence on criticizing the old and contemporary men of letters freely.

His Critical artistic taste admired the poets of deep meaning , especially those who had material creative imagination in their poetic images, because he looked at poetry as a mental effort, so the poet in his opinion must revise his poem several times, in order to improve its artistic standard before he tries to publish it.

Taha Hussein believed that there have been poetic schools in Arabic literature since the Pre-Islamic age, so we have noticed that he

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصـادر البحـث ومراجعـه

أ ـ المصـادر

* **الأخطـل (غياث بن غوث) ،**

ديوانه ، عناية ونشر الأب انطوان صالحاني اليسوعي ، الطبعة الثانية ، دار الشـــروق ، لبنـان (د٠ت) ٠

* **الأصفهاني (أبوالفرج) ، ت : ٣٥٦هـ ،**

٠١ المجلد الأول ، أشراف عبدالله العلايلي ورفاقه ، دار الثقافة ، بيروت ، (د٠ت) ٠
٠٢ الجزء الثاني ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٥٠
٠٣ المجلد الثالث ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٥٠
٠٤ المجلد الخامس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٦٠
٠٥ المجلد السابع ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٦٠
٠٦ المجلد الثامن ، تحقيق عبدالستار فراج ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٩٠
٠٧ الجزء التاسع ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٧٠
٠٨ المجلد الحادي عشر ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٧٠
٠٩ المجلد الثالث عشر ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٨٠
١٠ المجلد الرابع عشر ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٩٠
١١ المجلد الخامس عشر ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٨٠
١٢ المجلد السادس عشر ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٩٠
١٣ المجلد الحادي والعشرون ، تحقيق عبد الستار فراج ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٠٠
١٤ المجلد الثالث والعشرون ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦١٠

* **أوس بن حجـر :**

ديوانه ، جمع وتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، دار صادر للطباعة والنشر ـ بيـــروت ، ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠م٠

* **بشـار بن برد : ت : ١٦٨هـ ،**

ديوانه ، تحقيق محمد بدر الدين العلوي ، دار الثقافة ، بيروت ، (د٠ت) ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* التوحيدي (أبو حيان) :
مثالب الوزيرين ، تحقيق الدكتور ابراهيم الكيلاني ، دار الفكر ، دمشق (د٠ت) ٠

* الجاحظ (عمرو بن بحر) : ت : ٢٥٥ هـ ،
١٠ البخلاء ، دار القلم ، بيروت ، (د٠ت) ٠
٢٠ البيان والتبيين ، تحقيق عبدالسلام هارون ، الناشر مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٤٨٠
٣٠ الحيوان ، تحقيق عبدالسلام هارون ، الجزء الثالث ، مكتبة مصطفى الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ١٩٣٨٠
٤٠ رسالة التربيع والتدوير ، تحقيق شارل بلا ، نشر المعهد الفرنسي ، دمشق ، ١٩٥٥٠

* الحطيئة (جرول بن أوس) :
ديوانه ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٧٠

* ابن خلدون (عبدالرحمن) ت : ٨٠٨ هـ ،
مقدمة ابن خلدون ، مطبعة القاهرة ، ١٣٢٢ هـ ٠

* ابن الرقيات (عبيد الله بن قيس) :
ديوانه ، تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم ، دار بيروت ، دار صادر ، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨ م٠

* زهير بن أبي سلمى
ديوانه ، تحقيق وشرح كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠٠

* الزوزني (أبو عبدالله الحسين بن أحمد) ت : ٤٨٦ هـ ،
شرح المعلقات السبع ، دار القاموس الحديث ، بيروت ، (د٠ت) ٠

* ابن سلام (محمد بن سلام الجمحي) ت : ٢٣١هـ ،
طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، (د٠ت) ٠

* سويد بن أبي كاهل :
ديوانه ، جمع وتحقيق شاكر العاشور ، مراجعة محمد جبار المعميد ، وزارة الاعلام العراقية ، بغداد ، ١٩٧٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* الضبي (أبو العباس المفضل بن محمد) :
المفضليات ، شرح أحمد محمد شاكر ، وعبدالسلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، (د٠ت)٠

* طرفة بن العبد :
ديوانه ، دار صادر للطباعة ، بيروت ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١م٠

* طه حسين (١) :
١٠ الأديب الحائر ، مجلة الرسالة ، العدد (٥١) ، القاهرة ، ١٩٣٤٠
٢٠ الى الأستاذ توفيق الحكيم ، مجلة الرسالة ، العدد (١١) ، القاهرة ، ١٩٣٣٠
٣٠ الى صديقي أحمد أمين ، مجلة الرسالة ، العدد (١٥٣) ، القاهرة ، ١٩٣٦٠
٤٠ أهل الكهف ، مجلة الرسالة ، العدد (٩) ، القاهرة ، ١٩٣٣٠
٥٠ الأيام ، الجزء الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، (د٠ت) ٠
٦٠ الأيام ، الجزء الثاني ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤٠
٧٠ براكسا أو مشكلة الحكم ، مجلة الرسالة ، العدد (١٤) ، ٤ ابريل ، القاهرة ، ١٩٣٩٠
٨٠ بين المجلة والقراء ، مجلة الثقافة ، العدد (٦) ، القاهرة ، ١٩٣٩٠
٩٠ تجديد ذكرى أبي العلاء ، من دراساته القديمة المجموعة ، المجلد الثالث ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٤٠
١٠ تقليد وتجديد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٨٠
١١ تمهيد في البيان العربي من الجاحظ الى عبدالقاهر ، ترجمة عبدالحميد العبادي ، مقدمة كتاب نقد النثر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٨٠٠
١٢ جنة الحيوان ، سلسلة كتب للجميع ، العدد السابع والعشرون ، القاهرة ، (د٠ت)٠
١٣ حافظ وشوقي ، الناشر مكتبة الخانجي بمصر ، ومكتبة المثنى ببغداد ، ١٩٦٢٠
١٤ الحب الضائع ، دار المعارف ، القاهرة ٠
١٥ حديث الأربعاء ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٢٠
١٦ خصام ونقد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٥٠
١٧ دعاء الكروان ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦١٠
١٨ رجعة أبي العلاء ، مجلة الثقافة ، العدد (٣) ، القاهرة ، ١٩٣٩٠
١٩ رد على نقد، صحيفة البلاغ ، العدد الصادر بتاريخ ١٩٤٣/٦/٢٦ ، القاهرة ٠
٢٠ صوت أبي العلاء ، من دراساته المجموعة ، المجلد الثالث ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٤٠
٢١ على هامش السيرة ، الجزء الأول ، الطبعة الرابعة والعشرون ، دار المعارف بمصر، دار المعارف بلبنان ، ١٩٧٤٠

(١) اقتصرنا في كتب طه حسين ومقالاته على ماأفاد منه البحث مباشرة ، وورد ذكره فيه٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* طه حسين :

٢٢ فصول في الأدب والنقد ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

٢٣ في الأدب الجاهلي ، الطبعة العاشرة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

٢٤ في الصيف ، دار الكاتب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨١ .

٢٥ لاتينيون وسكسونيون ، مجلة الرسالة ، العدد (٢) ، القاهرة ، ١٩٣٣ .

٢٦ لاتينيون وسكسونيون ، الرسالة ، العدد (٣) ، القاهرة ، ١٩٣٣ .

٢٧ ماوراء النهر ، دار المعارف ، القاهرة ، (د.ت) .

٢٨ محاضرات في الأخطل والفرزدق وجرير ، من دراساته المجموعة ، المجلد الأول ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٥ .

٢٩ مذكرات طه حسين ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٧ .

٣٠ مستقبل الثقافة في مصر ، من المجموعة الكاملة ، المجلد التاسع ، علم التربية ، بيروت ، ١٩٧٣ .

٣١ مقابلة مع جريدة الأهرام ، عدد (٢٨٢٢) ١٦ مارس ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

٣٢ مقابلة مع مجلة العربي ، العدد (١١) ، الكويت ، ١٩٥٩ .

٣٣ مقدمة مجموعة " ألوان من القصة المصرية " ، دار النديم ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

٣٤ مقدمة مسرحية " غروب الأندلس " لعزيز أباظة ، الطبعة الثانية ، الناشر الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

٣٥ مع أبي العلاء في سجنه ، من دراساته المجموعة ، المجلد الثالث ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٤ .

٣٦ مع المتنبي ، من دراساته المجموعة ، المجلد الثالث ، دار العلم ، بيروت ، ١٩٧٤ .

٣٧ المعذبون في الأرض ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

٣٨ من أدبنا المعاصر ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

٣٩ النقد والطربوش وزجاج النافذة ، مجلة الرسالة ، العدد (٣٨) ، القاهرة ، ١٩٣٤ .

٤٠ وحي الأربعين ، مجلة الرسالة ، العدد (١٠) ، القاهرة ، ١٩٣٣ .

* ابن عبد ربه (شهاب الدين احمد بن محمد) ت : ٣٢٨ هـ ،
العقد ، سلسلة مكتبة صادر ، رقم (٢٣ ، ٢٤) ، بيروت ، ١٩٥٣ .

* عنترة بن شداد :
ديوانه ، دار بيروت للطباعة - دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦ .

* الفيروزآبادي ، (مجد الدين محمد بن يعقوب)
القاموس المحيط ، الجزء الأول ، دار الجيل ، بيروت ، (د.ت) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* ابن قتيبة (ابومحمد عبدالله بن مسلم) (ت : ٢٧٦ هـ)
الشعر والشعراء ، الجزء الأول ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٧.

* كُثيّر (عبدالرحمن)
ديوانه ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧١.

* كعب بن زهير :
ديوانه ، شرح السّكري ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٠.

* مروان بن أبي حفصة :
ديوانه ، جمع شعره الدكتور حسين عطوان ، دار المعارف ـ القاهرة ، ١٩٧٣.

* ابن المعتز ، ت : ٢٩٦ هـ ،
١. البديع ، تحقيق كراتشوفسكي ، لندن ، ١٩٣٥.
٢. طبقات الشعراء المحدثين ، تحقيق عبدالستار فراج ، دار المعارف ، القاهرة (د.ت).

* النابغة الذبياني :
ديوانه ، جمع وشرح محمد الطاهر بن عاشور ، الشركة التونسية ، تونس ، ١٩٧٦.

* أبونواس (الحسن بن هانيء)
ديوانه ، تحقيق وضبط وشرح أحمد عبدالمجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت).

* ابن هشام (ابومحمد عبدالله جمال الدين بن يوسف) ت : ٧٦١هـ،
١. أوضح المسالك ، الجزء الأول ، شرح محمد محيي الدين عبدالحميد ، الطبعة الخامسة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٦٦.
٢. أوضح المسالك ، الجزء الثاني ، شرح محمد محيي الدين عبدالحميد ، الطبعة الخامسة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٦٦.
٣. مغني اللبيب ، الجزء الثاني ، تحقيق محيي الدين عبدالحميد ، مطبعة المدني ، القاهرة ، (د.ت) .

* ياقوت الحموي ، ت : ٦٢٦هـ،
معجم الأدباء ، الجزء الثاني ، دار المأمون ، (د.ت).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب ـ المراجـــع (الكتب والمقالات)

* **أحمد أمين :**

٠١ الى أخي طه ، الرسالة ، العدد (١٥٢) ، القاهرة ، ١٩٣٦٠

٠٢ كتاب النثر الفـــني في القرن الرابع ، مجلة الرســـــــــالة ، العـــدد (٣٩) القاهرة ، ١٩٣٤٠

* **أرسطو طاليس :**

كتاب الشعر ، تحقيق وترجمة الدكتور شكري عياد ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشـــر ، القاهرة ، ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٦٧ م٠

* **الأســـد (الدكتور ناصر الدين)**

٠١ حول كتاب " في الشعر الجاهلي " مجلة القضاة ، السنة التاسعة عشرة ، العـــدد الأول ، يناير / يونيو ، القاهرة ، ١٩٨٦٠

٠٢ ذكرى طه حسين (بالاشتراك مع كتاب آخرين) ، الهيئة المصريـــــــة العامـــة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧٠

٠٣ الشعر الحديث في فلســطين والأردن ، نشـر معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦١٠

٠٤ مصادر الشعر الجاهلي ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٦٠

* **الأفغاني (سـعيد) :**

إنصافا لطه حسين ، مجلة العربي ، العدد (٢١٨) ، الكويت ، ١٩٧٧٠

* **الأهرام (مؤسسة) :**

خمسون عاما على ثورة ١٩١٩ ، مركز الوثائق والبحوث التاريخية لمصر ، القاهرة ، ١٩٦٩٠

* **الأمين (عز الدين) :**

نشأة النقد الأدبي في مصر ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠٠

* **أنيس (الدكتور عبدالعظيم) ومحمود أمين العالم :**

في الثقافة المصرية ، الطبعة الاولى ، دار الفكر الجديد ، القاهرة ، ١٩٥٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* البدراوي زهران :
أسلوب طه حسين في ضوء الدرس الحديث ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

* البدراوي (محمد سامي) :
النقد الأدبي عند طه حسين في مرحلة التكوين ، رسالة ماجستير ، مكتبة جامعة القاهرة .

* بلبع (الدكتور عبدالحكيم)
النشر الفني وأثر الجاحظ فيه ، الطبعة الثالثة ، الناشر مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

* بكار (الدكتور يوسف)
بناء القصيدة العربية ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

* توفيق (نجيب) :
عبدالله النديم ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، (د.ت) .

* التونسي (محمدخليفة) :
ها أنا عمر وها أنا ذا عمر ، مجلة العربي ، العدد (٢٩٢) ، الكويت ، ١٩٨٣ .

* جب (هاملتون) :
دراسات في حضارة الإسلام ، ترجمة الدكتور إحسان عباس ورفيقيه ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٤ .

* الجندي (أنور) :
١. محاكمة فكر طه حسين ، دار الاعتصام ، ١٩٨٤ .
٢. المعارك الأدبية ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

* جيد (أندريه) :
الباب المفتوح ، ترجمة نزيه الحكيم ، دار الهلال ، العدد (٢٢٩) ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

* حافظ ابراهيم :
ديوانه ، الجزء الثاني ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ، (د.ت) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* حسن (محمد عبدالغني) ورفاقه :
طه حسين وقضية الشعر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥.

* حسين (الدكتور محمد محمد) :
١. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، الجزء الثاني ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ، (د.ت).
٢. الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام . دار النهضة العربية ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٧٠.

* الحكيم (توفيق) :
١. الى الدكتور طه حسين ، الرسالة ، العدد (١٠) ، القاهرة ، ١٩٣٣.
٢. خصومات أدبية ، الرسالة ، العدد (٤٦٢) ، القاهرة ، ١٩٤٢.
٣. خصومة ، الرسالة ، العدد (٥٢) ، القاهرة ، ١٩٣٤.
٤. من توفيق الحكيم الى طه حسين ، الرسالة ، العدد (١٨) ، القاهرة ، ١٩٣٣.

* خضر (عباس) :
هل أنا غبي ، مجلة الدوحة ، العدد (٤٢) ، الدوحة ، ١٩٧٩.

* الخفيف (محمود) :
أحمد عرابي الزعيم المفترى عليه ، الطبعة الرابعة ، دار الوحدة ، القاهرة ، ١٩٨٢.

* خلف الله (محمد) :
معالم على طريق الكلاسيكية العربية الحديثة ، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٧.

* خلف (فاضل) :
زكي مبارك ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، (د.ت).

* دسوقي (الدكتور محمد) :
طه حسين يتحدث عن أعلام عصره ، الطبعة الثانية ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، ١٩٧٨.

* دياب (عبدالحي) :
العقاد ناقدا ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* **الرافعي (مصطفى صادق) :**

٠١ تحت راية القرآن ، الطبعة الرابعة ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٥٦٠

٠٢ الملك فؤاد ، الرسالة ، العدد (١٤٩) ، القاهرة ، ١٩٣٦٠

* **الرباعي (الدكتور عبدالقادر) :**

٠١ الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، جامعة اليرموك ، اربد ، ١٩٨٠٠

٠٢ الصورة الفنية في النقد الشعري ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٤ م٠

* **أبوالرب (توفيق) :**

هل سرق أيليا أبو ماضي قصيدة الطين ، مجلة العربي ، العدد (٢٩٤) ، الكويت ، ١٩٨٣٠

* **أبو رية (الشيخ محمود) :**

رسائل الرافعي ، دار الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٠٠

* **زايد (الدكتور محمود) :**

من أحمد عرابي الى جمال عبدالناصر ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٣٠

* **زكي (الدكتور أحمدكمال) :**

٠١ الحياة الأدبية في البصرة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١٠

٠٢ النقد الأدبي الحديث ، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢٠

* **سامح كريـــم :**

معارك طه حسين الأدبية والفكرية ، دار القلم ـ بيروت ، (د٠ت) ٠

* **سربية (محمدبديع) :**

حوار مع توفيق الحكيم ، الموعد ، العدد (١٠٩٩) ، بيروت ، ١٩٨٤٠

* **سلام (الدكتور محمد زغلول) :**

النقد الأدبي الحديث ، الناشر منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٨١٠

* **سلامة (الدكتور يسري محمد) :**

جماعة الديوان ، مؤسسة الثقافة ، الاسكندرية ، ١٩٧٧٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* السمرة (الدكتور محمود) :

٠١ غربيون في بلادنا ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٩٠

٠٢ في النقد الأدبي ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٤٠

٠٣ القاضي الجرجاني ، الطبعة الثانية ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٩٠

* سوزان طه حسين :

معك ، ترجمة بدر الدين عرودكي ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢٠

* شاكر (محمود محمد) :

٠١ المتنبي ، مجلة المقتطف ، الجزء الأول ، المجلد (٨٨) ، القاهرة ، ١٩٣٦٠

٠٢ المتنبي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٧٧٠

* الشايب (أحمد) :

أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٣٠

* شكري (عبدالرحمن) :

انتحال المعاني الشعرية ، المقتطف ، عدد يناير ، سنة ١٩١٧٠

* الشكعة (الدكتور مصطفى) :

٠١ رحلة الشعر من الأموية الى العباسية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١٠

٠٢ مصطفى الرافعي ، الناشر جامعة الدول العربية ، بيروت ، ١٩٧٠٠

* ضيف (الدكتور أحمد) :

مقدمة لدراسة بلاغة العرب ، مطبعة السفود ، القاهرة ، ١٩٢١٠

* ضيف (الدكتور شوقي) :

٠١ طه حسين والدراسات الأدبية ، مجلة الهلال ، العدد الثاني ، السنة الرابعة والستون ، أول فبراير ، سنة ١٩٦٦٠

٠٢ الفن ومذاهبه في النثر العربي ، الطبعة الثانية ، منشورات مكتبة الأندلس ، بيروت ، ١٩٥٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* **الطلخاوي (سيف النصر) :**
شيخ أدباء مصر سيد بن علي المرصفي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٨٤.

* **طه (علي محمود) :**
ديوانه ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٢.

* **عاشور (نعمان) :**
لقاء مع طه حسين ، مجلة الدوحة ، العدد (٥١) ، الدوحة ، ١٩٨٠.

* **عباس (الدكتور إحسان) :**
١. تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، الطبعة الثانية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٨.
٢. فن الشعر ، الطبعة الثالثة ، دار الثقافة ، بيروت ، (د.ت).

* **عبداللاه عبدالمطلب أحمد :**
المويلحي الصغير ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤.

* **عتيق (الدكتور عبدالعزيز) :**
علم البديع ، الطبعة الثانية ، دار النهضة ، بيروت ، ١٩٧١.

* **العريان (محمد سعيد) :**
حياة الرافعي ، الطبعة الثالثة ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٥٥.

* **عصفور (الدكتور جابر) :**
المرايا المتجاورة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٣.

* **عطوان (الدكتور حسين) :**
الوليد بن يزيد ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨١.

* **عطية (محمد أحمد) :**
مع نجيب محفوظ ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧١.

* **العقاد (عامر) :**
معارك العقاد الأدبية ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ـ صيدا (د.ت).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* العقاد (عباس محمود) :

٠١ أبو نواس ، المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد ، المجلد السادس عشر ، دار الكاتب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٠٠

٠٢ دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ـ صيدا ، (د٠ت) ٠

٠٣ الديوان (بالاشتراك مع المازني) ، الطبعة الثالثة ، دار الشعب ، القاهرة، (د٠ت)٠

٠٤ ساعات بين الكتب ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، (د٠ت)٠

٠٥ سعد زغلول ، دار الشروق ، القاهرة ، (د٠ت)٠

٠٦ شوقي وأسلوبان في النقد ، جريدة الجهاد ، عدد ١٦ يناير ، القاهرة ، ١٩٣٣٠

٠٧ طه حسين ، مجلة الهلال ، الجزء التاسع ، السنة (٤٣) عدد يوليه ، القاهرة ، ١٩٣٥٠

* علبي (الدكتور احمد) :

طه حسين وثقافة العصر ، مجلة العربي ، العدد (٣٤) ، الكويت ، ١٩٨٧٠

* عمر (نجاح) :

طه حسين ٠٠٠ أيام ومعارك ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، صيدا (د٠ت)٠

* عياد (الدكتور شكري) :

مناقشة المرايا المتجاورة ، مجلة فصول ، المجلد الثالث ، العدد الرابع ، يوليو أغسطس ـ سبتمبر ، القاهرة ، ١٩٨٣٠

* فيصل (الدكتور شكري) :

تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ، الطبعة الرابعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، (د٠ت) ٠

* القباني (عبدالعظيم) :

طه حسين في الضحى من شبابه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٦٠

* قلته (كمال) :

طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٣٠

* كفافي (الدكتور محمد عبدالسلام) :

في الأدب المقارن ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٢٠

٣٧٤٣٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* مبارك (الدكتور زكي) :

١٠ أحمد الله اليك ، الرسالة ، العدد (٣٦٧) ، ١٥ يوليه ، ١٩٤٠٠

٢٠ الحديث شجون ، الرسالة ، العدد (٩) ، القاهرة ، ١٩٤٣٠

٣٠ ديوان الحان الخلود ، دار الكتاب العربي بمصر ، القاهرة ، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧م٠

٤٠ زكي مبارك ناقدا ، مطبوعات الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٨٠

٥٠ من زكي مبارك الى طه حسين ، البلاغ ، عدد ٣٠ مارس ، القاهرة ، ١٩٣٤٠

٦٠ النثر الفني في القرن الرابع ، الطبعة الثانية ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، (د٠ت)٠

* المازني (إبراهيم عبدالقادر) :

١٠ قبض الريح ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧١٠

٢٠ نقد أسلوب طه حسين ، البلاغ ، عدد يونيه الصادر بتاريخ ١٩٤٣/٦/٢٥، القاهرة٠

* أبوماضي (ايليا) :

الجداول ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٢٠

* المحتسب (الدكتور عبدالمجيد) :

طه حسين مفكرا ، دار إحياء التراث العربي ، ١٩٧٨٠

* محفوظ (نجيب) :

بين القصرين ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٣٠

* المرصفي (حسين) :

الوسيلة الأدبية ، مطبعة المدارس الملكية ، القاهرة ، ١٢٨٩هـ ٠

* مطران (خليل) :

ديوانه ، الجزء الثالث ، مطبعة دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٤٩٠

* الملاح (عبدالغني) :

مقالات في طه حسين ، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٤٠

* الملاخ (كمال) :

قاهر الظلام ، دار الكتاب الجديد ، القاهرة ، ١٩٧٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* مندور (الدكتور محمد) :

٠١ معارك أدبية ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة (د٠ت)٠

٠٢ النقد والنقاد المعاصرون ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، (د٠ت) ٠

* موسى (سلامة) :

٠١ الأدب للشعب ، دار سلامة موسى للنشر والتوزيع ، القاهرة ، (د ٠ت) ٠

٠٢ طه حسين ، مجلة الهلال ، الجزء الخامس ، السنة (٣٢) ، القاهرة ، ١٩٢٣٠

٠٣ مصطفى صادق الرافعي ، دفاع عن المذهب القديم في الأدب ، الهلال ، السنة الثانية والثلاثون ، الجزء الخامس ، القاهرة ، ١٩٢٣٠

* ناجي (ابراهيم) :

٠١ ديوانه ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٣٠

٠٢ رد على طه حسين ، مجلة الثقافة ، العدد (٣) ، القاهرة ، ١٩٣٩٠

* النجار (الدكتور حسين فوزي) :

رفاعة الطهطاوي ، الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة ، القاهرة ، (د٠ت) ٠

* نشأت (الدكتور كمال) :

مصطفى صادق الرافعي ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨٠

* نصار (الدكتور حسين) :

دراسات حول طه حسين ، الطبعة الثانية ، دار اقرأ ، بيروت ، ١٩٨٣٠

* نصرت عبدالرحمن (الدكتور) :

الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، مكتبة الأقصى ، عمان ـ الاردن ، ١٩٧٥٠

* هلال (الدكتور محمد غنيمي) :

النقد الأدبي الحديث ، الطبعة الثالثة ، مطابع الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* هيرولد (كرستوفر):
بونابرت في مصر ، ترجمة فؤاد أندراوس ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشـــــــر ، القاهرة ، (د٠ت)٠

* هيكل (الدكتور محمد حسين) :
١٠ ثورة الأدب ، مطبعة السياسة ، القاهرة ، (د ٠ ت)٠
٢٠ من هيكل الى طه ، الرسالة ، عدد (١١) ، القاهرة ، ١٩٣٣٠

* الوادي (طه عمران) :
الدكتور محمد حسين هيكل ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩٠

جـ - المراجع الأجنبيـــــة

* **Bradley , A. C.,**
Oxford Lectures On Poetry, London, 1959.

* **Cachia, Piere,**
Taha Husayn , Luzacand, L. T. D. 46, Great Russell Street , London, 1956.

* **Downy, J. E.,**
Creative Imagination, Routledge and Kegan Paul, London, 1929.

* **Gabrieli, Fracesco ,**
(In Collaboration with others) , Taha Husein , Istituto Universitario Orientale , Napoli, 1964.

* **Gibb, H. A.R,**
1. Arabic literature (An Introduction) Second Edition, Oxford University Press, 1963.
2. Studies on the Civilization of Islam, Beacon Press, Boston, 1962.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* **Richards, I. A.,**
Principles of Literary Criticism , Routledge and Kegan Paul , London, 1963.

* **Safran, Nadaf,**
Egypt in Search of Political Community, Harvard University Press, Combridge, Massachusetts, Second Printing, London, 1981.

* **Saintsbury, G.,**
A History of Criticism, Blackword and Sons , London and Edinburgh , 1961.

* **Semah, D.**
Four Egyptian Literary Critics, Leiden , 1974.

* **Al-Shaka, Mustafa,**
Essays In Islamic Studies , Dar An-Nahdah Al-Arabiyyah Beirut, Lebanon.

* **Tignor, Robert,**
Modernization : British Colonial Rule in Egypt, Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 1966.

* **Vatikiotis, P. J.,**
The History of Egypt From Muhammad Ali to Sadat, Weiden and Nicolson Asia - Africa - Series, Second Edition, London, 1980.

* **Wellek, Rene,**
A History of Modern Criticism , Vol. III, Jonathan Cape , London , 1966.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

University of Jordan
Faculty of Graduate Studies
Arabic Department (PH. D.)

" Taha Hussein's Criticism Of Arabic Literature : " 1914 - 1973 "

Prepared by :
" Tawfique Yousef Abu - Al-Rub "

Supervisor
" Prof Mahmood Al-Samra "

" Submited in Partial fulfilment of the requirment for the doctorate of Philosophy Degree in the Arabic literature at the faculty of Graduate studies / University of Jordan - 1988 "

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit